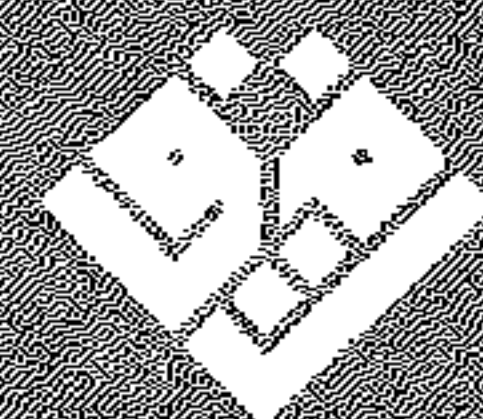


تاریخ طبرستان



المشروع القومى للترجمة

تأليف: بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار

ترجمة: احمد محمد نادى

مركز البحوث
الاسلامية

382

اهداءات ٢٠٠٤

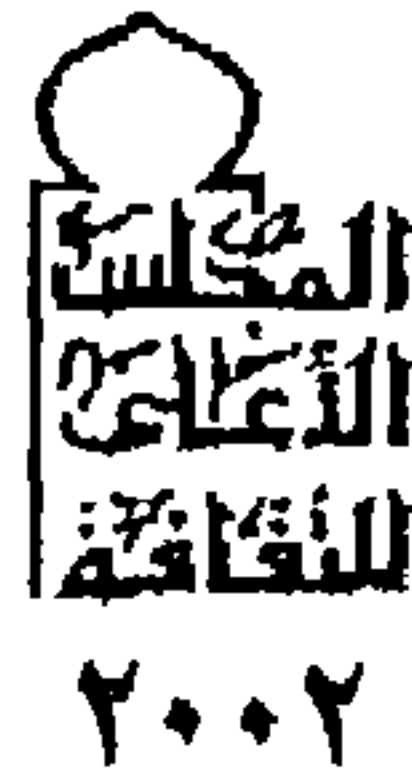
المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

المشروع القومي للترجمة

تاريخ طبرستان

تأليف: بهاء الدين محمد بن حسن بن إسفنديار

ترجمة وتقديم: أحمد محمد نادى



المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

– العدد : ٣٨٢

– تاريخ طبرستان

– بهاء الدين محمد بن حسن بن إسفنديار

– أحمد محمد نادى

– الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة عن الفارسية لكتاب تاريخ طبرستان
تأليف بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار
كاتب كرور بحرى تأليف شداه ست

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تقديم

مما لاشك فيه أن نمط الكتابة التاريخية ذات الاتجاه المحلي الذي يهتم بالمدن والأقاليم من أهم أنماط التدوين التاريخي الذي كتب به المؤرخون المسلمون في المشرق والمغرب على السواء ، وقد ارتبط هذا الاتجاه بشعور الانتماء الذي يلازم المؤرخ كإنسان تجاه مسقط رأسه أي المدينة التي ولد فيها أو الإقليم الذي ينتسب إليه .

ومن خلال دراستنا لتلك الظاهرة نرجح أن هناك أكثر من عامل ساعد على ظهور مثل هذه الكتب الإقليمية ، منها مثلاً الموروث التراثي الذي تم بنقله وترجمته إلى العربية وضع تجارب وأنماط حضارات قديمة كال يونانية والفارسية والهندية وغيرها من كتب الأقاليم كنماذج يحتذى بها من جانب المؤرخ المسلم .

ولا مانع أن يكون العامل السياسي ، الذي يمكن أن نطلق عليه نمو الشعور بالذاتية الإقليمية في صورة الحركة الاستقلالية قد أدى إلى تفاعل المؤرخ في هذه الأقاليم أن يكتب لمدنه وأقاليمه تاريخاً خاصاً مستقلاً يركز فيه على المفاخر السياسية والحضارية للبلد الذي ينتمي إليه المؤرخ . وربما يندفع المؤرخ بقلمه لكتابة تاريخ إقليم أو مدينة تحت تأثير أو إغراء السلطة السياسية التي ربما طلب حكامها من المؤرخين وضع كتب لإظهار تواريخ ولاياتهم أو عواصم دولهم ، كما هو الحال مثلاً عند النرسخي مع السامانيين أو العتبي مع الغزنويين .

وهناك عامل آخر ربما ساعد على ظهور كتب الأقاليم والمدن وهو عامل اجتماعي نفسي ، حيث يميل المؤرخ كإنسان إلى تصوير ما كان عليه مجتمعه من حالة سياسية وعسكرية واجتماعية ، وهي تميل إلى التعددية في قواها السياسية والمذهبية بالمشرق الإسلامي ، مما أدى إلى تعدد كتب الأقاليم والمدن .

ويرتبط بكتب الأقاليم والمدن ونموها ، الحديث عن ظاهرة أدبية ترتبط بلغة هذه الكتب ، حيث إن المؤرخ المسلم ظل ما يقرب من ثلاثة قرون تقريباً يكتب باللغة العربية لغة الإسلام والحضارة ، ثم تدرج استخدام الفارسية الحديثة في المشرق وخاصة

فى كتب الأقاليم والمدن تحت رعاية الدويلات الفارسية والتركية المستقلة بدءاً بالصفارية والسامانية وغيرها ، ومن هنا تولدت ظاهرة جديدة هى ازدواجية لغة الكتابة فى الأدب التاريخى ومارس أصحاب اللسانين عملهم بأقلامهم فى مجال التاريخ .

والكتاب الذى بين أيدينا « تاريخ طبرستان » بلاشك حصاد تلك الظاهرة التى نمت فى أحضان التجربة الإقليمية الإسلامية حيث إن مؤلفه ابن اسفنديار (بهاء الدين محمد بن الحسن) لاحق العديد من المؤرخين المشاركة ، فهو من المؤرخين الذين شاهدوا القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وبالتالي فقد تمكن من استيعاب تجارب من سبقوه من الجغرافيين ومؤرخى المدن والأقاليم السابقين الذين غنّوا بفكرهم ومنهجهم تلك التجربة من أمثال المدائنى (ت ٢١٥ أو ٢٢٢ / ٨٣٠ أو ٨٣٨ م) أو ابن طيفور (ت ٢٨٠ / ٨٩٣ م) فى العراق مروراً بالسلاطى (ق ٤ / ١٠ م) فى خراسان أو النرشخى (ق ٤ / ١٠ م) فيما وراء النهر ، ثم السهمى (ق ٥ / ١١ م) فى جرجان وغيرهم . فوصلت بالتالى التجربة إلى ابن اسفنديار فاستوعبها وأفاد منها من الناحية الموضوعية والمنهجية .

وقد استوقفتنى تجربة ابن اسفنديار فى كتاب « تاريخ طبرستان » مقارنة بالتجارب المنهجية مع غيره من مؤرخى المدن والأقاليم كما أن ولاية طبرستان لم تكن كغيرها من الولايات الفارسية بحكم موقعها وبيئتها الجغرافية وأسلوب فتحها الذى استمر بما يشبه فتح العصور أو المراحل التاريخية إذ بدأ الفتح زمن الخلفاء الراشدين ثم استكملت مراحل زمن الأمويين واستمرت المحاولات ما بين مد وجزر إلى أن جاء دور الخلافة العباسية التى أتمت جهود الفاتحين السابقين ، ثم ما ورد فى هذا الكتاب عن حركات التمرد والعصيان التى اشتعلت فى طبرستان ضد حكومة الخلافة ونوابها ، وما ورد فى الكتاب عن أهم الفرق المذهبية فى طبرستان مما لزم ابن اسفنديار أن يجمع مادة علمية غزيرة فتضمن كتابه وثائق قلما توفرت فى غير كتابه ، وتمكن من الحصول عليها بعد رحلات وجولات فى بلدان المشرق الإسلامى .

ولا يسعنى كمدرس للغة الفارسية وباحث فى الدراسات الآسيوية إلا الاعتراف بقيمة هذا العمل وفائدته العلمية أملاً أن تتلوه دراسات وترجمات أخرى لكتب التراث الإسلامى .

والله من وراء القصد ،

د. أحمد محمد نادى

مقدمة الناشر

لم يكن النص الفارسي لكتاب « تاريخ طبرستان » قد طبع حين قام الأستاذ المرحوم " إدوارد براون " بنشر خلاصة الترجمة الإنجليزية لعام ١٩٠٥ ، ومنذ ذلك الوقت حظى بشهرة كبيرة بين أهل الأدب والبحث ؛ وعلى الرغم من أن عدداً من المستشرقين أدركوا أهمية هذا الكتاب وكتبوا مقالات في شأنه قبل المرحوم "براون" بمدة كبيرة وقاموا باستخراجات منه ؛ إلا أن أحداً لم يبادر بطبعه ، إن هذه النسخة النفيسة التي أغار على أغلب محتوياتها المؤلفون ، واعتمدوا في مؤلفاتهم عن "طبرستان" على أساسها ظلت بعيدة عن متناول يد العامة.

وربما يعود السبب في هذا الأمر إلى إشكال تصحيح الكتاب من حيث اشتماله على الأشعار والعبارات العربية الكثيرة والأعلام والأسلوب غير المؤلف ، والسبب الآخر : هو أخطاء وفساد النسخ الموجودة من هذا الكتاب ، ومن المؤكد أن هذين السببين هما اللذان أديا إلى تأخر نشر هذا الكتاب من قبل الناشر لسنوات ، ورغم أن النسخة التي بين أيدينا ليست كاملة حتى الآن كما يجب ولا تزال عدة مواضع منها مجهولة وغير مفهومة ، إلا أنه قد بذل في توضيحها وتنقيحها أقصى ما يمكن ، وقد تم حل وتوضيح كثير من صعوباتها عند مقابلتها ومراجعتها مع النصوص الأخرى ، وفي هذا الشأن فإن الناشر المتواضع مدين أكثر من غيره لعناية وخبرة الأستاذ والعلامة الكبير حضرة السيد " محمد قزويني " مد (الله) ظله ؛ حيث إنه قدم مساعدات قيمة للناشر ، وذلك في مقابلة النسخ الموجودة بالأخرى وتصحيح العبارات الخاطئة وغير المفهومة ، وقد من على في هذا الشأن أيضاً كما هو الحال في الكثير من الأمور الأخرى، وكذلك كان الشكر والحمد لهذا الأستاذ صاحب الجود وتمنى السعادة والعزة له ؛ حيث إنه لم يضمن بتحمل أى مشقة في سبيل خدمة العلم وهذا فرض على وعلى الأشخاص الذين لهم اهتمام باللغة الفارسية وآدابها والذي يعد تاريخ طبرستان واحداً من أعمالها الشيقة والجذابة ، والجدير بالذكر أن الناشر سوف يورد في مقدمة الجزء

الثانى الذى سوف ينشر عن قريب معلومات مفصلة عن مؤلف الكتاب وتاريخه ، وسوف يطبع فى نهاية الجزء الثانى الحواشى والتعليقات الخاصة بالجزءين ، والتى بدونها تبقى أجزاء كثيرة من الكتاب غير مفهومة وقد أوردنا فى مقدمة هذا المجلد فقط التعريف بالنسخ الأخرى ، والتى اتخذناها أساساً لطبع هذا الكتاب ونكتفى بذكر مجمل من الكم الموجود من كتاب " تاريخ طبرستان " ، والكم المفقود منه ، ونترك التفصيل الكامل فى مقدمة الجزء الثانى .

" النسخ المعروفة من كتاب تاريخ طبرستان "

يوجد من كتاب " تاريخ طبرستان " تأليف " محمد بن حسن بن إسفنديار " نسخ متعددة سواء فى "إيران" أو فى المكتبات العامة فى بلاد الفرنجة ، ومما يؤسف له أن جميع هذه النسخ بمبلغ علم الناشر ناقصة ومغشوشة ، وتاريخ كتابة أى منها باستثناء النسخة (ألف) والتي هى أصح وأكمل النسخ المعروفة لـ " تاريخ طبرستان " لا تتجاوز العام الألف الهجرى ، وبالإضافة إلى النسختين (ألف) و (باء) والتي سوف يأتى الحديث عنها فيما بعد ، فإن جميع النسخ الأخرى لـ " تاريخ طبرستان " كانت تحت يد الناشر ، أو قرأ عنها إجمالاً أو قرأ أوصافها وتفصيلاتها فى كتب الفهارس ، وهى أشبه بأن تكون قد تفرعت كلها من أصل واحد ، ونسخت جميعها عن نسخة مغلوبة وناقصة ، وقام آخرون - كما سنفصل القول فيما بعد - وجمعوا متفرقات من هنا وهناك ، وجعلوا منه القسم الثانى من هذا الكتاب ، وأوصاف هذه النسخ دون الدخول فى شرح جزئياتها هى على هذا النحو : -

١- السقطات كثيرة ، وقد أشرنا إليها فى هوامش صفحات هذا الجزء التالى من الجزء الأول وهو الجزء الذى بين أيدينا ، وقد حذفت فيه الأشعار والعبارات العربية وغالباً أيضاً ما سقطت سطور من العبارات الفارسية للمتن ، وفى الجزء الثانى الذى يشمل القسمين الثانى والثالث فى الكتاب أجزاء مفقودة أو ساقطة ، وهى كثيرة جداً وأحياناً يبلغ مقدارها العديد من الصفحات الكبيرة ، وقد سقط القسم الثانى من جميع النسخ حتى من (ألف) أيضاً ، وآخرون قد جمعوا القسم الثانى لهذا الكتاب متفرقاً من هنا وهناك وسوف نورد هذا بالتفصيل .

٢ - أما عن القسم الثالث فإن الموجود منه فى سلسلة النسخ الموحدة الشكل باستثناء (أ) و (ب) فلم يتجاوز فى مجموعه أكثر من عشرين صفحة ، فى حين أن الكم الموجود فى (ألف) يصل إلى مائة وأربعين صفحة وهو فى هذه الأجزاء أكثر اكتمالاً من "باء" أيضاً .

٣ - وفى جميع هذه النسخ والتي تعد (باء) واحدة منها فى هذا الأمر أيضاً ، يوجد قسم بعد انتهاء القسم الأول والذي هو آخر الجزء الذى بين أيدينا بعنوان (القسم الثانى) وعنوانه على النحو التالى :-

" فى ابتداء دولة وشمكير وآل بويه ومدة استيلائهم على طبرستان " وهذا القسم برمته ساقط من النسخة (ألف) رغم أن المسلم به أن المؤلف قد كتب مؤرخاً لفترة استيلاء آل " وشمكير " وآل بويه " على " طبرستان " فإنها لا تحوى أية تفاصيل غير موجودة ، ويتضح من وضع هذه النسخة أيضاً أن هذه المعلومات مفقودة وسقطت من النسخ التى كانت تحت يد كاتب نسخة (ألف) ، ووفقاً للتفصيل الذى أوردناه فى مقدمة وحواشى الجزء الثانى فإن هذا القسم ، والذي هو بعنوان القسم الثانى موجود فى سائر النسخ باستثناء (ألف) ويبلغ اثنين وثلاثين صفحة من نصنا هذا ، وهو لا يعود للمؤلف الأصيل لـ " تاريخ طبرستان " بأى وجه من الوجوه ، وقد قام أحد الشعراء فى القسم الثانى بالتقاط ما وجدته فى رأيه ، من هنا وهناك لكى يملأ به المكان الخالى من القسم المفقود من كتاب " تاريخ طبرستان " وألحقه ضمن الكتاب دون أى تصريح وبشكل سئ لا يليق ، وقد ذكرنا دلائل هذا الادعاء والتي تتمثل فى : إيجاز الموضوعات وأساليب الإنشاء المختلفة والأغلاط التاريخية الفاحشة الكثيرة ، ونسخ كل قسم منها بنفس عباراته من كتب معروفة أخرى ، ومما يدعو للأسف البالغ أن أحد الأقسام الشيقة من تاريخ " محمد بن حسن بن إسفنديار " وهو القسم الخاص بآل بويه وآل زيار وبداية تاريخ باوند قد ضاع كلية ، والعجيب أنه لم يطلع أحد قط على هذا الأمر الهام حتى الآن ، وقد اعتبر الجميع أن كل المعلومات الناقصة والخاطئة التى توجد فى النسخ الراجعة « لتاريخ طبرستان » تخص المؤلف الأصيل للكتاب ، وقد نقلوا نفس هذه الأخطاء الواضحة منسوبة إليه ، وحتى يظل خيط التاريخ موصولاً فإننا برغم إيضاحنا لوجود أصل هذا القسم الثانى وأنه لا أثر له فى النسخة (ألف) كما قلنا ، فقد طبعناه ولم يُعلم أى الأجزاء التى ألحقت بأجزاء النص فى أول الجزء الثانى ، وأشرنا فى هامش الصفحات إلى المصدر الذى أخذت منه كل قطعة وهذا القسم كما ذكرنا فى الهوامش والحواشى الموجودة فى آخر الكتاب أيضاً وأشرنا إلى الأخطاء التاريخية الموجودة فيه .

٤ - وجميع النسخ الموجودة من " تاريخ طبرستان " باستثناء النسخة (ألف) تتحدث عن نهاية أحداث "قابوس بن وشمكير" ، حيث يجرى الحديث عن عدة فقرات من مكاتباته مع معاصريه - فى ص ١٤٢ وما بعدها من هذا المجلد - ظهر بها خطأ فادح فى المراسلات العربية والتي يخص بعضها قابوس وبعضها الآخر لآخرين ، بمعنى أن كاتب تلك النسخة الأساسية التى قد كتبت عنها جميع النسخ الموجودة من " تاريخ طبرستان " باستثناء (ألف) حدث بها خلط إما فيها أو فى بعضها ؛ فأحدثت خلطاً فى المراسلات العربية فى أجزاء من بعض المراسلات إلى مراسلات أخرى فمثلاً عبارة " اليزدادى " فى التعريف ببلاغة " شمس المعالى " ص ١٤٢ سطر ١١ من نفس المجلد فى هذه النسخة جاءت فى هذه النسخ على النحو التالى: (وأنا أقول بلسان مطلق إن أحداً لم يسمع كلاماً باللغة العربية مثل رسائل قابوس فى الفصاحة والوجازة طالعة على جناب الرفيع... إلخ) حتى (كلمة الوجازة) هى من عبارة "يزدادى" ولكن من كلمة « طالعة وما بعدها هى جزء من المراسلة الجوابية لأبى إسحاق الصابى (ص ٥٤١ سطر ١٨ من الكلمة السادسة وما بعدها) وقد ألحق الناسخ بعد تلك العبارة عبارة "اليزدادى" وأورد بقية عبارة "اليزدادى" بدلاً من "الصابى" هنا ووضعها فى نهاية القسم الأول من المراسلة الجوابية له ، وبهذا الشكل يكون قد أحل جزءاً من المراسلة الجوابية للصاحب ابن عباد إلى شمس المعالى فى نهاية الجزء الخاص بجواب "الصابى" تحت نفس عنوان كلام (يزدادى) ، ولحسن الحظ أن هذه الأخطاء غير موجودة بالنسخة (ألف) وطبعنا النص طبقاً لذلك ، ولم نبين فى نهاية الصفحات كيفية وضع هذا الاختلال فى النسخ الأخرى إذ لا فائدة تترتب على ذكره .

٥ - جميع نسخ " تاريخ طبرستان " باستثناء : (ألف) مع أن مؤلفها صرح فى صفحة (٨٢) بأنه كان مشغولاً بتأليف تاريخه عام ٦١٣ هـ إلا أن نهاية أحداث كتابه حتى عام ٧٥٠ هـ وليست هناك شبهة أن تاريخ "محمد بن حسن بن إسفنديار" كان ينتهى عند عام ٦٠٦ هـ ، وهو تاريخ انقراض "آل باوند" وقتل الملك "بستم بن أردشير ابن حسن" ، وقد أشار المؤلف فى أول صفحة من كتابه إلى هذا حيث إن الغرض الأصلى للمؤلف من كتابة " تاريخ طبرستان " كما صرح هو نفسه بذلك (هـ) كان يتركز فى أيام " آل باوند " منذ بداية ملكهم وحتى نهاية أمر تلك السلسلة ، إذن فالوقائع بعد قتل " بستم بن أردشير بن حسن " وحتى عام ٧٥٠ هـ والتي تضمنتها

هذه النسخ ولا توجد في النسخة (ألف) أضافها آخرون على هذا الكتاب ، وربما يكون هذا التصرف من الشخص الذي رتب وأعد من عنده الجزء الثانى المفقود من الكتاب الأصيل وضمه إليه ، وفى عام ١٣٠٣ هـ وعندما وقعت النسخة (ألف) فى يد الكاتب رأيت أنها علاوة على تاريخ " محمد بن حسن إسفنديار " فإنها تشتمل أيضاً على النسخة النادرة من تاريخ "رويان" تأليف مولانا " أولياء الله الأملى " أيضاً ، وقد حصلنا على هذا الكتاب الذى علمنا عن وجوده فقط عن طريق "السيد ظهير الدين المرعشى" من كتاب " تاريخ طبرستان " ، وكان يظن أنه وجد ما فيه ، وبعد مطالعته ومقارنة خاتمة الكتاب هذه مع خاتمة النسخ الموجودة من تاريخ "محمد بن حسن بن إسفنديار" بذاته الجزء الأخير من تاريخ "رويان أولياء الله الأملى" ، وأن من ألحقه قد اقتطع هذا القسم من "تاريخ أولياء الله" وضمه إلى تاريخ "محمد بن حسن بن إسفنديار" ليذكر امتداد الأحداث حتى عام ٧٥٠ هـ وهو العام الذى قتل فيه "الشاه الغازى" "فخر الدولة" آخر ملوك "مازندران" ، وقد رفع هذا القسم من " تاريخ أولياء الله" وعندما طبع " تاريخ أولياء الله" أصبح من السهل مقارنة قسم آخر منه مع تلك التتمات الموجودة فى النسخ العادية لـ "تاريخ طبرستان" ويستطيع كل إنسان أن يدرك صحة هذا الأمر .

٦ - وبما أن تاريخ كتابة عموم النسخ المعروفة من كتاب "تاريخ طبرستان " جديد نسبياً فإن التحريفات والأخطاء تفوق الحد ، ويستثنى من ذلك النسخة (ألف) وبها تيسر الفهم وتداركت الأخطاء والتحريفات ومواضع الاختلال ، علاوة على بقاء الكثير من الأشعار والعبارات وأجزاء كثيرة من أصل الكتاب مفقودة ؛حيث إنها لا توجد فى النسخ الأخرى ، وأن جميع المستشرقين الذين اعتنوا حتى الآن بكتاب "محمد بن حسن بن إسفنديار " (و) عملوا من خلال نسخ من قبيل هذه السلسلة من النسخ التى وصفناها ، والترجمة المختصرة التى قام بها المرحوم " براون" كانت أيضاً مبنية على نفس هذه النوعية من النسخ ، وقد أشار المحرر إلى قرابة عشر نسخ من هذه النوعية وهى موجودة والنسخة (ج) واحدة منها، وهى ملك له وكانت تخص فى البداية المرحوم "رضا قليخان هدايت" ، ويوجد فى بعض حواشيها ملحوظات بخط يده ما زالت باقية - رحمه الله - وأما النسخ الأخرى تخص السيد "إسفنديار" رئيس مجلس

النواب وحضرة العالم الأ مجد السيد " تقوى " رئيس الديوان العالى للدولة مد الله
ظلهما ، ونسخ مدرسة " سبهسالار " بطهران ، والمكتبة القومية ، ومتحف الآثار ،
ونسخة مقارنة بنسخة السيد الحاج " حسين آقا ملك " ومكتبة مدرسة " سبهسالار " ،
ومكتبة المجلس وقد أعدت من قبل الصديق الفاضل العزيز السيد " مدرس رضوه "
وقد سلمها للمحرر تكملاً للمساعدة على إنجاز هذا الأمر ، وكما رأيت عدة نسخ
أخرى إلا أن جميعها - بصرف النظر عن تاريخ كتابتها ، حيث إنها كما حذرنا من
قبل - لا تتعدى عام ألف من الهجرة وكأنها تتطابق فيما بينها بحيث إذا ما وجد
خطأ أو تحريف فى المتن أو سقط من موضع لا يرجح أحدها على الأخرى فى
المساعدة لحل إشكال بينهما .

" النسخة ألف "

هذه النسخة التى حرر تاريخ انتهاء المجلد الأول منها فى شهر صفر ، والمجلد
الثانى فى شهر ربيع الأول من عام ٩٧٨ هـ ، وهى تقع فى ١٥١ ورقة من القطع الكبير
٢٢×٣٠ سم ٢ وكل صفحة تحتوى على ٢٥ سطراً ، ونسخة تاريخ " رويان " لأولياء الله
الأملى كما أشرنا إلى ذلك سابقاً كانت ملحقة بنفس القطع ، ونفس الخط ولكنهم
عزلوها عن هذه النسخة فيما بعد ، ولا أعلم أين توجد الآن ، وتحت تصرف من
الأشخاص ، وهاتان النسختان كانتا فى البداية عند السيد " تقى كيان مازندراني ،
(معتصم الملك) الذى كان من أصدقاء الكاتب وقد أتى بها لى على سبيل الأمانة لفترة
من الوقت عام ١٣٠٣ ش ، وقد استفدت منهما فائدة جمة فى تلك الفترة ، ولا نعلم
شيئاً عن انتقال هذه المجموعة من يد إلى أخرى حتى انتهى الكتاب باستثناء (القسم
الخاص بتاريخ رويان والذى انفصل عنه) إلى ملكية السيد " محمد رمضانى " المدير
الهامام لمكتبة الشرق ، ولقد أعطاها لى ليتيسر أمر طبع "تاريخ طبرستان" الذى عملت
فى إعدادة سنوات طوال ، (ز) وهى نفس النسخة التى وضعوها تحت تصرف الكاتب
والتي نشير إليها بالرمز (ألف) وهذه النسخة - مع أنها أقدم وأكمل نسخنا ، إلا أنها
ليست سليمة وغير مضبوطة إلى حد ما ، وبخاصة كلما وردت الأشعار أو الجمل
العربية وهى أيضاً كسائر النسخ مصابة بتلف وتحريف كثير ، إلا أن فضلها على
سائر النسخ الأخرى يكمن فى أن كاتبها قد سجل بها بدقة كل ما كان تحت يده ،

ونقلها طبق الأصل ، ولم يهمل أيًّا من الأشعار قط كما فعلت النسخ الأخرى ، على الرغم من أنه لم يدرك معناها أو رسمها الصحيح ، وقد ساعدنا هذا الأمر على أن نصح قدر المستطاع أغلبها بالرجوع إلى النصوص الأخرى بمشقة ، وصححناها بالحدس والقياس قدر الإمكان ، وأن نحیی آثاراً نفيسة جداً من الآداب العربية التي قالها سواء إيرانيون أو التي تخص "إيران" والتي لم يكن من الممكن الحصول عليها في مكان آخر قط ، لكل هذا فإن النسخة (ألف) تعد من أثمن الكنوز ، وتفتقد النسخ الأخرى جميعها هذه الفوائد ، والرجوع إلى صفحات ٤٤ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، والتي أشرنا في هامش كل منها إلى ما فيها من نقص قياساً على النسخة (ألف) ومدى الجرم الذي اقترفه كتابها وناسخوها المهملون في تشويه هذا الكتاب ، ومدى الفوائد التي أضاعوها منه في قسمهم هذا ؛ فضلاً عن الأقسام الكبيرة ذات الأهمية القصوى من القسم الثالث الذي لا يوجد إلا في النسخة (ألف) فقط وخلت النسخ الأخرى منها ، وسوف نفصل هذا المبحث في مقدمة المجلد الثاني ، ومع الأسف بالرغم من كل هذا ، فإن النسخة (ألف) ليست تامة ولا كاملة ؛ لأنه علاوة على ضياع القسم الثاني بأكمله وقسم آخر من بداية الجزء الثالث وبعض الفقرات التي ترك مكانها دون كتابة ، فضلاً عن أن القسمين الأول والثالث قد بقيا مبتورين ، إذ سقط قسم من أول الكتاب أيضاً ، وهذا الجزء وفقاً لما يتضح من النسخ الأخرى كان يشتمل على مقدمة المؤلف بأكملها وبداية الباب الأول من القسم الأول أي من أوائل ترجمة "نامہ تنسر" وكلام "ابن المقفع" (ج) بمعنى أن النسخة (ألف) تبدأ من عبارة (إلى المواضع العلية) في وسط السطر الخامس من ص ١٣ من النص الذي طبعناه على نحو ما أشرنا وأوضحنا في ذيل تلك الصفحة وهي تخلو من قبل من ذلك ، وقد أخذناه من النسخ الأخرى وهذا النقص باعث على الأسف ؛ لعدم وجود المقدمة الأصلية للمؤلف ، والتي تبين خطته في كتابة هذا الكتاب وتقسيمه والتي جعلها نصب عينيه لإنجاز هذا العمل ، وضياعها يمثل مشكلة لنا اليوم ؛ فالتقسيم الذي أوردناه قد أخذناه من النسخ الأخرى ، وطبقاً له يجب أن يقسم الكتاب إلى أربعة أقسام ، وهو

ليس خاصاً بمؤلفه ، ولابد أن فيه تصرفاً أيضاً قد حدث من قبل الآخرين ، وفي نفس هذا الجزء والذي ينتهى بانتهاك حكم السادة العلويين في "طبرستان" ، ويتحدث المؤلف عدة مرات عن المجلدات التالية من الكتاب ويمكن من خلال هذه الإشارات إدراك المنهج الذى قسم هو كتابه إليه ، ففي ص ١٤٠ ، ١٤٢ على نحو ما ذكرنا من قبل ، وحديث المجلد الثانى من الكتاب وفيه وعد بأن يسوق الحديث مفصلاً عن "آل زيار" فى هذا المجلد ، وعلى ذلك كان القسم الثانى من كتاب "محمد بن حسن بن إسفنديار" ووفقاً للتفصيل الموجود فى نفس المقدمة يتضمن أحوال "آل زيار" ، إن ذلك كان إلى جانب موضوعات أخرى ربما كانت أحوال واستيلاء "الغزنويين" و"السلجقة" على "طبرستان" ، وهو نفس المجلد المفقود وقد وضع بدلاً منه فى النسخ الأخرى بعض الاقتباسات المنقولة من كتب الآخرين ، وفى ص ١٤١ ، ١٤٢ يقول المؤلف عن "آل باوند" : «فى عصرنا والذين كانوا حكاماً وملوكاً سوف نذكر نسبهم وأوضاع ولايتهم إن شاء الله تعالى فى القسم الآخر» ، وفى ص ١١٥ قال فى المجلد الثالث: " سوف يأتى شرح مستقل - إن شاء الله تعالى - لحقوق نعمته وتربيته يعنى حسام الدولة "أردشير بن حسن" للسلطان "طغرل" فى ذلك الوقت الذى كان قد وضعه فيه "قزل أرسلان" فى القلعة ويظهر من هذه الإشارات أن :-

أولاً: المؤلف كتب أحوال ملوك "باوند" المعاصرين للمؤلف فى الجزء الأخير من أقسام هذا الكتاب (ط) أو مجلداته ، وأن الكتاب كان ينتهى بذكر أحوالهم على نحو ما ذكر فى الصفحة الأولى .

ثانياً : إن "الإصفهيد حسام الدولة" ، "أبا الحسن أردشير بن حسن" (٥٦٧ هـ - ٦٠٢) الذى كان مخدوم المؤلف وراعيه وهو السابق على آخر ملوك أسرة "آل باوند" ، والتي انهارت بعده بأربع سنوات كانت فى المجلد الثالث من الكتاب، وبما أن تاريخ محمد بن حسن بن إسفنديار" ينتهى أيضاً بأحوال "حسام الدولة أردشير" وابنه رستم الذى قتل فى عام ٦٠٦ هـ ، إذن فمن المسلم به أن كتابه لا يزيد على ثلاث مجلدات وكان غرضه من القسم الآخر الخاص بتاريخ "آل باوند" نفس المجلد الثالث من الكتاب فضلاً على أنه لا توجد إشارة قط فى أى موضع من الكتاب إلى قسم رابع ، وطالما أن سلسلة الموضوعات التى عنى بتسجيلها وتفصيلها قد تمت بنفس هذا

الجزء الثالث ؛ فلم يكن هناك ضرورة بعد إلى وجود جزء رابع وما تحتويه النسخ الأخرى غير (ألف)، ونقصد تلك المقدمة التي اضطررنا إلى طبعها لعدم وجود حيلة أخرى ، فإنها تضم قسمًا رابعاً في باب استيلاء "آل باوند" مرة ثانية حتى نهاية آخر دولتهم ، وهو نفسه دليلٌ على تصرف الآخرين في التقسيم الأصلي للمؤلف ، إذ إنه وفقاً للتفصيل المذكور أعلاه قد حرر المؤلف كتابه في ثلاثة أجزاء ، وعليه يمكن أن موضوع هذا القسم الرابع أى تاريخ الفترة الأخيرة من استيلاء "آل باوند" على "مازندران" حتى نهاية آخر دولتهم ، لم تكن بهدف عناية "محمد بن حسن بن إسفنديار" بدليل أن آخر فترة لاستيلاء "آل باوند" تبدأ حوالى ٦٣٥ هـ وبحسام الدولة "أردشير بن كينخواز" أحد أعقاب "آل باوند" القدامى وآخرهم أيضاً هو "فخر الدولة حسن" الذى قتل فى عام ٧٥٠ هـ وشرح أوضاع هذه الفترة من تاريخ ملوك "باوند" هو نفسه ما جاء فى النسخ المعتادة من "تاريخ طبرستان" وهو ما أخذه الآخرون من "كتاب أولياء الله" وألحقوه بآخر نسخة "محمد بن حسن بن إسفنديار" والتصرف الذى تم فى المقدمة إنما تم لتبرير هذا الهدف على ما يبدو بحيث لا تخلو نسخ "تاريخ طبرستان" من هذا القسم أيضاً ، وهو الذى أسموه بالقسم الرابع .

وأكثر المواضع فى النسخة (ألف) ليس بها عناوين للموضوعات أو الفصول بل وأحياناً يترك مكانها خالياً فى هذه النسخة ، وقد أخذناه من النسخ الأخرى (ى) وذلك لتوضيح الموضوعات ، إلا أنه لا يطمئن إلى أن اختيار هذه العناوين قد تمت من قبل المؤلف الأصلي ، ويبدو أن واحداً هو الذى قام بهذا الأمر وقد اختار هذه العناوين بما يتناسب مع الموضوعات التى تحتها ففى ص ١٨٩ على سبيل المثال تحت عنوان " حكاية فتنة أهل رستمдар " وكلمة " رستمдар " تعد بالنسبة لعصر المؤلف للكتاب كلمة مستحدثة ويعد استعمال هذه الكلمة بدلاً من "رويان" أمراً جديداً ، فلا يرى لها أثر لا فى الكتب السابقة على عهد "ابن إسفنديار" ولا فى كل "تاريخ طبرستان" الخاص به ، ونفس الأمر يوقفنا على أن هذا العنوان وأمثاله لا يرجع إلى المؤلف الأصلي للكتاب ، والنسخة (ألف) أيضاً فيها خلط خاص بالأقسام وبالقطع سقطت منها أقسام ، وبما أن كافة النسخ ناقصة أيضاً فلم يتيسر لنا تدارك هذا النقص وتعويضه بأي وجه من الوجوه، ولهذا بقى النص على حاله مضطرباً وناقصاً ومعظم هذه الأجزاء يرجع إلى

أيام دعوة " ناصر الكبير " و"حسن بن قاسم الصغير" ، وتعد نسخة (ألف) أكمل وأكثر تفصيلاً من هذه النسخ الأخرى وعلى الرغم من هذا فإنه لا توجد شبهة في أن نسختنا المطبوعة بها خلل في الصفحات ٢٧٧ - ٢٨٠ إلى ٢٨٥ ، ومع عدم انتظام الموضوعات فقد سقط جانب من تفصيل الأحداث أيضاً ، ولعدم وجود حيلة لتدارك الصورة الصحيحة فقد طبعنا النص مطابقاً للنسخة (ألف) وقد أشرنا في هامش الصفحات إلى أماكن هذا الخلل بقدر المستطاع .

"النسخة ب"

أما النسخة "ب" التي ينتهى تاريخ تحريرها يوم الجمعة الموافق العشرين من جمادى الآخرة عام ١٠٠٣ هـ ، وهى أقدم النسخ التي لدينا بعد (ألف) فهى النسخة التي من القطع ٣٣ × ٢١ سم ٢ ؛ وتحتوى على ١٥٠ ورقة ، وكل صفحة بها تسعة عشر سطراً ، وليس جميع أوراقها بدرجة واحدة من القدم ، بل إن جزءاً كبيراً منها نسبياً قد سقط وكتب بخط أحدث ، وقد استكملت تلك النسخة بهذه الصورة ، وهذه النسخة مع النسخة الخطية لـ "تاريخ طبرستان" و "رويان" تأليف "ظهير الدين المرعشى" والتي بنفس القطع ولكنها بخط مختلف ضممتا إلى بعضهما البعض فى مجلد واحد فى مكان ما .

والنسخة (باء) كان يمتلكها المحرر فى البداية ، وحالياً تخص الصديق العالم الكريم "السيد سعيد نفيسى" وقد تفضل بتركها تحت تصرف المؤلف للاستفادة منها (يا) والنسخة (باء) حد وسط بين النسخة (ألف) والنسخة العادية لـ "تاريخ طبرستان" ، ومعنى هذا أنها ليست بصحة وقدم واكتمال النسخة (ألف) وليست بفساد وحدثة ونقص النسخ العادية من حيث المعلومات لـ "تاريخ طبرستان" ومن حيث محتوياتها :

إنها مبرأة من جانب كبير من سقطات تلك النسخ ، خاصة فى القسم الثالث والذي هو المجلد الأخير من الكتاب ، وباستثناء النسخة (ألف) فهى من أكمل النسخ المشهورة والعادية لـ "تاريخ طبرستان" ، وإن بها قدراً من الأشعار والعبارات العربية فى القسم الأول غير متوافر فى النسخ الأخرى باستثناء (ألف) وضبطها أقرب إلى الصحة ، ولكن فى المقابل فإن هذه النسخة أيضاً تشتمل على نفس العيوب والتصرفات التي وردت فى تاريخ "طبرستان" .

والقسم الثانى منها أيضاً مثل القسم الثانى الموجود فى مختلف النسخ الأخرى، باستثناء (ألف) وبها أيضاً نفس الأخطاء الموجودة فى النسخ الأخرى من تقديم وتأخير الموضوعات وأشرنا إليها ضمناً ، وفضلاً عن هذا كله، فإنها لا تحوى قسمًا هامًا من الأشعار والعبارات العربية والموجودة فى (ألف)، وفى القسم الثالث مع أن هذه النسخة أكمل النسخ بعد (ألف) فقد اختار كاتبها أسلوب الاختصار، فأتى بخلاصة عبارة المؤلف أو بمجمل لمعلوماته مع إسقاط بعض الموضوعات بحيث إن النسخة (ب) فى هذه الأقسام تبدو كما لو كانت نسخة مستقلة ؛ ولكنها أكثر نقصاً بمراحل من (ألف) وأكمل بمراحل من جميع النسخ الأخرى .

ولسوء الحظ باستثناء التجاوزات التى ظهرت فى هذه النسخة من باب الاختصار فى أجزائها الأخيرة ، فقد بدا عيب آخر وهو إلحاق عدة فقرات بها من قبل آخرين ومن المسلم به أنها لا تخص المؤلف الأصلى، مثل الحكايتين اللتين جاءتا فى باب عجائب "طبرستان" فى هذه النسخة ولم ترد أى منهما قط فى النسخ الأخرى (رجوع إلى صفحات ٨٥ ، ٨٦ وحواشيها)

الحكاية الأولى : وقد نشرناها نصًا فى هذا النص بين قوسين بينما حذفنا الحكاية الثانية والمنقولة عن عجائب المخلوقات " للقزوينى " ، وذلك لتقدم عصر "محمد ابن حسن بن إسفنديار" على مؤلف عجائب المخلوقات ، الأمر الذى لا يترك شبهة فى إلصاقها بهذه النسخة .

والنسخة (ب) مثلها مثل سائر النسخ العادية لـ " تاريخ طبرستان " وتشتمل على نفس الذيل الذى يمتد بهذا الكتاب إلى حوالى ٧٥٠ هـ ، الذى يشتمل على الجزء المأخوذ من كتاب تاريخ "رويان" لأولياء الله الأملى (يب)، وتنظيم جزء من أوراقها يعد نسخاً مشوشاً تماماً كوضع النسخة المشوشة الأصلية التى كان يملكها كاتب تلك النسخة، وقد تعاقبت فيها موضوعات لا يوجد بينها أى ارتباط على الإطلاق ، وبما أننا أوردنا سواء فى هذا المجلد أو فى المجلد الثانى فى هوامش جميع الصفحات الاختلافات من حيث الكم والزيادة بين (ألف) (وباء) وسائر النسخ ؛ لذا فقد رأينا أن تبيانها هنا مرة أخرى عديم الجدوى، ونختم هذه المقدمة الآن بعد بيان الموضوعات الرئيسية ونترك التقرير المفصل فى هذا الخصوص لمقدمة المجلد الثانى وحواشيه.

تحريراً فى خرداد ١٣٢٠ هـ ش

عباس إقبال

مقدمة المؤلف

الحمد والثناء بلا نهاية جدير للخالق واهب الأرواح ، وخالق الأشباح والأجساد ، المبدع الذى كل ذرة من الموجودات آية على وجوب وجوده ، المعيد الذى إعادة المعدومات وإحداث المخلوقات أمر هين فى ميدان سيادة وجوده ، الفعال الذى لا يحيط فرجار الأفكار بعالم أسرارهِ ، وأنوار الكرامات والسلام والصلوات على الروح الطاهرة لسيد الرسول ، صاحب الشريعة ، إنسان الحقيقة عين الوجود والسلام العلام على أعلام الإسلام أهل بيته الطاهر وصحابته الأخيار الذين هم أنصار وأبصار المتقين ، أما بعد :

يقول أحقر عباد الله "محمد بن حسن بن إسفنديار" إننى
وزرنا من الزوراء أشرف موقف وأرأف موفود عليه بوافد
مواقف خطت للهدى نبوية لأبيض من بيت النبوة ماج^(١)
حين رجعت من بغداد إلى العراق فى سنة ٦٠٦ هـ كانت قد تأكدت واقعة الغدر
وحادثة القتل التى حدثت لذلك الملك صاحب الوقار كجشمشيد والهيئة مثل كسرى
والنعمة ككيقباد والعظمة كإفريدون « رستم بن أردشير بن حسن بن رستم » أكرم الله
مضجعهم فلو لم تكن كعبة الحجيج لكانت أسرة الكرامات هذه وعائلة البركات تلك
كعبة المحتاجين ، ولو لم يكن المشعر الحرام لكان مشعراً ، ولو لم يكن الخيف لكانت
منا للضيف ، ولو لم تكن قبلة الصلاة لكانت قبلة للصلاة على يد واحد من أولاد
الحرام والأوغاد اللئام والذى سيأتى ذكره فى المجلد الأخير من الكتاب ،
سلام على قوم مضوا لسبيلهم فلم يبق إلا ذكرهم وحديثهم^(٢)
لقد جمعهم سكرة الموت فاستوى قديمهم فى شأنهم وحديثهم

(١) زاروا فى الزوراء أشرف مكان وأرأف إنسان فيه أماكن شرفت بنور النبوة والهدى حيث إن فيها
أحد أما جدها (المترجم) .
(٢) يترجم على قوم ذهبوا ودرست معالمهم ولم تبق إلا ذكراهم العطرة وحديثهم الطيب جمعهم الموت
فاستوى القديم فيهم والحديث (المترجم) .

والرابع من شؤال من التاريخ المذكور صار عاشوراء المحرم ، ولم يبق لأهل الإسلام قلب بلا جمرات زفرات ، ولا عين بلا قطرات عبرات ، ولم يكن فى أرض العراقيين والحجاز على الحقيقة لا المجاز محفل ولا مجمع ولا مسجد ولا موضع لم تعقد فيه جلسات للعزاء فى هذا المأتم ، ولا بقيت أبواب أو جدران لم تكتب عليها عبارات الرثاء ، ونفس الله تبارك أى خاطر يجعله يعقل وأى فكر يجعله يدرك كيف أن سبعة ملوك أقوياء من بيت واحد يحلون فوق سرير الفناء بأنواع البلاء بقهر مالك الملك خلال مدة وجيزة ويدفنون فى التراب،

قالوا هم ملأ جمتم فقلت لهم لا معشرا أبقت الدنيا ولا ملأ
هما الجديدان والدنيا وعولهما فكم لها فرغا منها وكم ملأ^(١)

ومعلوم لو أن كثرة الأشياء وتعب الأتباع والخزائن المملوءة والنواب المقربين ، والرجال الغزاة والجياد العربية والبركات والخيرات والزكاة والصدقات ، وعراقة الأسرة والوفاء والأمان والحمية والحماية والشهامة والكفاية والسخاء والحياء ، والنوال والكمال والفضل والفضائل والعقل والعقائل والرأى والروية والهمة والعطية ، والقلاع المنيعة والقصور الرفيعة والأبناء الملائمين، والعبيد ذوى الواجب وكثرة عدد القبائل وتعقل أواخر الأمور والأوائل ، تدفع وتمنع السهام المسمومة للأيام المذمومة لما كانت بالتأكيد كثرة مكارم كبار "آل قارون" قد خسفت بها الأرض .

"أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر
منهم وأشد قوة وآثراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون « (٢)

أرى الحيرة البيضاء صارت قصورها خلاء ولم تكتب لكسرى المدائن
وهجن لذات الملوك زوالها كما غدرت بالمنذرين الهجائن (٣)

(١) الدنيا لا تبقى على أحد لا قليل ولا كثير ولا عظيم ولا حقير نهار يمر وليل يكر وأناس يأتون وآخرون يذهبون . (الترجم) .

(٢) سورة غافر الآية رقم ٨٢

(٣) الدنيا لا تبقى على حال هاهى قصور الحيرة خاوية على عروشها بعد أن كانت عامرة وفنيت مدائن كسرى وزالت لذات الملوك وغدرت بالمنذر (المترجم) .

ويقول ما ترجمته :

للعقلاء مثل اليوم المعلوم تعاقب ليل ونهار الغافلين شؤم

الدنيا مركب النوائب وساحة العجائب ، وهى صهباء النعم وآلاؤها سراب وغرور
وليس لشرابها سرور ، وثناؤها وإطراؤها كله جفاء وشرور ، باطنها مملوء
بالأحزان والهموم وصفائها لا يكون بغير كدر ، بحيث إن كل إنسان يفتح أمره
بخير لا يختم خاتمته إلا بشر ، لا يعتمد عليها فى حال ولا يستند إليها فى أفعال ،
شيمها اصطفاء اللئام والتحامل على الكرام وهمتها رفع خامل وضيع والإقلال من
فاضل رفيع ، وتوقع رعايتها والطمع فى العناية منها كتوقع الهداية من الغول والطمع
فى الإرشاد من الشيطان ، فجميع الخلق فى أحلام الغفلة وظلام الجهالة يندفعون فى
نشوة السكر وخمار الخمر منهم فاقدو الوعى فوق أشهب النهار ، وأدهم الليل
مستحثين إياهما بالمقرعة والسوط وقد ربطوا وجودهم بالفناء انطلاقاً إلى ميعاد
الرحيل بلا تمهل ، بحيث يثبت يقيناً أن أعداد العمر وإن تجاوزت الأحاد إلى الألف
فهى ليست سوى لحظة ، بحيث إن مسؤولية البقاء قد خطت لملائكة السماء ، والتعيس
هو الذى يرجح الدنيا الفانية الفائلة على الآخرة الباقية الثابتة ، التى دوام عزها بلا
انفصام وعلاء فخرها بلا انفصال ، وفى سبيل تحصيل لقمة التى أولها وآخرها
عشب وزر ، وهم مثل الكلاب يجعل الكتف هدفاً للمهام والرقبة قرينة الطوق وسلسلة
حكم الأمير والوزير ، مع أن هذه اللقمة تحتوى فى داخلها ألف عظمة تقف فى الحلق
وبغير كل هذا الصداع فإن الرغيفين ميسران ، وإقبال هذه الدنيا كزيارة ضيف
وسحابة صيف "فلا عهده عهد ولا وده ود"

وظللت فى النوم حتى آخر العمر والآن استيقظت حيث لم يكن هناك وقت.

وبعد أن جاء الملك والجاه ، لم تبق أنت حتى وإن صرت فى طلبه كالإسكندر فى
الظلمات ، أو اتخذت من النار فراشاً كطائر السمندر ، ويصبح الأحبة أفاع والودود
دخاناً والأقارب عقارب ويصبح الأحياب مثل الكلاب العاوية والذئاب المتريصة ألسنتهم
حداد وأنيابهم ناهشة .

يذم إخواناً كان يمسيهم كراماً فلما خالطهم برىء حقيقتهم.
وإخوان بواطنهم قبائح وإن كانت ظواهرهم ملاحاً
حسبت مياه ودهم عذاباً فلما ذقتها كانت ملاحاً^(١)

(١) هامش تعليق للمترجم .

حينما يعدو شخص وينبض عرق ولا يزن شيئاً ، وترى ثمرة العطية خطيئة والمنحة محنة والعناية جناية تصبح المنية هنيئة ويعلم بحق أنه:

إذا الجد لم يسعد فجد الفتى تعب وأبطل شيء سعى من جد فى الطلب
فكم ضيعة ضاعت وكم خلة خلت وكم فضة فضت وكم ذهب ذهب (١)
وانطوى هذا الضعيف ليل نهار مدة شهرين على هذه الحادثة فى مدينة "الرى" ،
وكان يرسل ماء العبرات من خلال غريال العين المملوءة بالحسرات ، ومع هذه
الحالة لم يجد تدبيراً سوى تهدئة نفسه بمطالعة الكتب ، وسئل أحد الملوك ما منتهى
غايته ؟ فقال :

«حبيب أنظر إليه وكتاب أنظر فيه» ، والحق أن تسكين قلب هذا المسكين كان
يتحقق بمطالعة أخبار وأثار القرون السالفة والملوك الغابرة والوقائع والأحداث وتبليج
العجائب وفداحة المصائب التى كانت فى أيام كل واحد ، فقلت لنفسى :

فإن الأولى باللفظ من آل هاشم تأسبوا فسنوا للكرام التأسيا (٢)

حتى عثرت ذات يوم فى دار مكتبة الملك الغازى "رستم بن على بن شهریار" فى
ثنايا الكتب على عدة أجزاء مكتوبة فى ذكر "كاو باره" فتذكرت أن الملك السعيد
"حسام الدولة أردشير" - جعلت الجنة مثواه - كان قد سألنى عدة مرات : إن
"كاو باره" كان قد لقب ملكاً على "طبرستان" لفترة ما ، فهل مر بك فى أى موضع فى
الكتب العربية والفارسية من أى رهط وقبيلة كان "كاو باره" ، والآن قلبى معمور بالولاء
له وحالى مغمور بأفضاله ولم أكن قد سمعت هذا اللقب فى كل هذه الديار وسائر
البلاد والأمصار التى طفت بها سوى ما جرى من لفظ الملك الذى ينثر الجواهر ، ولم
يكن هناك مصدر آخر فى تاريخ "طبرستان" سوى كتاب "باوند نامه" والذى كان قد
جمع من أكاذيب وترهات أهل القرى وأفواه عوام الناس فى عهد حسام الدولة
"شهریار بن قارن" فأخذت تلك الأجزاء بتلك الفكرة وانشغلت بمطالعتها فإذا هى "عقد

(١) إذا لم يسعد الحظ الفتى ، فلن يستفيد من جده واجتهاده فكم من فضة ذهبت وكم من ذهب لم تكن
له قيمة لأن الحظ لم يحالف الإنسان فيها - المترجم .

(٢) أكرم بالأولين من آل هاشم فهم أهل التأسي والقنوة الكرام - المترجم .

السحر وقلائد الدر" للإمام "أبو الحسن بن محمد اليزدادي" وقد ألفها باللغة العربية على نحو لا يتيسر معناها إلا لمن بلغ الغاية في علم البلاغة ، حيث كان غرضه الفصاحة في العبارة والتأنق في الاستعارات ، وليس لبيان الحكايات والروايات ، فلما أدركت أنه فرض في استيعاب أنواع العلوم من بين مشاهير جماهير "طبرستان" ، وأنه مصنف لكتب كثيرة فقلت بقريحة جريئة وفكرة غير صحيحة وقلب مفعم بالغبار وعين دامعة بالعبرات :

وأضحى ذكرهم لذوى الأماني ضللاً فيه قد تاهوا وهاموا (١)

فقصرت بحمل الهمة والنية على أن أترجم ذلك الكلام ، وأن أورد طرفاً من ذكر مناقب ومعالي الملك "حسام الدولة أردشير" وأسلافه العظام وأخلاقه ذوى القدر ، عسى أن يتحقق قضاء حقوق تربيته ومواهب عطيته ، لكن بقدر الإمكان والوسع الذي مثل نمل سليمان و أرجل الجراد ، ولو أن الاعتراف بفضل أولي من الإغراق بوصفه ، فإن الإخبار عن محل النجوم بل فلك الأفلاك كما هي (عليه) متعذر .

ولما انتهيت من ترجمة الكتاب خلال عدة أيام وليال ، عرضته على السادة والعلماء الذين كانوا أغصان أعلام المآثر ورافعى أعلام المفاخر ، وكانوا لى إخوان الصفا ورفاق الوفا أصحاب المنظر البهى والمخبر الرضى ، والصدر السليم والقدر العظيم والشفيق الشقيق لا رفيق الرصيف ، فكنت طيلة هذه الفترة معهم فى حديث محاورة ونعمة مجاورة بحيث قالوا :

ولى صاحب ما خفت مكروه طارق من الأمر إلا كان لى من ورائه (٢)

وقلت لهم ما قاله السابقون :

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبلغ قبل فى تهذيبها (٣)

وأنتم تعلمون أن للكلام (الحديث) طبقات وطرقاً ومذاهب وليس للطوائف ظرائفه ولا نفحاته المتأرجة ولا صفحاته المتبرجة نهاية ، ولو أنى أزين هذه الحكاية العارية والتى صدرت عن كرب حازب وهم لاذب بالزينة المستعارة ، لكان من الممكن أن يكون لهذه الأسماء خاطب ، ولكنها للعقلاء مخاطباً واتفق الجميع على أنها نفاق للإنسانية بلا شائبة ، نفست عن المكروب وأهديت الروح والراحة إلى القلوب ، وقوى رأى بمدد

(١) ينعى على قوم تعلقت أمانيتهم بئناس لم يكونوا أهلاً لها .

(٢) يعتز بصديق هو خل وفى ، ما طرق طارق إلا وكان معه وسنداً له .

(٣) افحص ونقب فى شعرك « وقصائدك » قبل عرضها على أهل هذا الفن وهو يهديه إلى إتقان العمل .

همتهم ويمن بركتهم فى هذه الفكرة بأن ينبض ذلك السواد بمدد من القلم وكنت قد
تشرفت بوصول رسالة من أبى الذى كان كريماً وحسناً ، مضمون تلك الرسالة :
أناخ الدهر كلـكـله علينا وعركنا كتـعـريك الأديـم
وما ندرى ببـادـرة لديه سوى إن الكريم ابن الكريم (١)
- لى من جفاء الفلك الأزرق ما يشبه المرأة ، ومن غصص هذه الدنيا الدنية التى
تربى الدون .

- وجنة كالكأس مفعمة بالدمع من العين وقلب فى الصدر مفعم بالدم القانى
كالخمر الصراح .

واعلم يا بنى أن هذا المنزل الذى قيل إنه لا يعبره كثير من الأشخاص قد اجتزته
أكثر من خمس عشرة مرة ، وقلبت الدنيا رأساً على عقب فلم أجد سواك ، أنت يا بنى
القائل لمؤلفه:

- أيها القلب إلى متى تأمل وتزحف طلباً للأمل طالما أنه لا يتأتى من الفلك سوى
خسة الطبع.

- حقاً لو أن الزمان يليق لذلك بأن تشكو منه وتشكره .

- وأنا أبوك القائل أيضاً:

- لقد آن الوقت لكى أرحل عن ركن الفناء ، وحن الوقت لكى أستقر فى كنز
البقاء .

- فما أكثر ما طويت الدنيا وفارقتنى ، وحيث إن عظماءك قد مضوا فاعلم أن
العظماء عندما ينهضون من على المائدة يجلس الصغار على المائدة ، فاجلس أنت
متفضلاً بدلاً من أن تجلس إليها مأموراً فتأجج فى كيانى من هذه الرسالة مثل
اشتعال النار فى جزل الغضا ، وفى الليل ودون إعلام الرفاق قررت أن أنفرط من
نظم عقدهم مع عدة غلمان وخدم وأرسلت لهم من الطريق هذين البيتين :

- لئن سرت بالجثمان عنكم فإننى أخلف قلبى عندكم وأسير
- فكونوا مشفقين فإنه رهين لديكم بالهوى وأسير (٢)

(١) مال الدهر علينا بمصائبه ودهسنا كدهس التراب وما ندرى من ذنب اقترفناه سوى أنى كريم من
كريم - المترجم .

(٢) متيم بهواهم ، فلئن فارقهـم جسداً فقلبه أسير عندهم ، فكونوا أهل شفقة عليه فإنه المرهون بحبيكم ،
الأسير فى هواكم - المترجم .

وفى الغد حيث كان ملك الأنجم قد أطل من أفق المشرق وهو يستل سيفاً بعد ويسدد سهاماً إلى أوج الليل الداجي وقد هزم بسهام النور ظلمة الليل الحالك ، وصلت إلى أطراف قلعة "إستوناوند" فأغار علينا فوج من أحزاب الغار وأصحاب النار فما تركوا لنا الجواد ولا الغلام ولا المتاع ولا الحطام ، ووصلت إلى حضرة أبى بعد مشاق كثيرة ومعاناة بلا حصر نتيجة فوضى الولاية ، ولم أتمتع لا بخدمة لأبى ولا نطقت بكلمة عن المراد لكننى حملت القدم على مواصلة السير برغم الألم (اختبلت حين اجبلت ومنيت بمرافقة الأنجاس بعد مفارقة الأجناس) حتى وصلت «أمل» وبقيت بها فترة وقلت :

إذا بلدة حل فيها البلا لسكانها حل منها الجلا

فلازمتنى شهوات النفس التى هى هوام الهموم وحيات الحياة مع خداع الأمانى وسحر الزمان و هواجس الوسائس على عيني وقلبي :

وحدثت نفسى بالأمانى ضالة وليس حديث النفس غير ضلال

فودعت أبى مضطراً وقررت الرحيل حيث ألقى الزمان، وهو شاطئ الغفلة بالبلاد فى حلوى عند صخرة أبى قوبيس ، حتى طار العقل من دماغى مثل البخار واستولى على نوم كنوم أصحاب الكهف ، وحينما أفقت وجدتني ذليلاً فى خوارزم (كعمل جسد له خوار) روضه على وخم ، فرأيته إقليمياً تلو إقليم وعالمًا إثر عالم فيه تحصيل العلم ، وفوائد العلماء فيه من الكثرة بحيث إن كل ما فى الدنيا لا يوازى عشر ما لديهم ، وبعد أن أتممت فيهم خمس سنوات حدث : أن مررت بساحة الوراقين فالتقطت كتاباً من حانوت وكانت عدة رسائل كان « داوود اليزدى » وهو رجل من أهل السند قد أمر « علاء بن سعيد » بترجمتها من الهندية إلى العربية فى سنة سبع وتسعين ومائة ورسالة أخرى كان ابن المقفع قد عربها من البهلوية وهى جواب على رسالة « جسنفشاه » أمير طبرستان من قبل العالم « تنسر » تعريف عالم إقليم فارس وقاضى قضاة أردشير بن بابك ، ومع أن الدهر لم يكن موافياً ولا كان القلب ولا الساعد مساعداً برأسه بن جيب الغيب وقد حل انكسار النشاط وانطواء الرباط وتخاذل الأعضاء ودواعى الفناء ، فلم تكن بقيت فى الحواس شهوة ولا فى الكأس لذة ، وقد

بذل الشيخوخة وعجز القعود عن التدبير ، وبقي حال ، أفضل من النور في ظلمات غياهب المصائب وصدمات نيوب النوائب في جمع تاريخ طبرستان ، إذ كان الرفاق قد مضوا في كر ونمت أنا في اضطراب وبرغم الكثير من العلل والخلل من الزمان إلا أنني نهضت كما يحب لا كما يجب في جمع تاريخ طبرستان .

ولما لم يعد لي مكان في القلب لأمل قط في الدهر القديم ، عاودني الشوق مرة أخرى ، ولما كان تقديم الأقدم واجباً ، فقد جرى ترجمة هذه الرسالة المليئة بالحكم كالفلك المشحون وجرى بها الافتتاح والله ولي التيسير والتسهيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وكل ما في هذا التاريخ من قليل أو كثير من الحكم والمواعظ والأشعار والأمثال والنكات وأحوال الخلفاء والعلماء وحكايات الملوك والأمراء وسيرهم وشيمهم ومكاتباتهم قد نقله هذا الضعيف جملة من الكتب المتفرقة ، ومن أفواه العلماء والمتوقع من القراء المنصفين وفحول المصنفين المبرزين الذين إذا تيسر لهم مطالعة هذا الكتاب ورأوا فيه خلاً في النقاط أو ذللاً في النكات أن لا يضمنوا بفضل وكرم تصحيح السقيم منه وتقويم غير المستقيم فيه ، ذكاة للفضل وشكراً لرحمة الله وأن يتجاوزوا التعنت وأن يذكروا الدعاء حتى يجنب مالك الدين والمثل أقوال وعمل كافة المسلمين الخطأ والخل ، وأن يوفقوا للصدق والصواب إنه ولي الإحسان وعليه التوكل وقد قسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام بتوفيق الرب المتعال :

القسم الأول : من ابتداء نشأة طبرستان ويضم أربعة أبواب ، الباب الأول : في ترجمة كلام ابن المقفع ، الباب الثاني : في ابتداء نشأة طبرستان وقيام العمران ومدنها ، الباب الثالث : في خصائص طبرستان وعجائبها ، الباب الرابع : في ذكر الملوك والأكابر والعلماء والزهاد والكتاب والأطباء وأهل النجوم والحكماء والشعراء .

القسم الثاني : في ابتداء دولة « آل وشمكير » « وآل بويه » ومدة استيلائهم على طبرستان .

القسم الثالث : في انتقال ملك طبرستان من « آل وشمكير » الذين كان آخرهم « أنوشروان بن منوچهر بن قابوس » أي سلاطين آل محمود والسلطنة .

القسم الرابع : من ابتداء ذكر دولة « آل باوند » الثانية حتى آخر دولتهم .

الباب الأول

فى ترجمة كلام ابن المقفع (١١)

لقد قرأت أن اسمه "كان عبد الله" وأباه اسمه "داذبه"، وكان من بين كبار كتّاب وعمّال "فارس" وكان على مذهب عبدة النار، وتصادف أن أحد الخلفاء ولّى أباه على عمل، فسعى الوشاة عليه فسجنه الخليفة، وأنزل به أنواع العقوبات حتى تقفعت يداه، فغلب على اسمه المقفع و"عبد الله بن المقفع" أسلم على يد "عيسى بن على"، وقيل إن سبب إسلامه أنه ذات يوم كان يمر أمام كتّاب وكان غلام يقرأ بصوت مرتفع قوله تعالى (ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً)^(١) فوقف حتى أتم الغلام السورة، وقال: الحق إن هذا ليس كلام مخلوق، وجاء الخبر إلى «عيسى بن على» واستدعاه فأقر وأسلم، وقال البعض: إنه لم يسلم على يد أحد قط، وكان لبالغ فضله وبلاغته رفيع الدرجات مقبول الشهادة فى بلاط الخلفاء والملوك، ويروى أنه وقعت بينه وبين "الخليل بن أحمد الفراهيدى" مودة وصداقة فلم يكن لهما ثالث قط حتى سأله أحد أكابر العلماء ماذا ترى فى حقهما؟ قال:

العقل راجح على العلم عند الخليل، والعلم زايد على العقل عند ابن المقفع ويقال: إن أمره علم به الخليفة فى النهاية وأنه ذات يوم كان يمر ببית نار المجوس وقال فى حقه هذا البيت:

يا بيت عاتكة الذى أتغزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل^(٢)

(١) سورة النبأ، الآيتان (٦، ٧).

(٢) ورد هذا البيت للشاعر الأموى "الأخوص" الذى يسمى بأبى عبد الله بن محمد وقد رده "ابن المقفع" حينما مر ببית نار بعد إسلامه فكان سبباً فى اتهامه بالزندقة، وكثر عليه التشنيع بعد موته، وقد انقسم الناس فى أمره بين شيعة له وناع عليه، فقد زعم المؤرخون أن ابن المقفع كان ينتحل فى أول أمره نحلة أبيه وهى المجوسية، فلما كانت دولة بنى العباس على يديه، فطلب إليه عيسى أن يغدو عليه بين القواد ورؤساء الأجناد ليكون إسلامه مشهوراً ثم حضر معه المائدة فى المساء فجعل يأكل ويزمزم على عادة المجوس، فلما كلمه عيسى فى ذلك قال: كرهت أن أبيت على غير دين، ثم غدا إليه فأعلن إسلامه وتسمى عبد الله واكتنى أبا محمد. (عبد الله بن المقفع، «كلىة ودمنة»، تحقيق محمد حسن نائل المرصفى، ط الخامسة القاهرة ١٩٣٤، ص ٥٢، ٥٣) المترجم.

فقال : إن إسلامه مازال غير صحيح ، فوضع فى التتور وأحرق .

ويروى الجاحظ فى كتاب "البيان والتبيين" أنه عندما سجنوه وألح عليه صاحب الخراج فى العذاب والتنكيل قال: عندك مال وجاه ، لو تؤدى من مالك عنى وعندئذ أتحرق فأعطى لك عوضاً عن (الدرهم) اثنين وثلاثة، وليس خافياً عليك وفائى وسخائى وكتمان أمرى ، فطمع صاحب الخراج فى ربح ماله ، فخاف أن يموت ويتلف ماله ويسلم من العقوبة.

وخلافاً لهذه الرواية روى أن "الهيثم" سجان « يوسف بن عمر » كان يسجل أسماء الموتى فى الحبس ويعرضها على "يوسف"، وكان "عبد الله بن أبى بردة" عند "أبى موسى الأشعرى" محبوساً فرجاه أن يأخذ عشرة آلاف درهم ويسجل اسمه فى الأموات فيخلصه بهذه الحيلة ويأخذ الذهب، فلما عرض اسمه قال الأمير له قدم على مثل ذلك الميت فخاف السجان من الخيانة وعاد فوضع وسادة على وجهه وقتله وضاع الروح والمال معاً .

ويقول "ابن المقفع" عن "بهرام بن خرزاد" عن أبيه "منوجهر" قاضى "خراسان" وعلماء فارس : إن "الإسكندر" عندما خرج من ناحية "المغرب" وديار "الروم" كانت شهرته قد أغنت عن ذكره ، وقد خضع له الأقباط والبربر والعبرانيون ، وقاد الجيش من هناك إلى فارس والتقى مع « دارا » وخان جماعة من خواص "دارا" وقطعوا رأسه بالتآمر والخداع وأحضروها أمام "الإسكندر" فأمر بأن تعلق تلك الجماعة على المشانق، حيث كانت عادة سياسة الرومان، فجعلوهم هدفاً للسهم ونادوا بأن لا يليق قتل الملوك الشجعان ولما آل إليه ملك بلاد "إيران" مثل بين يديه جميع أبناء الملوك وبقايا العظماء والسادات والقادة والأشراف، ففكر فى أن يشئت جمعهم فكتب إلى وزيره ومعلمه "أرسطاطاليس" رسالة يقول فيها: لقد بلغنا هذه الدرجة من الغزو بنجاح وأريد أن اتجه صوب "الهند" و"الصين" ومشارق الأرض ، لكن أعتقد أننى إذا تركت عظماء فارس أحياء، فتنشأ الفتن بسببهم فى غيبتى بما يصعب تداركه فيتجهون إلى بلاد الروم ويتعرضون لولاياتنا وأرى أن أقضى عليهم جميعاً وأن أنفذ تلك النية دون تفكير، فكتب هذا الفصل رداً عليه وقال :

دع مسلك السفلة إلى المواضع العلية فانصرف عن هذا الرأي ، ومعنى ذلك أنه فى الحقيقة قد اختصت أمم كل إقليم فى العالم بفضيلة وفضل وشرف لا تتمتع به أهل الأقاليم الأخرى، وقد تميز أهل "فارس" بالشجاعة والإقدام والفن والخبرة يوم الحرب ، والذي يعد أعظم ركن من أركان الملك وأدوات النجاح وأسبابه ، فلو قضيت عليهم فسوف تكون قد اقتلعت من العالم أعظم ركن من أركان الفضيلة وعندما ينتهى أمر عظمائهم، فلا محالة بأن الحاجة سوف تجعل الوضعاء الأخساء يرتقون منازل وأماكن العظماء ، فاعلم حقاً أنه لا يوجد فى العالم قط شر ولا بلاء ولا فتنة ولا وباء له من الفساد مثل ذلك الأثر الذى من الأخساء الوضعاء حين يحتلون مكانة العظماء ، فاحذر واصرف عنان الهمة عن تلك النية، واقطع لسان التهمة ، وأخرسه بكمال عقلك إذ إنه أكثر إيلاماً وأثراً من السنان الذى ينزع الروح ، وحتى لا تنسخ شريعة ولا مذهب حسن من أجل وهم وتخمين لا عن حقيقة ويقين بأنك سوف تقضى أياماً قلائل من الحياة فى طمأنينة بال وفراغ خاطر.

فلإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى^(١)
"رباعية"

لو أن عمرك يمتد فى الدنيا إلى ثلاثمائة عام
فاعتبر حياتك فيها بغير مرارة وهم وخرافة
حقاً أيها العاقل إذا ما صرت (حديث) أسطورة يوماً ما

فكن أسطورة خير لا أسطورة سوء وشر
فيجب أن تكرم أصحاب بيوتهم وأرباب الدرجات منهم وأمرأئهم وكبراءهم بمكانة
لديك وحماية منك ووفائك وعنايتك ، وأن تبعد عن خواطرهم أسباب الضجر والتفكير
بالعواطف والمراحم منك، فقد قال الأسلاف إن كل أمر مهم لا يبلغ هدفه بالرفق
واللطف لا يتيسر بالقهر والعنف ، والرأى هو أن تقسم ملك "فارس" بين أبناء ملوكهم ،
وأن تتوج كل واحد تجده منهم فى كل ناحية وتهبه عرشها ، وأن لا تعطى شخصاً قط
رفعة ولا تفوقاً ولا سيطرة على آخر منهم حتى يستند كل واحد منهم فى منطقته نفوذه
على رأى نفسه ، لأن لقب الملك له غرور عظيم، وكل رأس تحظى بالتاج لا تقبل سطوة
وابتزاز شخص آخر ، ولا تنحنى للغير ، وبهذا يبقى الكثير من القطيعة والتدابير

(١) "الذكر الطيب للإنسان بعد رحيله عمر ثان" (المترجم).

والتغالب والتناول والمواجهة والتقاتل ، وتمتد عيونهم إلى الملك والتفاخر والتكاثر في المال والتفاخر بالحسب ، والتشاجر على الاتباع والجاه مما يشغلهم عن الانتقام منك فلا يستطيعون التجاوز والتغاضي بعضهم للبعض الآخر ؛ فإن مضيت إلى أقصى مكان في العالم فسوف يظل كل واحد منهم يخيف الآخر بحولك وقوتك ومعونتك ، وتكون أنت في بعدك عنهم بمأمن ، برغم أن الدهر لا أمان له ولا اعتماد عليه، فلما وقف «الإسكندر» على الجواب قرر العمل بمشورة "أرسطاطاليس" وقسم بلاد "إيران" بين أبناء ملوكها ولقبوا (بملوك الطوائف) ^(١)، وزحف بجيشه من ذلك الإقليم ، واستناداً إلى الأسباب التي أكرمه بها مالك الملك دان له أهل العالم ، فسيطر على الدنيا وبعد أربعة عشر عاماً حين عاد إلى أرض "بابل" ترك ما كان قد أخذ ورحل هو أيضاً .

رأينا الدنيا شيئاً لا قيمة له، وكل ملك العالم لا يقوم بأبخس الأثمان ، وجيشه الذي كان منتظماً متماسكاً كصفة الثريا بات متفرقاً كبنيات نعش ، وهو لم يكن قد دفن في التراب بعد إذ عصفت الريح بأوطانه وما أكثر ما حول الدهر مجتمعات واحتشادات إلى تفرقة وتبعثر، وقد مضى على هذا النحو تعاقب الفلك، وبعد فترة خرج "أردشير بن بابك بن ساسان"، فكان ملكاً على أرض "العراقين" والممالك، مملكة "نهاوند" و"بسطام"، و"سبزان"، وكان "أردوان" أعظم ملوك الطوائف وأكثرهم سطوة، فأخذه "أردشير" مع تسعين آخرين من الأبناء الذين أسرهم الإسكندر، وقتل البعض بالسيف والبعض بالسجن، بخلاف "أردوان" كان "جشنسف" ملك "طبرستان" و"فرشواركر" الأعظم قدراً ومرتبة في ذلك العهد، ولأن أجداد "جشنسف" كانوا قد استردوا أرض "فرشواركر" من نواب "الإسكندر" بالقهر والغلبة، وكان حكمه على مذهب وسنن ملوك "فارس" ، فلم يرسل جيشه إلى ولايته، وكان يبدى التساهل والمجاملة في

(١) هذه الطبقة من ملوك "الفرس" يعرفون بالأشكانية من ولد "أشكان بن دارا الأكبر" وكانوا من أعظم ملوك الطوائف عند افتراق أمر الفرس وذلك أن الإسكندر لما قتل دارا قاستشار معلمه "أرسطو" في أمر "الفرس" فأشار عليه أن يفرق رياستهم في أهل البيوت منهم فتفرق كلمتهم ويخلص لك أمرهم".
تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر « لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي - بيروت لبنان ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م. المجلد الثاني ص ١٦٧ المترجم.

معاملته حتى لا يصل إلى مقاتلته ومناضلته، فلما تبين لـ "جشنسف" أن لا حيلة من الطاعة والولاء له فحرر رسالة إلى "تنسر" قاضى قضاة "أردشير بن بابك"، وقال "بهرام بن خرزاد" إنه قد سمى بـ "تنسر" لأن الشعر قد نبت على جميع أعضائه بكثرة وتهدل كحال الرأس ، أى أن كل بدنه مثل الرأس ، فلما قرأ "تنسر" رسالة ملك "طبرستان" كتب الجواب على هذا النحو:

«وصلت رسالة من "جشنسف" عند ملك وابن ملك "طبرستان" و"فرشواركر" و"جیلان" و"الديلم" و"رويان" و"دنياوند" إلى "تنسر" قاضى القضاة فقرأها وهو يسلم ويسجد، وقد تمت مطالعة كل صحيح وسقيم كان فى الرسالة، على الرغم من أن البعض كان يوافق السداد والبعض موضع الانتقاد، والأمل أن يكون ما هو صحيح رائداً وأن يقترب ما هو سقيم من الصحة، أما بعد:

أما ما تذكرنى به من الدعاء وتعظمنى به ، والممدوح السعيد الذى يكون مستحقاً للمدح والداعى الذى يكون أهل إجابة هو بالتأكيد الذى يدعو الخالق لك أكثر منى ؛ لأنك ملك وابن ملك ويطلب نفكك مثلى ، وقلت فى الرسالة إنه كانت لى - أنا "تنسر" - منزلة وعظمة لدى والدك، وأنه كان يطعننى فى مصالح الأمور وقد رحل عن الدنيا ولم يخلف وراءه شخصاً قط أقرب إليه وإلى أولاده منى ، حقاً لتكن روحه خالدة وليكن ذكره باقياً ، لقد قلت فى شأنى من التعظيم والاحترام أكثر مما استحق ، وجعلت نفسك تستريح إلى طاعة رأى ومشورتى أنا والآخرين من الناصحين الأمناء المتمكنين ، ولو كان والدك قد استقبل هذا الدهر وهذا الأمر الذى استقبلته أنت بالعبر والطمأنينة ، لكان قد أدركه بالتدبير والاستقراء ، ولكان قد نهض وبادر لذاك الأمر الذى تنازلت وتواضعت أنت من أجله ، وبما إنك قد وصلت إلى أن تطلب الرأى منى وتشرفنى بالاستشارة ، فاعلم أن حالى معلوم للخلائق من بنى آدم غير خافٍ عن عقلائهم أو جهلائهم ، ولا عن أوساطهم وأوباشهم ، وأنتى أقمت خمسين سنة حتى روضت نفسى الأمانة (بالسوء) حتى امتنعت عن لذة النكاح^(١) والمباشرة وعن اكتساب

(١) الامتناع عن الزواج مكروه فى ديانة زرادشت، والمؤمن يساعد بزواجه "أهورا مزدا" على الإكثار من

المؤمنين الذين يثبتون الخير ويقاومون الشر. (كتاب تنسر، ترجمة د. الخشاب، ص ٢٤) المترجم.

الأموال والمعاشرة ، ولم أترك ذلك فى قلبى ولست راغباً أن تكون لى صديقاً قط ، وسأظل محبوساً فى الدنيا حتى يعلم الخلائق عدلى وليطلبوا منى ما يلزمهم من أجل صلاح المعاش، وفلاح المعاد والتعفف عن الفساد ، ولأهديهم فلا يظنون ويتخيلون أننى مشغول بطلب الدنيا بالمخادعة والمخاتلة، ولا يتوهمون ذلك حيلة منى طويلة ، إننى اعتزلت شهوات الدنيا وسكنت فيها إلى مكارمها وكان ذلك لغرض أننى إذا ما دعوت شخصاً للرشد والحسنات والخير يستجيب لى ، فلا يرد نصيحتى بعصيان ، ومثلما كان والدك السعيد بعد تسعين عاماً من العمر والملك بـ "طبرستان" يتقبل كلامى بسمع القبول والإصغاء، ولم يكن يتوهم فيه خلافاً قط ، وهدفى من ذلك أن أوضح لك أن نهجى وسيرتى ليست من رأى ولا من صنعى فكيف تواتبنى الجرأة بحيث أحرم فى الدين أمراً حلالاً من نساء وشراب ولهو ، فكل من يحرم الحلال يكون شأنه كمن يحل الحرام ، لكن هذه السنة والسيرة قد تلقيتها عن رجال كانوا أئمة الدين وأصحاب رأى والكشف واليقين، مثل فلان وفلان تلاميذ الشيوخ والحكماء المتقدمين على عهد "دارا" ، فقد رأوا هؤلاء المفاسد واستمعوا من السفهاء والسفلة إلى المحاورات والمشافهات ، وشاهدوا الإعراض وعدم الاكتراث من الجاهل فى حق العلماء ، وراج الظن والتفريق وهجرة السيرة الإنسانية، وانبعثت الطبيعة الحيوانية ، وخشيت أن يلحقهم عار الجهل بحال الناس وعدم العناية به ، حطموا القلب على الصخر وفروا من مكر الثعالب واستراحوا إلى نهج النمرور وهجروا الدنيا كلية ورفضوا شهواتها التى لها تبعات كثيرة، واستقبلوا مجاهدة النفس والصبر والتجلد على مقاسات تجرع كؤوس الحرمان، وفضلوا هلاك النفس فى سبيل سلامة الروح .

ففى التوراة مسطور (هجران الجاهل قرية إلى الله عز وجل)

خص بإحسانك شخصين، ولا يوجد فى الدنيا إنسان أتعس ولا أذل منهما :

- أولاهما المدرك تماماً بعقله الذى يبقى فى الدنيا ذليلاً بين أكف الحمقى .

- وثانيهما الملك الذى سقط لسوء حظه عن التاج والعرش فى البؤس والفقر.

وليكن معلوماً للملك ابن ملك الدنيا أن الحكماء يعدون الملك الممكن هو من يعتنى بصلاح الزمن القادم أكثر من عنايته بما هو فيه حتى ينتهى ذكره حبيساً فى الدنيا والآخرة^(١). مثلاً قال أحد ملوك "فارس" للخاقان لقد طلبت من الترك ثأراً مائة عام تالية بعدى ، فكل ملك يهمل قانون العقل فى إدارة الملك طلباً ليمن حاضره ، ويقول إن أثر فساد هذا الأمر سيتحقق بعد مائة عام أخرى ، ولن أدع اليوم تشفى النفس فلن أحيل إلى ذلك العهد إذن يجب معرفة أن لسان الخلق البعيد حتى وإن يكونوا جميعاً أحفاده فسوف يكونون أكثر حدة وطولاً فى النيل من مقولته مما عليه الحال فى عهده وسيبقى ذكر ذلك مدة أطول ولقد حررت هذا المعنى عن عملى حتى تعلم أن كل من يستشيرنى مثلاً فعلت معى أنت تكرماً ، وحين يظهر أثر نصيحتى فيه أهنا وسرورى فى الدنيا مبعثه هذا ، ولا يستطيع شخص قط على وجه الأرض من الملوك أن يصنع فى إحساناً ولا أن يسدى لى سعادة أخرى أكثر من هذا ، ولا تعجب من حرصى ورغبتى فى صلاح الدنيا طلباً لاستقامة قواعد أحكام الدين ، فالدين والملك توأمان لاصقان مولودان من بطن واحدة ، وإن انفصل كلاهما عن الآخر قط وصلاهما وفسادهما وصحتهما وسقمهما له مزاج واحد، فأرضى بعقلى ورأى وفكرتى أكثر من الثرى بالمال ومن الأب بالأبناء ولذتى من نتائج رأى أبلغ من ملاذ الشارب والغناء واللهو فأنواع السرور عندى هى:

أولاً : الصورة الصائبة التى يكون عليها اعتقادى ونتائجها التى أراها كل يوم وليلة فى ظهور الصلاح بعد الفساد والحق بعد الباطل.

وثانياً : أن تسعد أرواح السالفين الأخيار برأى وعلمى وعملى بحيث أسمع أصواتهم تقول أحسنت وأطالع بشاشة وطلاقة وجوههم.

وثالثاً : إننى أعلم أن روحى سوف تأتلف فى القريب العاجل مع أرواحهم اتئلاً بلا خلاف ، فحينما نلتقى ببعضنا البعض فسوف نقص الحكايات عما فعلنا ، وسوف نسعد بذلك حتى يكون معروفاً للملك ابن الملك أن رأى لعامة الخلائق ما هو

(١) هذه العبارة أساس من أسس الحكم الساسانى وقد ذكرها "الفردوسى" فى "الشاهنامه".

"كتاب تنسر، ترجمة د. الخشاب هامش ص ٢٧" المترجم .

إلا بر ومكرمة ، ومن أجلك أنت الذى قد امتطيت صهوة الجواد وتأخذ بالتاج والعرش فلتأت إلى بلاط ملك الملوك ، ولتعلم أنه الذى وضع ذلك التاج على رأسك ، ولتعرف أنه أسند إليك الملك فقد سمعت ماذا فعل مع كل من أخذ منه التاج والملك ، ولقد كان قابوس ملك "كرمان" واحداً من هؤلاء ومثل ملك "كرمان" بين حضرة جنابه العظيم طائعا منقاداً ، وقبل أعتابه الرفيعة وسلم التاج والعرش، وقال ملك الملوك للموابة : لم يكن فى رأينا قط أن نعطي لقب الملك لمخلوق قط فى ممالك آبائنا وأجدادنا إلا أنه حينما لجأ إلينا "قابوس" ظهر له "نورايى" بالرأى والحرص الذى نحن عليه أن لا ينتقص مخلوق منه قط بأن نضم إلى تاجه وعرشه الإقبال واليمن ، وكل من يدخل فى طاعتنا ويكون مستقيماً على جادة الطاعة لا نسقط لقب الملك منه ، ولا يجوز لمخلوق قط ليس من أهل بيتنا أن يدعى ملكاً ^(١) سوى تلك الجماعة من أصحاب الثغور وهى الآن ناحية "المغرب" و"خوارزم" و"كابل" ولم نعط الملك ميراثاً على نحو ما أعطيناه من قبل مراراً ويجب على الأمراء جميعاً أن يلتزموا حضرتنا كل فى دوره ، ولا تجوز لهم رتبة ولا درجة ، فلو سعوا وراء الدرجات لوقعوا فى الجدل والقيال والاضاعت هيبتهم ووقارهم وهان أمرهم فى أعين الخلق، فماذا ترون أنتم فى هذا ؟ إن كان هذا الرأى مستحسناً لديكم فعليكم بالعمل به ، وإلا فليتخذ الصلاح ، ولما كان افتتاح هذا واختتامه مقروناً بالصلاح والنجاح فقد وجب النفاذ وأعيد قابوس، ولقد أبدت هذا القدر لك أيها الأمير ، لأنك قد طلبت أن أسدى لك الصلاح على وجه السرعة فيجب عليك أن تحزم أمرك بالرحيل فوراً وأن تمثل فى حضرة السلطان عاجلاً ، حتى لا ينتهى الأمر بأن تطلب للمثول وتصبح زميماً عنده ويزل أعقابك من بعدك ، وتبتلى بغضب ملك الملوك ، وما هو مأمول فيك اليوم لا يمكن إدراكه غداً، وتتحول من مقام الطاعة إلى مقام العصيان، أما بقية الأسئلة التى سألتها عن أحكام ملك الملوك وقلت إن بعضها ليس مستنكراً ، وأثبت أن البعض الأخير غير مستقيم بأى وجه من الوجوه فإننى أجيبك بأن ما كتبت للسلطان بأن يطلب حق الأولين يمكن أن يقول بترك السنة ، فإن كان موافقاً للدنيا لم يكن مستقيماً مع الدين. واعلم أن السنة سنتان سنة الأولين

(١) كان عظماء الأشراف فى الدولة الساسانية يحملون لقب ملك وأفراد هذه الطبقة هم الذين يطلق عليهم لقب شهرداران وهى تشمل الأمراء التابعين الذين يحكمون ولايات فى أطراف الدولة وحكام الإمارات التى كانت خاضعة لحماية إيران" تنسر ص ٢٩ المترجم .

وسنة الآخرين^(١) سنة الأولين هي العدل ، وقد أهمل طريق العدل وانطوى بحيث لو تدعو أحداً في هذا العهد للعدل فسوف تدعوه الجهالة إلى التعجب واستصعاب ما تدعوه إليه، أما سنة الآخرين فهي الجور ولقد استكان أهل الظلم إلى مسلك لا يستطيعون معه أن يغيروا طريقهم من مغبة الظلم إلى منفعة تفضيل العدل واختياره، بحيث لو إن الآخرين أتوا بعدل لقليل: إنه لا يليق بهذا الزمان، ولهذا لم يبق ذكر للعدل وإذا ما انتقص السلطان شيئاً من ظلم السابقين، لأنه ليس من صلاح هذا العهد والزمان لقليل إن هذا رسم قديم وعادة الأولين ، فيجب عليك معرفة الحقيقة وهي أنه يجب السعى لتبديل آثار ظلم الأولين والآخرين واعتماداً على أن الظلم غير محمود في العهد الذي اقترفوه فيه أو يقترفونه فيه سواء الأولون أو الآخرون ، وهذا السلطان قادر على هذا ، والدين معين له في تغيير ومحق أسباب الجور، إذ إننا نراه صاحب أوصاف حميدة أكثر من الأولين وسنته أفضل من السنن السابقة، وإن كانت عنايتك بأمر الدين واستنكارك لما وجه له في الدين فاعلم أن "الإسكندر" قد أحرق في "إصطخر" كتاب ديننا المكون من اثنتي عشر ألف جلد من جلود البقر لكن الكثير منه بقي في القلوب ، وذلك أيضاً في جملة قصص وأحاديث ، ولم يدرك الشرائع والأحكام بل إن تلك القصص والأحاديث أيضاً قد ضاعت من ذاكرة الخلائق بسبب فساد أهل العصر وذهاب الملك والحرص على البدعة والأضاليل والطمع في الفخر، فلم يعد يبقى من صدقها ألف، فلا حيلة إذن للرأي الصائب والصالح إلا بإحياء الدين، ولم تسمع ولم تر أن ملكاً قط غير السلطان قد قام بهذا الأمر ، وقد اجتمع عليكم مع ذهاب الدين أن ضاع أيضاً علم الأنساب والأخبار والسير وسقط من الذاكرة ، فصرتم تكتبون بعضه في الدفاتر وتنقشون بعضه على الأحجار والجدران ، حتى إنكم ما عدتم تحتفظون في خاطر بشيء قط مما جرى في عهد والد كل واحد منكم ، ولا نهاية لأعمال العامة وسير الملوك مما يخص الدين إلى نهاية الدنيا فكيف يمكن الاحتفاظ

(١) المقصود بسنة الأولين، المبادئ الدينية الأصلية القديمة في دين زرادشت والمقصود بسنة الآخرين المبادئ التي يرى العمل بها وقد عبرت الأوستا عن النوع الأول بكلمة بوريو تكيش وعن النوع الثاني بكلمة أمرتكيشي، ومعنى اللفظ الأخير القانون المعمول به المترجم .
(كتاب تنسر، ترجمة د. الخشاب، ص ٣٠).

بذلك ؟ ولا شبهة فى إنه فى الزمن الأول مع كمال معرفة الإنسان بعلم الدين وثبات اليقين كان الناس مع ما وقع من الأحداث فيما بينهم حاجة ماسة لملك صاحب رأى ، ولا يكون للدين قوام ما لم يكن هناك رأى واضح .

الأمر الثانى : كتبته عما يطلبه المليك من أهل المكاتب والمروءة ، فاعلم أن الناس فى الدين أربعة أصناف ، وفى كثير من كتب الدين مكتوب ومبين بلا جدال ولا تأويل ولا خلاف ولا أقاويل ويقولون إن لذلك أربعة أعضاء والملك على رأسها :

العضو الأول : أصحاب الدين وهذا العضو ينقسم إلى أصناف أخرى وهى :

الحكام والعباد والزهاد والسدنة والمعلمون.

أما العضو الثانى : فهو المقاتلون أى رجال الحرب وهم على قسمين الراكبون والمترجلون وهم متفاوتون بعد ذلك فى الدرجات والأعمال.

أما العضو الثالث : وهم كتّاب الرسائل وكتّاب القضايا والسجلات والشروط وكتّاب السير والأطباء والشعراء والمنجمون داخل طبقتهم ويعدون أرباب المهن .

أما العضو الرابع : وهم الزّراع والرعاة والتجار وسائر الحرفيين ويكون بنو آدم أربعة أعضاء فى زمن الصلاح على الدوام ، ولا شك أنه لا ينقل واحد من فئة إلى أخرى إلا أن يجدوا واحداً فى الجبل قد شاعت أهليته فيعرضونه على المليك، وبعد طول تجربة ومراقبة له من قبل المواعدة والهرابدة يتم إلحاقه بطائفة أخرى إن وجد مستحقاً لذلك، لكن بما إن الناس سقطوا فى عصر الفساد وسلطان لا يقيم صلاح العالم ، فقد تعلق أطماعهم بما ليس حقاً لهم ، فأضاعوا الأدب وأهملوا السنة وأطلقوا للرأى العناية وحشروا رؤوسهم ، وسلكوا بالقوة طرقاً لا تبدو لها نهاية فظهرت السطوة وحملت جماعة على أخرى لتفاوتهم فى المراتب والآراء ، حتى انتهى السلام والدين جملة ، وبات لبنى آدم صورتان هى: الشيطان صفة والوحش سيرة على نحو ما جرى ذكره فى القرآن المجيد عز قائله من قوله (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض)^(١) وسقط حجاب المحافظة والأدب، وظهر قوم ليسوا متحليين بشرف الفضل

(١) نص الآية (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون" الأنعام / ١١٢) (المترجم)

والعمل ، ولا وارثين لضياع ولا يهتمهم حسب ولا نسب، فارغون من كل فكر وحرفة، مستعدون للغمز والشر والترويع والكذب والافتراءات، وهم يعيشون على ذلك، وقد بلغوا وجاهة به فى الحال وكسباً للعمال، وقد أعاد السلطان بعقله الخاص وفيض فضله تلك الأعضاء التى كانت قد تمزقت من بعضها البعض إلى بعضها مرة أخرى ، وجمعها وأعاد كلاً منهم إلى مقر فئته وأنزله مرتبته ، ومنع أى واحد منهم أن يشتغل بغير الصفة التى خلقه الله سبحانه وتعالى من أجلها ، وفتح تقدير الحق تعالى على يديه باباً لأهل العالم ، حيث لم تكن الأفكار والخواطر قد بلغت فى الزمن الأول ، وكلف كل واحد من رؤساء الأعضاء الأربعة بأنه إذا ما وجد أثر رشد وخير فى واحد من أبناء مهنته ورآه مأموناً على الدين أو صاحب بطش وقوة وشجاعة وفضل وحفظ وقطانة وجدارة بأن يعرض عليه حتى يصدر بشأنه أمراً، أما ما تستعظمه فى عينك من عقوبات السلطان والإسراف الذى يأمر به لسفك الدماء فى حق من يعمل من الأفراد بخلاف رأيه وأمره ، فليعلم أن الأوائل قد قصرُوا أيديهم عن هذا الأمر، لأن الخلاق لم يكونوا ينسبون إلى العصيان وترك الأدب ، فانشغل كل إنسان بمعيشته وبما يهمله ، فلم يكونوا يدفعون الملوك إلى الاهتمام بهذا الأمر بسوء التدبير والعصيان فلما كثر الفساد وخرج الناس على طاعة الدين والعقل والسلطان وسقط الحساب بينهم ، عندها لا تسترجع كرامة مثل هذا الملك ورونقه إلا بسفك الدماء ، ربما لم تسمع بأنه فى مثل هذا الزمن قال رجل من أهل الصلاح: لم نعلم ولم نسمع من قبل بأن العقاف والحياء والقناعة والصدقة المرعية والنصيحة الصادقة والرحم الموصولة قد انقطعت بسبب الطمع ، فلما غلب الطمع على هذا الزمان زال الأدب من بينهم وأصبح العدو أقرب إلينا ومن كان تابعاً لنا أصبح متبوعاً ومن كان خادماً أصبح مخدوماً ، وصار الجميع كشياطين قد فكت قيودها فأسقطوا الأمور وانتشروا فى المدن بالصوصية والفتنة والصعلكة والفواحش، حتى بلغ الأمر أن تتناول العبيد على السادة وتمردت النساء على الأزواج، وتسلمت عليهم ، وعد من هذا النمط كثيراً ، ثم قال بعد ذلك : "فلا قريب ولا حميم ولا نصيح إلا السنة والأدب" حتى تعلم أن ما أمر به السلطان من اشتغال الناس بأمورهم عن أمور الآخرين هو قوام العالم ونظام أمر أهله ، كما إنه بمنزلة

المطر الذى يحيى الأرض والشمس التى تمدّها بالطاقة ، والريح التى تنفخ فيها الروح ، فإن وقع إفراط، فى العذاب وسفك دماء مثل هؤلاء القوم مما لا يظهر له نهاية ، فإننا نعد ذلك حياة وصلاً سوف تصبح به أوتاد الملك والدين فى الزمن المستقبل فى كل لحظة أكثر إحكاماً وقوة ، وكلما زاد فى العقوبة من أجل أن ينصرف كل عضو إلى مركزه واختصاصه، كانت النتيجة أكثر نفعاً وحماً ، ومع أنه قرر أن يكون لكل عضو رئيس قائم عليه ، ومن بعد الرئيس عارض حتى يحصيهم عدداً ، ومن بعد مفتش أمين حتى يفتش عن شوائبهم ، ومعلم كذلك حتى يقوم على تعليم كل واحد منهم حرفته وعمله منذ الطفولة ، وليطمئنوهم ويسكنوهم فى تصرف معيشتهم، كما نظم وعين المعلمين والقضاة والسدنة الذين يقومون بالتذكير والتدريس، كما أمر معلمى الأبطال والفرسان بأن يهتموا بتدريب أبناء القتال فى المدن والقرى على السلاح وفنون القتال وأدابه ، حتى يشرع جميع أهل الممالك كل فى عمله، حيث قال الحكماء الأوائل : "القلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تنازع الإثم" ومعناه : إن القلب الفارغ من العمل دوماً يسعى وراء المحالات ويتتبع أخبار الأراجف ، وحيث تتولد الفتنة من ذلك، وأن اليد التى تلاصقه تتعلق بالآثام والجرائم .

وقد أوضحت أن السنة الناس قد طالت فى التحدث عن سفك السلطان للدماء ، وأنهم فى قلق لذلك والجواب هو أن كثيراً من الملوك يكون قلة قتلهم إسرافاً ، لو قتلوا عشرة أشخاص بحيث يعد ذلك كثيراً كما لو كانوا قد قتلوا الآلاف ، بل يجب قتل المزيد لأنهم يكونون مضطرين لذلك آنذاك مع أهله ، ومع هذا فكثير من الأشخاص مستحقون للقتل إلا أن السلطان يعفو عنهم وهو أكثر رحمة وأقل إذن بكثير من "بهمن بن إسفنديار" الذى أجمعت أمم السلف على رفعته ورحمته وإنى أوضح لك أن قلة القتل والعقوبة فى ذلك الزمان وكثرت فى هذا الزمن إنما هو بسبب الرعية لا بسبب السلطان وليعلم أن العقوبات تنقسم إلى ذنوب ثلاثة وهى :-

الأول : بين العبد وربه عز اسمه حين يرتد عن الدين ويحدث البدعة فى الشريعة.

والثانى : بين الرعية والسلطان حين تعصى أو تخون أو تغش .

والثالث : بين أخوة الدنيا بين الخلائق فى الدنيا حين يظلم بعضهم البعض وقد استن السلطان فى هذه الذنوب الثلاثة سنة أفضل بكثير عما كان لدى السابقين ، ففى عهد السابقين كان كل من يرتد عن الدين يصدر الأمر على الفور بتعذيبه وقتله عاجلاً ، فأمر السلطان بأن يسجن مثل هذا الشخص وأن يستدعيه العلماء فى كل وقت وعلى مدار عام بأكمله ويتعهدونه بالنصيحة ويوضحون له الأدلة والبراهين ، ويمحون ما صار فى نفسه من شك، فإن تاب وأُتاب واستغفر يطلق سراحه ، وإن أصر على غيه واستكبر يؤمر بقتله بعد ذلك.

وبالنسبة للذنب الثانى : فكل من كان يعصى الملوك أو يفر من الزحف لم يكن يأمن على روحه قط ، فاستحدث السلطان سنة بأن يقتل من تلك الطائفة بعضها لإيجاد الرهبة حتى لا تصبح عادة ، وأن يعفى عن البعض حتى يبقى الأمل فى العفو قائماً ويستقر الأمر بين الخوف والرجاء وهذا رأى أشمل بالنسبة لصالح الحكم والملك .

أما الثالث : فقد كانت السنة فى الزمن السالف أن يضرب الضارب ويجرح على الجارح ويمثل بالغاصب والسارق والزانى كذلك ، فتم إبطال تلك السنة وحددت غرامة على الجارح تعطى للمعتدى عليه حتى يتألم الظالم وينال المظلوم منقعة ورضاً، فحينما تقطع يد السارق لا تتحقق منقعة لأحد قط ويظهر بين الخلق عيب فاحش ، كما يعاقب الغاصب بغرامة تعادل أربعة أمثال ما يعاقب به اللص ، والزانى يعاقب ببتير أنفه بحيث لا يقطع منه عضو ينقص من قوته ويكون عاراً وشيناً له فى حين لا يؤثر على عمله وأمر بتسجيل تلك الأحكام فى كتاب ثم قال بعد ذلك : فلتعلم أننا قد وجدنا الناس ثلاثة أصناف، ونرضى منهم بثلاث سياسات :

الصنف الأول : وهم القلة، هم الخاصة وأهل الخير وسياستهم المودة المحضة.

الصنف الثانى : هم أهل السوء والشر والفتنة وسياستهم التخويف الصريف.

الصنف الثالث : وهم الأكثر عدداً وهم العامة وسياستهم الجمع بين الترغيب والترهيب ، فلا أمان على الإطلاق فيتجرؤون ولا رعب على الإطلاق فيتشتتون ويتفرقون ، ففى بعض الأوقات يجب القتل للذنب الذى يكون أقرب إلى العفو وأليق به

ويؤمر بالعفو للذنب الذى يستوجب القتل، وقد رأينا أن لا فائدة فى أحكام وسنة السلف السابق وكان الضر والنقصان يحل بالعامّة فى العدد والقوة، فأمرنا بوضع هذا الحكم وتلك السنة المستحدثة حتى يعمل بها فى عهدنا ومن بعدنا، وأمرنا بالقضاة لو عادت تلك الجماعة من المجرمين إلى ارتكاب جرائمهم مرة أخرى بعد أداء الغرامات التى حددت لهم فلتقطع أذانهم وأنوفهم دون أن يتعرضوا لعضو آخر من أعضاءهم.

الفصل الآخر: الذى كتبته عن أمر البيوتات والرتب والدرجات التى أمر السلطان بإحداثها وإبداعها ، فإن البيوتات والدرجات هى الأركان والأوتاد والقواعد والمحاور وكلما زال الأساس تداعى البيت للخراب وانهار ، فاعلم أن فساد البيوتات والدرجات على نوعين:

الأول: أن يهدم البيت وأن يجاد أن تعطى الدرجة بغير حق ، أو أن يضع الزمان نفسه من عزمهم وبهائهم وجلال قدرهم دون سعى آخر ، فيأتى من بعده نسل وضع فيتخذ أخلاق الأجلاف شعاراً ، ويهمل أسلوب التكرم فيذهب وقارهم بين العامة فينشغل أصحاب المحن بكسب المال، ويتخلون عن الفوز بالفخر وادخاره ويصاهرون الأخصاء الوضعاء ممن ليسوا أهلاً لهم ، ولهذا ينتج توالد وتناسل المنحطين الوضعاء الذى يؤدى إلى تهجين المراتب والدرجات ، ولكى يرفع السلطان من مراتبهم ويمنحهم درجة الشرف والرفعة فقد أمر بما لم نسمع به من أحد قط من قبل ، وهو أن يكون هناك تمييز ظاهر وعام وباد للأعين فيما بين أهل الدرجات عامة فى المركب واللباس والبيت والبستان والزوجة والخدم ، كما وضع فروقاً بعد ذلك بين أرباب الدرجات فى الدخل والمشرب والمجلس والموقف والثوب والحلية والأوعية ، بحيث تحفظ أماكنهم ومواضعها بقدر كل واحد منهم، وحتى يعرف كل منهم من حظه ومحلّه ما يناسبه فلا يشاركهم أحد ، ولا يخالط العامة قط فى أسباب التعيش ولا فى النسب والنكاح إذ يكون هذا محظوراً بين الجانبين وقال: إني أعلم أن المرأة بمنزلة الوعاء ، وفلان من قبيلتنا كانت أمه كالتابوت (فاقدة الإحساس كالأموات) ولقد منعت أى إنسان من أن يتزوج من امرأة من العوام حتى يبقى النسب محفوظاً وكل من يفعل ذلك (أى يتزوج من امرأة من العامة) يحرم عليه الميراث كما أمرت بأن لا يشتري العامة المستغلون أملاك أبناء العظماء وبولغ فى هذا الأمر، حتى تبقى لكل واحد درجته ورتبته المعينة، وتسجل وتدون فى الكتب والدواوين .

أما حكاية التابوت فإنه كان يوجد ملك عظيم فى سالف الأيام غضب على نسائه فقال لهن : سوف أريكن كيف استغنى عنكن ، وأمر بإحضار تابوت كان يتخلص من نطفته فيه فأخذت واحدة من أولئك الزوجات النطفة ، ووضعتها فى داخلها فأنجبت ولداً ، فقيل إن أمه ملكة وأباه هو التابوت.

وقد جاء فى توراة اليهود وإنجيل النصارى أن الناس تكاثروا فى عهد "نوح عليه السلام" ولم تعد هناك أرض لم تعمّر ، فعاش بنو "لوهيم" بنات آدم عليه السلام فظهر من نسلهم الجبابرة فجعل الحق تعالى جل ذكره الطوفان وسيلة قهرهم ، وعلى ذلك فالسلطان لم يقصر فى الحيلة حتى لا تصل المراتب إلى وضع لا يمكن تداركه ، وأمر بأن كل من يتجاوز تلك السنة ويخرج عليها من بعده يستحق خفض درجته وسفك دمه أو مصادرة أمواله والنفى خارج البلاد ، وقال : لقد كتبت هذا المعنى من أجل ملوك المستقبل إذ عساهم أن لا يكونوا أصحاب تمكن قوى فى الدين فيقرأون فى كتابى ويعملون بما فيه ، ويجب التيقن من أن الملك هو النظام بين الرعية وهو قوامها وزينتها يوم الزينة ، وهو مفزعها وملجأها وحصنها يوم الخوف من العدو ، ولقد قال أيضاً : عليكم أن تحفظوا النساء من الزينة ، فلا يجب أن تهملوا حفظ أى شىء قط وفق مراتبه وقال: إن عهدى لمن يأتون بعدى هو أن يسندوا خدمهم ومصالحهم إلى العقلاء حتى وإن تكن أموراً صغيرة وإن يكن الجميع مكانس ، لكن حين يكون الطريق موصلاً فليكف أفضل تلك الطائفة ، وقال العقلاء: إن الجاهل أحول ، يرى المعوج سليماً ، ويظن المكسور صحيحاً ويتصور عظيم الأشياء صغيراً ، ويعد الصغير عظيماً ، فلا يستطيع من وهم الجهل أن يرى السابق والتالى ويعرف الأمور الأخرى التى تأتى بالضرر ولا يتيسر تداركها ، فلا يدرك الجاهل القليل من الضرر حتى تصبح المضرة بما لا يمكن إدراكه بالعلم ما هذا ؟.

أما ما كتبه بأئنى لم أر فى الدين شيئاً قط أعظم من تعظيمه لأمر الإبدال (الأبناء المنتسبون إلى المتوفى وسيأتى شرحه) فقد قرره الدين ، وقد أغفل السلطان رعايته لذلك ، فاعلم أن السلطان وجد أحكام الدين ضائعة ومختلة ، وأن البدع والمحدثات قوية غالبية ، فعين مراقبين على الخلق بحيث إذا ما توفى شخص وترك مالا فعليهم أن يخبروا الموأبدة، ليقوموا بتقسيم المال حسب السنة ووفق وصيته بين أرباب

المواريث والأعقاب ، وكل من لا مال له يتكفل بتجهيزه ويطعم أعقابه ، إلا أنه قرر أن يكون إبدال أبناء الملوك أبناء ملوك أيضا ، وإبدال أرباب الدرجات أيضاً أبناء درجات وليس في هذا استنكاف قط أو معارضة لا في الشريعة ولا في الرأي ومعنى الإبدال^(١) في مذهبهم : إذا ما حل الأجل بشخص منهم ولم يكن له ولد فإن ترك زوجته فإن تلك الزوجة تزوج من أحد أقارب المتوفى ، بحيث يكون الأولى به والأقرب إليه، وإن لم تكن له زوجة وكانت له بنت فيتم معها نفس الأمر ، فإن لم يكن له أحدهما تطلب امرأة للزواج بأحد أقاربه بحيث ينفق على هذه الزيجة من مال المتوفى، وكل من يولد من الأبناء نتيجة تلك الزيجات ينسب إلى صاحب التركة، وكل من كان يعترف بغير ذلك كان يقتل ، فقد كانوا يقولون: إن نسل ذلك الرجل المتوفى يجب أن يبقى حتى آخر الزمن، وفي توراة اليهود أيضاً أن الأخ يتزوج من زوجة أخيه المتوفى بحيث يبقى على نسله والنصارى يحرمون ذلك .

والأمر الآخر الذى ذكرته بأن السلطان قد رفع النيران من المعابد وأخمدتها وأن مثل هذه الجراءة فى الدين لم يقتربها أحد مطلقاً ، فاعلم بأن هذا الأمر ليس صعباً فى الدين إلى هذا الحد والمعلوم لديك عكس الحقيقة، لأن ملوك الطوائف بعد "دارا" اتخذ كل واحد منهم لنفسه معبداً خاصاً به، فكان كل ذلك بدعة فقد أقاموها دون أمر الملوك القدامى فأبطل السلطان ذلك، واستعاد السيطرة على النيران وأمر بنقلها إلى مواضعها الأولى، ولقد أوضحت بعد ذلك أن الأفيال قد أوقفت بباب السلطان وأنه قد أمر بإقامة الثيران والحمير والشجرة ، فاعلم أنه قد فعل كل ما كتبته بأمر الدين ، حتى يلقي جزاءه كل من يقترب سحراً أو يقطع طريقاً أو يأتى بتأويل غير مشروع فى الدين ، فكل ما اتصل بالرفق واللين والتساهل كان قد وجد طريقه وساده، فأدرك السلطان أن الأمر الصعب لا يساس إلا بالرياضيات الصعبة ولا يزل إلا بها، وأن

(١) "كتب د. الخشاب نقلاً عن البيرونى وهو يتحدث عن "زواج المقت عند العرب" ولا يبعد عن اليهود فقد فرض عليهم أن ينكح الرجل امرأة أخيه إذا مات ولم يعقب ويولد لأخيه المتوفى نسلأ منسويأ إليه دونه لثلا يبيد من العالم ذكره وكذلك أمر الإبدال عند "الفرس" إذا مات الرجل ولم يخلف ولداً أن ينظروا فإذا كانت له امرأة زوجها من أقرب عصبية باسمه... إلخ" ، انظر "كتاب تنسر، ترجمة د. الخشاب ص ٤٣" المترجم .

الجراح المستعصية (الغائرة) لا يفيد فيها المرهم ، ولا يكون ناجعاً إلا بأن تفتح وتقوى ، ونحن نعلم أن كثيراً من الرجال كانوا رجالاً ، وقد طلبوا الرجولة هكذا من أجل صلاح العالم ، وقد أدركوا ذلك وفازوا به ، وكل شخص لم يكن قادراً هكذا في العلاج والمداواة نتيجة لضعفه فإنه يطلب الطبيب ، كما تفعل الأم المشفقة لولدها حبيب قلبها ومناط روحها ، فإذا ما رأت أن الدواء مر ، وأن الكى حارق ، وأن الجراح صعبة ، فإن قلبها نتيجة ضعفها وعدم ثباتها يستسلم للقلق والاضطراب والجزع ، إلا أن الابن لا يجد الشفاء من العلل إلا بكل ذلك حيث يجد السلامة وتحل الراحة والسكينة بصدر الأم الضعيف فتعود بالثناء على ذلك الطبيب لسلامة ولدها ونجاته.

أما تفسير أمر الفيل فقد كان السلطان يأمر بأن يلقي كل قاطع طريق وصاحب بدعة تحت أقدام الفيل.

وأما الثور فهو وعاء كبير على هيئة ثور كان يذاب فيه الرصاص ، فكان يلقي بالإنسان في داخله ليصهر.

وأما الحمار فكان من حديد ، ويقف على ثلاثة أرجل فكان البعض يعلقون من أقدامهم فيه ويتركون هكذا حتى يهلكوا .

وأما الشجرة فقد كانوا يثبتون فيها أربعة مسامير ، ولم تكن تلك العقوبات تنفذ إلا في حق الساحر وقاطع الطريق ، وما ذكرته بعد ذلك من أن السلطان كان يمنع الناس من البذخ في المعيشة والبسط في الإنفاق ، فقد وضعت السنة هذا الأمر ، وقصد به إظهار التوسط والتقدير بين الخلائق حتى يتضح شأن كل طبقة فيتميز الأشراف ورجال الجيش ، فقد جعل للمقاتلين درجات من الشرف والفعل في كل نوع فوق تلك الجماعة ، فهم دوماً يجعلون من أنفسهم وأموالهم وأتباعهم فداءً لأهل المهنة ، ويفضلون ذلك على صلاح أنفسهم كما إنهم مشغولون بحرب أعداء الولاية ، في حين أن أهل المهن مقيمون في وداعة ورفاهية آمنين مطمئنين فارغين من كل فكر خاص ببيوتهم ومعاشهم ، ينعمون بصحبة الزوجة والأبناء ، وكان واجباً على أهل المهن أن يجيبوهم ويسجدوا لهم وأن يقدموا للمقاتلين من الاحترام مثلاً يقدم الأهل الدرجات ، وعلى أهل الجيش أيضاً أن ينظروا إلى بعضهم البعض بنفس نظرة العلو في الدرجة

فيحترم كل واحد منهم الآخر ، فلو سمحوا لأحد من الناس أن يتصرف في أمر ما وفق هواه ومراده ، فليس للهوى نهاية أو حد، ولسوف تتجمع عليهم من الأشياء ما لا يستطيع ما لهم أن يفي به ، فينتهي بهم الأمر سريعا إلى الفقر والحاجة فإذا ما انتهى أمر الرعية إلى الفقر فستخلو خزائن الملك، ولن يجد الجند النفقة ويضيع الملك من اليد ، وقد منع الأمراء من التبذير والسفه حتى لا يحتاجوا إلى أبناء المهن ، ورتبت معيشتهم بحيث لو كان لواحد منهم ألف كنز ولو كان لأحد آخر مال قليل فإن الجميع يعيشون وفق السنة في مستوى واحد، وعليهم أن يتخيروا من بنات الملوك من كانت أصلح وصاحبة دين ، حتى تتحقق للجميع الرغبة في الصلاح والعفة، وعلى كل منهم أن يكتفى بزوجة واحدة أو اثنتين ، وكان مستنكراً كثرة العيال وكان يقول: إن كثرة العيال تليق بالسفلة في حين أن الملوك والأمراء يباهون بقلة الأبناء.

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور^(١)

أما الأمر الآخر الذي كتبه بأن الملك عين على أهل الممالك المخبرين والجواسيس وأن الناس جميعاً في خوف وحيرة من هذا الأمر، فليس هناك خوف قط من هذا الأمر على أهل البراءة والسلامة، فلا يليق للمليك تعيين جاسوس ولا مخبر ما لم يكن مصلحاً ومطيعاً وتقياً وأميناً وعالماً ومتديناً وزاهداً في الدنيا، حتى يكون ما يعرضه عن تثبيت تعيين فحين تكون مطيعاً ومنضبطاً ويبلغون ذلك عنك للمليك، فلا بد أن تزداد سعادتك لإبلاغ إخلاصك إليه فتزداد شفقتك عليك، ولقد كتب السلطان هذا الباب في الوصية التي حررها باستقصاء جهل الملك بأمر الناس وعدم وقوفه عليها باب من الفساد ، ولكن بشرط أن يحذر أن يسمع كلاماً ممن ليسوا من أهل الثقة والاطمئنان وأن لا يأخذ برأيهم ولا يعمل به ولا يتصور ولا يقول: إنني أقتدى بـ "أردشير" فقد جئت

(١) ورد هذا البيت في الحماسة البصرية وفي صلة الديوان المجموع لكثير عزة ص ٢٥٠. والديوان المجموع للعباس بن مرداس وبغاث الطير وهو ما لا يصد منها. والشطر الثاني من البيت به خبري المعلن ويضرب في قلة الشيء النفيس.

« الحماسة لأبي تمام بن أوس الطائي»، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، الجزء الأول - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ ١٩٨١ ص ٥٨١ وانظر:

الميداني (أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري) مجمع الأمثال ج ١ مطبعة السنة المحمدية ١٣٤٧ هـ - ١٩٥٥ م ص ٦٢ « المترجم .

فى زمن غير منضبط وأمر الدين مملوء بالخلل ، والملك غير مستقيم ، والجميع أعداء وأشرار ، ولا وجود للأخيار قط ، وقد اخترنا الثقة والأمناء والصلحاء أيضاً ، كما إننا لم نصدر حكماً دون تجربة وتمحيص ، ومن الممكن أن يأتى من بعدنا قوم أفضل ولا يجب أن يعطى للأشرار مجالاً بأن يبلغوا إلى مسامع الملوك خبراً عن طريق التجسس فلو إنهم - والعياذ بالله - سمحوا بهذا فلن تكون الرعية ولا الرؤوسون فى أمن وراحة ولن يكون للملوك أنفسهم تمتع أو ثقة بطاعتهم وخدمتهم ، وحينما يصل أمر الملك إلى هذا الحد ، فليؤذن بالثورة عاجلاً حيث يعرف الملك بعجز الرأى وضعف القوة ، فلا يتصور ذلك الأمير أن هذا السلطان قد أصدر الأمر مركزاً إذا كان غير حجة ، ولقد أشرت إلى أنه أخذ أموال الأغنياء والتجار ، فإن كانوا قد اتخذوا لأنفسهم اسم الغنى ولم يكونوا أغنياء حقاً فقد اقترفوا باطلاً ، فعن برهان الغنى هو من لا يأخذ شيئاً بكره وفوق ما يطاق ، بل يأخذه طوعاً وعن رغبة وعليهم أن يؤدوا الخدمة والولاء بصورة ظاهرة ، فإن أرادوا أن لا يطلق عليهم اسم الغنى وأن يطلق عليهم اسم اللئام الأثمين ، فإنهم يأخذون الأموال بالرياء واللؤم والدناءة لا عن طريق شرعى ، وهذا المعنى هو الذى جعل ملك الزمان يستعين بفضول أهل الفضل دون عامة الخلق ، وهذا أصل فى الدين كما إنه وجه مقبول فى الرأى .

أما السؤال الآخر : عن المانع لدى السلطان بحيث لا يعين ولى عهد من بعده ولا يحدد اسمه ، فليعلم الجواب بأنه فكر فى هذا الأمر من مفسدة ذلك المسمى ، والذى سوف يحل بعده فلو إنه حدده وعين اسمه فسوف يفكر ذلك الشخص فى جميع أهل العالم ، فإن أبدى شخص ما فتوراً فى التقرب إليه، فسوف يحقد ولى العهد عليه ، كما إن ولى العهد سوف يرى نفسه أيضاً ملكاً ويقول السلطان إن هذا الشخص ينتظر موتى ويترقبه ، وعلى ذلك فسوف تفتقر المودة والحب والشفقة فى قلبه ، ولما كان هذا الأمر لا يتضمن صلاح الحال للمليك ولا للرعية فإن ستره أولى، كما إنه من المحتمل لو أظهر هذا الأمر وأعلن ألا يتجرد العداء من الكيد والحيلة فيلحق به المرض من الشياطين وأعين الحاسدين من الجن والإنس والعز والأذى ، واعلم يقينا أيضاً أن كل ما تتعلق به أعين الخلائق فإنه يتعرض للهلاك للضرورة وإعجابه بنفسه ولعدم مروءته ، فكل من يعجب بنفسه يصبح عاصياً فيما فيه الصلاح ، وكل من صار عاصياً

يتملكه الغضب سريعاً فإذا ما تملكه الغضب ركن إلى العدوان ، وإذا ما اعتدى انشغل الآخرون بالانتقام منه، حتى يهلك مما يغنى الآخرون بسببه ، ومن يجب أن يكون مليكاً فهو من يكون قد نال الملك بالطاعة والولاء ، ومن رأى وعانى ما يخالف هواه وتجرع مرارة الإحباط ويكون قد تجرع أقذار التوبيخ واللوم من النساء والصبيبة والخدم والرؤساء والأصدقاء والأعداء على السواء ، وسوف أقص عليك فى هذا الأمر حكاية عساك لم تكن قد سمعتها ولكنى أخشى أن تبقى حكايتى هذه فى أعقابى ، فتكون عاراً لنا ولرأينا ؛ ومع هذا فسوف أقصها حتى أزيدك علماً ، فاعلم أننا لقينا معشر "قريش" مما لا نملك خلة ولا خصلة قط من الفضل الكرم أعظم مما أبديناها دائماً من الخضوع والخشوع والذل فى خدمة الملوك ، فقد اخترنا الانقياد والطاعة والإخلاص والوقار فاستقام أمرنا بهذه الخصلة ، وفزنا بقيادة ورئاسة جميع الأقاليم بذلك وهذا ما جعلنا نلقب : الخاضعين ، وكان هذا اللقب هو أفضل الأسماء والألقاب التى لنا فى الأولين والآخرين فى الدين والكتب ، قياساً إلى باقى المناقب التى لنا بحيث صرنا وصارت حقيقة أن هذا الاسم مذكراً وواعظاً لنا ، وبقي العز والمكرمة والفخر والمكانة بهذا الاسم فى حين أن الذل والمهانة والهلاك فى التكبر والتعزز والاستعلاء ، وكان أوائلنا وأواخرنا جميعاً على هذا الرأى ، ولم يلقوا من الملوك مطلقاً إلا الخير والتكريم كما لم يلق السلاطين منهم أيضاً إلا الطاعة والولاء ، فلا غرو أن كنا فى هذا الأمن وتلك الدعة موضع حسد أهل العالم، وكنا حكام الأقاليم السبعة ، بحيث لو إن واحداً منا حل بالأقاليم السبعة لما كان مخلوق قط لخوفه من ملوكنا يتجرأ بأن يلقى علينا نظرة تخلو من الاحترام ، كنا جميعاً على هذا النحو إلى عهد "دارا بن شهرزاد" الذى لم يكن فى الدنيا ملك قط ، أعلم منه ولا أحكم ولا أصيب سيرة ولا أعز ولا أنفذ حكماً ، وكان جميع الملوك من الصين إلى مغارب الروم عبيداً منطقيين، يرسلون إليه الخراج والهدايا فكانوا يلقبونه بلقب "تغل شاه" إلا أن كل بلاء وضرر حل به وبأبنه "دارا" وبأهل زمانهما كان نتيجة لأن هذا "التغل شاه" كان رجلاً حريصاً على الدنيا وقد أحب ولده ولحبه للدنيا غلب حبه لولده ، فلم يكن له سواه ففكر فى أنه لو منحه اسمه وأعطاه التاج والعرش فإذا مات هو نفسه فيسعد بين الأحياء وسيبقى ذكر اسمه

دوماً فكان يتفاعل كل يوم بكل ما يأتيه ولده من حركة ، سكون ، وكان يتخيل جلال أمره من لقيه به فقد قيل :

(إذا ترعرع الولد تززع الوالد) وما أصدق قول الشاعر:

فى الغيب ما يرجع الأوهام ناكصة والمرء مختدع بالزجر والفأل
ويخال بالفأل باب الغيب منفتحاً والغيب مستوثق منه بأقوال^(١)

فلما تجاوز الابن المهد والقماط وبلغ درجة العرش والبساط ، فتحت له أبواب المكرمة وأسباب المرحمة من لدن والده وهياً وأعد ووكلت الهمة بتربيته وتجهيزه وعين له الخدم وأعد له الأعوان بحيث إذا ما رفع عينه رأى نفسه صاحب تاج وسرير فتوهم أن الملك ليس من شؤون الله وأنه نتيجة خصائص صفاته الذاتية ، فلم يحسب حساباً لرأى والديه ولم يستنر برأيهما ولم يدرك أنه سوف يحتاج إليه يوماً ما وقال فى نفسه :

الملك لى أباً عن جد ولى الطعام والفاكهة والطير والسماك .

فلو أن القدر فوق منزل أبى لمزقته ولو أن القضاء ينظر إلى علوى فى الفضاء لفقأت عينه ، وكان يوجد طفل من أبناء خدمهم يسمى "ببرى" فأنس إليه وصار الاثنان رفيقين متلازمين فى الأكل والشرب ، حتى ثمل الاثنان بكأس الغرور وصار كلاهما صاحب طبع وطبيعة واحدة وقد فوض بهذا الصبى الذى لا يملك عقلاً غريزياً ولا غرة كرم أمر تربيته ، وذلك لعدم الوعى ، وهذا الصبى مازال حتى الآن مضرب المثل فى الشؤم عند أهل فارس وكان لدى «تغل شاه» كاتب محنتك مجرب متمرس كان ذا تجربة فى خدمته ومقرباً لديه وكان صاحب عقل وخلق وديانة وأمانة، حسن الصورة ممدوح السيرة محمود الخلق، مسعود الخلق يسمى «رستين» ينطبق عليه قولهم :

(١) تاتى الرياح بما لا تشتهى السفن فكم يكمن المرء أموراً يأتى القدر بخلافها يظن المرء بفأله الحسن أن الغيب مفتوح والسماء طوع أمره وكان للغيب شأن آخر (المترجم) .

لقد طن في الدنيا مناقبه التي بأمثالها كتب الأنام تؤرخ^(١)
فطاولة هذا الصبي في مرتبته وتمنى أن يفوز بدرجة ، وقبل أن يهيئ لتلك المنزلة
عدتها ، ركب مركب الاستعجال وتسليح بقناة الطعن والتعنت وجرد سيف الانتقام من
غمده للفوز بهذا المقام ، وكان وقع هذا الرجل ومكانته لدى الأكابر والرؤساء يذكر في
الخطاب والكتاب ، كما كان نائب "تغل شاه" وخليفته فلما تجاوز الأمر الحد ولم يكن
الفتى "بيرى" يقر له قرار لشبابه وعنفوانه ولم يكن لديه صبر ولا تمهل حتى يأتيه ذلك
الأمر وقد قيل:

الكلب أحسن حالة وهو في النهاية في الخساسة
ممن ينازع في الرئاسة قبل إبان الرئاسة^(٢)

ومثل «رستين» ذات يوم بين يدي السلطان وطلب الخلوة معه ، ولم يكن ممكناً
حتى ذلك التاريخ أن يقال ذلك الكلام صراحة في مواجهة السلطان ، فكانت الأمثال
والحكايات تحاك كذباً عنه وتطرح بحيث كان في تلك الأثناء يبحث عن الحقيقة ويسأل
عنها قال "رستين" : دام بقاء ذات السلطان إلى آخر الدهر لقد سمعت ذات وقت أنه
كانت توجد مدينة في إحدى الجزر كانت تتمتع بالخصب والأمن وكان لتلك المدينة ملك
قد أتاها الملك عن أجداده ، وكانت جماعة من النسانيس قد استقرت إلى جوار تلك
المدينة وكانت تعيش أيضاً في رغد عيش وسعة رزق وفراغ بال ، وكان لها ملك مطاع
يصغون لوصاياه يلقون بسمعهم لأوامره ويصرفون قلوبهم إلى اتباع هداه ، فلم تكن
شفاههم تنبس بكلمة دون استشارته وذات يوم طلب إليهم أن يجتمعوا عنده فلما
اجتمعوا لديه قال لهم : يجب أن ننقل من أطراف هذه المدينة إلى مكان آخر :

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام^(٣)

(١) ملأت مكارمه الدنيا وعمت محاسنه الآفاق وامتلات بطون الكتب والتاريخ بمأسره ومحاسنه
(المترجم) .

(٢) وردت هذه الكلمة في المتن بهذا الرسم "الرئاسة" وهي خاطئة والصحيح ما كتبناه (مترجم) .

(٣) يحذر قومه من وقوع الفتن ونزول الكوارث، وحدث القتل فمعظم النار من مستصغر
الشرر. (المترجم) .

فقال النسانيس : يجب أن توضح لنا سبب هذا الأمر وموجب هذا التحرك وأن توضح لنا ما فى هذه الفكرة من صلاح حتى تتفق الآراء ، فإن كانت تتضمن النجاح والخير فلن يكون هناك عصيان لأمرك ، فقال : لن أطلعكم قط على هذه الفكرة فقد طاب لكم هذا المنزل فهو مكان فسيح حبيب إلى قلوبكم موفور النعمة ، واعلموا أننى لو أطلعكم على ما أعلمه فلن يكون له فى عيونكم ولا فى قلوبكم وزن ولا محل ، لكن بحكم ما تعرفونه عنى من فضل رأى وغلبة العقل على اقبلوا نصيحتى واتمسوا متابعتى حتى نحل فى مكان آخر فقد أشار العقلاء بذلك :

وما الحزم إلا أن يحزن ركائبى إذا مولدى لم أستطب منه موردى^(١)

فالهجرة والجلء بعداً عن الجفاء ومغادرة البلاء هى سنة الأنبياء والمرسلين فى كل زمان ولا يقبل لدى العقل أن العاقل ، يستصغر ذلك حتى يرى تباشير الشر ، ومنكرات الضر فى نفسه وأتباعه وأهله ، وأشياعه ، ويفضل المعاناة من أجل الطعام والوجود على سعادة العمر التى فيها كل الخير ، وإن فعل ذلك فإنه ينسب إلى الجهل والكسل ويجر الأجل على نفسه بهذا الحمق :

فما كوفة أمة ولا بصرة أبى ولا أنا يثينى عن الرحلة الكسل
وفى العيش لذات وللموت راحة وفى الأرض منأى للكريم ومرتحل^(٢)

فالكريم العنصر الشريف الجوهر فى كل منزل ومقر يستقر فيه يكون متمتعاً بفضائل الذات وهناء الذات فإذا ما سقط مثلاً فى البحر فإن السماحة والفلاح يسبحان معه ولو كان العز والمنقب والرزق والمرتبة تجعل مقاماً دون مقام لما قيل :

لو حاز فخراً مقسام المرء فى وطن ما جازت الشمس يوماً بيتها الأسد^(٣)

(١) الحزم فى نظره أن يخف الإنسان فى طلب رزقه ويسعى فى كسب معيشته فإذا لم يطب له العيش فى بلده حزم الركاب إلى أماكن أخرى (المترجم) .

(٢) لست متعلقاً بمكان أهوى الجد ولا يعجزنى الكسل أجد اللذة فى التعب وإن مت فى السعى على معيشتى ففى الموت راحة والأرض واتساعها يسعى الكريم عليها أينما حل بها (المترجم) .

(٣) المرء فى وطنه لا يبلغ فخراً ولا ينال مجداً كالعود فى أرض نوع من الحطب (المترجم) .

فقال النسائيس : - إن الملك من كمال رأفته وفرط عاطفته علينا إذ نحن رعاياه يقدم كل هذا التأكيد تمهيداً لقواعد قبول هذه النصيحة ، فلو لم يكن قد ظهر من الدهر أمر عظيم وجرم وخيم لما كان الملك قد ساق مثل هذه المبالغة ، لكن برغم ذلك فإنه ما لم يبين سبب ذلك التحرك ؛ ولذا فلن يسكن خفقان قلوبنا ولن يهدأ ، وما لم نقف على هذا السر فلن نلتزم بالانقياد لأوامره واجتناب نواهيه ، كما أن مدد قوة قلوبنا ونشاط حركتنا تزداد بوفور شفقتة علينا وظهور رحمته لنا ، فقال ملك "النسائيس" : اعلموا أنني صعدت بالأمس فوق شجرة تشرف على جانب هذه المدينة وكنت أنظر إلى داخل قصر هذه المدينة ، فرأيت شاة تخص ابن مليكها وكانت تنطح بنتاً من خدمهم وقد قال العلماء : اجتنبوا مجاورة المعتدين ، ونهوا عن ذلك ولا أريد أن أعد ما أشار به العلماء أو أن أعد كلامهم لغواً فتعجب النسائيس جملة مبتسمين من قوله وبدأوا يتكلمون منه لبالغ تبرمهم وضيقهم بقوله فقالوا له :

وإن لاح برق من لوى الجزع خافق رجعت وجفن العين ملآن دافق^(١)

أنت قدوتنا ومليكنا سنين عددا وأنت عاقل القوم وصاحب السن والرأى والتجربة ألا تقل لنا فى النهاية ماذا سيحل بنا من مناطق ومعاودة شاة وجارية للملك فقال لهم مليكهم : أولاً هذا لكم وهذا فى حد ذاته سهل وبسيط ، إذ سوف يحل بكم ابتداءً ثم من بعد ذلك هلاك أهل تلك المدينة وقتل من بها فتعجب النسائيس واستغربوا لهذا القول وقالوا : إننا لم ترك على هذه الصفة من قبل لقد أصابتك عين السوء ، وغطت غشاوة عقلك فعليك بالحمية الصادقة ، حتى نحضر لك الأطباء ونعالج ما بك من سوء حتى تبقى معنا ولا تحرم من الملك أو تفتقده ، قال ملك النسائيس لقد صدق الحكماء إذ قالوا :

(من عدم العقل لم يزد السطان عزا ومن عدم القناعة لم يزد المال غنى ومن عدم الإيمان لم تزد الرواية فقها) ومعناه إن كل من يكون ذليلاً لعدم العقل فلا يستطيع ملك الزمان وأمير العصر أن يجعله عزيزاً ، وكل من لا يملك رضا أو قناعة فإن المال لا يجعله غنياً ، وكل من لا يملك الإيمان فإن كثرة الرواية لا تجعله فقيهاً :

(١) إن ظهر برق من لوى الجزع يخفق، عدت وجفن عيني يتدفق بالدموع (المترجم) .

وبما أن فكركم فى شأنى هكذا فالأولى أن أذهب فى طلب الطبيب بنفسى وأجنبكم عناء التعب ، وعلى الفور شد ركاب مركب الفراق وطلق الملك ، ولم يكد يمضى وقت على هذا الأمر حتى خرجت تلك الجارية من القصر على عجل وببيدها قارورة من زيت وقطعة من نار ، فجاء الكباش على حسب العادة التى كان قد عود عليها متوجهها إلى الجارية وألقى بنفسه إليها فألقت الجارية الزجاجاة (القارورة) وقطعة النار على الكباش فاختلط الزيت بالنار بصوف الكباش ، ومن فزع الكباش من حرارة النار أخذ يجرى من باب لآخر ويهرب من قصر إلى قصر حتى وصل إلى بيت عظيم لأحد أركان الدولة وأعيان المدينة وشاء القدر أن يكون صاحب البيت مريضاً فأسرع إليه الكباش وتسبب فى حرقه مع بضعة أشخاص من العظماء أيضاً ، فرفعوا هذا الخبر إلى ملك (حاكم) تلك المدينة فأمر الأطباء بأدوية ومراهم لازمة للحروق وتصادف أن لم يكن لهذه الحروق من مرهم إلا من مرارة نسناس فليل سهل وبسيطة فأمر واحداً بالركوب ليصطاد نسناسا واستخراج مرارته ، وبأمر هذا الملك قام الصياد بصيد النسناس بالغدر والحيلة وبلغ مراده منه ، فاجتمعت النسانيس وقتلوا رسول الملك ومزقوا أعضائه إربا إربا ، فبلغ الخبر إلى الملك فركب لقتال النسانيس وقتل الكثير منهم ثم عفا عن بعضهم ، فجاء أحد النسانيس إلى رجل من حاشية الملك فسلم ثم قال : منذ عدة سنوات ونحن فى جواركم لم يحدث مكروه منكم لنا ولم يلاحقكم ضرر منا ، فكل شخص منا كان مشغولاً بكسب الرزق المقدر فى الستر المستر ، فما الباعث الذى دفعكم إلى هلاكنا واستئصالنا حتى فقأتم عين المروءة بشوكة الغضب واستهنتم بحقوق الجوار وبحفظ الأمانة وتجاهلتم ملامة الدنيا وعقوبة الآخرة :

يا جائرين علينا فى حكومتهم والجوار أعظم ما يؤتى ويرتكب^(١)

وقد قص ذلك الرجل أمر الكباش والجارية والنار والمحترقين ومعالجة الطبيب وقتل الصياد وانتقام الملك العام مع النسانيس وقال نسناس بعين دامعة: حقاً ما قاله على أمير المؤمنين عليه السلام (ألا وإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة) ، ومعناه: إن كل شخص يهمل نصيحة العالم المشفق المتمرس لا يرى سوى الحسرة والندم.

(١) ينعى على الظالمين ظلمهم ويبين أن الظلم أشد ما يرتكب وأعظم (المترجم) .

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الغد^(١)
أيها الفتى ما أكثر ما حملنا سيل القضاء ، وطوح بنا إلى مجرى الفناء حتى
يلقى بكم الهلاك عبر الدهر كالحقش على الطريق فسأله الرجل : لقد أطلقت دعوى كبيرة
فهل لديك حجة أو برهان أو بينة أو سلطان قط على زعمك هذا ، فقال النسناس : اعلم
أنه كان لنا ملك ذو عقل وكياسة وفضل ودراسة كان عليمًا بغرائب الدنيا وعجائب
السماء ، وقد نجا برأيه المتين من بين آلاف الآراء فلم يضع قدمه قط في مصيدة
الدهر ، ولم يخدع بشعوذته فقد كان ثاقب النظر ذا فكر متين :

فالدين والملك والأقوام قاطبة راضون عن سعيه والله والله

و ذات يوم على سبيل النظر والاستطلاع طلع فوق شجرة كانت على مشارف تلك
المدينة وفصل أمر الكيش والجارية وما حدث بينهما وبين الملك إلى آخر القصة ثم قال
بعد ذلك : ألا إنه بسبب عصياننا وعدم استماع نصائحه وكفر قلوبنا بحدبه علينا
وخشيته من أن يحل بنا مثل هذا الموت ، ترك الملك وغادرنا فلا بد أن يحل بدولتكم
مثلما حل بنا وفق ما بينه ، فسمع الرجل هذه الحكاية وتعجب منها ، فلما بلغ المدينة
رواها وجرى ذكرها بين أسماع وأفواه العام والخاص حتى عرض الأمر على الملك
فأمر بإحضار أول من رواها ونقلها ، وكان ذلك الرجل من وجهاء المدينة لديه كثرة من
الأقارب والإخوان ، فلما أحضر إلى الملك كان بخار نار غضب الملك يتصاعد من
أبخرة أنفه حتى يصل إلى العيون (نجم) فأمر بعقاب الرجل في الحال ، فلما علم
بأمره شيعته أتوا جميعاً مع جميع عامة المدينة إلى البلاط ونشبت فتنة لم تخمد وانتهت
بقتل الملك وتشنت الناس وخربت المدينة .

فلما بلغ حديث «رستين» المؤدب مع «تغل شاه» هذا الحد قال له «تغل شاه» :
هذا المثل وتلك الحكاية ينطبقان على أى مكان ، وما حاجتك من هذا العرض ؟ ،
فعرض «رستين» أمره على الشيخ الذى كان (كاتباً) لدارا وقال : بالرغم من أن هذا
الأمر يثقل على المليك إلا أن المصلحة فى أن تعزلى حتى تخمد تلك الفتنة ، فقال
السلطان : الزم الصمت ولا تفش هذا السر قط حتى يظهر لتلك المهمة من يكون أهلاً

(١) "ينعى على قومه نصحه وعدم استجابتهم له، فنزل بهم ما نزل فالتفتوا إلى نصحه بعد فوات
الأوان" (المترجم) .

لها ، ولم تكد تمضى مدة حتى مات الشيخ وقيل إن « تغل شاه » هو الذى أمر بإعطائه السم فى مقر قيادة الجيش وحين قارب عمر «تغل شاه» على الانتهاء وحن وقت التحول إلى طين الفناء وحلق صقر الأجل فاخطفه بكل ما كان لديه من حرص ومطامع :

ذو التاج يجمع عدة وعديداً والموت يبطش بالألوف وحيداً^(١)

ثم جلس دارا على عرش أبيه وانشغل الناس بالإعداد لتهنئته وأقبلوا من الهند والصين والروم وفلسطين يحملون الهدايا والأموال والجوارى والتحف وقالوا:

دول الزمان مناحس وسعود عود ذوى فيه وأورق عود

ولم يكن لدارا من عناية إلا أن يعطى أولاً أمر الوزارة لأخيه (بيرى) ولم يفكر فى قولهم:

إذا كتتم للناس أهل سياسة فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا على الذل إن الذل أصلح للنزل^(٢)

فلما استقر الملك لدارا كلف أخاه بالانتقام لأخيه من المعارف والرؤساء والأمراء الذين كانوا على صلة وصداقة مع (رستين) فكان يسعى بالنميمة لدى دارا على غير حقيقة ونظرا لأنه كان شابا مغرورا غير متمرس فلم يكن يقبل العفو عن الذنب ، حتى أوغرت قلوب الخلق ضده فى جميع الدنيا وتمكنت عداوته من وجدانهم وسقطت الثقة فى أقواله وأفعاله وأهمل سنة السلف وأخذ ببدعة هذا المؤدب (بيرى)، فلما قيل : إن الإسكندر زحف حتى حدود المغرب ركب أبلق الرعونة والتهور وأمسك بعنان التكبر ، وعندما التقى الجمعان تقاعس عنه البعض وتحالف فوج مع العدو ثم وثب عليه جماعة فقتلوا عليه وبرغم أنهم قد ندموا إلا أنه لم يكن للندم فائدة مع وخامة تلك العاقبة ، (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها^(٣)) ولم يستن السلطان هذه السنة حتى لا يعين أحداً من بعده ولياً للعهد ، إلا أنه أخبر بما يجب عمله وقال : أنا لا أمتنع بأن يختم

(١) يرفع الزمان دولاً فيسعدهما ، ويخفف أخرى فيزيلها كعود يورق وعود يذبل (المترجم) . .

(٢) كرام الناس يعاملون معاملة طيبة فهذا من الحسن والسياسة وأما لئام الناس فالذل بهم أولى والبيتان من الأشعار الجارية مجرى المثل (المترجم) .

(٣) وهى "وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحداً" سورة الكهف الآية رقم ٤٠ (المترجم) .

على رأينا فلسنا عالمين بالغيب ، فعالم الغيب علوى ونحن فى عالم الكون والفساد حيث يوجد التعارض فى كل المعانى وفى كل الوجوه ، وإن يكون لأهل هذا العالم وقوف على ما فى عالم الغيب ، ومن المحتمل أن يأتى عصر يغير رأينا ويرى الصلاح فى وجه آخر غير الذى رأيناه .

أما الأمر الآخر الذى كتبته من وجوب التشاور مع الأمناء والنصحاء وأرباب الذكاء فى هذا الأمر حتى يتم تعيين ولى للعهد ، فاعلم أننا قد أردنا أن يتفرد السلطان فى هذا الرأى من بين حكام العالم فلا يتشاور مع مخلوق قط ولا يجيز تعيين ولى للعهد بناءً على كلام أو إشارة أو مكالمة ، فيكتب ثلاث نسخ بخطه ويترك كل واحدة منها مع أمين ثقة فيسلم واحدة منها إلى رئيس الموابدة والأخرى لرئيس الكتاب والثالثة إلى قائد القوات بحيث إذا ما رحل السلطان عن الدنيا يستدعى رئيس الموابدة يروح ويغردو كل يوم وليلة وعما قريب لا يروح ولا يغردو^(١)

ثم يأتى الشخصان الآخران ثم يجتمعوا معا ويقررون رفع الأختام عن تلك الوثائق الثلاث ثم ينظر أى من الأبناء يستقر عليه هؤلاء الأشخاص الثلاثة ، فإن جاء رأى الموبد موافقا لرأى الثلاثة ، يعلن الخبر للخلق فإن خالف الرأى رأى الموبد لا يفصح عن أى قرار ، لا مما تضمنته تلك الوثائق الثلاث ولا من رأى قول الموبد حتى يخلو الموبد مع الهرا بذة وحده وأهل الدين والزهاد ، ويعكفوا جميعاً على الطاعة والترا تيل ثم يؤمن وراءهم على دعائهم وتضرعهم أهل الصلاح والعفاف رافعين أكف الضراعة والخشوع فإذا ما انتهوا من هذا فى صلاة العشاء ، واطمأنوا إلى ما ألقاه الله تعالى فى روع وقلب الموبد ، يأتون بالتاج والعرش إلى البلاط فى تلك الليلة ويدعى جميع أصحاب المراتب كل فى مقامه ، ثم يذهب الموبد مع الهرا بذة والأكابر وأركان الدولة وأجلتها إلى مجلس الأمراء ، ويصطفون أمامهم ويقولون : لقد قمنا بمشورتنا بين يدي الله العظيم وقد ألهمنا الرشاد وأطلعنا على ما فيه الخير ثم يرفع الموبد صوته ويقول : لقد رضيت الملائكة بقولى : فلان بن فلان الملك وعليكم أنتم أيها الخلائق أن تقرروا

(١) الموت قريب سيلحق بالإنسان والإنسان يصبح ويمسى ثم ينتهى (المترجم) .

وتوافقوا على ذلك ولكم البشرى ثم يحملون ذلك الأمير ويجلسونه على العرش ويضعون التاج على رأسه، ويأخذون بيده ويقولون لقد قبلت من الله العظيم عز اسمه على "دين زرادشت" الذى قواه السلطان "كشتاسب بن لهراسب" وأحياه "أردشير بن بابك" فيقبل الملك هذا العهد ويقول إن شاء الله أوفق لما فيه صلاح الرعية والخدم وينصرف بقية الجمع الحاشد كل إلى أمره وأمر معيشتة .

أما الأمر الآخر الذى سألته عن المحفل والقتال والصلح والحرب للمليك سوف أبدى لك أن الأرض تنقسم إلى أربعة أقسام ، القسم الأول : أرض الأتراك وهو من وسط غرب الهند حتى مشارق الروم، والقسم الثانى : بين الروم والقبط والبربر، والقسم الثالث ، السود (الزنوج) من البربر حتى الهند، والقسم الرابع : هذه الأرض التى تنتسب إلى الفرس وتلقب ببلاد الخاضعين وهى الواقعة بين نهر بلخ حتى آخر بلاد أذربيجان وبين أرمينيا فارس والفرات وأرض العرب حتى عمان ومكران ومن هناك حتى كابل وطبرستان وهذا القسم الرابع يلقب بالأرض المختارة ومن الأراضى أيضاً ما هو بمنزلة الرأس والسرة والجبال والبطن وسوف أفسر لك هذا الأمر، أما الرأس فهى الرياسة والحكم منذ عهد "أيرج بن إفريدون" وكان ملوكنا حكاما عليهم جميعا وخلافا لذلك قاموا بين أهل الأقاليم واستقروا بحكمهم وبرأيهم وقبلهم أرسلوا الخراج والهدايا لابتنتهم.

أما السرة فهى أن وسط الأراضى الأخرى أرضنا، وأهلنا أعز وأكرم الخلائق وفرسان الترك وأذكىاء الهند، وحسن العمل والصناعة والله تبارك ملكه قد خلع ملكه كله فى رجاله وزيادة على ذلك انفرادهم بالصدق، وما أعطوه لنا من آداب الدين وخدمة الملوك وقد حرموا منه ، وألوان وجوهنا وشعرنا بين الخلائق ليس بالسواد الغالب ولا بالصفرة السائدة ولا بالشقرة الغالبة وشعر رأسنا ليس متجعداً كالزنوج ولا مسترسلاً كالأتراك ، أما الجبال فهى مع صغر أرضنا بالنسبة للأراضى الأخرى فهى أكثر نفعا وأكثر خصوبة وحيوية ، أما البطن فقد قالوا عنها إنها أرضنا رغم أن الأجزاء الثلاث الأخرى أرضنا فيحضرون متاعها لنا من الأطعمة والأدوية والعطور وما يكون كالطعام والشراب، وذات يوم قد بدلت جميع العلوم على وجه أرضنا، ولم ينسب للملوكنا قط

القتل، والغارة، والغدر، ولو وقعت مخالفة بين ملكين فإما أن يكونا صاحبي دين فسوف يقطعان دابر أصحاب الفساد بالغارة والقتل ، وإن يتركوا سبائا لهم حتى لا يسموا بالعبيد والرقيق ، ويأمران بعمارة المدن ولا يسنان الجباية على الرعية من أجل الغنيمة، والحرص على المال ، وهوى مرادهم، ولو وقعت بينهم خصومة يحتكمون إلى الحق والشريعة، والحجة ولو كان ألف رجل من جيشنا أمام عشرين ألف رجل من الأعداء فلن يكون سوى النصر والظفر عليهم، لأنهم لن يكونوا بادئين بظلم ولا حرب ولا قتل، وقد سمعت عن "أفراسياب" الترك الذي قتل "سياوش" بالغدر والحيلة ، وقد وقعت بيننا وبينه مائتا موقعة ظفر عليه أصحابنا جميعاً حتى قتلوه مع قاتلي "سياوش" وفتحوا جميع أقاليم الترك ، واليوم أقر ملك الملوك بفضلته وطاعته وأرسل الخراج وألقى عليه وعلى حشمه الظل وحفظ أشياعه من تعرض حشمه ، وبعد ذلك وقف الجميع على هذا الرأي انشغل الناس بغزو الروم، والصراع مع هؤلاء القوم وحتى لا تتحقق عداوة دارا من الإسكندريين فلا يعمرهم الخزائن وبيت المال، ولا يسبون ذراريهم ولا يعمرهم المدن التي ضربها الإسكندر في فارس وفرض عليهم التزام خراج يؤدونه على الدوام لملوكنا من أرض الأقباط والسوريين حينما صار "بختنصر" إلى هناك وقهرهم، وكان "العبرانيون" قد استولوا على هذه الأرض في العهد القديم، والآن الهواء كان سيئاً والماء غير طيب والأمراض المزمنة لم تترك من رجالنا هناك شخصاً ما ، فترك تلك الناحية من ملك الروم وامتنع بالخراج وبقي على هذا القرار حتى عهد "كسرى أنوشروان"، أما ما ذكرته من أحوالك والجماعة التي معك في "طبرستان" (وقد شواركر) فليعلم أنك رجل من أهل الدنيا وما تستطيع فعله يفعل الآخرون فإن فعلت خلاف ذلك مع كل الدنيا فلن يأتى شخص يفعل ذلك .

والأمر الذى أبديته من أن لى قرابة وصلة مع المليك "أردشير بن إسفنديار" والذى يلقبونه بـ "بهمن" وأجيبك على هذا بأن أردشير الأخير هذا أعظم قدرا عندي من أردشير الأول فإن كنت تريد أن تكون من أهل بيت الأم والأب ويرتبطون بك فاطلب شخصاً يكون أفضل منك بخصلتين ، ولا شك أنك تستطيع أن تجده - وإنك واجده - لكن ليس كل ما يسبقك بخصلة أو خصلتين يكون على شاكلتك: فإن كان الأمر كذلك لجاز أن ترجح الحمير على الخيل، لأن حافر الحمار أصلب من حافر الحصان كما أن

الحمير أصبر على العناء، أما ما هو موضع اعتبار الجمهور من الأعمال والخصائص والفضائل فهو الأغلب الصحيح لا الشاذ والنادر الذي يعد لغواً، ويجب عليك أن تقبل نصيحتي وتحفظ بمروءة نفسك وتسرع إلى الخدمة وقد رغبت في ألا أجيبك عما تكره الجواب عليه وفيه ما فيه من العار، ولقد فكرت مرة ثانية فيما لو أنك ترى أشياء أخرى خلافاً لهذه الصورة التي حسبتها من أفعال وأحكام الملك وقد أثارت إليك العجب فلا يجب عليك أن تعجب من هذا، فالعجب إنما يكون من طريقة فوزه بملك العالم بمفرده مع أن جميع الأرض تموج من الأسود الضارية، ولقد انقضت أربعمئة عام كانت الدنيا مملوءة بالسباع والوحوش والشياطين الذين لهم صورة البشر المجردين من الدين والأدب والثقافة والعقل والحياء، ولم يصدر منهم شيء سوى خراب وفساد الدنيا وتحولت المدن إلى صحراء والعمارة إلى خراب فأوصلها في مدة أربعة عشر عاماً بالحيلة والقوة والكناية إلى ما عليه الآن؛ بحيث جعل جميع الصحراء مياهها جارية وأقام صرح المدن فظهرت القرى والرساتيق بما لم تكن عليها قط طوال أربعة آلاف عام من قبله مما أوجد العمار ومعمريه من البشر، وأمر بتعبيد الطرق ومن القواعد والقوانين في المأكل والمشرب والملبس في السفر والإقامة فلم يرفع يده عن شيء قط حتى وثق أهل الدنيا في كفايته، ولقد أبلغ كل شيء نهايته، ولقد حمل على الزمان القادم ولمدة ألف عام بعده للحيلولة دون وقوع خلل ولقد كان احتفاؤه بأمر الدهر القادم واهتمامه بمصالح من سيأتون من بعده أبلغ من عنايته بعهدده المبارك، ولصلاح أمر الخلائق المعاصرين له أثر بالغ في صحته الشخصية ونفسه، وكل من ينظر في أعماله في الأربعة عشر عاماً يرى فضله وعلمه وبيانه وفصاحته وعظمته ورضاه وسخاءه وحياءه ودهاءه وذكاءه، ويدرك ويقر بأنه منذ أن كورت القدرة المبدعة لهذا العالم هذا الفلك المقوس لم يكن للأرض ملك في استقامته، كما أن باب الخير والصلاح الذي فتحه على الخلائق سوف يظل، ولولا أننا نعلم أنه بعد ألف عام سوف يحدث في الدنيا اضطراب وفوضى لبعث الناس عن وصاياهم، وسوف يحلون كل ما عقده وسوف يعقدون كل ما حله، لكننا قلنا إنه حمل هم العالم إلى الأبد، ويجب أن تكون من أهل ذلك، ولا تعن العناء فيحل بك ويقومك سريعاً مثلاً قال الحكماء :

(وإن الفناء مكتفٍ من أين يعان وأنت محتاج إلى أن تعين نفسك وقومك بما يزينك في دار الفناء وينفعك في دار البقاء) واعلم الحقيقة أن كل من يهمل السعى ويتواكل على القضاء والقدر سوف يصير ذليلاً وحقيراً ، وكل من يسعى ويجرى في السعى ويكذب القضاء والقدر يكون جاهلاً ومغروراً ، ويجب على العاقل أن يسلك بين السعى والطلب ولا يكتفى بأحدهما لأن القدر والسعى مثل متاع المسافر على ظهر الدابة لو أن جانباً منهما أثقل من الآخر يهوى المتاع إلى الأرض وينفصل عن ظهر الدابة ويتعب المسافر ويتخلف عن مراده ، ولو كان الجانبان متساويين فلن يتعب المسافر وتستريح الدابة وسوف يصلون إلى المقصود ، ويقال إنه كان ملك في قديم الأيام يدعى (جهنل) كان له مذهب في القدر يبين في الغلو والتعصب، وكان يقول:-

ولن يمحو الإنسان ما خط حكمه وما القلم المشاق في اللوح رقشا (١)

وقد أنكر أهل الزمان وأهل عهده مذهبه وطريقته حتى إن واحداً من إخوانه نازعه واستولى على الملك منه، وأخرجه من تلك الولاية هو وأولاده فالتحقوا "بقيرانشاه" وظلوا في خدمته زمناً بلا كرامة، ولم يسع في طلب الملك، واعتمد على القضاء والقدر إلى أن بلغ الأمر حداً أصبحوا معه عاجزين عن كسب القوت فأتى أولاده إليه وقالوا: إن اعتقادك في القدر جعلنا بلا قدر، وذلت نفسك، وخسست طبعك، وساعت رؤيتك على هذا مثل الجمل من جبته يستطيع طفل ذو عشر سنوات أن يضع على ظهره الحشيش ويضع السرج في أنفه ويطلقه إلى الأسواق، ولو كان الجمل به قلب عصفور لما استطاع الطفل أن يذله كل هذا الذل، وساقوا في هذا قصة لأبيهم صارت مثلاً لدى أهل العلم قالوا: إن في وقت ما، كان أعمى في قرية من القرى المجاورة للصحراء ولم يكن له قائد كي يتجول به ، ولوازم حياته غير مواتية بأي وجه قط، وبجانبه درويش مقعد مثله، وكان يُحضر إليهما كل يوم رجل زاهد لقمة، ويتركها لهما وصارا يعيشان من ذلك الأمر حتى كان اليوم الذي انتظراه فيه في وقت الأصيل ولم يحضر الزاهد فقد حل أجله ومات، ومر يوم واثنان والعاجزان قد بلغا الموت جوعاً، ففكرا بأن يأخذ الأعمى المقعد على كتفيه، ويكون المقعد دليلاً، ويمشيان في المنازل والأسواق ودبرا أمر

(١) لن يبذل الإنسان ما كتب القلم، وما جاء في اللوح فحكمه سائر عليه (المترجم) .

معيشتها بهذه الطريقة واستراحوا بتحقيق مرادهم، قال جهنل لأبنائه: أنتم على صواب وإنى تارك العرش واتفقوا على تحمل المشاق فى طلب الملك، وبالكفاح تحقق لهم مرادهم .

وأعجز الناس ملغى السعى متكلاً على الذى يفعل الأقدار والقسم
لو كان لم يغن رأى لم يكن فكر أو كان لم يجد سعى لم يكن قدم (١)
ويجب على ملك وابن ملك طبرستان أن يقبل عذرى، فقد ملكتنى الشجاعة
كثيراً، وإن أجز لك حقوق أبى وعظمة الأسرة وأحيد عن النصيحة فى شىء وأتعلق
بالنفاق والتلق والرياء والرفق.

ولست بزوار الرجال تملقاً وركنى عن تلك الدناءة أزور
يثبطنى عن موقف الذل همة إلى جانبها خد السماك معفر (٢)

وإلى هنا ينتهى كلام ابن المقفع والسلام ، إلا إننى قرأت فى الكتب أنه حينما قرأ
"جشنسف" رسالة "تنسر" مثل إلى خدمة "أردشير بن بابك" وسلم له التاج والعرش
وبالغ أردشير فى تقريبه وترحيبه على نحو ما يجب أن يكون وبعد فترة عزم "أردشير"
على الذهاب إلى الروم فأعاد إليه ومنحه طبرستان وسائر "قدشواركر" وبقي ملك
"طبرستان" بين أسرته حتى عهد "كسرى المظفر"، وحينما جلس "قباد" على العرش
أغار الأتراك على "خراسان" وأطراف "طبرستان"، فتشاور "قباد" مع الموابدة وبعد
المشورة أقروا بأنه يجب على الملك أن يرسل أعظم أبنائه الذى يسمى (كيوس) إلى
هناك لأن طالعه موافق طالع تلك الولاية وتمضى قصته فى طريقها.

أما أساس سياسة آل ساسان وقواعد سنن «أردشير بن بابك» كانت فى ازدياد
حتى عهد «كسرى أنوشروان» طالما كانت أقدارهم مواتية وقدرتهم متضاعفة بنضرة

(١) أعجز الناس المتكل بلا سعى ولا عمل ولا فكر فلو لم يكن هناك فكر لما خلق الله العقل ولو لم يكن
هناك سعى لما خلق الله القدم (المترجم) .
(٢) لا يزور أحد تقريباً وتملقاً فهو يترفع عن هذا ، وله همة تمنعه من موارد الذل وكذلك سيف معفر
بجوارها (المترجم) .

وإحكام ورونق وعظمة وحينما وصل الملك إليه استطاع أن يعلى منارة قدره وأن يرفع شعار ذكره بما أفاضه من عدل وبما له من صائب رأى ونشر للجود بحيث حظى بشهرة كاملة على ألسنة الخواص والعوام بما لا يحتاج إلى بيان برغم من أن دولته تضع على كتفها شعار مذلة الكفر.

روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه^(١) سأل رسول الله صلوات الله عليه عن ماذا فعل الله بكسرى وقيصر، فقال : سألتني عما سألت عنه أخى جبريل .

فقال جبريل: هممت أن أسأل الله عز وجل عن ذلك ، فإذا النداء من تحت العرش ما كنت لأعذب بالنار ملوكاً عمروا بلادى ونعشوا عبادى ، وعدلوا فى الرعية.

اعدل فى مجال ولاية القلوب يطرق العادل باب النبوة وحينما عدل الكلیم فى رعايته للأغنام، وهب الله الكريم النبوة .

رغم عز وجاه بنى أمية وسائر الظلمة فلم يكن ملكهم يساوى عشر ملك الأكاسرة، وشؤم الظلم الذى اقترفوه أوصلهم إلى أن يلعنوا ويسبوا متى جرى ذكر اسمهم على كل منبر ومحراب ودفتر وكتاب ، ويقطع بأن قسوة قلوبهم كانت سبباً فى شقائهم فى الدنيا والآخرة .

سمعت هكذا أن عُمَرَ بالفضل الربانى بدل أهل فارس من العزة والجاه إلى الذلة والقلّة وقهر الجبروت الكسروى والخابقانى وبات معلوماً للعالم أن (الله العزة وارسوله والمؤمنين) وقد أرسلوا القادة والعظماء الذين كانوا فى ديار العجم إلى طيبة مدينة الرسول صلوات الله عليه ، وحينما رأوا كبار الصحابة وعتره الرسول عليه السلام ووقفوا على آثار وأخبار المعجزات وفضل ودلالات النبوة وتأكد لديهم أن ما وصل إليهم ليس من صنع بشر ، وإلا فهى العرب بعينها التى ألقى كسرى بسيدهم وسندهم النعمان بن المنذر تحت أقدام الفيل، وكل يوم كان يجتمع عظماء الفرس فى مسجد الرسول الذى فيه هبط الوحي وفيه يرقد مبین الحرام والحلال، والصحابة رضوان

(١) "لم أجد تخريجاً لهذا الحديث فى الصحيحين" (المترجم) .

الله عليهم كانوا يسألونهم عن حكايات ملوك فارس ومذهبهم وطريقتهم ومطلبهم ،
وذات يوم سألوا واحداً من الهرايذة والموابدة، عمن كان أفضل ملوككم، فأجابوا بأنه
صاحب الفضل والسنن والحج والحكم والتقدم « أردشير بن بابك » وأحصى من
فضائل أردشير كثيراً حتى وصل فى كلامه إلى ما وقع فى عام قحط حين كتب الرعايا
إليه قصة يشكون من إمساك المطر (الغيث) فأصدر أمراً إلى وزيره بأن :

(إذا قحط المطر جادت سحائب الملك ففرق بينهم ما فاتهم).

ووهب نفقات أهل الدنيا من الخزانة، ويأتى بعده الإمبراطور كسرى الذى يقترب
عهده منكم فى تقوية مذهبهم وقمعه للبدع أثناء الغزو وقال لوزيرهم: اعرض الخزانة ومن
كنوز البيت وأعط للحشم ما يكفيهم من الدراهم، واقتل الوزير لأمر الملك وعاد وقال:
يلزم آلاف آلاف الدراهم حتى تكتمل (الخزانة) فأمر بأن يؤخذ من التجار والأغنياء
على سبيل المراجعة حتى ترتفع ريعها وقت سدادها، وفى الحال استدعى الوزير رجلاً
من تلك الجماعة كان موصوفاً بالأدب ومعروفاً بقول الصدق، وتباحث معه فى هذا
الأمر، وقام الرجل وقبل الأرض بشفة الأدب ورفع عمامة التكبر عن رأسه ووضع قدم
التواضع ، وقال : لو يجيز ملك الدنيا للعبد أن يتفوه بكلمة ويحظى بسمع القبول ويبذل
العبد ما يتمناه سوف أوصول هذا المبلغ بلا ربح إلى خزانة الملك ويؤدى خدمات أخرى
إلى منزل ملك الدنيا، فقال الوزير : لو تصدق القول تحظى بالجواب، فتحدث شاه بنذر
التجار بدعاء من قبله ثم ابتداء حديثه قائلاً : هكذا ترى شمس حياتى سوف تأفل فى
شرفة القصر.

تفوقت إخلاف الصبى فى خلاله إلى أن آتانى بالفطام مشيب

وواهب المنن قد أفاء على بالكثير الذى لا أستطيع حصره ولم يكن لدى فى هذه
الدنيا سوى ولد ، ورغم أن الخالق جلت قدرته لم يضمن عليه قط بالعقل الغريزى ، ولدة
ثلاثين عاماً وأنا أجتهد فى تهذيبه أخلاقياً وتأديبه وتعليمه ، وقد أوصلته بالتدريبات
إلى ما لا يبلغه طمع ولا مطمع ولا رأى، ولو أن الوزير يعرض على الملك حتى بعد أن

يخضع لاختبار وتأمل واعتبار وطول ممارسة عما اكتسبه فإن وجد فيه الاستقلال والأهلية يضع اسمه بين أهل الدرجات ، والوزير من صلاح حاله ونور قلبه أخذ يسوق الحديث إلى السلطان من أوله إلى آخره، فأمر الملك بأن:

أولاد السفلة إذا تأدبوا طلبوا معالي الأمور فإذا نالوها ولعوا ببذل الأشراف والأحرار والوضع بأجلة الكبار ، وإنى أصون أعراض الأشراف أن يتناولوها السفلة والأشرار: يعنى أن أبناء الأحقار إذا ما تعلموا العلم والأدب والكتابة طلبوا المهام الكبيرة وإذا ما ظفروا بها سعوا إلى ذل الأشراف والأحرار والوضع بأجلة العظماء وإنى أصون أعراض الأشراف من أن يتناولوها السنة السفلة، وقد نظم واحد من العظماء هذا المعنى فى شكر أنوشروان.

له در أنوشروان من رجل ما كان أعلمه بالدون والسفل
أبى لهم أن يروموا غير حرفتهم وأن يذل بنو الأحرار بالعمل
من باع تبناً أبىه فليبعه ولا يبع سواه فيدينه إلى الوهل

وعندما سمع الوزير كلام الملك أخبر التاجر وعاد الرجل حزيناً ومهموماً وجاء إلى بلاط الملك مرة أخرى فى الصباح بكثير من الهدايا وخدمات لا تحصى ووقف فى مقامه ودعاه بدعاء لائق ، لو لم يحظ تمنى الأمس بالقبول وكان طريقه مسدوداً، فلا ذنب لى أن حنظلت نخلاتها، فماذا يحدث بأخذ نفس المال من العبد وتحضر القدم المباركة التى تطأ مفرق الشمس إلى منزل العبد فأجابه الوزير قائلاً : هذا يتعلق بى "ولو دعيت إلى كراع لأجبت"^(١) وفى الغداة توجه الوزير وأعيان الملك إلى منزل التاجر، وكان قد أنفق ببذخ فى تلك الضيافة لى يبقى اليوم تاريخاً ، وعندما حل الليل بعد ذلك جلسوا إلى مجلس الشراب "وإنما الليل نهار الأديب" وأمر التاجر بأن يحضروا الشمعدان فى مواجهة وزير أنوشروان ويضعوه على الأرض، وفى الحال أقبلت هرة ورفعت بيديها الشمعة على رأسها فلما رأى الوزير هذه الحالة أدرك أمر التاجر من هذا كله، لى يعرفه بكفأته وأن الحيوان الوحشى الذى فى نفسه الناطقة أصبح مؤدباً

(١) أخرجه مسلم من حديث محمد بن رافع « كتاب النكاح الجزء الثالث الحديث رقم ١٠٤ » (المترجم) .

ومعدوماً برياضة التأديب والبن متميزاً بما فيه من خصائص الفضل هذه، فكيف يتصور بأن يأتى منه أذى موجهاً لأحد أو لجماعة، وقال الوزير فى الحال لكى يعتمد هذا الأمر منه يحفر فأراً ويظهره للهرة من بعيد وامتلل للأمر ، فلما رأت الهرة الفأر قفزت وألقت الشمعدان فتوسخت رؤوس ووجوه وملابس بعض حاضرى المجلس بالزيت ، وتوارى التاجر فى قصره خجلاً ، فأمر الوزير أن يحضروه إليه وقال لا يوجد شك فى كياسة ولدك ولا فى تدريبك له ولكن مع أول ممارسة له سوف يفعل مثلاً فعلت هذه الهرة المربية المهذبة المجربة، والمثل المشهور.

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان^(١)

ولو لم يكن للحسب والنسب فى الشرع والرسم رتبة لكان صاحب الشرع الذى علمه من شعاع نور عالم الغيب بخلاف سائر علوم أهل دنيا الكون والفساد قد أصدر فتوى، انظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس ، وآخر تخيروا لنطفكم .

إذن أصبح معلوماً من جهة العقل ومن جهة الشرع أن حسب الناس له أثر عظيم، وقليل الفضل يصادق على ذلك ، ولو أن الحقير بسبب قصور عقله وخساسة أصله يرى فيه عكس ذلك ، مثل الكلب الذى يقف على حافة مياه ويظن أن صورة القمر فى البئر ويتخيل من جهله أن محله وبرجه فوق القمر مع أن القمر فى الفلك ، فلا كان لأبناء الإصرار أن يحطموا عهدهم ويمينهم فى الوفاء والقناعة بسبب كثرة الأحقار، فليس كل من يرى الكلب بالقلائد المصرية الأصيلة والفروة الطلية الرومية يشتهى أن يكون كلباً مثله ، الكلب كلب وإن كانت قلادته صفر الدنانير أو حمر اليواقيت (٢) .

ومعروف أن السامرى صنع عجلأ ذهبياً لكن لم يخرجه ذلك عن كون اسمه العجل الذهبى .

(١) ورد هذا البيت للمتنبى فى مدح سيف الدولة، وتخريج البيت "لولا أن ميز الله الإنسان بالعقل لكان أقل حيواناً أشرف منه" (الترجم) .

(٢) الكلب فى ذاته كلب حتى ولو كانت قلادته من الذهب أو الياقوت (الترجم) .

إن الحمار ولو يحول فضة أو صيغ من ذهب لكان حماراً (١)
والعرق نزاع (٢) فى أبناء الناس وسلطان قناعتهم ولا تخضع الرقبة إلى الفلك
خاصة لكل حقير من ذلك ، ومعلوم أن ليس للإنسان حق على بنى آدم أكثر من حقه
على نفسه، وحينما يكون قضاؤه عندك فى رضا المملكة:

فعيشك فى الدنيا وموتك واحد وعود خلال من بقائك أنفع (٣)

والأنبياء والأولياء والشهداء والحكماء بذل بعضهم روحه من أجل العزة وإثبات
حق النفس، واختار البعض الآخر العفة والقناعة ولم ينظروا إلى عراقة أصل ولا
لتتمتات (الحواشى) وسلكوا فى ظل الصبر والتحمل منزلة لأن الله يعين الصابر، ولا
غالب له والصادق آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورضى الله عنه حيث يقول ما
ارتج أمر أحجم عنه رأى وأعيت فيه الحيلة إلا كان مفتاحه الصبر.

من اقتدى بدليل الصبر أورده على حياض من الخيرات تحمدها
كل الخصال من الآداب نافعة لكنها تبع والصبر سيدها (٤)

وكل إنسان يضع جوهر حسبه ونسبه وفضله المكتسب فى كفة عدم المروءة
وفى الميزان سهم يزن الخسارة ، ويعد نفسه فى زمرة أهل الجهل ولا يبالي
بعاقبة الأحقار عليه.

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستح (٥) فاصنع ما تشاء

وإذا - وأعوذ بالله أن تتم - يتحول القوس ركوة إلى عصر الأحقار والإمام نظم
نفس هذا القول :

(١) الحمار فى بلادته هو الحمار حتى ولو كان فضة أو ذهباً .

(٢) ورد فى الأمثال للميدانى دون تخرج "الميدانى - ج ٢ ص ٥٥ .

(٣) "يقول لمن يخاطبه لا خير فى حياتك أو موتك فلا نفع فىك، فالعود من خلال أفضل منك".

(٤) الصبر مفتاح الفرج وباب كل خير ينفع الإنسان، وإن تكن الآداب الحسنة نافعة فالصبر سيدها .

(٥) هذا البيت من الأشعار التى جرت مجرى المثل وقد أورده الميدانى فى مجمع الأمثال وتخريجه " أى من

لم يستح صنع ما شاء "الميدانى. ج ١ ص ٢١١ (المترجم) .

وإني رأيت الجَهِل يحظر بأهله كما كان قبل اليوم يسعد بالفضل^(١)
واعلم أن مثل القضاء والأجل مقدر ومؤقت والرسول صلوات الله عليه يقول: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(٢) وهذا يعنى أن مصاحبة الأخساء الوضعاء مثل الشخص الذى يأتى من الحمام وليباسه معطر وطاهر فيأتى ويخالط من يقوم بخصى الكلاب فعندما يعود إلى منزله لن يجنى سوى تمزيق ثوبه وجرح جوارحه ، واعلم أن نوى الأصل الحقيق لن يصل إلى مكارم الأخلاق ولو بألف سلّم ولن يجنى حتى قيام الساعة سوى الندامة كملتمس إطفاء نار بنافج .

إن السعى والجري وخدمة الإنسان، لن تضيف ذرة إلى قيمة الإنسان.
الحمد لله الذى عافانا من هذا، سمعت هكذا أن الأصمعى بن عبد الملك بن قريب قال ذات يوم للشاعر العتّابى الفضل بن الربيع : إني أراك عند أمير المؤمنين بالملابس الخشنة لماذا لا ترتدى الملابس اللائقة ؟ فقال : (أصلحك الله ليس المرء من ترفعه هيئة بماله وجماله وإنما ذلك حظ النساء، لكن المرء من ترفعه صغرياه وكبرياه لسانه وقلبه وهمته ونفسه) .

إن رفعة وعظمة المرء ليست بالمال والجمال وإنما ذلك شأن المرأة تظهر عظمتها بالزينة والملابس وهذا نصيبهم من الدنيا، لكن عظمة وحشمة الرجال فى أمرين صغيرين وأمرين كبيرين، هم اللسان والقلب والهمة والنفس والحب والأصل.
فكم من سيوف جفنهن ممزق وكم من ثياب تحتنهن تيوس ومعنى هذا البيت أن كثيراً من السيوف الهندية البتارة تعادل قيمتها الذهب ولا يقلل من شأنها أكان غمدها ممزقاً ، لأن ذلك لا ينقص من قيمتها وقت الاستعمال، وكم من قبعة وعباءة وعمامة وجبة تحتوى فى داخلها على نفس بعقل تيس لأن عملها ورؤيتها وقدرتها وقت التجربة ناقص، واعتبار شرف النفس الإنسانية لا يقدر بالمال .

(١) هو الآن يرى الجَهِل يرفع شأن الجهلاء كما كان فى الماضى يرفع الفضل أهله (المترجم) .
(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسند ٥ ، ٢ ، ٩٠٥ ، وأبو داود فى سننه فى كتاب اللباس - باب فى لباس الشهرة (١٤٤/٢) رقم ١٢٠٤ من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وصحح إسناده أحمد شاكر فى مسند الإمام أحمد رقم ٤١١٥ والألبانى فى سنن أبى داود ١٦٧/٢ رقم ١٠٤٣، وإرواء العليل رقم ٩٦٢١ ، ٥ ، ٩٠١ وصححه فى صحيح الجامع رقم ٥٢٠٦٠ (المترجم) .
(٣) يجرى هذا البيت مجرى المثل والشاعر يرى أن لا يغتر الإنسان بالمظهر، فكم من سيوف تحسبها بالية وهى بتارة وكم من ثياب فاخرة تحوى أشباه رجال ماتت فيهم الغيرة (المترجم) .

لو لم يمل المال إلى الحمير، لما وجدت حلقات (فروج) البغال فرصة خلاصها .
لماذا يجب على العاقل أن يرتكب الأهوال في سبيل اكتساب الأموال، لأن شيطان الطبيعة يخدع سلطان الشريعة وعلى قدر معرفته يتوصل إلى قدر ومعرفة الحقير .
ملوك الوري لا أقبل التبر والكبرا ولا أحضر القدر التي تذهب القدر
فلا تخذعوا بالبيض والصفير قانعاً يرى بيضكم بيضا وصفركم صفرا (١)

هكذا سمعت أن حاتم الأصم لم يكن شخصاً من أبدال المتأخرين ، وكان يأتي إليه من أقطار العالم الصوفية والعارفون في طلب العلم والحكمة ، وكان لا يجيب على أى سؤال ما لم يعطه الله تعالى قوة جوابه ، وفي عام من الأعوام عزم على أن يذهب إلى موضع ما وكانوا يطلقون على ذلك المكان رباط فسأل العجوز التي كانت زوجته كم نفقة لديك ؟ فأجابته على الفور : حتى نهاية العمر ، فقال الشيخ : ومن يعرف نهاية العمر، فقالت : أيها الشيخ ، إن علم الرزق يكون هكذا، قال حاتم الأصم : (بعد ذلك حققتني العجوز، حققتني العجوز) وعلى هذا النحو حدث مع الشيخ أبي يزيد البسطامي رحمة الله عليه أنه ذات يوم كان يمدح واحداً من مريديه عند عالم، فسأل العالم : من أين كانت معيشته ؟ فقال : يا يزيد إني لا أشك في الخالق حتى أسأل عن رزقه فخجل العالم، ويقول عن أبي سعيد بن خراز إنه قال وقت أن ضاع بنو إسرائيل وكان ذلك في الطريق إلى مكة ووصل إليها بعد جهد شاق وكنت مستحسناً العطش والجوع وحدثت نفسي أن أطلب من الله رزقا وقلت : كيف سأطلب شيئاً هو قد تكفل به ؟ وقلت : إذن أطلب القوة حتى أنشغل بها فسمعت صوت الهاتف :

أيزعم أنه مننا قريب وأنا لا نضيع من آتانا
ويسألنا القرى عجزاً وضعفاً وكأنا لا نراه ولا يرانا

والحكيم سبحانه وتعالى يفرض للمخلوقات ما فيه صلاح الأمر، وتصديقاً لقوله : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » (٢) وتفاوت الأرزاق والأجال متعلق بحكمته وعلمه، وبعضها على سبيل الاختيار والبعض الآخر على سبيل الاختيار والتوجه والحجة .

(١) يعتز بنفسه لا يقبل ذهباً ولا علواً ولا يحضر موائد تحط من شأنه (المترجم) .

(٢) الحجر الآية رقم ١٢ .

وقرأت هكذا أن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى المزني وابن عبد الحكيم المصري كانا من تلاميذ الشافعي، وكلاهما كان مساوياً في الجاه والمال، انشغل المزني بالزهد في الدنيا، وابن عبد الحكيم تولى القضاء في مصر، وذات يوم كان المزني يمر بولاية مصر وكان المطر يتساقط آنذاك والأرض تكونت بها برك ومستنقعات وحدث اضطراب في الطريق، فلما نظر المزني رأى ابن عبد الحكيم في وسط كوكبه مطأطئ الرأس، "وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون" ^(١) بعد ذلك رفع رأسه وقال (بلى نصبر بلى نصبر، وما عند الله خير للأبرار) ^(٢) والحق سبحانه وتعالى يقول، (وفي السماء رزقكم وما توعدون) ^(٣).

سئل أحد العلماء:، لماذا الحق جل جلاله قد حول أرزاق العباد إلى عالم الغيب، وبيننا وبينه مسافة كثيرة لن يتيسر الوصول إليها بجهد البشر؟ ^(٤)، فأجاب بأنه علم أن لا بما سيكون عليه أخلاق بني آدم وطغيانهم وكفرهم وإصرارهم واستكبارهم، ولو لم يكن العجز والمسكنة في أسباب رزقنا لاغتررنا بحولنا وقوتنا وعلمنا وحكمتنا، ولن نرفع الرأس إلى السماء إلا عن تكبر ولن نضع قدماً ثابتة على جادة العبودية مثلما فعل قارون وفرعون (قال إنما أوتيته على علم) ^(٥) وفرعون قال (أليس لي ملك مصر) ^(٦) ويروي عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه، أن قال تعالى (إني سخرت المال لقارون فطغى والنيل لفرعون فبعثنا فلو جعلت أسباب الأرزاق لهم بحيث تناولها الأيدي وتبلغها أفهام أولى العلم لها دعوا أنفسهم شركائى فيما خلقت) وقد ورد في الأخبار أن الله عز اسمه حينما خلق آدم مزج في طينته الحرص والطمع، وسيبقى ذلك في أعقابه حتى يوم القيامة، والأنبياء والأولياء الذين تميزوا بالتأييد الإلهي وترف العقل قد بذلوا جهداً كبيراً حتى يختفى منهم ذلك، ولأننا قد خلقنا بأوباش الطبيعة والخرافات فقد وضعت فضيحة الحرص والأمل على الجمل وطاف بها العالم ولا يلزم الخوف من ذلك، فإما أن نموت من الجوع أو أن نحترق من العرى وحسنا قال

(١) أورد الكاتب "وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً" الفرقان الآية رقم ٢٠٢.

(٢) آل عمران الآية رقم ١٩٨.

(٣) الذاريات الآية رقم ٢٢.

(٤) القصص الآية رقم ٨٧.

(٥) أورد الكاتب الآية ناقصة الصدر والعجز "ونادى فرعون في قومه قال يا قومى أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون." الزخرف - الآية رقم ٥٠.

الشاعر : لا صبر لك على الحر والبرد هكذا، من لحظة الميلاد إلى لحظة الوفاة نحترق بالحر ونموت من البرد، فقد أصبحت كاذباً قحبة الأخت والزوجة.

(فورب السماء والأرض إنه لحق مثلاً أنكم تنطقون^(١) .)

ويروى عن عامر بن عبد قيس أن لو جرد من الدنيا بأسرها فلن يعتريه خوف لاعتماده على ثلاث آيات في كتاب الله تعالى جل جلاله قالوا ما هي قال أولها (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها^(٢)) ، وثانيها (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)^(٣) وثالثها (وإن يردك بخير فلا راد لفضله^(٤))

ويقال حينما أمر الرسول صلى الله عليه وآله الصحابة بالهجرة إلى المدينة ، فقالوا يا رسول الله ليس لنا في المدينة مال ولا عقار فكيف تتأتى معيشتنا فنزل الوحي. "وكأين من دابة لا تحمل رزقها"^(٥) والرسول صلوات الله عليه وآله قال للزبير بن العوام (يا زبير إن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله تعالى إلى كل عبد على قدر نفقته فمن وسع وسع له في رزقه ومن قتر قتر له^(٦) .

وروى عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: لا تدخر للغد شيئاً من المأكولات قط وقال لا تهتموا لغد فإن الله يأتي برزق كل غد، وذات يوم جاءت له ثلاث بيضات هدية فجاء خادمه بواحدة وترك الباقي للغد فقال ألم أنك أن تخبأ شيئاً للغد إن الله يأتي برزق كل غد.

(١) الذاريات الآية رقم ٢٣،

(٢) "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين" هود/٦.

(٣) سورة فاطر، آية ٢.

(٤) "وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وأن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم" يونس / ١٠٧

(٥) "وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم" العنكبوت/٦٠.

(٦) أخرجه الدارقطني في الأفراد عن أنس بلفظ " إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش فينزل الله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن أكثر كثر له ومن قل قل له (وفيه عبد الرحمن بن حاتم الراوى قال الذهبي ضعيف والوادى ومحمد بن إسحاق وقال الألباني في الجامع/١٩٠٢ / رقم ١٩٨٠ ضعيف جداً.

و ذات يوم تجمعت نساء عفيفات بالحجرات، وكانت فى اثنتى عشرة مجرة لكى
تطلب من الجميع شيئاً يسد الجوع ولم يأت شخص قط إلى المسجد شاكراً للنعمة
وذاكراً للحمد الربانى وجاء فى اليوم التالى سائل إلى باب منزله فأعطاه حبة التمر
وقال "هناك ولم تأت بها أتنك « وفى الحديث « إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه أجله » (١).

إنى لأعلم والأقدار جارية أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

سمعت أن سفيان الثورى كان يمر بالكوفة فرأى وجهاً جميلاً لشيخ من كتاب
أمرء الكوفة ، فقال أيها الشيخ فلان وفلان أنت كاتب الأمير وتعلم أن أمرك أسوأ فى
ثلاثة مواقف ستكون موقوفاً حينما يحاسب واحد الآخر، حتى يدفع أحدهما بالآخر
فبكى الشيخ وقال ماذا أفعل أعبد الله وعندى عيال لابد من قوتهم فقال سفيان اسمعوا
أيها المسلمون عذر الشيخ يعصى ربه من أجل رزق العيال، ويفسد الطاعة وقال بعد
ذلك يا صاحب العيال ليس لعذرك ملامة أسوأ من هذا فهم يقولون (يا مبتغى العلم لا
يشغلنك أهل ولا مال عن نفسك فإنك تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت من عندهم إلى
غيرهم تاركا الدنيا والآخرة كمنزلة تحولت منها إلى غيرها ، وما بين الموت والبعث إلا
كنومة نمتها ثم استيقظت منها).

ويقال إن مالك بن دينار كان يمر ذات يوم بالبصرة فرأى رجلاً جالساً على
كرسى ذهبى ويصنع الذهب وكان يعطى جماعة، ووقف عنده رجل ولم يعطه شيئاً
فسأل عنه مالك من هذا الرجل؟ فقال مزارع، يعطى الذهب للأجير ليعمر القصر قال :
لماذا لم تعطه قال أنا عبد وعلى الطاعة وعليه كفايتى .

فبكى مالك وقال "موعظة يا لها موعظة".

ويقال رأوه ذات ليلة بالمنام فسألوا كيف قال فى المنام؟، قالوا لماذا قال ليس شرك
ولا كفر ربما قلت ذات يوم إن الناس يساعدون المحتاجين.

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير وابن عدى فى الكامل وأبو نعيم فى الحلية من حديث أبى الدرداء
رضى الله عنه وسنه الألبانى فى صحيح الجامع ٢٦١/٢ رقم ٦٢٦١ وانظر تخرج المشكاة ١٦٤١/٢ رقم ٢١
٣٥، وفيض القدير ١٤٣/٠ ٤٢/٢ بلفظ إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله ولفظ آخر "إن الرزق
ليطلب العبد كما يطلبه أجله".

ويقال "من جعل أمر الناس إليك".

ويرون أن واحداً شكى لعارف كثرة العيال فأجابه بأن كل من يرزقه الله يطرد من البيت.

ويحكون عن زياد بن الأنعم الإفريقي أنه قال : كنا أنا وأبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني قبل خلافته طلاب علم وشركاء، وذات يوم استضافني في منزله وأحضر طعاماً بلا ثريد وبعد ذلك قال للخادمة : الديك حلا ، قالت : لا ، قال: الديك تمر ، قالت : لا ، فتنفس الصعداء: وقرأ هذه الآية "عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض" (١) وبعد مدة صار خليفة فمثلت عنده فقال يا أبا عبد الرحمن أنا سمعت أنك أفدت بني أمية قال نعم استفادوا مني قال كيف كان حكمهم وحكمي قال رأيت في حكمهم ذلك، أنك حملتني إلى المنزل وأحضرت طعاماً بلا ثريد، وتلا آية عيسى حتى آخرها والله قد أهلك عدوك ووهبك الخلافة فانظر ماذا تفعل ولا تضع هذه الآية: "إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى" (٢) لا يوجد سلاح أبلغ من تسوييف إبليس هذا لأن اليوم ترتكب المعاصي وتقول غداً سأتوب.

وقد روى بإسناد صحيح عن أبي حمزة الثمالي أن الإمام السجاد على بن الحسين المعروف بزين العابدين ، قال له : خرجت من مدينة الرسول صلوات الله عليه وآله وكنت واقفاً متكئاً على هذا الحائط أفكر فجاء رجل إلى مرتدياً ثوباً أبيض وقال لي: يا على بن الحسين إني أراك حزيناً أمن أجل رزق الدنيا والله ضامنه وموصله للبار والفاجر، قلت : لا ليس حزني من أجل هذا لأنني أعلم ذلك ، قال : إذن تحزن للأخرة وهي الوعد الحق من حاكم قادر قاهر قال: لا ليس لأجل هذا فإني أعلم أنك على حق قال: إذا لم يكن الحزن من الدنيا والأخرة فلم تحزن قلت: أحزن من فتنة الجهال والاستخفاف برؤيتهم، فتبسم ذلك الرجل في وجهي وقال: يا على يا بن الحسين رأيت إنساناً قط يخاف من الله ولم ينج ، قال لا ، قال رأيت إنساناً قط طلب من الله شيئاً ولم يعطه ، قال : لا ، فتواري في الحال عن عيني .

(١) الأعراف الآية رقم (١٢٩)

(٢) "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى" العلق / ٦ .

ويروى عن أبي حمزة أن جعفر بن محمد الصادق عليهما الصلاة والسلام قال: إن صديقاً من أصدقاء أبي ذر الغفاري رضى الله عنه كتب إليه ، فأرسل لى من طرائف العلم شيئاً فكتب فى الجواب رأيت شخصاً فى الدنيا قد أساء إلى صديقه حتى أفعل ذلك ، قال : نعم نفسك عندك أحب من الجميع وحينما تعصياها فى الله تجازيها وتكافئها حين تفعل معها ذلك .

وقد أخبروا عن الحسن بن حمزة عن أبي سعد بن أبي جعفر محمد بن على المعروف بباقر آل الرسول صلوات الله عليهم أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ذهب إلى المدينة فى وقت إمارته وخلافته ، وأمر بأن ينادى بأن كل من له مظلمة على بنى أمية وسلطانهم فليمثل بين يدى عمر بن عبد العزيز حتى يردّها ما أمكن ذلك ، فذهب محمد الباقر عليه السلام إلى البلاط فدخل مزاحم الذى كان مولى عمر وقال محمد بن على عليه السلام حضر إلى البلاط فأمر بأن يدخلوه وبكى فلما دخل محمد وجد عمراً يبكى فرق له وقال : ما بكأوك يا عمر فقال : هشام أبكاه كذا وكذا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر محمد بن على إلى وجه عمر ، وقال يا عمر إنما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها من خرجوا بما يضرهم وكم من قوم قد خذلتهم بمثل الذى أصبحنا فيه حتى أتاها الموت فاستوعبوا فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا لما أحبوا عدة ولا مما كرهوا جنة ، فقسم ما جمعوا من لم يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم ، فنحن والله محقوقون إن ننظر إلى تلك الأعمال التى كنا نتخوف عليهم منها فنكف عنها فاتق الله واجعل فى قلبك اثنتين تنظر التى تحب أن تكون معك إذا قدمت على ربك فلا تبغ بها البدل ، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من قبلك وترجو أن تجوز عنك ، واتق الله يا عمر وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصف المظلوم ، ورد الظالم ، ثم قال ، ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله ، فجثا عمر رحمه الله على ركبته ثم قال أيا يا أهل بيت النبوة فقال نعم يا عمر المؤمن إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له فدعا بدواة وقرطاس وكتب ما كتب .

ويروى عن عمار بن ياسر رضى الله عنه ذهبت ذات يوم عند أمير المؤمنين "على" عليه السلام وكنت حزينا فنظر إلى وقال الخيرة فتتنفست الصعداء وقال لى : علام

تنفسك يا عمار ، إن كان على الآخرة فقد أخبرك رسول الله بأنك تقتلك الفئة الباغية ، وإن كان على الدنيا فما تستحق أن يؤسى عليها فإن ملاذها فى ست المأكول والمشروب والملبوس والمشموم والمركوب والمنكوح ، فأما المأكول فأفضله العسل وإنما هو قىء ذبابة ، وأما المشروب فأفضله الماء وهو مباح لا ثمن له ، وأما الملبوس فأفضله الديباج وإنما هو من لعب دودة ، وأما المشموم فأفضله المسك وإنما هو فيض دم ، وأما المنكوح فأفضله النساء وإنما هو مبال فى مبال ، وأما المركوب فأفضله الخيل وعلى ظهورها تقتل الرجال ، قال : فوالله ما أسيت على شىء بعدها ، قال عمار بعد أن سمعت هذا الكلام من أمير المؤمنين فلن أحزن على بلاء الدنيا قط وسهل على نفسى أمرها .

ويروى عن أمير المؤمنين على أيضاً : (إذا أردت الصاحب فالله يكفيك وإذا أردت الرفيق فكلام الكاتبين يكفيك ، إذا أردت المؤمن فالقرآن يكفيك وإذا أردت الموعظة فالموت يكفيك فإن لم يكفك ما قلت فالنار يوم القيامة تكفيك) ، ويروون أن الحسن البصرى رحمه الله ورضى عنه مر على قوم ذات يوم كانوا يلعنون الحجاج بن يوسف قال (إن الحجاج عقوبة الله عليكم فلا تستقبلوه بالسب واللعن والشتم ولكن استقبلوه بالدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تعالى والبكاء حتى يكفيه عنكم وقولوا : اللهم حولنا من ذل المعصية إلى عز التوبة وبذل هذه العقوبة بالرحمة) ، كما سمعت من أحد العارفين جاء إلى مدينة خوارزم إن بنى إسرائيل لما جاءهم رسول من الرسل قالوا بأن يقول للحق تعالى : (ما الذى صنعنا حتى سلطت علينا من لا يعرفك وعذبنا بأيدي قوم لا يقرون بربوبيتك ونحن نعرفك ونعظمك) والله تبارك وتعالى أرسل الوحي إلى الرسول بأن يقول لقومه : إني إذا عصاني من يعرفني سلطت عليهم من لا يعرفني .

الباب الثانى

فى بداية تأسيس طبرستان وبناء وتعمير مدنها

وحدود "فرشواندكر" تشمل "أذربيجان وطبرستان وجيل وديلم والرى وقوش ودامفان وتركان"، وكان "لموجهر شاه" هو أول شخص وضع تلك الحدود ومعنى فرشواند هو يا متواضعا "عش سالما صالحا" ويقول بعض أهل "طبرستان": إن معنى (الفرشواند جر) بساط الصحراء. ولها معنى حديث مأخوذ عن "قوهستان كر أو جر" ويعنى ملك الجبل والفلاة والبحر وهذا المعنى محدث ، وقد قال السابقون بحكم أن لفظ (جر) قديما كان يطلق على الجبال من المناطق الجبلية التى يمكن زراعتها ويمكن أن تكون بها أشجار وأدغال لهذا كان يطلق على السوخرايين "جرشاه" ويعنى ملك الجبال، ومازندران اسم محدث بحكم أن مازندران هى حدودها الغربية وكان لمازندران ملك، فلما زحف "رستم بن زال" إليها قتله وقد قيل لمنسوب هذه الولاية "موزاندرون" إذا أن موز اسم جبل يمتد من حد جيلان حتى كلار وقصران وكان يقال له موز كوه ، كما تمتد كذلك إلى جاجرم ومعنى ذلك أن هذه الولاية كانت داخل جبل موز، أما ما يدخل تحت دائرة طبرستان فالمنطقة الممتدة من (دينار جارى الشرقية حتى ملاط) وهى قرية ، ويقال إن رأى هوسم الغربية كانت قديماً غابة كما كانت بها أمواج بحر متلاطم وكانت بها وديان وهضاب فكانت مسكناً للطيور والأسماك وفى بعض المناطق كان البحر متصل بالجبال الشوامخ ، وحتى عهد جمشيد والفرس يقولون إن الشياطين كانت مسخرة له وقد كتب بعض من أصحاب التواريخ أن اسمه "جم المصطفى" ، وقد أمر الشياطين بأن يدكوا الجبال ويجعلونها صحراء ويشقوا بها بحراً ويفرعوا بها الغدران ويوصلوا الأنهار إلى البحر ويعمروا الصحارى ويشقوا فيها المجارى والينابيع وأقاموا لأهل قوهستان القلاع والحصون ، باستثناء "نرد دوان جرفين" فلم يقدرُوا على الذهاب إليها وقد أقيمت فيها القلاع والحصون وأوصلوا مياه الجبال بالبوادى وشق لأهل الصحراء الخنادق وبقيت طبرستان على هذا النسق مائة عام وأكثر، وبعد ذلك أرسلهم إلى الأقاليم السبعة وأمر بإحضار أهل الحرف، وعين

لكل قوم موطنهم وكرم أهل الفضل والعقل والحساب على سائر الطبقات وجعلهم قادة لهم ، إذن لارجان هي أقدم منطقة من مناطق طبرستان، وقد ولد إفريدون في قرية "وركه" عاصمة تلك الناحية والتي كان بها الجامع والمشرق والمصلى وكان سبب ذلك أنه حينما مزق الضحاك المنير جمشيد إربا إربا طرد آل جمشيد من ظل الشمس حتى يضيع ويندثر ذكرهم في العالم عند ذلك لجأت والدته إفريدون مع أتباعها إلى هذا الموضع الذي جرى ذكره في نهاية جبل دنباوند، وحينما خرج إفريدون عن مشيئة قوله (كن فيكون) وبحكم أنها كانت جبلاً غير ذي زرع وضرع فقد انتقلوا إلى حدود "سلاب" ، كان الكلا والعشب في ذلك الصقيع وكان للمقيمين فيه تعيش على منافع ونسل وخراج الأبقار ، ولما تجاوز الطفل سن الرضاع إلى الفطام وانتقضت عليه سبعة أعوام ، فكان يضع الخطام في أنف الأبقار ويركبها بنفسه كأنما شمس أخرى تطل من الثور من انعكاس الأفلاك فوق سطح الأرض ، فلما صار مراهقاً كان فتية تلك المنطقة يلتجئون إلى شجاعته وشهامته لدفع ما يحيق بهم من النكبات وكل يوم كان يركب الثور ويذهب إلى الصيد وسائر الأعمال الأخرى حتى وصل مبلغ الشباب وازدهرت جماعته فتوجهوا إلى قرية "ما وجكوه" وانضم إليه قوم أوميد وأركوه وشعب كوه وصنعوا له حربة على هيئة ثور ، وأصبح هذا الحديث بالتناقل معروفاً لأهل طبرستان بأكمله وجاء إليها الناس تدريجياً من الجهات والأقطار، ولما رأى في العدد والعدة قوة أعلن الحرب على العراق وهكذا اشتهر ، ولما وصل إلى أصفهان وخرج كاهو الحداد وتضامن من معه وأسر الضحاك وأحضره لم يكن إفريدون المربي على البقر، والذي روض المفترس.

ولم يكن قد انتزع ملك الأجداد من بيور اسب، بمعاونة وسعى واحد أو اثنين من القرويين.

وكانت ولادته في إحدى الليالي في أطراف جبل دنباوند وبعث به إلى جبل شاهق قصيداً ومحبوساً عند البئر المعروف، ولما أصبحت الأقاليم السبعة تحت حكمه - إفريدون - جعل من تميّشه موطن استقراره، ولا تزال حتى الآن أطلال قصره شاخصة في الموضع المسمى نصران.

كما لا تزال باقية لقاب كرمواه والخندق المحفور من الجبل حتى البحر، وقد زرتها كلها مرات، واعتبرت بالطواف حولها^(١) وذكر الفردوس في الشاهنامة نظماً:

(١) يوثق الكاتب معلوماته بلفظ زرت أو شاهدت ليضفي مصداقية على تأريخه الأحداث (المترجم).

- إفريدون جعل من تميّشه سعيدة، والتي فيها غابة مشهورة ، موطن استقراره، واشتهر فيها بعمله.

- ويطلقون فى الكتب على ذلك الموضع غابة "نارون" ونهر نارون موجود وعامر حتى الآن^(١) ويستفيد منه الخلائق وحينما زحف كرشاسف إلى الصين، أسر فقغور، وبعث به مقيداً بسلاسل ذهبية على ظهر فيل مع ثمانين آخرين من الملوك على يد نريمان إلى إفريدون.

أما بنيا وسارى والتي هى فى القديم طوس نوذر، الذى كان قائد جيوش إيران قد أقامها فى الموضع الذى يقال له فى الوقت الحاضر "طوسان" وكان الأمر على هذا النحو إذ أنه فى عهد كيخسرو حينما وقعت من "نوذر" خيانة كان قد أخذ جانب "فريبرز كاوس" فلما أصابه الخوف وهرب مع آل "نوذر" والتجأ إلى هذا المكان حتى أتى "رستم بن زال" بجيوش الأقاليم السبعة وأسره وأرسله إلى كيخسرو ، فعفا عن جريرته وسلمه الراية والخف ولا تزال أطلال القصر المشيد والمقر المنيع الذى كان قد أقامه هناك قائمة إلى الآن، حيث يقال لها "لو منى دوين" وهذا الموضع هو ما يعرف حديثاً "بسارى".

"فرخان الكبير"

"فرخان الكبير " الذى يأتى ذكره كان ملكاً على طبرستان ، فأمر باو الذى كان من مشاهير البلاط أن يقيم مدينة فى موضع قرية "أوهر" لعلو ذلك المكان الذى يكثر به عيون الماء والمنتزهات ، فدفع أهلها رشوة له فترك لهم تلك البقعة وأقام المدينة فى تلك المنطقة التى تسمى "سارى" اليوم، وعندما تم تشييدها، حضر الملك حتى يتفقد المدينة وعلم أن باو قد خانه فأمر بحبسه وأن يعلق بقرية على طريق أمل إلى قرية باو جمان ولهذا السبب أطلقوا على هذه القرية اسم "باو أو يجمان"، وأقام القرية بذهب الرشوة وعندما اكتملت أسماها "دينار كفشين" ولا تزال حتى الآن هذه القرية عامرة وموجودة بنفس الاسم.

أما المسجد الجامع لسارى والذى قد أسسه الأمير يحيى بن يحيى الذى سيأتى ذكره فى عهد خلافة هارون الرشيد وأتمه مازيار بن قارن، وأثار عمارة مازيار ظاهرة أكثر، وقبته ذات الأربعة أبواب، والتي قد أقيمت فى مواجهة قصر باوندان، وكان الملك

(١) أى عصر المؤلف.

السعيد أردشير غفر الله ذنوبه قد أقام حديقة غناء فى ذلك الموضع، وكان منوجهر شاه قد أقام فى أحد جوانبها. ميداناً وقبة فى الوسط، وقد حدث بها خلل فى عهد الإصفهيد خورشيد كاوباره فرممها، وليس فى مقدور إنسان قط أن يفصل لبنة من عمارتها بسبب بنائها المحكم.

كانت بداية ولاية رويان ، استندارى فى عهد إفريدون ولما قتل كل من سلم وتورا إيرج وفق ما جاء فى الشاهنامه شرح ذلك بالتفصيل، وكان قد بقى له بيت بمنطقة نفور بما وجكوه التى جرى ذكرها ، وكان إفريدون قد بلغ الهرم بحيث كان يستبقى الحواجب مربوطة بعصابة.

ذهب الشباب وليس بعد ذهابه إلا الذهاب (١)

نسأل الله أن لا يهدر دم "إيرج"، فزوج ابنته لواحد من أبناء أخيه واقترن دعاءه بالإجابة من جراء عدله وإحسانه فولد من تلك الفتاة ولدا فحملوه إلى "إفريدون"، فقال إن وجهه يشبه وجه "إيرج" وسيأخذ بثأره على نحو ما جاء شرح ذلك فى الشاهنامه نظماً ونثراً للفردوسى والمؤيدى ، وعاد "إيرج" مرة ثانية والتحق إفريدون بالدار الآخرة، لم يكن إفريدون ملكاً سعيداً، ولم يكن مخلوقاً من مسك وعنبر ولكنه حصل على الخير بالعدل والعطاء، فافعل العدل والإنصاف كإفريدون ، وزحف ولد "يشنك" من "إفراسياب" بجيش جرار إلى قرى "الدهستان" طلباً للثأر من "مسلم" وكان "منوجهر" فى أصطخر بفارس وبعث رسولاً "لقارن كاوه" مع "قباد" الذى كان أخوه أرش أفرى وأمر بأن يلتقوا عند قرى الدهستان، ولما علم إفراسياب أن جيوش إيران قد وصلت، استنفر، واستطاع بعد عدة هجمات أن يستر ملكه من قارن، وذكر فى الكتب العربية أن أول إنسان عبأ الجيوش فى العالم هو إفراسياب وأن استعدادة هذا كان بأن كتب على لسانه شيئاً لقارن : أن قرأت رسالتك وصار معلوماً ما أبديته من تأييدنا وأتعاهد معكم حينما استولى على ممالك إيران أن أسلم لله، وأبدى مبالغة وتأكيداً فى جلاء هذا الغدر، وجعل الرسل يحملون هذه الرسالة فأوصلوها للحاجب الذى كان عين وموضع ثقة منوجهر، فلما وقف الحاجب على تلك الرسالة وخبر ما بها

(١) إذ ولى عهد الشباب فليس بعده إلا الموت (المترجم) .

وكان متأذيا من قارن أيضاً ، بعث بها فى الحال إلى "منوجهر" ومع الهيبة التى كان عليها فقد جرى أمر القضاء، وأجاب بأن يبعثوا بقارن مقيداً ويمثل فى البلاط، ويسلم قيادة الجيش إلى "أرش" ، فلما حملوا قارن وتغلب إفراسياب عليهم فى مدة وجيزة، وانهزم الجيش عدة مرات من العراقيين، وعلم الملك أن "إفراسياب" قد غدر، فأسند قيادة الجيش مرة ثانية لقارن، فزحف بالجيش وجاء إلى الرى، واتخذ إفراسياب من دولاى وطهران قاعدة لجيوشه وكل يوم كان يتطاوّل على "منوجهر"، وأمر بأن يقيموا قلعة طبرك ولجأ إلى طبرك، ولما صعبت عليه الإقامة بها، تحرك "منوجهر" من طبرك إلى المدينة حيث اتخذ من أسوارها حصناً، وكانت المدينة آنذاك فى مواجهة الملك فخر الدولة والآن يقال لهذا الموضع قلعة "رشكان" وكان موجوداً فى نفس المكان حتى عهد ديالمه آل بويه، ولقد رأيت - الكاتب - أطلال قصر الصاحب ابن عباد مثل التل، وبعد مرور ستة أشهر تعذر وجوده هناك فهرب ليلاً وجاء إلى طبرستان عن طريق الأرجان، وإفراسياب جعل عليه الدنيا البسيطة والعريضة ضيقة مثل ثقب الإبرة.

كأن بلاد الله وهى عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل (١)

وجاء فى أعقابه إلى "طبرستان"، وأقام منوجهر قرية على حدود الرويان يطلقون عليها مانهير وبها غار عظيم فى سفح الجبل لا يتأتى الإنسان الوصول إلى آخره فترك فيه جميع الخزائن والذخائر، وفى عهد الحسن بن يحيى العلوى المعروف بالصغير دخلوا فى هذا الغار وحملوا منه أموالاً طائلة، ونزل إفراسياب ببقعة من قرى أمل تسمى خسرو آباد، وكانت هذه القرية عامرة حتى عهد وشمكير بن زيار والد قابوس وكان ارتفاع هذه القرية على شجرة، يسمونها "شاتى مازين" وقد ضربوا خيمة لإفراسياب تحتها، وبقي فيها اثنتى عشر عاماً ولم يكن يحتاج منوجهر لشيء قط كى يرسل فى طلبه من الولايات الأخرى، إلا الفلفل فعوضوا عنه بعشب يقال له كليج، كانوا يأكلون منه ، حتى لا تغلب الرطوبة على طبائعهم، فلما عجز إفراسياب عن الإتيان بمنوجهر. تصالح على أن يسلم لمنوجهر ملكاً قدر إطلاق سهم، ومضى العهد على هذا فرمى أرش السهم من هناك حتى مرو وقد دونت فى كثير من الكتب العربية والفارسية نظماً ونثراً خبر رمى هذا السهم وذكر البعض أنه رماه بالسحر والشعوذة والعلم عند الله، وقد افتخر العجم على سائر أهل الأقاليم برمى سهمين

(١) تضيق الأرض بما رحبت على من يتوجس خوفاً من مطارد له أو طالب له فتصبح الأرض كأنها كفة

(المترجم)

هذا هو أولهما، وثانيهما: أن الملك كسرى أرسل إلى وهرز ملك اليمن في بلاد العرب، بسيف بن ذي يزن، لأن جيش الأحباش كان قد بقي في تلك الحدود ثمانية عشر عاماً، ومنذ ذلك التاريخ غلب السواد على ألوان العرب، لأن العرب في الأصل كانوا بيضاً ويروى عن صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام على تصديق هذا، لقد نال العرب من الأحباش، وكان وهرز شيخاً مسنناً، فلما دارت المعركة، وكان يعقد عصاة على حاجبه، وقال لملك الأحباش أبرز إلى وكان ملك الأحباش يعلق ياقوته على جبينه قدر بيضة الدجاجة فأشاروا له عليه، فرماه "وهرز" بسهم فلق الياقوتة وخرج من قفاه، وهذه القصة طويلة وبعيدة عن الغرض وبعد مصالحة منوجهر وإفراسياب ظهرت أرض الرويان ومضت معالم عمارتها واتخذ منوجهر من طبرستان مقراً ومقاماً وهكذا بانت حدودها.

"مدينة أمل"

أصلها أن أخوين كانا من أرض الديالة أحدهما يدعى إشتاد والآخر يزدان قد قتلا شخصاً من عظماء الديالة المشهورين في تلك الناحية بالبأس، وكلاهما قد اتخذ الليل مركباً له وهربا بزيهما وأمر بأنهما من هناك واختارا عن ضرورة مفارقة الوطن والجلاء عنه وأتيا إلى منطقة أمل، وقد أقام قرية يزداناباد المعروفة والمعصورة بذلك الأخ المسمى يزدان وقرية إشتاد التي بقيت للأخ الآخر أيضاً، وكان لإشتاد هذا بنت كان وجهها محراب العاشقين وشعرها قيذاً لمسلوبي اللب والقلوب وكان لذلك الزمان ملك يدعى فيروز، كان الحاكم لجميع الدنيا وكانت بلخ دار حكمه (عاصمته).

فوازن به أهمل الغيوث إذا حبا ووازن به أرسى الجبال إذا اجتسبي
وشاء القدر في ليلة من الليالي وبدي طيف هذه الفتاة للملك ففتن بجمالها
وظرافتها وكمالها ولطافتها وداعبت فكره وخياله حتى الصباح فلما خرجت يد التقدير
من جيب أفق كشمير بيضاء ناصعة للدنيا كيد موسى ثمل الملك من عشق ذلك القمري
واشتعلت الفتنة فقال لنفسه: لقد أقبل الصباح فسلب مني شمسا

خسالك في الكرى وهنا أنا ومن سلسال ريقك قد سققانا
وبات معاً نقي ليلاً تماماً فلما بان وجهه الصبح باناً

وأراد أن يعرف القلب بعنان الكمال عن اقتناء أثر ذلك الطيف بأن يعيب على ذلك الجسد الذى أبدعه القدر والذى قد بدا له كى يسكن القلب، وينشغل بأمور الدنيا فسيطغى تلك النيران المتأججة إلا أنه لم يقدر

قضى الله مالا أستطيع دفاعه فما كان لى مما قضى الله عاصم (١)
وانتهى به أمر هذه الفكرة إلى التحول والهزال حيث أصبح الملك وفق ما قال الشاعر:

لولا أن الأشـعـرى رآه يوماً لسمى بعده المعدوم شيئاً (٢)

ففكر مع نفسه فرأى أن كتمان هذا الأمر يفر بروحه وأسلمه الهزال إلى الخوف وضائق قيمة الصبر بالعقل فعزفت على أوتار المشورة،

شفانى إن فشيت سرى فى الهوى كذلك أسرار الهوى إن فشيت شفت واستدعى رئيس الموابدة وأمر بإخلاء البيت من الغرباء وقال:

تأمل نحولى والهـلاك إذا بدا لليلته فى أفقه اعينا أضنى

على أنه يـزداد فى كل ليلة نمواً ونفسى بالضنى أبدا تغنى

والموبد بعد التحميد والتمجيد قال للملك، منذ فترة وقلوب العباد بين مقلب ومنقار العقاب وقد أصابها الحزن والهلع من جراء ما بدا على ذات الملك الثابتة من تغيير، وبحكم أن القدماء قالوا السؤال عن حال ذات المليك دليل على قصور العقل عند من يعمل فى خدمته فلم تخامر هذه الفكرة أحد قط، فقال الملك فى ذلك الوقت منذ فترة كان الفلك قد نزع عن ظهر الدنيا عباءة النهار الأطلس وألبسه لباس الليل الحالك، وكان وزير الفلك المعروف بالقمر قد خدع ملك الفلك المعروف بالشمس بواسطة القيل ، وجذب إليه رأسى بنوره فى الليل الحالك الديجور فاستسلمت عينى ليمن الطالع إلى النعاس فوق العرش وكما هو معتاد (" من نام رأى الأحلام" (٣)) فانطلقت شرارة من جورة قلبى المتأجج نارا وصعدت مبعدة تطلب المركز الأصلي وركبت قالب التمرد والعقوق حتى بلغت العيوق فتجولت فى ساحة عالم الغيب ،

(١) قضى الله على أموراً لا أستطيع دفعها فمالى ملجأ ولا عاصم إلا إياه. المترجم

(٢) وجوده كعدمه.

(٣) ورد فى الأمثال المولدة لدى الميدانى دون تخريج " الميدانى - مجمع الأمثال - ج٢ - ٣٢٨

المترجم.

فوقعت عينها على نبع قد نبتت من حوله أشجار كثيرة كجنة نضرة وقد تنفست سواءً
من التراب أنواعا من الرياحين والبراعم أو تفتقت أكماما من الأشجار وهى عند
حواف النبع صافات.

النبت ميسال على رمالاته والماء سيسال على أحجاره (١)

ظهرت فتاة فضية الجسد ياسمينية الصدر، تتعلق بها القلوب وتثير الوجد،
نوائبها كسنايل الشمس، وكل ما فيها لطف قمريه الطلعة، عذبة الحديث، كلما وضعت
عينها سهما من أهداها فى قوس حاجبها وأطلقت غمزة من عينها أصابت به من
القلوب الصدر والعجز.

مواز بعض فى الحسن بعضا ولكن ماله شكل مواز

يسل من الجفون سيوف الحظ بها يدعو القلوب إلى البراز (٢)

وقد صففت جدائلها وحففت نوائبها وطرحتها خلف ظهرها فسلبت بهما
استقرار الأرواح لعدم استقرارهما فى مكانهما.

- نؤابتك التى تتحرك عفوا، تتحرك دوما لسفك دمنا.

- فإن لم يكن التكرار درسا للحفاء فلماذا لم تقل: قلم إذن تتحرك.

وشمرت عن ساعديها وكشفت عن ساقها فأظهرت على القدم خلخالاً وأبدت
على الوجه خالاً.

ومرموق له فى الخد خال كمسك فوق كافور نقى

تحسیر ناظرى لما رآه فصاح الخال صل على النبى

وهى على هذا النحو تفرق حبال الكتان مقيداً بها ألف قلب وروح فى ماء ذلك
النبع ثم تضربها فوق الصخر وفى الصباح عادت تلك الشرارة بوابل من الأذى
والمشقة إلى كيانى واستولى داء سوداء العشق علىّ كلما أردت أن أنتزع القلب من
جوال ذلك الطيف فلا يتيسر ذلك الأمر ولو بقدرة البشر كله:

ما بين جنبى داء من هوى عجب ومال دأئى إلا وصلها أس

(١) النبات لا ينبت ولا ينزرع إلا فى تربته والماء لا يجرى إلا فى أماكنه- المترجم .

(٢) نظراته حادة ولحظات جفونه التى يلحظها كفارس يدعو إلى المبارزة فى الميدان- المترجم .

فلما بلغ الملك من حديثه هذا الحد، قطب رئيس الموابد جبينه مفكراً وعلى نحو ما يقولون:-

أضحت قناتك في الفخار قويمة أغنت عن التشقيف والتقويم
وغذت لك الأيام قاضية بما تهوى فلم تحتج إلى التقويم

قال لتعلم أيها الملك إن أهل الدنيا سعداء بمكانك الرفيع وجاهك الواسع، وقد احتال عليك شيطان عنيد بمثل هذه الحبة من الغم، فألقى بك في الشرك فإن كان الملك يأذن بهذا الحديث في طلب المشورة من عبده فقد قال العقلاء:- (من التمس من الإخوان الرخص عند المشورة ومن الأطباء عند المرضى ومن الفقهاء عند الشبهة ازداد تحيراً ومرضاً واحتمل وزراً) والحكماء يقولون أحزم الملوك من ملك جد هزله وقهر هواه رأيته وعبر عن ضميره، ويقول عمر (لا يكونن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً) مع قرب المزار والتجاوب الذي يصيب بالفم - حاشا لله أن يبتلى الملك بمثل هذا البلاء - فقد قال : متمرسوا الدنيا (العشق شغل القلب الفارغ) (ولا أرانى الله فراقك)، ولا كان اليوم الذى يفرغ فيه قلبك من العناية بصلاح العالم بعد أن تكون الدنيا وأهلها حيدا حلالاً لك فكيف بك تصبح حيدا وفريسة لخيال محال وقد قال العلماء: (زلة العالم لا تقال)، ومعناها إن خطأ العالم لا يغتفر، كى يتنزه بذاته العظيمة إلى هذه الدرجة عن الأفعال الفطرية (النزوات) التى يقول عنها العرب : وللملوك بداوات قد كانت منزهة، عن حديث فسق العشيق الذى يليق بمصاطب الخلفاء والماجنين لا بمجالس الملوك والأدباء وذلة العشيق هى ذل وضلال، والعاشق منتزل لقلة العقل وكلة البصر،

خلعت العذارى فى متابعة الهوى كأنك قد مهدت فى خلعه عذراً

ويجب أن يحضر الطبيب عملاً بالمثل أول الحجاماة تخدير القفا كى يدرك الخلل الذى وجد طريقه إلى دعائم المزاج ، فلا يصح أن يكون للنقصان أو الرجحان زيادة فيجب تعادل الطبائع وعدم التطرف فيها، فما فرغ من هذا الحديث نهض وغادر المكان فلما أن سمع الملك حديث الموبد انطوى على نفسه ولاذ بالصبر بضعة أيام ، وفى النهاية هكذا أحال مسلوبى القلوب أن يعدلوا دائماً عن كلام العاذل ولا يلقوا إليه بسمعهم وهذا من جنون الشباب وغرور الملك بل إن طبيعة الإنسانية لابن آدم حريص على ما منع فقال الملك:

ابتليت بالعشق وكثيراً ما وقع للناس غيرى مثل هذا النوع من البلاء.
- فكيف ألوم نفسي على ذلك ولست أنا أول من صدر عن مثل هذا الحال.

واستدعى الوزراء وأرسل الرسل إلى جميع القادة من الأطراف كي يفتشوا عن صاحبة ذلك الصورة، وبموجب هذا الأمر انطلقت الرسل على ظهور النوق وقضوا زمناً في هذا السفر والبحث دون أن يصلوا إلى لون أو رائحة لهذا الطيف، وكان مع كل خبر يأس تزداد انطفاء نضارة بشرة الملك وانسكاب عبراته، وكان له قريب يدعى مهر فيروز وكان يحظى بقرب وقرابة خاصة عنده، فاستدعاه في إحدى الليالي وقال له لست أنا من استحدث رسم العشق في هذه الدنيا:-

ضلوعى توالى في الهوى حسراتها وطالت كما شاء النوى زفراتها
وأوقد نارا في جوانحي الجوى تغرم ما بين الحشى جمراتها

لا بد أن الامك ، ومعاناتك من أجل ما بيننا من قرينة أكثر وأبلغ بالتأكيد من معاناتي وتألّى فعليك أن تعقد العزم وتجد في طلب الشفا والدواء لى، لأنك إن حصلت عليه وبقيت أنا حيا فلن أفرط قط في مكافأتك وقضاء حاجاتك وإلا:-

فإن مت فأعذرني فكم غاب في الثرى نفوس كرام ملئها حسرات (١)
فأجاب "مهر فيروز" قائلاً:-

لتكن أوتاد حبل عمر الملك أرسخ من جبل "دماوند" ، وكل شعرة قد نبتت في جسدى لو أنها تحولت إلى روح وبذلتها في سبيل الفوز برضاه لكان ذلك قليلاً في حقه وفي حق الوفاء بحقوق نعم الملك الكثيرة على، فحتم على عبده إذا ما نهضت من المجلس ألا أجلس ثانية دون أن أجوس بقدمى كل ما هو متاح بيد أرض الدنيا وأن أحصل بفضل الإله المعبود على المطلوب المقصود فلا أرجع إلى خدمتكم ما لم أنتزعه وإن كان في قم أفعى أو فى عين نملة.

فأشرب ماء الجفن إن مسنى الصدى وآكل لحم الكف إن كنت أغرس (٢)
وخرج في الحال وتخير عدداً من الرجال الأشداء في الحرب فكهذا إذا أوردت ماء وفي الماء قلة تفرق عنها سائر الناس أو تسقى.

(١) فإن مت فاقبل عذرى، فكم تحت التراب من نفوس كريمة فنت وفيها حسرات- المترجم .

(٢) أشرب الدموع إن أصابنى العطش وأطعم لحم الكف إن أصابنى الجوع (المترجم)

وأمرهم جميعاً أن يشدو على وسطهم نطاق الوفاء وأن يضعوا على وجوههم أقنعة الحياء، وسأل تلك الجماعة ممن طافوا بأرجاء العالم، أى طرف من الأطراف غاب عنكم أو سقط منكم، ولم تطأه قدمكم فقالوا:-

لقد طفنا بالشرق والغرب فى بلاد العجم والعرب إلا من نقطة "طبرستان" فارتحل "مهرفيروز" فى نفس ذلك اليوم من "بلخ" وأطلق عنانه إلى طريق "طبرستان" وأرسل الملك من ورائة ذخائر الخزائن حتى بلغ مركز "الطوسان" فلحق به الوالى الذى كان معيناً عليها من قبل الملك ، وكان يبذل من المال ما لا حصر له فى جميع نواحي تلك الولاية حتى انقضى عام ونيف دون أن يلوح أثر من سحاب فى سماء الأمل وعجزت حيله فقال ذات يوم:

العز فى استعلاء سرج طمره لا فى التكاء المتن فوق وساد^(١)

وأمر أن يتركوا هناك الفراش والمتاع وركب فى موكب واحد مع عدة أشخاص واتجهوا صوب شاطئ البحر ، وكل نهر كان يعبره كان يترك مراكب الأعوان فيه حتى وصل بجواده فقط حتى حدود ديلم ، وقاد جواده فى النهر حتى غاصت أقدامه فتركه وبمشقة بالغة استطاع أن يصل إلى شاطئ النهر سابحاً فلا هو قد رجع ولا هو وصل إلى مراده ، فصار فى تلك الغابات والأدغال ، فكان يتجول حتى وجد ماء نقياً صافياً ففكر أن يكون لهذا الماء المتدفق من عمار فصار على الماء حتى وصل إلى رأس النبع وعلى نحو ما جرى ذكره فى البداية رأى فتاة على نفس الصفات فقال فى نفسه لو كانت جنية فسوف أقتلها ، وإن تكن آدمية فهى غايتى التى أقصدها واستل السيف وصار إلى رأس النبع فلما نظرت إليه الفتاة رأت رجلاً جميلاً ممسكاً سيفاً فقالت أيها الشاب من أنت ؟ وما اسمك ؟ وماذا تفعل هنا ؟ فمن العجب أن يكون مثلك فى هذا المكان : فقال مهرفيروز أنا آدمى وأخبرنى عن حالك وأصلك فقالت : أنا آدمية أيضاً وموطنى فى هذا المكان ولى من الآباء اثنان أعنى أب وأخاه ولى أم وأخوة كثيرون فقال مهر فيروز إذ لم يكن صعباً عليك فقودينى إلى مشارف مقامكم فخرجت الفتاة بخفة من الماء وصحبته صوب قصدها ودخلت فرأى مهر فيروز مكاناً مريحاً فقال : اليوم يوم سلو كل فؤاد : اليوم برد حرارة كل الأكباد وسألت الأم عن سبب مجيئها فقصت لها عن أمر مهر فيروز فأمرتها بأن تخرج وتحضره إليها وامتثلت الفتاة إلى ما أمرت به ، فلما رأت الأم أبدت الترحيب والبشاشة به وبعثت

(١) طلب العز فى ركوب الخيل، لا فى الخلود إلى الراحة والوسادة. (المترجم) .

بأصغر أبنائها إلى زوجها وأخوانه حتى تستدعيهم فلما وصلوا سلموا على مهر فيروز فوجدوا في ضيافته كل مظاهر الكرم وكعادة الديالة لم يسأله أى سؤال قط مدة ثلاثة أيام وكان مهر فيروز يتعجب من إنسانيتهم وكرمهم فلما انقضت ثلاثة أيام قالوا كيف حلت في هذا المكان بهذا البهاء والجمال والدلال والكمال ، فلا سلطان ولا قائد ولا إنسان يشبهك ، فقال : اعلموا أنى إنسان من خواص ملك الدنيا ومن أقربائه وجئت إلى مدينة طوسان من أجل رياضة النفس والتنزه ولأنى قد سمعت أنه لا يوجد في الدنيا مكان للصيد أفضل من هذا المكان فركبت ذات يوم مع بعض الخدم وجئت إلى هذا المكان جرياً وراء الصيد ، فلما رأيت ابنتكم وقد تخلف رفاقي بشتى الأماكن وغرق جوادى في هذا النهر والآن وقد علمتم أنى لست إنسان يلحقكم منى عار ولا أحتاج إلى مالكم ولا لعددكم فإن وجدتمونى لائقاً فأعطونى ابنتكم فقال الأب والأم والأخوة كل جانب من منظره دليل على كرم مخبرك ودليل ينبئ بفضلك ونبل جاهك فكيف لا نقبل بمثلك ؟ أما عن مجيئنا إلى هذه المنطقة فهو على نحو ما تقدم ذكره ، ولنا أخ أكبر لا يجوز قط أن نبت في أمر بغير إشارته ومشورته وقد جلس على مقربة منا فإن تقبل أن تشرفنا بمرافقتنا مضيئنا إلى هناك ونعرض عليه الأمر ، فشكرهم مهر فيروز على امتنانهم ورغبتهم الصادقة وذهبوا عند بزdan فلما رآه لم يقصر في إكرامه وإعزازه وإجلاله وسأل أخاه عن دواعى هذا الإنعام بخطى هذا الشريف إليه.

ليس مجيء الفيل إلى بيت العنكبوت دونما سبب قط فإن يكن من أمرنا فكان الواجب إبلاغى كى أسرع إلى خدمته وأتشرف بلقائه فأطلعه أخوه على ما حدث وأبلغه برغبة مهر فيروز في الخطبة فقال عن كرم الرجل وإحسانه وأدبه وأمانته هي المعبرة عن حقيقته.

إنى أرى في هذا الرجل صفات الكمال والتي تبدو من خلال حركاته وسكناته وكلماته وسكوته فاقبلوا عسى أن يكون هذا الأمر سبباً لنا في الخير وراحة البال ، وتعاهدوا على ذلك بالإجماع ، وطلبوا للعقد مهلة وحينما انتهى مهر فيروز من هذا الأمر طلب منهم شخصاً كى يبعث به إلى مدينة "طوسان" ويأتى إلى هنا بكل أحماله وأثقاله وجماله وبغاله فقدموا أحداً من أخوة الفتاة فكتب رسالة إلى والى الطقوس ، لقد عثرت على ما ينشده الملك وابعث برسالتى على وجه السرعة إلى حضرة الملك وطلب أخا آخر كى يرسله فى طلب الرفقاء الذين تخلفوا حتى يرشد الجميع فلما وصلت الرسالة إلى والى الطقوس ، وبناء على الأمر الصادر له أن بعث بها على وجه السرعة وعلم الملك وقال المتن (لله أن بلغنا ما ينشده) وأمر أن ترسل بأحمال من الذهب والمجوهرات والثياب مع مهد (هودج) ومركب إلى "مهر فيروز" وأقاموا الزينات

فى جميع الممالك ولم يقصروا فى تعظيم وإجلال الفتاة وحينما وصلت هذه القافلة إلى خدمة مهرفيروز تحير يزدان وإشتاد من حشمة وعظمة "مهرفيروز" وسجدوا بين يديه إجلالاً ولم يكن مهرفيروز حتى هذه اللحظة قد جرى على لسانه أن خطب الفتاة للملك وقال لهم :لتكن البشارة لكم فقد رغبت أن أصلكم بالملك وأن أخلى نفسى ، ونثر عليهم القصة كالماء فزادت السرور والبهجة وتعجلوا فى إرسال الفتاة ، فلما وجد الملك المطابقة بالمعينة وانتقلت المشافهة إلى المجابهة وتحول الحلم إلى حقيقة قال الملك : إنها هى التى لاح لى طيفها وكان حبها ومودتها تزداد على مر الأعوام وتعاقب الأيام حتى تمكنت من الملك حتى سألها الملك ذات يوم فى أثناء المحاورة والمسامرة قائلاً : إن نساء ولايتكم ذوى عيون أجمل وفم أطيب وبشرة أنعم فما سر ذلك فأجابت الفتاة بلغنا أيها الملك السعيد ليكن دائماً شكركم مقروناً بالصباح ولتكن أعينكم دائماً مستنيرة ، أنهن يرتدين فى الصيف الكتان وفى الشتاء الحرير ويشبعن بالقليل فإذا ما أكلن تركزن مكانا للنفس فقال الملك : أيتها الحكيمة الآن اطلبى ما تشائين فقالت الفتاة يأمر الملك بأن يطلق اسمى على ماء "هرهز" والتى هى به "باى دشت" فامتثل الملك لأمرها وأقاموا أساساً لمدينة باب "هرهز" وذهب إلى هذا المكان المساحون والمهندسون ولأن المكان كان مرتفعاً فلم يستطيعوا أن يصلوا ماء هرهز إليه وقدرأ ولد له فى هذا العام ولدا أطلق عليه خسروا وتمنت على الملك بأن يرسلها إلى ذلك المكان إذ أن المناخ فى بلخ لا يناسب ولم يستطيعوا أن يصلوا ماء هرهز إلى ذلك الموضع أيضاً فطلبت الفتاة ليكن إذن "باى دشت" ولا يزال حتى اليوم اسمها موجود على "باى دشت" ولا يزال آثار ذلك البناء قائماً إلى عهدنا - عهد الكاتب - ويدعى الآن "شارستان مرز" ، وأمر بعد ذلك بأن ينتقلوا إلى المدينة الموجودة الآن فجاء المهندسون وأقاموا أساس المدينة فى هذا المكان الذى يقال له "إسبانه سراى" وكان هذا المكان فى البداية يلقب به "أماته" ، والآن هو مسجد جامع ونبع ماء كان قد فجر من جبل "ونداوميد" ، وفى عهد اليزدادى ظهر بعض من ذلك الماء وكان خلف القصر ماء عذب ولطيف جار فكانوا يأتون به من هذا النهر بواسطة الدواب فلما أسسوا المدينة أقاموا قلعة من الطوب المحروق وقام ثلاثة من الفرسان الأصدقاء فحفروا خندقاً عميقاً حول المدينة بعمق ثلاثة وثلاثين ذراعاً بمقياس ذراع المساحين وكان عرضه قدر رمية سهم ، وكان على هذه القلعة أربعة أبواب، باب جرجان وباب جيلان ، وباب الجبل ، وباب البحر وتبلغ مساحة المدينة أربعمائة جريب ، وبقيت على هذا الحال لسنوات وقصر أمل التى كانت زوجة مهرفيروز حتى الآن يطلقون عليه حى كازران وكان يقع خلف رستاق اليزدازين والجبانة بنفس المكان ، وفى عهد الملك السعيد "أردشير" قام العمال بإزالة التراب من أعلى تلك النقطة قدر رمحين فظهرت المباني الكثيرة وبان السرداب والمقبرة ، وقد بقيت مباني تلك المدينة عامرة بصفة عامة

طيلة حياة مهر فيروز ، فلما توفي وجلس مكانه خسروا توسع في إقامة العمائر وشيد قصورا خارج الخندق وجعلها دارا للكه ، حتى رغب الناس من الأطراف أن يقيموا فيها فأقام الأكابر والملوك الحدائق والقصور والأسواق والحانات والمرافق كي يكونوا بجوار الملك كما أمر بإقامة سور آخر من الطين ومدّه حول هذه العمائر الجديدة ، وما بين السورين كان يقال له رابض وما كان خارج السورين كان يقال له الزهق وهذا مسطور بكثرة في القيود القديمة ، ومعنى أمل في لغتهم "هوش" "ومل" ويقال للموت هوش "ومل" وهذا كناية عن "لا كان لك الموت مطلقا".

وقد ورد أنه حينما كان الإصفهيد ما زيار من قارن يخرب أسوار أمل وجدوا أنية فخارية خضراء محكمة فوهتها بالقصدير ، فأمر المسؤول عن ذلك الهدم بأن يحطموها فخرج منها لوح صغير من النحاس أصفر قد سطر عليه عدة أسطر بالخط الساساني ، فاستدعوا من يستطيع قراءتها ليترجمها وكلما استفسروا منه عن أمر لا يجيب حتى انتهى إلى التهديد والوعيد ، فقال مسطور على هذا اللوح الطيبون يعملون والأشرار يهدمون ، وكل من يهدم هذا لا يمر عليه عام ، وبالفعل لم يتم عام إلا وكان مازيار قد أسر وحمل إلى "سامراء" شر من رآه وهلك وتروى حكايته تلك، والمسجد الجامع الذي أسس عام سبعة وسبعين ومائة في أيام هارون الرشيد وكان المسؤول عن عمارته إبراهيم بن عثمان بن نهيك وطلب أن يشتري هذا المكان في بادئ الأمر إلا أنه لم يسلم إليه حتى جاء الوقت الذي أسلم فيه الجد أبو الحسن بن هارون الفقيه وكان يدعى أنبارك فلقبوه بمبارك فباع قصره وبعده كان كل إنسان يبيع بيته تبركا ، فلما اكتمل بنيانه قاموا كي يحددوا القبلة ، وظل المطر يتساقط آنذاك طيلة أربعين يوما بلياليها فلم يتيسر تحديدها بالضبط فعينوها بالحدث والتخمين وبلغ سعر المكان الذي عليه الجامع ثمانية آلاف واثنين وثلاثين دينارا ، وبلغ طول المسجد ثلاثة وتسعين ذراعاً ، وطول ارتفاعه عشرة أذرع ، وبلغت دعائم سقفه ثلاثمائة ألف وستمائة وأربعين دعامة ، وتقاس بقية أجزائه على هذا النحو وقد تكلف بنائه سبعة وأربعين ألف وثلاثمائة وأربعين دينارا ، وكان فيروز شاه ألباني الأصلي قد حفر خندقاً على طول ساحل البحر من حدود جرجان حتى حدود جيلان وموقان ، ولا يزال أثر ذلك الخندق ظاهراً في مواضع شتى من طبرستان ، ويسمونه خندق فيروز ، وقد بالغ اليزدادى في تأكيد هذا الأمر وحينما كانوا يضعون أساس مدينة أمل كان هناك رجل صاحب عيال يملك مساحة من الأرض تقدر بـ جريب وكان بستان أعناب له وقد كلفوه ببيعها فقال: لا أبيعها قط فعندى عيال، وقد تجمع الأغنياء في هذه المدينة ويدون ملك يصير أبنائى كالأسرى بلا كرامة وبينى وبينكم حاكم وقاضى عدل الملك فلما عرضوا هذا

الأمر على مهر فيروز أجاب بأن ما يقوله صدق والواجب أن يعطى من المال أولاً ما يصير به من الأغنياء ثم يتم التصرف في ملكه بعد ذلك.

"مدينة تريجة"

يشتق اسمها من "توران جير" وكان في عهد "فرخان" الكبير وقد عقد الصلح مع الأتراك على أن يأخذوا الضرائب ولا يتعرضوا لطبرستان ويعد ما انقضى عامان أخذوا في إقامة الاستحكامات عند الحدود وعبر الطرق والمسالك وقصروا في أداء الضرائب والإتاوة ، وبعد تحصين المنافذ وتقوية مداخل الولاية ومخارجها انطلقوا عبر الصحراء وفتحوا منطقة تسمى فيروز آباد إلى حدود لفور وأقاموا بها ، ولما علم الأتراك بنقض العهد جازوا إلى طبرستان وجعلوا صول ملكا واتخذوا هذا الموضع الذي هو المدينة معسكرا للجيش وأغاروا على كل الأطراف يسلبونها ويذبحونها ، حتى أغار عليهم فرخان ذات ليلة وظفر بهم وقتل صول وجميع جنود الترك بحيث كان يشاهد القتلى أكواماً بعد أكوام ، وقد وقع في كمائن الأسر الجيش الذي كان غائباً عن المعسكر وانقطع بعد ذلك طمع الأتراك في طبرستان ، واتخذوا هذا الموضع مدينة وأطلقوا عليه توران جير.

"مدينة مامطير"

حينما وصل الإمام الحسن بن أمير المؤمنين على عليهما السلام إلى مامطير وكان معه مالك بن الأشتر النخعي بجيش العرب إبان خلافة أمير المؤمنين عمر ولا يزال حتى الآن ذكر معسكركم في موضع يسمى "بالكة دشت" وهذا الموضع به مامطير وقد بدا لعين الحسن بن علي إذ رأى البرك والطيور والأشجار وارتفاع البقعة وقربها من ساحل البحر قال بقعة طيبة ماء وطير ، ومنذ ذلك التاريخ وقد وجدت بها مبان قليلة حتى كان عهد محمد بن خالد الذي كان عاملاً على الولاية فأنشأ السوق وأمر بالتوسع في العمارة وفي عام ستة وستين ومائة أسس مازيار بن قارن المسجد الجامع وجعلها مدينة.

"بيرون دريند"

المدن التي خارج رباط "تميشه" هي التي يعتد بها وتتنسب إلى طبرستان وتتصل بجرجان وقام جرجين بن ميلاد بتأسيسها وكانت مساحة رقعتها أربعة فراسخ ، وكان بها دائماً مقر حكام طبرستان وكان رعاته يأتون إلى مراعي إستر آباد ، وقد اتخذ فيها مقاما ومنزلا ويطول المدة كان يزداد عمرانها وأطلقوا عليها

إستر آباد ، وتمتد الجبال طولاً وعرضاً من دینار جاری حتى ملاط على حدود طبرستان ، وكانت المنطقة من الری إلى قومس حتى ساحل البحر جميعها مأهولة وقرى متصلة ببعضها البعض بحيث لا يوجد شبر من الأرض مهمل وعديم المنفعة وكان داخل رباط تمشیه يوجد سبع وعشرون مدينة وكان بها الجامع والمصلى والأسواق والقضاة والعلماء والمنابر وهي على هذا النحو :-

"آمل"، "ساری"، "مامطیر"، "رود بست"، "آرم"، "تریجة"، "ميلة"، "مهران"، "أهلم"، "بای دشت"، "ناتل"، "كنو"، "شالوس"، "سحوری"، "لراسل"، "طمیش" يعني "تمیشه"، "كلار"، "رویان"، "نمار كجویة"، "ویمة"، "شلنبه"، "وفاد"، "الجمة"، "شارمام لارجان"، "أمیدواركوه بریم"، "هزارکری".

وكان خراج "طبرستان" فی عهد الدولة الطاهرية يبلغ مليوناً وثلاثين ألف درهم مقسمة على النحو :

من "ساری" إلى "تمیشه" مليون وستمائة ألف ، ومن "مامطیر" و"تریجة" ثلاثمائة ألف وسبعون ومن "آمل" مليون وأربعمائة ألف ومن "شالوس" ثلاثمائة ألف، ومن "رویان" تسعمائة ألف، ومن "الأرجان" ثلاثمائة وتسعون ألف ومن "دنباوند" مليون ومائتان ألف وكانت ضیاع "طبرستان" مقسمة على ثلاثة أقسام وبلغ محصولها فی أيام الدولة الطاهرية سبعة مليون وتسعمائة درهم وهي على هذا النحو :

المعروف بالحوز والخالصة وكان يشتمل أيام المازیارية من اثنين وسبعين قرية إلى مليون وستمائة درهم.

المعروف بالمأمونية، والذي اشتراه الخليفة من الإصفهبد خورشید وبلغ ثلاثمائة درهم سطح "أمیدوارنكوه ولفور" وحدود ذلك "مازیار" ويصل من ألف قرية إلى خمسمائة ألف درهم.

سفوح جبال "كوهستان" الإصفهبد شروین" والتي قد أخذها ملك الجیل، وبلغ خمسمائة ألف درهم.

والضياع التي "لمحمد بن عبد الله الطاهر" وقد منحها للإقطاع، وتبلغ مليون درهم.

غلال "سليمان بن عبد الله الطاهر" وتبلغ مليون درهم، وبلغ مجموع دخل "طبرستان" من الخراج والضياع والرسومات فی عهد الدولة الطاهرية ثلاثة عشر مليون وستمائة وثلاثين بخلاف منتجات تمشیه .

الباب الثالث

فى خصائص وعجائب طبرستان

منذ قديم الأيام كانت دائماً "طبرستان" موطننا ومعقلاً وملجأً للأكاسرة والجبابرة ، وبسبب حصانتها المنيعة ووعورة مضايقتها كانوا يرسلون إليها الخزائن والكنوز والذخائر ، وكل ملك كان يتغلب عليه عدوه ولا يجد له مكاناً على وجه الأرض بين الأقاليم الأخرى كان يأتى لهذه الأرض كى يجد الأمن ويستريح من مكائد خصمه ، وكانت مملكة فريدة ولها ملك مستقل ولم يكن أهل طبرستان يحتاجون لشيء ما قط من الولايات الأخرى فكل ما هو موجود فى الدنيا المعمورة من لوازم الحياة موجود بها ، الكثير من الحشائش الغضة فى كل الفصول والأوقات ، مياهها صافية سائغة وبها أنواع من الخبز الطيب من القمح والأرز والجاورس ، وبها ألوان من لحوم الطيور والوحوش غير ما يوجد فى غيرها من الولايات ، وطعامها لذيذ وبها مشروبات سائغة ملونة من أصفر وأحمر وأبيض مثل الحلبة والورد وماء الورد وصفائوها من تلك المشروبات ورققتها مثل دمع العاشقين ومثيرة للسرور والبهجة مثل وصل المعشوق ، لا تسبب السكر كصحة الصالحين وهى مقوية ونافعة بدرجة كبيرة لا تسبب صداع السكر والخمور طيبة الرائحة مثل المسك الأذفر ، وشتاء طبرستان مثل خريف الأماكن الأخرى وصيفها مثل الربيع وجميع أراضيها رياض وبساتين بحيث لا تقع الأعين إلا على خضرة ، ومدنها وقراها متصلة ببعضها البعض وتسيل المياه المتدفقة منها من جوف الصخر فوق الجبال ، والفلاة نحو البحر وهواؤها معتدل ولطيف يهب من الشمال إلا أنها بسبب قربها من البحر تكثر بها البحيرات فيغلب عليها فى بعض الأوقات التلبد بالسحب والغيوم أكثر من الولايات الأخرى.

روى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسن بن عبد الحميد المراسكى القاضى عن أبى الحسن على بن محمد اليزدادى رحمه الله عن أبيه عن الشيوخ السالفين أنه كان يوجد رجل على حدود المراسك يدعى شهرخواستان ابن زردستان وكان ذا مال ودواب وتجميل وكبير سن وحنكة وكان أبناؤه وبنو عمه أصحاب جاه والجميع شدوا

وسطهم وجعلوا أرواحهم فى طاعته وأتباعه فلما أقام الإصفهبد فرخان الكبير مدينة سارى وجدوا ذلك الحائط الذى كان أتو شروان العادل قد أقامه ، وذكر ذلك يحكى خلفا عن سلف وأمر بحفر خندق وإنشاء رساتيق فاتجهت الخلائق صوب حضرته من كل الأطراف يثنون عليه وعلى تصويب رأيه فى تجديد تلك المباني "لشهر خواستان" ، فلما عرضوا الرأى على الملك أن شهر خواستان تخلف ورفض المثول مع الوفود أرسل فارسىين فى طلبه ليحضره فلما وصلا الفارسىين إليه وكان قد أعد وليمة وحفلاً وكان عظماء المدينة قد اجتمعوا فى بيته فقال لأبنائه : "أنزلوهما وقدموا لهما كل ما عزَّ وأن يراعوا كل ما يليق بحرمة الملك ، ومضى مختبئاً فى قصره وأمر بأن يجمع من متاع طبرستان من الملابس الصوفية والحريرية والكتانية والقطنية وأنواع الخبز الطيب والحلوى المتنوعة والمرببات والمخللات وبنات الضرع وبنات الماء ولحوم الصيد المجففة والطيور الداجنة وغير الداجنة والفواكه الغضة والمجففة والمشروبات المختلفة الألوان والرياحين، وأن توضع فى أجولة وركب فى نفس الليلة حيث وصل نهارا إلى سارى وقضاء كانوا قد فرشوا سجادة كبيرة فى ذلك اليوم وكان الإصفهبد يخطب من فوق المنبر على رسم الملوك وفى خلال حديثه قال: اعلموا يا أهل طبرستان أنكم كنتم جماعة فى حراش الدنيا لا خبر عنكم ولا رغبة لأهل الأقاليم فى هذه الولاية أوطانكم فى حزن الغابات مع الوحوش والسباع ساكنين ولا تدرون عن عادات ورغد العيش ولين الملابس والمركب من الجياد العربية ولا علم لكم عن استخدام الطيب وأنا قد أوجدت لكم الراحة والرفاهية ومكارم الأخلاق وأنشأت المدن كى تكون محط رحال الأكابر والتجار ، وأحضرت لكم من الأماكن البعيدة النفائس والمشتهوات حتى أصبحتم من بين ذوى الذكر والمشهورين وجاءت مدنكم فى الاعتبار ، وقدمت نفسى لهذه الشفقة بالتأكد لبلدكم أفلا أكون مستحقاً للشكر والامتنان ، فهب الحاضرون فى المجلس من كل طرف بالدعاء، والثناء، والشكر، والقبول ، إلا شهر خواستان لا قام ولاحرك لسانه وكان الإصفهبد يراقبه بعينه فلما لم يسمع منه كلاما قط ورأى الإنكار على أسارىير جبينه ظاهراً فصاح به ما الأمر حتى سكت كسمكة وكأفعى ملتوية فقال شهر خواستان لبيك وقام وقبل الأرض وقال لو يمن على الملك بالحديث ، فقال بأن الحق لا يحبس وكان "شهرخواستان" قد أحضر معه عشرة خروار من الأمتعة فأحضرها عنده وكشفها وبعد ذلك قال لقائد القوات دمت مادامت الدنيا باقية ، يا جماعة المجلس انتبهوا لى ساعة وتأملوا ماذا أعرض عليكم ؟ وأخذ يتفقد ما بداخل الأجولة واحدة تلو الأخرى من المشروبات والملبوسات والمأكولات وبعد ذلك قال نحن معشر الناس كنا فى غنى عما يجلب إلينا من الولايات الأخرى، والله تبارك

وتعالى قد أراحنا ففضلنا القناعة بالكفاف وقضينا الأيام فى سعة وراحة وطمأنينة، لا يوجد عاشق ولا حاسد، ولا منازع، ولا رقيب، واقف على أسرار الولاية، لا طمع لخلق فينا، ولا حاجة بنا لأحد، فكانت الدور والمزارع والمصائد داخل نطاق الخندق، وأقام على كل فرسخين رئيس وأمير وعمدة مقتدى ومطاع، فجاز هذا الملك، والحاكم دام توفيقه وعزه، فأطلع جميع الغرباء والأجانب علينا وعلى أسرار ولاياتنا، وهتك أسرارنا وأحوالنا، ولقت أنظار الخصوم والمنازعين إلينا، ولما لم يعد ممكنا حجب أى وضع فى هذه الولاية عن مخلوق قط، واليوم وقد أتى إلينا الناس من كل صوب يتخذون مقاماً لهم عندنا وعلى الفور دخلوا معنا فى صراع وخلاف وخصومة ويضيقون علينا هذه الديار، ويشردون أولادنا وأعقابنا، فعلم الحاضرون وقائد القواد أن ما يقوله حق وصدق، وصدقة الإصفهيد وقال : أما وقد وصل الأمر إلى هذه الحال فما الحيلة بعد هذا؟ قال (شهرخواستان) قضى الأمر ولا مدفع له اليوم، لو كنت قد تشاورت من قبل لكنت قد أرشدتك على الطريق وأبديت الرأى لك - إن شاء الله - بالسداد فما الملك إلا إصلاح وفير وقد جرى قبل هذا الحديث عن "فيروز شاه" وأمل وعن صلاح وعفاف نساء طبرستان وديانتهم وأمانتهم وحسنهن وطهارتهن وقد كتب "عبد الرحمن بن حرزاد" : فى كتاب "مسالك الممالك" أن الحكماء اجتمع رأيهم على أن أفضل أماكن النزهة والمتعة فى طبرستان وسمرقند وقد وصف "حصين معين بن المنذر الرقاشى" سمرقند لبعض الخلفاء فقال كأنها السماء فى الخضرة ونهره المجرة للاعتناق وسورها الشمس للأطباق وسئل "أنوشروان بزرجمهر" عن "طبرستان" فقال هى طرب وستان كاسمها وقال "عبد الله بن قتيبة" : يجب أن يقال لها تبرستان حيث هى مزينة بالتبر، سهلية جبلية بحرية غياضة، فجبالتها للوكها منعة ووزرة وغياضها لأهلها خزانة ونهرها لهم متجر ومصيد وسهلها الجنان يسير المسافر على بسط من الخضر، منمنمة موشاة بأنوار الربيع طيب البنفسج وعيون النرجس، وطرائق تلك الأنوار تحت ظلال الأشجار على أغصانها عساكر الطير، لكل طير منها لون من اللباس مونق وصنف من الصغير مطرب يقصر دونه كل عزف ومزمار، متدليات الأعناب والأثمار مطردات الأنهار تذكرك من الآخرة الجنان وتجلى لك جنتى سبأ قبل الكفران وقال "أبو الحسن اليزدادى" : التقيت بشيخ رحالة من أهل خراسان له من العمر مائة عام كان يقول طفت بالأقاليم السبعة وأسود العمر بسياحى ولم أجد ولاية فى الراحة والأمن وطيب العيش والصفات مثل "طبرستان" وإن يقل شخص غير ذلك عن مكان آخر فإنه لا يقوله عن تبصر أو بصيرة وهو مزيف:

من طبرستان بلاد معشرى	ودار قومى بين أثناء الربى
مدينة خضرء من جاورها	ألقى نشيطا فى روايها العصى
ترى الزروع تحتها مياها	تجرى وأعلاها الثمار تجتنى
مشرفة العليا على البحر ترى	سفينة إذا جرى أو ارتسى
كأنما جنات عدن نقلت	إلى ذراها بهيجة لمن دنا
فطرتها السندس فى حضرتها	منهها نور ربيع ووشى
وطيرها تعزف فى أغصانها	كأنها روض جنان فى سببا

ولا يوجد بها مطلقاً الثعابين القاتلة ولا العقارب ولا الأسود ولا الفهود ولا السباع ولا الحشرات المؤذية مثل ثعابين سجتان وهندوستان وعقارب نصيبين وكاشان وجاشك وموقان وجراد عسكر ورتيلا وبرغوث أردبيل وسباع العرب وتماسيح مصر، وأسماك قرش البصرة، وقحط الشام، وحرارة عمان، وسيراف، والأهواز، وأجمع أهل العالم أنه لا يوجد فى جميع الدنيا مقام رائع مثل "طبرستان" وبها الكثير من الحاصلات المباحة مثل الحطب والفواكه، والقصب، والحشائش، وتوابل الفلاة والجبل ومناجم الكبريت، والزاج وحجر الكحل، كما تشتهر بكثرة مناجم الذهب والفضة و التى فيها منفعة للفقراء وتجارة وريح للأغنياء، كما بها أنواع من الطرائف الكتانية والقطنية والحريرية والصوفية والكلمية على أصناف مختلفة ذهبية وصوفية، والتى هى من هناك إلى العالم شرقاً وغرباً، وقد كتب "اليزدادى" أنهم أتوا إلى طبرستان فى العهد الأول لأجل الحل الأطلسية والمنسوجات والحرائر العتابية النفيسة وأنواع الحرائر القيمة والمخمل السقلاطونى القيم والشراب الغالى والكافور الذى لا يفوقه كافور آخر فى الطيب، والجودة، والعباءات الحريرية، والصوفية، الرفيعة، وأنواع من البسط الجهرمى والمفروشات والسجاجيد والبللور البغدادي والفرش العبادانية والتى تصدر من هناك إلى أقصى بلاد الدنيا ولا يمكن الحصول على مثلها فى جميع الآفاق، وكانت أمل حتى عهدنا سوقاً لبضائع السقسين والبلغار وكان الناس يأتون إليها من العراق والشام وخراسان وحدود بلاد الهند فى طلب سلعهم وبضائعهم، وكانت تجارة أهل "طبرستان" مع البلغار السقسين نظراً لأن "سقسين" تقع على شاطئ البحر المقابل لآمل ويقال إنه حينما كانت تمضى السفينة إلى سقسين كانت تستغرق ثلاثة أشهر وعندما تعود تستغرق أسبوعاً إذا كانوا يقيمون صلاة الجمعة هناك والجمعة الأخرى "بهلم" إذ أنه فى الذهاب يكون البحر فى

صعود وفي العودة يكون البحر في انحدار، والنساء في طبرستان يكتسبن في اليوم خمسين درهماً لحسن صنعتهم اليدوية فلا يمكن أن يوجد في طبرستان قط فقير مدقع على نحو ما يكون في سائر البلاد الأخرى.

ويحكى أنه حينما تزوج الطبرى في مكة وجرياً على عادة حب الوطن كان يتحدث كل يوم مفتخراً بموطنه حتى جرى على لسانه ذات يوم أنه لم ير في أمل شخصاً فقيراً، فصرف أهل مكة العزم للعثور على برهان لتكذيب دعواه حيث وجدوا في وقت من الأوقات واحداً وأحضروه عنده فسأله ذلك السائل أنت من أمل فقال نعم أنا من أمل وموطني حى حازمة وبين كل علامات المدينة فسأله الطبرى ثانية ماذا يقولون في مدينتك للدامن؟ قال "دامن" فسأل الثالثة ماذا يقولون للجيب؟ فقال جيب فقال إنك تكذب ولست طبرانى المولد وكان يقسم له على ذلك فقال السائل الحق معك، أنا كنت رضيع حتى حملنى والدى ووالدتى من مدينة الرى إلى هناك وتزوجت بها ونشأت فسأله كيف عرفت فقال لأنهم في "أمل" يقولون لآمل لمبر والجيب "كريون" وخراج طبرستان سهل ويسير وفي عهد "ملوك باوند" رحمهم الله لم يكن على الرعايا ولا على المعارف ولا على الأرباب خراج وكان مياها مباحا وكان دائماً ملوك وأمراء وقواد طبرستان أعظم الناس، وكان الخلفاء والسلاطين والأكاسرة والملوك القدماء لا يقدمون على أمر إلا بعد إبداء مشورتهم وموافقتهم وكانوا يطلبون منهم البيعة أولاً لأولياء عهدهم وكانو يعيشون حياة ألفة مع الصديق والعدو على السواء، وكان علماءهم وكتابهم وأطبائهم ومنجموهم وشعراؤهم لا نظير لهم، ولقد ذكرنا كل واحد من الملوك الذين التجأوا إلى طبرستان يوم نكبتهم كما جرى بعد ذلك ذكر منوچهر وإفريدون في مطلع هذا الباب.

ولما ألقى أكوان رستم زال بن داستان في البحر فظهر عند ساحل بحر طبرستان والذي يقال له بقلزم وعلم الناس حاله فتولوه بالرعاية وبالفوا في تعهده ومدوه بالمال والدواب والخدم والحشم وكل أسباب الملك، وكان ابنه سهراب يطوى الدنيا بحثاً عن أبيه لدى الأتراك والإيرانيين والهنود والرومان والتقى في النهاية في "موضع بليكش" في "أرض الرويان" وحيث لم يكن كلاهما يعرف الآخر فقد وقع بينهما صراع وقتال وقد أصيب سهراب على يديه بجرح فأخذ ينصحه ويتوعده على نحو ما ذكر في الشاهنامه، ولما علم الأب أنه ولده أخذ تابوته كي يخفيه ولما وصل إلى سارى حيث كان قد أقام بها قصر الطوس فنزل به حتى تقل درجة الحرارة في الجو فبأخذه ولم يتحقق له ذلك، ويقال إن قبره بها ولما احتل الإسكندر أرض الفرس

فر منه دارا ابن داروب ولجأ إلى طبرستان وبعث برسالة إلى الإسكندر لنفرض أنك ضيقت على أقاليم الأرض السبعة فماذا ستفعل بفرشوانجر وحصن دارا فإنه أشبه بالمتوج في الجبل لدى الترك سواء في البحر والخزر، وفي عهد "خسرو برويز" كان خاله كستهم قد هرب وجاء إلى طبرستان لأنه كان قد قطع يد وقدم بندويه أخا خسرو الذي كان نائبه على خراسان وقد علم خسرو بذلك فلم يستطيع أن يفعل له شيئاً إلى أن أغرى أخت بهرام جوييه بالخديعة وأمرها بندويه بقتله وتفصيل ذلك مفصل في الشاهنامه ولجأ سليمان نام إلى طبرستان في عهد الأكاسرة وشيد بيتاً في هذا الموضع الذي به "قلعة كيسليان" ويقال له في طبرستان "كيه خان" وله قلعة سميت باسمه ومنذ ذلك التاريخ وحتى عهدنا في سنة ستمائة وثلاث عشرة لا تزال هذه القلعة عامرة^(١).

عجائب طبرستان

إحداها جبل دماوند فقد ذكر في كتاب "فردوس الحكمة العلى" لابن ربن الطبري^(٨٢) أن من قرية "امسك" حتى ضمته مسيرة يومين وهو على شكل قبة مخروطية الشكل وجوانبه مكسوة بالثلوج على الدوام لأعلى فوهته في مساحة تبلغ ثلاثين جريباً وهو مكان لا يستقر عليه الثلج صيفاً وشتاءً وهناك رمال إذا سرت عليها لا تغوص القدم ، بها وعندما تقف على سطح الجبل يظهر بحر الخزر يجرى أمامه والجبال من حوله كالتلال ، ويوجد ثلاثون ثقباً في فوهة هذا الجبل يخرج منها دخان الكبريت ويسمعون أصواتاً مخيفة تبعث من هذه الثقوب على شكل أسهم حيث يوجد في جوف وقلب الجبل نيران ، ولا يستطيع حيوان قط أن يستقر عليه لشدة الرياح التي تهب عليه ويقول علماء الكيمياء : إنه يمكن العثور على الكبريت فيه.

وقد أخبر "اليزدادى" أنه في عهد قابوس شمس المعالى كان يوجد شاب كان يدعى ابن أمريكا قد عثر على الكبريت الأحمر هناك ، وكان يصنع الذهب فلما عرف الملك هرب وعلى نحو ما جاء في أخبار أصحاب الأحاديث أن صخر الجنى صاحب خاتم النبي سليمان صلواته الله عليه لما أسره سليمان حبسه هناك، وطلب من الحق تعالى عز اسمه أن يعذبه فيها حتى قيام الساعة ، وقد ورد هذا عن أمير المؤمنين على عليه السلام بأسانيد صحيحة ، أما عن أحوال "بيوراسب" وحكاياته التي أمر الخليفة

(١) إشارة إلى أن المؤلف كان يكتب مؤرخه آنذاك. (المترجم).

المؤمن بالوقوف على أمره ، وما كان فى عهد هرمزد شاه وخسرو برويز" ، وحكايات موسى بن عيسى الكسروى" التى وردت فى كتاب النيروز والمهرجان ، وحكايات الجارية والحره اليسعية ، ولما كانت تلك الحكايات بعيدة عن العقل وغير منقولة عن أخبار أصحاب الشريعة فقد تركتها - أى الكاتب - حتى لا يأخذها القراء على سبيل الأكاذيب ، وجاء فى أخبار المجوس وهرا بذتهم أن أنوشروان العادل بعث إليه رسول فلما رآه سلم عليه وقال : من بعثك إلى ، قال : كسرى أنوشروان فقام على قدميه وقال دعاء وقدم للرسول ثلاثة أشياء حباً ومودة ، وقال احملها إليه وقل له يحررنى وهذه المعاجين الثلاث إحداها أن يأكلها كى يدفع الشيب ثانياها لهضم الطعام وثالثها لقوة الجماع ، فلما مثل عند أنوشروان نظر فيها وتعجب وقال ليس لنا حاجة بهذه المعاجين لأن الشيب وقار وجمال ووجهة الرجل وليتنى أجد المشيب حتى تزداد هيبتى وعظمتى وبهائى فى القلوب أما عن المجامعة والرغبة فى كثرة المعاشرة معاذ الله - فهذا معناه الانتقال من صحة العقل والثبات إلى حالة الجنون والخفة حتى إذا كان للحفاظ على بقاء الإنسان والتناسل فليس هذا مشتهى ولا رغبتى، أما عن حديث هضم الطعام لأكل المزيد فالقائدة إذن ستكون زيادة الغائط فالزهد والإمساك أولى إلا ما كان لسد رمق الطبيعة الإنسانية ، فلا يصح أن يكون لعقل قط رغبة فى الطعام كرغبة البهيمة فى العلق ، ولما كان كل هذا موجودا فكان الأولى أن يسلم ابن الحرام ذلك إلى الهلاك ، ثم أمر بأن يؤخذ ما كان قد أحضر للمشيب وأن يوضع عليه الخاتم ويمسح به رأس كلب أبيض فكانت رأسه تكبر وتتورم ساعة بعد ساعة حتى تضخمت فكان يدور ويضربها فى الصخر حتى أسلم الروح فأمر أنوشروان بأن يدفن الكلب فى التراب.

كان ملك يدعوونه "بما هيه سر" وكان ذا رأس صغيرة ولم يكن على رأسه شعر قط وكان دائماً يعقد على رأسه عمامة صيفا وشتاء بحيث لم ير مخلوق قط رأسه كيف هى.

وكان يهودى اسمه شمعون بن خداداد ، ويقول البعض بل كان مجوسياً اسمه "بابى بن فرخ أذين" كانت أمه محتالة ساحرة لا يوجد لها مثيل فى الزمان ، وكانت تدعى "روز بنت خورشيد" وكان مسكنهم على بعد أربعة فراسخ من مدينة أمل عند شاطئ "بحر بيشة" وتعرف الآن "أسى ويشة" ، وكان قصرها فى تلك القرية ولا تزال هى عامرة أيضا وتدعى ويلبر وتوجد بين قرية "كدلنكور" و"شيرآباد" هضبة عظيمة عالية وحادة تعرف الآن بقلعة "ما هية سرى" ويحيطها خندق عميق به ماء غزير وبالماء طحالب كثيرة مهما ألقى فيه من شئ لا يبلغ سقاعه ولا يمكن عبوره إلا

بزورق لو سقط فيه وحش فإنه كلما تحرك أكثر يغوص فى الأرض أكثر وله ساحة فى الجانب التى تهب منها ريح الشمال فينبت عليها النرجس لا يوجد فى العالم نرجس بمثل رائحته ، وكان التين الخسروانى فى قرية ويلبر أشد عسلاً من الحلوى وكان "ما هية سر" ملك ظالم وجبار وطاغ وعات ومستبد وكان أهل الولاية قد ضاقوا منه فقد جمع مالا كثيراً ودفنه تحت مبانى تلك الولاية ، وفى عهد عبد الله بن محمد بن نوح أبو العباس الذى كان والياً على طبرستان جاء إليه شيخ له مائة عام من أهالى تلك المنطقة وأعطاه دلائل الكنز ؛ فأرسل أبو العباس جميع المساجين مع أمنائه إلى ويلبر كي يستخرجوه وبذلوا كثيراً من الجهد وصونوا أموالاً وانشغلوا بذلك عهداً طويلاً وكلما بلغوا الموضع الذى تظهر فيه تلك العلامات كانت الجوانب تنهدم فوقهم فتقتل الناس ، ولم تفلح علوم ولا حيل حتى تخلى أبو العباس فى النهاية عن هذا الأمر ، وقد حكوا أن بعضاً من الأكاسرة قد بعث برسول إلى "ما هية سر" بأن يأتى إلى خدمتنا وإلا فسوف تتم المخاطبة معك ، فأنزلوا الرسول فى هذا المكان وصدرت الأوامر بإكرامه وكان قد صنع سحراً حتى لا يسمع بالنهار أصواتها من الضفادع والوحوش والطيور فلما حل الليل كانوا يسمعون أصواتاً صاخبة كصوت سقوط السماء على الأرض فى تلك الموضع ، فلما سمع رسول كسرى فى تلك الليلة هول يوم القيامة سأل وهو متحير عن هذا الأمر ؟ قالوا هؤلاء حراس المسك فى الليل ، قال : أين كانوا بالنهار ؟ قالوا يستريحون بالنهار فلما عاد رسول كسرى وقص هذا الأمر قالوا له لقد رأيت فى النوم وتوهمت أنك رأيت فى اليقظة وجاء فى تاريخ البرامكة أن "ما هية سر" كان صاحب خاتم برمك من عبد الملك بن مروان ، وقد سجلت هذه الحكاية فى الكتاب أولاً ولكنها تقترب فى رأى إلى الكذب وسبب ذلك أن "ما هية سر" منذ العهد المبارك لصاحب الشريعة وكان عبد الملك من خلفاء بنى أمية وقد أورد اليزدادى فى كتابة كثيراً من الحكايات عن "ما هية سر" وملكها وهى كلها خرافات وأساطير عجائز لأنها غير معقولة لذا لم نذكر ترجمتها .

وقد ورد أنه لما آلت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك قال : بما إن الإمارة وصلتني بطريق الإرث فيجب أن يكون لى وزير قد أسندت له الوزارة أبا عن جد أيضاً ، قالوا : إن برمك هو الرجل الذى كان موصوفاً بهذه الصفة ، وأنذاك برمك قد عاد إلى الشام وبعث سليمان برسول فى إثر برمك إلى بلخ وكان برمك قد توجه إلى بغداد عن طريق طبرستان ، وأنذاك يقال قد التقى عرضاً مع أحد من ملوك مازندران وكان الملك مشغولاً باللهو على ظهر زورق ، فلما التقى برمك به ورأى خاتماً فى أصبع الملك كان فسه غاية فى الروعة، أدرك أنه الملك بالفراسة ، وفى الحال

أخرج الملك الخاتم من إصبعه ورماه في البحر فاستاء برمك من هذا الأمر كثيراً، وبعد ذلك طلب الملك من خازن المجوهرات صندوقاً فأخرج سمكتين ذهبيتين بقدر الخاتم وكلتاها متصلة بالأخرى وألقى بهما في البحر خلف الخاتم بعد ذلك خرجت السمكتان الذهبيتان وفي فمهما الخاتم فأخذ الملك الخاتم ووضعاه أمام برمك.

الخلاصة : أن برمك تعجب من هذا الأمر كثيراً ولما مثل عند سليمان بن عبد الملك ووقع نظر الخليفة على برمك استاء تماماً ، وكلما كان برمك يقترب من الخليفة كانت تزداد دهشة ووحشة الخليفة، فلما قام لمصافحته امتنع سليمان عن مد يده وقال ابعدوا هذا الشخص عني ، فأخرجوا برمك واستفسر الندماء عن هذا الأمر، قال الخليفة كيف يحضر برمك السم معه ربما انطوى في داخله باطل وعبر بخياله محال، فلما علم برمك هذه الواقعة مثل في بلاط الخليفة وقال اتخذت هذا السم لنفسى لأن سنة الوزراء القدامى أن يجعلوا لأنفسهم قليلاً من السم فقد توقعهم القدر في حادثة أو بلوى ولا يغنى دفع المال لهذا الأمر ويصبحون موضع استخفاف فيتناولون هذا السم ويخلصون أنفسهم بهذه الصورة ، فاستحسن الخليفة هذا الكلام منه ويقال إنه اتخذ "وزيراً" منذ ذلك اليوم ثم بعد ذلك استفسر برمك كيف عرف الخليفة أن معه سمّاً فقال الخليفة : احتفظ بخزنتين من خزانة الأكاسرة وأربطهما على ساعدي ووظيفتهما أنه كلما ظهر لهما سم يتحركان وكلما يقترب السم من حامل الخزنتين تزداد حركتهما فلما جئت إلى مجلسي تحركا ولما وصلت إلى هذا المكان أخذتا يتصارعان ويتقاتلان معا ككباشين فعلمت أن معك سمّاً ، فلما فرغ الخليفة من كلامه وبدأ برمك يقص حكاية البحر والسمكتين الذهبيتين تعجب "الخليفة" وبعث برسول إلى ملك مازندران يطلب منه هاتين السمكتين الذهبيتين فلما أحضرهما أخذوا يشاهدونهما عدة مرات متى انضما.

وعجيبه أخرى : كان يوجد بئر بناحية أوميدوار كوه يعرف: "بئر ويجن" ليس له نهاية ، وعدة مرات حملوا إلى موضعه عدة أحمال من الحبال وربطوها معاً فلم تبلغ قاع ذلك البئر ، ولما كانوا يرمون به أحجاراً كان يأتي إليهم الصوت ساعة بعد ساعة إلى أن ينقطع الصوت بعد ذلك ودائماً كان ينبعث من هذا البئر ريح باردة ومعطرة في موسم الصيف، وكان هذا البئر محاطاً بالأشجار وكانوا يجلبون دعائم الأسقف وسطحها من هناك لطيب رائحة الخشب ، وفي الصيف حينما كانوا يجلسون عليها كانوا يجدون البرودة والطيور التي تعرف بالسقا كانت تقف على هذه الأشجار

دائماً، وأخرى كان يوجد بناحية رويان قرية مشهورة تعرف بسعيد آباد كل مولود يولد من أمه ويأتى إلى الوجود كان يموت فى طفولته حتى جرت عادة أن الأمهات وقت وضع حملهن كان ينتقلن إلى أماكن أخرى فى موسم الصيف.

وأخرى : وكان يوجد قرية بناحية كلار تعرف بدلم كل من يولد بها لا يتجاوز عمره العشرين عاما وأخرى : وكانت قرية بناحية نائل تعرف بمندول كانت رقعتها ستين جريباً وكانت تزرع أرزا وكان يظهر فى تلك المنطقة ماء كثير بحيث يروى زراعات الأرز تلك حتى تنضج ولا يبقى لها حاجة لذلك الماء ، عندئذ يجف ذلك الماء ، وأخرى : وكانت توجد قرية بنائل أيضاً تعرف بـ "نكارستان" وكان يوجد صخرة فوق قمة جبل تلك القرية وحول ذلك الحجر فلاة وغابة تبلغ خمسة فراسخ من هناك حتى أمل، ويتفجر من هذه الصخرة خمس عيون من الماء الزلال وكلما كانت حرارة الصيف تشتد كان الماء يسيل منها أكثر ولا يأتى منها قطرة فى الشتاء .

وأخرى : ويوجد فى نواحي "آمل" عشب يدعى "كنديه رويه" إذا ذلك فى اليد ثم دلك به قضيب الرجل اشتد انتصابه وتورم وتتضاعف وبعد ساعة يعود لحالته ولهذا العشب أوراق صغيرة .

وأخرى كان لمحة شالوس ضاحية تجعل جلد البشرة أبيض اللون وحينما كانت جارية من كابل أو من الهند تعيش بها عاماً تصير مثل أهل الروم والصقلان ، وهذا الخبر مشهور وأخرى : كان يوجد بجبل "وندا هرمزد" بئر كانوا يفركون الثوم ويرمون فيه فيأتى المطر من السماء وقد جربوا أن كل من يفرك الثوم فى هذا البئر كان يموت فى نفس العام.

وأخرى : كان يوجد عشب بأوميدوار يعرف بـ كوكرنيز كل من يجتثه فإنه يكون إما ضاحكاً أو باكياً أو متحدثاً بعذب الكلام أو مقامراً وإذا أعطى لشخص كى يتناوله فإن ذلك الشخص الذى يتناوله يقع بداخله على نحو ما عليه الشخص الذى اقتلعه ، وأخرى : وفى أطراف طبرستان مكان يعرف بجبل "إيزه" وكانت هناك قلعة فى عهد اليزدادى يقال لها "فيروز كوه" وهذا الجبل متصل بجبل آخر كان ينبت فيه زهر قاتل ينبت فى شكل سنابل بناحية "رود بارين" ، وأخرى : وكان ينبت "بونداد هرمزد كوه" نبات الإنخر مثلما كان ينبت بمكة وهم يطلقون عليه "مشكواش" ويضعونه غسبلاً للأيدى.

وأخرى : وكان "فى سياه رود" أى "النهر الأسود" قرب جمنو قرية دنكى دواقة ماء تعرف بدوامة القتر ، فلما جمع الإسكندر الرومى أموالاً طائلة دفنها فيه ، وسعى الملوك فى أوقات كثيرة كى يستخرجوها ، ولم يتأت لهم ذلك وكان آخرهم ما كان من ابن حاكى فقد صرف أموالاً طائلة على ذلك وجفف الكثير من مائه واستخدم كل السبل حتى وصل إلى المكان وظهر الجص والطوب وآثار المباني ، وعندئذ قالوا غداً نصل إلى المقصود فهطل الماء فى تلك الليلة واختفى كل شىء ورأى ما كان رؤية فى تلك الليلة من يقول له لا تبذل روحك عبثاً فلم توضع تلك الأموال من أجلك ، فرفع يده عن ذلك الأمر ولم تظهر هذه الرغبة لدى شخص آخر من بعده ، وأخرى : لابد وأن يأتى كل خمسة وعشرين عاماً قحط وترتفع الأسعار وإن كانت ميسورة ، وأخرى : ويقول شاعر طبرى عن حكاية التنين الذى كانت لسام فريمان جد رستم ما ترجمته : من الجرأة أن يذهب "سام" لمواجهة التنين على الأرض.

وهكذا قد ظهر التنين فى مدينة "ياره كوه" وكان له خمسون قمماً قاضماً ولا يستطيع إنسان أن يمر من تلك الولاية لا من البحر ولا من الفلاة ولا من الجبل حتى الوحوش خوفاً منه ، وقد تركت الولاية مفتوحة حتى جاء التنين إلى سارى ، فجاء أهل طبرستان إلى سام وعرضوا عليه هذا الأمر ، فلما جاء سام ورأى التنين من على بعد قال : لا أستطيع أن أفعل شيئاً معه بهذا السلاح فصنع سلاحاً وكان التنين آنذاك بقرية الأرس قرب البحر فعثر عليه بموضع يعرف "كاوه كلابه" ، فلما رأى التنين سام هجم عليه قسرية سام بعمود على رأسه فمات وأطلق صرخة بحيث إن كل شخص كان مع سام قد سقط من هول تلك الصرخة وكان يلف ذنبه كى يحيط بسام فى داخله وظل يتلوى لمدة ثلاثة أيام ثم هلك والآن لا تنبت الخضرة نهائياً بهذا الموضع وأثر ذلك مازال موجوداً .

الباب الرابع

فى ذكر الملوك والأكابر والعلماء والزهاد والمعارف والكتاب والأطباء وأهل النجوم والحكماء والشعراء.

١- الإصفيهيد مازيار :

كان الإصفيهيد مازيار من القدماء ولم يكن بزمانه ملك أكفأ منه ، وحين نصل إلى زمانه يتضح لنا أن سائسه ركب ذات يوم جواده وأخذ يتحرك به ، فسأله : أتعلم أى عيب فى هذا الجواد ؟ فقال لا يوجد فى الدنيا بأسرها مثل هذا الجواد فأى عيب يدركه أى إنسان فيه ، فقال مازيار : لا يوجد نخاع فى كلا حافريه فأمر الإصفيهيد بقتله وكسر حافريه فلم يكن بهما نخاع وقد وصفوا له قطيعا فى طخيرستان لفلان به جواد يبلغ ثمنه مائة ألف درهم فأعطى للجماعة التى كانت صاحبة مهارة وخبرة ، وبعث بهم لشراء هذا الجواد وقال لهم أن يمضوا إلى طخيرستان لشراء هذا الجواد أولاً ، فلما وصلوا إلى هناك قال صاحب الجواد أبيعته بقطيع بأكمله ولا أترك شخصاً ما يركبه ، فالجواد غاية فى الجمال واللياقة وكانت أعضائه وقوامه متناسقة فكتبوا بذلك إلى الإصفيهيد أن الحال على هذا النحو فما ترى ؟ ، فكتب إليهم فى رده لابد أن مالك الجواد يرى فيه عيباً وإلا ما اشترط هذا الشرط، ويجب عليكم أن تحتاطوا تماماً فى فحص أعضائه وتناسب خلقته وأن تدفعوا ثمنه على شرط إذا ما وضع حلقة الحبل فى رقبتة "الأنشودة" فإذا ما استقامت أذناه وتركز نظره بحدة بين ساقيه الأماميتين وضم ذيله بين فخذه يكون البيع صحيحاً ، وإذا ما أسلم رقبتة لحلقة الحبل إذا ما ألقيت عليه و استرخت ساعده وتدلّت أذناه إلى أسفل يرد لعيب فيه ولا تشتروه إطلاقاً فلما قرأوا رسالته وقاموا بتجربة الجواد كان الأمر وفق ما قاله وكتبه .

وقد أقام "على بن ربن" خليفة بعده على ديوان إنشائه فكانت معانيه فى الكتابات التى يكتبها أقل من تلك التى كانت تكتب له فى عهد مازيار ، فسئل عن سبب ذلك

فقال : إنه كان يكتب معانيه تلك بلغته فى حين أكتب أنا باللغة العربية فأدركوا أن تفكير مازيار كان أقوى وسوف تأتى فى مكانها جميع أحوال الكراية والمنح التى قدمت إليه عندما حمل إلى شر من رأى.

٢ - النداء بن سوخرا :

قالوا إنه كان ملكا وقد عدوه ندا لرستم بن داستان فى بأسه وبسالته ويقال إنه ذات ليلة جرى خلف وعل أربعين فرسخاً وأراد أن يبلغ فى مطارדתه حتى حدود الأعناب فاعترضه سيل جارف كالنهر فدفع بالجواد داخل السيل وقد سمي بالمؤيد تقديرا له ، وولده ونداد هرمزد بن النداء الذى يعد صيت رجولته أسطورة ، وسوف يرد فى موضعه ذكر ما فعله من قتل الفراشة والشيطان لافرغانى ، ولما وصل هارون إلى الرى بعث بالمأمون حتى يكون فى رعايته ، فمنح المأمون من القرى ما كان مجموعته مليون وستمائة ألف درهم ، وفى الوقت الذى قتل فيه الفراشة ، كان الإصفهيد "شروين" ملك الجبال قد أقبل لمعاونته ومنحه حصتين من غنائم الفراشة ولما وصل هارون الرشيد إلى الرى بعد قتل الفراشة استقبله "ونداد هرمزد" ، فلما وقعت عين هارون الرشيد عليه أخذ فى تخويفه وارتعاده وتهديده بألفاظ عربية وفهم أنه غاضب وحاد ، فاتجه إليه وقال : أنا لا أعلم العربية ولكن يتضح لى من تغير على وجه أمير المؤمنين المبارك أنه يتحدث فى حقى بلا شفقة ، فلما لم يقل هذا وقت أن كنت فى ملك قوهستان والآن وقد اخترت الدخول فى خدمته عن انقياد وطواعية ورغبة وبدون كره أو إجبار وحضرت بين يديه ينطق فى حقى بما لا يليق فى باب العظمة فى حق الضيف والخادم المتطوع ، فسأل الخليفة عما يقوله فترجموا له كلامه فخجل هارون وقال الحق معه وأعلى رتبته وأمر بأن يحضروا وسادة كى يجلس عليها فلما حملوها إليه ليجلس عليها ، رفعها ووضعها فوق رأسه وقال إن حاشية أمير المؤمنين يجب أن تكرم ووضعها فوق الرأس أولى ، فلما قام أمر هارون بأن يحملوا الوسادة إلى منزله، وذات يوم جاء إلى البلاط وجلس فأقبل عم هارون الرشيد فقام الحاضرون فى المجلس إلا "ونداد هرمزد" الذى لم يعبأ به ولم ينهض فاستاء هارون الرشيد والحاضرون فى المجلس ووقع فى قلوبهم ضيق عليه حتى أقبل فى عقبه "يزيد بن مزيد" ومثل فى الحضرة ، فقام لأجله ومداد هرمزد قبل الجميع وأبدى تواضعا له فتبسم الناس من تصرفه ، فقال له الرشيد : عمى الذى من لحمى ودمى لم تبد له مروءة ولما أقبل هذا العبد الحقير إلى البلاط أبديت له هذا الاحترام ، فأجاب ونداد هرمزد بآنى لا أعرف عمك ومحال أن أقوم لكل إنسان لا أعرفه أما هذا فهو رجل

فاضل وشجاع فقامت لرجواته وفضله وحين بعثته إلى ممالك أمضى عندي عاماً بأكمله ، ففي صباح كل يوم تشرق الشمس كان يجهز الجيش بصورة جديدة ، وكان لدى فارس في تلك الولاية وكان فكري وقلبي على السواء متعلقين في شهامته ومبارزته وبعثت به إليه يوم القتال فاستل السيف وفي أقل من وهلة رأيت رأس مبارزى قد سقطت أمام جواده فخرجت أنا بنفسى للقتال فطوح نحوى بسيف لم أشهد قبله أفلا أقوم لمثل هذا الرجل ، ورغم أنه عدوى فإننى أحب ذلك ، فاستحسن هارون كلامه وبعد ذلك أوصل يزيد بن مزيد إلى مراقب العظماء لدرجة أن كان في منزل هارون في قصر أم جعفر نسناساً وكان يخدمه ثلاثون رجلاً يربطون حول وسطه نطاق السيف ويركب الفرسان معه وكل شخص كان يدخل إلى البلاط كان يؤمر بأن يقبل ذلك النسناس وأن يقدم الاحترام له ، وقد سمعت أن ذلك القرد قد فض بكارة عدة فتيات وكان يمارس في البلاط الإباحية والإلحاد وعدم الحياء والتدين وما حرمة الشريعة وقد ذكر الأمير أبو فراس في قصيدته التي تسمى المذهبة هذا القرد وكان يكنى أبى خلف :

لا يبيت لهم خنثى ينادمهم ولا يرى لهم قرداً له حشم
والخلاصة : أنه في ذات يوم ذهب يزيد بن مزيد إلى بلاط أم جعفر بعد أن ودع هارون الرشيد كي ينهى خدمته ، فأحضروا له القرد وقالوا له : قبل يده وسلم على أبى خلف، فاستل السيف وشطره نصفين وعاد غاضباً ، فعرضوا هذا الأمر على هارون بأنه قد أتى مثل هذه الشجاعة ، فاستدعاه وقال : (ما حملك على مرا غمة أم جعفر) ، فأجاب بقوله : (يا أمير المؤمنين أبعد خدمة الخلفاء نخدم القروء لا والله لا كان ذلك) ، فعفا عنه هارون الرشيد وأعاده ، ويقول مسلم بن الوليد المعروف بصريح الغوانى في رثائه :

قبر بآران استسر ضريحه خطراً تقاصر دون الأخطار(١)
٣ - خورشيد بن داذمهر :

حينما مثل في خدمته واحد من أبناء ملوك "خراسان" ، وأتى معه بتحف وهدايا وعجائب من ولايته وكان له منزل في أصفهبدان فأمر أن ينزل ذلك الضيف هناك على مقربة من أصفهبد ، وأقام له منزلاً لائقاً وقد طلب ذلك الشاب أطباقاً كي يضع عليها

(١) قال مسلم بن الوليد هذا البيت في رثاء زوجته خلافا لما ذكره ابن السنجر وقد ورد هذا البيت بشكل مغاير في حماسة أبى تمام حيث قال : "قبر بطوان" ، انظر حماسة أبى تمام ، ج ١ ، ص ٤٦٧ (المترجم) .

تحفة في موكب الإصفهيد ، فقال الشاب الخرساني : يلزمنا أكثر من ذلك ، وكانت ابنة فرخان أعظم زوجات الإصفهيد تقيم بهذا الموضع فبعثوا إلى قصرها وطلبوا خمسمائة طبق أخرى توضع التحف فوق الألف طبق من الفضة وأهداها إلى الإصفهيد فقبلها وعوضه عنها بألفى طبق عليها تحف طبرستانية ومائة ألف درهم، وفي وقت آخر أحضر رجل كأساً مرصعاً بالجواهر على هيئة ديك وقد رصعت حول كلتا عينيه ياقوت أحمر نفيس فقبلها وتعهده بالرعايا إلى أن أتى يوم نقلوا فيه عن ذلك الرجل قوله إن أحداً ما لم يقدم إلى الإصفهيد هدية مثل هديته فأمر الإصفهيد بترتيب مجلس الشراب وأحضر فيه ذلك الرجل إلى جانب خمسمائة شخص آخر ووضع بين يدي كل واحد منهم ديكاً أفضل من ذلك الذي قدمه للأصفهيد ، فأدرك ذلك الرجل الغريب الأمر فنهض وقبل الأرض ووقف من الإصفهيد، موقف الاستغفار، فأجلسه الإصفهيد إلى الغد حيث رد إليه ديكه ومنحه ضعف قيمته .

٤ - الإصفهيد بادوسبان :

كان يطعم كل يوم ستمائة شخص وكان يمد على المائدة الثلاث وجبات ، فكان يطعم مائتين في الصباح ومائتين بعد الظهر ومائتين في العشاء ، وقد لجأ إليه عبد الله بن فضالويه السروي هرباً من محمد بن زيد فخصص له مائتي درهم ليتعيش بها ، فلما مات سلمت إلى أبنائه ، ويوجد من سادات آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ممن كانوا حكام عدل على طبرستان وتوجد قبورهم بها جميعاً وأول شخص منهم الحسن بن زيد بن إسماعيل المعروف بحالب الحجارة لشدة وقوته وصلابته ابن الحسن بن زيد بن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهم السلام ولد بمدينة الرسول ونشأ بها ، وكان قريع زمانه في الشجاعة والدهاء وثبات القلب وذكر "الطبائبي العلوي" في كتابه "أنساب أشراف الأمصار" ما ذكرته وسيأتي ذكر خروجه واستيلائه على ملك طبرستان في موضعه وقد ذكر في كتاب "ملح الملح" وكتاب "نزهة العقول" أنه بلغ الغاية في الكرم والهمة بحيث إن أبا الغمر الشاعر الطبري أنشد بين يديه هذين البيتين

إذا كتبت يد الحجام سطرأ أتاك بها الأمان من السقام
فحسمك داء جسمك باحتجام كحسمك داء ملكك بالحسام

فمنحه على هذين البيتين عشرة آلاف درهم في الحال.

٥ - محمد بن زيد الداعي إلى الحق :

كان أخا الحسن بن زيد وهو العظيم الذى لو ألفت فى عظمة قدره وجاهه مجلدات لكانت قاصرة ، وروى سيد إمام أبو طالب أنه كان له كاتب عالم يقال له "أبو القسم الكاتب البلخي" وكان مشهورا ومعروفا بالفضل والبلاغة ، وقد قال خدمت العديد من الملوك ورغم ما كان لهم من ملك وجاه وسيع وبرغم ما رأيت من كثرة بلغاء الدنيا فقد كانوا جميعا مثلى إلا محمداً هذا فكلما كان يُملَى رسالة كنت أتصور أن محمدا رسول الله يبلغ الوحي ، ونظم عبد العزيز العجلي فى حقه قصيدة:

وإذا تبسم سـيـفـه	بكت النساء من القـبـائل
وإذا تخضب بالدماء	خرجن فى سـود الغـلائل
لا شىء أحـسـن عنده	من نأمل فى كـف سـائل

فبعث إليه بثلاثين ألف درهم ، وحينما مثل بين يديه فى "آمل" وترجل عن جواده كان "عبد العزيز العجلي" من وجهاء الدنيا وبعث إليه بمليون درهم فى مائة بدرية فضلاً عن الآلات والهدايا ، وكان يبعث كل عام بثلاثين ألف درهم أحمر إلى مشاهد الحسين بن على وأمير المؤمنين على والحسن بن على عليهم السلام وسائر ساداته وأقربائه ، ولما هدم "المتوكل" مشاهد الأئمة كان هو أول شخص أمر بإعادة عمارتها، وقد ورد أنه جلس ذات يوم بديوان العطاء وكان يوزع الثياب على الحشم فأحضروا إليه رجلاً فسأله : من أى قبيلة أنت ؟ ، فقال : أنا من عبد شمس ، فقال: من أى بطن ؟ ، فسكت الرجل فقال له : عساك من أبناء معاوية قال نعم ، فسأله من أى ابن فيهم ؟ ، فسكت فقال له عساك من أبناء يزيد فقال نعم ، فقال الداعي عساك لم تعرف لا يجب وجودك مع الطالبين فاستل السادة العلويين السيوف ليقتلوه فزجرهم ، وقال مصعب ابن الزبير أنه جلس للعطاء ذات يوم بديوان العطاء فنادى المنادى هذا فلان بن عمر بن جرموز فقيل أيها الأمير إن ابن جرموز خائف وفزع لأن أباه قد قتل الزبير فقال مصعب : جلت همة "ابن جرموز" أن أقيده بأبى "عبد الله" ليظهر آمناً وليأخذ عطاءه مسلماً ، وقد أعطى ذلك الرجل نفقات ودابة وأرسل الرسل معه حتى بلغ العراق خشية أن يقتله الطالبية ، والمعنى أعظمت همة ابن جرموز حتى أضعه ذلك الموضع بحيث يكون كفاءً لأبى فى القصاص لتبلغوه بأنه يأخذ عطاءه ويذهب بسلام.

قفنا خليلي على تلك الربى
لولا ابن زيد الندى محمد
أحيانا لنا بجوده وبأسه
من ذائد منه إذا قيل ابن من
سادت نساء العالمين أمه
نجل بنى العالمين المصطفى
وابن الذي انبع في راحتته
ومن على كفيه جهرا سيحت
ومن رمى كف حصاه في الوغى
من صلب العنز وكانت حائلاً
من غرس النخل فجازت يانعا
من صرم يوم الوغى جريدة
من قال للأرض خذي فأخذت
ومن دعا الدوحة إذ قال لها
ومن شكى البعير ظلم أهله
من كلم الذئب غداة جاءه
شق له البدر المنير شقة
ومن هو الشافع في أمته

وسائلها أين هاتيك الدجى
لم ندر ما سبل إرشاد والهدى
وأصله ميت الرجاء والمنى
كقصاب قوسين من الله دنى
وساد في الخلق أبوه المرتجى
وابن أمير المؤمنين المرتضى
من حجر ماز معيناً فجرى
وقطعت بفضلته جمع الحصى
فهزم القوم العدى بما رمى
مجهودة محضا غزيرا فسقى
مرطبة ليومها من النوى
فكان منها ذو الفقار المنتضى
عندوه لما رآه قد طغى
ها أقبلت فأقبلت لما دعا
له إليه ثقل حمل وجوى
يشكو إليه ما دعاه إذ عوى
فقليل سحر عجب لمن رأى
مشفع يوم الحساب والقضا

٦- الناصر الكبير الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر ابن علي السجاد ابن الإمام الشهيد الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام:

وكانت كنيته أبا محمد ولا تزال حتى الآن آثار كراماته وفضله وعلمه وزهده وورعه واضح في جيلان وديلم ويقتفى أهل جيلان وديلم طريقته وفي أمل مشهد ومدرسة دار الكتب والأوقاف المعمورة ، وقبره مزار للتبرك ويقيم المجاورون على رأس مشهده وإن نستطيع أن نكتب في حقه سوى هذا :

إذا ذكرت أوصاف أشرف هاشم فما ذكره إلا على صدر دفتر
لكم يا بنى الزهراء زهر خصائص تحير فيها فكرة المتفكر
أئمة دين الله أنتم وقد غدا لكم صدر محراب وذروة منبر

وكان له أربعة أبناء مات ابنه محمد صغيراً وبه كان يكنى و على الشاعر وأحمد
المكنى بأبى الحسين وجعفر المكنى بأبى القاسم ، وقد بقى من هؤلاء الأبناء الثلاث
أحفاد وحكموا فترة فى الجيل والديلم ، وانتشر بعضهم فى أطراف العالم ، وجاء فى
كتاب " الأنساب " شرح نسب كل واحد وكان أحمد بن الناصر إمامى المذهب ومن
أبنائه أبو جعفر محمد صاحب القنسوة ببلاد الديلم وأبو محمد الحسن النقيب
ببغداد ومن على الشاعر أبو عبد الله محمد الأطروش وأبو على محمد بن على
الشاعر الذى كان له وجاهة ببغداد وسمعت أنه أنشد هذين البيتين ذات يوم وكان
يقول :

فإن كنت لا تدري متى أنت ميت وقبـرك لا تدري بأى مكان
حسبك قول الناس فيما ملكته لقد كان هذا مرة لفلان

ورغم إنه كان له أشعار كثيرة وفضل وافر ، فقد أمضى فترة طويلة فى صحبة
الإمام الحسن بن على العسكرى صلوات الله عليهما واقتبس منه العلوم ، ومن
الطلاب الذين استفادوا منه ابن مهدى ما فكيرى وأبو العلا السروى الذى ذكر فضله
الثعالبى فى كتاب "يتيمة الدهر" وأحد الطلاب كان يقول كلمة مع آخر حول تحسين
هذين البيتين ، ولأن سيد كان أصم فلم يعلم ماذا يقول فقال:

يا هذا ارفع من صوتك فإن بأذننى بعض ما يروحك ، ومن أشعار ابنه ابن
الحسن أحمد الذى ورد بعض منها فى هذا التاريخ وذكرت بكتاب "الأنساب" لصاحب
الجيش وقد جاءت هذه الأبيات له فى وصف صدور :

صدور من الديباج نـق وشيها وصلن بأطواق اللجين السـواذج
وأحداق تبر فى خدود شقائق تـلألاً حسنا كاشتعمال المسارج
وأذنا بطلع فى ظهور ملايق مرجـرجة الأعطاف صهب الدمالج
فإن فخر الطاوس يوماً بحسنه فلا حسن إلا دون حسن التـذارج

٧ - السيدان الأخوان المؤيد بالله عضد الدولة أبو الحسين والناطق بالحق أبو طالب يحيى ابنا الحسين ابن هارون ابن الحسين ابن عماد بن هارون بن محمد ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الإمام السبط الحسن بن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليهم السلام :

هكذا يقال إنه لم يخرج مخلوق قط من سادات آل الرسول عليه الصلاة والسلام تجتمع فيه شروط الأمان أكثر من هذين الأخوين ، أما سيد أبو الحسن فقد دعا أهل الديلم وأجابوه جميعا في الجيل والديلم ولقابوس شمس المعالي فصل في تفضيل عمر وأبو بكر وعثمان وأمير المؤمنين علي على غرار الأسلوب المرسل لقابوس وقد عارض هذا السيد ذلك الفصل ودعمه بالحجج الدامغة ، وبلغ به غايته في رسالة كتبها بحيث يقال : إن الذي كتبه معجز ليس ببعيد ، وتصانيفه التي هي معروفة ومتداولة وهي كتاب التجريد، وكتاب الشرح ، وكتاب البلغة، وكتاب النصرة وكتاب الإفادة، وهذه هي جملة الكتب التي بيد الأئمة ولطلاب العلم شغف ورغبة صادقة في تعلم هذه الكتب اليوم (كما كان في السابق) ولم نكتب كتباً أخرى غير متداولة في هذا الكتاب ، ويصل ديوان أشعاره إلى مجلد ضخم ولم نستحسن إلا أن نورد بضعة أبيات من شعره هنا :

يَهْدُبُ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ حِوَادِثُ	كَمَا إِنَّ عَيْنَ السَّبْكِ تَخْلُصُهُ السَّبْكِ
وَمَا أَنَا بِالْوَانِي إِذَا الدَّهْرُ أَمْنِي	وَمَنْ ذَا مَنْ الْأَيَّامُ وَيَحْكُ يَنْفَكَ
بَلَانِي حِينَا بَعْدَ حِينٍ بِلَوْتِهِ	فَلَمْ أَلَفْ رَعْدِيداً يَنْهَنَّهُ السَّفْكَ
وَحَنَكُنِي كَيْمَا يَعُودُ أَرْمَتِي	فَطَحَطَتْهُ حَنَكَا وَمَاعَضْنِي الْحَنَكُ
لِيَسْلَمَ هَذَا الدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالَةٍ	بَأَى فَتَى الْمَضْمَارِ أَصْبَحَ يَحْتَكُ
نَمَانِي آبَاءَ كَرَامٍ أَعَزَّةٍ	مَرَاتِبُهَا أَنَّى يَحِيطُ بِهَا الدَّرَكُ
فَمَا مَدْرَكَ بِاللَّهِ يَبْلُغُ شَأْوَهُمْ	وَإِنْ يَكُ سَبَاقًا فَنَغَايَتُهُ التَّرَكُ
فَلَا بَرَقَهُمْ يَا صَاحِ إِنَّ شَيْئًا خَلَبَ	وَلَا وَفَسَدَهُمْ وَكَسَ وَلَا وَعَدَهُمْ إِنْكَ

وله أيضاً :

وقد سبكت عقيان نار محنة وبالسبك عقيان الرجال يهذب
وقد شذبت به النائبات وإنما تفرع غصن الدوح حين يشذب

ويقال إنه تعلم في البداية ببغداد على يد السيد أبي العباس ، وبعد ذلك اتصل بقاضى القضاة "عبد الجبار الهمداني" وتخرج في مجلسه وبلغ الغاية به وقد ذكر أنه في إحدى الليالى جاء إلى بلاط القاضى بعد نوم الخلائق وكان القاضى نائماً فأيقظوه وقالوا له : سيد أبو الحسين بالباب ، فأمر بأن يدخلوه وسأل القاضى عن مسألة فقال القاضى أجنئت لهذه المهمة ، فقال : نعم فكرت لو وافقتى المنية في هذه الليلة فأموت وأنا شاك في الدين وعلى شبهة ، وفى عهده نظم "ابن سكرة الهاشمى" قصيدة في ذم آل أبي طالب :

إن الخلافة مذ كانت ومذ بدأت موسومة بفتى من آل عباس
إذا انقضى عمر هذا أقام ذا خلفا ما لاحت الشمس وامتدت على الناس
فقل لمن يرتجىها غيرهم سفها لو شئت رocht كرب الظن باليأس
ويقول سيد أبو الحسن في جوابها

قل لابن سكرة يا نفل عباس أضحت خلافتكم منكوسة الرأس
أما المطيع فلا تخشى دوائره يعيش ما عاش في ذل وإنعاس
فالحمد لله حمداً لا شريك له خص ابن داعى بتاج العز في الناس

وكان ابن المعتز ناصبى المذهب وقد نظم قصيدة طويلة في معارضتها

أبى الله إلا ما ترون فمالكم غضاباً على الأقدار يا آل طالب
ونظم القاضى أبو القاسم على بن محمد التنوخى صاحب "كتاب الفرج بعد الشدة" قصيدة في معارضتها :

من ابن رسول الله وابن وصيه
نشا بين طنبور وزق ومزهر
ومن ظهر سكران إلى بطن قينة
يعيب عليا خير من وطئ الحصا
ويزرى على السبطين سبطى محمد
نشوا بين جبريل وبين محمد
وصى النبي المصطفى وصفيه
فكم مثل زيد قد أبادت سيوفكم
أما حمل المنصور من أرض يشرب
وقطعتم بالبغى يوم محمد
وفى أرض باخمر أمصايح قد ثوت
وغادر هاديكم بفخ طوائفها
وهارونكم أودى بغير جريرة
ومأمونكم سم الرضا بعد يعة
فهذا جواب للذى قال مالكم
إلى مدغل فى عقدة الدين ناصب
وفى حجر شاد أو على صدر ضارب
على شبهة فى ملكها وشوائب
وأكرم سار فى الأنام وسارب
فقل فى حضيض رام نيل الكواكب
وبين على خير ماش وراكب
ومشبهه فى شيمة وضرائب
بلا سبب غير الظنون الكواذب
بدور هدى تجلو ظلام الغياهب
قرائن أرحام له وقرائب
متر به الهامات حمر الترائب
ينغاديهم بالقاع بقع النواعب
نجوم تقى مثل النجوم الشواقب
تؤد ذرى شم الجبال الرواسب
غضاباً على الأقدار يا آل طالب

وسمعت أنه حينما استولى سيد أبو الحسين على الديلم واستقر له الأمر اتجه
العلماء من آفاق العالم للاستفادة به ، وبلغ به الأمر أن أرسل إلى قاضى القضاة
"عبد الجبار" لكى يبايعه ، وهكذا ذكر الحاكم جشم رحمه الله فى كتاب "جلاء
الأبصار" أنه بعد أن بلغ عمره بضعا وسبعين توفى رحمه الله يوم عرفة فى يوم
الأحد فى العام الواحد والعشرين وأربعمائة، ودفنوه فى قصره فى "بلنكا" يوم الاثنين
وكان - آنذاك - عيد الأضحى ، ولا يزال حتى الآن قبره ظاهرا ومشهده مستقرا ،
وأهل تلك النواحي جميعا على مذهبه و"إستندار كيكافوس" وأسلافه وسائر الديلمة كذلك.

٨ - السيد الناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين المؤيد بتأييد الله، أخو
السيد المؤيد بالله وكان أكبر من أخيه بعشر سنوات ، كان معروفا بكمال العقل

والفضل والسخاء والورع والاجتهاد والعبادة والزهد والتقوى وكان والدهم إمامي المذهب وكان هو كذلك في البداية ولم يكن له نظير في عصره ، وتعلم من سيد أبي العباس وبعده التحق بالشيخ أبي عبد الله الذي كان أستاذ الطائفة الإمامية ، ومرة أخرى اتصل بقاضي القضاة عبد الجبار ولم يكن بين الزيدية عالم ومحقق أبرز منه ، واشتغل بالتدريس في إحدى مدارس "كركان" فترة من الوقت وأتى إليه العلماء من أكتاف الدنيا للعلم ، وبعد ذلك توجه إلى الديلم حينما تولى أخوه وبايعه الناس وكان يكتب إليه الأستاذ الجليل أبو الفرج على ابن الحسين هندی في وقت الإمامة :

سر النبوة والنبيا	وزها الوصية والوصيا
أن الديالم بايعت	يحيى بن هارون الرضيا
ثم استربت بعبادة الأيا	ام إذ خـانت عليا
آل النبي طلبتم	ميراثكم طلباً بطيا
ياليت شعري هل أرى	نجماً لدولتكم مضيا
فأكون أول من يهـز	إلى الهياج المشرفيا
وكان له ولد توفى وهو شاب فرثاه بقصيدة	
عليك سلام الله ساكن بلقع	فليس إلى دفع الحسام سبيل
وليس إلى غير المتصبر مفزع	وإن عن خطب في المصائب جليل
وإن كان حزن الناس عند إياسهم	قصيراً فها حزني عليك طويل
وان كنت تحت التراب في الرمس ولولا	فذكرك في حشو الفسؤاد نزيل
مقال الناس فارق حلمه نازلاً	لشفع تسكاب الدموع عويل

وله أيضاً :

يا غائباً ماله إياب	خالفني بعدك اكتئاب
وغاب روح الحياة مني	لما يملأ جسمك التراب
يا ذا هبالم يصل شباباً	يبكى على فقدك الشباب

٩ - سيد أبو طالب يحيى :

كان قد ولد رحمة الله فى سنة ثلاثمائة وأربعين وتوفى فى سنة أربعمائة واثنى وعشرين ودفن بأمل عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاما وقد لحق بأخيه أيضا بعد أقل من عام وتصانيفه المشهورة هى : "كتاب التحرير والشرح" ، "كتاب المجزئ" ، كتاب "الدعامة".

١٠ - السيد الإمام الفقيه العالم المتكلم الزاهد الشاعر حسن ابن حمزة العلوى :

وقد أقيم مرقدہ فى مواجهة مدرسة رز بن الشرف بما هى وفى عهد الملك السعيد أردشير حيث حث السيد الإمام بهاء الدين المامطيرى على أن يأمر بتجديد عمارة مقبرته فيما كان يذهب إلى زيارة مشهد على بن موسى الرضا ونظم هذا الشعر وذكر فيه كل منازل الأيام، وله أشعار وآثار فضل كثيرة منها :

أبدرتم زاهر أم نور شمس باهر	أم غصن بان ناضر يحار فيه الناظر
اجلنار خدها أم الظلام جعدها	أم خوط بان قدها أنا فيها حائر
أدعص رمل ردفها ام نشر مسك عرفها	أم سيف عطف طرفها غضب حسام باتر
أحيزران خصرها أم أقحوان ثغرها	أم جنح ليل شعرها أم هى نور زاهر
أنجران انتصبا فى خده تعقربا	فاعتريانى لها تدمى لها المحاجر
أنظم در لفظها أم قوس غنج لحظها	حظى منها حظها إذ هى لا تماكر
فالصبح من غرتها والليل من طرتها	والمسك من نكهتها لها نسيم طاهر
والغصن من قوامها والدر من كلامها	والغنج من سهامها والطرف منها ساحر
و السحر من أجفانها والماء من بنانها	ها أنا من هجرانها على السقام صابر
تفتر عن ملثمها بلؤلؤ فى فمها	يلوح فى مبسمها كأنه جواهر
إذا مشيت يقلقها لنعمة قرطقتها	يفتننى منطقها واجفن فواتر
كالبدر فى تمثاله والغصن فى اعتداله	فالقلب من خباله لدائه مخامر
لا الذى يعلم ما فى الأرض طراً	ما نلت منها محرما كنت لها أحاذر

غير حديث ونظر من غير فحش ووزر
فعد عن تذكّارها وظل عن سمارها
ورب قفر فدفد تيهاء ذات فرقد
قطعتها بناقة زيافة حفاقة
إذا ارتمت في بيدها تئن في وخيدها
تستن في أرقالها في غير ما كلالها
بها غلدوت راجلاً من آمل ونازلاً
فما مطير قصدها حد إليها حدها
يا صاح حث الناجية أظن حثا ناهية
ثم أغد منها باكرا لمهروان ذاكرا
حتى توافي نامنه بزامل من عايينه
وفي طميش لا تقف إلا وقوف المنحرف
يا صاحبي ودائماً من استرأباد معا
وقف بجرجان ففى مربعها ما تشتفى
قد اغتدت أشجارها ترضعها أنهارها
أطيّارها دراجها يطربني تهيّاجها
غزالها يحمورها بلبلها شحرورها
دعها وعد قاصداً دينار زارى رائدا
حتى إذا آن الدنو من ربط أمر وتلو
مولاك بالتحميد وأثن بالتمجيد
حتى إذا جاوزا بدت والطير فيها غردت
قطعتها مجاوزا لشير آسف جائزا
حتى أتيت معلما لأسفرايين وما
ثم وردت المعقلي ومأوه كالحنظل

(١) جاء هذا المكان في النص فارغاً .

والله خير من غفر إذ هو رب غافر
إذ أنت بعد دارها لأرض طوس زائر
كصارم مجرد يتيه فيها الماهر
هفهافة لفاقة في سيرها تخاطر
للخف في صعيدها على الثرى حفاثر
تطرب في ترحالها إذ أحدها الزاجر
منازلاً عواطلاً يقطعها المسافر
يروع قلبي وخدها إذا السراب مائر
حتى توافي سارية يوما وأنت باكر
مقطعا هو أجرا من بعدها هواجر
يخاف منه مأمنه يذعر منه الذاعر
ثم اغد منها وانصرف والقلب منك طائر
وللرباط فاقطعا والربع منها دائر
بحظه ويكتفى واردها والصادر
واستوسقت ثمارها واخضرت الدساكر
تذرجها هزاجها فالكل منها صافر
قد اغتدت صقورها أفواها فواغر
لقصدها مجاهداً وسر وأنت شاكر
والقوم قد ترحلوا فارحل وأنت ذاكر
..... (١) إلى النعيم صائر
..... وانتحبت وثار منها نائر
أخطر منها جامزا فالوحش منى نافرا
قصرت في السير كما قصر فيه عابر
تبأله من منزل تعافه الجاذر

ونذكر أن الناصر الكبير مع كثرة فصاحته وبلاغته كان يقول : لو جاز قراءة شعر أحد في الصلاة لكان شعر أبي القاسم .

السيد شمس آل رسول الله صلى الله عليه وآله كان فقيهاً وصاحب حديث من بين النساك والعباد ولا يزال مشهده قائم ومزاره معمور بحى عازمه كوى قرب البوابة .

ومن علماء السادات الذين كانوا فى عصرنا السيد "ظهير الدين" النسابة الجرجانى والذى لا يخفى على أحد فى العالم فضله فى علم الكلام والفقه والتذكير ، والسيد ركن الدين سارى وأخوه السيد الزاهد العالم المتقى شرف الدين والذى يوجد مرقداه فى مدرسة الإمام الخطيب فى المشهد المقابل لمفترق الطرق الثلاث واستمد مذهب الإمامية القوة من شرف الدين وبطل مذهب الزيدية فى تلك المناطق والله أعلم .

- السيد الإمام أبو طالب الثائر ملك طبرستان كانوا خمسة من الأخوة كان يدعى جدهم بحسين الشاعر الذى كان أخا لناصر الكبير وكان يدعى والده محمد الفارس وقد تزوج من ابنة الناصر ، وكان له غلام وخادم يدعى "عمير" وبعد أن استرد الجيل والديلم بطبرستان من السادات بالقوة عصاه هذا الغلام وسار إلى جيلان ونهب كل أملاكه هناك ، والتف من حوله أهل جيلان وترك كل ذلك للسيد، ويقول نظماً:

يا آل ياسين أمركم عجب بين الورى قد جرى مقادير
لم يكفكم فى حجازكم عمر حتى بجيلان جاء تصغيره

"ملوك باوند قدس الله أرواحهم"

هى أسرة مباركة كانوا على وجه الأرض أمناً للخائف وملاذاً للملهوف وملجأً للسلطين والملوك ، عرفوا رعاية جانب المستميع وحماية المستجير كفرض دينى ووفاء بالدين، وكل من اصطدم حذاء سلامته من أقطار العالم وآفاق الدنيا بصخرة الملامة أعتبر منزلهم مكان العافية لقدمه الحافية ، وكان بلاطهم يوماً مقصد الوفود ومجال السجود ومجالس الجود وعونا للمحتاجين ومسكناً للمساكين لهم من صولتهم حمم كالجحيم ومن صلتهم تسنيم كالنعيم لقائهم وبقائهم للخلائق كرائحة الجنان وراحة الروح

- وما خلقت إلا لجود أكفهم وأقدامهم إلا لأعواد منبر

بلغت حمايتهم الغاية بحيث لو لجأ إليهم أبناء الخلفاء والملوك خوفاً من جرم لانقطع نهائياً مطمع كل من تمنى استرجاعهم والنيل منهم وكان قد دخل فى جدال وقتال وضرب ودفع مع خصوم أقوياء وأعزاء وأعداء غالبين للقرون متوالية كحرب البسوس.

"الإصفيهيد الكبير المعظم علاء الدولة على بن شهربار بن قارن"

أزال كرمه وهمته وسخاوته ورحمته ذكر عدل أنو شروان ومروءة نوزرى وسوف نذكر مقاماته المشهورة وكراماته المنشورة عندما نصل إلى قصة ملكه ، وكيف أنه حصل على عرش وتاج أبيه بمعارضة كثير من أقاربه وأخوته ، وقد ذكرت هنا في عبارة موجزة حكاية الجماعة التي لجأت إلى بلاطه واحتمت به ، فمن أبناء السلطان مسعود الغزنوي نذكر شيرزاد الذي كان شريك ملك بهرا مشاه فخر الملوك كان قد أتى إلى منزله وبعد الفترة التي قضاها معه في رياض الأمن والرفاهية ، تمنى أن يذهب إلى زيارة الكعبة المعظمة فكان يقطع المسافة من طبرستان إلى مكة على صورة منظمة يوما بيوم حتى وصل إلى هنا بالعافية وكانت مشيئة الحق جل ذكره قد جرت بإزاحة من ينازع ذلك الأمير ، فأبلغه قصر عزه بغزنة ، ولجأ إلى منزله مرتين السلطان مسعود بن محمد السلجوقي ابن "أخو سنجر" وكانت المرة الأولى عندما قتلوا الخليفة ، فقد جاء برفقة ابنه إلى علاء الدولة ، والمرة الثانية عندما وقع خلاف طغرل فأحضر النساء المحجبات وأقاربهم في منطقة أرم وأجلسهم في قصر ابنه شاه غازي رستم بن علاء الدولة وبعث له بمدد إلى العراق ، فلما أن تولى الأمر محمد بن ملكشاه بايع الأبناء جميعاً محمود فلما مات اختلف الأخوة فيما بينهم فاتجه طغرل المهزوم إلى منزلهم وكان الأخوة الثلاث على بن زر ينكمر ومحمد وأبو شجاع قد أقاموا بمنطقة كليس فلم يسمحوا للسلطان بأن يدخل وكما قال : لى خصوم فى أثرى ، وأتيت هربا ، قالوا إن الملك لم يسمح فلا تستطيع أن تأتى ، فأرسلوا إلى الملك الغازي فى أرم فركب فى الحال حتى نزل على قرية معصورة ، وأدخل طغرل وأرسله إلى سارى عند والده وكان لخوارزمشاه سعيد محمد أربعة أبناء وقد وقع خلاف بينهم فهرب اثنان منهم وأتيا إليه ، فأمر لهم بنعم ومكرمات كثيرة ما زالت تذكر حتى الآن وكان للأمير عبد الرحمن طفايرك أتايبك شاعراً ممدوح العماد وقصيدة يمدحه فيها ماترجمته :

إن عبد الرحمن لو أراد لا ستجلب من الأفلاك السبعة ستة

مر به فوج من حشم الجبل وديلم من أردبيل إلى ساحل البحر ومثل إلى حضرته وأمضى معه فترة ، فأمدده بمدد وأعاده مرة ثانية إلى ملكه عن طريق الساحل ، وكان أمير الحلة دبيس بن صدقة ملك العرب من عظماء العالم المعروفين بالسخاوة

والفصاحة وعلو الهمة طلب الأمان لديه برفقة فأتى فارس فأرسل إليه فى اليوم الأول عشرين جوادا بخلع وثلاثمائة ثوب ، ومائة درع وخوذة ومائة نطاق للسيف وصدرية ودرقة ، وعشرون ألف دينار من الذهب ومرة أخرى جاء أخوه " بركة بن صدقة " إلى بلاط الإصفهيد علاء الدولة هربا من الخليفة فشفع له وكتب له رسالة الأمان وأعطى له النفقات وأعاده إلى ولايته مع رجاله ولما عصى قيترمش السلطان وبعث بإخوته وأبنائه وحرماته أمانة لديه ، وقد رعى تلك الجماعة لمدة خمس سنوات بشفقة لم يكن لها مدى وبعدما وجدوا الأمان أعاد الجميع إلى دارهم بسلام.

"الإصفهيد الكبير العادل العالم الغازى نصرة الدولة رستم بن على بن شهریار بن قارن"

كان بعيد الصوت ، مشهور المواقف ، شائع الذكر ومنذ عهد "إفر يدون" ومنوهر" لم تلد طبرستان أعظم منه قدرا وهمة وعظمة وعدلاً وأصاله ، وكانت فى فترة حكمه جاجرم وجرجان حتى الطوقان منضبطة بحيث إذا ذكره فى موضعه ، وكان أول شخص من جماعة باوند الذى جلس على العرش فى البلاط ومنظم له الموكب ولم يكن لحاكم أو ملك باستثناء خسرو برويز فمثلا كان له من كنوز وذخائر ونفائس ومازال إلى عهدنا أربعون جزءاً من قلاع مملوكة له من الذهب والأجناس والجواهر.

وهكذا سمعت أن كيكافوس إستندار حينما أراد أن يوصيه تشاور مع قاضى ولايته فسمح له بهذه الجرأة حتى اتجه الشاه غازى إلى رويان وجعل النيران تحرق الولاية من أقصاها إلى أقصاها ويقول الإصفهيد خورشيد من أبى القاصم المامطيرى باللهجة الطبرية :

تدبير کرده کاوی کی کوشیک بسوجن أونی که سی کوشلر برنده تابلوجن
نون کشوربوین سوجن کهون اورجن تدبير کر کارى دیرهار موجسن^(١)

وبعد وفاة سليمان شاه ابن أخيه هرب من محمود خان ابن أخته وولى عهد سنجر ولجأ إلى شاه غازى بمحلة الدراويش ولدة شهرين كانوا يضعون الموائد له ولحشمه كل يوم من أول الميدان حتى نهايته حتى جمع عشرين ألف رجل من جيلان

(١) من الأشعار الواردة فى المتن باللهجة الطبرية.

وديلم وسائر أطراف طبرستان وأخذوا له جميع لوازم الملك من خزانة وسلاح وحشم وحمله إلى الري، وأجلسه على عرش السلطنة والتف حوله أمراء العراق وأذربيجان وسلموا الري وسأوة للإصفهبد شاه غازي ، فلما علم السلطان محمود رغبته عن طريق طبرستان أمر بجميع أمراء سنجر إلى طبرستان ووصل إليه خلال يومين من الري قصبة كوسان في نهاية قلعة آب دره حيث عسكر هناك ونزل محمود خان في الصحراء أسفل قرية دجان ، وفي إحدى الليالي أذن شاه غازي ملك قارن بأربعمئة غلام وخمسمئة باوندي ، بأن يتحركوا إلى مخيم الأتراك، وأغاروا على خيمة محمود خان وأنزلوا به خسائر فادحة لا يسع المجال لشرحها فعين المؤيد أبيه مع قريبه فرداد ليذهبا إلى ساري ويغير عليها فبعث شاه غازي بولده شرف الملوك الحسن بقوة إلى طريق لأكش مهروان ليلاً لتلك الجماعة ، ومكن البعض فلما وصلوا إلى قصة مهروان حصدوا ببعضهم البعض وأسروا قريب محمود مع ألف من الأتراك وفر من المؤيد أبيه مهزوماً مع عدد من أتباعه فلما اقتيدت مجموعة الأسرى إلى الإصفهبد أكرم الجميع وأعادهم لمحمود خان قال لهم : قولوا لهم ليكن أهلنا مسالمين وما يرتكب إنما هو بغير إذننا ، فبعث إليه محمود خان عزيز طفرائي الذي كان من أكابر الشيوخ في دولة السنجرية ، وزوده بعشرين ألف دينار ملكية ليصل السلطان إلى جرجان فسلم شاه غازي المبلغ إلى الدارسين فلما رحل محمود ووصل إلى جرجان أطلقوا الطلاب من الولاية كالسيل فقال لهم : اذهبوا وقولوا لقد أعطينا الذهب للرمح وكان قد أشعل في خرسان الفتنة المعروفة فذهبوا ولم يهتموا به وأطلقوا عليه في طبرستان محمود كندم ضارب القمح لأن أتباعه كانوا لا يجدون الخبز فكانوا يحصدون القمح ويدقونه .

"السيد الإمام رشيد الدين الوطواط رحمه الله"

الذي كان قاضيا لخوارزم شاه ومنظم قصائد كثيرة في حقه وكان يأخذ راتباً سنوياً عبارة عن خمسمئة دينار وجواد وخلعة وعمامة وجبة ، وهذه عدة أبيات من قصيدة وقتما ذهب إلى الري وأجلس سليمان شاه .

جلالك باد فى خرسان باهر
وأنت حام الدين فى نصرة الهدى
غدا الرى والأكباد فيها جريحة
تفرق من بعد تجمع شملها
فما قاتل إلا لتقواك ذاكرا
أيا ملكاً رُحب القصور عرا
جلالك فى أعلى السموات صاعدا
أيا مالكا للأمر والنهى فى الهدى
محياك بدر فى الغياهب زاهر
وأنت إلى رفع الملهمات مائل
فما فى بلاد الله غيرك حافظ
أما لهم من مشرع ألغى حاجز
أما لهم عن مكسب الإثم وازع
تمتع بمدحى فهو أكرم مفخر
إلا أننى فى مدح غيرك شاعر
فعش سالما ما حرر الشر كاتب

وذكرك سار فى العراقين سائر
حسام إذا كل البواتر باتر
لفقدك والأجفان فيها سواهر
ودارت عليها بالبلايا الدوائر
ولا سائل إلا لجدواك شاكر
لسان الليالى عن مساعيك قاصر
وصيتك فى أقصى الأقاليم سائر
فما فى مثلك فى الناس ناه وأمر
ويمنالك بحر فى المواهب زاخر
وأنت إلى رفع المهمات قادر
ولا لعباد الله غيرك ناصر
أما لهم من مصرع البغى حاجز
أما لهم عن موكب الظلم زاجر
إذا عدت للأكرمين المفاخر
ولكننى فى مدح صدرك ساحر
ودوما غانما حبر النظم شاعر

ومرة أخرى حينما نزل شاه غازى إلى الرى وأقام نوابه وسيطر عليها لعام
ونصف وطرده جماعة من أطرافها فأرسل هذه القصيدة :

جبينك كالبدرد المضىء يلوح
ونائلك الفيض تغدو غيومه
لك الراية الزهراء فى كل وقعة
لها ألسن فى الجو من عذباتها
فكم للعلى يا آل قارن سورة
فأفعالكم للمعضلات دوافع

وخلقك كالمسك الذى يفسوح
بنفع غليل المعتفى وتروح
بها لجيوش المسلمين فتروح
صفاح بأسرار الكفاح تبوح
بناها على رغم المعاطس نوح
وأقوالكم للمشكلات شروح

بأيمانكم يوم الصباح صوارم
لجندك فى أرض العراق وقائع
فكم من نفوس فى العراء طريحة
فلا بلد إلا وفيه زلازل
بقيت مدى الأيام فى عز أنعم
عليهن أنوار الدوام تلوح

وحينما اقتلع شاه غازى الملاحدة من القلعة مهريين ومنصوره كوره ، أرسل إلى
حضرتة هذه القصيدة وهذا ثبت ببضعة أبيات منها :

أيا من إلى نادية تأوى الأماجد
ويا من يلوذ الأكرمين بظلمه
ألا أنه فى العلم أن حد عالم
أيا نصر الدين الذى عقوباته
فأطرافها للراهبين معاقل
لسانك لا يجرى على عذباته
فهن لآفاق المعالى كواكب
بلغت من العلياء منزلة لها
حويت على رغم الأنوف من العدى
فتجهد والأبدان منهم فسوارغ
وكيف يساويك العدى قل عرشهم
فمنهلكم عذب لمن هو وارد
فمنكم جبال الباقيات رواسخ
وهمستكم جرداء فهى لدى الوغى
فأنت لها فى نصرة الشرع شاهر
سيوفك زادت حدة ضرباتها
بقيت رضى الحال ما لاح بارق
ودمت رضى البال ماصح راعد

ورغم أن علماء وشعراء العرب والعجم قد افتخروا بمدح أسرة باوند ، ولما كان رشيد الدين الوطواط إمام الأئمة فى عهده وقمة أهل البلاغة والبراعة فقد اكتفينا بذكر مدائحه حتى لا تلحقنى التهمة وتبقى فى حقى شبهة إننى أجزت الكثير من الغلو والمبالغة بإفراط فى مناقبهم بدافع العشق والولاء ودواعى الهوى ، إذ لو أننى أردت أن أطلق العنان للقلم فى شرح فضائل تلك الأسرة ، فى هذا الكتاب ، فلا يمكننى أن أعول على العمر أو أعتمد على الزمن لأن كليهما لا ينتهى به شرح فضل تلك الأسرة ، وكان من بين حملة هذا الملك أنه فى يوم الصبح كان يأذن للرفقاء بأن يذهبوا خزائنه حتى كان ذات يوم سابق الأمير على كيلة خواران أحد أقاربه وكان يدعى بعلى الرضا الذى كان وكيلاً على بابه وكان له ثلاثة أبناء هم سعد الدين حسين ديوانه ونظام محمد وقوام فرامرز فحضروا جميعاً من مجلس الشراب فى النهاية واتجهوا إلى الخزانة وكان الآخرون قد أخذوا كل ما كان بها من نقود وجواهر وملابس وفراءات ولم يكن بها إلا بعض لفائف من الحرير فحمل كل منهم على ظهره ثلاثة لفائف وأخذ يدحرج لفافة أخرى بقدمه ، ويقول باربد جريرى الشاعر الطبرى فى ذلك اليوم فى حقهم :

أين دوخركه دارنه شاه أيرون يك خربزين نيكه يكي بيالون

وكان له عادة أخرى أنه كان لا يدع مادحاً قط أن ينشد بحضرته فكان يقول :

إن الشعراء يقولون أكاذيب وأنا لم أفعلها قط ، وأنا أخجل من هذا حتى قيل إلى حضرته من خرسان الشاعر الملقب بالمظفر وقال له سوف أنشد فى مدحك ما فعلته وقال تلك القصيدة وعرضها عليه فقال له :

إنك تقول الصدق ومنحه بكل بيت عشرة من الذهب وجواد وجبة وقلنسوة،

كأنما حاز فخراً جنة عدن ، وهى فى حرمتها كحرمة إصفهبدان.

(١) أحد الأبيات الموجودة فى المتن باللهجة الطبرية.

"الإصفهيد العالم تاج الملوك على بن مرد آويج"

بعثه والده في عهد "السلطان سنجر" إلى مرو وزوجه "سنجر" من أخته ولم يخرج قط من القصر صباحاً ما لم يلقاه الإصفهيد وما لم تكن عينه قد وقعت عليه أولاً وأوكل إليه بعد أبيه قلعة "جهينة" و"بيرون تميته" على نحو ما سيأتى شرح ذلك إلى أن مات سنجر ، فلجأ إليه سليمان شاه الأول ولم يكن في الدنيا شخص قط فارس أكثر خفة من مرد آويج ، فقد وضعوا تحت ركابه كرتين مستديرتين تحت قدميه وأخذ يعدو بالجواد طوال نصف يوم فلم تسقط تلك الكرتين لا من ركابه ولا من تحت قدميه ، وقد تراهن معه سليمان شاه الأول في كلباكان على هذا الشرط وكان لدى الإصفهيد جواد عربى كان قد اشتراه بألف دينار ومائة خلعة وكان لا يقدر على فراقه فإذا ما فاز سليمان يعطيه الإصفهيد هذا الجواد وكان لدى سليمان شاه غلام كان محبوبه ومعشوقه فإذا ما فاز الإصفهيد يعطيه هذا الغلام فلما فاز الإصفهيد كسب الرهان فأرسل سليمان الغلام في الحال إلى خدمة الإصفهيد فأعاد الإصفهيد الغلام على الفور وأركبه فوقه الجواد العربى وبعث معه غلامين آخرين وللأنورى شاعر خراسان هذه القصيدة وقصائد أخرى في حقه:

يا من أنت في القتال الحيدر الكرار لهذا الزمان، وأنت تاج الملوك الصغدر
والصغدار لهذا العصر

وفي المجلد الثالث سوف نذكر إن شاء الله تعالى فتوته ومروءته وفضله وكماله
وثبات رأيه وسيرته .

سابق قزوينى قالوا إنه كان شجاعاً في خدمة السلطان مسعود ، وأن إسمه كان على قائمة الشجعان في العراق وخراسان والعرب ، وأنه قد أغراه إلى خدمته ومنحه حكم بسطام ودامغان وجاجرم وكان قد انشغل في تلك الأماكن بغزو وجهاد الملاحدة ، وكان هذا الرجل غاية في الجود ، وكتب إلى "شاه غازى" ذات يوم إنى بلغت العجز بسبب نفقات الجند فاتجه شاه غازى إلى بلاط أحد العظماء وقال سابق كتب إلينا بهذا وإنه لبحر وأى أمر يمكن للشخص أن يفعله مع البحر، فقل إنى بعث له عشرين ألف دينار في الحال وكتب له أمراً بأن المناطق التى أنت عليها مهما استخلصته من تلك الولايات فهو لك.

"الإصفيهيد المعظم علاء الدولة الحسن بن رستم بن على"

على الرغم من قرب عهده فلم يكن مخفياً أن سخاؤه وسياسته كانت قد تجاوزت منزل الكمال قدر فرسخ بحيث لا يعد البحر والمنجم بجواره إلا أمراً ضئيلاً ، ولم يترك من خصال الرجولة والشهامة شيئاً قط دون أن يتحلى به ، وأنه كان صاحب جرأة وغرور بحيث لم يكن العالم وأهله شيئاً يذكر أمام همته ولهذا السبب فقط كان هو وأتباعه فى موضع الأذى والضرر ، وسيأتى شرح ذلك وكفى المرء نبلاً أن تعد معاييه ، وحينما انتقل الخوارز مشاه الكبير العادل أيل أرسلان إلى رحمة ذى الجلال استرد السلطان ، صاحب قران تكش خوارزم من شقيق السلطان وبحكم الصداقة والمودة التى كانت لأبيه لجأ هو ووالدته إليه ، وجاء الأصفهيد إلى تمشيه وبعث إليهم جميع العمال والنواب بالهدايا والتحف من جيلان وحدود الرى وقد مد لهم مائدة بمسافة فرسخ من صحراء كنجينه حتى أسبيددارستان وأجمع ذوى الرأى على أن مثل هذه المائدة لم تمتد فى عهد شخص من الملوك منذ قيام العالم ، وسوف نذكر هذه الحكاية برمتها فى مواضع أخرى .

"الإصفيهيد الأعظم حسام الدولة والدين أبو الحسن أردشير بن الحسن"

كانت قواعد الدين به مشيدة وسواعد اليقين به مؤيدة ، كان فى تدبير المناقب وتحصيل المناقب صاحب رأى وروية ، وكان كثير القدر والجاه ، أيامه روضة الدهر وزهرة العصر ونزهة العمر وفرحة العيش وبلاطه موئل الأماثل ومنزل الأفاضل ومجلسه مجمع أصحاب الدراية ومقصد أرباب الرواية وفى حقهم كانت مواهبه رغائب ومنحه لهم غرائب ، آثاره المختارة وأخباره المحموده أساس دعائم العالم وقلادة أجياد بنى آدم شيمه طاهرة ، ومكارمه ظاهرة، ومفاخره باهرة ، ومآثره زاهرة ، هو مثل النهار كالبدر المشهود وبالليل كالقدر مع النور ، حكم لمدة خمسة وثلاثين عاماً وطبرستان بعهدده أمانة كحرم مكة وقبلة للأمم كالكعبة ، وفى عام ٥٧١ بعد وفاة الأتابك محمد بن إيلدكز كتب السلطان العظيم طغرل بن أرسلان والذى حدث خلاف بينه وبين أخيه قزل أرسلان إلى الملك العظيم:

إذا أغلقت أبواب قوم أراذل فبابك مفتوح وليس بمرتج

وهمك مقصور على طلب العلا وييتك مرفوع على كل مرتج

وطلب اللجوء إليه وكان" الشاه أردشير بن بابك "قد أقام معسكراً بقرية "فلول لارجان" وبعث بجميع الإصفهابة من الأمراء والمعارف إلى الرى ليكونوا فى استقباله

وعاد هو إلى "أهتك لار" وترجل عن جواده وأتى به مع فلوله وأعاد إليه العرش والتاج وكل ما يخص الملك من الخزانة والخدم والشراب ، والإسطبل وهوادج السفر وضرب له خيمة فوق تل يشدها أربعون وتداً ، وكتب إلى وزير مدينة سارى بأن يرسل إلى خواص الملك من القلاع من الأماكن الأخرى ما يعرضهم عن كل ذلك وبينما وقف قزل أرسلان على هذا الأمر ، بعث بعز الدين العراقي إلى الشاه أردشير ، وجعل من الحقوق السابقة لأبيه وأخيه وسيلة وتمنى بحيث لو يأخذ السلطان طغرل مكبلاً على أن أسلم لنوابك الرى وسأوة وقم وكان شان وقزوين على سبيل العهد والميثاق ، وبهذا يكون حكمك نافذاً على سائر العراق وأذربيجان وأران كما هو الحال على طبرستان فقال الشاه أردشير : حاشا لمروعتنا وكرمنا أن تجيز نقض العهد من أجل عوارض الدنيا الفانية ، وبعد فترة بعث السلطان إلى دماغان وبسطام وكتب إلى عامل تلك الولايات أن يرتب له ما يجب وكان يرسل من طبرستان يوماً بيوم ما يحتاجه من المؤن حتى بلغ مقر عزه بالسلامة ، وسيأتى فى المجلد الثالث إن شاء الله وحده تفصيل حقوق نعمه ورعايته للسلطان طغرل فى الوقت الذى كان قد احتجزه قزل أرسلان فى القلعة وفى عام تسعة وسبعين وخسمائة جاء شخصان هنديان برسالة من عند الشاه مهراج الذى كان يدعى جيتجند إلى حضرته وقالا : نحن أربعون رجلاً قد اختارنا الشاه مهراج وجاء إلى ولاياتنا رجل إمامى المذهب ودعى إلى مذهب التشيع ولم نكن قد سمعنا عنه من قبل فناظره علماء تلك الديار وبرهن على جميع كلامه ، فرجع كلامه من كلام الجميع وكانت عليه الصدق إلى جانبه فقال الملك لنا : إن فى طبرستان ملك كسروى الأصل ذا عدل ، عقيدته هى هذا المذهب ، وأرسل معنا هذه الرسالة إلى حضرتك وقد سقط من جملتنا ثمانية وثلاثون شخصاً بشتى أنواع الحوادث وقطاع الطرق وقد بلغنا نحن الاثنان المقصد ، وفى هذا الوقت كان الأمير "بهاء الدين" رحمه الله لا يزال حياً فأجاب عليه فى ورقتين وضمنها عدة نصوص بأدلة وبراهين أصلية وفرعية وتسمى هذه الرسالة : [رسالة الهنود فى إجابة دعوى العنود] وهى قصيدة طويلة ولا غرو أن كسد التشيع فى زماننا هذا ببلاد الهند فلربما كسدت اليواقيت فى بعض المواقيت ، وله بحمد الله فى أرض العراق سوق ونفاق وفى أرض الحجاز مستقر ومجاز وصار فى الشام لأهلها شيمة وهطلت سحائبه عليهم ديمة ومن ذا يعير أمراء حرم الله وهم الحسنيون وأمراء

حرم الرسول وهم الحسينيون بالتشيع ويجحد فضلهم ويرتفع في أعراضهم ، وينكر نبيلهم ولم يبق في خراسان إنسان له يد ولسان وسيف وسنان إلا والتشيع ديدنه ودينه وقرينه وخدينه إلى ما تركنا الإلمام بذكره من أفراد الحجاز والشام ونواحيها وأحاد مدن خراسان والعراق وما تضمنه وتحويها هلم جرا إلى طبرستان روضة الدنيا وغديرها وخورنق الأقاليم وسديرها ، وصدر جريدة الأماكن ، وبيت قصيدة المساكن ، ومتبواً المرح ومتنزه الفرح ، ومعتصم الأمراء ومحتبر الفقراء ، ومأوى الأحرار ومثوى الأبرار ، ومقيل العدل ومبيت الفضل ، وعرضة المكارم وساحة الأكارم وخطة المحاسن ونزهة الميامن ، ومعرض الجود ومخيم الوفود ، وقرارة الملك ومبابة الحكم ، سترة العالم ، معدن الرفاهية ، مثابة الأمن ، خريف الشتاء ، ربيع الصيف [كذا] ملتفة الأزهار ، مصطفىة الأشجار مطردة الأنهار مغردة الأطيار ، مجرية الحنان ، مروحة الجبال ، مذكرة الجنان ، فطف في أطرافها وأقطارها ومدنها وأمصارها ، وبحارها ووهادها وتلالها ورباعها ، حصونها وقلاعها ، غياضها وتلالها وجبالها ، آجامها وأكامها ، أماكنها ومساكنها ، عامرها وغامرها طولها وعرضها رفعها وخفضها ، وتدبر في قاطنيتها وتأمل في ساكنيتها نساؤها ورجالها تجدهم ومن التشيع في رؤوسهم نخوة ، مشفقين عليه والمؤمنون أخوة ، ألقى التشيع عليهم جرانه فألفاهم جيرانه ، فما أكثر الشيعة وما أقواهم وما أبسط أيديهم وما أعلاهم أيديا بمن جعله الله للإسلام وجها وصدرها وللدين عضدا وظهرا وللملك يدا ولسانا وللدهر حسنا وإحسانا وجعل رأسه بتاج الإيالة مكللاً وسريره بسماء الفخر مظللاً وبسط ظل سطوته على النهار حتى لا تشب نوائبه ، وبث خوف انتقامه على الليل حتى لا تدب عقاربه ، وأعلى شخص قدرة الباذخ عن تقبيل أفواه المدائح مواطئ قدمه وأجل بيت ملكه الشامخ عن زيارة الاثنى عشرية حرمة ، فلا يتسع نطاق الوصف أن يحيط بخواصر جلاله ، ولا خاتم الثناء فيشتمل على خواصر كماله ، ولا حلة الشكر فترفل على قامات آلائه ولا تاج الحمد فيحديق بهامات نعمائه ولقد كذبت فعاله ليبد ين ربيعة في قوله :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

فقد رأينا من يعيش في كنفه الأعداء فكيف الأولياء ؟ ويرد بحره المفحمون فكيف الفصحاء ؟ قد أنهضت إليه البلاد رجالها أبرزت له جمالها ، وألقت إليه الأرض أفلاذ أكبادها وحسبك بالعلاء جالباً ، وكفاك بالإحسان جاذباً ومن صادف ثمرة الغراب لم

يفارقها أبداً ومن وجد الإحسان قيّداً وتقيّداً وآل أبى طالب ينزلون منه على سيف التشيع وسنانه وعلى يد الحق ولسانه وما ضرهم مع حياته أدامها الله أن لا يعيش لهم الأشتى، وما عليهم مع عطاياه لا قطعه الله أن لا يراد عليهم فذك وخير عيش الملك فيها درج طائره ووطن الجود منها خرج سائرة فناءه موسم العفاة وخزائنه نهب الصلات ، إذا تدفق بحر يمينه نميّراً تألق بدر جبينه منيراً ، متع الله بنى الآمال بامتداد أيامه وازدياد إنعامه فهو ذو الخلق المعسول والكنف المأمول والطعام المبذول ، صاحب الوجه الطلق والجناب الغدق، الشاب سنا وميلاداً والشيخ حلمًا وسداداً ، منصبه كريم ومنظره وسيم ونسبته كسروية وسياسته كيخسروية ، وصورته يوسفية وسيرته نبوية وهمته علوية وتعرقه فى الملك عرفه الدانى والقاصى واعترف به المطيع والعاصى ، والكرم والجود ممتزجان بطبعه مجتمعان فى شرعه فلم يبق على وجه الأرض من مد إليه اللّحظ ولم يحظ وشد إليه الرحل ولم يحل ، فذا فرد وأسد ورد وشهاب لامع وصبح ساطع وماء رواء وكرم ما شئت وحياء وهو الشهاب الذى لا يخبو والحسام الذى لا ينبو ، الملك العظيم شأنًا المفخم مكانًا والقاهر سلطانًا الراسخ بنيانًا المقبل أرضًا المطاع فرضًا شاهنشاه العالم طولاً وعرضًا ثانى الإسكندر غبط كسرى وسنجر حسام الدولة والدين علاء الإسلام والمسلمين ملك الملوك والسلاطين أقدم الولاة فى الخافقين شهريار المشرقين أردشير بن الحسن بن رستم بن على بن شهريار بن كيوس أخى أنوشروان ابنى قياد الذى ملك الأرض إلى الإنسان الأول أبى البشرية الله وصفيه آدم عليه السلام لم يكن فيهم أحد إلا من انبسط ملكه بسيطة الغبراء ، ومن أرسله الله إلى الحق من زمرة الأنبياء وله مآثر يفنى الأبد ولا تفنى ويخفى الصباح ولا تخفى ويبلى الجديد ولا تبلى وهذه قطرة من بحر الزاخر ولحمة من بدره الزاهر وشررة من جمره المضطرم وزبدة من سيله العرم وسينبى الوافدان عن ملكه ومكانه وعزه وسلطانه وبأسه وجوده وتلقيه لوفوده ، إذا أمر أعلى الله أمره بإكرامها نازلين وإنعامها راحلين ، فنزلا فى أوسع منزل على أكرم منزل وعين لهما من أصفياء خدمه وأغذياء نعمه عبده وأمير عدله نجم الدين ومجن أهله ينهى إلى المسامح العالية أقوالهما ، ويشرح فى الحضرة الحالية أحوالهما ورداً وهما أعرى من الحية وصدرا وهما أكسى من الكعبة ، وكذا يكون حال من تعلق بذيل حر وألقى دلوه فى جمة بحر وسرى فى ضوء بدر ، وفى شواهد أحوالهما ما يغنى عن استماع أقوالهما

وشاهد العيان أقوى من شاهد البيان ، ودليل الصبر أوضح من دليل الخبر لازال الملك ببقائه ثابت المناكب ، معتدل الجوانب عامر الطريق بالجائي والذاهب ، ولاسلب الله الزمان جماله بذكره والعباد بهاءهم بطول عمره ، لازال جاهه موصولاً وفضله مأمولاً وسيببه مسؤولاً ، وسيفه على أعداء الدين مسلولاً ، وعدوه بحسده مقتولاً ودامت غماغم جنوده تصم أذن الجوزاء وأسنة بنوده تחדش أديم السماء ما استهل القطر ونما واستقل البدر وسما [لم تكن كتابة هذه الرسالة ، أكثر من هذا الشرط والإيجاز أن يسألني أحد الجمهور عن هذا الحشوبحيث ينهض من طبرستان عمرها الله في أى وقت من يذكر من العلماء والصدور سائلاً إيانا ، لذلك لم نر المصلحة إلا في الصمت وإلا كنا قد أجزنا الإطناب إلى غايته في هذا الباب بالتأكيد وليس خافياً على أهل العلم والتحقيق والعدل والتوحيد عظمة وفضل أهل طبرستان بل إن ذلك مشهور ولا مفر من ذكر خيرات وهبات وعطايا الشاه أردشير ها هنا بحيث لو أن شخصاً ما لم يكن قد رآه ولا أدرك عهده ولا شاهد أحواله وأقواله وأفعاله فإنه لن يستطيع أن يتحقق من صورته وسيرته فيقال إنه حين أتى نور الدين الصباغ نو الفضل الوافر وعالم المنابر وفارسها برسالة من لدن سلطان العالم السلطان الشهيد الملك العظيم صاحب قران تكش بن آيل أرسلان في العاصمة في سارى وطلب من مقام الدولة أن يقيم له منبراً في البلاط ليجلس ويعظ وبدأ يطلق لسانه بمدحه وضم إنشاده بهذا البيت :

لقد رأيت جميع الملوك وبالله لقب الملك حرام إلا لك

والحقيقة أنه لم ينهض طوال قرون ملك صاحب دين أكثر منه وكانت سارى داراً للملكه ووزارته يقيمون بها ويطلق على ديوان الوزير ديوان الوصال ، وكان كل عام ينفق من جملة الإيرادات دون أخذ رأيه مائة ألف وبضعة دينار حسامى على وجوه الخير ، وكل يوم جمعة كان فى مكان ينزل به يعطى لقائم العدل مائة دينار يقف فى المكان ويوزعها المستحقين ، وكان يجتمع ببلاطه من أفاق العالم وأرجائه السادة والعلماء وأرباب الفضل والشعراء والأدباء ومعهم تحف الكتب وصحائف الدعاء ، ومن كبار العلماء وسادة العراق الذين كانوا لهم رواتب سيد عز الدين يحيى وقضاة الرى وشيخ الإسلام ركن الدين الهيجانى ، وكان يصل الواحد منهم سبعمائة دينار وجواد وخلعة وعمامة وجبة ، ومن كان له نصيب من ماله السيد الإمام الفقيه آل محمد أبو الفضل

الراوندى وسيد مرتضى كاشانى وأفضل الدين ماهبادهى وقضاة أصفهان وقبيلة شفروه وجميع سادات قزوین وأبهر ونواحى فرقان وكان يأتى من مصر والشام وبلاد العرب فى كل عام ثلاثة آلاف علوى وكان الجميع يأخذون منه نفقات المأكل والملبس شتاء فى "طبرستان" وكل يوم كانوا يجلسون على المائدة وكان يعلن نداءات الميدان بالدعاء أن يا ملك مازندران أن أمر لنا بمائدة صغيرة (١٢٠) ، فكان يأمر الحجاب ليمدوا عشرة موائد بين أيديهم وكلما كان يركب كان العلويون يقفون صفاً ويصيحون من بعيد نحتاج لشيء ما ويطلبون ما يحتاجون من ذهب وثياب ومرادات أخرى فكان يبذلها لهم على الفور ولو أن أحداً من الحاضرين قال ليرزقك الله ويشييك ، كان يقول لهم لا تقولوا ذلك قط فليس لهم فى الدنيا باب آخر سوى هذا الباب فأعطوهم كل ما يشتهون ، وقد أخرج ذات مرة من الخزانة ثلاثة وعشرين ألف دينار أملئ ليزوجوا بها فى طبرستان والرى الفتيات العلويات الفقيرات من الأبناء العلويين وفى كل عام حينما كان بمكة فى موسم الحج كان يرسل كل هذه الخيرات والصدقات إلى العتبات العالية والمشاهد المشرفة والأماكن المباركة على هذا النحو .

أربعة آلاف دينار لماء السبيل وكانوا يرفعون علمه جنباً إلى جنب مع علم الخليفة وعلم سائر السلاطين وملوك العصر ، وكانوا يأخذون الضريبة من طوائف الحجاج فكان يرسل الأمير الحاج ألفى دينار وينادى بأن جميع الحجاج طلقاء ملك مازندران ، وكان يوقف إلى مشهد عبد العظيم مائتى دينار ، وإلى مشهد مقابر قريش ثلاثمائة دينار وإلى مشهد أبناء الحسن ثلاثمائة دينار وإلى مشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام عشرة آلاف دينار ، وإلى مشهد سلمان الفارسى بالمدائن مائة وخمسين دينار ، وإلى مشهد الإمام الحسين بن على عليه السلام بكربلاء ستة آلاف دينار ، وإلى مشهد أبى الحسين على بن موسى الرضا ثلاثة آلاف دينار ، وإلى أمراء مكة خلعة وجبة وعمامة ، ومائتى دينار إلى سدنة الكعبة والسقايا وسائر الحواشى ألف دينار وإلى حمام مكة المعظمة ، وكان يخرج لمساكين مكة طاقم من الحرير وإلى طيبة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة آلاف دينار وإلى مقابر البقيع ألفى دينار وإلى مساكين المدينة طاقم من الحرير ، وإلى بغداد الدمور تحمل من هناك ويقسمونها ، ولظهير الدين الفاريابى الذى كان أفضل الشعراء قصائد فى حقه ينبغى أن تطلب من ديوانه ومن بينها هذه :

لحظة الصباح حين يشر الجو بمقدم الربيع ويهب أنفاس الجو مداداً من نافجة مسك التتر
ويعطى ريح الصبار رائحة طرة الحبيب لقلبي الذى نسى عهد الوصال
لقد سقطت فى موجة من دمع العين تجعل الخيال يمر اتجاه وسادتي بجهد جهيد
فخلصني ذلك الشخص من المرض الذى يضع فى يدي فى تلك اللحظة الشراب الصافى المستساغ
- حسام الدولة والدين ذلك الذى فى مقام القتال يمنح الملك الاستقرار بسيف
لا يستقر له قرار

- ملك العالم المفضل الذى تراب بلاطه يعطى تاجاً للفلك المتطاوّل
- الذى يلقي الفلك بالخرقة طرباً حين يعلم نصل خنجره فنون القتال
أثناء الحرب
- أيها الملك يا من يمينك وقت الجود والعطاء أساس الثراء واليسار
للبحر والمنجم

- حمايتك إن أرادت فإنها تحمى الليل الداكن من طعنات خنجر الشمس
- لقد نام حظ حاسدك هكذا كأنما يطعم الزمان بالخس والخشخاش ليل نهار
- لقد منحك الله سرير الملك وكل ما يهبه الخالق إنما هو فى موضعه الصحيح
- فى ذلك الوقت الذى يغير فيه القضاء بميل السنان الأغبر عدوك التعس اليوم
- فإن جيشك الجرار يخشى معه أن يحاصر فى ذلك اليوم أجرام الأفلاك
السبعة

إن عروس الملك تضم فى أحضانها بشدة ذلك الشخص الذى يقبل نصل
السيف البتار

- ومن بين مائة من الأبطال البواسل واحد فقط يمنح التوفيق الحسام القاطع
والساعد الموفق

- لو ينهدم ملجأ الأمل فإن الله يهبك حصناً مكيناً من حفظه

- عداوتك تصبح مثل الخنجر، مثلاً يعطى السيف يوم المعركة
 - طالما منحت مهلة الدوران فى دنيا الفلك فلا قط مهلة من أجل دارالفناء
 - فلتظل أنت ثابتاً لأنك جدير بأن يمنحك الخالق العمر الدائم .
- والفترة التى كان ملازماً له فيها كان الملك أردشير قد أنعم عليه بنعم لا تحصى فقد طلب منه الإذن كى يلتحق بخدمة الأتابك قزل أرسلان إيلدكز فى الوقت الذى كانت فيه أذربيجان والعراق تابعة له فنظم هذه القصيدة ومنها هذا البيت :
- عساه بعد أن قضيت ثلاثين عاماً فى العراق أن يؤلنى ملك مازندان حتى الآن
- وكان العاملون فى بلاط أردشير حاضرين فى بلاط قزل أرسلان يوم عرض هذه القصيدة فأرسلوا بنسخة من هذه القصيدة وهذا البيت إلى الملك فأمر بأن يبعث إلى ظهير بجواد مطهم وطوق وعمامة مرصعة وعباءة ومائة دينار.

معارف طبرستان

"عبد الله بن الحسين بن سهل المعروف بتاج دوير"

كان فريد عصره وكان محصول ضياعه فى كل عام مائتى ألف دينار ، ويقال جاء إليه ذات ليلة بآمل أصحاب مجلس الإصفهيد بخبر فمنحهم بخلاف الأكياس الذهبية وأثواب الحرير وضم عليهم عشرين ألف دينار وحينما كان الإصفهيد مع بادوسبان الذى كان خادمه فى رحلة صيد حين التقى من حوله المتظلمون فقال أنتم تطلبون أى شخص فقالوا نطلب الإصفهيد حتى نعرض عليه أمرنا فقال: عساه أن يكون هو الملك والحاكم وأن يكون هو صاحب المال والغلمان والحشم والموكب والعيش الرغد وتاج دوير ، وإن كنتم تطلبون من يقضى الليل والنهار مع الصقر والفهد والكلب فى رحلات الصيد فذلك أنا .

"أبو إسحاق إبراهيم المرزبان"

أمر بإقامة معظم الطرق والجسور فى طبرستان ورويان من ماله الخاص .

"محمد بن موسى بن حفص"

كانت نفقات مطبخه كل يوم بآمل ألف دينار وكان يغطى نفقات سفر ألف شخص إلى مكة من ماله الخاص ووضع الموائد على جميع الطرق وحمل إلى وسط البادية الأسماك الطازجة من طبرستان ووضعها على المائدة .

"أبو صدرى هارون بن على الآملى"

ذهب إلى مكة فى نفس السنة.

"على بن هشام الآملى"

ذهب إلى مكة فى أيام عبد الله بن المأمون وكان ينادى مناد كل يوم ويقول (حى على غذاء الأمير) فكان يجلس إلى مائدته المعروف والمجهول وأمر المأمون ألا يبيعوا له

المؤن والأحطاب فى بغداد فكان يشتري الورق ويشعله عوضاً عن الحطب وكان يضع
قطعاً من الحرير الأخضر عوضاً عن الكراس.
"سهل بن المرزبان"

قالوا كان لارجان ولم تكن هناك حركة لا شتاء ولا صيف قبله على ذلك الطريق
الذى يعبرون منه الآن وهو الذى أقام جميع محطات البريد ومناطق الحماية والأربطة
وأمن ذلك الطريق.

علماء طبرستان

١ - محمد بن جرير الطبري :

مؤلف كتاب « الزيل والمزيل » وكتاب « تفسير القرآن ومعانيه » وكتاب « التاريخ » ويعتقد الخلائق في مذهبه وطريقته ، والعلماء متفقون أنه لم يكن مثله في أى طائفة ومسطور في الكتب أنهم قد عدوا أربعمائة بغل على باب قصره في بغداد تخص أبناء الخلفاء والملوك والوزراء ومن بينها ثلاثون بغلاً ، كل واحد منها معه خادم حبشى حيث كانوا يأتون إليه لتلقى العلوم على يده.

٢ - الإمام الشهيد فخر الإسلام عبد الواحد بن إسماعيل :

الذى يطلقون عليه الشافعى الثانى وقد أقام له الوزير نظام الملك مدرسة فى أمل لا تزال قائمة معمورة حتى الآن ، ويقول فى حقه الإمام أبو العالى الجوينى (أبو المحاسن كله محاسن) فقهه وزهده وتقواه لا تعد كعجائب الزمان وكتاب البحر المكون من أربعين مجلداً فى الفقه الشافعى من تصنيفه خلافاً للتصانيف الأخرى، وأماله من الأخبار تبلغ إجمالاً ، وبلغت كياسته الغاية بحيث إن الملاحدة الملاعين طلبوا فتوى فى عهده ، وكتبوا على ورقة ماذا يقول أئمة الدين فى أن يرضى المدعى والمدعى عليه بالحق فيأتى شاهد ويدلى بشهادة خلاف المدعى وإقرار المدعى عليه فهل تسمع هذه الشهادة أم لا ؟ وبعثوا بقصاصة الورق هذه إلى إمامى الحرمين فكتب كل من إمامى الحرمين محمد الجوينى ومحمد الغزالى وأئمة بغداد والشام جوابهم أن مثل هذه الشهادة لا تسمع شرعاً ، فلما حضروا عنده نظر فى الرسالة ثم التفت إلى الرجل قائلاً :

إن هذا المسعى الذمى سيكون وبالأعلى عليك ، وأمر بأن يحبسوه واجتمع القضاة وأئمة الدين وقالوا ، إن الملاحدة هم الذين كتبوا هذه الفتوى وهذا المدعى والمدعى عليه يهودى أو مسيحي وهم يطلبون شهادة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحيث إن القرآن هو الشاهد لقوله تعالى « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » فسألوا الملحد مرة ثانية فأقر أنه طيلة مدة وهم يبعثون بى طلباً لهذه الفتوى فرجموا

عوام أمل بالحجارة ، وأفتى فخر الإسلام بسبى زرايهم حتى بعث الملاحدة من طعن ذلك الإمام السعيد غدرًا والذي كان منارة بهذا الحد عند باب مقصورة الجامع بآمل فقتلوه ، ولا يزال ذلك الخنجر موضوعاً في داره القائم داخل تلك المدرسة وقد رأيت مراراً.

" قاضي القضاة أو العباس الروياني "

لا يزال قضاء طبرستان في أسرته ، وفي عهد شمس المعالي قابوس كان هو القاضي الشرعي في جميع أرجاء الولاية، كما كان المفتي وصاحب مؤلفات وحكايات قضائية كثيرة ، منها أن رجلاً ادعى في مجلس قضاءه على آخر بمائة دينار ذهبية وأنكر المدعى عليه قائلاً : لا علم لي قط بهذا الأمر ، وطلب القاضي من المدعى الإتيان بشاهد فقال : ليس عندي شاهد فأمر الخصم بأن يحلف فركع المدعى بين يدي القاضي بآلا يعطيه حق الحلف حتى لا يحلف كذباً ويأكل ماله باطلا ، فقال القاضي أيها الرجل لن أحكم بخلاف الشرع فركع الرجل مرة أخرى وأهال التراب على رأسه وتحدث بكثرة عن أحواله وفقره فأخذته والحاضرين الرأفة به فقال للرجل : انهض وقص على حكايتك وكيف أعطيتك الدين ، فقال : يا قاضي المسلمين كانت بيننا صداقة ومحبة طيلة عشرين عاماً وولع هذا الرجل بعشق جارية وكحال العاشقين المتيمين كان في كل لحظة يكشف لي عن أسرارهِ ، وقد حمل قلبي ضيقاً من كثرة تضرعه وذات يوم ، كنا قد جلسنا تحت شجرة ويسبب بكائه فتحت كيساً ذهبياً ووضعت أمامه وقلت له : يا أخي إن كل ما أملكه في دنياي من مال هو هذا فإن كنت تستطيع بهذا المتاع القليل أن تشتري جاريته وأن تضمها إليك شهراً أو شهرين فإذا ما هدأت نفسك وزال شوق لهفتك عليها فبيعها مرة أخرى ورد إلي هذا المبلغ مرة أخرى فخذهُ ولا تزدد من عذاب قلبي وآلامه بسببك ، فلما رأى الذهب وسمع الكلام سقط فوق قدمي قائلاً : إن لدى مائة دينار أخرى فسوف أضممها إلى هذا المال وأفعل ما أشرت به ، وقد انقضى عام منذ أن اشتري تلك الجارية لا يطاوعه قلبه ولا يرد إلى ذهبي ، فقال القاضي ، إنك تستطيع الذهاب لإحضار تلك الشجرة التي كنتما تجلسان تحت ظلها ، فقال : إن القاضي يعلم أنه لو كانت الشجرة تتحرك من مكان إلى مكان لما تحملت جور المنشار ولا المعاناة من الفأس ، فقال القاضي : هذا خاتمي فاحمله إلى الشجرة واعرض عليها فلم يجد الرجل مندوحة من الانصياع إلى أمره، وانطلق إلى الطريق وانشغل القاضي في خصومات أخرى وبعد فترة التفت إلى

المدعى عليه قائلاً : أكون خصمك الآن إلى تلك الشجرة ؟ ، فأجابه : ليس بعد ،
وانشغل القاضى مرة أخرى بإصدار الأحكام فلما انقضت عدة ساعات وصل الرجل
ووقف بين يدي القاضى قائلاً ليس للشجرة قدرة على النطق ، فقال القاضى إنك
مخطئ فقد أسمعنتى الشجرة شهادتها ^(١٢٥) فقال المدعى عليه : القاضى يعلم أننى
لم أتحرك من هذا المكان ولم تأتى شجرة إلى هنا ولم تدل بشهادتها :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

فقال القاضى : أيها الأبله لو كان الرجل يكذب بحكاية إعطاء الذهب لك تحت
الشجرة فلماذا عندما سألتك أكون قد وصل إلى هناك ؟ فلماذا لم تجيبنى بقولك :
أنا لا أعرف أى شجرة سوف يصل إليها ، وألزمه بالذهب وأقر الرجل بذلك ووصل
الحق للمستحق بعد فترة.

ومن أئمة طبرستان الكبار والذى يعد من جملة المفخر الإمام البارع بن مهدى
مامطير وقد زرت قبره فى مامطير.

"أبو الحسن بن على محمد اليزدادى"

مؤلفاته من شهرتها غنية عن التعريف.

"ابن فورك"

هو الذى أقيم من مجلسه مسجد سالار فى أمل ، وذلك المنبر الذى لا يزال
موضوعاً إلى الآن بجانب المحراب، سمعت من أستاذة إبراهيم بن محمد الناصحى
أن صاحب بن عباد قد أخذه بالتعصب ، وقام بحبسه فى منزل مقيم بمدينة الرى
حتى التقى أبو إسحاق الإسفرايينى المتكلم عند صاحب بن عباد وكانت تدور بينهما
مباحثات كل يوم ، وذات يوم كانا يتباحثان فى إحدى الحقائق عن خلق الأفعال
وتصاعدت حدة المناظرة حتى مد صاحب بن عباد يده وقطف تفاحة من شجرة ،
وقال : أليس هذا فعل فقال أبو إسحاق الإسفرايينى : لو كان فعلك فأعدها مكانها
ثانية ، فسكت صاحب بن عباد وقال اطلب ما تشاء فقال : مرادى بن فورك فأمر
بإخلاء سبيله فى الحال ، وحضر إلى أمل وكان قد صنف رسالتين فى الكلام أثناء
الحبس وقد بنى سالار له هذا المسجد وظل حتى آخر العمر فى أمل وقبره موجود فى
مجلسة على كلاله سر أعلى قبة عند مفترق الطرق.

" قاضى القضاة أبو القاسم البياضى "

هو من تشير إليه الدنيا بإصبعها فى فنون علم الفقه والكلام والشعر والنثر والحكمة والنظم والنثر العربية والفارسية والطبرية على السواء.
"الأستاذ الكبير أبو الفرج على بن الحسين بن هندو"

على الرغم من أن والديه كانا من قم إلا أنه ولد ونشأ فى طبرستان ودفن وقبره يوجد فى إستراباد فى القصر الذى كان ملكاً له ويقول الإمام باخرزى فى حقه : كَأَنَّ الفضل لم يخلق إلا له ومؤلفاته التى هى أكثر تداولاً (قليل من كثير) وهى : كتاب « البلغة من مجمل اللغة » كتاب « نزهة العقول » ، كتاب « الفرق بين المذكر والمؤنث » ، كتاب « أمثال المولدة » ، كتاب « مفتاح الطب » ، كتاب « المساحة » ، « الكلم الروحانية فى حكم اليونانية » ، كتاب « الوساطة بين الزناة والملاطاة » وله مؤلفات كثيرة بخلاف هذا فى الطب والفلسفة واللغات ويبلغ ديوانه خمسة عشر ألف بيت من الشعر وربما أكثر من ذلك ، وهو كالماء الزلال والسحر الحلال وله خمس مجلدات من الرسائل العربية ، ويوجد له منشور بخط يده عن قضاء أمل موضوع فى بيت جمال بازرة فى محلة "جولكه كوى" ، كان قد كتبه لأسلاف بازرة فى عهد شرف المعالى هذا ، ولم يكتب شخص آنذاك فى تلك الحقبة من السنين مثل ذلك الخط، وأختم حديثى عن فضله بهذا المتنوى الذى كتبه فى شأنه حيث كان فضله ألف ضعف مما ذكرت، وقد أوصله إليه على بن محمد بن على بن أم الحرث الرعاطى الذى كان من أعيان العصر وكان أحد تلاميذه بعد أن كان قد اعتزل حلقة الدارسين:

مجالس صياقل الألباب	تجلى بها عرائس الآداب
أنفى بها عن اللسان عقوله	واشتفى من غيظ طول العطلة
فمجلس كالروضه المرومة	ومجلس كالحلة المرقومة
ما بين جد قد من ثهلاناً	وبين الهزل يضحك الشكلا
فمن جواب ماج بالفصاحة	توفيق ربي واصل جناحه
ومن خطوط تفتن العيون	تنقشها أنامل فنونا
لولا حظتها العين عند مشقها	لاشتعلت قلوبهم من عشقها

وبزقوا فى صور الأرنج
وملح تحرق شندق الراوى
ومن دروس فتن عقد العاقد
فسدارس رسائل المحبرة
ودارس فلسفة دقيقة
من علم سقراط وأرسطاليس
فليتصل بمجلسى من اتصل
فلا لنا من واصل توفير
كسيف ترانى يا ابن أم الحارث
كالمسك جاز طيبه النهاية
والذهب الإبريز لما حكا
أهذه خصال من يدرس
ومن يخل العزم للأوغاد
تبنا لأيامى التى قد ولت
حتى عنانى الدرس والتدريس
كأن أيوب الحممانى القلقا
بعد اختصاصى بالملوك الجلة
وبعد قطفى ورد كل خد
وقولتى هات الكؤوس هات
وبسطى الكف بعرف سائل
الله يكفينى فطالما كفى
فيرتدى الدست بى النضارة
أو تسيطر خرق اللواء

ومزقوا ما زوقوا من درج
كأنها من حرها مكاوى
لو انصفت خطت على الفراقد
ودارس أشعار المعطرة
ودارس طبنا نحا تحقيقه
وعلم بقراط وجالينوس
وليفصل عن مجلسى من انفصل
ولا بنا من قاطع تقصير
يزيد فى قدرى بحث الباحث
بالسحق بين الفهر والصلابة
على المحك ذب عنه الشكا
ويترك العزم شدى ومجلس
من برائح بتيهة الأوغاد
وقلبتنى فى اللتىا واللى
فى بلدة ليس بهسا أنيس
فصب صببرا كؤوسى وسقا
ممتطيا للرب المطة
يفوق فى الجمال كل حد
معصفرات ومزعفرات
لبساط إلى كف سائل
وكسدر الأيام يتلوه الصفا
ويقتدى بى خالقاً أوضاره
فوقى فى الكتيبة الشهباء

وذكر في حقه أحد كبار العلماء :

سما في الشعر أعلام كبار فصار لكلهم شرف ومجد
فأولهم إذا ذكر بن حجر وآخرهم أبو الفرج بن هندو
"إمام عبد القادر الجرجاني"

يقول الإمام الباخرزي في حقه بأنه [اتفقت على إمامته الألسنة وتجلت بمكانه وزمانه الأمكنة واثنى عليه طيب العناصر وثبتت به عقود الخناصر ، فهو فرض في علمه الغزير لا بل هو العلم الفرض في الأئمة المشاهير] ومؤلفاته في النحو مثل الجمل وشرحه وشرح إيضاح العضدي وكتاب التلخيص وسائر التصنيفات وقد وردت بعض أشعاره في كتاب الدمية .

"أبو سعد مظفر بن إبراهيم"

كان إماماً مقدماً في فقه الإمام أبو حنيفة وكان صدرًا لأدباء العالم وبحراً للعلوم ، قضى برهة في خدمة صاحب بن عباد وبعد وفاة صاحب حضر عند سيد أبو طالب الهاروني وقد بالغ هذا السيد في إكرامه ثم أوفده مع مال وفير ، وركب سفينة ليرحل إلى أبسكون ليبلغ موطنه إلا أنه غرق في البحر ومن شعره :-

أسحر أم بأجفانه أم خمار أمسك بعارضه أم عذار
غزال بخديه ورد الحياء أطل الجمال عليه نثار
فمن ريقه يتعاطى الرحيق ومن خده يجتني الجلنار
وله أيضا :

قلاك الغواني أن علاك مشيب فما لك في ود الحسان نصيب

الشيخ أبو عامر الجرجاني :

مؤلف كتاب الشعر نظم أغلب قصائده في حق قابوس كان من فحول أئمة العالم من شعره.

قد يكره المرء مافييه سلامته وربما عشق الإنسان ما قتلا
ولم تنزل هذه الدنيا محببة إلى نفوس سعتها السم والعسلا

وله أيضاً :

تجاهل إذا ما كنت فى القوم كلهم جهول وإلا قيل أنت جهول
وإنك ، إن عاشرت العقل فيهم رأوك غريباً والغريب ذليل
وله أيضاً :

كفى بفراق المرء للأهل وحشة يفيض لها من مقلتيه غروب
إذا عاش لم يعدم هوان وذلة وإن مات قال الناس مات غريباً
وقد أورد ذكره الإمام البخارى فى كتاب دمية القصر :

وهذه الأبيات كتبها فى مدح قابوس :

أشيم عفوك والآمال تبسطه وموقفى منك مثل الأخذ بالكظم
إذا رقدت فإن الروح فى حلمى وإن أفقت فطعم الموت ملء فمى
لاتأمن أخا طالت سلامته والدهر مغر به إن نام لم ينم

وذكر البخارى ابنه أبو المجد وأخيه أبو الفرج المظفر بن إسماعيل الذى كان
زاهداً وفقياً وأديباً وصاحب أحاديث كما ذكر عدى بن عبد الله وأبو سعد
الصيدلانى وأبو حنيفة محمد بن محمد الإسترابادى .

بارع الجرجانى ، من شعره :

نصحت أخى وهو لا يعلم وقلت له قول من يفهم
تعلم إذا كنت ذا ثروة فبالمال يحسن ما تعلم
وفى العلم زين لذى درهم وشـيين إذا لم يكن در

الأستاذ أبو العلاء المهروانى :

كان قليلاً فى العلوم الأدبية والشرعية والرياضية كما كان شاعراً وفصيحاً
وبليغاً وقد قال :-

يامن رمى فاستأثرتنى لحاظه ومالى عنه فى الأسرار أمان
تملكت فاصنع ما بدا لك ريثما يحيط بنار العارضين دخان

"محمد بن جرير بن رستم السروى"

كان فقيهاً ومتمكلاً وصاحب حديث ومعنياً بالبحث فى مذهب أهل البيت عليهم السلام،

قضى فترة كبيرة فى خدمة على بن موسى الرضا عليهما السلام وأكثر تصانيفه شهرة كتاب «المسترشد» ، «كتاب» « حذو النعل بالنعل» .

"السيد الإمام عماد كجيج"

كان فقيه آل محمد عليه السلام وكان عالماً وزاهداً ومتديناً ، استبقاه الأمير ابن ورام فى الحلة نحو سنتين واتصل به للاستفادة منه أهل بغداد والكوفة وشيعة سواد العرب ، وكان قد عين لنفقاته عن كل سنة ألف دينار وزوجه ابن ورام من ابنته واليوم وقد ولد من تلك الفتاة شاباً متبحراً فى العلوم وصاحب جاه ومنزلة واختصاص وقربة، وهو قائم على أوقاف الناصر لدين الله أبى العباس أحمد فى الحلة وقد التقيت به.

"كتاب طبرستان"

ومن الكتاب « على بن ربن » المعروف والموصوف بالبلاغة ، ومؤلفاته مثل « فردوس الحكمة » و « بحر الفوائد » وقد كتب رسائل للإصفيهدى مازيار مازال بلغاء العراقيين والحجاز يتعجبون لها ومن بعد المازيار أسند إليه المعتصم ديوان رسائله.

"عبد الله المعروف بابن الطبرى"

ذهب إلى سامراء فى خلافة المتوكل فى حال فقر وبؤس ، ومر عليه ثلاثة أيام بلياليها لا يجد قوته فباع عمامته ودراعه وصرفها على نفقته وارتنى الملابس المرقعة ، وجلس على قارعة الطريق كما عرض أمره على أصحاب الخليفة فشاعت المقادير أن وصل إلى هذا المكان المؤيد بالله بن المتوكل فداسه أحد الفرسان وأصيب إصابة بالغة، فأمر المؤيد بالله أن يأخذه ويحملوه إلى قصره وأمر الطبيب أن يداوى جراحه، فلما شفى أعطاه ألفى درهم فلم يقبلها وقال لن أقبل النعمة ما لم أدعو لأمر المؤمنين أولاً ، فأمر المتوكل أن يحضروه إليه فدعى بدعاء تعجب الخليفة والحاضرون من فصاحته وأمر فى الحال أن يسندوا إليه وزارة أم إسحاق وبلغ أمره الدرجة العالية.

الأولياء والزهاد

مثل الشيخ أبو العباس القصاب تغمده الله برحمته ذكره معروف في الأرض والسماء واجتهاده وسيرته وعبادته الطيبة ظاهرة ، ولاتزال حتى الآن زاويته معمورة وأصحاب الخرق يقيمون فيها كمجاورين ويعيشون من خيراته وبره.

الشيخ الزاهد أبو جعفر الحناطى :

كان مفتياً وشيخاً وزاهداً وله محلة ومسجد قائمان ، ومشهده مزارا للتبرك وفوق قبره مصحف بخط ابن أمير المؤمنين على عليه السلام محمد الملقب بابن الحنفية ، كل من حلف به كذباً يرحل عن الدنيا مفضوحاً وهذا أمر مجرب وهو حقيقة عند أهل الولاية .

الشيخ الزاهد فيروى :

كان مزاره عامراً بمحلة "عليا باد" عند مدخل بوابة " زندان كوى " كل من تناول الشراب من أهل تلك الولاية ومر على مشهده فلا محالة من أن يشئت من تلك المحلة وقد جربت هذا كثيراً .

الشيخ أبو تراب :

كان من أصحاب الكرامات من بين جملة العباد في محلة "در لبش" ومشهده ظاهر عند باب المسجد .

"الشيخ الزاهد أبو نعيم"

كان عالماً زاهداً وإماماً صاحب قول مأثور

"قطب شالوسى"

ارتدى السلطان سنجر خرقة وكان قد جاء الى صومعته ، وزاويته لا تزال ماثلة وكان معاصراً لنا ، من بين إحدى كراماته أن نصير الدين محمد بوتوبة وزير سنجر كان يردد دائماً أن أسلوب الرياء والنفاق هو أسلوبهم وأنه يريد أن يفسد عقيدة

سنجر وكان قد آذى الشيخ عدة مرات ، وذات يوم أحضروا إليه فى بسطام بطيخة
فوضع إصبعه على عنقها وقال قتلنا "محمد بوتوية " فجرى القضاء وفق قوله إذ كان
سنجر قد قتل الوزير فى مرو فى نفس اللحظة .
"قاضى هجيم"

كان زاهدا وعالما وقبره فى مشهد شمس آل رسول الله بمحلة "عوامه كوى"
وهذه القصيدة شاهد على فضله حيث يقول فيه أحد العلماء :
يا من أنت فى الثقافة والعلم بحر، ليس لنا نظير سواك
فأنا وأنت اللذان لا حياء لنا، فلقد أحيينا الهزل
وقد أصبح كل منا مشار إليه، وكأنه فى الدنيا له يد بيضاء
فأنا معروف بالشعر والنجوم والحمق والجنون، وأنت بالزينة والفتوى
لى ولك تقصير فى أمرين، على الرغم من أن كلانا عالم
فليس لى عقل ولا حياء لك ، وكلاهما غالب فى طبيعتنا
ففى البشم موضع للعبث ، وليس فى العين قطرة ماء
يصدر ولا يصدر عنى الوله ، سواء اليوم أو فى الغد
فالذى يصدر هو أضرب المخراق، والذى لا يصدر منى هو الحسن والعقل
جعبة الشعراء قرينتى، مثلما النار قرينة الموقد
قل فبئس القرين ولا تخش شيئا، فلست تدري كل ما يكون فى المعنى
تصدر عن خواطرنا مضحكات، كما يتأتى الدر من جوف البحر
لا يعرف الجهال قدرنا، وكم فينا من مزاح ووسامة
لكل منا جسد وروحنا واحدة، وقد جعلنا قلوبنا قلبا واحدا
فاعتبر منزلى منزلك مثل عطار، حين يحل ببرج الجوزاء
فأفرض خاتم عهد محبتى ، حيثما تكون وحدك فى كل مكان
فأنت على الأرض كشمس الفلك ، وليس فى الفلك شمس وحيدة

لقد وضع الظلم خاتماً على محبتك ، فما أجمل الخاتم
فأنت تلعب النرد وتحتسى الشراب ، وتنزع الأختام مثل خاتمنا
حين تتخذ لك عمائم طويلة ، وحين ترتدى العتابى والخز والديياج
وحين تغير ليلاً على الرى وآمل ، ومن سمرقند ومن بخارى
وحين تقوم بالهجوم على رود بست ، وحيناً على باليز وحيناً على بلور
لقد أبحت آمل والرى ، كلاهما للإغارة والنهب
وحين لا تصحبني معك ، أرسلت الغبراء منحة وهدية
أصدقاء الزمان هكذا ، كلهم حسد وأعداء
اذكر عن الأصدقاء كل وقت ، قوله تعالى الإخلاء
إن آبائي الذين مضوا ، سمعوا قصتي يا لها من فضيحة
وثبوا عن قبورهم من العار ، حلفوا أنت لست منا
زوجتي تخصمني كل ليلة فهي تعبث بلحيتي دوماً
إنها سليطة تعذبني بيننا في كل ليلة جدال
تقول لى أيها الأحمق ، إلى متى هذا الشعر وهذه المجابهة
إن شعرك هذا يبقى أسفلك ، حقاً ما تقول فهو سىء
ليت واحداً من هذين الاثنين ، كان عاقلاً عساه كان يفعل المدراة
فما بالنا نسائلكم ، إذن أنا مجنون وتلك حمقاء
حين مضيت إلى المنزل ليلاً ، وجدت دونه إخوة بنات وأبناء
يهجمون على ويكرون نحوى ، مثلما فعل الغوغاء فى مشهد
فكل ما فى البيت ينكرنى ، يقولون نحن من دستهم عجزا
أنا وحيدوهم قد اجتمعوا ، فلا جرم أن ينتفوا فروتى
فقل لهم وانصحهم إنكم قد اجتمعتم من شيوخ وشباب

عسى تنزل رحمة، فيكون جمعهم حوالينا لا علينا
 فهم لا يسمعون نصيحة أحد وهم معذورون، قلوبهم مثل صخرة صماء
 ما استجابوا لكم ولو سمعوا قد شقوا، وهم فى بطون أمهاتهم
 يا إمام الزمان لو سئلت ، هل دماغك موجودة فقل لا لا
 وطبعى الجاد هو بسبب ذلك، فقد ربيته هكذا منذ المبدأ
 فكانت ترضعنى كل وقت، بدل الحليب حليب من كلبة مسعورة
 فكل من سمع فصاحتى هذه، قال ليت لسانه أخرس
 فهكذا فتنة فصاحتى كأنها ، دباعة وعجز وسيل
 شلمى ولكه كون شمارا باك ان شلتمت فقد كرز ناؤ
 شاعر اون بوكه وى من آسابو داوسى كيرى تيز بشعراؤ
 جعبة شاعر ان جه كرده بوين همه راجون براتىلاؤ
 مركه مى دوسته أى من اين برسى يومن اسا بشر وجنباؤ
 هر كه مى دشمنه آمل بهلى وارى واوازه كوه وانكاؤ
 مى شكى أى فضول وجعبه بره ابنه كى داد ره بمى لاؤ
 اونك آورده مى برون اشعار برده واشيو لا اشىلاؤ
 من وتو هردوى سخن مرنى اين بنارنج وآن بخر ماؤ
 هر دوى نومه را اوى كيرن هر دو هستيمه هما براناؤ
 جون بهيج بويمون وآلتون ببريم رسكت وكلىناؤ
 همه ابن شيعرون نوهوردون كتن أى دست من بفرياؤ
 نوجه هاسا جينا دامن وا وا مراكىس بنوبتى جاؤ
 من جه ها واردم أى رم مردم موجه ها رومه بمى لاؤ
 من جه رواوارومه تودويى جا تو جه وارومه بمى تاؤ

سحرانکوم هردو اون بوزیم جون وزی وشر ای کلیناؤ
 دابتو یضحکون می ریشی من برای جرا نخنداؤ
 خربخندی که می سهون شنوی هر بسته یضحک من آساؤ
 ری بحاوست نواله ینفقنی باربیت جند کابزیراؤ [کذا]
 بنقل ترشه سیو بیرارین هار معجون شده بغرطاؤ
 کشمشی اون جنون که مین دنبو یا اوحی حی ولام حلواؤ
 باسفر جل جل جللن یا کمثری را راء ورا راؤ
 ای ورا شیرمست کجا بای تو ای بره وه نبود واوا اؤ
 اون بزوی بزم بلیل ونهار بوریا دون کنی جرا را اؤ
 یار بیرار ما فعلت دوا لا جرم هالکسته ای جاؤ
 دونهوی بنعیمه کحسکا هرجه تونست بکرده وستاؤ
 انا کالمده فی میون جدث مرده را سونبو اطباؤ
 ای اطبا خوجی بنای مرا هوهم تایچی مسیحاؤ
 این مجابات شعر خواجه امام: کس ندیست مرغ وعنقاؤ
 هرکه واهای ها مردم دونی که وا بیای وا واؤ
 این بلون وزنه که دقیقی کت: "لی تلی لی تناتنا اؤ"

حكماء طبرستان

برزجمهر حكيم الهجم :

هو الذى عمّت آثار ذكائه وعلمه كذكاء شمس أقاليم العالم وذكرت حكايته مع "الشاه أنوشروان" والقراءة مكتوبة فى "شهنامه الفردوسى" هذا ولم تره أعين العالم بعد ذلك وسألوه بعد ذهاب دولة الأكاسرة وحضوره إلى طبرستان [لم فسد ملك آل ساسان وفيهم مثلك قال لأنهم استعانوا بأصاغر الرجال على أكابر الأعمال فآل أمرهم الى ما آل] ، وقالوا له ذات يوم أقدم لنعقد مناظرة عن القضاء والقدر فقال ما أصنع بالمناظرة رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن رأيت أحمقاً مرزوقاً وعاقلاً محروماً فعلمت أن التدبير ليس إلى العباد ، فسألوه من هو أحق الناس بالحرمان قال من ترك الأمر مقبلاً وطلبه مولياً فسألوه التواضع أفضل أم التكبر ، فأجاب التواضع نعمة لا يحسد عليها والعجب بلاء لا يرحم عليه ، وقال : أيضاً يجب للعاقل أن لا يجزع من جفاء الولاة وتقديمتهم الجاهل عليه إذا كانت الأقسام لم توضع على قدر الأخطار وإن من حكم الدنيا ألا تعطى أحداً ما يستحق وإنما أن تزيده أو تنقصه ، وقال أيضاً أقرب الأشياء فى درك الأمور انتظار الفرغ فسألوه كيف كان تصرفك من النكبة التى حلت بك فقال إني لما دفعت الى المحنة بالأقدار المسابقة فزعت إلى العقل الذى به يعلم كل مزاج وإليه يرجع فى كل علاج فركب لي شربة أتحساها فقليل له عرفناها قال هى مركبة من أشياء أولها : إني قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما ، والثانى : إني قلت إن لم أصبر فماذا أصنع والثالث : إني قلت يجوز أن يكون أشد من هذا والرابع : إني قلت لعل الفرغ قريب وأنت لا تدري فأورثنى هذا سكوناً وعلى الله اعتمد فى إتمام المأمول ، فقالوا له ماذا تقول فى رزق الخلائق ، فقال ، إن يقسم فلا تعجل وإن لم يقسم فلا تتعب فسألوه ما أفضل الفنون فقال : ليت شعرى أى شىء أدرك من فاته الأدب ويقول أيضاً إن الله تعالى وكل الحرمان بالعقل والرزق بالجهل ليعلم العاقل أنه ليس إليه من الأمر شىء ، سئل كسرى أنوشروان ذات يوم ما خير ما يرزق العبد ، فقال : عقل يعيش به قيل فإن عدمه قال فأدب يتحلى به قيل فإن عدمه قيل فمال يستتر عيوبه قيل فإن عدمه قال فموت يريحه ، ويقول ينقص مال الإنسان فيقلق وينقص عمره ولا يقلق .

"الإصطهبد مرزبان بين رستم بن شروين يريم" :

هو الذى صنف كتاب "مرزبان نامه" على لسان الوحوش والطيور والإنس والجن والشياطين ، ولو أن عالماً فطناً ورعاً عاقلاً قرأ معانى ذلك الكتاب وفهمه عن إنصاف لا عن تقليد لمجموع من الحكم والمواعظ لأهل التراب على رأس العالم بيدبا الفيلسوف الهندى الذى جمع "كلیلة ودمنة" ، فقد أصبح للأعاجم عدة درجات من الفخر والرفعة فوق أهل الهند وسائر الأقاليم الأخرى وله ديوان منظوم بالطبرية يعرف « برسالة الحسن » ويقال إنه قانون النظم بالطبرانية ويقول إبراهيم معينة نظماً :

جنين كته دونای زرین كتاره	بنیكى نوممه كه شرحساد باره
این بیرى بباجه اندوهن كاره	بیاجه كما رزم برده این ییاره(۱)

(۱) من الأشعار الواردة باللهجة الطبرية .

الأطباء

"أبو الفرج رشيد بن عبد الله الطبيب الأسترابادى"

لم يكن له نظير فى عهد قابوس شمس المعالى على الرغم من كثرة أطباء عصره وقد أورد ذكره فى البلاغة والنظم والنثر الإمام الباخرزى فى كتاب « دمية القصر » .

"سيد أبو الفضائل إسماعيل بن محمد الموسوى الجرجانى"

الذى من تصانيفه كتاب « الذخيرة الخوارمشاهية » وكتاب « التذكار » ، كتاب « الأغراض » ، كتاب « خفى علائى » ، كتاب « ترجمة قانون أبى على بن سينا »

المنجمون:

كوشيار بن لبان الجبلى : وأوحد الدهر أبو رشيد الدانشى الذى أعد علم أحكام النجوم
زيست بن فيروزان : هو الذى أمر المأمون بتعريب اسمه فلقب يحيى بن المنصور
وهو الذى أعد التقويم المأمونى

شعراء طبرستان :

الأستاذ على بيروزه : هو الذى كان مداح عصر الدولة شاهنشاه فناخسرو
ويقال إن همدان كانت فى الأغلب إقطاعاً له ويقول الشاعر الطبرى بإفراط نظيماً:
بيروجة كه خورد هيمون شودارو اى وى بسهون كمترم يا بنير (١)

ويحكى أنه ذات يوم اجتمع فى بلاط عضد الدولة هو والمتنبى فأجلسوه وتركوا
المتنبى واقفاً إلى أن قال المتنبى (أتفخر بشويعر لا لسان له) فأمر عضد الدولة بأن
يرووا معانى شعره على المتنبى فقال إن سرقة معانى الكلام تماماً بمنزلة الروح
والألفاظ بمثابة البدن وأقر المتنبى على جودة معانيه.

(١) وردت بقية القصيدة بلهجة الطبرية .

ديواره وز : والذي يعرف أيضاً به مسته مرد وكان لهذين اللقبين سبب الأول حينما انتقل من طبرستان الى بغداد ووصل إلى خدمة شاهنشاه عضد الدولة ، وكما هي العادة من أن الفقيه يلتفت إلى الفقيه فقد نزل عند « على فيروزه » وعرض عليه حاله وسلسلة حديثه وهو يدرك أن عضد الدولة مليك ذو كمال في الفضل وسيفتن بحديثه وسينقص ذلك من مرتبة قدره عنده فكان يصحبه إلى اللهو ويقول له إن البلاط بالغ العظمة وأن مثلك ليس لديه سابق معرفة يحتاج إلى وقت طويل ، وفرصته من الزمن حتى يتمكن من إيجاد مكان له عسى أن يسأم ذلك الشاعر الطبري الغربية ويطلب منه الإذن بالعودة ، فلما انقضت شهور على هذه الحال ووقف على غيرة مواطنه ، وذات يوم كان عضد الدولة قد أقام مجلس لهو وطرب في بعض الحدائق فذهب إليه وجرى إلى سور الحديقة وتسلل بهدوء إلى الداخل وجلس متوارياً بين شجيرات الورد والأشجار ، حتى بلغ المجلس منتصفه وكان القواد والمقدمين يتجولون في أرجاء الحديقة متناثرين ، فوقعت عليه عين أحدهم فأمسك به وألح عليه بالسؤال بالضرب والصفع قل صدقا من أنت وما سبب هذه الجرأة التي أنت عليها ، فعلا صياح الشاعر وهو يرجو العفو ، فبلغ الصوت إلى مسامع عضد الدولة فسأل عن الأمر فأطلعوه عليه فأمر بأن يمثل هذا الشخص بين يديه فلما قبل بساطه عرض قصته مع على فيروزه وقرأ القصيدة التي كان قد نظمها فتعجب عضد الدولة من قوة الكلام وجودة معانيه وقال إنك تكذب فمن العجب أن يأتي هذا الكلام من مثلك ، ونظر إلى ما حوله حيث كانت تلك عادته وطلب منه أن ينظم شيئاً على البديهة وقدرا كانت تجلس جارية مطربة ترتدي رداء حريريا أزرقا وقد جمعت كم ردائها حول نفسها فقال للشاعر إن لم تكن هذه القصيدة منحولة فصفت هذه الجارية فنظم :

كوسـدره تيلة بداوا أين وأديم كته ديم اي مردمون وشاين
خيرى نيهون كرد ونركس نماين الى خيرى خوبه داوستى وراين
كويى خوره شى باين وبو مسداين اي دريا ونيمى ونيمومى أين

فبالغ عضد الدولة في إكرامه وجعل اسمه بين قائمة شعرائه وندمائيه ولقبه (بديواروز) وحضر إلى أمل بعد وفاة عضد الدولة ، وحينما كان " قابوس شمس المعالى " ملك طبرستان احتسى الشراب نهائياً فى أمل مع الندماء وكان منزله قريباً بباب الناصر الكبير فعلم فقهاء وخدام المشهد فأمسكوا به وأقاموا عليه الحد فى أرجاء المدينة ثم سجنوه فعرض أمره على شمس المعالى فطيب خاطره وأكرمه ولقبه بالرجل الثمل من شعره :

هست او وهستو آتش بیانیایا	واتیهون ای خور خورمی وند
بریه وکت اوامرا که خورهامرا	واشه بکیهون شاسه سری دلشا
بشرای والک وارسته کیهون وجا	او ای داد از ابـنـی آینـا
زنش بمن جون کیسه کنون شومی	مردم خرم ای خورا برونه بومی
بدای شـمـس دل دنة اس ای کس	آین بیم یکی شومست هو بی مونس
هاتن مـرا بردن ازوبزیندون	ناکـابـن او کتن یکی دونا دون

ذکر آل بویه وخروجهم من بلاد الديلم وطبرستان وشرح قبيلتهم ونسبهم

وقد ذکر أبو إسحاق إبراهيم بن الهلال الصابی مؤلف کتاب « الصابی فی آثار الدولة الديلمية » بعبارات أكثر غاية فی البلاغة قائلاً بالرغم من أنه لا يتيسر لشخص أن یغیر علی ما صنعه الصابی وأن يبدأ بما يكون نقل عنه أو يكون قد سمع عبارات [أبلغ من الصادین یعنی الصاحب والصابی وبینهما بون بعيد لأن الصاحب کان یکتب كما یرید والصابی یکتب كما یراد] ، أو يكون قد قرأ فی کتاب قولهم [هما هما ووقف فلك البلاغة بعدهما] ولكن طالما لا مفر من النموذج فالکتاب هو تاریخ طبرستان وهم طبريون وکی لا يكون الکتاب خاليا من الحکام والملوک ، فحينما أتى مؤيد الدولة أخو الخليفة الملك عضد الدولة فناخسرو بن رکن الدولة الحسن بن بويه مع الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله إلى طبرستان واسترد الملك من قابوس وحرر جميع القلاع ، وكان قابوس قد جلس معزولا فترة ثمانية عشر عاماً فی نيسابور وسوف يأتي إن شاء الله ذكره فی المجلد الثاني ، أما ما يجب معرفته فإنه لا يوجد فی دولة الإسلام قط ملك ذو شرف واتساع ملك ونفاد حکم وقهر وجبروت ورأى وتسلط مثل عضد الدولة وكان عهده فترة رواج بسوق أهل الفضل والبلاغة كأنما الدنيا بقيت تحمل جملة العلوم إلى أن جاء عهده فجاءها المخاض فوضعت حملها من فقه وكلام وحكمة وبلاغة وطب ونجوم وشعر وسائر العلوم التي كانت مطلباً للمحققين البارزين فی عهده ، وسمعت من والدي رحمه الله إذ كان لی ولع بأن أعلم ماذا كان السبب فی أن یولد جميع العلماء من حمل واحد فسألت رستم ابن علی عن خسرو شاه منجم الشاه غازي فقال كان حکمه فی أول دورعطارد ، ويقال إن أستاذه ومؤدبه کان أبا علی الفارسی وهو الذي کان إمام الأئمة فی النحو واللغة وقد ألف له کتاب « الإيضاح العضدي » كما ألف طبيبه کتاب « کامل الصناعة » باسمه ومن وزرائه

الأستاذ أبو الفضل بن العميد وابن أبي الفتح وكان في العراق على عهده صاحب
الجليل ابن عباد وكاتبه الأستاذ أبو القاسم عبد العزيز بن سوييف والصابي أبو
إسحاق إبراهيم وشعراؤه ابن نباتة السعدي وأبو الطيب المتنبي والأستاذ أبو بكر
الخوارزمي الطبري وهناك رواية عن الأستاذ أبي بكر الخوارزمي أنه كان له عادة أن
يأمر الندماء والشعراء في أوقات الفراغ بأن يصفوا كل ما كان يقدم إليه فكنا نقول
وكان هو يقول أيضاً في وصف ذلك الشيء وذات يوم قدم إليه وعاء به أرز بالحليب
ووضعه على المائدة فقال صفوا هذه وفكرنا جميعاً في هذا فسبق هو الجميع بقوله :

بهطة تعجز عن وضعها يا مدعي الأوصاف بالزور
كأنها وهي على جامها لألى في ماء كافور

وتعجبنا من قوة طبعه وسرعة نظمه ، وقد أقام في بغداد اثنين وأربعين عاماً
وكانت تحت إمارته جميع الحجاز واليمن والشام ومصر والعراقين وطبرستان وسائر
بلاد فراشواذ جر ولم يحل بمحله عالم قط الا سبقه عند البحث في العلوم وقد أوقع
ملك الروم بدهائه ففتح الولاية وعندما التحق "بختيار بن معز الدولة بأبي تغلب" لم
يرده مرة أخرى إلى أن جاء عضد الدولة إلى هناك وطلب الأمان حيث يقول :

أفاق حين وطئت ضيق خناقة يئنى الأمان وكان يئنى صارما
فلأركبن عزيمة عضدية تاجية تدع الأنوف رواغما

وقد ورد في كتاب سير الملوك للوزير نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق
حكاية الذهب والقاضي والرجل الغريب الذي كان قد أودع ذهبه كوديعة وحكايات
أخرى عنه وللصاحب ابن عباد قصيدة في حقه :

فو الله لولا الله قال لك الورى تعال النصارى فى المسيح بن مريم
ولو قلت إن الله لم يخلق الورى لغيرك لم أخرج ولم أتأثم

ويروى أن نوح بن منصور سلطان بخارى بعث إلى حضرته هدايا وتحفا عندما
كان العتبي ذاهباً إلى الحج ، ومن جملتها خمسمائة ثوب فخمة وكتب الكاتب ألقاب
نوح عليها فاستاء عضد الدولة من تلك الألقاب واتجه إلى العتبي قائلاً [سنجعل قبل
عودك من وجهك سواحل جيحون مرابط للجحافل ومراكز للقنا والقنابل] وكان
الصاحب ابن عباد رحمه الله ينظم قصائد في حقه ، [وأما قصيدة مولانا فقد جاءت

ومعها نمرة الملك وعليها رواء الصدق وفيها سيماء العلم وعندها لسان المجد ولها صيال الحق لو استحق شعر أن يعبد لعذوبة مناهله وجلالة قائله لكانت قصيدته هو ولا غرو إذ فاض بحر العلم على لسان الشعر أن ينتج ما لا عين رأت ولا أذن سمعت].

"آل وشمكير بن زيار ملوك جيلان"

وهكذا معلوم أن اسم إصفهبدان هو حق لرهطين أحدهما الباونديون والذين كانوا حكاما وملوكا في عهدنا ، وسوف يأتي ذكر نسبهم وشأن ولايتهم إن شاء الله تعالى في القسم الآخر والقبيلة الثانية آل قارن ويدعون بـ آل وشمكير أيضاً وكان أبناؤهم حكاماً وملوكاً لطبرستان بعد السادة الطالبين قرابة ثمانين عاماً وأكثر وسوف يأتي شرح أحداث وفترة حكم كل واحد منهم في المجلد الثاني إن شاء الله، أما كل من أراد أن يعرف قدر جلال قابوس بن وشمكير المكنى بأبي الحسن فعليه أن يقرأ مقدمات جميع الكتب التي حذفها أبو منصور الثعالبي وكتاب اليميني للعتبي حتى يدرك غزارة فضله وسخاوته وبذله وكمال عقله فما نثره إلا فرائد القوائد وما نظمه إلا قلائد الولائد وقد جمع الإمام أبو الحسن علي بن محمد اليزدادي جانباً من أقواله وأطلق عليها قرابن شمس المعالي وكمال البلاغة وفي هذه الرسالة فلسفة وتنجيم وإخوانيات وبشائر وفتوح ووقائع ، الى آخر ذلك الحشد وقد ملأ اليزدادي الأوراق بذكر مناقبه ومدحه يقول اليزدادي :

[وأنا أقول بلسان مطلق إن أحداً لم يسمع كلاماً باللغة العربية مثل رسائل قابوس في الفصاحة والوجازة والروعة والعذوبة واعتدال الأقسام واستواء الأوزان واتساق النظم وإبداع المعاني وغرابة الأسجاع مع سهولة الألفاظ وامتزاج الحروف المتجانسة وليس وراء ذلك نهاية فمن أنكر قولي فليبرز إلى ميدان الامتحان وليأت على دعواه بالبرهان ، وأقول إن اللغة العربية عادت في نشأة أخرى بهذه الطريقة البديعة، والنظر والتأمل يكشفان حقيقة ما قلت والسكوت عن مدح والإقرار عن صفة وصف وأقول إن هذا ليس من جنس كلام البشر ولا من المعرفة البشرية والإدراك الطباعي بل هو من إفاضة القوة العلوية] ومن جملة رسائل وهي ومرسلات كثيرة بينه وبين صاحب بن عباد ، وكان له صاحب يدعى إلى أن كتب ذات مرة شيئاً ما وأسلمه الى ذلك الحاجب ليعرض على صاحب ويسأله رأيه فيه فعرض مكتوبه كما هو ، فعرض صاحب على إصبعه من تلك البلاغة والبراعة فكتب عبد السلام عن هذه

الواقعة وعن دهشة صاحب وتعجبه لقابوس ، وكتب هو بصدد ذلك الأمر إلى عبد السلام قائلاً: [قرأت يا أخى كتابك ، وفهمت كلامك فيما إعجاب ذلك الفاضل بالفصول التى عرضتها عليه إذكارا بالمهم الذى كنا ألغيناه عليه فلم يكن فيما أحسبه إلا لخلّة واحدة وهى أنه وجد فنا فى غير أهله فاستغربه وفرعا فى غير أصله فاستبدعه ، وقد يستندب الشريب من منبع الزعاق ويستطاب الهيل من مخرج النهاق، ولكنك فيما أقدمت عليه من بسط اللسان بحضرته وإرخاء العنان بمشهدك كنت كمن صالب بوقاحتة الحجر وحاسن بقباحته القمر ولا حلم فيما مضى ولا عتب فيما سلف وانقضى].

ومرة أخرى عرض عبد السلام هذه الورقة على صاحب فلما قرأ صاحب الرسالة كتب الجواب التالى :

قرأت الفصل الذى تجشمه جامع هزة العرب إلى نمرّة العجم وناظم صليل السيف إلى صرير القلم ، فحرت بين محاسن خط لا البرد الشيع يتلقى ذيلها ولا الروض المريع يأمل نيلها ، وعقائل لفظ إن وصفتها فما أنصفتها والله يمتعه بالفضل الذى استعلى على عاتقه وغاربه واستولى على مشارقه ومغاربه ، ولم يكن استحسانى لما رأيت والمجابى بما روئيت استغرابا بالمذبحة واستبداعاً لمطلعة بل لأنه عجيب فى نفسه شريف فى جنسه ، وقد حفظت الفصل حيث سواد الناظر أو أعز وسويداء قلبى أو أحرز وعسى أن ينجز الدهر وعداً ويعيد التعارف ودأ فقد سمعت بالبعيد القريب وفرحة الأديب بالأديب وما ذلك على الله بعزيز].

وذاث وقت استاء منه خالة الإصفهيد رستم بن شروين ووقعت بينهما مشادة فكتب إليه يقول :

[الإنسان خلق ألوفا وطبع عطوفا فما للإصفهيد لا يجنى عوده ولا يرجى عوده ، ولا يخال لعتبه مخيلة ولا يحال تنكره بحيلة أمن صخر قلبه ؟ فليس يليه العقاب أم من حديد جانبه فلا يمكنه إلا العقاب ؟ أم من صفاته الدهر ممن نبوة فقد نبا عنه غرب كل حجاج أم من قساوته مزاج أباة فقد أبى على كل علاج ، وما هذا الاختيار الذى يعد الوهم فهماً والتمييز الذى يحسب الخير شراً ، وما هذا الرأى الذى يزين له قبح العقوق ويمقت إليه رعاية الحقوق وما هذا الإعراض الذى صار ضربة لازب، والنسيان الذى أنساه كل واجب ، أين الطبع الذى هو للصدود صدود والتأليف ألوف

ودود ، أين الخلق الذى هو فى وجه الدنيا البشاشة والبشر وفى بسهما الثنايا الفر ،
وأين الحياء الذى يجلى به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيمة ، كيف يزهد فيمن ملك
عنان الدهر ، فهو طوع قياده؟ وتبع مراده ينتظر أمره قيمتثل ويرقب نهيه فيعتزل،
وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه وصارت فى الانقياد له كخدمه إذا رأت
شاشته أعشبت وإن أحست بجفوته أجذبت ؟ وكيف يستغنى عن خيله العزمات
والأوهام وأنصاره الليالى والأيام ؟ فمن هرب منه أدركه بمكايدها ومن طلبه وجده فى
مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاهة العيش بإعراضه وتنقبض الأرزاق
بانقباضه وأضياء نجم الإقبال إذا أقبل وأهل هلال الجد إذا تهلل ؟ وكيف يزهى على
من تحقر فى عينه الدنيا ويرى تحسن السماء العليا قد ركب عنق الفلك واستوى على
ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت له الكواكب واستجارت بغرته المجرة وأثرت
بمآثره أوضاح الثريا ؟ بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل
تراكيب السماء ألف بين النار والماء وأكمد خياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير
والسفر وسد مناخر الرياح والزعازع وطبق أجفاف البروق اللوامع ، وقطع السنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة الزلازل
وقضى بما يراه على القضاء النازل ، وعرض الشيطان بمعرض الإنسان وكحل
العيون بصور الفيضان وأنبت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار ولم لا يعلم
أن مهاجرى من هذه قدرته ضلال ومباينى من هذه صفته خبال]

وهذه الرسالة حتى آخرها مليئة بمحاسن الكلام ونقتصر على هذا القدر لرفع الشبهة .

وشاهد آخر على فضله أنه اكتشف كوكب الحرانى عن طريق الإسطرلاب
وأخر تبسيط التقويم الخجندى ويقص الآلات والأدوات والتي يكتب عنها بخط يده
إلى أبى إسحاق الصابى وهذا أطرف مما ورد أثناء تلك الرسالة :

[وكأنى بالأستاذ إذا قرأ كتابى هذا يقول أى نسب من الأنساب بين قابوس
والإسطرلاب وأى سبب من الأسباب يحمله على تعاطى هذا الكتاب ، ومكاتبتى أبلغ
الكتاب ، وهلا اقتصر على التراس والزانات ولم يتخط الإسطرلابات والآلات] ،
واكتفينا بهذا القدر من هذه الرسالة حتى لا يطول الحديث أما جواب الصافى فقد
ورد كاملاً لأن كلامه شاهد ويجب أن يسمع برمته :

اليوم نلت مدى الآمال والهم
شمس المعالى وفخر الدهر والأمم
ومن حوى كل فن فاستبد به
وفاق كل الورى علماً ومعرفة
ولم ينل أحد فى الأرض مذ خلقت
فصرت فى قمة الجوزاء مقلها

إذ عدنى فعجزاً لأملاك فى الخدم
ومبدع المجد والأفضال والنعيم
فصار فيه أمام الخلق والأمم
حتى غدا لهم فى العلم كالعلم
ما نال بالمرهفين السيف والقلم
أخطو السماكين والعيوق بالقدم

[عبد سيدنا الأمير الجليل شمس المعالى وصل الله بأبعد الأزمان سلطانه وتشيد قواعده وأركانه، تشرف بما أهله له من عالى خطابة وتعزز بما وصل إليه من سامى توقيعه ، وكتابه واكتسباً بهما عزاً متصلاً على الأيام والأحقاب ومجداً باقياً فى الخلوف و الأعتاب فأصبح يجر ذيله على السماكين كبرا ويعلو الأفلاك تيهها وفخرا وقلت زمن مثلى وقد نلت جميع الأمانى والمعانى إذ صرت من خدم الأمير شمس المعالى ووجدت ذلك التوقيع مشتملاً على بدائع لم تهتد القرائح بمثلها ، ومحتوياً على محاسن ظلت الأقهام والأوهام عن نيلها فأيسست عن بلوغ حد انتهى إليه فى نعتها إذ لم أجد موجوداً يستحق أن يوصف بمقارنتها فى حسننها فما أجلت فيه ناظرى إلا استمددت منه فقراً ولا أعدت إليه خاطرى إلا استندت منه غروراً فشغلتنى الاستفادة منه عن تكلف الإجابة عنه ، وخدمتى هذه طالعة على جنبه الرفيع ناطقة بوصول عالى التوقيع فلا يتطلعن الأمير الجليل منها جواباً ولا يعدها كتاباً ، فإنى رأيت التعرض لجوابه خروجاً عن معرض الفصاحة والتكلف لمباراته ظهوراً فى مسك الوقاحة ، وأنا استعيز بالله من التعرض لهما فلو أوقيت أفصح بلاغة وبيان وأيدت بأسمح خاطر ولسان لما جسرت على مباراة الأمير فى ميدان ولاصلحت لمجاراته فى رهان ، ولوقعت منه فى أبعد مدى وصرت منه بمنزله الثرى من الثريا وأقصى أمداً وأقصر يداً هيهات أى يد تروم مناط الجوزاء ، وأى عاقل يطمع فى نيل عنان السماء من حاول لحقوق آثاره لم يتعده الزلة والعتار ومن زاول شق غباره لم يتخطه الخدعة والاعتزاز ' فأما ظنه وتقديره فى مملوكه وعبيده أنه يقول إذا وقف على سامى توقيع يده أى نسب بين شمس المعالى ، والإسطرلابات وهلا اقتصر زيف على تعاطى الكتاب ومخاطبة الكتاب فإنه وسمه فى ذلك بميسم الهجنة ، ورسمه بأفصح سبة إذ تحقق البعيد القاصى كما تصور القريب الدانى أن الأمير الجليل شمس المعالى

بلغ من العلم بأنواع الفلسفة ما لم يبلغ الحكيمان أفلاطون وأرسطاطاليس ، ونال خصوصاً من علم الهيئة والأحكام ما لم ينله الفاضلان أرشميدس وبطليموس ، فأما البيان والبلاغة واللسان البراعة فقد زاد فيها على قس سحيان وعامة فصحاء قحطان وعدنان وبرز لسان الإسلام فصيح الزمان الحسن وأبا عثمان ، وأما حديث الفروسية والبأس وذكر الزانات والتراس فقد غبر وجوه أصناف الناس ، فأين منه الفرس ومذكور فرسانها والعرب ومشهور شجعانها ، فله هذه الفضائل كيف حازها الأمير الجليل حتى صارت في حيز المعجز وواهاً لهذه المناقب كيف جمعها شمس المعالي حتى عد في حد المعوز ؟ ، فأما أمر الأمير الجليل الوارد على مملوكه وصنيعته في خدمة عالي خزانته بحمل الأسطربالين المطلوبين المعين عليهما الموصوفين فقد امتثله امتثال المطيع السامع وبادر الى ارتسامه مبادرة التابع المسارع ، ولولا المشهور من حاله في ضعف الشيوخوخة وعجزه عن الحركة والنهوض لتولى بنفسه حمل الأسطرلابين وذات الحلق فيما بين الأجفان والحدق فهو يرى التدين بطاعته فرضاً لا يسوغ إهماله وحتماً واجباً لا يجوز إغفاله ، والمطلع على السرائر العالم بخفيات الضمائر يعلم إننى منذ حين وبرهة أتمنى الإلمام بتلك الحضرة المقدمة وتقبيل ذلك البساط إلا أن انقطاعى إلى خدمة السلطان يقطعنى عن معظم إيثارى وعوائق الزمان تملك زمام أمرى فتحول بينى وبين اختياري ، وأرجو أن المعذرة واضحة والحال جليلة لائحة وسأكتب وأخدم وأسترسل ولا أحتشم ، ولسيدنا فى تشریف عبده وصنيعته بما يؤهله له من رفيع خدمته الرأى الأعلى والأمر المتمثل الأسنى].

وروى أنه كان له خادم يدعى أحمد سفدى قال بين يديه ذات مرة إن غلاماً حسن الوجه يباع فى بخارى بألف دينار فأمره بأنه يجب أن يصير إليه وأن يشتريه ، فلما أحضره إليه وكان فى غاية الجمال والإقبال وبالع فى الحسن أمعن النظر فيه جيداً وأمر بأن يستدعوا أبا العباس الغانمى الذى كان وزيره ، وأمره بأن يخصص لهذا الغلام إقطاعاً ويهيىء لوازيم معيشته ويطلب فى نفس اليوم بنتاً من أحد مدينة جرجان ويزوجه منها ويسلمها له ، وبالتأكيد طالما لم تنبت لحيته لن تحضره عندى إذ علينا أن نحمل هم إصلاح أمر البلاد والعباد فلا ينبغي أن نفعل أمراً يسلم القلب للهوى والرغائب ، ونفذ الوزير الأمر على نحو ما كلف به ، وكان أبو العباس الغانمى هذا آية من الآيات وكان لا يقبل هدية أو تحفة من أى مخلوق قط عن ظلف وتعفف ، وكانت بينه وبين نصر العتبى مصادقة ومراسلة وحدث أنه حينما أرسله قابوس إلى المعسكر كتب إليه العتبى رسالة بالسيف الهندى قائلاً :

[خير ما تقرب به الأصاغر إلى الأكابر ما وافق شكل الحال وقام مقام الفال ، وقد بعثت بنصل هندی إن لم يكن له في قيم الأشياء خطر فله في قمم الأعداء أثر ، والنصل والنصر إخوان والإقبال والقبول قرينان ، والشيخ أجل من أن يرى أبطال الفال ورد الإقبال [ويكتب أبو العباس الغانمي الجواب التالي :

[قد أُلجأني من طريق الفال إلى قبول ما أتحفني به على عادتي في الانقباض والقناعة من الإخوان بمحبات القلوب دون سائر الأغراض].

"ذكر آل كيوس"

لقد جرى من قبل أن ملك طبرستان كان قد ظل في أسيرة جشنسف حتى عهد «قباد بن فيروز» ، وكما هي العادة من أن تصاريف الزمان وتقلب الأيام قائم على تبديل الملل ونقل الملك فقد بلغ الزمان بأنسابهم إلى الانقراض ، وقد علم الملك فأوقد كيوس والذي كان على رأس سلالة آل باون إلى طبرستان ، وكان رجلاً ذا صلابة وشجاعة وبسالة وسماحة ، وأن له أهل الولاية فطهر بمعاونتهم كل خراسان من الأتراك وحدث أن مزدك بن بامدادان قد ادعى النبوة على نحو ما شرحة الوزير الشهيد نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق في كتاب سير الملوك تفصيلاً فألح إبليس في وسواسه بحيث مال إليه (واعتنق مذهبه) فجاء إليه العادل والذي كان أصغر أبنائه، وأعلن لومه لأبيه ووصل بالأمر إلى أن قضى على مزدك وشيعته ووصل قياد من الظلم إلى يوم يعرض الظالم على يديه فزالته عنه رعاية الخالق وهجره التمتع بالعمر ، وارتشف أنوشروان لذة من كأس الملك وفاز بإقبال الطالع فبلغ هذا الخبر إلى خاقان الترك أن قباد قد رحل عن الدنيا ودفن تحت الحجر في باطن الأرض

خلت منازلهم عنهم وهل مـلاً لم تخل في هذه الدنيا منازلهم فقرع طبل الشماتة ونفخ في بوق الخصومة وقاد الجيش على شواطئ جيمون ، فلما وقف أنوشروان على ذلك الأمر كتب إلى أخيه كيوس وبعث إليه برسول بأن أجمع من جيوش العرب والعجم فعليك أن تستعد وتتهيا بحيث تنضم إلى وسوف نجعل الخاقان يندم على ما فعله ، وفي نفس الوقت الذي قرأ فيه كيوس الرسالة اصطحب أهل طبرستان وتحرك بهم إلى خراسان ، وجمع تلك الجماعة وتوجه إلى الخاقان

(١) إنهم ماتوا وخلت منازلهم فهذه سنة عامة فالكل سيرحل فهل سيبقى في الناس أحد؟ (المترجم) .

بجيش جرار واشتبك معه فى قتال وأنزل به الهزيمة فى وقت قصير ، ثم عبر النهر وحمل غنائم طائفة وعين على خوارزم أحد أقاربه المسمى هو شنك واتجه بالجيش من هناك مرة أخرى إلى غزنين وعين نوابا عنه حتى على نهر واله وأخذ الخراج من التركستان والهند ووصل بالسلامة والنصر إلى طبرستان ، وبعث بواحد من أعيان ثقافته إلى أخيه أنوشروان بالغنائم والهدايا ومعه رسالة مفادها إنك أصغر منى بعدة سنوات وأنت تعلم أنى قد هزمت الخاقان بدون معونتك ومساعدتك وأخذت الخراج من الأتراك والهنود فليس من العدل أن تكون أنت المتوج وأنا تابع فلتدع لى عرش وتاج وخزائن أبى لأخصص لك حسبما تشتهى منطقة أوسع ما تكون ، ومملكة أوفى ما تكون ، فلما وصل الرسول إلى أنوشروان وعرض الرسالة أمر باستدعاء الموابدة وعرض عليهم الرسالة ، فأجابوا بأن كيوس يضع ماء الوبال فى الغريال ويشعل نيران الفتنة قال رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم (الفتنة ، نائمة فمن أيقظها فهو طعم لها) .

إن تفعل شراً فسوف تلقى جزاءك ، فعين الزمان ليست نائمة.

لا تزال آثار بيزن ماثلة فى أرجاء البلاط بينما آثار إفراسياب ماثلة داخل السجن ، فأرسل أنوشروان لأخيه بجواب يقول فيه : اعلم أن الزعامة والرياسة متعلقة بالشهامية والعظمة لا بصغر السن ، والدنيا لله يهبها لمن يشاء وعز من قائل « تؤتى الملك من تشاء » ومنذ ألف عام وقد رسخ جذر شجرة التمنى فى قلوب الخلائق دون أن تؤتى ثمارها حتى الآن ، عساك لا تعلم أيها الأخ أن الملك مثلما هو محبوب ومرغوب من قبلك فإنه مطلب جميع القلوب أيضاً فالإنسان لا يتعلق بكل ما يمر بخاطره وأن يعلم يقيناً أنه لن يخلد والخالق يعرف كيوس من أنوشروان ويجب أن تبعد شياطين الوسوس عن ديوان قلبك ، فالحرص الأسود هو الذى يحرق البيدر ويجلب على الإنسان الغرور والخداع وضع الوحوش فليسلم العقل الرئيس ليسوس الأمر بالسياسة فقد قالوا :

ولا خير فى نفس أصابت سلامة ونالت كفافاً ثم مالت إلى الحرص

فهل بلغ ذمك الأخ أن أبينا حين جاء وقت رحيله إلى عالم الفناء استدعى الموابدة وتشاور معهم واستخاروا الله العظيم فى الملك وجاءت الاستخارة بإسناد الملك إلينا ،

إنك ترى الكثير من أهل الفضل والشجاعة لا يجدون نفاق بطونهم من الخبز
 - فى حين ترى شخصا مجردا من الفضل يفوز بالنصر والجاه خلال شهر واحد
 - وإنى أقول لذلك الأخ حتى لا يستاء من الفلك الأعلى ، فلا يصح أن يكون ذلك
 الأخ من الناكثين وتقريه أعين الشامتين فيصدق فى حقه قول الشاعر :

طرق السداد على إفراط ونسختها كأنما هى ذو المن مسدودة
 يجرى إلى الشرك الهملاج فى طلق ورجله عن مساعى الخير مصفودة

وحيثما قرأ كيوس الرسالة أخذ يتحرك فى عجلة للقتال ولم يسلمه التخويف إلى
 التسوية فوصل إلى المدائن وتقاتل مع أخيه ، فأسره أنوشروان وأمر بحبسه وبعث
 إليه بعد عدة أيام أن يأتى إلى البلاط ويتوب ويعترف بذنبه كي يسمع المواعدة ذلك
 فيأمر بحل قيوده ويوليه على الولاية فقال كيوس أرى أن القتل أولى عندي من هذه
 المذلة والاعتراف بالذنب فأمر بقتله فى تلك الليلة ولعن التاج والعرش اللذين أوجبا
 عليه أن يقتل أخا مثل كيوس وبعث بابنه "شابور" إلى المدائن إلى أن قام "خاقان"
 الترك بالإغارة على "خراسان" مرة أخرى فقاد أنوشروان الجيش ومضى لقتاله فى
 تلك الأيام واصطف الجيشان آنذاك وكان عدد الفرسان فى ميدان القتال يتراوح ما
 بين ألفين إلى ثلاثة مئتين بالأعلام الخضراء وملابس الفرسان والدروع وآلات القتال
 والأسلحة باستثناء حدقات عيونهم ومر أنوشروان من أمام معسكره ونظر كل منهما
 للآخر دون أن يعرف من هو ومن أين جاء وبعثوا الفرسان من كلا الجانبين وسألوه
 فلم يجيبوا وقد ظل "أنوشروان" فى فكرهم وقاد "أنوشروان" قلب "جيشه" فى أثرهم
 ورمى بنفسه على قلب الخاقان فهزمه فلما بلغت الحرب نهايتها أطلق هؤلاء الفرسان
 ظهورهم لأنوشروان وعادوا حيث أتوا فاستل أنوشروان سلاحه وانطلق بمفرده فى
 أعقابهم وهو يصيح لتعرفوا فى النهاية "أنى" أنوشروان "فمن تكونون أنتم وتحسب
 لكم هذه الشفقة وهذا التعب والمشقة فلو أنتم آدميون فمن حقى أن أعرفهم حتى
 أكافئهم وإن تكونوا جنين أطلب منكم أن تصعدوا غبار النجاح ، ولو كنتم ملائكة
 فأزيد فى الحمد والثناء والدعاء والشكر والتضرع وكلما كان يصيح أكثر كان يقل
 التفاتهم ولا يعبأون بصياحه حتى هوى من على جواده وأقسم عليهم بالله والنيران أن
 يولوا وجوههم شطره وينظرون إليه ، فلما التفتت، تلك الجماعة وجدت الملك
 "أنوشروان" ملقى على الأرض فى حالة تفرع والقصة أنه كان فى عهد والد "قباد"
 فيروز بن يزدجرد بن بهرام كور بن يزدجرد الأثيم أجستوار حين قام ملك الهياطلة

والذين عرفوا بعد ذلك بالصغانيين بترك ما وراء جيحون وماء بلخ له على سبيل المصالحة لكنهم نقضوا العهد ونهبوا الولاية ، حتى جاء فيروز شاه لحربهم ، فأغاروا عليه ليلاً غدرًا وحرقوا جيشه وأسروه مع جميع أولاده وجميع عظماء إيران ، وأطاحوا برقبة فيروز شاه فى الحال ، وكان له نائب على المدائن يدعى سوخارا بن قارن سوخرا من أبناء كاوه اتجهت إليه تلك الجماعة التى نجت من رقبة السيف فى تلك الحرب ، وأبلغوه بالأمر فجمع المدد والمؤن من جميع الأنحاء وطلب المعونة بالمال والسلاح والدواب ، وعبر بجيش جرار من جيحون فعلم أجستوار وأدرك أن لا طاقة له به فبعث إليه بجميع أبناء وأكابر إيران ، مع أموال وخزائن وأبدى الأسف والاعتذار لمقتل فيروز شاه فعاد سوخرا بما أراد ولقبه المواعدة والعظماء بلقب الإصفهيد لهذا النجاح الذى تم بتدبيره ، كان فيروز قد خلف من الأبناء ثلاث وهم قباد وبلاش وجاماسب ، فأجلسوا بلاش على الملك بعد قتل أبيه ودان له بالولاية أخيه جاماسب وهرب قباد وحضر إلى خراسان ومن هناك انضم إلى الخاقان وأخذ منه لينزع الملك من أخيه ، فلما وصل إلى الرى كان بلاش قد التحق بالدار الآخرة ، فأخذه سوخرا البيعة لقباد من الجيش واستتب له أمر الملك وبعث لقباد ليترد الترك من الرى أيضاً لأن معونتهم لاتستاق مؤنتها والحق بى على وجه السرعة فقطع قباد صلته باتباع "الخابان" على نحو ما أمر وقام بطرد رجال "الخابان" ، فذهب إلى "سوخرا" وعينوا على العرش ودانت الدنيا بحسن تدبيره لقباد ، وكان كل يوم يزداد "سوخرا" منزلة ورفعة بسبب كمال عقله ووفائه وديانته ، ووجد الحساد مجالاً للوقية فكانوا يشون بأمره للملك ويحكمون للملك من أنه له تسعة أبناء اصطحبهم جميعاً وحضر إلى "طبرستان" ، فكلف "قباد" أشخاصاً فقتلوه غدرًا فغادر ابناؤه "طبرستان" وجاءوا الولاية حتى زال أمر قباد وجلس مكانه "أنوشروان فكان" دائماً يشعر بالحزن لأن أباه لم يعرف لسوخرا حقه فبعث يطلب أبنائه من أرجاء الدنيا وكان يبذل لهم الوعود والندور فكانت تلك الأخبار تصل إلى أبناء "سوخرا" فلما وقعت هذه الحرب وقاد أنوشروان جيشه الى هناك جهزوا أنفسهم على هذا النحو وأنهوا تلك المعركة وولوا وجوهم الى الصحراء فلما وجدوا أنوشروان ملقى على الأرض بهذه الصورة ترجلوا جميعاً من على فرسانهم وسجدوا بين يديه قائلين نحن أبناء عبيدك نحن أبناء سوخرا ومن بالغ سعادته أشاد بالجميع وأعادهم جميعاً ، وشملهم بعطفه ورعايته إلى أن انقضت فترة أمور "خراسان" وما وراء "جيحون" وكان

يصطحبهم الوزارة وقال لهم اطلبوا ما تشاءون فإن كانت قيادة الجيش أسندتها إليكم فقالوا ألا حق لنا في أي درجة على الإطلاق حتى لا يحل بنا ما حل بأبينا فقال لابد أن يكون لأبنائكم في كل طرف من أطراف الدنيا إقطاع يكون سببا للمنال والعيش فاختر زرمهير الذي كان أكبر إخوته "زابلستان" واختار قارن الذي هو أصغرهم وكان نداً له أمل ولفور وفريم والذي كان يطلق عليها في جملتها جبل قارن وجاء أنوشروان إلى "طبرستان"، وكان الملك لفترة في منطقة تميّشه أمر بعمارتها وأقام على كل طرف رئيساً، ففوض آلية كل هذه المواضع وذهب إلى المدائن، وقارن هذا كان يعرف بإصفهبد طبرستان ومن أبنائه حتى الآن أمراء لفور وإيراباد والجماعة المعروفة بقارن ونون وقد فصلنا في المجلد الثاني جميع نسب أهل طبرستان من باوند وقارن ولورجان نون ولارجان مرزبان وإستندار وأبوان وكولايج ولاسان، السعيدون، وأولانمهان وأمريكان وكبود جامة (أصحاب الزى الأزرق) وأوردنا سبب تلك الألقاب، هذا وقد نظم كسرى أنوشروان ملك طبرستان في عهده بحيث لم يمنح أحداً قسماً إلا ما قسمه له وعين على كل ناحية رئيس بحيث لا يغير أحد على آخر وأقام ابنه هرمزد فحكم مدة اثني عشر عاماً وتوفي في عهده شابور بن كيوس وخلف ابناً يدعى باو فحضر لدى خسرو يرويز ورحل معه إلى الروم، وكان له أثر بالغ في حرب بهرام شو بنه فلما وصل خسروا إلى الملك والسلطنة ولي باو أمر إصطخر وأذربيجان والعراق وطبرستان وبعثه بجيش جرار فعبر من طبرستان حتى وصل إلى خراسان وخوارزم وسلمت له كل بلاد التركستان حتى صحراء التتار وأذربيجان فلما أمسك شيرويه الشؤم الذي يقال له قباد والده خسروا وخرب منزله في المدائن ونهب جميع الأموال والمتاع وأذله وأرسل بإصطخر حاكماً إلى شهر بند، ولقى شيرويه جزاءه في مدة وجيزة فلم تف له الدنيا وأجلسوا على العرش، أرزميدخت، رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ويل لأمة ملكتها النساء وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد وصل إلى المدينة، فأشار عظماء إيران على أرزميدخت أن تستدعي باو إلى البلاط وأن تسند إليه الجيش وكتبوا إلى باو رسالة، فقال لا يرغب ولا يرضى في خدمة النساء إلا رجل لا رأى له ولا همة له وانشغل في الدنيا في العبادة في بيت النار حتى استقرت السلطنة "ليزد جرد بن شهریار" وكان من ملوك العجم، فأرسل عمر سعد بن أبي وقاص إلى القادسية بجيش الإسلام والذي ضربت به العرب المثل فقالوا: أرمى من سعد فتصدى له "رستم هرمزد" الذي كان قائد الجيش العجم ومذكور في التواريخ والشاهنامه ذكر وقائعها

ومعاركها وأحضر يزد جرد باو من إصطخر وأمر برد أملان وأقطاعه ولم يستطيع إقصاءه عن نفسه بسبب خصومة العرب ، إذ يجب أن يكون معه فى جميع المواقف فى طبرستان الى أن قام كاوبارة بالاستيلاء على جميع الولاية.

"ذكر أولاد جاماسب وقصة كاوباره"

وهكذا كان هذا الحال عندما أجلسوا قباد والى أنوشروان على العرش وجاماسب الذى كان أصغر إخوته وقد مضى شرح هذا من قبل ، ومع أنه قد اتفق مع أخيه الأكبر بلاش إلا أنه هرب منه واتخذ من أرمينيا مقاماً وقام بغارات من دربند على الخرز وسكلاب ، واستولى على أطراف تلك الولاية ، وتزوج هناك ورزق أبناء كان أحدهم نرسيى والذى كان صاحب حروب دربند فلما توفى خلف ابناً يدعى فيروز كان يوسف آية فى الحسن وفى رجولة رستم بن زال ، فوسع أطراف ممالكه بالقهر والغلبة حتى وصلت فالى الحدود جيلان وكافح سنوات حتى دان الناس له وانقادوا تحت لوائه ، وطلب إحدى بنات أمراء جيلان للزواج فرزق منها بابن اسمه جيلان نشأه وتنبا المنجمون بأنه سينجب هذا الابن الذى سيكون عظيم الشأن، فلما آل إلى الابن وهبه الحق تعالى ابناً ميمون المحيا قمرى الهيئة اسماء جيل بن جيلان نشأه صار ملكاً عظيماً التف حوله جميع الجيل والديلم وكان يسمع من المنجمين بانه سيؤول إليه ملك طبرستان (١٥٤).

وعين واحد من أمنائه وثقاته على جيلان وكان يجعل ثورين جيلانين بين يديه ، وجاء إلى طبرستان مترجلاً وكان نائب الأكاسرة آنذاك أذر ولاش فزج بنفسه فى بلاطه ولازمه ولانشغال اهل فارس بالخصومة والحرب مع العرب كان الترك يغيرون على طبرستان ، وكان جيل بن جيلان نشأه كاوباره (صاحب الثور) مبارزاً ومقاتلاً ذاع صيت شجاعته فى طبرستان وجرى لقبه كاوباره على الألسنة ، قال ذات يوم لأذرولاش : بأن سوف أذهب إلى الدار حيث تركت الأبناء منذ فترة سأذهب لأتفقدهم وأعود للخدمة على الفور فسمح له وجاء إلى الولاية وجهاز الجيش وأخذ عدة آلاف جيلى وديملى وجاء إلى طبرستان فلما علم أذرولاش بهذا الأمر أرسل رسولاً مسرعاً إلى كسرى جردمن هو ذلك الأجنبى ومن أى قوم وشرح أذرولاش أمره فأجاب ، بأنه رجل دخیل أتى أهله من أرمينيا واستولوا على جيلان وشرح له ما قام به وعلم المواعدة بهذا الأمر فقالوا إنه من أبناء جاماسب ورأوا من صلاح الأمر أن يكتبوا إلى أذر ولاش بأنه من جملة أقاربنا ووهبنا له طبرستان ويجب عليك أن تمتثل للأمر فلما وصلت الرسالة ووقف عليها كاوباره أعاد التحف والهدايا وبعث بها إلى الخدمة

فزادوا على لقب جيل بن جيلان فرشواذ جرشاه فلما انقضت فترة سقط أذر ولاش من على الجواد فى ميدان الصولجان ومات وألت جميع نعمه وما له إلى الجيل بن جيلان شاه وكان هذا فى عام ٣٥ حسب التقويم الأعجمى الجديد ، وأقام من جيلان حتى جرجان القصور العالية ولكنه اتخذ من جيلان داراً ملكه وبقي بها فترة خمسة عشر عاماً منذ أن اعتلى عرشها حتى توفى وبها دفن ، وخلف عنه ولدين أحدهما يدعى دابويه والآخر باد وسيان وكان دابويه عظيماً ذا سياسة دهاء وكان لا يعفو عن جريمة ، حاد الطباع ، جلس على عرش جيلان خلفاً لوالده وكان بادوسيان ملكاً على رويان .

"ذكر حكومة وساطنة باو فى طبرستان"

منذ أن ظفر جيش الإسلام نصرهم الله على يزد جرد وتوجه هو مهزوماً إلى الرى، وكان برفقته باو فطلب الإذن منه أن يسلك طريق طبرستان ليزور بيت النار فى كوسان الذى أقامه جده كيوس على أن ينضم إليه فى جرجان فسمح له يزد جرد ، وغدر ما هوى السورى وللفردوس معجزة فى نظم هذه الأخبار فى الشاه نامه

- ماذا أقول لفرجار يدور محاصراً بين دائرتين ولا مجال إلا الصمت .

- والزمان لا يدوم لأحد طويلاً يوم لعظمة ويوم لحاجة

- الزمان هو الزمان إذا ما نظرت إليه ويوضعه هذا لا تركز إليه ولا تثق به

فأنت لست بأعظم من "إفريدون" كما إنك لست صاحب عرش وتاج مثل برويز .

وقد ورد أنه حينما انهزم يزد جرد من جيش الإسلام جاء الى خراسان ، وكان له ثلاثة أبناء هم كيخسرو وهرمزد وشاه غازى بعثهم جميعاً إلى أطراف طبرستان وقسموا تلك الأماكن فيما بينهم ، وما إن وصل خبر مجيء يزد جرد إلى ماهوى السورى حتى جمع جيشاً جراراً وجاء على رأسه ، وعلى الرغم من أنه كان وليه ونائبه على خراسان ، والخلصة أن يزد جرد قد انهزم وتوارى فى طاحونة قديمة مهجورة وشاء القدر فبعث إليه شخص ما هذا الخبر فأطلع عليه ماهوى السورى فبعث على التو شخص قتله ولما انهزم ماهوى السورى من جيش العرب لجأ إلى الخاقان فأمر بقتله ، لأنه كاد لولى نعمته فحل به قصاص فعله ، أما باو فقد حلق

رأسه وأقام مجاوراً فى بيت النار فى كوسان ، وقام الأتراك بتخريب كل خراسان وطبرستان وجاء جيش عمر من العراق يضم الإمام الحسن بن على عليها السلام وعبد الله بن عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وقتم بن عباس ومالك بن أشتر النخعى إلى أمل ولا يزال معسكرهم قائماً هناك حيث يطلق عليه فلات مالك وقد ضاق أهل طبرستان زرعاً بالمعاناة وبما حل بهم من صدمة ، وقالوا : يجب أن يكون لنا ملك عظيم القدر حتى ننقاد إليه جميعاً فلا يلحقنا عيب ولا عار من خدمته ، قالوا : ولا يليق هذا الأمر إلا بباو فذهبوا إليه ورووا له ما حدث وبعد إلحاح كثير منهم قبل بشرط أن يوقع رجال ونساء الولاية بالطاعة ، وبأن يكون حكمه نافذاً فى أموالهم ودمائهم بهذا العهد غادر بيت النار ، وحرر الولاية من الأعداء فظل حكمه مدة خمسة عشر عاماً حتى طعنه فى شارمام ذات يوم ولاش بحربة فى ظهره فقتله حكم بعده مدة ثمانية سنوات ، وبقي لباو ابناً يدعى سهراب ، فأقام متوارياً عند والدته العجوز فى قرية دزار نكنار سارى فى منزل بستانى وكان أهل طبرستان جميعاً قد بايعوا ولاش فيما عدا أهل كولا ، وشاهد خورزاد خسرو المسمى "إسفا" هى طفلاً عمره ثمانى سنوات فى منزل البستانى فأمعن النظر فيه وقال لمن هذا ؟ فقالوا الحق فأخذه هو ووالدته وحمله إلى كولا والتف وأغاروا فجاءه بخمسين ألف شخص وأخذوا ولاش وشطروه نصفين واقتادوا كل من عثروا عليه من تلك الجماعة وحملوا سهراب إلى بريم وأجلسوه على العرش وشيدوا إليه بظاهر قرية تاليور عند أطراف قلعة كوزا قصرًا وحماماً وساحة وقد وسع الإصفهبد شروين تلك العمارة والمنشآت، وأثرها جميعاً لا يزال ماثلاً فى وسط بيشة ، وحينما أرسلنى الملك السعيد أردشير فى مهمة إلى تلك القلعة أرونى تلك الآثار واحداً واحداً ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم لم يسمع أحد من الملوك أو من السلاطين باستئصال نسله ، برغم الخصومات التى حلت وعلى الرغم أن السادات العلوية وكاوباره والديالمة من آل بويه وأولاده وشكمير قد انتصروا عليهم وبعث العباسيون بالجيش إلى ولاياتهم وأنزلوا بها الخراب إلا أنهم انتصروا فى النهاية وازداد عدد قبيلتهم ، وأول شخص شق الطريق فى طبرستان بريم إلى سارى ومن سارى حتى جرجان ودينار الحالية كان هو الإصفهبد شروين .

"أحوال أولاد ابويه بعد باو"

وخلاصة الأمر فقد تفرق أهل طبرستان شيعاً وفرقاً بعد باو ، ولما حل الموت بدابويه بقى له وكان يلقب بذى المناقب فرضان الكبير فقاد الجيش إلى طبرستان وامتد سلطانه إلى حدود نيسابور ، وانقاد الجميع له وأقام المدن على نحو ما ذكر من قبل عند الحديث عن سارى وقد أقام العمران فى طبرستان بما لم يكن له شبيه من

قبل ، وأراد الأتراك فى عهده أن يدخلوا طبرستان عدة مرات إلا إنه لم يمكنهم من أن يجتازوا الصحراء ليلقوا نظرة على الولاية إلى أن انقطع طمع الأتراك وكان هو أول ملك أمر بعمارة مدينة أصفهبد أن وأقام لنفسه بها قصراً فلما فزع من الحروب خرج عليه الديالة بسبب الغنائم وأرادوا أن يقتلوه فهرب منهم الى أمل ، وكانت توجد قصبة على بعد فرسخين من أمل فى مكان يعرف بفيروز خسره الآن بفيروز آباد وهى قرية صغيرة وأخذ بها قلعة حصينة فقدفها الديالة بالمجانيق ولم يستطيعوا أن يحدثوا فتحة قط إلا فجوة صغيرة من ناحية الغرب ، وحاصروها مدة أربعة أشهر على أمل أن تنفذ المؤن فأمر الإصفهبد فرخان بأن يضعوا خبزاً على الطريقة الطبرستانية بحيث يكون كل رغيف عشرة أمان من العجين ويجفف على الشمس ويعلقوه على أسوار القلعة ، فلما رأى الديالة ذلك وأيقنوا أنهم يجففون الخبز حتى لا يلحقه الفساد ولا يناله الرطوبة رحلوا عن ذلك المكان وتفرقوا ، ومع رحيل الديالة خرج هو وأقام فيما بين أمل والديالة الخنادق وحفر نهراً بحيث لا يمكن عبور تلك المنطقة إلا سيراً فوق جسر.

قدوم جيش "مصقلة بن هبيرة الشيبانى" إلى "طبرستان"

وكانت الخلافة آنذاك قد آلت إلى أمير المؤمنين على عليه السلام وكان يوجد قوم يطلق عليهم بنو ناجية انضموا إلى النصرانية واعتنقوها فحمل عليهم أمير المؤمنين وأسر الجميع وحمل نساءهم وأبناءهم الى من يريد ليشترتهم المسلمون رقيقاً وقد اشترى الإمام على مصقلة بن هبيرة بمائة ألف درهم ثم حرره وأعطاه ثلاثين ألف درهم بحيث لم يكن مجال للعطاء أفضل من ذلك، فهرب وانضم إلى معاوية ويقول أمير المؤمنين على عليه السلام فى حقه :- قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرارا العبيد^(١) وبعث أمير المؤمنين إلى البصرة حيث هدم قصره وكانت أول دار تخرب فى الإسلام وطلب المال من أخته وما زالت آثار قصره باقية فى البصرة وأولاده يقيمون فى الكوفة ويقول فى حق أمير المؤمنين على عليه السلام:-

قضى وطراً فيها على فأصبحت إمارته فيها أحاديث راكب

(١) ورد فى نهج البلاغة لأبى حسن الرضى : أنه لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيبانى إلى معاوية وكان قد ابتاع سبى بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام واعتقه فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام قال الإمام على فيه قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرار العبيد فما أنطق مادحه حتى أسكته ولا صدق واصفه حتى بكته : " نهج البلاغة جمع الشريف أبو الحسن محمد الرضى بن الحسن الموسوى شرح الإمام محمد عبده تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ج ١ ص ١٩ مطبعة الاستقامة د - ت ."

فلما التحق أمير المؤمنين على عليه السلام بنعيم الجنة ، عاد مرة أخرى إلى طبرستان وعرض على معاوية بأن يقوم بتحرير طبرستان بأربعة آلاف رجل ، وقاد الجيش وجاء مدة عامين مع "فرخان" وقتل في النهاية بطريق "كجو" على طريق "كاند سان" وقبره موجود على قارعة الطريق ويزوره عوام الناس عن تقليد وجهل على إنه من صحابة رسول الله عليه السلام ، ومن جانب نهر (طيزنة) والذي كان يطلق عليه (مياندرو) وكان الحاكم آنذاك وصمغان ولاش وكل وقت كان يذهب فيه الإصفهيد للصيد في تلك النواحي كان يمضي عدة أيام هناك في «تنير» أدنى من «تردويني» وما زال قصر «الإصفهيد» فرخان قائماً حيث لا يوجد مكان أفضل من ذلك المكان للنزول فيه للصيد والشراب، وبعث إلى «وصمغان» أن زوجني ابنتك وأن تسمح بأن أقيم قصراً في هذا الموضع واجعلها تقيم فيه وقد اضطر أن يعلن الموافقة شاكراً، فبعث بابنته إليه مع مال وفير ومتاع فقام فرخان بإيصال النهر في ذلك المكان حتى البحر وهناك أقام مدينة وقصراً عالياً وجعل البنت تقيم فيه حتى صدر عن «وصمغان» جرم في يوم ما على الطريق فضرب عنقه واستولى على ولايته وشتت أعوانه ، بخلاف أولاد باو الذين حفظ حرمتهم ولم يتعرض لمنزلهم حتى لجأ «قطري بن الفجاءة المزني» إلى "الإصفهيد" والذي كان رئيس الشراة ومن فصحاء العرب في عهد "الحجاج بن يوسف" ومعه "عمر فناق" و"صالح مخراق" مع جملة زعماء الخوارج عليهم اللعنة ، فاستضافهم "الإصفهيد" طوال الشتاء ومنحهم من النزل والعلف والهدايا والتحف فلما سمنت خيولهم واستراحت أبدانهم فأبلغوه رسالة مفادها إما أن تعتنق مذهبنا أو نستولى على الولاية منك ونقاتك ، وقصة الخوارج أنه لما كان التحكيم مع أصحاب أمير المؤمنين "على" -عليه السلام- وبين "معاوية" في "صفين" وقام "أبو موسى الأشعري" بهذا القدر الشنيع والذي ألحق به العار والنداب ، تجمعت جماعة من جيش أمير المؤمنين على -عليه السلام- واختاروا لقيادتهم "عبد الله بن الكوا" و"معدان الأيادي" ورفضوا حكم الحكمين وجردوا سيوفهم مرة واحدة في عدة آلاف من الرجال وخرجوا على جيش أمير المؤمنين وهم ينادون { لا حكم إلا لله } فلما سمع أمير المؤمنين ذلك قال : { اسكت قبحك الله يا أثرم، فوالله لقد ظهر الحق وكنت فيه ضئيلاً شخصك، خفياً صوتك، إذا نعر الباطل نجمت نجوم الماعز } وقال جيش أمير المؤمنين "على" -عليه السلام- في ذلك اليوم هذا البيت .

سلام على من بايع الله شاربياً وليس على الحزب القعود سلام

وكان أول شخص بايعوه أطلقوا عليه أمير المؤمنين وهو "عبد الله بن وهب الراسبي" وأول من جرد السيف لهذه البدعة كان هو "عروة بن أديّة" وذلك في وجه الأشعث بن قيس، وقال : ماهذه الدنية ؟ وماهذا التحكيم ؟ أشرط أوثق من شرط الله ؟ فابتعد عنه الأشعث وضربه بالسيف في كفه، وهرب هذا اللعين من سيف أمير المؤمنين "علي" - عليه السلام - إلى "نهر روان"، إلى أن أمسكوا به في عهد "زياد" وأحضروه إليه، فسأله: ماذا تقول في حق علي وعثمان ؟ فشهد بكفرهما فأمر "زياد بن أبيه" بضرب رقبتة ويوجد أربعة ألقاب لأصحاب هذه البدعة :

أحدهم : الحرورية بحكم إنهم كانوا قد نزلوا في "حرور" ولقبهم أمير المؤمنين "علي" - عليه السلام - بأهل حرور، وذلك لأن قارئاً كان قد قرأ في حضرته تلك الآية الكريمة : { قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا } .

قال أمير المؤمنين - عليه السلام - معقّباً : والله هم أهل حرور .

وثانيهم : المارقة ؛ لإجماع الأمة على قول رسول الله: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وقوله أيضاً - عليه السلام - إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين .

وثالثهم : الشراة لما كانوا هم قد ادعوا بقولهم لقد بعنا أنفسنا لله عز اسمه .

ورابعهم : الخوارج وهم الذين خرجوا على الإمام "علي" - عليه السلام - وكانوا كلما قتل واحد من رؤسائهم كانوا يبائعون آخر إلى أن وصلت زعامتهم إلى "قطرى بن الفجاءة المزني" وكان أشهرهم وأشجعهم وقد أورد "سيد مرتضى" أشعاره في "غرر الدرر" و"أبو تمام" في "الحماسة" و"المبرد" في "الكامل" ، وحينما بايعوه كتب إلى "أبي خالد القناني" :

أبا خالد أيقن فلسفت بخالد وما جعل الرحمن عذراً لقاعد

أتزعم أن الخارجى على الهدى وأنت مقيم بين لص وجاحد ، فكتب أبو خالد عليه
اللعنة فى جوابه :

لقد زاد الحياة إلى حباً مخافة أن يرين الفقر بعدى
ولولا ذاك ما سومت مهري بناتى إنهن من الضعاف
وأن يشربن رنقاً بعد صاف وفى الرحمن للضعفاء كاف
وكان "عمران بن حطان " من فقهاء وفصحاء الخوارج عليهم اللعنة ويقول
فى جواب "أبى خالد " .

لقد زاد الحياة إلى بغضاً وحباً للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشى وأرجو الموت تحت ذرى العوالى
ومن يك همه الدنيا فإنى لها والله رب البيت قال
و"عمران بن حطان" هذا هو الذى حارب مع أمير المؤمنين "على" - عليه السلام -
وكان يقول :

إنى أدين بما دان الشرارة به يوم النخيلة عند الجوسق الخرب
ويقول سيد حميرى رحمه الله فى جوابه :
إنى أدين بما دان الوصى به يوم النخيلة من قتل المحلينا
وبالذى دان يوم النهار دنت به وشاركته مما كفى بصفينا
تلك الدماء معاً يارب فى عنقى ومثلها فاسقنى أمين أمانا
ولعمران بن حطان أيضاً :

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
أما تكن ذقت كأساً دار أولها على القرون فذاقوا نهلة الكأس
فكل من لم يذقها شارب عجلا منها بأنفاس ورد بعد أنفاس
قد كنت أبكيك حيناً ثم قد يئست نفسى فما ردى من عبرتى يأسى

وكان "الحجاج بن يوسف" قد قتل الأزارقة واستأصل شأفتهم على يد "المهلب بن أبي صفرة"، واستدعى سفيان بن أبي الأبرد الكلبى "مخوض إليه جيش الشام والعراقيين، وأوفده إلى "طبرستان" فى طلب الخوارج وأمره بأن يحضر إليه "قطرى بن الفجاءة" حياً أو ميتاً ، فلما وصل سفيان إلى الرى كان "الإصفيهد فرخان" قد قاد جيشه إلى "دنياوند" ولبث متربحاً وبعث إليه برسول قاله له لو وقفت بجانبك فى حرب قطرى فيما تعاوننى؟ فأجاب سفيان كل ما تريده، فقال ما أريده أن لا تتعرض لولايتى ومضى الاتفاق على هذا بينهما، وعلم "قطرى" بالأمر فمضى من حدود "دنيا وند" إلى "سمنان" ومضى "الإصفيهد" فى أثره إلى أبواب سمنان فأدركه هناك وتقاتلا وتحرك "قطرى" بحصانه من بين التلاحم الكثيفة متجهاً إلى "الإصفيهد"، وتقدم "الإصفيهد"، لقتاله أيضاً فلما التقيا معا وكان "قطرى" قد امتطى صهوة جواد أبيض وأخطأ حينما كثر مهاجماً فكبا به الحصان فسقط وكسر فخذه تحت الجواد فكر عليه "الإصفيهد" وأطاح برأسه ، كما قتل كل من "عمر فناق" و"صالح مخراق" وسائر المقاتلين الآخرين وبعث ببعض الأسرى إلى "ما زندران" ولان الضعفاء والأسرى بـ "الإصفيهد" طالبين الأمان فأجابهم ولا يزال موضعهم ظاهراً بـ "آمل" يطلق عليه "قطرى كلاله" وبعث "الإصفيهد" برؤوس القتلى مع بعض من الغنائم إلى "سفيان" وهو بدوره بعث بها مع رسالة الفتح إلى "الحجاج" فسر بهذا الخبر وبعث برسول إلى "سفيان" مع حمل خروار من الذهب وآخر من التراب ، وأمر الرسول بأن لو كان هذا الفتح قد تم على يديه فأنثر عليه الذهب وإن كان بسعى "الإصفيهد" فصب حمل التراب هذا فوق رأسه فى السوق وعلى مفترق الطريق ، ولما جاء الرسول وعلمت الحقيقة قام بصب التراب على رأس "سفيان" بأمر "الحجاج" ، ولم يمض وقت طويل وقد لقي "عبد الملك بن مروان" جزاءه ، ولم تعد تبقى لـ "الحجاج" حجة أيضاً، وجلس "الوليد بن عبد الملك" على الخلافة وولى قتيبة "خراسان" وما وراء "جيحون" وأبدى مع "الإصفيهد فرخان" صداقة وتآلفا ، وكان "يزيد بن المهلب" قد تولى العمل فى خدمة "سليمان بن عبد الملك" وكلما كان "قتيبة" يبعث برسالة نصر من "التركستان" كان يرد عليها برسالة فيها طعن عليه وأن بشائر فتحك التى تأتى من هناك لا يطمئن إليها أمير المؤمنين فلماذا لا تقوم بفتح "طبرستان" والتى هى روضة بين بلاد الإسلام فأدرك قتيبة أن "يزيد بن المهلب" هو خصمه

وأن "الإصفهيد فرخان" صديقه وبالتأكيد فلن يلحق أذى بـ "الإصفهيد" وولايته حتى توفي "الوليد" وخلفه "سليمان" فولى "يزيد" على "خراسان" وأمر بقتل "قتيبة" فلما وصل إلى "ما وراء النهر" انشغل بجهاد وغزو الكفار وكان يرسل برسائل الفتح إلى البلاط ، فلما وصلت الرسالة إلى "سليمان" قال في جوابها لماذا لم تنهض بما كنت تعييه على "قتيبة" ، وكرر عليه كلامه هذا ففقد جيوش العرب و"خراسان" و"ما وراء النهر" . ومضى بها إلى "جرجان" فلما وقف "الإصفهيد" على هذا الخبر بعث بجميع أهل الولاية والحرم والأموال والدواب إلى "قوهستان" ولم يترك شيئاً قط في الفلاة والصحراء حتى وصل يزيد إلى "تميشة" وانتزعها عنوة وقهراً وكان لديه قائد يدعى "ضريس" بعث معه الأسرى والخزائن والحواشي وبعض الرجال إلى "جرجان" وتوغل هو ، وكان "الإصفهيد" فرخان" قد اعتلى المرتفعات الجبلية فمضى "يزيد" إلى "الفلاة" ، وكان "الإصفهيد" يسير في مواجهته فوق قمم تلك المرتفعات حتى وصل "يزيد من المهلب" إلى مدينة "سارى" ونزل بقصر "الإصفهيد" ، فخاف أهل الولاية فكان كل شخص يستأذن من "الإصفهيد" في الرحيل لرعاية أولاده وقد خمرته فكرة الهروب إلى "الديلمة" في طلب المدد فأقبل ابن "الإصفهيد" لدى والده وقال : معاذ الله أن تضع هذه الفكرة موضع التنفيذ فانت حتى الآن ملك صاحب ملك ووقار فإن تهرب فسوف تلحقك الهزيمة وتكون مطارداً كثيراً وتزال هيبتك من القلوب وربما يأخذك "الديلمة" لدناءة همتهم وحقاقتهم ويسلمونك لخصمك ؛ طمعاً في المال ، ورغم أن هذه الجماعة والتي هي أقل منك عدة وعتادا قاومت "يزيداً" ولم تهرب منه فالأجدر بك الصمود فكان يبعث بالرسول لإحضار المدد من "جیلان" و"الديلمة" ، فجاء إليه عشرة آلاف فارس وعلم "يزيد بن المهلب" بهذا الأمر فبعث "خداش بن المغيرة بن المهلب" مع "أبى الجهم الكلبى" بعشرين ألف فارس للقاء "الإصفهيد" فلما وصلوا بالقرب من معسكره تقدم "سلمان الديلمى" وكان في مقدمة جيش الإسلام "محمد بن أبى سرّة" الجعفر فهجموا على "سلمان" وهزموا ذلك الجمع وقتلوه وتعقبوا المهزومين حتى بلغوا "الإصفهيد" وأصحابه ، فمضوا إلى قمم الجبال وهزموا جيش المسلمين برميهم بالسهام والأحجار ثم عادوا من طريق آخر وأسروا الجنود وقتلوا خمسة عشر ألف رجل من المسلمين ، كما قتلوا عدة أشخاص من أقرباء يزيد حتى بلغوا معسكر "يزيد" وأغاروا على خيمته وأحرقوها ولما فرغوا من ذلك أرسل "الإصفهيد" على الفور رسولاً إلى "جرجان" لدى "النهايذة الصولية"

وقال لهم : لقد قتلنا أصحاب "يزيد بن المهلب" وهزمتنا جيشه ويجب القضاء على "ضريس" مع تلك الجماعة الموجودة في "جرجان" وقد وهبنا لكم أموالهم ومتاعهم فقام "النهابة" بأمر "الإصفهيد" بالإغارة ليلاً على تلك الجماعة وقتلوهم عن آخرهم ، وكان من بين تلك الجماعة خمسون رجلاً من بنى عمومة "يزيد" وأمر "الإصفهيد" بأن يحضروا إلى "سارى" بحيث لا يستطيع أن يجتازها فارس وأن لا يتركوا بها طريقاً ، واستأسد على "يزيد" وتجراً عليه ووقف "يزيد" على كل هذه الأحوال فأسلمه التفكير إلى الخوف ولم يجد حيلة ليتدبر طريقاً للخلاص سوى أن استدعى "حيان النبطي" وكان رجلاً مولى لـ "مصقلة بن هبيرة" وأصله من "ديلم" وبحكم أنه كان أبكم فكانوا يلقبونه بـ "النبطي" وقال : يا أبا يعمر لقد أسأت إليك في "خراسان" وسلبت مالك وعزمت على قتلك ولأن لي حاجة بك فحاذر أن لا تتذكر ذلك فتغدر وتخادع وهو أمر قاومه الإسلام فقال : أيها الأمير إنه لم يعد لدى أى أثر لكراهييتك مع كل تلك اللطاف والمنن وحاشا لله أن أهمل حرمة الإسلام والمسلمين وأختار المجوس فقال "يزيد" لقد بلغنى خبر جرجان كذا وكذا ولقد أخذوا علينا طريقنا ولقد شغلنا بهذا الجهاد عامين، ولم يسلم لنا شبر من الأرض وقد تعب رجالنا ولم يقبل شخص بالإسلام ففكر لنا في إيجاد طريق لنخرج بسلام من هذه الولاية ، ولتحاذي أهل "جرجان" ولنعود لإنجاز هذا الأمر مرة أخرى فقال "حيان النبطي" إن هذا المجوس قد انبهر بهذا الحال فلو قال لي إنه ظل يخرب ولايتي لمدة عامين ونهب المال والمتاع فبم أجيبه ، فقال "يزيد" لو يقبل ثلاثمائة ألف درهم أعطيها له ويخلي لنا الطريق فمضى "حيان" إلى "الإصفهيد" وقال له لقد أرسلنى "يزيد بن المهلب" فإن تقبل بالولاء له فسوف يغادر ولايتك ، وإلا فلا تنظر إليه نظرة استهانة لما أصابه وألم به من هزيمته فقد بعث إلى "الشام" و"العراق" و"خراسان" و"تركستان" ليأتى المدد ، وأنت تعلم أن المدد سوف يصل كل لحظة وسوف يصعب تدارك الأمر عليك فلن تبقى أنت ولا ولايتك ، ولن يتاح لك هذا اليوم قط فأخذ "الإصفهيد" يعيد حساباته من جراء وساوس "حيان" ورؤيت عليه دهشة بالغة وأخذ يتدبر حيلة فقبل بمبلغ الثلاثمائة ألف دينار المرسله من "يزيد" وأعطى منها خمسه آلاف درهم "حيان" وجرى الاتفاق على أن يفتح الطريق أمام "يزيد" ، وأوفى "الإصفهيد" بما وجب عليه مقابل المال ومضى إلى "تميشه" فأقام داخل خندق حتى يسترد جميع أسرى الولاية ومضى "يزيد بن المهلب" إلى "جرجان"

وكان قد أقسم بأن يجعل الطاحونة تدور بدماء تلك الجماعة "النهابة الصولية" فكان يمسك بزعمائهم ورؤسائهم وأتباعهم وجمعهم وأمر بقتلهم فلم يسئل دم قط منهم ، فقال أحدهم "نهبد صول" لو أخلصك من كفارة هذا القسم فهل تأمر لى وقومى بالأمان فقبل فأطلق "نهبد" الماء فى النهر فحمل معه الدم إلى تلك الطاحونة فطحنهم وأكل "يزيد" من ذلك الخبز ومضى من "جرجان" إلى "الشام" حيث مثل بين يدى "سليمان" وروى عن ابن عائشة أنه لما صعد سليمان بن عبد الملك المنبر وقد غلف لحيته بغالية حتى كادت تقطر منها ، فقال أنا الملك الشاب مدلهأ بملكه وشبابه فما دارت الجمعة حتى مات" فلما توفى "سليمان" وجلس "عمر بن عبد العزيز" رحمه الله على الخلافة وكان معروفاً بعدله وعلمه وفضله وحلمه ، وكان بنو أمية قد استنوا سنة يوم الجمعة وعقب صلاة الفجر فى أن يلعنوا على المأذن والمنابر الإمام علياً و"فاطمة" و"الحسن" و"الحسين" عليهم السلام- وقد قلدهم فى هذا الكفر وتلك البدعة عوام الأنعام فى جميع الدنيا، فلما جلس "عمر بن عبد العزيز" على الخلافة نهى وزجر، وأمر بأن يقرأ فى خطبة جمعته عوضاً عن هذه اللعنة هذه الآية « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون" وبقيت سنته حتى اليوم كما أمر برد "فدك فاطمة" عليها السلام إلى أولادها وكان يسلم لهم حتى عهد "المتوكل" العباسى ويقول "رضى موسى" رضى الله عنه : يا بن عبد العزيز لو بكيت العين فتى من بنى أمية لبكيتك غير أنى أقول إنك قد طببت وإن لم يطب ولم يرك بيتك ، وسمعت من "نظام سمعانى" من فوق المنبر فى "خوارزم" أن واحداً من "الأبدال" رأى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله وقد جلس فى سدة مجلسه و"عمر بن عبد العزيز" بجانبه و"عمر بن الخطاب" أدنى منه بعدة درجات، فقلت: يا رسول الله من هذا الشخص الذى جلس بجانبك ؟ فقال عمر بن عبد العزيز : فسألت واحداً واحداً حتى وصلت إلى ابن الخطاب فقلت يا رسول الله بما أدرك ابن "عبد العزيز" هذه الدرجة ، فقال كان عادلاً فقلت ألم يكن ابن الخطاب أعدل منه فقال: إن ذلك عدل فى زمن العدل وهذا عدل فى زمن الجور والظلم ، وقال "نظام سمعانى" أيضاً إنه كان له زوجة غاية فى الحسن روت بعده قصة: أنه حين أدرك الخلافة لم يستوجب غسل نفسه منى رغم الود والمحبة التى جمعت بيننا ، وكان يقول يا فلان حلينى إذ يجب أن أجعل النهار لخدمة الخلائق وأن يكون الليل فى طاعة الخالق ، والخلاصة أن "يزيد بن المهلب" كان

قد كتب من "طبرستان" إلى "سليمان" أن ظفرت بغنائم طائلة بحيث أن قافلة الجمال تمتد إلى "الشام" وكانت قد سلمت تلك الرسالة لـ "عمر بن عبد العزيز" فأمر بأن تعرض عليه الغنائم التي دونت بها فقال كان الحال في البداية هكذا وكنا قد غنمنا الكثير من الغنائم لكن لم نستطيع أن نخرجها فلم يقبل ذلك منه وأمر بحبسها ، وقام "الإصفيهد فرخان" بعمارة الولاية مرة أخرى ونزل بها مدة عام أو عامين وهو الذي كان جد "المنصور بن المهدي" وامتدت فترة ملكه سبعة عشر عاماً وبعده جلس "داذ مهر" الذي كان ابنه الأكبر والذي نتيجة للسياسة التي نهجها أبوه لم يصب ملكه بخلل فأمر بعمارة قصر "أصفهيد" ان مرة أخرى، وجلس مدة اثني عشر عاماً على العرش ولم يطمع أي مخلوق قط في ولايته ولم يدخل شخص قط إلى "طبرستان" حتى آخر حكم بني أمية ، وأنداك كان قد ظهر خروج "أبي مسلم" وشأنه في "مرو" وكانت الخلافة قد آلت إلى "مروان الحمار" وسبب تلقيبه بالحمار أن العرب كانت أطلقت على العام المائة سنة الحمار كناية عن حمار "العزیز" عليه السلام ومنذ أول عهد دولة بني أمية وحتى ذلك الذي قتل فيه أبي مسلم "مروان" كانت قد انقضت مائة عام ، وقد أورد "الجاحظ" في كتاب "البيان والتبيين" أنه حينما التف جيش "أبي مسلم" حول "مروان بن محمد" وضربوه ، أمر الخادم الذي كان حاجبه بأن يدفن في الرمال عصا وبردة رسول الله ، وكانت لمروان ذلك ابنة معه فسلمها للخادم ليضرب عنقها فلما أخذوا الخادم من بين الأسرى قال لو قتلتموني سوف يضيع ميراث رسول الله فأعطوه الأمان ، ودلهم على موضعه ، وسلم لهم البردة والعصا وقد ذكر الأستاذ "أبو الفرج على بن الحسين بن هندو" في كتاب أمثال المولدة "برواية عن" ابن دريد" صاحب كتاب "الجمهرة" أن "كعب بن زهير" أنشد عنده قصيدة البردة في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله فألقى عليه تلك البردة ، وكان "معاوية" قد اشتراها منه بعشرين ألف درهم ولا تزال حتى هذه الساعة بين يدي خلفاء بني العباس، ولم أقرأ قصة قط أعجب من قصة "أبي مسلم" إذ كان الحق جل جلاله قد وهبه رستاقا داني المحل قريب المنزلة مع مكنة كبيرة بحيث نهض بهذه المهمة العظمى والخطيرة وأتمها بحيث سوف يبقى ذكره يجرى على الألسنة حتى يوم القيامة ، وقد ورد أنه حينما انتصر على بني أمية وكان "مروان" قد بدأ يحسب له حسابه فأمر عبد الحميد الكاتب" الذي كان كاتبه ومنشئه وأستاذ هذه الصنعة وقدوة هذه الأمة في فن الكتابة بأن يكتب إليه رسالة بوعد وعيد ووعظ

وتهديد ، فكتب رسالة كانت من كمال بلاغته بحيث ضمنها الكثير من غرائب العجر والبحر وحملت من "جرجان" إلى ذلك الرجل وختم كلامه بهذه العبارة، [إن نجع فذاك وإلا فالهلاك] فلما قرأ الرسالة بطولها وثقلها على "أبى مسلم" وضعها أمامه وأخذ يقطعها قطعة قطعة بالفأس الذى كان يستخدمه يوم الحرب حتى بلغ نهايتها ، وأمر بكتابة هذين البيتين فى الجواب :

محا السيف أسطار البلاغة وانتمى عليك ليوث الغاب من كل جانب
فإن تقدموا نعمل سيوفاً شحيذة يهون عليها العتب من كل عاتب

فأمروا "عبد الحميد" مرة أخرى بأن يكتب إليه رسالة بأوجز العبارات بحيث لا يستطيع أن يكتب مثلها، فكتب « يا أبا مجرم لو أراد الله بالنملة صلاحاً لما أنبت لها جناحاً وعلى قدر المصعد تكون السقطة» وفى كل الأحوال جاء التقدير وفق "أبى مسلم" حتى أتى بالسفاح من المدينة وهو "أبو العباس عبد الله بن محمد بن عباس" وأجلسه على العرش وانقاد له أهل الدنيا وعاد "أبو مسلم" إلى "خراسان" وحضر إلى "العباس" مرة أخرى وهو فى طريقه إلى الحج وفى أثناء الطريق بلغه خبر موت الخليفة فأخذ البيعة لأخيه "أبو جعفر المنصور عبد الله بن العباس"، وورد أن "عبد الله بن العباس" - رضى الله عنه - كان فى سفر ذات مرة مع أمير المؤمنين "على" - عليه السلام - إذ كان أولاد "العباس" فى طاعته ويأثمرون بأمره ، وكانت لأمير المؤمنين "على" شفقة بالغة عليهم، بحيث إنه حينما آلت الخلافة إليه ولى عبد الله على البصرة وأسند ولاية الحرمين لـ "قثم" الذى كان شقيق "الحسين بن على" عليها السلام فى الرضاة ولـ "عبيد الله" اليمن والطائف ويقول الأمير "أبو فراس" :

أما على فقـــد أدنى قرابتكم عند الولاية إن لم تكفر النعم
هل جاحد يا بنى العباس نعمته أبوكم أم عبيد الله أم قثم

وكان قد ولد "لعبد الله" ابن هو أبو الملوك فحمله فى قطعة قطيفة واتجه به لحفرة أمير المؤمنين على - عليه السلام - وقال: [يا أمير المؤمنين رزقنى الله البارحة ولداً فسمه مشرفاً ، وكنه متوجاً، فأخذه منه أمير المؤمنين وحنكه ، ثم قال : هاك إنه أبو الملوك الأربعين سمه "علياً" وكنه أبا الحسن" والخالصة أنه بعد مبايعة "المنصور"

سمح له "أبي مسلم" بالتوجه إلى "خراسان" وما أن وصل حلوان شعر بالحنق على "أبي مسلم" لما كان يبيديه من الاستهانة في عهد أخيه ، وقد أرسل في إثره الرسل يطلبون حضوره إلى البلاط لأمر هام حيث إن الخليفة لا يستطيع أن يبيت في هذا الأمر دون مشورتك فيجب عليك أن تعود إلى البلاط ، وكان "أبو مسلم" قد تجاوز حلوان فأرسلوا إليه رسولاً في "الري" وسلمه رسالة فأدرك "أبو مسلم" ما فيها من خديعة ومكر وتشاور مع صديق له حيث قال: كيف ترى أمري مع بني العباس ؟ فقال الصديق : كحال ذلك الأسد الذي أصابته شوكة في قدمه وعجز عن الحركة لما يعانيه من الألم بسببها فوقع نظر رجل صالح ساذج على فطرته فرأى ضعف الأسد وسمع أنينه وأخذته الشفقة به وقال : هو خلق من خلق الله تبارك وتعالى وقد وقع في البلاء ومن اليسير أن يكون سعيي سبباً في خلاصه ونجاته ولم ير من الرحمة أن يقصر في النهوض بهذا الأمر ، فاقترب من الأسد ، وأخذ يمسح بيده على قدمه حتى انتزع الشوكة منها ونظف الجرح وطهره فنهض الأسد وتأهب ليفترس الرجل، فقال الرجل : أياكون هذا هو مكافأة جزائي، وجزاء مرؤتي ورحمتي ؟ فأى حجة عندك أيها الأسد ؟ وأى دعوى تجيز بها هذا التصرف؟، فقال له الأسد: إنك رجل فضولي وربما ترى أسداً آخر قد ابتلى ببلاء مثلي فتهم بعلاجه وتحرص على الفوز برضائه فلا ينبغي ذلك إذ ربما يأتني فينتزع مني قهراً وعنوة هذا المرج وأصبح أنا شريداً أعانى الغربة ومهما حاول الرجل أن يبالغ من صراخه إلا أن الأسد لم يلق إليه سمعاً وانشغل بالأمر حتى قضى على الرجل ، وأشفى آلام جوعه القديم وأطفاً حرارة جوعه منه. قال "أبو مسلم" إن الغصن الذي أكون قد غرسته اذ لم أثبت في تربيته وطاعته والمعاناة من أجله فإن العابرين سوف يقتلعونه ، وسعى تلك السنين العديدة يضيع عبثاً، وكان له نائب يدعى "سنباد" بعثه إلى الري بالخزانة والأموال، ومضى هو إلى "المنصور" فما إن رآه حتى قال : وجرت مثلاً [تركت الرأي بالري] ولما قتله "المنصور" وأسند وزارته إلى "أبي أيوب المورياني" جرى مثل يقول ، [قيه بدهن أبي أيوب] ويقتل "أبي مسلم" على يد "المنصور" حسب له أهل العالم حسابه وتمكن في قلوبهم الخوف من عقابه وروى أن خواص "أبي أيوب" سألوه ذات يوم، مع كل هذه المخالطة والخلوة والمحادثة والمشافهة التي جرت بينك وبين "المنصور" فإنك لو خرجت من عنده في اليوم خمسين مرة فإن

لونك ووجهك لا يكونان أبداً مستقرين فأجاب إن مثلى ومثلكم مثل صقر الصيد والديك عند ما تحاورا معاً قال الصقر للديك : لم أر فى الدنيا شخصاً أكثر منك فى عدم الوفاء وعدم المروءة ، قال لماذا ؟ قال : بحكم أن أربابك يأخذون البيضة وأنت ما زلت فى حال العدم ، ثم تخرج أنت إلى الحياة برعايتهم وتربيتهم ، ويعدون لك عشاءً ويزوجونك ويرون واجباً عليهم أن يحملوا هم توفير الحب لك يوماً بيوم ويقدمون هذا الحب إلى منقارك وكلما اتجهوا إليك فإن صياحك يصل إلى العيوق (فى عنان السماء)، وتقفز من حى إلى حى، وتجرى من محلة إلى محلة وأنت تشنع بهم وتصير عاقاً وابقاً بينما أنا الذى منشئى ومولدى هو بالأماكن الجبلية والتى لا يأتياها إنسان ، وأكون قد تربيت لسنوات فإذا ما صرت إلى إنسان وأخذنى فبقليل من الرعاية والتفقد أصير مستأنساً وأوطن القلب على موالاتهم، وحين يطلقونى للصيد وأدركه وأمسك به فاحتفظ به حتى يصلوا وأسلمه لهم، وإذا ما أطلقونى للطيران فإنهم إذا ما استدعونى آتى إليهم فلما سمع الديك كلام الصقر حتى نهايته ، قال : حجتى قد خفيت عليك فأنت لم تر كل عمرك صقراً متعلقاً فى سيخ ويشوى فى موقد لكنى أرى كل يوم ألف ديك فى الأسياخ معلقة، فلو أنكم ترون وتعلمون ما أراه وأعلمه من "المنصور لما استطعتم أن تشربوا جرعة ماء واحدة فى أمن خوفاً منه ومن بطشه، وكانوا يلقبون "المنصور" بلقب "أبو الدوانيق"، لأنه أمر بعمارة قلعة "خندق الكوفة" ، وكتب لكل رأس دانتاً من الذهب ، ولما فرغ من ذلك بنى مدينة "بغداد" وحثه "المورىانى" أن يخرب قصر إيوان كسرى فى المدائن وينقل تلك العمارة والآلات إلى بغداد، حتى تكون النفقة أقل فاستدعى "المنصور خالد البرمكى" وتشاور معه فى الأمر فأجابه "خالد" بأن لا يسمع هذا الكلام؛ لأن قصر إيوان كسرى هى آية للإسلام حتى يوم القيامة وكل من يرى هذا القصر وعمارته يدرك أنه لا يمكن لأحد إلا أنبياء الله أن يقهر صاحب هذا القصر، وفوق ذلك فقد كان مصلى "أمير المؤمنين" على عليه السلام ولو تخرب هذا القصر فسوف تكون نفقة خرابه أكثر من الانتفاع به فقال المنصور: [خالد أبيت إلا ميلاً إلى العجمية] وأمر بأن يهدم فلما انقضت مدة فى الهدم ثم عمل محاسبة للتكاليف الهدم والمنفعة وكانت نفقات الهدم ضعف الفائدة منه ، فاستدعى خالد وقال له صرنا إلى رأيك ، فقال خالد محذراً: أخشى أن أردد هذا الكلام من بعد فسوف أقول إن

مشورتى كانت هى أن يهدم القصر ؛ حتى لا تروج قصة تقول بأن أمير المؤمنين قد عجز عن هدم بيت ويقال بأن "المنصور" كان يقول إن "خالدًا" قد أغرانى بحديثه هذا وأن ابنى عمائر عالية محكمة وكل هذا الكلام موجود ضمن سيرة "أبى مسلم" وخروجه وللأستاذ "أبى بكر الخوارزمى" رسالة فيها [لعن الله أبا مجرم لا "أبا مسلم" نظر لا نظر الله إليه إلى لين العباسية وصلابة العلوية فترك نهاء واتبع هواه وباع آخرته بدنياه وباع المجانسة لبنى العباس وسلطهم على رقاب الناس] وبعد اثنى عشر عاماً من الحكم هى فترة حكم "داز مهر بن فرخان" أمضاه فى أمن ورفاهته، توفى دون أن يفكر شخص من أهل الإسلام فقد كانوا مشغولين بخروج وتبديل الخلافة وكان قد بقى له ولد فى السادسة من عمره يدعى "خورشيد" وأخ يدعى "فرخان الصغير" وفى رواية أخرى كربا لى- قالوا يعنى الأمم- وفكر وقت وفاته أن جعل ابنه الصغير خليفة له وولى عهده فتصاب الدولة والملك بخلل وسوف تتنازعه الأهواز، فاستدعى الأخ ابنه وأخاه وتعاهدا معاً واشترط عليه أنه حينما يبلغ ابنه أن يسند له الملك وأن لا يضايقه، وعلى هذا الأساس جعله وصياً على ولده، ولما فرغوا من دفنه بعث "كربالى" بابن أخيه إلى "تميشه" حيث كان بها مقر أولياء العهد فى تلك الحقبة وكانوا يسمونه "بفرشوان المرزبان"، وكان "النهاضة" أقرباؤه ومربييه ، وجلس عمه على الحكم وسير الأمور حتى بلغ "خورشيد" الرجولة وكان لدى العم جارية تعزف على الصنج تدعى "هروية" وكانت تعرف حيل الشعوذة والمداعبة وكل وقت يأتى فيه "خورشيد" إلى عمه كانوا يأمرونها أن تداعبه وتلاطفه فوق فى قلبه ميل نحو هذه الهروية منذ الطفولة وعشقها، وكان بين الاثنين رسل ومكاتبات، ووقف العم على هذا الأمر فقال "لخورشيد" : إن هذه الجارية التى عندى هى وديعة لحسابك سوف أهبك إياها عند ما تكبر.

ذكر الإصفهبد خورشيد :

عندما كبر "الإصفهبد خورشيد" استدعى "كربالى" أبناءه وقال لقد كبر ابن أخى وأرسل إلى رسالة مفادها: أن الملك خاص بأبيه وأنه قد أسنده إليك بعهد وميثاق فرد إلى الوديعة، فقال الأبناء أنت الملك والملك ينتقل منك إلينا ولن نسلم لأحد قط، بحيث تترك له الملك فقال الوالد: دعكم من هذه الطفولة، ولا تدقوا فى الحديد البارد

وسوف أفي بعهدى وخيانة العهد غير مباح لى ولكم، فقالوا ما دام الأمر كذلك فأرسل واستدعيه لتسلم الملك له، ولم يكن لأبيهم علم بما وقر فى قلوبهم، فأرسل الرسل إلى "خورشيد" ليأتى كى يوفى بعهد أبيه فالعمر غير مضمون، ولأنه كان يثق فى عمه، فركب مع بضعة أشخاص من أقاربه، وأقبل من "تميشه" إلى عمه، ونزل بقصره وكان يبدى له مودة أبويه وتحدد يوم أقيمت فيه وليمة كبيرة، وكان أبناء العم قد تعاهدوا فيما بينهم بأن إذا ما فرغوا من الطعام وجلسوا فى مجلس الشراب يقتلون خورشيد بالحربة فعلمت ورمجه المهروية، بهذا الأمر، فأعلمت "خورشيد" سرا فاستدعى أخا له ، فى الرضاعة، كان يدعى "جلونان" وأخبره بالأمر، فخرج على الفور وأحضر جوادين وأتى بهما إلى البلاط فما أن فرغ "خورشيد" من الطعام ونهض إلى المستراح حتى غادر القصر وامتطى صهوة جواده كما ركب "جلونان" معه واستلا سيفيهما وصاحا: اقبلوا أيها المخنثون إن كنتم فى عداد الرجال وقاد جواديهما حتى بلغا "تميشه" فلام كربالى "أولاده وقال لهم: لقد جلبتم لى العار وسوف يبقى الشبه والعار حتى يوم القيامة، وكتب إلى "الإصفهبد خورشيد" يسوق الأعذار بمواثيق الإيمان بأن هذا لم يكن برأيه ولا بمشورته وبعث إليه بموكب من الأتباع يستعد فيه للحرب، وقد تحالف مع "نهابذة سارى"، وتحارب معهم بالقرب من قصر "وادقان" وهو القصر الذى أقامه والده فى منتصف الطريق بين "تميشه" و"سارى"، وهزمهم وطاردهم حتى "سارى" وأسرهم جميعا، ونزل بالمدينة فى بيت عمه، وقال له : ليس لك جريرة ولك الخيار فى الموضع التى تريده وكل ما تستطيعه احمله معك إلى ذلك المكان وأقم فيه سالما وحدد له دوره وبعثه إلى المكان الذى اختاره، وبعث بأولاده إلى الجبال التى يسمونها "فرخان فيروز" وظلوا بها حتى آخر العمر، وتزوج من "ورمجة الهروية"، وأخذ جميع خزائن والده وعمه، وكانت مده حكم عمه ثمان سنوات، ولما جلس فى مكان أبيه اجتمع من حوله الأقارب "وندرند"، و"فهران" و"فرخان" الذين كانوا أبناء "جسنسر بن سارويه بن فرخان الكبير"، وكان له ابن خال، وعين "وندرند" حاكماً على "آمل"، و"فهران" حاكماً على "قوهستان" وأبقى "فرخان" معه وعين "شهر خواستان بن يزدانكرد" لقيادة الجيش، وأقام فى منطقة "الأصفهبدان" قصراً للمرة الثالثة على مساحة أربعمئة جريب وتدعى حتى الآن "بكيسه"، وكانت هذه المنطقة فى عهد الملك "السعيد أردشير" حظيرة لخيوله العربية فى وقت الربيع كما أمر بإقامة خندق وقلعة محكمة، أسماه "سه دله" كما أقام قصراً

من ثلاث أدوار، وأنشأ سوقاً واختار أهل الحرف من أرجاء "طبرستان"، للإقامة بها وأقام خارج القلعة رباطاً كبيراً ونزلاً واسعاً للقوافل، وأقام على تلك المدينة خمس بوابات - أطلق على الأولى بوابة "قوهستان" والثانية بوابة "البحر" والثالثة بوابة "جیلان" والرابعة بوابة "جرجان" والخامسة بوابة "الصيد"، وكان لا يأتي أحد من هذه البوابة إلا "الإصفهبد" وموكبه يوم الصيد، وشق قناة من الجبل إلى البحر وأجرى بها الماء وأطلق عليها قناة "جیلان"، ولا تزال حتى الآن باقية وكذلك أقام مصايد الأسماك، وهذه القناة تمر من وسط قصره وكانوا قد أقاموا على القناة منصة؛ بحيث إذا ما كان يأتي للنزهة كان يصطاد الأسماك منها، وفي مقابل بوابة الصيد أمر بإقامة ميدان كبير وخذق عميق لا يزال أثره باق حتى الآن، وجعل من الأماكن القريبة من الأصفهبدان حرماً وساحة كلما كان يأتي إلى المنطقة "الأصفهبدان" كان خواصه وأتباعه يأتون بكل صيد تصل إليه أيديهم من الوعول الجبلية، والخنزير، والأرانب، والذئب، والنمور، ويربطونه في هذا الميدان فكان يقتل من ذلك الصيد ما ينتقيه، ثم يطلق سراح ما بقي من الصيد، وعندما كان يغادر ذلك الميدان لم يكن لأحد جرأة في أن يتعرض لصيده مرة أخرى ولم يكن يقيم في مكان ما أكثر من شهر مهما كانت أجور واحتياجات النفقة والأعلاف الوفيرة عندما كان يمضي إلى جهة أخرى مرة ثانية كان يخزن الأعلاف والأموال في الموضع الذي يغادره عساه يعود به إلى ذلك الموضع مرة ثانية، وكان لديه في "قوهستان" ثلاث وتسعون زوجة وأقام لكل واحدة منهن قصراً وهياً لهن الخدم والأواني الذهبية والفضية، وصنوف الأموال والخزائن وكان لديه أربعمائة بغل أشهب لحمل متاعه يوم السفر، وجعل لكل بغل سائس يمسك بلجامه لم يكن يستطيع أن يمتطي ظهره، وكان قد بنى لورمجة الهروية قصراً رفيعاً على شاطئ البحر عند قرية "يزدان آباد"، كما أقام عمارات كثيرة وصرف عليها أموالاً طائلة وكانت خزائنه ونفائسه عند تلك المرأة، وكان يعزها أكثر من الجميع وكان يأتي إليها يوماً كل شهر إذا ما كان في موضع آخر، وإذا ما تصادف ولم يحضر إليها يوماً في الشهر كان يرسل لها ألف دينار اعتذاراً عن تغيبه وقد أنجبت له ولداً أسماه "هرمزد" وجعله ولي عهده، وكان من بين نساء "الإصفهبد" امرأتان إحداهما ابنة "الإصفهبد فرخان آذر ميدخت" والتي يسمونها "كران كوشوار" (أي القرط الغالي) وثانيهما ابنة فرخان الصغير ابن عمه وتدعى ياكند وكان "الإصفهبد" يفضل "كران كوشوار" ويميل إليها

أكثر وإذا ما تناول الشراب في مكان آخر فإنه كان يركب ثملاً ويأتى إليها مدعياً أنه ذاهب للصيد ، أما "ياكند" فكانت امرأة سليطة اللسان تخلق الأعذار فعلمت ذات ليلة المكان الذى يتناول الإصفهبد فيه شرابه وأنه ينوى أن يتجه إلى "كران كوشوار" فأمرت جميع خدمها والقائمين على رستاقها بأن يذهبوا إلى ذلك الموضع بالفؤوس وأدوات الحرث والمعاول ويحفروا الطريق إلى منطقته "أصفهبدان" ويخربونه ويضيعون معالمه ويجهزون الطريق ويزينونه إلى قصر، "هاوينر يتتو" وأن يجلسوا على قارعة الطريق لحين ما يركب "الإصفهبد" ويسأل خواصه عن الطريق فإنهم يدلونهم ويصحبونهم حتى قصرها وفعلوا ما أمرتهم به ومضى نصف الليل و"الإصفهبد" راكب وهو ثمل لا يدري وأراد الذهاب إلى "أصفهبدان" فاحتال عليه رجال "ياكند" بهذه الحيلة فكان يقول لهم كل ساعة إن هذا الطريق قد طال هذه الليلة ولم يعبر من النهر وفجأة وجد نفسه فى بلاط ياكند فأدرك الحيلة فأرسل إليها فى الداخل أن معى أربعمئة رجل فهل تستطيعين توفير الطعام والأعلاف لكل هذا العدد ؛ فأمرت ياكند بأن يذبح لحشمه أربعمئة رأس من الأبقار ومع كل بقرة أربعة خراف وأربعة أحمال من الثمار وقدمت كل ذلك لحشمه ، واستضافتهم ثلاثة أيام ثم أعطت لكل فارس جواداً وبقرة شابة كما أعطت لكل راجل ثلاثة أثواب وبساط جيد وكان لخورشيد قائد جيش يدعى "قارن" والتي تنسب إليه قصة قارن وهى بين ينجاه هزار والنهر وسمونها قارن أبادى لوكى ، وكان قد أودع بها كنوزه وهى خربة فى وقتنا الحاضر، وكان جيشه يتكون من أربعة آلاف رجل ، وكان دائماً يرتدى الديباج ويجلس على كرسي ذهبى وكان حكمه نافذاً على رجال ونساء ، الإصفهبدان" ، فلما طالت مدة حكمه وآثر فيه غرور الحكم والأمن ولم يحفظ للمعارف والعظماء حرمة ولم يحسب حساباً لأحد، وتعامل معهم بجفاء وخفض مراتب الناس، فضاقت قلوب الخلائق منه وتعطل الناس فى عصيانه والخروج عليه .

ذكر عصيان الإصفهبد خورشيد للخليفة المنصور

حدث أنه على نحو ما ذكر من قبل إن "المنصور" قد قتل "أبو مسلم" وبلغ خبر مقتله لسنباد فى الرى ؛ فأرسل كل ما كان فى الخزانة من متاع ودواب كثيرة إلى "الإصفهبد" كوديعة كما بعث ستة آلاف حمل وألف درهم كهدية إلى حاشية الإصفهبد وأعلن عصيانه وخروجه على المنصور، حتى بعث الخليفة من بغداد "جهور بن مرارا"

لحربه فجاء إلى "الري" وتحارب معه على حدود "جرجيناني" وانتصر عليه "جهور" وقتلوا عدداً كبيراً من أصحاب "أبي مسلم" و"سنباد"، وكان قد بقي في ذلك المكان آثار القتلى حتى عام ثلاثمائة وانهزم "سنباد" واتجه إلى "طبرستان" ولجأ إلى "الإصفهيد" وبعث "خورشيد" بابن عمه المسمى طوس بكثير من الهدايا والنزل والمتاع وأشياء أخرى لاستقباله وكى يؤدي له حقوق الضيافة، فما إن بلغ "طوس سنباد" ترجل من على جواده وحياه فحياه سنباد هو الآخر من فوق ظهر جواده دون أن ينزل فتطير "طوس" وقال له أنا أحد أبناء أعمام الإصفهيد وبعثني إليك لاستقبالك؛ فلم ألق منك الحرمة اللازمة، فقال سنباد رداً على هذه بكلمة ثقيلة فركب طوس على جواده واغتنم الفرصة وضرب سنباد بالسيف في قفاه فأطاح برقبته وأخذ جميع المال والمتعلقات التي كانت معه وأحضرها إلى "الإصفهيد"، وتأسف "الإصفهيد" على هذه الحادثة وزجر طوس ووقعت خزائن وتركات "أبو مسلم" و"سنباد" برمتها تحت تصرف "الإصفهيد"، وبلغ هذا الخبر إلى «جهور بن مرارا» فكتب إلى المنصور فأجابه بأن استرد مال ومتاع "أبو مسلم" و"سنباد" من "الإصفهيد" لأنه حق لنا، وفي ذلك الوقت كان "عبد الجبار بن عبد الرحمن" قد أعلن العصيان في "خراسان" فأرسل "الإصفهيد" رسولاً يدعى "فيروز" ومعه رأس "سنباد" إلى الخليفة فأكرم الخليفة وفادته واستماله ثم أرسله، فلما وصل إلى "الإصفهيد" أخبره بأن الخليفة كان بالغ العناية واللفظ وقد استحسن ما أديته من خدمة، وكان ذلك في مكانه فأرسل "الإصفهيد" إلى الخليفة "بفيروز" مرة ثانية بكثير من الجواهر واللطائف الطبرانية، فقبلها جميعاً وأعاد "فيروز" ومعه رسالة إلى "الإصفهيد" بأن أرسل إلى البلاط مال "أبو مسلم" و"سنباد" فأصر "الإصفهيد" وقال: ليس لهم عندي مال على الإطلاق وأعلن التمرد والعصيان، فأطلعوا الخليفة فأمر بأن يرسلوا رسولاً يطلب المدد، وبعث بابنه المهدي إلى "الري"، وأسند إليه ولاية العهد وأمره بأن يأخذ ابن "خورشيد" المدعو "هر مزد" بالتلطف، فلما أبلغوا تلك الرغبة إلى "الإصفهيد"، فقال: ان ابني ما يزال طفلاً ولا يتحمل أعباء السفر، فكتب المهدي إلى أبيه بأن لا يشق على هذا الرجل حتى يخرج على الطاعة بصورة كاملة وأن يتدارك الأمر فأرسل "المنصور" إليه بتاج الملك وبخلعة فسعد "الإصفهيد" بهذا وأرسل إلى الخليفة خراج "طبرستان" على نحو ما كان في عهد "الأكاسرة" وهو مبلغ ثلاثمائة ألف درهم وكان يعادل كل درهم أربعة من الفضة البيضاء وفرشاً حريراً أخضر من بساط

ومشايًا تبلى ثلاثمائة لفة وثلاثمائة قطعة أثواب ملونة وبديعة وثلاثمائة قطعة من البسط والأكلمة المذهبة الرويانية واللغورية وعشرة أحمال من الزعفران، والتي لا مثيل له في الدنيا بأسرها وعشرة أحمال من الرمان الأحمر وعشرة أحمال من الأسماك المملحة، ووضعوا كل تلك الأحمال على ظهر أربعين بغلاً وجعلوا على رأس كل بغل غلام تركي أجلس فوق ظهره جارية فلما وجد الخليفة خراج "طبرستان" طمع في الولاية وحينما أعاد الرسول أمره بأن يبلغ "الإصفهيد" مشافهة بأن يمد جيشنا بالمدد لدفع "عبد الجبار" الذي خرج في "خراسان"، وكتب لابنه "المهدي" الذي كان يقيم "بالري" بأن يرسل إلى "الإصفهيد" ويقول له : إن العام قحط وضيق ولو إن جيشنا مضى من هذا الطريق فإن المؤن لا تكفيه وسوف نرسل ببعض هذه الجيوش ليتولى الإصفهيد توفير احتياجاتهم .

ذكر غدر الخليفة للإصفهيد

بعث المهدي برسالة أبيه مع رسول من أبناء (١) الأعاجم إلى "الإصفهيد" وكتب بتلك الرغبة التي كان والده قد أبدأها وأنداك كان مقر "الإصفهيد" في "الأصفهيدان" فلما وصل الرسول إليه وسلمه الرسالة بالغ "الإصفهيد" في إعزازه وتشريفه وتعهده وأجاب مضطراً بأن الولاية ملك لأمير المؤمنين وأنا مطيع أمره فخرج الرسول وفكر وواتته حمية العجمية في أن يبلغ "الإصفهيد"، أن الخليفة يحتال عليك ويريد أن ينزع مستقرك ، فاستدعى الحاجب الكبير "للإصفهيد" وقال عندي أمر يجب أن أبوح به "للإصفهيد" على انفراد؛ فجاء الحاجب وأخبر "الإصفهيد" فقال له : "الإصفهيد" لقد خرج من عندي الآن مودعاً فأى أمر قد حدث بهذه السرعة فقال الحاجب : عساه أن يكون قد طمع ويريد شيئاً آخر فقال الإصفهيد أخبره بأن "الإصفهيد" قد دخل إلى قصر الحريم ولن نستطيع أن نبلي رسالتك وفعل ما أمره به ، فلما وقف الرسول على جواب "الأصفهيد" أدرك أن مشيئة القضاء قد جرت على نحو آخر وقال يا أسفى إن هذا الجاه والنعمة والحشمة والملك التي سوف تنزع وتضيع كلها ، وحين يصبح الزوال حتماً على بيت ما فليس لتفكير أحد من أصحاب الرأي قط أن يمضى على جادة الصواب ، فبرغم كل هذا الكمال الذى كان لهذا الرجل فإنه يرسل إلى "بندر واهن" كهذا العذر وصدق أمير المؤمنين على عليه السلام إذ يقول : وقد جرى القضاء

(١) جاء مكان اسم الرسول خالياً من المتن «انظر المتن ص ١٧٥» .

والقدر لرضا الخليفة بأن ألقى الحجب والغشاوة أمام عقل هذا الرجل ؛ بحيث أصبح كالخفاش لا يرى الأمر الواضح الجلى كالنهار المشرق :

وكل امرئ جفت ينابيع عقله فلا ذنبه ذنب ولا عذره عذر

وارتحل عن المكان حتى بلغ "الري" ووصل عند "المهدي" وعرض عليه رد "الإصفهيد" فأرسل "المهدي" أبا الخصيب المرزوق السندي" مولى "المثنى بن الحجاج" إلى طريق "زارم" وشاه كوه" كما أرسل "أبا العون بن عبد الملك" إلى "جرجان" بحيث يلحق به وينضم إليه ، وكان "الإصفهيد" قد أمر سكان الصحراء والفلاة بأن ينتقلوا إلى الجبال حتى لا يلحقهم ضرر من عبور الجيش، ولم يكن يعلم أن نيتهم هي قمعه وقهره فقام "أبو الخصيب" بتكليف "عمر ابن العلاء" الذي كان قتل رجلاً في "جرجان" ذات وقت ولجأ إلى "الإصفهيد" ، إذ أقام فترة طويلة تحت حمايته في تلك الولاية ووقف على مسالكها ومعابرها ، ثم عاد ليلتحق بجيش الخليفة مرة ثانية وأصبح قائداً لجيش "أبي الخصيب" وصارت له مكانة في الشجاعة فكلفه بقيادة ألفى فارس والتوجه إلى "آمل" فأغار عليها ، فتقابل معه حاكمها من قبل "الإصفهيد" وقاتله فهزمه "عمر بن العلاء" وقتله وأقام "عمر بن العلاء" في "آمل" وأرسل في الناس منادياً يدعوهم إلى الإسلام ويؤمنهم ولما كانوا قد عانوا من قبل "الإصفهيد" ألوان الاستهزاء والاستخفاف لذا فقد أقبلوا فوجاً إثر فوج، وقبيلة إثر قبيلة ودخلوا في الإسلام وسلموا كل أملاكهم ومتاعهم حتى بلغهم خبر مقتل عبد الجبار وفرغوا عن "خراسان" واتخذوا من "طبرستان" مقراً ومقاماً، وكان "الإصفهيد خورشيد" قد أرسل المقربين إلى قصر بطريق "آرم" في أعلى "دربند كولا" وجمع فيه الأبناء والحريم وسائر أتباعه من الخواص والبطانة والثقة، وخزائنه ؛ حيث كان يوجد هناك ومازال قائماً حتى الآن قلعة "عائشة جرجيلي" وكان قد خزن من الماء في تلك القلعة ما يكفيه لمدة عشر سنوات ، كما أدخر فيها غلالاً وخبزاً وسائر المؤن وجعل لتلك القلعة باباً لا يستطيع أقل من خمسمائة رجل أن يرفعوه أو يضعوه فإذا ما وضعوه فوق تلك الحجر فلن يستطيع مخلوق أبداً أن يعرف مكان ذلك الباب، فأقاموا هناك يكتسون بالفم ويتجرعون، وأخذ "الإصفهيد" معه حملاً من الذهب واتجه مع الحشم الذين كانوا معه إلى الديلم عن طريق لارجان ليطلب المدد منهم ويطردهم ذلك الجيش ، فلم علم جيش الإسلام بسيره

انطلق فى أثره واستولوا على بعض من رجاله و متاعه فمضى "الإصفهيد" إلى "رويان" ومن "رويان" إلى "ديلم" وجلس حيث أقام عند وادى نهر "فلام"، وكان يشتري العبيد ويبعث بهم إلى "طبرستان" وأمر باستخراج الدفافين وأرسلها إليه وظل جيش الإسلام عامين وسبعة أشهر هناك يقيمون فى بيوت تحت هذه القلعة وحاصروها تلك الفترة حتى جمع "خورشيد" خمسين ألف رجل من الجيل و"الديلم" واعتزم على أن يعود وخلال قتال يوم واحد قتل منهم أربعمئة رجل وكانوا يضعون القتلى فوق بعضهم البعض، فخرجت منهم رائحة التعفن، فصاحت النساء وما بقى من الرجال وطلبوا الأمان عن ضرورة فأجابهم المسلمون بشرط أن يرضى الخليفة وحملوا تلك الجماعة خارج القلعة وظلوا يخرجون الأموال مدة سبعة أيام بلياليها وبعد ذلك حملوا حرم الإصفهيد إلى الخليفة معززين مكرمين فى ستر وعفة ، فأراد الخليفة أن يتزوج كل من أذرميدخت وورمجة فرفضتا كلاهما فتزوج بنات الإصفهيد واللتان كانتا فى جمال البدر فأعطى واحدة إلى "العباس بن محمد الهاشمى"، وأطلق عليها أمة الرحمن وولدت له إبراهيم بن العباس وقد بقيت هذه الزوجة وولدها بعد موت زوجها وأخذ الخليفة واحدة لنفسه . وكان للإصفهيد ثلاثة أبناء ذكور - كان الأول هرمزد وأسموه أبو هارون عيسى، والثانى ونداد هرمزد وأسموه موسى ، والثالث داذ مهر وأسموه إبراهيم ، وزوج الخليفة البنات الأخريات لأبنائه وأقاربه، فلما رأى منهم الأدب وحسن العشرة والوفاء فقد دفعوا الخليفة بذلك إلى أن يعيد ملك طبرستان لأبيهم ورضى الخليفة وكتب منشوراً بذلك، فلما وصل إلى حلوان، أخبروه أن خورشيد عند سماعه بأمر الاستيلاء على القصر وسبى حرمه وأبنائه قال بعد ذلك ليس لى رغبة فى العيش والحياة، والموت راحة للعين من هذا العار والشين، فتناول السم ليلقى عذاب الأبد، فعاد الرسول من حلوان وأبلغ الخبر ، ومدة الملك منذ عهد "جيل بن جيلان شاه" وحتى "خورشيد" وهلاكه هى مائة وتسعة عشر عاماً .

« ذكر الحكام والولاة الذين وفدوا إلى طبرستان بعد زوال أولاد جيلان شاه »

كان "أبو الخصيب" أول وال "طبرستان" من قبل "بنو العباس"، وأول عمارة أقامها أهل الإسلام كان المسجد الجامع في "سارى" والذي أمر ببنائه "أبو الخصيب" في يوم الاثنين شهر إبان عام أربعة وأربعين ومائة وحكم عامين في "آمل" بعد فتح "طبرستان"، وأرسلوا بعده "أبو خزيمة" في عام ستة وأربعين ومائة وقتل الكثير من وجوه وأعيان المجوس، وحكم عامين في "طبرستان" حتى أرسلوا "أبا العباس الطوسى" فأقام المسالحي وعين عليها رجالاً :

فكانت حامية "تميشه" بقيادة "شمر بن عبد الله الخزاعى" ومعه ألف رجل من العرب، وحامية "أمرويان" بقيادة "ربيع بن غزوان" ومعه مائتى نفر، وكانت على مسافة فرسخين، حامية تمنكان بقيادة "أبى القمار عيسى" وقوامها ألف رجل، حامية لمراستك بقيادة "اسحق بن إبراهيم الباهلى" وقوامها ألف رجل، حامية نامنة بقيادة "كرمان البجلي" وقوامها مائتى نفر، حامية "كوسان" بقيادة "نوح بن كرشاسف" وقوامها خمسمائة رجل خراسانى، حامية "دامادن" في "ينجاه هزار جيلى راي" بقيادة "سعيد المروزى" ومعه خمسمائة رجل، حامية "نعدان" بقيادة "عمر بن شعبة" وقوامها مائتى رجل خراسانى، حامية "مهلوان" بقيادة "خلف بن عبد الله" ومعه ألف رجل، حامية أصرم بقيادة "واقد الفرغانى" وقوامها ثلاثمائة رجل، حامية أردره بقيادة "زياد بن حسان السلمى" وقوامها خمسمائة رجل، حامية "أوشيز" بقيادة "زيد بن خليفة بن جبلة" وقوامها مائتى نفر حامية "أورازياد"، بقيادة "مظفر بن الحكم البشرى" وقوامها خمسمائة رجل طوسى، حامية دزا بقيادة "وليد بن هبيرة" وقوامها ثلاثمائة رجل، حامية مدينه "سارى"، بقيادة "قديدى" وقوامها خمسمائة فارس من أصل الجزيرة، حامية "أرتاه" وقوامها خمسمائة "طبرستانى"، حامية "تمسكى" بقيادة "محمد بن باست"، وقوامها خمسمائة رجل دمشقى حامية "خرم آباد"، بقيادة "عبد الله سقيف الحمصى" وقوامها ألف رجل شامى حامية "مشكينوان" بقيادة "غزال بن لحاء الشامى" ومعه ثلاثمائة فارس، حامية "جمنو" بقيادة "خليفة بن بهرام" وقوامها ثلاث مائة رجل وقد قتلهم جميعاً "ونداد هرمزد" إبان خروجه، حامية بالابنات بقيادة "قدامة" وقوامها

ثلاثمائة نفر شامى خراسانى، حامية جيلامان بقيادة "أبى الخناس"، حامية "متسكى" بقيادة "سلام" ومعه مائتى نفر حامية "كولانسرين بن السنقر" بقيادة "قريش بن صعى" وقوامها ثلاثمائة نفر، حامية بالأمثال على حدود الفور وقوامها ألف نفر، حامية "نيسابوريه" بقيادة ابن "مسلمة القائد النيسابورى" وقوامها ثلاثمائة نفر، حامية "إسفيددا" بقيادة "عاصم" ومعه ثلاثة آلاف نفر حامية "تريجه" بقيادة "مسلم ابن خالد" وقوامها ألف وخمسمائة نفر من "سغد سمرقند" و"خوارزم" و"نسا" و"باورد"، حامية "خنج" بقيادة "فضل بن سومى" ومعه خمسمائة رجل من "نسا وایپورد"، حامية "طابران" بقيادة "محمد بن عقال السلمى" وقوامها خمسمائة نفر، حامية "قل" بقيادة "زر ينكول المركبى" ومعه ألف رجل، حامية "آمل"، وكانت مكونة من أتباع وأعوان ديوان الخليفة والقائمين على الأمن، حامية "جیلانا باد" فى أعلى طريق "بكويایه" بقيادة "نصر بن عمران" ومعه ألف رجل من "خراسان"، حامية "يایدشت" بقيادة "عامد بن آدم" وقوامها خمسمائة نفر، حامية "هلافان" بقيادة "المثنى بن الحجاج" وجاء من بعده "محمد بن عقال" و"حلمى بن بهرام" وقوامها خمسمائة نفر، حامية مدينة "ناتل" بقيادة "سعيد بن ميمون" ومعه خمسمائة نفر، حامية "بهرام ديه" بقيادة "عمر بن مهران" وقوامها خمسمائة نفر، حامية "مراطاير" أعلى الطريق وقوامها خمسمائة رجل بقيادة يوسف بن عبد الرحمن حامية "ولاشجرد" بقيادة "على بن جستان"، حامية "كجوهى قصة رويان" بقيادة "عمر بن العلاء" ومعه ستة آلاف نفر، حامية "جور يشجرد" و"سعيد آباد"، وقد وضع أساسها "سعيد" وقام ببنائها "عمر بن العلاء" وأقام بها قصراً ومسكناً يسمى "عمر" ويزوره العوام الآن عن جهل على أنه من صحابة الرسول، حامية "كلار" أول بلاد "الديالة" من "قوهستان" بقيادة "السعدى" ومعه خمسمائة نفر حامية "شالوس" وكان قد عين عليها "الفضل بن سهل" ذا الرياستين ومعه خمسمائة رجل وقد عزل بعد مضى عام من إقامته للمسالح وأرسلوا بدلاً منه "روح بن حاتم بن قيصر بن المهلب" فى عام تسعة وأربعين ومائة، وكان يمارس الظلم والجور وعدم الحرمة؛ فعرضوا أمره بعد خمس سنوات فأرسلوا "خالد بن برمك" الكاتب بدلاً منه، فأقام قصراً "بأمل" فى موضع يطلق عليه "قصر خالد"، وتولى مدة أربعة أعوام فعمر مناطق "قوهستان" حتى بلغ بها النهاية وكل ما كان يحصل عليه من

الولاية كان ينفقه على إقامة العمارة ، وقضى فترة حياته هناك فى رفق ومجاملة مع أهل تلك الولاية، حتى استدعاه الخليفة وبعث بدلاً منه "عمر بن العلاء" ، وفى هذا التاريخ كان حاكم "شهریار كوه" هو "الإصفهبد شروین" فحارب "عمر بن العلاء" وهزمه وخرب المدن التى كان "خالد البرمكى" قد أقامها فى بلاد قوهستان، فلما توفى الخليفة "المنصور" وجلس الخليفة "المهدى" على الخلافة أخبروه أن "عمر بن العلاء" قد طلب ابنة المهروية فغضب عليه المهدى وعزله وكان أحد كرام الزمان ويقول فى حقه "بشار بن برد" :

إذا أيقظتك حروب العدى فأيقظ لها عمراً ثم نم
حتى لا يبيت على دمنمة ولا يشرب الماء إلا بدم
ويقول فى حقه أبو العتاهية :

إن المطايا تشكك لأنها قطعت اليك سباسباً ورمالاً
وإذا وردن بنا مخفة وإذا صدرن بنا صدرن ثقلاً
وأرسل "بسعيد بن دعلج" بدلاً منه وولى مدة ثلاثة أعوام، وكان قد خرج فى المدينة والحجاز بعض الطالبين من أتباع «الحسين بن على» المعروف بصاحب الفخ والتف من حوله السادة، وبعث الخليفة "بموسى بن عيسى" ، و"السرى بن عبد الله العباس" وبعض الأمراء والقواد الآخرين لقتاله ، وتقاتلوا فى المكان المعروف بالفخ واستشهد السيد وقتل عدد من أصحابه ورحل من بقى منهم من هناك إلى المدينة ، وجلس "موسى ابن عيسى" على حكومة المدينة وكان أهل المدينة خائفين من أنهم قد خانوا فى حقهم ، وانتصروا للحق فكانوا يأتون للسلام لدفع هذه التهمة عنهم حتى دخل "موسى ابن عبد الله بن الحسن بن أمير المؤمنين" عليه السلام والذى كان أحد الناجين من هذه المعركة ، وكان مرتدياً سدره ممزقة من الصوف الخشن ونعلان من جلد بعير ، وجلس فى أبعد مكان وجاء فى عقبه الإمام "موسى بن جعفر الكاظم" عليهما السلام ؛ فقام

"موسى بن عيسى" للترحيب به واستقباله وأجلسه فالتفت السرى من "عبد الله العباسى" إلى "موسى بن عبد الله بن الحسن" وقال له : حينما ترى مصارع البغى والغدر لما لا تسحب يدك منها حتى ينعم عليك بنو أعمامك يعنى آل العباس ويرعون حرمتكم فقال موسى: حالنا معكم هكذا :

بنى عمنا ردوا فضول دمائنا ينم ليلكم أو لا يلمنى اللوائم
فإننا وإياكم وما كان بيننا كذى الدين يقضى دينه وهو راغم
فقال السرى : أحسب أن الأمر على هذا النحو الذى لا طائلة من ورائه سوى المذلة والمهانة، ولو إنك كنت قد أقمت هنا مثل ابن عمك "موسى بن جعفر" ولزمت الصمت مع الفضل والزهد والورع وزيادة الشرف أو لم يكن ذلك أولى ، فقال "موسى بن عبد الله على البديهة" :

فإن الألى تثنى عليهم بقييتى أولاك بنى وعمى وعمهم أبى
وإنك إن تمدحهم بمديحة تصدق وإن نمدح أباك نكذب

وحيث إن المهدي كان مشغولاً بمثل هذه الأمور فقد ظل "سعيد بن دعلج" عامين وثلاثة أشهر فى "طبرستان" حتى استدعاه ثم أوفد مرة أخرى "بعمربن العللاء" فأقام "عمر" قرية "عمر كلاده" والتي كانت مدينة موجودة على حدود "ونه بن" ويسمونها "عمر آباد"، وقد وقع فى هذا العام زلزال شديد وقد أفتى الإمام "أحمد بن حنبل" الذى كان مجتهد الأمة فى بغداد بأن يجب أن يؤخذ الخراج من أهل "طبرستان" بنصاب العشر من الحبوب ؛ لأن هذه الولاية قد فتحت عنوة فلما أمضى "عمر بن العللاء" عاماً فى الولاية عزلوه وأرسلوا "نمر بن سنان" فأبدى تسامحاً مع أهل "طبرستان" حتى جاء بعده "عبد الحميد المضروب" فأحدث بدعة ومارس الظلم فى جمع الخراج والجباية حتى ضاق الناس به .

ذكر مملكة أولاد سوخرا وأساس خروج ونداد هرمزد :

ومن أبناء "سوخرا" "ونداد هرمزد بن الند بن قارن بن سوخرا" والذى مضى ذكره من قبل، ويدعونه "بجرشاه" حيث إنهم كانوا يقولون للسفوح من المناطق الجبلية التى

يمكن زراعتها بالسهوب ، وكانت جميع مناطقهم الجبلية مزروعة وعامرة، وكان رعاة الأبقار قد أطاحوا بمليكمهم وانقضت مائة عام على ذلك ، ومضى أهل "كوه أوميدواركوه" إلى "ونداد هرمزد" وأخبروه عن حكايات ظلم ولاية الخليفة وطلبوا منه أن يقدم على هذا الأمر ونحن جميعاً نبذل أرواحنا فداءً لأمرك ، عسانا ننجي بلاد الجيل جورهم وعدم مروعتهم وتصل أنت إلى ملك آبائك أيضاً فقال أولاً يجب التشاور في هذا الأمر الهام مع "الإصفهبد شروين" وطلب البيعة من "مصمغان ولاش" فلو نتفق فيما بيننا جميعاً أتصدى لهذا الخروج ، فبعث بهذا الأمر إلى "الإصفهبد شروين" في مدينة شهرياركوه يريم" وإلى "مصمغان ولاش" في "مياندورود" وكلاهما لبي وحث ورغبة في هذا الأمر ، وتعاهدوا له بالالتزام بالوفاء والمساعدة والمعونة فتعاهدا مع جميع أهل الولاية بأنه في يوم كذا في ساعة كذا على كل "طبرستانى" تقع عينه على رجال الخليفة أن يمسك بهم ويقتلهم في الحال سواء أكان ذلك في "رستاق" أو حمام أو طريق ، وفي الموعد الذى حدد ركب "هرمزد" من "هرمزد آباد" مع فوج من أتباعه وأسرع إلى حيث يجتمع السواد الأعظم (١) من أتباع الخليفة وقهرهم جميعاً ، وبلغ الأمر حداً أن كانت الزوجات يسحبن أزواجهن من أتباع الخليفة من لحاهم ويخرجونهم إلى رجال الإصفهبد فيضربون أعناقهم، وخلال يوم واحد خلت طبرستان من أصحاب الخليفة وكان الخليفة قد أرسل إلى الرى "حماد بن عمر الذهلى" و"خالد بن برمك" فعلما بهذا الأمر، وكتبوا إلى الخليفة عن الواقعة وما حدث فيها وبعثا بالرسالة مع "سالم الفرغانى" والذى كان من ثقافته وكانوا يلقبونه بالشيطان "الفرغانى" فلما مثل بين يدي الخليفة وعرض عليه الأمر قال الخليفة : واخجلاه الخلاصة ألا يوجد شخص يذهب إلى "طبرستان" ويأتينى برأس "ونداد هرمزد" فقال سالم : لو إن أمير المؤمنين يعطى المدد أذهب أنا، فأمر بأن يختاروا الرجال وسيره وعندما وصل إلى طبرستان نزل بصحراء أصرم (١٨٤) وتقدم ونداد هرمزد إليه بجيش تام العدة والعتاد، وكان لديه جواد أبلق مشهور في بلاد العراق والعرب ، فامتطى ذلك الجواد واتشح بالسلاح ؛ كأنه جبل يتحرك وقام بهجوم وهو يصيح حتى وصل إلى "ونداد هرمزد" وكان معه التبرزين (٢)

(١) شعار العباسيين (المترجم) .

(٢) هو نوع من السلاح على شكل الفأس كانوا يستخدمونه في القديم ، ويطلقونه في سرج الجواد أثناء

الحرب ص ٢٩٨

تبلغ عشرين رطلاً فرقعها ليهوى به على "ونداد" فعرض لها ونداد بدرع جيلى فشقته نصفين ثم ضرب رقبة "ونداد هرمزد" بعمود آخر فلم تؤثر فيه، وظل يقاوم فى ذلك اليوم طوال النهار إلى أن حل الظلام تراجع ونزل ونداد هرمزد مع جيشه إلى "هرمز آباد" فلما حل النهار وضعوا الموائد وقدموا الطعام للفرسان وجلسوا للشراب ، وكان لديه جواد أسود فى رقبته وشم عجيب لم ير جواداً أفضل منه ، وكان قد أمر بأن يسرج بسرج مطهم بالذهب ويؤتى به إليه ، وقال اعلّموا أيها القوم إن الخصم هو من رأيتموه وقد رأيتم شوكتى وقوتى وأنتم أيضاً جميعاً الرجال الليوث "لطبستان" فمن منكم يأخذ هذا الجواد المطهم ويقبل أن يقاتل به ، وساق هذه الكلمة ثلاث مرات ، فلم يجبه مخلوق قط وكان له ولد يدعى "ونداد أميد" كان شاباً أمرداً يلقبونه "بخداوند كلاك" مثل بين يديه وقبل الأرض وقال أنا من سوف يقوم بإحضار رأس خصمك بين يديك بعز إقبالك وليس لى مطمع فى شىء آخر خلاف هذا الجواد ، فقال له أنى يكون لك أن تنازل الأبطال وقت القتال ، فألح الابن وأصر على طلبه وقال إذ لم تجيز فلسوف أمضى ولن أتوقف ، وعلى الفور جهز بالسلاح اللازم وأسرجت الخيول فاستدعى الأب قوهيار الشهير والذى كان خال ابنه ، وقال له : إذهب وانصحه فلما أتاه قال له الابن : تدرك أن ما لم أقبله من أبى لا معنى لأن أقبله منك فقال الخال ليس لهذا الخصم ثان فى جميع جيوش الخليفة فأصغى لكلام أبيك ودعك من هذه الطفولة ولم تجد المحاولة معه فعاد يائساً إلى "ونداد هرمزد" فقال له يجب أن تذهب برفقته فقال قوهيار : إن الملك يعلم أن قوتى قد ضعفت والزمن الذى مر على دهر لكن سوف أمضى معه وسوف أعلمه أصول القتال والصراع، فمضى من أمامه واختار الرجال وكلف كل واحد بدوره فاستدعى "أردشير بابلورج كاوان" (صاحب الأبقار)، والذى كان يتخذ من الغابات موطناً ولم يكن له منزل قط فى موضع ما ، وقال له يجب أن تقودنا عبر هذه الغابات سراً إلى مقر سالم فأبدى جفوة فى البداية إلى أن بذلوا له الوعود فتعاون معهم وقال لهم : أعطونى مهلة كبيرة حتى أودع أبقارى عند شخص ما ثم أنضم إلى خدمتكم ، فسمحوا له بذلك ، فذهب وعاد وفجأة أ وصلهم إلى مقر سالم وكان قد انشغل لمدة سبعة أيام بالشراب، فلما رآهم مراقب الجيش أطلق صيحة فتهض سالم واتشح بالأدرعة والسلاح وكان "وندا أو ميد" ومن معه قد وقفوا على باب قصره، فركب سالم على جواده الأبلق وأطلق صيحة فارتعد جميع الرجال واندesh "وندا أو ميد" من هيكله.

وأصيبت عيناه بغشاوة فصاح عليه خاله لا تخف وإذا ما ضربك بحربة إجعل درعك أمامها عندما تقترب منك ثم اضربه بالسيف في خصره ، وهكذا فعل وندا أوميد فضرب السيف في خصر سالم فأرداه قتيلاً من على جواده وفي الحال بعث بأحد أتباعه ليحمل البشارة لأبيه ، فلما رأى الأب الرسول أغمى عليه ، فلما أفاق سأل ما الخبر فأخبروه أن ابنه قتل "سالم" فلم يصدق وقال إنه قد هرب من بين الصفوف حتى وصل في صلاة العصر فارس آخر وحمل معه مناطق سالم كدليل على النصر فبذلوا النذور ، وأطلقوا البشارة . وركب لاستقبال ابنه فلما التقيا معاً أخذه في حضنه ، ثم بعد ذلك أجلس ذلك الابن على كرسي ذهبي أمامه ، وكان الخليفة يعد سالم هذا بألف فارس ، ولهذا كان يعطيه رداء ألف رجل ، وقال البعض إن مقتله كان بهرسة مال والبعض الآخر بأصرم على بعد ثلاثة فراسخ من أمل وهذا المكان يطلق عليه الآن هي "هي كيان" .

ذكر حرب الفراشة

عندما بلغ الخليفة خبر مقتل "سالم تكدر وجهاز عشرة آلاف فارس بقيادة أمير من أمراء البلاط يدعى فراشة وبعث به إلى "طبرستان" ، وأرسل منشوراً إلى "خالد البرمكي" وورد الأصغر وحماد بالرى بأن يمدوه بالمدد ولا يمتنعوا إذا ما احتاج لذلك ، فأخذ منهم الحشم ووصل بجيش جرار إلى "آرم" وكان "ونداد هرمزد" قد أمرهم بأن يستأسدوا ولا يدعوا مخلوق قط يمر بطريقهم ولا يحسبوا لنا حساباً ومضى إلى كولا فأقام قلعتين محكمتين في "كواز ونو" واحدة أدنى والأخرى أعلى ، وبعث إلى "الإصفهيد شروين" في "يريم" و"كيسمانان" كي يأتي إليه ويعاونه فأبدى "الإصفهيد شروين" التهاون والمماطلة حتى يظن الفراشة به أنه الضعيف والمسكين ، وهكذا ظن أنه لن يأتي إليه فأعد ونداد هرمزد أربعمئة بوق وأربعمئة طيلة وجعل أقاربه وثقاته في صفين وجمع أربعة آلاف فرد من الرجال والنساء وأعطى لكل فرد فأساً ومنجلاً ، وقال سوف أخرج مع مائة رجل وحينما أبدو بنفسى للفراشة وهم يروننى أوليهم ظهري حتى يجروا خلفي أملاً في النصر ، وأنتم قد اصطففتكم على كلا الجانبين وفي حالة صمت حتى يدخلون برمتهم في الكمين فأقرع الطبل فتأخذون في النفخ في الأربعمئة

بوق والدق على الطبال ، ويشرع الأربعة آلاف فارس فى تقطيع الأشجار ونفعل هذا حتى لا يخرج أحد منهم أبدا وعلى نحو ما قال فإن الفراشة قد دخل بجيشه فى الكمين وعندما وصل إلى مسامعهم أصوات الأبواق والفؤوس والحراپ من كلا الجانبين مرة واحدة اضطربوا وتحيروا وظنوا أنها صاعقة القيامة وأعمل الأربعمئة رجل والذين هم اتباع وثقة الإصفهبد سيوفهم فى لحظة واحدة ، فقتلوا ألفى رجل وأسروا الفراشة وحملوه إلى الإصفهبد الذى أمر بضرب رقبتة وارتنى سطرته وقبعته وربط مناطق سيفه على خصره فلجأ ما بقى من القوم إلى الإصفهبد وقالوا : إن خصمك هو الفراشة وقد قتلتة ، فأطلق سراحنا وأمنا فأمن الجميع ، ولما فرغ "ونداد وهرمزد" نزل إلى "الإصفهبد شروين" وأخذ يحتضن بعضهما البعض وقال له : ما رأيك فى مثل هذا الأمر الذى تم فقال له : الرجال بحق هم الذين يفعلون هذا، وقد أعطى "ونداد هرمزد" حملين من تلك الغنائم "للإصفهبد شروين" ثم عاد ومضى كل منهما إلى مملكته ، وقال ونداد هرمزد لابنه قارن إنى رأيت فى المنام أنى أقتل ذئباً ، ثم جاء بعد ذلك ذئب آخر فقتلته بيدي ثم جاء فهد مرة أخرى ففصلت رأسه وارتنيت جلده ، ثم أقبل مرة ثالثة أسد فتعلق بى وأنشب بعض مخالبه فى وترى فى أثراً فتخلصت منه بجهد جهيد فما إن قتلت تميم بن سنان قلت : هذا هو الذئب ، ثم أرسل الخليفة من بعده بابن مهران فقتلته، فقلت : هذا هو الذئب الآخر ولما ارتدنت سترة الفراشة وكان تحتها سمور قلت : هذا هو الفهد ، ولما أقبل "يزيد بن مرثد" وصارعنى وجرحت على يديه ونجوت بروحى قلت هذا هو الأسد، والخالصة أن المهدي قد وقف على خبر مقتل الفراشة فأرسل بروح ابن حاتم وكان ظالماً وسىء السيرة ، فكان يرسل إلى بلاد قوهستان وكان يقوم بسبى الحرائر ويقول أبو حبش الهلالي أثناء عزله :

راح روح من أمل فاستراحوا وأتاها بعد الفساد الصلاح
لم يزل سببيه الحرائر حتى شاع فى الناس واستحل السفاح
وأرسلوا بعده "خالد بن برمك" فأبدى صداقة ومودة مع ونداد هرمزد وترك له "قوهستان" وكان أتباعه قد سيطروا على رجال الخليفة حتى عزلوه فمضى من أمل ورحل ، وكان أحد رجال السوق يقف على شاطئ النهر وقال : الحمد لله لقد تخلصت

من ظلمك فأبلغوا هذا الأمر لخالد على الفور، فأمر بأن يحضروه وقال له : لو عزلوني من ولايتك فلن يعزلني شخص من الانتقام، منك وأمر بضرب رقبة التاجر ومضى إلى سارى فاستقبله أهل سارى وقدموا له التحف والهدايا، فأقام بها فترة وقدم في حقهم مالا كثيراً على سبيل الصدقات والصلوات، وأرسلوا "عمر بن العلاء" مرة ثانية إلى "طبرستان" بدلاً منه فلما حضر خاصم ونداد هرمزد واسترد جميع "قوهستان" منه ، وجعل الخلق لا يستطيعون الحياة في العمران فكانوا يتجولون في الغابات وكان هو يتتبعهم فيها إلى أن أمسكوا برجل ذات يوم وأحضروه أمامه على أنه من أتباع "ونداد هرمزد" ؛ فأمر بضرب رقبته فقال له : أمني حتى أمضى إلى مكان أعرفه في بلادنا حيث يوجد "ونداد هرمزد" فأجاب عمر من يضمن وفاءك فقال : اترك هذا الفراش الذي أحمله على ظهري كضمان عندك ، فضحك عمر وقال : إن يفى فسيكون الأمر قصة قوسى حاجب بن زارة التميمي وكسرى وتلك حكاية معروفة والتي لم نذكرها هنا ويقول أحد الشعراء:- [وكل وفاء كان في قوس حاجب وأنت جمعت الغدر في قوس حاجب] ولسوف أفعل مع هذا الرجل ما فعله كسرى مع الحاجب فكانوا يجعلونه ، أمامهم ويراقبونه إلى أن قال لهم انزلوا في مكان ما لأمضى أنا وعندما أتفقد مكانه أخبركم ، وتعاهدوا مع هذا الخسيس على هذا ومضى وأخبر ونداد هرمزد بأن يعد كميناً وحكى له كل القصة ، فأسلم هذه الجماعة للسيف وهرب في أثناء ذلك ، فعاد "عمر بن العلاء" مع بعض من رجاله من هناك مقهوراً، فغضب عليه المهدي وبعث "تميم ابن سنان فتصالح مع الإصفهيد "ونداد هرمزد" وأشار الخليفة فبعث "يزيد بن مزيد" و"حسن بن قحطبة فأتيا الولاية وتحاربا مع ونداد حتى تغلبا عليه ، وتم الاستيلاء على كل ولايته وقتلوا الكثير من أتباعه ، وقد عثر عليه يزيد في أثناء المعركة وضربه بالسيف على نحو ما ذكرت من قبل ، فكان يتوارى في الغابات عاجزاً وحيداً إلا من بضعة أشخاص معدودين إلى أن بعث الخليفة بابنه "موسى بن المهدي" الملقب "بالمهدي" إلى "جرجان" فأرسل "ونداد هرمزد" إليه بأتباعه ليطلبوا الأمان منه ، فقبل وأقسم على ذلك فذهب ونداد هرمزد إليه واغتتم الفرصة ، وكتب رسالة إلى يزيد بأن يسلم له "قوهستان" وغادر جرجان ومضى إلى العراق وتوجه من العراق إلى بغداد ، وبينما كان يصطحب هرمزد معه بلغه في الطريق خبر وفاة المهدي فمضى على عجلة إلى

بغداد ، وجلس على الخلافة فلما انقضت مدة على هذا وكان له "ونداد هرمزد" أخ صغير يدعى "وندا سفان" قد قتل "بهرام" من "فيروز" الذي كان قائماً على "جرجان" من قبل خليفة المسلمين فعرضوا هذا الأمر على الخليفة ، فأمر بأن يحضروا "ونداد هرمزد" ويقتلوه قصاصاً في بهرام فحين أحضروه استقبله الهادي بحرارة، فأدرك أنه يريد قتله فخر على وجهه وقال: إننى فى قبضة أمير المؤمنين ، وأمر قتلى ليس بعسير عليه، إلا أن "وندا سفان" قد قتل مولى أمير المؤمنين فإن تأمر بقتلى عوضاً عنه ويفوز بملك "قوهستان" وإن يقتص منى فهو الملك وهذا أمره ، ولو يرسلنى حتى أحضر له رأسه وأقدمها إلى حضرته أو آتى به أسيراً إليه وكان من بين حاضرى المجلس "عيسى بن ماهان" و"مراد بن مسلم" فقالا الاثنان لأمر المؤمنين ما المانع من ذلك إن هذا أولى ، فارتاح الخليفة لقولهما، وأمر بأن يحملوه إلى بيت النار ليقسم على ما تعهد به وعلى الوفاء بما قال ففعلوا ما أمرهم به، ثم بعثوا به معزراً مكرماً، وما كاد حافر جواده يطاء تراب طبرستان حتى ترجل وسجد على الأرض ، وبعث إلى "وندا سفان" بأن يتوارى إلى ركن ما بحيث لا يرانا ولا يأتى إلينا ما بقى "موسى" حياً وفعل ما أمره به إلى أن توفى "موسى" فى إحدى الليالى وجلس "هارون" وولد له المأمون ولقب "هارون" بـ "هارون الرشيد" وكان رجلاً عنيداً محباً للقتال والحرب فأرسل إلى طبرستان "بسلیمان بن منصور" ، فحكم مدة ثمان أشهر ومن بعده "هانئ بن هانئ" وكان رجلاً مصلحاً وعادلاً أمن الولاية وتصالح مع "ونداد هرمزد" فعزلوه وبعث "بعبد الله بن قحطبة" ثم من بعده "بعثمان بن نهيك" الذى أقام جامع "آمل" ومن بعده "بسعيد بن مسلم بن قتيبة" الذى كان من أبناء "قتيبة بن مسلم" ومن زمرة أكابر ومشاهير العالم ويقول الشاعر فى شأنه :

كم فقير جبرته بعد كسر وصغير نعشته بعد يتم

كل ما عذت الحوادث نادى رضى الله عن سعيد بن مسلم

وبعد أن أمضى ستة أشهر أرسلوا بأبناء "عبد العزيز حماد" و"عبد الله" بدلاً منه، فلما انقضت مدة عشرة أشهر، جاء "المثنى بن الحجاج" عام وسبع وسبعين ومائة وحكم عام وأربعة أشهر، وأرسلوا فى عام ثمان وسبعين ومائة «بعبد الملك بن القعقاع»

فأَمْضَى عاماً بها ورمم خلاله قلعة أمل وسارى وأقام لها سوراً إلى أن جاء الماذاير
ابن قارن وخربه ، وأرسلوا بعده بعبدالله بن حازم .

"حكاية فتنة أهل رستمدار"

وبعده خرج أهل "شالوس" و"رويان" ، وكان له نائب يدعى "سلام" ويلقب بالرجل
الأسود فطردوه من الولاية وقد تحالفوا مع "الديالة" بالعهود والمواثيق ، وكانت توجد
امراة جميلة فى "كلار" أخذوها لتفسده ؛ وألقى بزوجته فى النهر فأغرقها الماء فقام
نائب "عبد الله" فى كجو بإيقافه على تلك الأحوال ، فأغار على الفور على "جالوس"
وكان هناك قاض يدعى "صدام" قيل بأنه هو الذى أثار الفتن وما إن علم بوصول
"عبد الله" حتى تورأى وهرب منه، فأرسل منادياً فى الولاية بأن كل من يؤوى القاضى
فقد خرج عن خدمة ذمة المسلمين فأمسك الناس به وسلموه له فربط مصلوباً فى
شجرة ثلاثة أيام بلياليها ، وأمر جميع أهل تلك الناحية بأن يأتوا إليه ليقضى لهم
حوائجهم فاتجهوا إليه ويحدوهم الأمل فقيد الجميع داخل القصور وعين عليهم الحراس
، وكان شهر رمضان والوقت وقت الغروب فاضطر أن يفطر وهو على صهوة جواده،
وأرسل إلى بوستان (١٩٠) فأحضروا منه عنباً طيباً فأمسك بخبز وتناول الإفطار، وكانوا
يخرجون واحداً تلو الآخر من القصر فكان يأمر بضرب رقبتة وكان يشعل شمعة بين
يديه ولم يبق أحد من جميع هؤلاء القوم حتى مطلع النهار ، فقال : إن مثلى هكذا مثل
هذه الشمعة التى تحرق نفسها كي يصل نورها إليكم فأنا أعذب نفسي وأجعلها تعاني
أمن الولاية لكم ، ومضى من هناك إلى "سعيد آباد" وقد خرج الناس من الحصن الذى
كانوا فيه قهراً وقتلهم جميعاً عن آخرهم ، وخرب القرية بحيث لم يعد بها مقام لسنوات
ولا يتخذونها موطناً حتى عزله "هارون" وأسند "لمحمد بن يحيى بن خالد البرمكى"
وأخيه "موسى" ولاية "طبرستان" ولم يكن خافياً على أهل المعرفة مدى سطوتهم فى عهد
"هارون" وإلى أى مدى وصلت فقد صار الفضل بن يحيى وزيراً وجعفر القائم على
أمر الخليفة فاتخذ "محمد بن يحيى" وأخيه من "طبرستان" مستقراً لهما فكانا
يشتريان أملاك الأرباب بالقهر والعنوة وحيثما وجدوا فتاة جميلة تخص هؤلاء الأعيان
والعظماء كانوا يطلبونها على غير رغبة آبائهن ، ولم تكن تواتى أحد جرأة فى أن
يعرض ظلمهم على الخليفة خوفاً من "الفضل" و"جعفر" ، إلى أن غضب "هارون" على
جعفر" وأمر باستئصالهم وقد ذكر سبب تغيره عليهم فى الكتب على روايتين وقد
ذكرناها للعبرة .

"قصة زوال البرامكة":

حينما أنس "هارون الرشيد" إلى "جعفر البرمكي" زوجه من أخته عباسية بشرط أن لا يقع بينهما مباشرة (١) فوقعت عباسية في عشق جعفر ولم يكن لديها القدرة على الكتمان والصبر فكتبت بهذا الشعر :

عزمت على قلبي بأن يكتم الهوى فضج ونادى أننى غير فاعل
فزرنى وإلا بحت بالحب عنوة وإن عنفتنى فى هـواك عوازلى
وإن حان موتى لم أدعك بغصتى وأقـررت قبل الموت أنك قاتلى

فخشى "جعفر" من عباسية بأن تتلون، وتفتعل حيلة وتسعى لقتله فباشرها وأنجب منها ولدا كانوا قد لقبوه بحمل عائشة وروى عن "النوفلى" أن "هارون الرشيد" قد حج فى عام مائة وست وثمانين فأطلعوه على هذا الأمر فى أثناء الطريق فلم يبد عليه أى انفعال قط حتى عاد وجاء إلى الحيرة وركب من هناك فى زورق واصطحب معه جعفر ومضيا إلى الصيد وفى الوقت الذى انشغل فيه بالصيد انتقل إلى قرية "الأنبار" وقال "لجعفر" سأكون اليوم مع الحريم وسيكون لك إجازة أيضا كي تستمتع بالنزهة، وتناول الشراب مع ندمائك ورفقائك فجلس "جعفر" فى مجلس الشراب امتثالا للأمر وكان "هارون" يرسل له الصلات ساعة فساعة حتى اقترب المغرب وكان أبو "ركاز" الأعمى يتغنى بهذه الأبيات أمام جعفر :

فلا تبعد فكل فتى سـيأتى عليه الموت يطرق أو ينادى
وكل ذخيرة لأبـد يوما وإن بقيت تصير إلى النفاد
فلو فديت من حـادث المنايا فديتك بالتـليـد وبالتـلاد
فقال جعفر لأبى ركاز أى نشيد هذا الذى تتغنى به أمام الناس ومن أين لك بهذه الأبيات! فقال يا مولانا مهما حاولت أن استدعى بيتاً آخر فإن خاطرى لن يجيبنى وفى أثناء هذا الحديث دخل عليهم الخادم "مسرور" فجاءه دون إذن وكان "هارون" قد أرسله وأمره بأن يأتيه برأس "جعفر" وحذره من مغبة أن يعود ليراجع، فلما رأى جعفر مسرور نهض على قدمه وقال : سررت يا أبا هاشم لقدومك إلينا ،وحزنت لدخولك بلا استئذان ، قال جنئت لأمرهام وخطير أجب أمر أمير المؤمنين، فنهض "جعفر" وسقط

(١) جاء في كتاب مروج الذهب قوله «قد زوجتكم تزويجا تملك به مجالستها والنظر إليها والاجتماع بها في مجلس أنا معكما فيه وأخذ الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغلظ إيمانه أنه لا يخلو بها ولا يجلس معها ولا يضمه وإياها سقف بيت إلا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما فحلف له جعفر على ذلك ورضي به وألزمه نفسه» المترجم .

على أقدامه وقال دعنى ادخل إلى القصر لأتوضأ فقال مسرور الدخول فكرة محالة وليس لدى أمر بذلك ولكن قل وصيتك بكل ما تريد فحرر "جعفر" الغلامين وقال وصيته فى الأموال ثم توضأ وأركبه مسرور على الجواد ثم خرج به وأنزله فى القبة التى كانت سجننا له (١) . فأخذ جعفر عليه الأيمان بأن يذهب ويقول لقد أحضرته عساه يندم وحينما كان مسرور يمشى إلى الرشيد وصل وقع أقدامه إلى مسامع الرشيد فأدرك أنه هو فقال له ابق حيث أنت فلو تأتى إلى بدون رأس جعفر فسوف أطيح برأسك أولاً ثم برأسه بعد ذلك فعاد مسرور وحمل رأس جعفر ووضعها فوق درع وقدمها إليه ولف جسده فى نطع جلدى وعلى الفور أمر هارون بحبس كل من يحيى بن خالد والفضل وعلقت جثة جعفر على رأس جسر الأنبار حتى ندم هارون على قتل جعفر وكان يطوف فى القصر وهو يردد تلك الأبيات :

يا من تباشرت القبور بموته قصـد الزمان بسهمه فرماكا
حل البكاء وطال بعدك حزنه لو يستطيع بملكه لفداكا (٢)
أبغى الأنيس فلا أرى لى مؤنساً إلا التردد حيث كنت أراكا
وقد أورد الأصمعى فى كتاب النوادر الرواية الثانية فى سبب زوال البرامكة عن أبى عبد الله الحسن بن على بن هشام أنه قال حينما آلت الخلافة إلى المأمون بعد الرشيد سألت الفضل بن الربيع الذى كان الحاجب الخاص لهارون الرشيد عن سبب قتل البرامكة هل هو أمر عباسية الذى جرى على أفواه العامة أم إلى جانب خيانة أخرى فتبسم "الفضل بن الربيع" وقال على الخبير بها سقطت (٣) وروى بأن "الفضل ابن الربيع" هذا لم يكن له نظير فى عصره فى كمال عقله ولم يكن شىء من أسرار "الرشيد" خافية عليه وقد أصبح من بعد "الرشيد" وزيراً ومشيراً ومديراً "لمحمد بن زبيدة" ، ولما استولى المأمون على بغداد أمسكوا به واقتادوه إلى حضرة الخليفة وهو مكبل الأيادى ، فكان يقف بين يدى المأمون وقد ركز المأمون عينه فيه عساه ينطق بكلمة اعتذار ويطلب العفو لكن لم يرفع رأسه من الأرض وظل صامتا فقال المأمون :

(١) وردت هذه الأبيات لدى ابن الأثير ، والمعروف أن كتابه أسبق من تاريخ ابن إسفنديار ومن الممكن أن يكون قد اطلع عليه أو أخذ عنه (المترجم) .

(٢) تمثل الرشيد فى هذه الأبيات بقول العباس بن الأحنف فى رثاء هيلانة جارية هارون الرشيد والأصل : يا من تباشرت القبور بموتها ... ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٥ ، ص ٨٨

(٣) على الخبير بها سقطت ، والخبير هو العالم وسقطت أى عثرت وعبر عن العثر بالسقوط لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر عليه وتمثل به الفرزدق للحسين بن على رضى الله عنهما حين أقبل يريد العراق فلقيه وهو يريد الحجاز فقال له الحسين ما وراءك قال على الخبير سقطت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والأمر ينزل من السماء فقال الحسين رضى الله عنه صدقنى . (الميدانى - مجمع الأمثال - ج ٢ ص ٢٤) .

أبهذا اللسان دبرت أمر الخليفتين ؟ أيعنى أبهذا اللسان كنت تدبر ملك أبى وأخى فأجابه بقوله يا أمير المؤمنين لسانى جار فى نجع الحوائج لا فى رفع الحوائج ، بمعنى أننى لم أقف فى مقام الذل قط وأطلق اللسان لتسيير الحوائج لا لطلبها فرق له قلب المأمون وأمر أن يقودوه إلى قصره بالسمع والمشاعل فقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين دعنى أمشى بنور رضاك ، كما رووا أيضا أنه فى وقت مرضه أرسل "المأمون" إليه بزائر وقال له على لسانه إنى قد رضيت عنك ، فاسأل حاجتك فأجاب : أنا إلى رضا الله تعالى أحوج منى إلى رضاك وإلى قليل العافية أحوج إلى كثير ما عندك ، والخلاصة أنه قال : إن سبب قهر البرامكة كان ذلك أن هارون قد فوض إلى جعفر بابن "يحيى بن زيد" كى يرعاه ، وكان قد جلس فى يوم من الأيام فى مجلس الشراب فالتفت إلى جعفر ، وقال له اذهب واحضر "ابن يحيى بن زيد" فقال جعفر لماذا تستدعيه ؟ وما المناسبة ؟ وما هو مكانه فى هذا الوقت وتلك الحال ؟ فصاح عليه الخليفة فى صوت مهيب ، فقام وأحضر السيد على الفور ، فأجلسه الخليفة وقال له يا ابن العم ألا تعلم لماذا استدعيتك ، فقال : يا أمير المؤمنين أعلم ، فقال له : أنتم تقولون نحن أكثر أهلية لهذا الأمر لاختصاصنا بالقربة والقربة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعليك الآن أن تسوق البرهان لهذه الدعوة كما يلزمنى الآن أن أعلم هذا أيضا فقال ابن يحيى معاذ الله فلم نقل هذا قط ولا نقول به ، وإن كان جاهل أحقق قد قال بهذا فلا يعول عليه ، فقال هارون : إنك تكذب وإن لكم مزاعم فى هذا الأمر ولا مناص من أن تأتيني بدليل الليلة ، فقال السيد أنا أعلم عن نفسى أن لا ادعاء لدى ولم أقل بهذا أبداً فأخذ الخليفة يلح عليه نتيجة السكر وبدأ يستبد به الغضب ، فقال "جعفر" "لابن يحيى" إن أمير المؤمنين يجرى معك مناظره علمية وهو يسألك بلطف بالغ وكرم تام فلم لا تحاوره ولم لا تجيبه ؟ ، فقال السيد لو أجيبه فمن يؤمنى فكتب الخليفة رسالة الأمان بخط يده وأقسم عليها فى أن لا يأمر بقتله ولا يشنقه ولا يعطه سماً وخلافه وأهسك برسالة الأمان فى يده وطلب منه الإجابة بلطف بالغ وترحيب كبير ، فقال السيد : ماذا تسألنى فسأله الخليفة قائلاً قدم لى الدليل على أنكم أولى منا فقال نحن أولى منكم بالقرب ، فقال الخليفة : ألسنا نحن وأنتم كلانا متساويين ؟ فأجاب السيد الأمر ، ليس كذلك فقال الخليفة ما برهانك ؟ فقال : ماذا تقول لو أن يصبح محمد رسول الله صلوات الله عليه وآله حيا ويطلب بنتا من أهل البيت أتجيبه أم لا ، فقال "هارون" نعم وكيف لا أفعل ؟ إنها الكفاءة ، فقال السيد : أما أنا فلا أجيبه ولا يجوز لى ، فضرب هارون على رأسه وغمز بعينه بعد فترة لجعفر بأن يأخذه فأخذ السيد ووضعه بنفس المكان الذى أتى به منه ، فلما انقضت مدة على هذا استدعى الخليفة جعفر وقال له سوف آمرك بأمر يجب أن لا تهمل فيه ، فقال : أمر أمير المؤمنين نافذ ، فأمره

بأن يضع يده على رأسه ويقسم فامتثل جعفر للأمر ، فقال له :لقد أمنت "ابن يحيى من السيف والسم والشنق وما شابه ذلك ولكن لم أمنه من الدفن ، ويجب أن تحفر بئراً عميقاً يزيد على خمسين قدماً وتلقيه فيه حياً ثم تأتى إلى فمضى "جعفر" وأبعد الرقباء عنه وكان قد أمر بحفر بئر عميق وألقى بشاة فيها وقص على "ابن يحيى" حقيقة الأمر وقال له :يجب أن لا يكون لك مكان داخل ملكنا ونجاه ، فمضى ابن يحيى إلى خراسان فكان يتردد على سوق "بلخ" وكان أحد رسل البريد ويدعى مسعود والذي كان يقطع المسافة من بلخ إلى بغداد فى غضون ثلاثين يوماً قد وقعت عينه عليه وأدركه السيد فى الحال، فتوارى عنه ولم يستطع أن يعود مرة أخرى فكتب إلى الخليفة بهذا الخبر فلم يبد الخليفة أى رد فعل وكلف "علياً ابن عيسى" فى "بلخ" بالملاينة فى طلبه فمضى وتفحص عنه فعلم أنه قد نزل إلى بلاد الأتراك وكان قد لجأ إلى تلك الديار الكثير من السادة بسبب ظلم آل عباس ، فأعلم هارون فبعث برسول إلى ملك الأتراك ليسترده فقال الخاقان نحن لا نعرف هذا الرجل والكثير من السادة قد حلوا هنا فقل للخليفة بأن يرسل بشخص يعرفه فنطلبه ونسلمه له، فلما وصل الرسول إلى الحفرة وعلم الأمر وبعث الخليفة بشخص آخر كان يعرف "ابن يحيى" وكلفه حين يصل إلى هناك أن يدبر الأمر كي لا يطلع عليه الطالبون فلا ينقلون ابن يحيى إلى موضع آخر فكان هو نفسه يدبر هذا الأمر بحيث لا يعلم به البرامكة ، حتى وصل الرسول إلى ملك الترك فجمع جميع السادة الطالبين الذين كانوا فى تلك الديار وأخذ يتفقدتهم الرسول واحداً تلو الآخر حتى وقعت عينه على ابن يحيى ، قال هذا هو من يطلبه أمير المؤمنين فأمر ملك الترك بأن يقبضوا عليه ويحضروه ، فلما اقترب منه نهض ملك الترك على قدميه ، وأجلسه بالقرب منه وقال للرسول : إنى كنت أبحث عنه أيضاً وكان غرضى هو أن أحمله من جميع أهل الدنيا فانهض وامض سالماً إلى الخليفة فعاد الرسول يائساً إلى الحفرة وعرض الأمر على "هارون" فوقع فى قلبه الحقد على "جعفر" وشرع فى الانتقام منه ، وكانت العادة أن يذهب الخليفة إلى بيت أخته "عباسة" كل يوم ثلاثاء ولم يكن مخلوق قط يستطيع أن يراه أو أن تصل يده إلى ما يكتب من رقاع أو يطلع على حال من أحوالهم، وفى أحد أيام الثلاثاء جلس وحيداً فى الحراقة وكان قد أجلسنى معه هناك وقال لى اجلس ، فامتثلت للأمر ،وركعت على ركبتى ، فتفحصنى جيداً، حتى ثارت الشكوك والظنون (فى نفسى) ثم أطلق لسانه قائلاً: أريد أن أسر إليك بسر فإن سمعت به مرة ثانية وفشا أمره فأنت هالك فيجب أن تجد فى حفظه ،

فقلت كيف أسمح بإفشاء أسرار أمير المؤمنين فسوف يهلكنى الشيطان ويطيح بى فقال سوف أقتل جعفر وحين نظرت إذا بجعفر أت من بعيد فنهضت ومضيت إليه ودخل هو الحراقة فأجلسه الخليفة بقربه وجرت بينهما أحاديث شتى إلى أن دخل "هارون" إلى بيت "عباسة" وظللت أنا وجعفر جالسين فى الحراقة وقمت بأداب خدمته على نحو ما فعلت مع الخليفة فلما لم يعد هنا شخص بينى وبينه سألتنى فيما كنت تخوض فيه أنت وأمير المؤمنين من حديث ؟ فقلت : كلبنى بأن أدبر أمر فلان الخارجى فى "خراسان" فقال يا "فضل" والله إنك لتكذب ، لقد كنتما تتحدثان فى شأنى وعنّى ولم يكن حديثكما بخير لأنك حين وقعت عينى ، عليك شحب لوئك ، فقلت : معاذ الله لما لمولانا من مكانة عند أمير المؤمنين فأنى يكون لى من مكانة حتى يتحدث مولانا معى أو تواتينى جراءة التحدث والقول ، فقال دعنى من ذلك والله لقد كان حديثا عنى ، وكان شرا فخفت من هذا الأمر وقلت لقد هلكت إذا سيعتقد الخليفة أننى قد أذعت سره فجرت عليه حتى مضى إلى بيته وعدت على إثره إلى منزلى وركبت من هناك فى زورق خفية ومضيت إلى قصر "عباسة" وقلت للخادم أن يبلغ أمير المؤمنين أن أمراً هاماً قد وقع ويجب أن أنال شرف المقابلة وأن أبلغه إلى مسامعه المباركة ، فقال الخادم : لا أجرو على أن أهب فى هذه الساعة إلى حيث يوجد أمير المؤمنين فاصبر ، فقلت له إن لم تذهب إليه الآن فسوف أطيح برأسك بهذا السيف فقال الخادم أوقع أمر جلال إلى هذا الحد ؟ فقلت : نعم فمضى إلى الداخل وعرض الأمر ثم عاد وقال اكتب تفصيل ما حدث على رقعة ، فقلت له : ارجع وقل لا تصلح الكتابة ولا بد من المشافهة فذهب ثم عاد وقال تعال ، فلما مثلت بين يديه ركعت على وجهى وقلت يا أمير المؤمنين الأمان الأمان (١) . لقد ألقيت بى إلى التهلكة فقال ماذا حدث لك يا فضل ؟ قل على وجه السرعة فقلت له ما حدث بينى وبين "جعفر" فقال لا تهتم لهذا الأمر إننى أعلم كياسة وحذق "جعفر" أكثر من هذا لقد كنت معه بالأمس فى البستان ولم يكن معنا ثالث فكنت أتأمل الزهور واحدة واحدة وقد أعجبتنى زهرة وسط البستان أكثر من سائر الزهور ، فمد يده

(١) ذكر فى شروح الكامل لابن الأثير "لعل الحامل للرشيد على قتل البرامكة هو خوفه من ذهاب ملكه وانتقاله إلى الفرس بسبب مؤامرة مدبرة ضد الرشيد خاصة والعرب عامة ومما يؤيد ذلك ما جاء فى البداية والنهاية وغيره أن الرشيد كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر ركز عطاءاتهم ومجازاتهم الشعراء والعلماء بالمال الكثير يسجل عليهم أنهم كانوا يريدون أن يستجلبوا حب الناس ورضاهم وجذبهم إليهم ليسلبوا الخليفة العباسى الملك وغير ذلك. المترجم .

(ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٤ ص ٤١١ هامش).

وقطف تلك الزهرة وقدمها إلى وركع بين يدي وحين رفع وجهه (من الأرض) تبسمت ، فقال : لأى سبب تبسم أمير المؤمنين ؟ فقلت :كيف أدركت أن قلبى يميل إلى تلك الزهرة من بين كل تلك الزهور العديدة فقال : بالله ليس تبسمك لهذا لأنك قد خبرت كياستى من قبل وتعلمها إلا أننى حين سجدت ورأيت قفاى قلت فى نفسك لقد رأيت قفاه فكيف أطيع بها بالسيف فتبسمت لذلك . وفى اليوم الثالث أنجز عليها والسلام ، وبعد البرامكة بعثوا إلى "طبرستان" بجهضم بن جناب فلما عزل تولى مكانه "أحمد بن الحجاج" وبعده "خليفة بن سعيد بن هارون الجوهري" ، فلما وصل إلى "أمل" عين المهروية الرازى نائباً له ومضى هو إلى "جرجان" وفى هذه الفترة التى جرى ذكرها كان ملك الجبال "الإصفهيد شروين الباوندى" "ونداد هرمزد" قد اتفقا معاً على أن لا يتمكن شخص قط من المنطقة الممتدة من "تمشيه" وحتى "رويان" أن يتجاوز الفلاة فصاعداً دون إذن منهما وقد وقعت جميع بلاد "قوهستان" تحت تصرفها ، ولم يكن يسمح للمسلمين إذا حل بهم الأجل أن يدفنوا فى أرض ولاياتهم حتى وصل خليفة "بن سعيد" إلى "سارى" وأراد أن يجعل ابن عمه الذى كان يدعى نافع خليفة له ، فتسلل أتباع الإصفهيد "شروين" ليلاً إليه وقتلوه واتخذ الخليفة من سارى مقاماً ، وكتب إلى "المهروية" فى "أمل" أن يحتاط فقد تحرك أهل طبرستان فقراً على الملأ من الناس هذا الخطاب ، وقال من يكونوا أهل أمل بين كل هذا العالم بحيث يكون لأكل الثوم جرأة العصيان فتطير أباطرة أمل من هذا السب ، ولما حل الليل ومضوا إلى قصره وفصلوا رأسه وربطوا حزمة ثوم فى أسفله وأحضره إلى وسط السوق وألقوا به على مفترق الطرق للعبرة ، وبلغ هذا الخبر إلى الخليفة أن أهل "طبرستان" شقوا عصا الطاعة ، ولكن لم يحملوا على بيت المال ولم يستولوا عليه ، فقال ليس فى هذا خلفاً للطاعة وإنما مرده إلى ظلم الوالى ودفع الظلم واجب فأرسل "يعبد الله بن سعيد الحرشى" فمضى جميع الناس لاستقباله وأتوا به إلى الولاية معزراً ، وحكم مدة ثلاث سنوات وأربعة شهر ، واستطاع بالحيلة أن يقبض على الأشخاص الأربعة الذين كانوا سببا فى قتل "المهروية" وتلك الفتنة، وبعث إلى الخليفة كى يؤدبهم، وكان فى عام سبع وثمانين بعث نيابة عنه إلى قرى "وند اسفان" بجعفر بن هارون" لجباية الخراج والقيام بعمليات المسح فلما وصل إلى هناك وجمع المال اقبل "وند اسفان" وقتله بالحربة، فهرب الأربعين رجلاً الذين كانوا معه وجاءوا إلى عبد الله وأخبروه فكتب بأمر هذه الواقعة إلى الخليفة وعلى إثر ذلك راج أن الخليفة قدم إلى العراق فجاء هو إلى "سارى" بعد ثلاثة أيام

ومضى من "سارى" إلى "الرى" وكان الخليفة هناك فأرسل كل من القاضى "أبو البحترى" و"عباس بن زفر" و"محمد بن الفضل" و"صالح بن عميرة" مع ثلاث مائة فارس وخدام خاص إلى الإصفهيد "شروين" و"نداد هرمزد" ليتأكدوا من طاعتهما ثم يعودوا خلال خمسة عشر يوماً فلما حضروا عند الإصفهيد شروين ونداد هرمزد بذل غاية الرعاية والإكرام فى رعاية هذا الوفد ، وقدم لهم كل أنواع الخدمة وسبل الرضا، بحيث إن هذا الوفد حين عاد إلى الحضرة قال بأن ما قام به "وند اسفان" كان بدون إشارتهما ومشورتهما وهو نفسه خصم "لونداد هرمزد" فلما سمع الخليفة هذا الكلام غادر مدينة الرى وعسكر بقرية "أرنسبو" على مسافة منزل من الرى وكتب منشوراً إلى "الإصفهيد شروين" و"نداد هرمزد" بأن يمثلوا بين يديه فكتبوا رداً على ذلك : نحن فى طاعة أمير المؤمنين وأوفياء فى خدمته ولكن ليرسل إلينا برهينة حتى نأمن وعند ذلك نأتى إليه فغضب الخليفة وقال كيف أسلم المسلمين كرهائن للمجوس وبعث "بأبى البحترى" و"هرثمة بن أعين" و"ابن الوضاع" الذى كان عامل البريد إلى "الإصفهيد شروين" و"نداد هرمزد" كى يأتيا إلى البلاط ، وإلا فليستعدا للحرب فوصل أعيان الخليفة إلى "ويمه" وبعثوا من هناك إلى الإصفهيد شروين عند مشارف قلعة كوزا و إلى نداد هرمزد عند الفور أن يحضرا لدى الوفد فذهب ونداد هرمزد وقال للإصفهيد شروين أنا مريض ولا أستطيع المجئ فلما وصل القاصد إليهم قال "نداد هرمزد" : لعظماء الخليفة كل حكم تصدرونه على الإصفهيد شروين أنا منقاد له وعلى عهده باق حتى استقر "هرثمة بن أعين" مع "نعيم بن خازم" أنه إذا ما اجتمعنا معا وخرج هو من بيننا فلنضربه من خلفه بالسيف فتطيح برأسه ؛ لأن الخليفة لن يرضى إلا بقتله ، فلما أصبح "نداد هرمزد" بينهم أراد "نعيم" أن يسبق ويرتب لضربه لكنه كان عظيم الذكاء يقظاً فأمسك "بعنان نعيم" وقال له يجب أن تثبت وجعلوا "نعيم" يسعى فيما بينهم وحملوا ونداد هرمزد إلى الخليفة بعد عهود وقسم فبقى هناك فترة على نحو ما مضى ذكره إلى أن طلب هارون أن يشتري منه بعض الأملاك فأجابه ولم يبعه وقالوا إن أمير المؤمنين يطلبها منه صلة فسوف يقدمها إليك منحة فإنه رجل عظيم وكريم وسخى ، فقال : محال أن يمنح شخص كل هذه الأملاك حتى بعث هارون إليه بابنه المأمون الذى كان طفلاً فاحتضنه ومنحه جميع تلك الأملاك التى رفض أن يبيعها له فبعث هارون عوضاً عنها بألف درهم وكسوة من الجواهر لا يحيط الوهم بقيمتها وخاتم فلم يستحسنها ونداد هرمزد باستثناء الخاتم، وقال الخليفة : بأن يطلب حاجته فقال "نداد هرمزد" ليعفوا لنا عن "عبد الله بن سعيد" فبعث به هارون إليه مشرفاً وأرسل

معه هرثمة لكي يحضر معه بالتلطف ابنه "قارن" و"شهریار ابن الإصقهد شروین" فسلم هو "قارن" "لهرثمه" وامتنع "الإصقهد شروین" عن تسليمه "شهریار" وسلم شخصاً آخر فقال "هرثمه" إن أمير المؤمنين طلب "شهریار" ولم يأخذ الشخص الآخر ، وعاد للخليفة وكان الخليفة قد ارتحل فأمر بالإقامة وكتب رسالة بأن لا يأخذ من "شروین" ابناً آخر سوى "شهریار" ، فاضطر "شروین" أن يبعث "بشهریار" إلى الخليفة فحمله معه إلى بغداد وأرسل "عبد الله بن مالك" إلى "طبرستان" وأمره بأن يسترد كل ما هو زيادة عن "قوهستان" من "الإصقهد شروین" وندادهرمزد" وبعد عام رحل الخليفة من بغداد إلى الرى قاصداً خراسان ومرض فأرسل كل من "قارن" و"شهریار" إلى أبويهما ومضى هو إلى "الطوس" حيث وافته المنية وقبره هناك وقد وقع خلاف بين ولديه "محمد بن زبيدة" والذي قيل عنه المخلوع، و"عبد الله المأمون" فأرسل "طاهر بن الحسين" لقتال أخيه "محمد بن زبيدة" في بغداد فاجتث رأسه وكان وقتئذ الخليفة فلما نظر "المأمون" إلى الرأس قال (شفيت النفس من حمل "ابن بدر")^(١) وقرأت في تاريخ ناصري أنه حينما قتل "طاهر بن الحسين محمد بن زبيدة وتيسر له أمر بالغ الخطورة إلى هذا الحد رأى نفسه أعلى من الجميع ، فكان لا يعبأ بالدنيا ولا بمن فيها فاستدعى "ذو الرياستين" الفضل "بن سهل" والده "الحسين" وأجلسه لديه في خلوة وقال له انظر كيف صار "طاهر" وكيف فقد عقله في نشوة الغرور بحيث لا يعد يحسب لأحد حساباً ، ولا يدرى أنه لا اعتماد على الإقبال:-

سكر الزمان بدولة خولتـها فاحذر كأنك بالزمان وقد صحا

فقال له والد "طاهر" اسمح لى أن أجيب دون أن يتضايق مولانا فقال له: قل لأرى ما هو الجواب فقال ليعلم أنه كان طفلاً قروياً ذا قلب ضعيف وحال مناسب فانتزع أمير المؤمنين من جوفه ذلك القلب وتلك النزعة ومنحه عوضاً عنها فانتزع رأس

(١) قال الشاعر هذا البيت لما قتل حمل بن بدر يوم جفر الهبأة وكان حمل بن بدر قد قتل مالك بن زهير والمأمون قال هذا البيت قبل التشفى في أخيه محمد بن زبيدة. والبيت ورد في عيون (٨٨/٣) لقيس بن زهير ومحاضرات الأدباء ج٢ ص ٥٧. والبيت على هذا النحو شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفى من حذيفة قد شفانى. (الحماسة لأبي تمام الطائي ج١ ص ٧١١). المترجم .

أمير المؤمنين^(١) وخليفة المسلمين أخوه وأمره في هذه الساعة أنفذ من القضاء والقدر في كل "العراقين" و"الحجاز" و"الشام" طالما بقي له هذا القلب وتلك الدماغ وذلك الحكم وتلك الرياسة، فاعذره أنت لكل هذه الأسباب وبعد "محمد الأمين" آل أمر الخلافة إلى "عبد الله المأمون" ولم يكن لخليفة أبداً من آل "عباس" ذلك التمكن والعظمة والتربية والحشمة التي كانت له وسالفه لم يصلوا إلى فضله وكياسته وحكمه ورياسته وله أشعار كثيرة ومؤلفات لا تحصى: ومن أشعاره :

لعمرك ما الفتيان أن تكثر اللحى	وتعظم أبدان الرجال من الأكل
ولكنما الفتيان كل سميذع	صـبـور..... ^(٢)
خروج من الغمى نهوض إلى العلى	ضروب بنصل السيف مجتمع العقل
رأيت رجلاً يمنعون نوالهم	وليس يصان العرض إلا مع البذل

وروى أنه وقت خلافه مع ملك الروم كتب إليه شيئاً طلباً للمهادنة والمصالحة فقال : إن اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما مما في الرأي عاد بالضرر عليها وأنت أولى بأن تدع الحظ يصل إلى غيرك حظاً تحرزه لنفسك، وفي علمك كاف عن أخبارك ، وقد كتبت إليك داعياً إلى المسالمة، راغباً في فضيلة المهادنة ؛ لتضع أوزار لحرب عنا ، ويكون كل لكل ولياً مع اتصال المرافق والفسح في المتجر أمن الأطراف والبيضة وفك المستأسر فإنه أبيت فإنني لخائن إليك غمارها ساد عليك أقطارها شأن خيلها ورجالها، وإن أفعل فبعد أن قدمت المعذرة وأقمت الحجة والسلام ، فكتب برده في توقيع في أعلى رسالة ملك الروم على النحو التالي : قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما

(١) ذكر المسعودي "لما وضع رأس الأمين بين يدي طاهر قال (اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير أنك على كل شيء قدير ؟ وحمل الرأس إلى خراسان إلى المأمون في منديل والقطن عليه والأطلق فاسترجع المأمون وبكى واشتد تأسفه عليه فقال له الفضل بن سهل: الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة فإن محمداً يتمنى أن يراك بحيث رأيته (مروج الذهب ج٣ - ص ٢٢٤). المترجم .

(٢) "جاء بقية البيت فارغ في المتن".

تقرأه، وروى عن "نضر بن شمبل" أنه قال ذهبت في ليلة من الليالي إلى "المأمون" مرتدياً ثوباً بالياً فقال لى أيدخل رجل مثلك بمثل هذا الثوب على أمير المؤمنين ؟ فقلت يا أمير المؤمنين لا طاقة لى بجو "مرو" حتى مع مثل هذا الثوب البالى ، فأجلسنى وانشغلنا بالتحدث فى أسانيد الحديث وجرى الحديث بيننا فى شتى المواضيع إلى أن قال حدثنى "هيثم بن بشير" عن "مجالد بن سعيد" عن الشعبي أن رسول الله صلى عليه وآله قال إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد عن عوز ، فقلت : يا أمير المؤمنين صدق "هيثم" حدثنى "عوف الأعرابى" عن "الحسن" مرسلًا- أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها شداد من عوز)، وكان "المأمون" متكئاً فاستقام وقال لى يا "نضر الشداد" لحن فقلت نعم يا أمير المؤمنين، ولكن لحن "هيثم" صحيح لأنه كان لحناً فقال ما الفرق بين السداد والشداد فقلت السداد القصد فى الدين والسبيل ، والشداد البلغة وكل شىء سد به فهو سداد فقال ألا يوجد للعرب بيت قط فى هذا الشأن ؟ فقلت هذا البيت :-

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كسريهة وسداد نغر

فمكث "المأمون" فترة وهو مطأطئ الرأس ثم قال بعد ذلك قبح الله من لا أدب له ، وطلب المحبرة ثم وقع على ورقة وأعطاهما للحاجب وأنا لا أعلم ما هو ذلك وسألنى عن أبيات للعرب وأسماء وأحاديث من كل نوع وحين نهضت أتى "الخادم" فى أثرى وقادنى إلى "الفضل بن سهل" وسلمه توقيع المأمون فلما طالعه قال لى لأى سبب أمر أمير المؤمنين لك بخمسين ألف درهم فرويت له حديث هيثم وأنه كان لحنًا ، فقال لى أرأيت شخصاً أفصح منك ومن الخليل بن أحمد فقلت نعم أنا والخليل كنا عند بيعة الأعرابى وكان قد جلس على سطحه فقال لنا استنوا فلم نعرف ماذا يقول وكان معه أعرابى آخر فقال : تعلمون ماذا يقول ؟ فأجبنا : بلا فقال : إنه يقول ارتفعوا فقال الخليل : إنه من كلام الله حيث يقول : "ثم استوى إلى السماء" ويعد ذلك قال "هل لكم فى خبز فطير وماء نمير ولبن جهير فقلت ما بنا من حاجة فقال لنا سلاماً فلم نعرف ماذا يريد بهذا فقال الأعرابى عوبوا فلمّا عدنا قال الخليل بن أحمد إنه أجاب بكلام الله أيضاً إذ يقول فإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً" ومن كمال نظر المأمون أنه

أحضر الإمام " علياً بن موسى الرضا " عليهما السلام من مدينة الرسول صلاة الله عليه إلى خراسان وأعطاه ولاية العهد كما هو مشهور وغنى عن الشرح ورغم أنه نقض العهد وغدر وخان في آخر الأمر وبرغم أن معاهدة المأمون لا تزال باقية بخطه وخلفها خط علي بن موسى الرضا عليه السلام في مشهد طوس ومضمون خط علي بن موسى الرضا على هذا النحو: إن أمير المؤمنين عرف من حقنا ما جهله غيره فكانت منه ولاية عهده إن بقيت بعده وأنى يكون هذا وبضد ذلك يدلان الجامع والجعفر .

وفي عام ٧٩٥ (١) عندما قدم السلطان "غور غياث الدين وشهاب الدين" إلى خراسان واستوليا على نيسابور وقام بزيارة وقدا الخيرات وحضر "فخر الدين الرازي" الخطيب الذي كان مجتهد عهده وأستأذ العالم مع علماء آخرين من بلاد الفور وغزني إلى روضة الإمام الرضا عليه السلام وطلبوا وثيقة المعاهدة واطلعوا عليها فسأله علماء أهل السنة والجماعة ما معنى جعفر وجامع فقال أنا لم أقف على هذا السر لكن يوجد إمام في هذا المشهد أيضاً لا نظير له هو "نصر الدين حمزة بن محمد" من طائفة الشيعة ويجب أن تسألوه فاستدعوا ذلك الإمام وسألوه وعرفوا منه المعنى وكان لنصر الدين حمزة هذا فضل كبير لدرجة أن فخر الرازي بجلالة قدره وفضله كان معترفاً ومقرراً بأسبقيته وفضله وأنه استفاد منه فليكن معلوماً للجميع في خراسان أننا كتبنا هذا من قبيل الإنصاف والخلاصة عسى أن "سندی بن شاهدك" الذي أقيم قبره في ساري والذي يقال له في مشهد أبي نصر ولقد رأيت في عصرى في فترة طفولتى المبكرة وكانت قد تحولت تلك المباني إلى كومة من التراب فعساه ومستشارين آخرين أنهم كانوا يوبخون المأمون على التشيع وولاية عهد الرضا عليه السلام ، فقال المأمون لقد تعلمت التشيع من أبي هارون فقالوا وهو كان يقتل أهل هذا البيت فقال المأمون نعم يقتلهم صراعاً على الملك لأن الملك عقيم ومعناه أنه هو كان يقتل أهل البيت لأن الملك عقيم "ولكنى ذهبت مع أبي للحج في أحد الأعوام وعندما وصلنا إلى المدينة أمر "الحجاب" بأن كل من يأتى عندي يجب أن يذكر نسبه وعلى نحو ما أمر كان كل من يأتى عنده من أهل مكة والمدينة وأبناء المهاجرين والأنصار وسائر بنى هاشم وبطون وأفخاذ قريش كان يقول أنا فلان بن فلان من بنى فلان وكان يعطى لكل

(١) جاء مكان عدد السنوات في المتن فارغاً إلا أن عام ٧٩٥ هو تاريخ استيلاء غياث الدين وشهاب الدين معاً على خراسان. المترجم .

شخص ما يليق به اعتبارا من خمسة آلاف إلى مائتي دينار من الخلع والإنعام والنفقة وذلك على قدر شرفه وحسبه ونسبه ، وكان قد لبث يوماً يقوم بهذا الأمر فلما فرغ وبات خالياً دخل الفضل بن الربيع وقال يا أمير المؤمنين لقد وصل رجل إلى البلاط يقول أنا "موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب"، فلما سمع والدي ذلك وكنت أنا والأمين والمؤمن نحن الثلاثة قد وقفنا خلفه فنظر خلفه وقال لنا حافظوا على وقاركم من الاضطراب وكونوا على أدب ووقار ، وقال للفضل بن الربيع أدخله ولا تدعه يترجل عن راحلته إلى أن يصل إلى بساطي وعندما رأيته من بعيد وجدت شيخاً هرمًا قد أنهكته العبادة كأنه شن بال قد كلم السجود جبهته وأنفه ، ولما رأى والدي ألقى بنفسه من فوق الحمار فقال والدي لا والله إلا على بساطي فأركبه الحجاب مرة أخرى ولما وصل بجوار البساط ترجل واستقبله والدي في آخر البساط واحتضنه وقبل عينيه وأمسك بيده وأجلسه معه في صدر المجلس وأخذ يناديه بكنية "أبي الحسن" تارة وبكنية أبي إبراهيم تارة أخرى ، وسأله كم من الأولاد تقول فقال: خمسمائة فقال أبي أجميعهم أبناءك وبنوا أخوالك وبنوا أعمامك فقال: لا بل أكثرهم موال أما الولد فلي نيف وثلاثون ولداً فقال أبي لما لا تعطى بناتك لأبناء الأعمام الأكفاء فقال حال ضيق ذات اليد دون ذلك فقال أبي ما حال الضيعة ودخل الأملاك فقال: تدر حيناً وحيناً لا تدر فقال أبي كم عليك من الديون قال عشرة آلاف دينار فقال يا بن العم سوف أعطيك ما لا كثيراً تزوج منه أبناءك وبناتك وتسدد دينك ولتعمر الضياع فقال موسى بن جعفر يا بن العم يشكر الله هذه النية الجميلة والرحم الماسة وما أبعدك أن تفعل تلك وقد بسط يدك وأكرم عنصرك وأعلى محتدك ، فقال والدي : أفعل ذلك يا أبي الحسن وكرامة ثم قال موسى بن جعفر يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد فرض على ولاة عهده أن ينعشوا فقراء الأمة ويقضوا عن الغارمين ويؤدوا عن المثقل ويكسوا العارى ويحسنوا إلى العاني وأنت أولى من يفعل ذلك فقال والدي سأفعل مثل هذا ، وعندئذ نهض موسى عليه السلام ونهض والدي لأجله أيضاً وقبل كلتا عينيه ونظر إلينا وقال يا عبد الله ويا محمد إذهبوا مع عمكم وأمسكوا بركابه وأركبوه وبشرني موسى عليه السلام بالخلافة دون أن يدرك إخوتي ذلك وقال إذا ملكك هذا الأمر فأحسن إلى ولدي فلما مضى هو ذهبنا عند والدنا ، وكنت أنا أشجع من كل إخوتي فقلت له يا أمير المؤمنين من هو هذا الرجل الذي منحته كل هذا الإكرام والتعظيم ؛ فأجاب بأنه هذا هو إمام الناس فقلت أولست أمام الناس فقال لي أنا إمام الجماعة بالقهر والغلبة ، وعندما

أراد أن يغادر المدينة أمر بأن يضعوا مائتي دينار من الذهب فى كيس أسود وقال للفضل أحمله إلى موسى بن جعفر وقل له إننا نعانى ضيق ذات اليد الآن ونطلب العذر عن التقصير لوقت آخر ، وكنت أنا قد وقفت أمام صدر والدى وقلت : يا أمير المؤمنين لقد بذلت له المزيد من الترحيب والتعظيم فى ذلك اليوم وأعطيت أقل شخص من المهاجرين والأنصار ألفين أو ثلاثة أو خمسة آلاف دينار واليوم ترسل له مائتي دينار فقال اسكت لا أم لك فإننى لو أعطيته هذا ما ضمنته ولا كنت آمنه أن يضرب وجهى غدا بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه ، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لى ولكم من بسط أيديهم وأعينهم وفى النهاية وبرغم الغلو الكبير فى التشيع إلا أن صورة ملك الدنيا بدت له متشحة بقباء البقاء ومحفوظة من عناء الفناء وتلا سورة الإقبال دون وعى ونثر فى سويداء ، أصدره بذور الحقد على الرضا عليه السلام ، فلم يدرك شراك الشرك وكأشعب طماع أصبح يظن الوهم والأمل يقيناً وأصبح يظن السهم قوساً أو أن النبات ينبت من الجبل أو يأت من الباكورة نبات ، فلطخ وجهه بدخان الظلم وأفسد دينه ودولته وركب حمار الغرور وظل يلاحق أتباع الأتباع إلى أربعمئة عام بحيث ظلت يد الظلم تلطم قفا بدون مسافة هم والدنيا تصيح صارخة بمضمون هذا الشعر .

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته	وأبصروا بعض يوم رشدهم وعموا
لا يطغين بن العباس ملكهم	بنو على مواليتهم وإن زعموا
لا يبعه روعتهم عن دمائهم	ولا يمين ولا قـربى ولا رحم
كم غدرة لكم فى الدنيا واضحة	وكم دم لرسول الله عندكم

وهذا هو نفسه لوم الدنيا الذى ناء بحمله إلى عقوبة الآخرة التى نزلت به فبم إذا أحقق من ذلك الذى حققه ، أنه ذاك الذى ما زال ينوء به قال عز من قائل "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون"^(١)

يا أرض طوس سقاك الله رحمته	مإذا حويت من الخيرات يا طوس
طابت بقاعك فى الدنيا وزينها	شخص زكى بسناباد مرموس

(١) إشارة إلى أن الكاتب كان يؤرخ الأحداث حتى تلك الفترة.

شخص عزيز على الإسلام مصرعه فى رحمة الله مغمور ومغموس
يا قبره أنت قبر قد تضمه علم وحلم وتنزيه وتقديس
فخرًا فإنك مغبوط بجثته وبالملائكة الأحرار محروس

وعندما صرف الرضا من أمامه أرسل إلى المدينة وأحضر ابنه الذى كان الشيعة يدعونه بمحمد التقي ويدعونه فى بغداد بمحمد الجواد وأعطى له ابنته أم الفضل وزوجها منه وأقام العرس الذى لم يشهد العالم وليمة مثله ونثروا على محمد التقي أربعمئة طبق بها كرات من العنبر فى قلب كل كرة درة ، ثم سيره إلى المدينة وبعد ذلك أحضر علماء الإسلام واختار أربعمئة شخص ثم انتقى منهم أربعة أشخاص والذين كان هناك إجماع على فضلهم وقال لى فى خلوتى معكم مهمة ويجب أن يمضى كل واحد منكم إلى منزله وعندما تفرغون من قضاء الحاجات والمهمات تأتون عندي بالعمائم الخفيفة ولباس المنزل دون حجاب أو زينة ، فالتزموا بما أمر به وحضروا إلى مجلسه فأجلس الأربعة وأقسم عليهم بالمصحف والطلاق أن لا يمنعكم هيبتى وسلطانى من الجواب بالحق وقول الصدق وأن يتحدثوا كما لو كانوا فى مجمع العرصات بين يدى الله الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء فقبلوا جميعا هذه الدعوة ، وبعد ذلك وجه إليهم الأسئلة وسمع الإجابة وأطلقوا على تلك المناظرة الرسالة المأمونية ، والخلاصة ، فقد مات فى عهد المأمون الإصفهيد شروين ملك الجبال وبقي عنه ولدين شهريار الذى كان أبا ملوك باوند وجلس على العرش ، وذهب ونداد هرمزد إلى خدمته لتهنئته وتعزيته وكان بينهما تراضى إلى أن وصل ونداد هرمزد فى تلك الفترة إلى شروين وجلس ابنه قارن ونظراً لما كان لشهريار من عظمة أصل وشرف وحسب ونسب والذى كان قد توارثه ملكاً عن ملك ، لذلك فقد اجتمعت فيه خصال الملك وأدابه فكان ذا عزم وحزم فى الحرب والحفل فمضى إلى خدمته قارن فوجد التشريف وجاء إلى ولايته بالعهد والأمان وبلغت هذه الأخبار الخليفة المأمون فبعث إليهما برسول وحمله الخلع وكتب إليهما: إننى عازم على غزو الروم ولا بد من حضوركما أيها الإصفهيدان فكانا يستبقيان الرسول كل يوم بالحجج والأعذار حتى قاد الخليفة الجيش إلى الروم فأعاد الرسول بالهدايا الكثيرة التى حملاه بها وقال إن الإصفهيد شهريار لا يستطيع الحضور على أية حال من الأحوال أما قارن فقد انضم إلى الخدمة وحشد الجند وسلك بهم الطريق فى أعقاب الرسول

وأمدّه شهریار بالمدد إلى أن وصل بلاد الروم وأقام لنفسه مخيماً في زاوية من معسكر الخليفة ، وقضاء فقد تحاربوا في ذلك اليوم والتحم المبارزون في ميدان النزال وفي الحال أزال قارن الغطاء من على جواده وحمل على كتفه الدرع الجيلي ذات الذهب الخالص وتوجه مع جنده إلى الحرب وحملوا على طرف من أطراف الرومان فهزموا ذلك الطرف وأسروا بطريقاً من بطارقة الرومان وحملوا من ذلك الجانب على جانب آخر فهزم جند ذلك الجانب أيضاً ونكلوا بهم ، وكانوا يرددون الحكايات وكان المأمون يتابعهم في قلب جيشه وكان يسأل في كل لحظة من أى فرقة أولئك القوم ومن ذلك الفارس صاحب الدرع الذهبي الذي لم يكن موجوداً فيما بيننا فمن أين أتى ؟ فقال المقربون له جميعاً ليس معلوماً لنا أيضاً وقد بقينا نفكر في هذا وكان يرسل المدد من الفرسان متعاقبين ولما كثر عدد أعوان قارن وكبرت شوكتة أطلق عنان الركاب وأشار قائلاً فلتتبعني مجموعة وتهجم ، وحمل بنفسه على قلب ملك الروم ورفع العلم من مكانه ومزقه بالحربة فلحق به المأمون من قلب جنده فانهزم جيش الروم وأمر المأمون بأن يحضروا الفارس صاحب الدرع الذهبي أمامه فمثل إلى خدمة المأمون وهو راجل ومتشح بملابس الحرب وقبّل ركاب المأمون وطأطأ رأسه فعلم الخليفة أنه قارن بن ونداد هرمزد فأكرمه وأمر بإجلاسه ولطفه كثيراً ولما نزلوا أرسل له التشريفة وبقي فترة في خدمة الخليفة وقد طلبوا منه عدة مرات بالإيحاء والتصريح أن يسلم حتى يصبح مولى أمير المؤمنين ويتركوا له طبرستان فلم يقبل ، وفي النهاية أرسلوه إلى الولاية بالعهد والميثاق فغضب عليه الإصفهيد شهریار بن شروين وضم الكثير من مواضعه إلى ديوانه وبحكم أن كان للإصفهيد شهریار بن شروين قوة وقدرة أكثر منه فلم يجد بداً من الانقياد إليه ، ولاحق له رؤية ذات ليلة في المنام أنه صعد فوق قمة جبل ويال فخرج من بوله نار تطايرت فأحرقت كل قوهستان ووصلت من الجبل إلى الفلاة فكانت تحرق كل شجرة وصحراء تبلغها فاستدعى المفسرين وطلب تفسيراً فقالوا سيخرج من صلبك ولد يصبح ملكاً على جبال وفلاة طبرستان ولكنه سوف يكون ظالماً وفاسقاً وقتال وقتاك وانتشر هذا الخبر في كل طبرستان ، وفي ذلك العام جاء له ولد أطلق عليه ما زيار ولما مرت عليه الأعوام وأصبح بالغاً كان من بين جملة أبناء قارن عظيم المحتد أكثر كفاءة ، فلما هلك قارن وجلس مازيار في مكان أبيه فطمع في ولايتهم الإصفهيد شهریار بن شروين فكان يتحرش بهم وامتد الأمر إلى أن تحاربا في النهاية فهزمه شهریار بن شروين واستولى على ولايته فالتجأ مازيار إلى ونداميد بن ونداسفان طالباً الأمان وبعث شهریار برسالة مفادها اقبض

على مازيار وضعه في القيد وابعث به إلى ولم يستطع ونداميد أن يتجاهل أمر شهریار فأمسك بمازیار وكبله بالأغلال وبعث إلى شهریار أن أرسل بثقاتك كي أسلمه لهم حتى لا يطلق رجالی سراحه وبينما هم في ترتيب هذا الأمر إذ دبر المازیار حيلة مع نساء حراسه وفك القيود وهرب وتوارى في الغابات إلى أن بلغ العراق وقالوا بأن عبد الله بن سعيد الحرشي كان أميراً من قبل الخليفة وقد انضم إليه وكان يعرف والده قارن وجده ونداد هرمزد وكان قد وصل إلى طبرستان فأكرم وفادته وأنزله في مقره وحينما كان يمضي إلى بغداد كان يصطحبه معه ولم يبعد عنه وكان للمأمون منجم في بغداد يدعى زیست بن فیروزان وكان الخليفة قد عرب اسمه فدعوه بيحيى بن منصور وقد مضى ذكره في مقدمة الكتاب ، وذات يوم وضع مازیار في كمة طالع مولوده وحضر إلى المنجم فسلم وطلب أن يعرض عليه هذا الطالع فلم يعبأ به زیست ولم يصنع إليه وكان برفقة مازیار واحد من آل الحرشي فقال له إنه أمير طبرستان مازیار بن قارن بن ونداد هرمزد فلما سمع المنجم ذكر آبائه نهض وطلب العذر وأخذ نسخة طالع المولود فقبلها وبعد ذلك انشغل بمطالعتها فوجد فيها علامة السعد ودلائل الإقبال وقوة الطالع فتوسم فيه آمال الخير وأخلى المكان وقال له لو توليت رعايتك وقومت بخدمتك فهل تحفظ ذلك الجميل ولا تضيعه وتحملها منه لى ، فقدم مازیار كل ما كان يلزم من شروط لقبول الوعد والوفاء بالعهد وأقسم على ذلك بأغلظ الأيمان ومرت الأيام على هذا حتى حانت فرصة في أن يقص المنجم في خلوة على المأمون أمر المازیار وحكاية طالع المولود وأنه سيصل إلى دولتك منه خير فأمر بأن يحضروه فأسرعوا في طلبه وأحضروه إلى بلاطه ، وكان الخليفة قد رأى والده قارن يوم حرب الروم فعرفه فأمر بأن يعرضوا عليه الإسلام فقبل مازیار الإسلام وأسماء المأمون محمد مولى أمير المؤمنين وكناه بأبى الحسن وانقضت عدة شهور على هذا وتوفي الإصفهيد شهریار في طبرستان وبقي من بعده أبناء كثيرون له ، وكان أحدهم قارن الذى كان أبو الملوك وشابور الذى كان الأكبر والذى جلس على العرش وقد نفر منه كثير من أتباعه من تهوره وتهتكه فحادوا عنه ورفضوه وكتبوا إلى المأمون يشكون منه فكتب أمراً إلى محمد بن خالد لى ينتزع كل قوهستان منه فلم يستطيع محمد بن خالد أن يقاومه بسبب ضعف حاله ، فعلم الخليفة بهذا الأمر فطلب شخصاً كي يرسله إلى الولاية لعقابه واستئصال شابور وكان المنجم زیست حاضراً فذكره بمازیار فقال المنجم إن طالعه يتفق مع المواقف المقدسة للعبودية في هذا الأمر ، فاختره المأمون لقوهستان وأرسل موسى بن حفص إلى هامون وكان الخليفة

قد غضب على موسى بن حفص وعزله من الولاية فحضر إلى مازيار وتحالف معه على الولاء والخلاص ليطالبه من الخليفة فلما وصلا معاً إلى طبرستان التف الخلائق حول المازيار وفي مدة وجيزة جهز جيشاً ومضى إلى يريم في طلب شابور ، وتحارب معه وأمسك به وقيده في السلاسل والأغلال وأرسله إلى موسى بن حفص بأن انتصرت وقيده فلما علم شابور أن المازيار سوف يقتله أرسل سراً إلى موسى بن حفص رسولا قائلاً خذني بيدك وسأقدم لك مائة ألف درهم فأجابه موسى إن طريقة خلاصك أن تقول أني أصبحت مسلماً ومولى أمير المؤمنين وحينما سلم هذه الرسالة فكر في أن يكون المازيار قد وقف على هذا الأمر فيكشف السر وينقض المعاهدة التي بينهما فتنشأ فتنة وشر كبير ، فلما رأى مازيار سأل في لو أن شابور قبل الإسلام وقدم مائة ألف درهم فماذا تقول للخليفة ؟ فظل المازيار صامتاً ولم يرد على هذا السؤال وانفصلا عن بعضهما ، وفي تلك الليلة أمر مازيار بضرب رأس شابور وبعث بها في الصباح إلى موسى فغضب موسى عليه وفكر مازيار في أن يرسل الخليفة بشخص آخر غير موسى عوضاً عن موسى لقهره ، فجاء إلى موسى بالعدو والسماح وقدم الولاء وجدد العهد فيما بينهما وظلت طبرستان على هذا الوضع أربعة أعوام حتى توفي موسى ، وجلس محمد ابنه خلفاً له فلم يعبأ مازيار به وكان حكمه نافذاً في الجبال والصحراء على السواء وكان أخو شابور الإصفهبد قارن بن شهریار يطالبه مع جميع الباونديين ببساتين الأعناب وقد حقد عليه حكام تميميه وكتبوا إلى المأمون عن ظلمه وجبروته إلى أن وصل فرمان بأن يحضر مازيار إلى البلاط فأجاب مازيار أنني الآن مشغول بغزو الديلمة وأخذ الجيش ومضى إلى شالوس وأخذ رهائن من جملة معارف وأرباب تلك النواحي فكان الجميع يطيعونه مرغمين ، فكان على الخليفة أن يحضره بالرفق واللين فبعث إليه بزيست المنجم الذي كان مربيه مع خادم خاص من أتباعه كي يصطحبانه إلى الحضرة ، فلم علم مازيار بهذا فجمع في بلاطه كل من يستطيع أن يمسك بحرية في طبرستان وبعث بيحيى بن روزبهان وإبراهيم بن أبله ليكونا في استقباله في الري وأمر أن يأتيا بها عن طريق سواته كوه وكالبذرجه وكندی آب وكانت التعرجات التي في الطريق لا تمكن من الركوب فوق حصان في هذا الطريق فلما حضرا عنده في هرمزد آباد بعد عدة أيام لقيها فيها محناً جمة وشاهداً في بلاطه حشداً كبيراً من الخلائق من كل الأجناس والأصناف وتعجبا من صعوبة الطريق فضلاً عن كثرة رجال ممالكه واحتفظ بهما لفترة يفيض عليهما من

نعمه وتكريمه وألطفه وفي آخر الأمر قدم مازيار الحجج والاعتذار بأن قال إننى مشغول بالغزو وسوف أجهز للحضور إلى البلاط على أثركما، وبعث برفقتهم قاضى أمل وقاضى رويان فلما وصلوا إلى بغداد وتيسر لهما لقاء الخليفة سألها عن أحوال طاعة وسيرة مازيار فأخبراه كذباً وعندما خرجا كلاهما ومضى قاضى رويان إلى المنزل وظل قاضى أمل فى البلاط إلى أن مضى يحيى بن أكثم من لدى الخليفة إلى البلاط ، فاقترب منه وقال له إن أمير المؤمنين سأل على رؤوس الأشهاد وعامة الناس عن خبر مازيار ، ولما كان المقربون فى الحضرة والملازمين السدة هم أصدقائه ومن يخبرونه فلم أستطع أن أعرض الحقيقة كما إننى لم أشأ ولم أقبل أن أغادر البلاط دون أن أعرض حقيقة ما عليه مازيار ، وإننى أبلغك أنه قد تمرد كما ربط على وسطه زنار الزراد شتتين وأنه يستخف بالمسلمين ويجور عليهم وبالتأكيد لن يأتى إلى هذه الأعتاب بأى وسيلة مهما تكن فقال يحيى بن أكثم للقاضى كيف لك وأنت نائب الشرع والقاضى أن تقول الكذب لأمر المؤمنين وإذا علم بأكذبك ألا يستوجب كذبك عليه أن يعزلك ونهض من مكانه هذا ودخل من نفس المقام وأوصل حديث القاضى إلى المأمون وخرج واصطحب القاضى فى خلوة لدى المأمون ليعرض الأمر وكان المأمون قد أعد الأمر قاصداً الروم ووقف فى الطريق وقال للقاضى ترتيب الأمر إلى حين عودتى فإن هذه المهمة التى أنا بصددتها أعظم عندى فقال القاضى : بعد أن يعلم بخلوتى هذه معك فلن يكون له مداراة معى فقال الخليفة لا حيلة إلا الصبر فطلب القاضى الإذن بأن ندفعه ما أمكننا فقال الخليفة لك هذا فجاء القاضى إلى أمل وعلم مازيار بذهاب الخليفة إلى الروم فكان يهجم كالذئب الضارى على أهل أمل وسارى وينهشهم وضاق أهل رويان بظلمه وجمعوا بعضهم البعض واتفقوا فيما بينهم على قتل كل عامل له يجدونه فى أى موضع وقيل بأن خليل بن وند اسفان كان حاكماً على سفوح أمل فأرسلوا له واتخذوه صديقاً ومعيناً لهم وأقروه حاكماً على تلك الناحية أيضاً ، فبلغ هذا الخبر مازيار فى سارى فجمع الجند وحضر إلى أمل فأغلق أهالى المدينة البوابات وأحضروا أهل الرستاق إلى المدينة فمضوا لدى محمد بن موسى، حيث حضر عنده قاضى مازيار الذى كان قد ذهب إلى الخليفة وأعلن خلعه للطاعة وطلب الإذن بقتله فاستدعى محمد بن موسى القاضى وسأله عما قاله للخليفة فكرر القول وسمع الجواب فانضم إليهم محمد بن موسى أيضاً فأرسل مازيار فى الحال رسولاً إلى الخليفة وأبلغه أن أهالى أمل ورويان وتفرجالوس خلعوا طاعة أمير المؤمنين وخدعوا محمد بن موسى واستمدوا العون وأجلسوا علوياً على الخلافة ورفعوا الراية

البيضاء وأنا عبدك أجهز الجيش لقهرهم وسوف أبعث إن شاء الله بخراج الفتح وكان لمدينة أمل آنذاك قلعتان وخذق فظل مشغولاً بحصار القلعة ثمانية أشهر فخربت جميع الرساتيق من جراء غارات السلب والنهب والقتل التي كان يأمر بها "وقوهيار بن قارن" الذي كان أخوه ، كان يجد ليل نهار للاستيلاء على المدينة بالحرب وكان مازيار يكتب كل يوم رسالة إلى الخليفة ويشرح فيها خروج أهل "طبرستان" وكانت تصل إلى الخليفة ولم يكن يقرأ رسالة قط من قبل "محمد بن موسى" فغضب عليه وتصور أن ما يكتبه "مازيار" حقيقة وكان الحال على هذا النحو، كان لوالد "محمد بن موسى" أحد الأتباع في مدينة "الري" فكان يرسل بالرسائل من أمل إلى ذلك الشخص ليبعث بها فبعث مازيار بأحد أتباعه المتمرسين صاحب فلسفة إلى الري فخدع ذلك الرجل وكان يستولى منه على تلك الرسائل التي كان "محمد بن موسى" يبعث بها ويرسلها إلى مازيار، وبعد ثمانية أشهر انتزع مدينة "أمل" قهراً وقتل الخليل بن ونداسفان الذي كان من مشاهير الولاية كما قتل أبا أحمد القاضي وبعث برسالة الفتح إلى الخليفة وأمر المأمون "محمد بن سعيد" بأن يمضى إلى "طبرستان" وليقف على أوضاع حال الخروج وخلع الطاعة وليبين من هو ذلك العلوى فلما وصل إلى طبرستان ووقف على الأمر بين أن ما كتبه مازيار بشأن العلوى كان كذباً ولا يعدو الأمر سوى مجرد خلاف بينه وبين "محمد بن موسى" ، وأنه أثار الفتنة كما كتب "محمد بن موسى" إلى الحضرة أيضاً أن أهل الولاية قاتلوا مازيار بإذن منى وأن قاضى أمل قد قال لى ذلك وعندما قرأ الخليفة الرسالة غضب على "محمد بن موسى" وأصدر أمراً بأن يسلموه فلاة وجبال طبرستان المازيار وكانت ولاية "محمد بن موسى" بعد أبيه ستة أعوام وعندما حضروا الأمر إلى مازيار أمر المنادى بأن ينادى في مدينة أمل باجتماع جميع المعارف والأعيان ووجهاء ومشاهير ولاية أمل في الديوان كما أحضر أيضاً "محمد بن موسى" ودفع بالجميع أمامه من ذلك المكان ووقف من خلفهم وحملهم إلى رودبست وأمر بحبس كل واحد منهم في منزل منفرد وجعل على كل واحد منهم حراساً من أتباعه الذميين ، فكانوا يقدمون إلى كل واحد منهم ما يحتاجه من القوت يوماً بيوم إلى أن وصل إلى "طبرستان" في هذا العام أيضاً خبر وفاة المأمون في نواحي الروم بأرض قديم فأرسل مازيار على الفور أتباعه من المجوس وأمرهم باقتياد تلك الجماعة من "رودبست" إلى هرمزد آباد وأمرهم بتقييد كل واحد منهم بقيدين وفي كل قيد ثلاث حلقات ، وضيق عليهم قوتهم ولم يسمح بإعطائهم ملجأ وحملهم إلى الحمام بحيث لم يكن لدى "محمد بن موسى"

وأخيه سوى حصيرة بالية وقطعة من الأجور يضعانها تحت رأسيهما فهلك معظم الأشراف وكل من بقى منهم كان وضعه هكذا وأمر بهدم قلاع أمل وسارى وأقام القلاع فى "قوهستان" ولم يدع شخص قط فى كل الممالك أن ينشغل بعيشه وعمارة ضياعه حيث انقطع الجميع لأجله لإقامة القلاع والقصور والخنادق وأمور الحفر ، فأقاموا طرقاً بكل أرجاء طبرستان وأقام عليها الرباطان وجعل فيها أفراد للحراسة حتى لا يخرج شخص ويحمل خبر ظلمه وخسته وحيثما كان يوجد شخص بدون أمره وإذنه فى أى من تلك الأربطة كان يأمر بشنقه إلى أن بلغ ظلمه حداً لم يبلغه أحد قبله أو بعده حتى اليوم ، فلما لحق المأمون بأسلافه كان معه أخوه إبراهيم المعتصم فبايعوه على الخلافة وشرحوا لعبد الله بن طاهر فى خراسان أحوال مازيار وسيرته السيئة وكفره فبعث إليه برسول فتشفع لمحمد بن موسى وأخيه ولم يسمع كلام عبد الله وأغلظ فى الجواب "لرسول" وقال سوف أطلب منهم خراج عامين ، فعاد الرسول يائساً فكتب عبد الله بأمره لإسحق بن إبراهيم بن مصعب الذى كان فى بلاط الخليفة فعرض الأمر على المعتصم، فاسند مازيار أمور المسلمين وحكمهم لبابك المزدكى وبقية الذميين المجوس فكانوا يخربون حتى المساجد ويزيلون آثار الاسلام فقص أهل أمل مصادقة لأبى "القاسم هارون بن محمد" فكتب بالمضمون إلى المعتصم :

{ بسم الله الرحمن الرحيم } إلى الوالى المسدد والكالى المسود والراعى المؤيد المعتصم بالله والمنتصب فى الله "أمير المؤمنين" وخليفة رب العالمين ومستقل آمال الراجحين من أغراض بلایا مظه وأنفاض رزايا قلة أسراء النعمة وسلباء النعمة. شدهتم البلية وخذلتهم الجماعة فأصبحوا الرحى الأسر طحناء وبأيد الكفر رهناء أما بعد! "أمير المؤمنين" فإن من راحة الشاكى الشكوى وبث البلوى استماع النجوى وحسبك من خبر عيانه ومن مدع برهانه من المذرعون بالإسلام المأمونون بطاعة الإمام، أبناء الدعوة المهدية الدولة "المرضية" ترفهنا بها عيشاً مفضراً وتمتعنا منها دهرأً منضراً حتى إذا استرجع ما أجدى وناكد وأكدى تنمر فاردى من تكل السن الوصف عن طغيان وتحسر ركاب النعت عن عدوانه فرعانا رعاية الذئب للنقد وشردنا من بلد إلى بلد لا يحنو على أهل ولا ولد يهشنا بعصا العصبية ويسوسنا بيد

الحمية فانقدنا ذلاً لطاعة "أمير المؤمنين" وحفظاً على بيعته وتأكيداً للمعذرة إليه
واستدعاءً "لنفير" عليه فكنا كما قال:-
إذا ما تعالى قادر لك فاصطبر عليه عسى تشفيك منه العواقب
فإنك (إن) لا تصطبر لا تضره ولا تجلب به شراً عليك الجواب

حتى إذا أبطره البغى فشره، وكبته الكفر فسنة، قرع باب كفره، ونشر مطوى
أمره نصب شرك الحيل فى مزدرع أمانة وجفرها حبائل طغيانه، ومدّها بسلطانه
فقتلنا بغدره وأسرنّا بمكره والله خير الماكرين، فأصبحنا كما قال القائل :
كنا كقرية قوم لم تزل حثاً (كذا) .

يعتامها رزقها من ربها رغداً من الأماكن حتى قدر الحول
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم والباقيات على أبنائها الشكل

فلم تر يمين أحسن عزاء على البلية وأسمع قياداً إلى المنية من يافع تبكيه أمه
ويتم يرثيه عمه وغريب نجذه همه وشيخ بيضه غمه حفاة يرزخ الثرى أقدامهم ،
ويسلب الأسار أفهامهم حتى إذا استودعوا مطابق الموت ومضايق الفوت حينهم
مخزون وميتهم غير مدفون والله المقادير كيف حد بهم (كذا) فاستوثقوا ليومهم
واعصوبوا لحينهم ، غارت عقولهم لاغتياله وضاعت رويتهم لاحتياله وكان أمر الله
قدراً مقدوراً وامراً مسطوراً فسنةهامهم تضرعوا لأمير المؤمنين وأمتروا أخلاف عدله
واستمطروا عارض فضله بوفائهم عهداً بعهد الله مقرونا :

وقائلة حرتم غداة يسوقكم أسارى إلى الفور قلف الأساور
لعمرك لو شئنا امتنعنا وأصبحت بنو قارن فسينا طحين الدوائر
ولكن وجدنا الله أكد بيعة لمعتصم بالله للدين ناصر
فقال أطيعوا ربكم ورسوله نعم والذي لأمر الكرام العناصر
ولا تنقضوا الأيمان من بعد عهده فمن ينقض الأيمان أخسر خاسر
وأوفوا بعهد أوف بالعهد إننى أنا الله جبار الملوك الجبابر

وإننا وطينا بالإمام رجائنا
أيرضى أمير المؤمنين بما نرى
أجعلنا نهب المجوس وما نرى
تنبيه أمير المؤمنين الخالع
فإن ينبح مثل المازيار ولم يذق
فأخلق بحبلى أن يدب جنينها
وما هو فى كفيك إلا كبصقة
وإنى ألقى مازيار كأننى
إذا دلفت راياته نحو بلدة

وقال شعراً آخر:

بكر الزمان بذئبه فتنكرا
أبلغ أمير المؤمنين رسالة
من عصية نالوا بطاعتك الأذى
ناطوا الرجاء بحبل عدلك أنه
أنت الأمان من الزمان وذئبه
أريت بالإحسان كل محسن
فعلام طبرستان منك خصيصة
شمر فإن السيل قد بلغ الزبي
أنى أرى شجراً تورده فرعه
وإذا السماء تمخضت برعودها
ولقد ترانا بين نارى فستنة

وآمال أمر (كذا) من نساء حرائر
وليس أمير المؤمنين بجائر
إليهم سوى دين الهدى من جرائر
كفور لنعماء الخليفة كافر
سلافة موت من كؤس البواتر
وأخلق برعد أن يغب بما طر
بزقت بها فى مفعم البحر زاهر
أرى رأسه تاجاً لرمح ابن طاهر
أنته بما يهوى صروف المقادر

لما تغير دأيموه تغيراً
حنت وارسل مرسلوها حراً
من مازيار وأملوك لتنصر
عدل تراه منجداً أو مغوراً
تشنى الهدى فيه وتعصى المنكرا
وأقام سيفك فاستقام الأزورا
أضحت خلاء من سمائك معفرا
وأرى بن قارن قد أجسد وشمرا
أخلق به متورداً أن يثمرا
وبروقها فجديرة أن تمطرا
لا نستطيع تقديماً وتأخراً

عاف الحيوۃ (كذا) مازيار وغرة
البغى أبطره الشقى فقاده
كذبتك نفسك أنت باحث حتفه
بأبى وأمى لو رأيت ولا رأيت
من يافع تبكى عليه أمه
ومشايخ زهر رأيت عليهم
تتحرك الأرواح فى أجسادهم
غاداهم ساقى المنايا غدوة
قل البكاء عليهم لذوى البكاء
لا تعم عينك هل رأيت كمعشر
صبت البلاء عليهم فتجرعوا
قرت عيون الشرك إذا نصبت لهم
تا الله لولا بيعة لك لم يؤب
كم للحوادث من مقل معدم
كم قد أذل الدهر من ذى عزة
استرجع الدهر الذى أعطاهم

يا ابن الرشيد عديدة فاستكبرا
لهلاكه والبغى قدماً أبطرا
مستقدياً من يومه ما استأخرا
عينك سوءاً عاثرين وعثيراً
ثكلى بحى بن يموت فيقبرا
بله السماحة زينة وتوقرا
مثل الغضا البرى لام فعشر
فسقوا بكأس الأمر موتاً أحمر
جهد الحزين إذا بكى أن يغدرا
سيقوا بأهل للمنية معشرا
بل كان يوماً بالبلاء مقدر
شرك الردى خيطاً ألم فدمرا
بالأمن من المازيار تمزرا
نال الثراء فعاش عيشاً مغضرا
من بعدما كان الأعز الأنصرا
غدرأ فيا بؤساً له ما أغدرا

حتى كتبوا الجواب من دار الخلافة :-

(من المعتصم بالله أمير المؤمنين إلى من "بطبرستان" من المسلمين سلام عليكم
فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو العالى فى دنوه الدانى فى علوه
الذى فى ملكه توحيد، وفى سلطانه تفرد ونسأله الصلاة على محمد وآله الأتقياء وسائر
الأنبياء .

أما بعد: فقد بلغ أمير المؤمنين ما نعتم وفهم ما نطقتم وفقه ما نسقتم من أمثالكم الموشحة بأشعاركم واستيقن أنكم تمسكتهم ببيعة (نرسنا) للإسلام ورغبة في دار الإسلام وفردتم من حندس العمى إلى ضياء الهدى ونشرتكم طباعة الخليفة وطويتم عصيانه طى الصحيفة فبغى عليكم الأشر الطاغى البطر الباغى فى زاوية الذين رقصوا الدين ومنهاجه وأخمدوا نوره وسراجهم وخلعوا ملابس الإيمان ولبسوا مساوئ الطفيان ، فهم من حصون المحنة خرجوا وفى شجون الفتنة ولجوا إلى الخروج والضلالة عرجوا فعموا فى حنادسها وارتقوا قلل الجهالة وعلوا غرب المضلالة ، وأوقدوا نار الفتنة وأخمدوا ضياء الحسنه فم إذا بعد الحق إلا الضلال وإلى الموازين يرجع الوبال . فعز على أمير المؤمنين أن صرتم أهداف المنايا وأغراض البلايا وذلك أعظم الرزايا وما ينتظر الفرح إلا عند نزول الترح وإن مع العسر يسرا، فأحدثوا على الإسلام شكراً وذكرتم لأمر المؤمنين أنكم صرتم للمنايا أغراضاً وللبلايا أغراضاً فكم من غرض بقى بعد نفاذ سهام ووتر انقطع على قوس رام ، وعارض انقشع بعد رهام وذكرتم أنكم صرتم إسراء النعمة وسلباء النعمة قرب أسير كان على الأسر وبالأومسلوب رزق أضعاف ما سلب مالا وكم بلية خيفت أن تدوم دهرأ فما دامت شهراً ، وذكرتم أن الطاعة أبلتكم وأن الجماعة خذلتكم فمن ابتلى بسبب طاعته دارته العافية من ساعته ، وذكرتم أنكم صرتم رهناء بأيدي الأسر وطحناء لرحى الكفر فلعل الله أن يديرها على الباغى بانقضاء أجله وعاقبة سوء عمله ، فيجعل بناءها منقرض عيشه وفناءها تدمير جيشه وماءها زوال ملكه وطحنها إقبال هلكه وقطبها انقلاب دولته فالرحى يدوم تنقلها فيوماً يطحن حنطة غنى رائس ويوماً يطحن ذرة فقير بائس ، وكم من ساق شرب وألحقه السكر بدمائه فالدهر ينقل من حال إلى حال والزمان يختلف بأجال وأعمال، ذكرتم لأمر المؤمنين فقد مختصب مراتعه وسير حلكم من محلة الشكوى ومظنة البلوى إلى مواطن الرضى ومساكن الهدى بإذن الله ومشينته والشكوى نوعان نوع يقدر على تغييره عاجلاً ونوع يحتاج إلى تدبيره أجلاً ، وذكرتم لأمر المؤمنين أنكم بالإسلام مذكورون وبسبب الطاعة مجتمعون، فقد اكتسبتم بذلك عند الله صدق العذر وعند أمير المؤمنين طول الشكر وذكرتم إنه بعد نعمانكم الأدبار ودرس من لذاتكم الآثار فريما كان أول

العيش غضارة وآخره خسارة ، وذكرتم أن الراعى رعاكم رعاية الذئب للنقد والذئب

إذا أمكن خان وإذا منع بان والساعى معاتب والباغى معاقب كما قال الشاعر:

متى ما بغى باغ عليك بجهله	توقع له الحرمان فهو معاقب
وذو الصبر منصور سينصره مرة	ولو بعد حين إن ذا الصبر غالب
وقد يدرك المدخول والذحل يتقى	وأن الهمام الحر للذحل طالب
فلا يكسبن الشر من كان عائلاً	فإن إله الحق لا شك آيب

وذكرتم أنه شره حتى ضرى وسفه حتى قوى فما يصطاد الذئب الا إذا شره ولا يخلع الراعى الا إذا سفه ، وذكرتم أنه نصب لكم شرك الحبل وحمله على ذلك تمام الجهل فخدعكم مكرًا واقتنصكم غدرًا ، قرب مقنوص انفلت من القانص ومخفوض اجترأ على الخافض فعسى الله أن يقلع شركه فاجعلوا حصن أملككم ملجأ يسبب الله منجا ويجعل لكم مخرجاً فقد يرجى النصرة ممن أمكنته القدرة كما قال الشاعر:

وتوقعوا نصرة إن كان يقصدكم	أعدى عدو لكم قد غره الأمل
ما يقوم ثمود فى مدينتهم	قد وكل الله إذ أغواهم رجل
يدعى قدار فلما أنهم عقروا	لربهم ناقة والدين ما قبلوا
وكذبوا صالحاً ذو القوس أهلكهم	فأصبح القوم صرعى ما لهم زجل
إذ صاح جبريل يوماً فى محلتهم	صاروا إلى حرهم ما لها شغل

وذكرتم أمر شبان محزونين وشيوخ مكبولين وكهول مغلوبين أيتام مقتولين فحزن لذلك أمير المؤمنين ، وسأل الله صبراً جميلاً فإن يكونوا جعلوا للسهم أغراضاً فقد وردوا من الشهادة أحواضاً وأسكنوا من الجنان رياضاً فمن مات منكم فقد ارتحل من ورطة ومن عاش منكم صار إلى غبطة ، وذكرتم لأمير المؤمنين أنكم رجوتم أن تجتنوا ثمرة عدله فسوف يهزلكم من عطفه أشجاراً فيسقط لكم من فروعها أثماراً مسها العقل ولونها النبل وطعمها العدل فعند ذلك يتحقق قولكم ويسكن لدى الأمن هو لكم كما قال الشاعر:

أجيبوا إلى الموت الذى ساقكم له
فإن اله الناس عون معيننا
وإن أمير المؤمنين فقائد
كأنهم أسد معاز خيولهم
فليتكم يا صفوتى من رعيتى
وإن ينج منى المازيار فسوءة
وألبيه من كسوة القتل جبة
فقد استيقن "أمير المؤمنين" أنكم بالصواب نطقتم فى جميع ذلك صدقتم
وأخفيتكم أكثر مما أبديتكم وحق الخليفة رعيتم وبالإمام استعنتم ، وإيجاز الكلام
استعملتم والإيجاز أحسن شىء والحلال أهناً فيىء والمستعان الله العلى القادر ،
وأمير المؤمنين له عبد لا يملك لأحد نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا إلا بإذن من
خالقه ، فيسأل الله صبرا جميلا على النصر دليلا والصابر منصور والطاغى مقهور
ويعاقب الباغى ولو بعد حين ، ويصطاد الحية برفق ولين واعلموا أن حق الإمام على
الرعية الطاعة وأفضل الأعمال معية الجماعة ومن بغى على الآخرة أهانه الله وما كان
لأمير المؤمنين علم بما أخبر تموه فقد انتبه لما نبه وإنه لذلك من قبله من جنده ومواليه
سائر رعاياه واستعان بالله وتوكل عليه ورغب فى النصر إليه فإن الظفر من الله
سيرحكم أمير المؤمنين من محلة البلوى جوار الذل وسجونه إلى ديار العز حصونه ،
ويرفعكم من لا تضاع والخمول إلى الرجاء والرغد والفسحة والنصرة ليست بيد
الإمام إنما هى بيد الخالق العلام والتوفيق به والقوة له ، وأمير المؤمنين يسأل الله أن
يمكنه من البغاة كما أمكنه من الطغاة من أهل غور الذين حبسوا الإتاوة وأظهروا
العداوة ، وكما سلطه على أهل الروم الذين حبسوا المسلمين فأنقذهم الله بأمير
المؤمنين وأيده فرحاً مسروراً مستبشراً منصوراً وما نال ذلك أمير المؤمنين
بجنده وتبعة ملكه وسلطانه بل بحول الله الذى هداه وأمدّه ، وأمير المؤمنين وكل
لمحاربة العدو الذى بإزائكم وبين ظهرا نيككم عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين ،
فعقد له لواءه الأحمر وقلده سيفه الأزهر وجعل له طرفه الأشقر فقدم خراسان فى
جيش إلهام وطبول وأعلام ، فإن احتاج إلى مدد من عند أمير المؤمنين أمدّه وإن

احتاج إلى مال أرفده والله المؤيد بنصره وأمكنه الله من الذين عصوا رب العالمين
والله ناصر أمير المؤمنين وعليه فليتوكل المتوكلون ، فإن كان فيما أجابكم أمير
المؤمنين بغى أو كبر أو تيه أو فخر فليستغفر الله أمير المؤمنين من ذلك أنه غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول لا إله إلا هو إليه المصير ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير، وكتبه محمد بن عبد الملك .

وعندما علم المعتصم بأحوال مازيار أجاب على رسالة عبد الله بأن يمضى إلى
طبرستان وأن يقبض عليه فأرسل عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين إلى
الخليفة ، وطلب منه أن يرسل إليه بالمدد من جانب العراق فبعث إليه محمد بن
إبراهيم مع عمه عبد الله ، فلما وصل جيش خراسان إلى تمشيشه كان الجيش قد
استولى على كل قوهستان وتخلّى أهل الولاية عن مازيار وانضم لعبد الله بن طاهر
عمه وفى كل موضع كان ينزل فيه مازيار كانا يغيران عليه فجاءة وفى آخر الأمر تم
أسره ووضع عبد الله فى صندوق مغلق لا يوجد به ثقب قط إلا موضع العين ووضع
فوق بغل وتوجه به إلى العراق وقال لمازيار ذات مرة وهو فى طريقه إلى العراق
للسائس البغل إنتى اشتهى البطيخ ألا تستطيع أن تحضره لى فمضى نوابه إلى
عبد الله بن طاهر وقالوا له هذا الكلام فأخذته به الشفقة وقال إنه ملك وابن ملك
وأمرهم بأن يفتحوا الصندوق وأن يحضروه إلى مجلسه مكبلاً فوضع أمامه حملاً من
البطيخ وكان يحمل ويعطيه بيده وقال له لا تغتم قط فأمر المؤمنين سلطان رحيم
وسوف أتشفع لك عنده حتى يعفوا عن جرمك ويعيدك إلى الولاية فجاء على لسان
مازيار إنشاء الله سوف يقبل شفاعتك فتعجب ابن طاهر من كلامه هذا ، وقال إن
الخليفة لا يريد شيئاً قط سوى قتله فبأى وسيلة سوف يقبل تشفعى ، فأمر بأن
يضعوا المائدة وأعطاه الخبز وأمر بإحضار الشراب كما أمر بإحضار المطربين
الظرفاء وأعد مجلساً مزيناً بأنواع الرفاهية وأجلسه وأخذ يمينه ساعة فساعة ،
وكانوا يوالون منحه من الخمور المركزة حتى غلب عليه السكر وكان عبد الله يبعد
عن نفسه كئوس الشراب إلى أن سلبه عقله عندئذ سأل له لقد جرى على لسانك
اليوم أن نطلب لك العذر فلو تساندنى فى كيفية ذلك يقوى قلبى ويزداد حماسه فى
ذلك الصدد فقال مازيار سوف تعلم بعد عدة أيام فقال له مرة أخرى كيف ؟ هذا إذا
كان لديك من سبب لأخلصك من هذا الصندوق ومن هذا التعذيب الذى بلا فائدة

ولأقوم برعاية حقوقك بعد المؤاكلة والمشاربة ، فقال يجب أن تقسم لى فأقسم عبد الله بن طاهر ، فقال مازيار اعلم أننى وأفشين خيذر بن كاوس وبابك تعاهدنا نحن الثلاثة منذ عهد بعيد واتفقنا على أن ننتزع الدولة من العرب وأن ننقل الملك وشؤون العالم إلى الأسرة الكسروية ولقد أبلغنى أول أمس رسول أفشين فى الموضع الفلانى وهمس لى بشيء فى أذنى فأصبحت مسروراً ، فقال عبد الله بن طاهر وماذا كان ذلك الذى بلغك إياه ، فقال مازيار لن أقول فألج عليه ابن طاهر بتملق واستمالة حتى قال مازيار أقسم قسماً آخر فأقسم عبد الله بن طاهر: بأن بلغتني رسالة من أفشين أننا فى اليوم الفلانى فى الساعة الفلانية سوف نقتل المعتصم وأبنائه هارون الواثق وجعفر المتوكل فأمر عبد الله بتقديم مزيد من الشراب له حتى ثمل تماماً ، فأخذه وحملوه إلى موضعه وكتب فى الحال إلى المعتصم بهذا الخبر وكل ما جرى فى هذا الأمر وطير تلك الرسائل مع الحمائم وكان أفشين قد أقام حفلة فى ذلك اليوم ودعا هارون وجعفر بأن يأتيا إلى منزله فقال المعتصم هما مريضان سوف أحضر أنا وركب مع خمسين فارساً وذهب، وكان أفشين قد أعد قصره بالحرير المرصع والقباب وجهاز مائة شخص من جنده حتى إذا ما نزل المعتصم يأتون إليه من الجوانب ويضربون سيوفهم ويوصل المعتصم إلى باب البيت فقال أفشين تقدم سيدى فتوقف المعتصم وقال أين فلان وفلان ؟ واستدعى أعوانه وأمرهم بأن يمضوا إلى الداخل وظل هو واقفاً بالخارج فعطس أحد أولئك الهنود فأمسك الخليفة بلحية أفشين وأطلق صوتاً قائلاً:

النهب، النهب، فلما سمع الهنود ذلك هربوا واضطربوا فأمر المعتصم أن يحضروا أبناءه ورجاله وأمر بإشعال النيران فى ذلك القصر ، وأمسك الغلمان بلحية أفشين من يد الخليفة وكبلوه بالسلاسل والأغلال وأحضروه إلى دار الخلافة وتحفظوا عليه حتى وصل مازيار فسأله لماذا خلعت الطاعة فقال أنتم منحتمونى ولاية طبرستان فتمرد أهلها فشرحت للحضرة فجاء الجواب بأن قاتلهم ، فبعث الخليفة قائلاً أى شخص كتب لك ذلك الجواب فقال مازيار أفشين فأمر الخليفة بأن يحضروا فقهاء بغداد وأن يفتوا بشأنهم ووفقاً لفتواهم أمر بقتل الأول حداً ثم علقوا جثته بعد ذلك فى ساحة بابل ، ثم أحرقوا أمامه ناطس الرومى صاحب عمورية وأفشين وكان حكم مازيار على فلاة وجبال طبرستان سبعة أعوام ، وألت قوهستان من بعده إلى بندار بن موزه وولى الحسن بن الحسين بن مصعب عم عبد الله

ابن طاهر على عرش "طبرستان" فضبط أطراف الولاية بسيرته الحسنة وخصاله الطيبة وعدله الشامل وإنصافه الكامل وظل حكمه نافذاً على الولاية ثلاثة أعوام وأربعة شهور وعشرة أيام ، وكان قد كلف محمد بن إبراهيم بأن يسعى وراء الحصول على أموال مازيار، وكانوا قد قضوا على كثير من الناس فى تلك المناطق وتوفى الحسن بن الحسين فى طبرستان فى ذى الحجة عام ٢٢٦هـ وخلفه طاهر بن عبد الله بن طاهر على حكم طبرستان وكان له عام وثلاثة أشهر فى الحكم حين بلغه خبر وفاة أبيه عبد الله فى خراسان فأجلس أخاه محمد بن عبد الله مكانه ومضى هو إلى خراسان وحكم سبعة أعوام وكان عتاب بن الوراق الشيباني مع طاهر بن عبد الله فى طبرستان فنظم هذه القصيدة :-

إذا ما الجبال أتت بالنبات	وأنوارها الحسنات العجب
أت طبرستان من بينهن	بما ليس فيهن أو يجتلب
توردها طاهر بالجنود	فى جحافل ذى عديد لجب
فأخمد نيران كفارها	وذلل من أمرهم ما صعب
ودار بهم فى الجبال الوعود	وفى بلد ذى حبيب هذب
ترى غيثه فيه طوع الغمام	والغسيم طوع رياح تهب
فبيضاء قد أفرغت ماءها	وسوداء ذات غزال تصب
ويخفاف الرجال أذاها إذا	دحت فوقهم كالعدو الكلب
فتجلو أخلة أسيافهم	وتصدأ سيوفهم فى القرب
كأن بروق غماماتها	بريق صوارمهم تضطرب
إذا الرعد ناح بأرجائها	حسبت سحابتة تنتحب
ترى الخيل يقمص من تحتها	فطرف يخسر وطرف يشب
يجذ الغصون بأعطافها	وترسخ فى الوحل منهسا الركب
كأن عليها علاظ القيود	فقد صرن يسبقن بعد الخبب

وليست بمطلقة بالسياط ولا زجرها بهـلا أو أتهب
وفرسانها في نحور العدو فـقلب وقـور وقلب يجب
له فـزعـة عند وقع السلاح كـفـزعـة نفس كـريم تسب
وفى صفر سنة ٢٣٧هـ توجه محمد بن عبد الله إلى بغداد ، وأحضر سليمان بن
عبد الله إلى طبرستان ، وعاش باحتياط من سنتين إلى ثلاث ، حتى عين على
الوزارة من قبل كتاب مرو منصور بن يحيى سنة ٢٤٠هـ ، فأحدث في الولاية بدعاً ،
وسلم المال لأيد غير أمينة فعلم طاهر بن عبد الله بهذا الأمر فعزل ذلك الوزير وعين
لوزارته محمد بن عيسى بن عبد الرحمن ، وبعث المعتصم في هذا العام خادماً من
وجهاء البلاط إلى الإصفهـد قارن بن شهریار ملك الجبال (٢٢٣) لتهنئته على أنه قبل
الإسلام وخلع زناره وتولى محمد بن عيسى طبرستان نيابة عن طاهر ، فزينها بالعدل
وطهرها من البدع والظلم إلى أن بعثوا مرة أخرى بسليمان بن عبد الله فأتى
عبد الله بن قريش على أمل فترة وبعده بعث بأسد بن جندان فاستقبله أهل أمل ونظم
أبو الغمر هارون بن محمد قصيدة قال فيها:-

ولما تلقيناك أشباحهم لقـيـتـك با بنة ود صحـيح
أسرو واظهر قبل السرور سـرـور الخليل برد الذبيح
ودنت بحبك حـتى غلوت غـلو النصارى بحب المسيح
وقارنت ذكراك حتى كـأني وإياك لا جسمان قاما بروح
وردت علينا ورود الربيع بوجه صبيح وفعل صريح
وقد أنجح الله فـسيك المقـال لأنك أهل الفـعمال النـجـيح

فلما قرأ عليه هذا الشعر لم يبد أى اهتمام ولم يلتفت إليه إلى أن قال ما يلى :-

نكصنا على الأعقاب عند أميرنا وكنا زماناً عنده نتقدم

يساوى بنا من لا يساوى رجيئنا ومن هو سيان إستنه منه والفم
فإن كان هذا دأبنا منه نرتحل بليل ونأتى حيث نحبي ونكرم
وان يكن الأخرى غفرنا الذى مضى فقد يعثر الطرف الجواد المطهم

وبعد فتره عزله سليمان من ولاية أمل وعين مكانه محمد بن أوس فضم رويان
وجالوس إلى بعضها وأجلس "محمد بن أوس" ابنه أحمد فى ثغر جالوس وأسند إليه
كلار أيضاً وبلغ من ظلمهم واستهزائهم واستخفافهم حدا أن باع الأهالى بكل
أملكهم (٢٢٤) والأشخاص الذين كان لديهم ثروات تركوا منازلهم ومضوا إلى ولايات
أخرى حيث كانوا يأخذون الخراج ثلاث مرات فى العام مرة لمحمد بن أوس وأخرى
لابنه وثالثة للمجوس الذى كان وزيرهما .

"ذكر تغلب السادة الطالبية على ولايات طبرستان"

وفى هذا التاريخ ألت خلافة بغداد لجعفر المتوكل بن المعتصم وكان له وزير هو
عبد الله بن يحيى بن خاقان وكان ناصبى المذهب فكان يحرض دائماً على سفك دماء
آل الرسول عليهم السلام ولم يكن لشروعه نهاية لدرجة أنه هدم مقابر شهداء كر بلاء
وأطلق فيها المياه وزرعها وبعث باليهود إليها وأنابهم عليها بحيث إذا ما نزل بها
مسلم للزيارة يقبضون عليه ويقتلونه ويقول لأمير أبو فراس الحمدانى رحمة الله
عليه:-

لبئسما لقيت منهم إن بليت بجانب لطف تلك الأعظم الرمم^(١)

(١) يروى ابن الأثير أن فى هذا العام - ٣١٦ - أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على عليه السلام
وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وكان المتوكل شديد البغض لعلى بن أبى
طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علماً وأهله بأخذ المال والدم

ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ج ٥، ص ٢٨٧. وانظر الفتوحات الإسلامية والعلاقات السياسية فى
آسيا دكتور محمد نصر مهنا - الإسكندرية ، ١٩٠٠ ص ١٩٩ - المترجم .

وحتى عهد الداعي محمد بن زيد كان مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام ومشهد الإمام الحسين عليه السلام وسائر مشاهد الطالبية مخرباً ولما وصل محمد بن زيد إلى ملك طبرستان وكان المنتصر هو خليفة بغداد دعا لمذهب التشيع وبلغت حرمة آل أبو طالب الغاية ، وكان من آل عباس السفاح ولكن لم يجرؤ على قتل أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وقام محمد بن زيد بعمارة المشاهد على نطاق محدد وحيثما عثر على موضع لقبر تخميناً كان يقيمه ، وفي عهد عضد الدولة قام فنا خسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه بإقامة مشاهد كثيرة والتي لا يزال الكثير منها باق حتى هذه الساعة ولم يخرب ، وأقام بها القسبة والقلعة والمنزل والسوق وكان يذهب لزيارة عاشوراء والغدير وذلك على نسك الطائفة الشيعية ويقيم هناك باليوم واليومين ولا يزال مشهد عضد الدولة باق حتى الآن بمشهد أمير المؤمنين على عليه السلام في قبو تحت الإيوان ، وقد رأيت وزرته وروى أنه حينما تولى المتوكل الخلافة كان يميل إلى قتل سادات آل رسول الله مثلما يميل شخص ما إلى هواية الصيد وسائر اللهو ، وكان في عهده على بن محمد الهادي العسكري عليه السلام الذي كان إمام الشيعة استدعاه ذات يوم وأجلسه عنده على وسادته ثم توجه إلى على بن محمد النديم قال له من هو أشعر أهل العصر ؟ فقال أبو عبادة فقال ومن بعده قال عبيدك ولد مروان ابن أبي حفص ثم بعد ذلك وتوجه إلى الإمام على بن محمد عليها السلام وقال له من أشعر الناس يا ابن العم فقال على بن محمد الكوفي قال المتوكل ولم قال قوله :

لقد فاخرتنا من قریش عصابة بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل ما نداء الصوامع يا ابن عم قال أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله وقد كتبت كل هذه الأبيات:-

ترانا سكوئاً والشهيد بفضلنا عليهم جهير الصوت في كل مجمع
بأن رسول الله لا شك جـدنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

ولهذا السبب وسائر الأسباب فقد قتل الإمام "على بن محمد الهادي" عليهما السلام وكان مشغولاً ليل نهار بالخمر والزمر والفجور والمجون ، وقد ورد في كتاب النوادر للأصمعي برواية عن "أحمد بن صالح الدمشقي " أن "يوسف بن عبد الله" قال : سمعت من البحتري أنه نظم قصيدة مشهورة لجعفر المتوكل والتي تبدأ " عن أى ثغر تبتسم " وجلست عدة أشهر بجوار البلاط لأتحن الفرصة لعرضها ولأنه لم يكن يسمح للشعراء ولا يعرف الشعر فلم تتيسر لى الفرصة وكنت قد جلست ذات يوم بدهلينز من الدهاليز فخرج الخادم نحير ، وقال لى اليوم يومك يا بحتري فتهياً لأدخلك فقلت قرابة عام وأنا مستعد والقصيدة فى كمى فأمسك بى وأخذنى من الدهليز إلى المقصورة ومن مقصورة إلى دهليز حتى أحصيت ثلاثمائة مقصورة إلى أن بلغت بهو بلغت عيني آخره بجهد جهيد فنظرت بإمعان فرأيت المتوكل جالساً على كرسي ذهبي وقد وضعت كراسى ذهبية وفضية وجماعة من الندماء تتشع بسدريات سوداء لها أزرار من الذهب قد جلسوا على تلك الكراسى ، فحملونى على موضع يصلنى فيه صوت المتوكل ثم أنزلونى فقال المتوكل انشد يا بحتري وأخذت ألقى الشعر قبل إلقاء السلام وقلت رغم أن هذا فيه سوء أدب وعدم احترام ولكن الأهم هو تنفيذ الأمر وشرعت فى هذه القصيدة .

عن أى ثغر تبتسم وبأى طرف تحسبكم

وفى الحال نهض واحد من تلك الجماعة من الندماء وطالع فى وقال :-

عن أى سلح ترتطم وبأى كف تلتطم

فتلجم لسانى وعجزت وقلت لنفسى منذ عام لأقول هذه القصيدة ولم أعرضها لأحد قط فكيف عارضنى هذا الرجل على البديهة وبعد ذلك قلت لنفسى إن بيتاً واحداً سهل ومن الممكن أن يكون توارد خاطر فطالعت فى المتوكل وقلت:-

أعملت فيك مدائحى يا جعفر بن المعتصم

فقام نفس الرجل مرة أخرى على الفور وطالع في وقال :-

أدخلت رأسك في الحسام فسوف منى تنهزم

فقهقه المتوكل ضاحكاً وسقط على ظهره وبعد التاج عن رأسه وفي الحال أمر
للنديم بعشرة آلاف درهم وصفعوني عدة صفعات على قفائي وأخرجوني ووصلت إلى
الداهليز في إثر ذلك الرجل ومعه خادمه يحمل على كاهله الدراهم ، فسألت نحرير من
هو هذا الرجل فقال إنه "أبو العنيس الصيمري" لو كنت قد أتيت بألفي بيت لكان قد
عارضك فيها في الحال .

والخلاصة أن السادة العلويين كانوا مختبئين في عصره في الزوايا والبوادي
والخرابات حتى توفي المتوكل أيضاً وتقسم الملك بين أبنائه الثلاث ، وجلس أكبرهم
المنتصر على الخلافة فخرج العباسيون عليه وتمكن الأتراك ونهبوا خزانة سامراء
وحاصره أهل بغداد لأنه قد فر إليهم مستعيناً بهم ، وانتهى أمر الخلافة إلى الخلاف
وخرج في الكوفة "يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين
ابن أمير المؤمنين" على عليه السلام " فكان سيداً فاضلاً وزاهداً وشجاعاً وقال
له أهالي الكوفة لقد غامرت بمثل هذه المغامرة لضيق اليد ونحن نفديك بالأموال
فاقعد عن هذا الأمر حتى لا تشتعل الفتنة فأقسم الطلاق أني لا أخرج تعصباً لأن
دين الله قد أذل وأحكام الشريعة قد نسخت وسوف أمضي في هذا الأمر ولو قتلت
في سبيله .

لست ذلك الرجل الذي يخشى الموت فذاك النصف "الآخرة" أفضل لي من ذلك
النصف "الدنيا" فبعث "محمد بن عبد الله بن طاهر الحسين" به مع إسماعيل والذي
كان من قواده مع تركي يدعى "كلبا تكين" لقتاله فأمسك بالسيد وفصل رأسه
وأحضرها إلى "محمد بن عبد الله بن طاهر" فكان أهل بغداد يأتون إليه بالتهنئة
ودخل عليه "أبو هاشم داود بن القسم الجعفرى" الذي كان سيداً معروفاً وشيخاً
وقال له : أيها الأمير جئتك مهتئاً .

بما لو كان الرسول حياً لعزى فيه ^(١)، ولم ينظموا مراثى كثيرة لأى من السادة الذين قتلهم بنو العباس مثلما نظمت فى شأنه ولابن الرومى رحمه الله هذه القصيدة:

أمامك فانظر أى نهجيك تنتهج	طريقان شتى مستقيم وأعوج
أفى كل يوم للنبي "محمد"	قتيل زكى بالدماء مخرج
سلام وريحان وروح ورحمة	عليك وممدود من الظل سجع
لا أيها المستبشرون بيوميه	أظلت عليكم غمة لا تفر
لعمري لقد أغرى القلوب ابن طاهر	بفضائكم ما دامت الريح تنأج

ويقول "على بن محمد العلوى" فى حق "محمد بن عبد الله بن طاهر":-

قتلت أعز من ركب المطايا	وجئتك أستلينك فى الكلام
وعز على أن ألقاك إلا	وفسيما بيننا حد الحسام
وفسيما بيننا حد الحسام	قوادمهاترف على الأركام

وله أيضاً فى رثاء يحيى :

تضوع مسكا جانب النهر أن ثوى	وما كان لولا شلوه يتضوع
مصارع أقوام كرام أعزة	أتيح ليحيى الخير فى القوم مصرع

(١) وقد جاء بتاريخ الطبرى قوله "وذكر عن بعض الطاهريين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله وهو يهنا مقتل يحيى بن عمرو بالفتح، وجماعة من الهاشميين والطلبين وغيرهم حضور فدخل عليه داود بن القاسم أبو هاشم الجعفرى فيمن دخل، فسمعهم يهنتونه، فقال "أيها الأمير أنك لتهنا بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً لعزى به" فما رد عليه محمد بن عبد الله شيئاً انظر الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ج٩ طبعة دار المعارف ١٩٦٨ تم ص ٢٧٠ ومن المعروف أن كتاب الطبرى أسبق من تاريخ ابن إسفنديار ومن الجائز أن يكون قد اطلع عليه - المترجم .

"سبب ولاية الحسن بن زيد"

والخلاصة فإن السادة العلويين الذين نجو من هذه المعركة توجهوا إلى "قوهستان" و"العراق" و"فرشواذ جر"، وكانوا يقيمون متخفيين في كل ناصية إلى أن ضاق أهل "دارفو ولبيرا" من ظلم وخسة "محمد بن أوس" فكانوا يهرعون في كل وقت إلى السادة الذين كانوا يقيمون بجوارهم واعتقدوا في زهدهم وعلمهم وورعهم وقالوا أن نهج المسلم الحق هو ما عليه السادة فاستعان بهم أهل الرساتيق الأخرى الذين كانوا على اتصال بهم فمضوا إلى "محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن ابن القسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين علي" عليه السلام وكان في قصبة رويان وطلبوا منه نحن نبيايك عسى الله أن يرفع عنا هذا الظلم "ببركاتك" فقال إني لا أملك اهلية الخروج ولكن لي صهر متزوج من أختي وهو شجاع ومتمرس وعالم وخبير بالحروب والوقائع والحوادث وهو في الري فإذا حملتم رسالتي إليه هناك فسوف يقبل ويمدده وقوته سوف يتحقق لكم ما ترجون وكان رئيس تلك الجماعة وعظيمها هو عبد الله بن وند امید فكتب الرسالة في الحال وبعثها مع رسول .

ذكر ولاية السادة آل محمد في طبرستان : أولهم الحسن بن زيد :

وعند ما بلغ الرسول الري ووجد "الحسن بن زيد بن إسماعيل" المعروف بحالب الحجارة والذي جرى ذكر نسبه من قبل في المقدمة وأبلغه رسالة أعيان الديار أغراه على الخروج فكتب له الجواب وأكرمه واستماله ثم أعاده فلم قدم إلى رويان شاع هذا الحديث وعلم علي بن أوس فكتب بشيء إلى "عبد الله بن سعيد" و"محمد بن عبد الكريم" بأن رائيًا عندي لننظر في الأمر فخاف "عبد الله بن سعيد" وترك المنزل ومضى إلى رستاق اشتاد وفي نفس الساعة وصل الرسول ومعه رسالة "الحسن بن زيد العلوي" مفادها أني نزلت بسعيد أباد ويجب أن يعقد البيعة إلى "عبد الله بن سعيد" هو وكل الناس فمضى "عبد الله" إلى "محمد بن عبد الكريم" مع كافة رؤساء كلا يوم الثلاثاء والخامس والعشرين من رمضان عام ٢٥٠ وبأيعوه على إقامة كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتب الرسائل وبعث بالدعاة إلى أهل "جالوس" و"نيروس" وكان عند "عبد الله بن سعيد" في تلك الليلة ومضى غداة اليوم التالي إلى "كورشيد" فتوجه إليه أهل تلك النواحي وبلغ هذا

الخبر إلى على بن أوس فلم يهدأ بمكان قط في تلك الليلة ما لم يصل إلى محمد بن أوس" وقام سادة تلك الديار ومعهم "محمد بن إبراهيم" باستقبال "الحسن بن زيد" ووصل إلى "كجو" يوم الخميس السابع والعشرين من شهر رمضان حتى حل عليه العيد فذهب إلى المصلى وأدى الصلاة وصعد المنبر وألقى خطبة بليغة بالفصاحة العلوية وحذر بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وبعث "محمد بن العباس" و"على بن نصر" و"عقيل بن مسرور" إلى "جالوس" لدى "حسين بن محمد المهدي الحنفي" فلبوا دعوته ومضوا إلى المسجد الجامع وتلقى بيعة كافة أهل تلك الديار وهربت تلك الجماعة التابعة "لمحمد بن أوس" بلا خيل ولا سلاح ومضى بعضهم إلى "جعفر بن شهريار بن قارن" وانضم البعض الآخر إلى آخرين ولما فرغوا من تلك الناحية غادر "الحسن بن زيد كجو" وجاء إلى بناتل وأخذ البيعة من أهلها ثم مشى إلى باي دشت وكان في مقدمة جيشه "محمد العلوي" و"محمد بن رستم بن وند اميد" الذي أطلق عليه اسم الخيان وهو من "كلار" وكان في مقدمة جيش "محمد بن أوس محمد بن إخشيد" الذي كان قائده وتقاتلا معا في باي دشت فهجم عليهم في الحال "محمد العلوي" وهزمهم وانتزع رأس قائد الجند محمد إخشيد وبعث بها إلى "الحسن بن زيد"، ولما رأى النصر والظفر قاد الجيش بعجالة وتوقف في "بليكان" "بأمل"، وكان "سليمان ابن عبد الله بن طاهر" قد أرسل الجيش فأطاحوا "بمحمد العلوي" وهزموه وأسروا "الحسن بن الحسين" وحملوه إلى سليمان بن عبد الله مع كثير من الأسرى فأطلق سراح الجميع وأمنهم ومضى "جعفر بن هارون" و"على بن عبد الله" إلى "الحسن ابن زيد" في باي دشت الذي اتخذ منها مقاماً وأمر "محمد بن حمزة" أن يمضى بنفسه إلى "الديالة" ويحضر المدد، فأجابه "الديالة" وحضر لخدمة "الحسن بن زيد" في باي دشت اميدوار بن لشكر ستان و"ويهان بن سهل" و"فاليزيان" و"فضل ابن الرفيقي" مع ستمائة رجل وفي نفس اليوم وصلت رسالة من عند أكابر وأصفها بدة طبرستان إلى الحسن بن زيد يعلنون توبتهم ويغرونه بالحرب، فلما قرأ الرسالة ومعه "بادوسيان ابن كردزاد إصفهبد لفور" و"مصمغان بن وند اوميد" و"ويجن ابن رستم" و"خورشيد بن حنف بن ونداد" و"خيان بن رستم" قوى قلبه بتأييد أهل طبرستان له وكان يقف عنده من الأقارب والسادة "محمد بن حمزة" و"حسين

ابن أحمد" مع عشرين فارساً ومائتين من المشاة مدججين بالدروع والسيوف ولما بلغ الخبر " محمد بن أوس" خرج وأمر بتعبئة الجيش وقال "إبراهيم الخليل" بأن اهجم عليهم بغلمانك فثبت رجال "الحسن بن زيد"، وهزموا خصمهم وانطلقوا في إثرهم إلى أن وصلوا إلى " محمد بن أوس" وأفسدوا تعبئته فهرب من أمامهم مهزوماً، وغنموا الكثير من الأموال والدواب وذهب "الحسن بن زيد" إلى "أمل" يوم الاثنين الثالث والعشرين من شوال، وقتل بضعة أشخاص من المشاهير مثل "الديلمي بن فرخان" والمقاتل "الديلمي" و"علي بن إبراهيم الجيلي" وطلب "إبراهيم بن الخليل" الأمان وفي صباح يوم الثلاثاء ركب "الحسن بن زيد" ومضى إلى مصلى "أمل" وعرض دعوته على عظماء ودهماء المدينة فدخلوا في بيعته بالإجماع فيما عدا عدد قليل منهم، وفي السابع من شوال اتخذ من "أمل" مقاماً حتى طلب الأمان "فنه بن ونداو ميدووند اسفان بن ماهيار" و"سرخاب بن رستم" فقبل تأمينهم وعين "محمد بن عبد العزيز" عاملاً على "رويان" و"جعفر بن رستم على كلار" و"محمد بن العباس على جالوس" وقال لأهل "أمل" اختاروا لكم عاملاً ترضونه لأفوض له الحكم فقالوا ولي علينا "محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن" وكان هو قد تخلف عن "السيد الحسن بن زيد" في "رويان" فبعث واستدعاه وفوض إليه امارة "أمل"، وكان "مصافان بن وندا وميد" قد غضب على "محمد بن أوس" قبل هذا لأنه قد اقتصرف مظالم كثيرة ضد أهالي "الرستاق"، فلما قوى أمر "الحسن بن زيد" خرج من بيته ووصل إلى "ما مطير" يوم الخميس السادس والعشرين من شوال ودعا الناس لمبايعة "الحسن بن زيد" فأجابه الجميع عن طواعية ورغبة ، وكتب في الحال بالأمر إلى "الحسن بن زيد" بأن يترك له مملكة "رز ميخواست" فأسندها إليه وبعث إليه برسول بأن يمضى إلى "سارى" وأن يستقر بها إلى أن يصل هو إليها، فمضى إلى حدود "سارى" وفق أمره وأقام معسكره بقرية "يوطم نوروز آباد" وذهب دعاة "الحسن بن زيد" حتى "دنباووند" و"فيروزكوه" وحدود "الري" فبايعه جميع أهل "طبرستان" وأرسل "الحسن بن زيد" محمد بن حمزة" إلى مسلح الحج يوم الجمعة الرابع عشر من ذي القعدة وانضم إليه يوم السبت بكل الجيش ولما وصل إلى "تريجه" لبث بها ثلاثة أيام ثم غادرها إلى جمنو" بعد ذلك فسلموا له رسالة "الإصفهيد قارن بن شهریار الباوندى ملك الجبال

والتي أبدى فيها الولاء والرغبة في الطاعة، وفضلاً عن ذلك كان قد كتب رسالة مرة أخرى مفادها بآتي سوف أرسل المدد على الفور وكان غرض "الأصفهيد" من ذلك أن يضعني شأن "العلوي سليمان" وأن يطرده من الولاية، وأن يهجم عليه غدرًا ويستخلص الصحراء والجبال لنفسه فلما قرأ "الحسن بن زيد" الرسالة خامره الشك فاستدعى "الديلمة" وعرض عليهم الرسالة فأجابوه بالإجماع قل "للأصفهيد" لو انت صا دقاً فيما تقول انضم إلينا بنفسك فأجابه "الأصفهيد" إن من الأليق للصالح أن تنضم أنت إلى فوثق "الحسن بن زيد" من خصومته؛ فبعث "قارن" "بسليمان بن عبدالله" أسد جندان والذي كان قائده والذي جرى ذكره من قبل من "ساري" بالجيش إلى موضع يعرف "بدودان" وأقام معسكره به على طريق "ترجي" فتشاور "الحسن بن زيد" مع أصحابه وكان هناك شيخ يدعى "شهریار بن أنديان" من كبار "أصحاب شروين" فقال "للحسن بن زيد الرأي هو أن تبدى الاستعلاء بينما امضى أنا إلى آمد" في الليل ترحل فجأة وتغير على "ساري" من طريق "رزميخواست نوروز آباد" ثم تنزل فجأة على "سليمان" فإذا ما هزمت "سليمان" فلا بد من أن ينهزم "أسد" وجميع جنده أما لو فعلت خلاف هذا وهزمت "أسد" فسوف ينضم إلى "سليمان" ويصبح الأمر عسيراً عليك والله هو الذي يعلم ماذا تنتهي إليه مواجعتك مع "أسد" بينما "سليمان" آمن في "ساري" الآن لا يأخذ حذره بحيث ترسل إليه بالجيش وهو يظن أنك تتشغل بأسد في البداية فاستحسن "الحسن بن زيد" رأى ذلك الشيخ العاقل، وأغار على "سليمان" وفق رأيه وكان الخبر قد بلغ أسد في البداية أن الحسن بن زيد قد هرب ليلاً فأرسل برسول إلى سليمان وأبلغه بأن "العلوي" قد هرب، وأن أمره قد بات يسيراً فجلس فرحاً مسروراً وغافلاً إلى أن بلغ مسامعه فجأة أصوات التكبير والصلاة والأعلام البيضاء مرفوعة في "ساري" ودوى صيحات "الديلم" ولم يستطع "سليمان بن عبدالله" خلاف أن يركب حافى القدمين ويتوجه إلى قائد جيشه "أسد" وكان جيش العلوي يقتل كل من كان يجده؛ فلم وصل "سليمان" إلى "أسد" تحارباً في "ساري" فتقدم "الديلمة" والسادة كالأسد الذي يتأهب لطعام فقتلوا الكثير منهم وهزموهم وقتلوا من أمراء الجيش الحسين بن علي السرخي وعلي بن الحرب وإسحاق يوشنجي وعلي المغربي وسول بن ثعلبة الشامي ونصر بن وبرة الشامي وأغاروا على قصر سليمان وكان قد أرسل في اليوم السابق نفائس الأموال إلى قسبة مهران وأشعل النار في ذلك القصر فأحرقته إلى آخر جزء فيه ، ووصل

وأغاروا على قصر سليمان وكان قد أرسل في اليوم السابق نفائس الأموال إلى
قصبة مروان وأشعل النار في ذلك القصر فأحرقتة إلى آخر جزء فيه ، ووصل
الحسن بن زيد إلى سارى في أول الأيام المسترقة ا لفارسية ويقول الشاعر أبو الغمر
هارون بن محمد :-

الله أكبر قد تولى المنكر وبدا بطبرستان نور يزهر
لما انتضى الحسن بن زيد سيفه نادى منادى الجور إنى مدبر
وبعد أن قال هذا لامه الناس، ويقول....

قالوا هجوت سليماناً فقلت لهم إنى إذا للئيم الأصل غدار
وكيف أهجوا امرأ أرضى له خلقى إنا كلانا غداة الكرفرار
لكننى قلت قد أحسنت منهزماً فأنت والحسن الحلفاء والنار
فاذهب فعيشك ريح بعدها ابداً ما عليك به عيب ولا عار
ولى بنا من مراس الحرب معركة سلاح فرسانها راح وأوتار

ومرة أخرى قال الوشاة "للحسن بن زيد" إن "أبا الغمر" يتحفى مع "العباسيين"
و"الخراسانيين" وهو صاحب أسرارهم فأمر القبض عليه وبعث به إلى الحبس فكتب
قصيدة مطولة من محبسه إلى السيد تقتصر منها ما يلى :-

أترك ابن رسول الله منقلباً إلى الطغاة الألى من دينهم مرقوا
تارك البحر فياضاً لآل فلا هذا لعمر أليك الطيش والخرق

وقال أيضاً فى طلب عفو السيد "الحسن بن زيد"

ولى حرمت لا تضيع حقوقها ولا هو بمن عنده الحق ضايع
طلعت عليه راغباً حين قيل لى هو ابن رسول الله بالسعد طالع
فبايعته لله والله عالم بأنى سعيد فيه يوم أبايع

ففزت به ديناً ودنيا ولم أكن عن الحق أعمى وهو أبلج طالع
دعا دعوة زيدية حسنية إلى الله يغدو المستجيب المبايع
إمام يرى التشميد في الله لا كمن يسمى إماما وهو في الله رادع

ووصلت رسالة في ذلك اليوم الذي جلس فيه في سارى بأن أخاه "الحسين بن زيد" قد وصل إلى "شلمبة دنباوند"، وفي نفس هذين اليومين جاء إلى خدمة "فادوسبان بن كردزاد بن لقور" وقال له: لابد أن تقيم في "سارى" لمدة أربعين يوماً وفعل مثلما طلب كما لبث "الحسن بن زيد" مدة ثلاثة وعشرين يوماً في "دنباوند" فجاء إليه رؤساء "لارجان" وقصران وتحالف معه "محمد بن ميكال"، ومضى إلى "سليمان" في "إستراباد"، وأرسل إلى خراسان وطلب المدد واجتمعت من حوله قلوب جيشه الذي كان قد هزم وعاد "الحسن بن زيد" بعد أربعين يوماً ليمض إلى "آمل" وكان "الديالة" قد تفرقوا عندما حملوا الغنائم واتجهوا إلى ديارهم وقال "الإصفهيد" بادوسيان "للحسن بن زيد" إنك لا تقوى أن تمضى أبعد من "جمنو" أي أنعلم ماذا يدبر "سليمان بن عبد الله" وفي نفس الوقت تقريبا وصل سليمان بجيشه المجهز إلى "سارى" فبعث "الحسن بن زيد" إلى "محمد بن إبراهيم" و"محمد حمزة" بأن يحضرا جند "آمل" و"ما مطير" فوصلا جميعا إلى "جمنو" وكان "سليمان" قد أقام معسكره في "ليجم" فالتقيا معا في "تميشكى دشت" وانهزم "الحسن بن زيد" وتفرق رجاله في الأدغال وتشردوا وتعقبهم "أحمد بن محمد بن أوس" في الغابات فعثر عليه أصحاب "الحسن بن زيد" وطعنوه بحربة فأسلم الروح في الحال ووقف "الحسن بن زيد" في ذلك اليوم فوق الجسر ليعاون جيشه على العبور وأبدى من الشجاعة ما صار عبرة وبسبب مقتل "أحمد بن أوس" فقد هذا النصر بهجته لدى "سليمان" وراجت الأراجيف في "آمل" ونزل "الحسن بن زيد" بأوفر بينما مضى "سليمان" إلى "تلانيمان" وجاء "محمد بن أوس" في اعقاب "الكلاريين" وأقام كميناً في طريق اوفر وقتل الكثير منهم وكان "الإصفهيد بادوسيان" و"مصمغان" قد أقاما كميناً بطريق آخر فإذا ما عاد "محمد بن أوس" سقط بينهما فقتلوا أصحابه وسقط على رأسه مجرد ولما أدرك "الحسن بن زيد" أنه لن يقوى على المقاومة مع "فنه بن وند لوميد" و"خورشيد بن جسنف" خرج إلى طريق "بالامين" وهرب ليلا إلى "آمل" مهزوما في الصباح خرج

مسرعاً من "آمل" ولم ينزلوا بمكان قط إلى أن وصلوا "جالوس" فتعقبه جيش "سليمان" وأسروا كثيراً من قومه وقتلوهم حتى "جايى بن لشكر ستان" الذى كان أشهر أتباعه لم يكن يملك ثوباً يستر جسده فلما نزلوا إلى "جالوس" حصلوا على عشرة آلاف درهم وصنعوا ملابس وجاء "سليمان بن عبد الله" إلى "آمل" مع عظماء "خراسان" ومشاة "الإصفهيد قارن بن شهریار" ملك الجبال، وبعث "الحسن بن زيد" إلى "جیلان" و"الديلم" لطلب المدد فقبلوا أيضاً وتجمع لديه عدة آلاف رجل من أبناء دعوته واستعد للحرب وأحضر الجيش من "جالوس" إلى "خواجه" وعلم "سليمان" فجاء من "آمل" إلى "يا يدشت" وعسكر بها وجاء "الحسن بن زيد" إلى "بلایج رود" واستشار معاونيه وقال "الديلمة" إن من الأفضل أن تأمرنا بأن نضرب مشاة "الإصفهيد قارن" ونأسرهم وعندئذ فلن يكون فى مقدور الفرسان عمل شئ فأجاز لهم "الحسن بن زيد"؛ فجاءوا وشردوا المشاة مرة واحدة وظفروا بهم وظل الفرسان محاصرين بين "الأجمة" و"الأدغال" ولم يستطيعوا عمل شئ سوى أن يلقوا بسلاحهم وهربوا فى الغابات واستولى "الديلمة" على ما كان لديهم من نعم وقتل أصحاب "الحسن بن زيد" فى هذا اليوم "أسد بن جندان" قائد جند "سليمان" و"أذوشروان" هزار مردى و"على بن الفرّج" و"عطاف بن أبى العطاف الشامى" و"الإصفهيد جعفر بن شهریار" و"داد مهر" صاحب جيش "قارن" و"عزيز بن عبد الله" و"عبید بن بريد الخازن" واتخذوا من ذلك المكان مقاماً لهم فى نفس اليوم ، وفى الغد قدم الحسن بن زيد إلى آمل واستراح بها خمسة عشر يوماً ونهض من هناك ومضى إلى جمنود وجعل الإصفهيد بادوسيان أميراً على الجيش وبعث به لمحاربة الإصفهيد قارن بن شهریار وجعل فى عونه كوكيان بن نجمى من جماعة الكيسمانيين فأحرقوا جميع قوهستان التابعة للإصفهيد قارن وخربوها فهرب منهم الإصفهيد وغادر الولاية فبعث السيد الحسن بن زيد بغلمانه إلى ولايته وأخذ أموال الخراج ومضى عبد الله فى تلك الهزيمة إلى "إستراباد" وأقام بها ولما بعث برسول إلى "محمد بن عبد الله" وطلب منه المدد فأرسل إلى "مدوه عناتور بن بختا نشاه" و"جنسف بن ماس" بجيش جرار فلما انضموا إليه تشجع "سليمان" ، وكان "الحسن بن زيد" قد جلس فى سارى ضعيف الحال وكان بعض جيشه فى "قوهستان" ومضى "الديلمة" إلى بلاد "الديلم" وعلم "الحسن بن زيد" بقوة "سليمان" فغادر "سارى" ، وظل ينتقل حتى "جالوس" حيث قالوا إن و"هسودان" ملك "الديلمة" قد تخلى عنه وبعد عدة أيام بلغ السيد خبر وفاة

و"هسودان" ونتيجة لموته حضر أربعة آلاف ديلمى لدى الداعى "الحسن بن زيد" وكان "سليمان بن عبد الله" قد جاء إلى "سارى" فجمع "فنه الجيش من بریم" و"قوهستان" ووصل إلى "آمل" وكتب إلى "الحسن بن زيد" بماذا تريد فبعث إليه "أحمد بن الحسن الأشتري" بأن يضبط الولاية وأن يقضى "على إبراهيم الخليل" فذهب "فنه" بأمره إلى "إبراهيم الخليل" وهزمه وأعلم "الحسن بن زيد" وغادر السيد وجاء إلى "خواجه" ومنها إلى "آمل" فتظلم أهل المدينة من "فنه" وعرضوا شكواهم وأبانوا بأنه يكتب إلى "سليمان" بالرسائل وأنه على إتفاق معه فأرسل إليه "محمد بن أبى منصور" و"عيسى بن جمشيد" أن احضر عندي ولكنه لم يأت فأرسل إليه مرة ثانية قائلاً لا تخرج عن الطاعة وإلا كان وبالا عليك فرد عليه بجفاء فقال السيد لأهل "آمل" دمه مباح لكم فمضى إلى قريته عشرة آلاف رجل من الغوغاء وأنقضوا على منزله فهرب ومضى إلى منزل به أخيه "خورشيد بن جنسف" فمضى "خيان بن رستم" مع جماعة إلى قصر ابن أخيه فقتلوهما معا وأحضروا رأسيهما لدى "الحسن بن زيد" وبعد ذلك تقدم ابنه "الليث بن فنه" مع جند والده بالعدة والعتاد إلى "الحسن بن زيد" وطلب الشفاعة عن طريق "الإصفهيد" بادوسيان فقدم الحسن بن زيد التكريم اللائق له وترك له جميع ممالك والده ورحل بعد فترة قضاها في آمل ومضى إلى جمنود وبقي بها قرابة شهر، فهجمت طليعة سليمان بن عبد الله على طليعة جيش "الحسن بن زيد" ووقعت هزيمة نكراء وقتل كثير من جيش السيد كان من بينهم "محمد بن عيسى بن عبد الحميد" وهزم "الحسن"، وكل من معه ونزل إلى "همتكى" وكان معه "محمد بن رستم" و"مصمغان" و"كور نكيج بن روز بهان" وبعث ب"الإصفهيد" بادوسيان و"ويجن بن رستم" إلى الجبل للمحافظة، وجعل "مصمغان" فى نوديه معلمان ليقوم بالتحري والتجسس على الأخبار ومضى السيد "الحسن" إلى "آمل" ونزل "سليمان" فى قصره ب"سارى" وانشغل بالملك وأحضر حريمه ومتعلقاته من "إستراباد" إلى "سارى" فتحير الأهالى مرة أخرى ، وكان "إبراهيم بن الخليل" يمينه بالأمانى مع أهل "آمل" إلى أن بعث "سليمان" بمحمد بن إسماعيل إلى "آمل" وعلم "الحسن بن زيد" بالخبر فقبض عليه وقيدته ثم أطلق سراحه كي يمضى إلى "سليمان بن عبد الله" قام "السيد الحسن" بجمع الجند من الأطراف وقادهم حتى وصل إلى "جمنو" ، وكان قد أمر "مصمغان" قبل هذا بأن يحتاط وبعث لمدده "جعفر بن رستم" و"الليث بن فنه" مع سبعمائة رجل كما أرسل معهم أيضاً "ويجن بن رستم" فركب "سليمان" من "سارى" وجاء ليتحارب

معهم ، وكان "مصمغان" قد أعد له كميناً فهاجموا على "مصفمان" فولى مهزوما على الفور وفجأة حلت الصواعق والأمطار بحيث جعلت السهم لا يمكن أن يوضع فى القوس فمضى إلى بيته فالتف حوله أصحاب "سليمان" وحاصروه ففتح أصحاب "مصمغان" الكمائن واتجهوا من الأجناب إلى "سليمان" وقتلوا عدداً كبيراً لا يحصى ، وكان من بين القتلى "حلو سان بن وند أميد" و"محمد بن الفضل الأرجاني" و"محمد ابن خالد" المعروف بأبى مراح وبعث برؤوس الجميع إلى "الحسن بن زيد" (٢٣٧) وكان "الإصفهيد قارن بن شهریار" قد توجه بجيشه إلى "الإصفهيد بادوسيان" ليحاربه فبعث "بادوسيان" أخاه "كردى زاد" إلى "الحسن بن زيد" وطلب المدد فأرسل لمدده "محمد بن رستم" مع "الكلاريين" و"ويهان بن سهل" مع "الديالة" و"خيان بن رستم" مع جند "آمل" فهرب "الإصفهيد قارن" وذهب "الحسن بن زيد" إلى "آمل" يوم العيد وتحرك بعد العيد إلى "مامطير" ولبث هناك ثلاثة عشر يوماً واختار "سليمان بن عبد الله رسولين وكتب رسالة إلى "خورشيد" ملك "الديلم" للاتفاق معه على أن يتخلى عن "الحسن بن زيد" وبعث معهما سبعة آلاف دينار ذهبية وملابس كثيرة لتقسم على "الديالة" وأن يمتنع عن مساندة "الحسن بن زيد" وأمر بتجهيز سفينة على شاطئ نهر مهروان ، وأجلس فيها "أزهر بن جناح" و"سعيد بن جبرائيل" وسيرها فلما وصلت السفينة إلى منطقة "اسفيد جوى" هبت رياح فسيرتها فى ساعة واحدة إلى "جالوس رود" فعلم بذلك عامل "الحسن بن زيد" فاستولى على السفينة وبعث بالرسول والذهب والثياب والرسائل إلى "الحسن" فقسم كل ذلك المال على "الديالة" وأذل "خورشيد بن ديلمان" وصار معلوماً للناس أن أمر "سليمان" قد تراجع وذهب "الحسن ابن زيد" من "مامطير" إلى "جمنو" وأقسم له "الديالة" على الوفاء والثبات فى الطاعة والمناصرة والموالاتة ، وقاد الجيش ومضى إلى "سليمان" وكان "سليمان" قد انتقل من "سارى" إلى "دوراب" وأقام معسكره وقال "مصمغان" لا طاقة لنا بمواجهته ويجب أن تنزل فى مقابل جيشه ويجب رفع الأعلام البيضاء على الأشجار كي تكون علامة لهم وليعلموا أن معسكرنا قد أقيم هنا ثم نتحرك عن طريق "نبهره" من وراء ظهرهم إلى طريق "بونياباد" وننزل خلف معسكرهم فيتصورون أن من أمامهم جيشاً وأننا من ورائهم أيضاً فيقعوا فى اضطراب ، فقال الحسن بن زيد هذا هو الصواب وهزموا سليمان بموجب هذا التدبير وتوجهوا إلى "سارى" ، وأخذ "الديالة" يسرعون خلفهم إلى الأسواق وكانوا يقتلون كل من يجدونه وسلخوا مع أهل "سارى" ألواناً من السلب

والنهب والإغارة والتي لم يشاهدونها قط ، فهرب "سليمان" وترك زوجته وابنه وقد قتلوا من قادة جيشه وأمرائه "عناطور بن بختا نشاه" و"أبو الأعز محمد بن كثير" و"جنسف بن ماس" و"محمد بن العياش" و"محمد بن الوليد" و"موسى الكاتب" و"محمد ابن إسماعيل" و"الفضل بن العباس الكاتب" و"علي بن منصور" و"محمد بن عبد الله القاضي" أما الرسولان فقد أمسكا بهما في السفينة وأمر الحسن بشنقهما وكان هذا النصر في يوم الخميس الثامن من ذي الحجة ، وقبضوا على زوجة "سليمان" وابنه ولما وصل "سليمان" إلى "إستراباد" وكتب بشيء إلى "محمد بن حمزة" ليعرض على "الحسن بن زيد" المضمون: أكرمك الله بطاعته وأبقاك في سعادتة وأتم نعمته عليك برحمته من احتجت معه إلى التعداد والتطويل في ذكر ما يجب لي عليه من بين هذا الخلق فأنت منهم غنى عن تلك لمعرفتك بما قدم وحدث وعلمك بنيتي والتحافى عليكم أهل البيت في وقت المخافة والصعوبة وقبلك أكرمك الله جماعة من عيالي وذوي ورحمي ومتحرمين بي ومنقطعين إلى وأنت أحق بحياطتهم وحياطة الدار فإن الأخبار قد تقدمت بما يسمح ولا يحسن وأرجو أن يكون هذا أبلغ فيما يحبون وأنجح والسلام .

فلما عرضوا "علي الحسن بن زيد" الرسالة جمع كل حريمه ومتعلقاته وبعث بهم إليه معززين مكرمين وكتب فوق رسالته بخط يده شعراً على البديهة:-

لا حـيـف في ديننا ولا أثره	بالسيف نعلو جماجم الكفرة
يا قومنا بـيـعـتان واحـدة	هاتى وهاتاك بيعة الشجرة
ردوا علينا تراث والدنا	خاتمه والقضيب والخبرة
وبيت ذي العرش سلموه لنا	يلين منا عصاة طهرة
فطالما دنست مشاعره	وأظهرت فيه فسقها الفجرة

والطالبية كانوا يسيئون إلى أبناء "طاهر بن الحسين" بسبب قتل "محمد بن عبد الله بن طاهر" لـ"يحيى بن عمر" رضى الله عنه في "الكوفة" ، وكان في قصر

"سليمان" ب"سارى" حوض مياه كان قد أسقط فيه مائتى ألف درهم وعلم "الحسن بن زيد" فاستخرجها وأعطاهما للجيش وقضى بقية ذى الحجة وجميع المحرم وصفر وربيع الأول فى "سارى" ولجأ "الإصفيهد قارن بن شهريار" إلى "مصمغان" ليتوسط له عند "الحسن" لمبايعته فقبل وبعث بابنيه "سرخاب بن قارن مازيار بن قارن" للخدمة وكان هذا كله فى عام ٢٥٢ حتى وقعت خصومة بين "مصمغان" و"الفضل الرفيقي" وتوتر ما بينهما فمضى "مصمغان" إلى بيته فتلف مع "الحسن بن زيد" واستماله ولكن قال إننى لن أحضر بالطبع ، إننى أخشى من سوء أفعال وخسة وندالة "الديالة" الذين لا يفعلون فعل الأدميين وخلع الطاعة وكان قد نزل عند "محمد بن نوح" قرب "تميشه" ووافقه على هذا الخروج "الإصفيهد قارن" وبعث إليه برسول ورسالة ومضى الحسن بن زيد إلى "لنكورخان" وأحرق كل غلال الولاية وأسرع يتعقب "قارن" فهرب منه فجاء "الحسن بن زيد" إلى "سارى" وأتوا بخبر ورسالة من "أمل" أن "جايى بن لشكر ستانط استباح الظلم مع أهل رستاق أمل فتمردت عليه جماعة وقتلته فسير فى الحال "محمد بن إبراهيم" لتدارك ذلك الأمر وبعد عشرة أيام مضى خلفه فلما وصل إلى ترجى كان ابن عمه "قاسم بن على بن الحسن بن زيد" قد جاء من العراق - وقد جرى ذكر فضله وجودة شعره فى المقدمة - فقدم له الحسن بن زيد التشريف والعطاء الجزيل وبعث به إلى أمل واتخذ من تريجه مقاماً وأمسك ب"سرخاب ابن الإصفيهد قارن" وأخيه "مازيار" ووضعهما فى القيد وبعث ب"حسن بن محمد بن جعفر العقيقى" إلى "سارى" وفوض إليه أمر تلك المناطق وأمره بأن يقبض على "مصمغان" فكتب "العقيقى" إلى "مصمغان" ليستميله فانضم إليه وطلب العذر إلى أن خرج وفق "رستم بن زبرقان" فى "مهروان رستاق" ويات الطريق غير آمن ، وبعث بابنه "لهرمزد كامه بن يزدانكرد" و"عباس بن العقيلى" فانضم "رستم بن زبرقان" فى البداية مع أصحاب "محمد بن نوح" وقتلوا الآخرين وأسروا ما تبقى فلما وصل "رستم" إلى تلك الجماعة أخذ "محمد بن نوح" وأحضره إلى "مهروان" وكان "حسن بن عقيقى" قد عاد مظفراً ومنصوراً ومؤيداً ومسروراً وقتل كثيراً من الناس وأحضر أربعمائة أسير ، وبقي فترة فى "سارى" إلى أن أخبروه بأن "إبراهيم بن معاذ" كان يبعث بالمدد من "تومش" إلى الإصفيهد قارن بن شهريار" وسوف يأتى لقتالك فتقدم له وهجم عليه فى "قوهستان" وقتل كل من وجده وأشعل النيران فى منازلهم وأخضع جميع الناس ، وقضى عدة أيام فى مدينة "سارى" وترك "الحسن بن زيد العقيقى" فى

تلك النواحي وجاء إلى "أمل" وأمر بأن تكتب الرسائل إلى كل ممالك "طبرستان" ليؤذنوا بالصلاة خير العمل وأن يجهر (ببسم الله الرحمن الرحيم) في الصلاة وأن يؤدوا القنوت في صلاة الصبح ونص هذه الرسالة على هذا النحو :-

تأمرهم بأخذ الرعايا بما فيه جملة قد رأينا أن تأخذ أهل عملك بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وما صح من أمير المؤمنين "على بن أبي طالب" عليه السلام في أصول الدين وفروعه وبإظهار تفضيله على جميع الأمة وتنهاهم أشد النهي عن القول بالجبر والتشبيه مكيدة الموحدين القائلين بالعدل والتوحيد وعن التحكك بالشيعة وعن الرواية في تفضيل أعداء الله وأعداء أمير المؤمنين وتأمرهم بالجهر (ببسم الله الرحمن الرحيم) وبالقنوت في صلاة الفجر والتكبير الخمس على الميت وترك المسح على الخفين وبإلحاق حى على خير العمل في الأذان والإقامة ، وأن تجعل الإقامة مثنى مثنى وتحذر من تعدى أمرنا فليس لمن خالف أمرنا ورأينا إلا سفك دمه وانتهاك محارمه فقد أعذرنا من أنذرنا والسلام .

وفى هذا اليوم قرأ عليه أبو مقاتل الضيرير الشاعر قصيدة مطلعها (الله فرد وابن زيد فرد) فصاح الداعى "الحسن بن زيد" فيه وقال له بفيك التراب هلا قلت الله فرد وابن زيد عبد وألقى بنفسه من فوق الكرسي في الحال ساجداً يمرغ وجهه في التراب ، يحمد الله ويقول مكرراً "الله فرد وابن زيد عبد" وأمر بأن يخرجوا الشاعر من أمام حضرته فحضر إليه بعد عدة أيام بهذا الشعر وقرأه عليه :

أنا من عصاه لسانه في شعره ولربما ضر اللبيب لسانه
هبنى أسأت أم رأيتم كافرأ نجاه من طغيانه إيمانه

ولكن السيد لم يسعد أيضاً بهذا الشعر إلى أن حان يوم المهرجان فقرأ عليه قصيدة أخرى ومطلعها :

لا تقل بشورى ولكن بشريان غرة الداعى ويوم المهرجان

فالتفت إلى إلى الشاعر وقال هلا قلت:-

لا تقل بسرى ولكن بشريان غرة الداعى ويوم المهرجان

لكى لا يكون إبتداء الكلام بالنفى فقال الشاعر يا أيها السيد أفضل الذكر(لا إله إلا الله) وأوله حرف النفى فقال السيد أحسنت أحسنت أنت فى هذا أشعر.

وردى أن السيد ركب فى يوم ما - آنذاك - ب"أمل" وكان يطوف فى المحلات والأسواق إلى أن وصل إلى محلة كانوا قد كتبوا على حائطها رسالة القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر فوقف وأتم قراءتها وتوقف نحو ساعة ومضى ، وكانت له عادة فى أنه لا يعود من الطريق الذى سلكه ، وانقضت ساعة إلى أن عاد إلى ذلك الموضع وأخذ ينظر إلى ذلك الحائط إلى أن أزال أهل الحى تلك الكتابة وأبطلوها فتبسم وقال نجوا والله من القتل، والخلصة فقد لبث كل شعبان ورمضان وشوال فى "أمل" وكان "الحسن بن محمد العقيقى" فى "سارى" فانهزم "محمد بن نوح" إلى "الإصفهيد" ملك الجبال" قارن بن شهریار" لما تحالف معهم "وصمغان" أيضاً وتوجهوا إلى "سارى" وقد نهض "العقيقى" من قبلهم وقدم إلى "ترجى" فبعث "الحسن بن زيد" لمدده "جعفر بن محمد" و"الليث بن فنه" بألف رجل وقاما بالهجوم من "ترجى" ووصلوا فى البداية إلى "مصمغان" وهزماء وقتلا أخاه "عباس" وتوجهوا من هنا إلى "سارى" وهاجما "محمد بن نوح" فهزماء على مسافة أربعة فراسخ من "سارى" وكان الموضع الذى نزلا فيه يعرف بـ كردة زمين وأبدى "الليث به فنه" شجاعة فى ذلك اليوم وتم النصر بمدده إلى أن قام "الحسن بن محمد العقيقى" فى الليلة التالية بغارة وضربهم على حين غرة وقتل منهم الكثير وسلب الأموال والدواب ، وانضم "محمد بن نوح" إلى "سليمان بن عبدالله بن طاهر" ومضيا معاً فى تحالف إلى "جرجان" فسمع من "سليمان" حكاية يقول فيها "كنت متجهاً ذات يوم مع أربعة من الحراس إلى جرجان فسمعت صوتاً من محلة تعرف بـ "سليمان آباد" يقول:

كم تهزمون وكم تخفى خيولكم هذا فعال دبير فى المداير

فلما نظرت ثانية لم أر شخصاً ولا أعلم من هو القائل وكان الديلمة و"حسن عقيقي" قد تعقبوا "مصفان" والمهزومين حتى حدود "جرجان" ويأس "سليمان" من "طبرستان" ونزل في خراسان وخضعت الولاية للسيد "الحسن بن زيد" ومن بعد هذا كانوا يحسبون له حساب الملك ويقول "سليمان بن عبدالله بن طاهر" هذه الأبيات حسرة على مكانته وقصره في طبرستان:-

يومًا يميت ويحيى يومه الثانى	عدل المهيمن فى هذا الورى الفانى
حوادث الدهر جمات تقلبنا	والدهر ذو غمير يأتى بألوان
بان الشباب وما بانت حلاوته	لله در شباب طائر للحانى (كذا)
بدلت من نغمات باليمان حرن (كذا) ؟	فى الأذن منى أعوالاً بجرجان
وله أيضاً على نفس المكان وقصر الميان :-	

ألا حى الميان فإن نفسى	معلقة بأسباب الميان
سقى الله الميان وما يليها	وعمر ربيعها عمر الزمان
لها من كان مشتجر أنيق	بدايع فتن فى كل المعانى
لقد أخذت بحظ من فؤادى	كما أخذ المشوق من القيان

"سطوة الحسن بن زيد"

كان "الحسن بن زيد" يعاقب بالقتل وكان يوبخ كل مخلوق يميل لآل عباس حتى جزعت قلوب الناس بحيث لم تبقى فكرة سوى طاعته ورضاه ، وحينما خضعت الولاية لسطوته بعث "محمد بن إبراهيم" و"شكرستان الديلمى" إلى "جرجان" بالأعلام فى يوم الأربعاء الثالث من ذى الحجة عام ٢٥٣ وكلما نزلوا فى مكان ما كان الأهالى فى استقبالهم ، وكانوا ينثرون النعم عليهم وظل "الديلمة" معهم طوال شهر ذى الحجة والمحرم ومنتصف شهر صفر ولما انصرفوا عن الطمع فى الغنائم تولى جميعهم لـ "محمد بن إبراهيم" وعادوا ، وبعد عشرة أيام كان هو قد غادر "جرجان" أيضاً

وجاء إلى "سارى" ووصل "الحسن بن زيد" فى غرة ربيع الأول وأمر بأن يركب الجيش ليمض إلى محاربة "الإصفهيد" ملك الجبال "قارن بن شهریار" فى "هزاره كره" وأمر بإحراق غلاته وهدم مبانيه ومنشأته ثم عادوا ، ولما وصل إلى "سارى" أرسل "جستان بن وهسودان" رسولا إلى السيد قائلاً له ابعث إلى بشخص لآتى كى استخلص ولاية "الرى" لك فسير إليه السيد "أحمد بن عيسى بن على بن الحسن" فلم له بعضاً من ولاية "الرى" وجاء من سارى إلى أمل فهرب من أسره كلا الاثنين "مازيار بن قارن" و"شهریار" ، وفى يوم الجمعة الثانى من جمادى الأولى أمر بمعاقبة المسؤولين (عن هرويهما) وبعث أخا "مصمغان ووندرد ونداد هرمزد السفحى" و"محمد بن إبراهيم" إلى "قوهستان" فى طلب "الإصفهيد قارن" فهرب منهم ومضى إلى "قومش" وحينئذ وصل من السادة "العلويون" و"بنو هاشم" بما يزيد على أوراق الشجر من الحجاز وأطراف الشام والعراق وذلك للالتحاق بخدمة "الحسن بن زيد" فقدم فى حقهم كل ألوان المبرات والتكريم وبلغ الأمر أنه كلما أراد أن يضع قدمه فى الركاب كان يلتف من حوله ثلاثمائة علوى بسيوفهم المشهرة ويقول السيد "الإمام الناصر الكبير الحسن بن على" فى ذلك الوقت:

كأن ابن زيد حين يغدو بقومه بدور سماء حوله أنجم زهر
فيا بؤس قوم صبحتهم خيوله ويا نعم قوم نالهم جوده الغمر

ووصلت رسالة "بن عيسى" و"قاسم بن على" اللذين كانا مع "جستان بن وهسودان" واللذين كلفا بفتح ولاية "الرى" و"قزوين" و"أبهر" و"زنكان" بأنها قد سلمت لهم وقد قبل الجميع البيعة ، وبعث مرة أخرى ب"محمد بن إبراهيم" إلى "جرجان" بالأعلام فانقاد أهل تلك الناحية لأمر السادة وتحقق للولاية الهدوء والاستقرار والأمن إلى أن قبض "قاسم بن على العلوى" "على عبدالله بن عزيز" فى العراق والذى كان من الطاهرية وسلمه ل"لفضل بن مرزبان" الذى أوصله ل"الحسن بن زيد" فأوصى بالاحتياط فى حراسته ووصلوا عند "الحسن بن زيد" فى "أمل" يوم عيد الأضحى فأمر بضرب رقبتة فى الحال .

(إرسال الخليفة المعتز بالله بموسى بن بغا الكبير ومفلح بالجيش إلى طبرستان)

وصل هذا الخبر إلى "بغداد" وكان الخليفة "المعتز بالله" قد أرسل "موسى بن بغا" و"مفلح" بجيش جرار إلى العراق وتقاتلوا في "قزوين" مع "جستان" والسادة وهزموهم وقتلوا كثيراً من "الديالة" وسلبوا خزائهم وجاءوا إلى "الري" ومنها توجهوا إلى "قومش" و"جرجان" وأقاموا المعسكر وكان "أحمد بن محمد السكنى" نائب "محمد بن طاهر" فانضم إليه وبعث ب"مفلح" بطليعة الجيش إلى "تميشه" فدخلاها وكان "الحسن بن زيد" قد استعرض عشرة آلاف رجل ب"آمل" وكان "الإصفيهد بادوسيان" معه وكان "حسن بن محمد العقيقى" بجيشه في سارى فهجم عليه "مفلح" ، وكان "العقيقى" عند أول جسر "سارى" وأبدى شجاعة كبيرة وفي النهاية لم يقو على الصمود وتراجع فجاء "مفلح" إلى "سارى" وأقام بها ثلاثة أيام ومضى إلى "آمل" وذهب "الحسن بن زيد" إلى "جالوس" وتفرق أتباعه فمضى من هناك إلى "كلار".

وطلب المدد من "الديالة" فلم يتحمس له أى شخص منهم وظل "مفلح" حتى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين ومائتين فى آمل ، وبعد ذلك مضى إلى جالوس ونزل "بعمر أباد" قرب "جالوس" وأقام معسكره فخاف منه جميع "الديالة" وتخلوا عن "الحسن بن زيد" وحدث فى هذين اليومين أن وصلت رسالة من "موسى بن بغا" إلى مفلح ^(١) يطلب منه أن يعود فى التو والساعة ولا يخلق أى نوع من الأعذار ، فرحل "مفلح" وكان يقطع الليل بالنهار حتى علم فى "جرجان" بوفاة الخليفة "الزبير بن المتوكل المعتز بالله" فتركوا "الشكنى" فى "جرجان" ومضوا إلى "العراق" فتجمع الناس مرة أخرى حول "الحسن بن زيد" وحملوه وأحضره إلى "آمل" فى الثانى والعشرين من "رمضان" وكتب يزيد بن خشمردان رسالة بأن يجب أن يأتى "الحسن بن زيد" إلى جرجان فتوجه فى الحال بالجيش إلى هناك وكان السكنى ينزل حول "جرجان" فدعاه وبذل له الوعود فدخل فى الطاعة وكان "طاهر بن عبدالله بن طاهر" الذى كان يحكم "خراسان" كان عاجزاً عن ضبط ولاية "خراسان" وكان رجلاً خرج فى "البصرة" و"سواد" "العراق" وواسط والذى كان يلقب بسيد برقى والمعروف بصاحب "الزنج" وكان "أمير المؤمنين على" قد أخبر عنه فى الملاحم :-

(١) ورد هذا الخبر عند الطبرى بشكل موجز تحت أحداث عام (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - الطبعة الأولى ج٦ ص ١٧١ ، ٢٧١).

" يا أحنف كأتى به وقد سار بالجيش الذى لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقة لجم ولا فحمة خيل يثيرون الأرض بأقدام النعام ميل لسككم العامرة والدور المزخرفة التى لها أجنحة كأجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من أولئك الذين لا يندب قتلهم ولا يفقد غائبهم أنا كأب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرها بعينها" (١) وكان رجلاً شديداً المراس والشجاعة وقد أثبت "محمد بن جرير الطبرى" فى التاريخ عدم صحة نسب هذا الكلام "لعلى" عليه السلام وأورد شرحاً لفترة خروجه وأيام حروبه.

"زحف يعقوب بن الليث بالجيش إلى طبرستان"

بينما كان الخلفاء و"طاهر بن عبدالله" مشغولين بهذا الأمر قامت فى "خراسان" فتن كثيرة وتزعّمها الصعاليك وقطاع الطرق والعيارون وقاد كل واحد ثورة بكل طرف وكان "يعقوب بن الليث" أكثرهم حظاً وكان وضيعاً فى أصله وكان محترف الصلعة، فتجمعت حوله جماعة ولما لم يوجد لفترة طويلة ملك قوى فقد ركب الغرور فقام بطرد عامل "طاهر بن عبدالله" من سجستان وأقام نفسه على العرش وجاء من هناك إلى "خراسان" واستولى على ملك "محمد بن عبدالله بن طاهر"، وبلغ من أمره أن جعل الخليفة تعاهد معه وترك له "خراسان" فلما استولى على "نيسابور" و قدم إلى "الدهستان" وبعث بشخص إلى "السكنى" فى السر ويزل له الكثير من الأمانى وتعهد له بأن يعطيه "جرجان" وإستراياد حتى خرج على "السيد الحسن بن زيد" وانضم إليه ودخل "يعقوب بن الليث" إلى "سارى" يوم هرمزد من شهرارد يبهشت عام ٢٦٠ وقاتل "السيد الحسن بن محمد العقيقى" وانهزم السيد فى نهاية الأمر ولم يقو على النزول فى مكان ما قط إلى أن بلغ أمل وكان "يعقوب" يتعقبه (٢) بالشموع والمشاعل ومضى

(١) تم تصحيح نص هذه الخطبة الذى جاء خاطئاً فى نسخ تاريخ طبرستان وفق شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج٢-ص١٣٠ طبعة مصر - محقق.

(٢) ورد هذا الخبر عند الطبرى بشكل مغاير حيث ذكر لما هزم يعقوب بن الليث الحسن بن زيد مضى الأخير إلى أرض الديلم فتعقبه يعقوب حتى جبال طبرستان فأدركته فيه الأمطار طيلة أربعين يوماً فلم يتخلص من موضعه ذلك إلا بمشقة بالغة وأمر أصحابه بالانصراف - الطبرى - تاريخ الأمم والملوك. ج ١٠ ص ٣٢٢

"الحسن بن زيد" من "آمل" إلى "رويان" وتفرق رجاله وتوجه "يعقوب" كذلك إلى كلار ومضى "الحسن بن زيد" إلى "شير" ، وطلب "يعقوب" من "شيرجان" تسليمه وقال إن لم تسلمنى "العلوى" فسوف أقتحم "شير" فرفض أهل "شير" هذا الأمر وكان رجل من أهل "فجر" يدعى "كوكيان" قد انضم إلى يعقوب فعاد يعقوب إلى فجر فخرّب دياملة شير كل متاعه وعدته فجاء إلى "كجو" وأخذ من أهالى "رويان" خراج عامين عقوبة لهم حتى خلت الولاية من الخلق لعدم وجود الطعام واللباس وجعل "الليث بن فنه" ، أميراً على "رويان" و"بادوسيان" أميراً على "طبرستان" وأجلس "إبراهيم بن مسلم الخراسانى" على "جالوس" والذي كان من أتباعه ومضى هو إلى "آمل" وذهب أهل "جالوس" فى الحال إلى "الخراسانى" وأشعلوا النيران فى قصره وقتلوا جميع رجاله وبلغ الخبر إلى "يعقوب" فعاد وأحرق جميع تلك النواحي وقطع الأشجار وأشعل فيها النيران ومضى إلى "كلار" عن طريق "كندسان" ثم مضى من "كلار" إلى "رويان" فهلك جميع جماله من الذباب وسقطت عليهم الأمطار والصواعق فألقوا بأنفسهم فى "آمل" ، وبدى لهم أيضاً أن "الحسن بن زيد" يأتى فى أعقابهم فأغار "يعقوب" على طريق الساحل فهرب "الحسن بن زيد" ومضى إلى "كوهيايه" فجاء "يعقوب بن الليث" إلى "كرد آباد" عن طريق ناتل وأخذ خراج عامين من دشت على نحو ما فعل "بقوهستان" وبعد ذلك مضى إلى آمل ومن "آمل" إلى "سارى" ، وكانت مدة إقامته فى "طبرستان" أربعة أشهر ومضى من "سارى" إلى خوار رى عن طريق "قومش" وكتب رسالة إلى عامله فى سجستان بأن يطلق صراح العلويين الذين أمسك بهم وأرسلهم إلى هناك وأن يعطهم من النفقة ما يعينهم على العودة إلى ولايتهم وقد تحرروا وفق ما كتب وكان من بين هؤلاء السادة أخو "الحسن بن زيد" وهو "عبدالله محمد بن زيد" ، ولما خرج "يعقوب" من الولاية عاد "الحسن بن زيد" مع كثير من "الدياملة" والتف الناس من حوله مرة أخرى ولم يتوقف بمكان قط حتى بلغ "جرجان" ، وفى نفس اليوم الذى نزل فيه بها أبلغوه بأن أخاه "محمد بن زيد" سوف يأتى لاستقباله مع جميع الجند فى صفر عام مائتين وثلاث وستين ولبث مع أخيه بقية شهر صفر وربيع الأول وبعد ذلك جاء إلى طبرستان ليزور أمه، وجاء إلى الدهستان عدة آلاف من الأتراك الكفار بقصد الهجوم على "طبرستان" وسلب ونهب الولاية وكان "الحسن بن زيد" فى جرجان فأمر بأن يقود "محمد بن أحمد الخراسانى" طليعة الجيش مع ألفين من "الدياملة" ووقف هو بكل الجيش فى القلب ووصلوا إلى الأراضى

البور في "الدهستان" وتحاربوا وقتل في ذلك اليوم "محمد بن تميم" المعروف "بمردان" كله وانهزم الكفار وأبدى السيد "الحسن بن زيد" شجاعة بالغة في ذلك اليوم وتعقب "قلول" المهزومين لعدة فراسخ حتى لم يبق أحد قط من الكفار وسجل التاريخ ذكر شجاعته في هذا اليوم.

اختلاف الليث بن فنه مع "الحسن بن زيد" وزحف شارى نائب آل "طاهر" على "طبرستان"

عندما حضر إلى جرجان وصلت إليه رسالة من أمل بأن الليث بن فنه قد تمرد فأجلس "محمد بن إبراهيم" على "جرجان" ومضى إلى "أمل" فلم يقبل الديالة بطاعة "محمد بن إبراهيم" وأخذوا يمارسون الظلم والفساد والسلب والنهب مع الرعايا ، فكتب "الحسن بن زيد" بأن ليس خافياً عليك سوء خلق وخسة الديالة وظلمهم فقد خرجوا على طاعتي وأذوا الخلائق ، فجاء إلى جرجان وكان "الحسن بن زيد" مشغولاً بأمر "الليث بن فنه" ، وبعث بالجيش مع "أحمد بن عيسى" إلى "لارجان" لأن "يرويذ" صاحب "لارجان" قد طلب المدد وكتب بأن "الليث بن فنه" ذهب إلى الري وأغرى وإلى الري أن يأتى إلى "لارجان" فأرسل "الحسن بن زيد" أخاه أبو "عبد الله محمد بن زيد" إلى "جرجان" وكان هناك "ديلمى" يدعى "دكية" والذي هرب من "محمد بن زيد" مع قومه ومضى إلى "خراسان" لدى "شارى" نائب آل "طاهر" وأخبره بأوضاع "جرجان" وما بها من هرج ومرج وعصيان للجيش وأغراه بأن يخضع "جرجان" ويسلمها له فتوجه "شارى" ، من "إسفراین" ، إلى "جرجان" ، فتخلى "الديالة" جميعاً عن "محمد بن زيد" و"محمد بن إبراهيم" والتفوا حول "شارى" وجاء كلا السيديين إلى "أمل" إلى أن "حان" وقت أراد "شارى" أن يقطع الأرزاق على الجيش فحمل كل ديلمى كان يوجد في تلك المناطق سلاحه لطلب الرزق وتوجه إلى "شارى" وقال أحد عظماء "جرجان" "لشارى" ويدعى "إسحاق" لا تعطى أموالاً لا طائل منها "الديالة" فقد يفعلون معك نفس ما اقترفوه مع غيرك من الأمراء السابقين من الغدر والخسة ، ولم ير منهم شخص سوى الفضول والظلم وعدم المروءة وكان جموع "الديالة" في "سليمان آباد" وكان الخواص والعوام في "جرجان" قد ضاقوا من طبع "الديالة" القائم على الطمع فأمر "شارى" و"إسحاق" بأن يعمل فيهم السيف فقتلوا خلال يوم واحد ثلاثه آلاف شخص منهم ، وبلغ هذا الخبر إلى السيد "الحسن بن زيد"

فأبدى شماتته فيهم وكان "الليث بن فنه" قد علم بأن "شارى" قد استولى على "جرجان" فأغرى "التركى" الذى كان والياً على الرى بأن يمضيا معاً إلى "طبرستان" وأن ينتزع الولاية لك فتحرك وفق قوله إلى لارجان ، فلما وصل إلى قرية ور وكان بها كل من "أحمد بن عيسى" ومصمغان فقطعوا عليهما الطريق وصاحوا عليهما من فوق قمم الجبال فاندفع "الليث بن فنه" بجواده إلى النهر ولكنه لم يستطع العبور وخشى "التركى" وأعتقد أنه قد غدر به فأمر بأن يقبضوا عليه وأطاح برأسه وبعث إلى "الحسن بن زيد" يطلب المَعذرة ، وعلى أثر ذلك وصلت رسالة من "جرجان" بأن "شارى" قد جمع أموالاً وسوف يمضى بها والرأى الأصوب أن يمضى إلى "جرجان" فلما ذهب "الحسن بن زيد" إلى هناك انضم إليه جيش "شارى" وهرب "شارى" ونزل إلى "خراسان" ودخل "الحسن بن زيد" "جرجان" وقتلوا كثيراً من عامة المدينة وسلبوا الأموال.

"ذكر خروج"الإصفهيد"ملك الجبال"رستم بن قارن بن شهریار"

وأحواله مع "الحسن بن زيد"

حينما كان "محمد بن زيد" قد بعث بجماعة من "الديلمة" إلى أطراف "جرجان" مارسوا قطع الطرق والفساد والقتل ونقبوا فى الليل على بيوت المسلمين وسرقوها واستباحوا ما هو محرم وكان أهل الولاية وحتى حدود نيسابور قد ضاقوا بهم فأمر بقطع يدهم وقدم عدة آلاف شخص من هؤلاء القوم فى "جرجان" فتخلى عنه ألف رجل من الخوف وانضموا إلى "الإصفهيد" "رستم بن قارن شهریار" ، ورغم أنه كان يقول فى الظاهر إنه مطيع "للحسن بن زيد" ولكنه كان يختلف معه فى الباطن عندما انضم "الديلمة" إلى "رستم بن قارن" لم يكن لديه المعاش المناسب لهم فكان يكلفهم بالإغارة على أطراف الولاية ، وكان قد جلس "قاسم بن على" فى قومش فكتب إليه أن "محمد بن مهدى بن نيرك" سيأتى لقتالك من "نيسابور" فأرسل "قاسم" إلى "الحسن بن زيد" كى يرسل إليه بالمدد وكان يأمن جانب "الإصفهيد رستم" فلم يحسب له حساب حتى أغار عليه "الإصفهيد" فجاءه وأمسك به قهراً وأرسله إلى قلعة شاه دثر فى هزار كرى ودخلت قومش تحت تصرفه وتوفى السيد قاسم فى تلك القلعة وعندما استولى على قومش أرسل إلى والى "نيسابور" "أحمد بن محمد الخجستان

"رسولاً بأن أوضاع "الحسن بن زيد" قد أصابها الخل وطلب أن يتحالف معه ، إلى أن توجه السيد "الحسن بن زيد" إلى قومش وقام بسحق "الإصفهبد رستم" وتولى السيد "محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن" الذي كان أخو زوجته فانقسم ظهره لفجيعة فيه حيث كان ذا مودة معه ومسانداً له فانضم جيش السيد "محمد" برمته إلى أبي "عبدالله محمد بن زيد" شقيق السيد فأمره بالتوجه لقتال "الإصفهبد رستم" وما كاد الجيش يقطع منزلاً على الطريق حتى وصل جيش "نيسابور" إلى "جرجان" بقيادة "الخبستانى" فأرسل واستدعى أخاه وترك "جرجان" ودخل تمشيه فوصل خلفه "الخبستانى" حتى رباط حفص واستولى على الخزائن والأمتعة وأسر العديد من رجاله ولكنه لم يقتل أحداً وبلغه فى "جوهنة" أن أخاه قد تراجع إلى الداخل وراج فى "سارى" خبر مفاده بأن "الحسن بن زيد" قد اعتقل^(١) فى المعركة "حسن بن محمد" عقيقى الناس وأخذ البيعة لنفسه وكل مكان يأبى كان يطيح برأسه إلى أن وصل "طاهر بن إبراهيم بن الخليل" من عند "الحسن بن زيد" إلى "سارى" ورأى العقيقى وعلم أن "الحسن بن زيد" قد هرب من "سارى" وانضم إلى "رستم بن قارن" فبعث "الحسن بن زيد" بالرسائل لاستمالاته وقال له إن ما فعلته لم يكن على غير أساس فى ذلك وأنت معذور فلم يجبه العقيقى من الخجل والخوف وظل مع "الإصفهبد" فترة إلى أن لبث "الخبستانى" فترة فى كرد آباد "بجرجان" وجمع مالا فأقام "الإصفهبد" فى "إستراباد"، ومضى "الخبستانى" إلى نيسابور فتعلق أهل "جرجان" به (أى العقيقى) يستجدون من ظلم "الخبستانى" فبذل عنايته لهم وأخذ الخراج منهم وبأيعوه جميعاً حتى جمع "الحسن بن زيد" من جند "طبرستان" ثلاثة فرسان أو أربعة فرسان فلما وصل إلى قرية نامنه بنجاه هزار اختار خمسمائة فارس وأغار ليلاً على "إستراباد" وانقض فى الصباح على "الإصفهبد رستم" فلم يكن فى وسعه إلا أن تحرك بنفسه ماشياً إلى "قوهستان" فلم يتوقف "الحسن بن زيد" قط إلى أن بلغ "جرجان" وكان العقيقى غافلاً عن أن "الإصفهبد" كان عنده فى "إستراباد" وفجأة وصل "الحسن بن زيد" إلى باب قصره فركب الجواد هو واثنان آخران وثلاثة فرسان واتجهوا إلى الصحراء فتعقبه "محمد بن زيد" إلى أن أمسك به وأحضره

(١) ورد هذا الخبر عند الطبرى بشئ من الإيجاز، - الطبرى - تاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٧٥٢ أحداث سنة ٦٦٢ - المترجم .

لأخيه فلما وقعت عينه على "الحسن بن زيد" طلب منه الأمان فشاح بوجهه عنه وأمر "تركي" الرومي بضرب رقبتة ولفوه في ملاءة ودفنوه في قبور المجوس وأرسل "محمد بن زيد" الجيش إلى "الإصفهيد" في "قوهستان" فشرده ويات عاجزاً فكان كل يوم يرسل برسول لطلب الأمان إلى أن كتب "الحسن بن زيد" رسالة لأخيه بأن أمنه وافرض على كل ما يمتلكه خراجاً وتصرف فيما بقي وخذ الحجة عليه بعد ذلك وإن يكون له جيش فنفذ "محمد بن زيد" أمر أخيه "كله" ثم حضر إليه ، فأعطاه الطبول والأعلام وأرسله إلى "جرجان".

"وفاة الحسن بن زيد"

أصيب "الحسن بن زيد" في هذا العام بمرض ولم يقو على الركوب على الجواد ولبت مدة عام في هذا المرض إلى أن توفي في يوم الاثنين الثالث من شهر (١) رجب عام مائتين وسبعين وكان منذ خروجه إلى وفاته عشرون عاماً وخلال هذا العام الذي كان "الحسن بن زيد" مريضاً فيه كلف "أبو الحسين أحمد بن محمد بن إبراهيم" المعروف بقائم والذي كان صهر "الحسن بن زيد" من ابنته المسماة بأم "الحسن" يأخذ البيعة لأخيه "عبد الله بن زيد" من أهل "طبرستان" حيث كانوا أبناء له .

"سلطنة محمد بن زيد في طبرستان وخروج السيد أبو الحسين"

بايعه أهل طبرستان بعد الحسن بن زيد وهو الداعي الكبير وعندما توفي الحسن بن زيد كان "محمد بن زيد" في "جرجان" فحمل السيد "أبو الحسين" الذي كان "صهر الحسن بن زيد" أموال الخزانة ، وبايع نفسه وأنفقها على أخذ البيعة حيث دعا الناس لطاعته فالتف من حوله كل المعارف من "الديالة" وغيرهم وكان معه "الإصفهيد رستم بن قارن" و"بادوسيان" فلما سمع "محمد بن زيد" خبر موت أخيه اتجه بجيشه إلى "آمل" فقام أبو "الحسين" بإغراء عدد كبير من أتباع "محمد بن زيد" خفية من أمثال "ليشام بن وردان" وأبو "منصور مهد بن مخيس" ليقتلوه في رباط حفص فقالوا إن العيش والملح يحتم علينا أن لا نقتله فتركوه وحيداً وعادوا ثم توجهوا إلى "جرجان" وعاد "محمد بن زيد" إلى "جرجان" أيضاً ولكنهم لم يسمحوا إليه

(١) ورد هذا الخبر عند الطبري ورجح وفاة الحسن بن زيد بين شهرى رجب وشعبان في عام ٧٢ هـ (الطبري - تاريخ الأمم والملوك - ج ١ ص ٩٢٢ طبعة بيروت) - المترجم .

بالدخول إليه فاتجه "محمد بن زيد" إلى "رستاق زوين" وظل به إلى أن بعث أبا "الحسين" لتلك الجماعة بالخلع والدراهم والدنانير وأمرهم بأن يبقوا حيث هم فلم تكن تواتى "محمد بن زيد" جرأة أن يطل برأسه من "زوين" فظل بنفس المكان إلى أن جاء رافع "بن هرثمه" من "خراسان" مهزوماً فقام "مهدي مخيس" والذي كان أحد أتباعه بأن بعث إلى "محمد بن زيد" ليحضر عنده وينضم إليه فلم يلتفت إليه ، ولم يخرج إليه وكان رافع يعلم بحال "محمد بن زيد" فأرسل إليه بالرسول وأحضره عنده وتحارب مع "مهدي مخيس" وهزمه ونزل إلى "خراسان" وتوجه ليشام "الديلمى" إلى أبى "الحسين" وكان على "برسرخاب" أسيراً فى يد "المهدي" وهرب منه يوم الهزيمة وترك رافع "جرجان" ، "لمحمد بن زيد" ومضى إلى "خراسان" وقام أبو "الحسين" فى سبيل الحصول على المال لمعاش الجند بممارسة الظلم ومصادرة الأموال ومارس أنواع الإيذاء والفعال المشينة والبدع والقبائح ؛ فنفر منه أهل "طبرستان" وضاقوا به وكتبوا سرّاً بهذه الأوضاع "لمحمد بن زيد" واستدعوه فجمع "محمد بن زيد" الجيش من الأطراف ووصل إلى مدينة "سارى" يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ٢٧١ هـ ، وكان أبو "الحسين" بها فهرب ، وذهب إلى "آمل" وغادرها ليلاً وانضم إلى ليشام ونعمان فى "جالوس" ليمضوا إلى أرض "الديلم" ووصل "محمد بن زيد" إلى "آمل" فى يوم الأحد من غرة شهر جمادى الأولى وتوجه يوم الثلاثاء إلى قرية بنفش وركب فى وقت صلاة العشاء فبلغ "جالوس" وقت الصباح فأمسك بأبى "الحسين" و"ليشام" و"الديلمة" الآخرين الذين كانوا معه ، وغنم أموالاً طائلة وجاء فى تلك الليلة إلى خواجك ، ووصل يوم الجمعة إلى مدينة "آمل" وجلس على الحكم فى السادس من جمادى الأولى وكانت مدة حكم أبى "الحسين" عشرة أشهر وقد أمر "محمد بن زيد" بتقييده وأطلق مناد يعلن الأمان لجميع عماله ويدعوهم للحضور فتقربوا إليه وطلب منهم حساب الأموال حتى الخيط فأعادوا كل ما كان قد أخذوه وأحضر أخت أبى "الحسين" والتي كانت زوجة "الحسن بن زيد" وتدعى سكيئة وأخذ منها كل مجوهراتها الذهبية وبعد ذلك فك قيود أبى "الحسين" وأمر كل من صودرت أملاكه على يد "أبى الحسين" أن يطلب حقه منه فشهد صلحاء وفقهاء "آمل" بألف درهم فقیده "بن زيد" مرة أخرى وبعث بها إلى "سارى" مع "ليشام" ، "الديلمى"

ولم يراهما أحد بعد ذلك وقيل إنهما هلكا فى الطريق ، وقد مضى من قبل ذكر شجاعته وعقله وعلمه ، وسمعت أنه بعد أن جلس للحكم حكى رواية عن السيد "الإمام" الناطق بالحق "أبى طالب" رضى الله عنه عن "أبى أحمد محمد بن على العبد" وهو "أبو القاسم عبد الله بن أحمد" الكاتب البلخى الذى جرى ذكره فى المقدمة أن الداعى "محمد بن زيد" قد ظن أن الناصر الكبير "الحسن بن على" مشغول بالدعوة ورياسة الناس وكنت أنا و"أبو مسلم بن بحر" حاضرين فى هذا اليوم فى مجلس الداعى "محمد بن زيد" ، فدخل الناصر الكبير "على الحسن بن على" وألقى السلام وجلس وبعد ساعة التفت إلى أبى مسلم وقال يا "أبا مسلم" من القائل:-

وفتيان صدق كالأسنة عرّسوا على مثلها والليل تغشى غياهبه
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

وأخطأ ناصر الكبير فى إنشاء هذا البيت وسهى وجعل تهمة "محمد بن زيد" يقيناً فأخفض كلانا رأسه ولم نبد اهتماماً بالرد عليه وأدرك هو السبب وراء سكوتنا "محمد بن زيد" على "أبى مسلم" وقال له يا "أبا مسلم" ما الذى أنشده "أبو محمد" فقال أطال الله بقاء السيد الداعى هذا الشعر :

إذا نحن ابنا سالمين بأنفس كرام رجت أمراً فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها تؤب وفيها ماؤها وحيائها

فقال "الداعى" أو غير ذلك إنه يشم رائحة الخلافة من جبينه، وعندما استقر له حكم "طبرستان" توجه إلى "قوهستان" التابعة "للإصفهيد رستم بن قارن" وطرده من الولاية وأرسله إلى "نيسابور" لدى "عمرو بن الليث" فقام "عمرو" بأن أرسل إليه يطلب الشفاعة له والأمان وأعطى عهداً بأن لا يتخذ لنفسه جيشاً وأن يرسل بكل ما يملك من جندل "محمد بن زيد" وأن يؤدى الخراج الذى لم يسدد عن تلك السنوات ، وكانت

"جرجان" هي مقر "محمد بن زيد" والتف من حوله جند غفير من أصحاب "رافع" و"عباس" ولم تف نواحي "جرجان" بما يحتاجه من مؤن .

"ذهاب محمد بن زيد إلى الري وأحداث رافع معه والزحف بالجيش إلى طبرستان"

في شهر ربيع الأول عام ٢٧٢ كان في الري تركي يدعونه "أساتكين" فرغب "محمد بن زيد" بأن يمضي إلى "الري" فمضى من "جرجان" إلى "دامغان" ومنها إلى "سمنان" وأقام بها يومين ثم مضى إلى "خوار" وكان الجيش العراقي قد نزل في "بأفرداد بو هروان" قرب الري فلما التقيا معاً هزم جيش "محمد بن زيد" ونزل إلى "لارجان" مهزوماً ومضى "الخراسانيون" إلى "خراسان" ولما وصل إلى "آمل" توجهوا إليه حيث كان يقصد "جرجان" فاضطر "محمد بن زيد" إلى الرحيل وأرسل إلى "الديالة" في طلب المدد وعندما ذهب إلى "تميشه" راج خبر بأن رافع جاء إلى "جرجان" ولبت هو أيضاً في قلعة "تميشه" في انتظار "الديالة" وأتاك مضي "رافع" إلى "نيسابور" بسبب الفتنة التي كانت قد حدثت في "خراسان" كما مضى "محمد بن زيد" إلى "جرجان" ولبت بها عدة أشهر ، ثم جاء إلى "آمل" عام مائتين وثلاث وسبعين واستن سنة بأن أخذ لابنه "زيد محمد بن زيد" ولاية العهد وأمر بإلحاق اسمه مع اسمه على الدراهم والمناير ولما وصل "رافع" إلى "خراسان" كانت الفتن قد أخمدت والخلاف الذي نشب بين أبناء "نوح نصر" و"إسماعيل" انتهى إلى الاتفاق وكان لرافع في الأيام السالفة معارك مع أهل "خوارزم" فتوجه مرة أخرى إلى هناك وأحضر عشرة آلاف رجل من "خوارزم" إلى "نيسابور" كرهائن.

"أحداث محمد بن زيد والإصفهيد رستم وزحف الإصفهيد بالجيش إلى طبرستان"

انقلب "محمد بن زيد" على "الإصفهيد رستم" وانتزع منه الولاية بأكملها فهرب منه "الإصفهيد" رستم ولجأ إلى "رافع" ولبت "محمد بن زيد" سبعة أشهر في "قوهستان" التابعة له وقدم "رافع" مع "الإصفهيد رستم بن قارن" إلى "طبرستان" ولما وصلا إلى "جرجان" لم يقو "محمد بن زيد" على الوقوف أمامها فذهب إلى قلعة "جهينة" وظل محاصراً لمدة ستة أشهر إلى أن نفذ ما في القلعة من ذخيرة فنزل من القلعة مع عدة أشخاص وفوض أمر القلعة لأحد القادة ودخل هو تميشه وبعد مدة

سلم القائد القلعة إلى رافع نتيجة عجزه ، وجاء رافع حتى أمل في طلب محمد ومضى محمد إلى كجو وأمر بعمارة القلعة فمضى "رافع" إلى "كجو" فغادرها "محمد بن زيد" وانضم إلى "الديلمة" ، ولبت "رافع" في "كجو" حتى مستهل ذي الحجة عام سبع وسبعين ومائتين وكان حال الناس من جراء مصادرة الأموال وإلزامهم بالمؤن المجحفة وإيقاع الأذى بهم أنهم لم يقووا على التقاط الأنفاس ولم تأخذه بالمسلمين رحمة قط ، فمد "الديلمة" "محمد بن زيد" بالمدد ونزل "جستان بن وهسودان بن قوهستان" لناصر "محمد بن زيد" وكان "محمد بن هارون" نائباً لـ "رافع" في "جالوس" فجعلها حصناً منيعاً وأدخرها المؤن وأقام المنجنوقات ، فلما بلغه خبر عن محمد بن زيد أعلم رافع فأجابه بأنك لا تقاومه ولا تخرج من الحصن قط وأثبت حيث أنت وأرسل إلى "جالوس" بطريق الساحل كل من "الإصفهيد رستم بن قارن" و"محمد بن أحمد" وندويه و"علي بن الحسن المروزي" و"عبدالله بن الحسن" وابن الإصفهيد شهریار بادوسیان وارتحل هو ومضى إلى أهلهم وأقام بها ستة أيام وقد أقامت تلك الجماعة معسكراً لها في بـ "نفش كون" وكان "محمد بن زيد" قد مضى إلى "جالوس" وضيق الأمر على "محمد بن هارون" ومضى "رافع" من "أهلم" إلى قرية "خواج" على مسافة أربعة فراسخ من "جالوس" وأرسل "الإصفهيد" شاقه إلى الطريق العلوي فبلغ الخبر إلى "جستان" و"هسودان" فبعدا عن الحصن وخرج "محمد بن هارون" وتتبع جنودهم في الصحراء وشتدتهم ونزل "محمد بن زيد" بوارفو في السادس والعشرين من ذي الحجة ونزل "رافع" في "لنكا" وأقام بها وطلب المؤن من كل ولاية "طبرستان" إلى أن بلغ قرابة حمار وحمل تبين خمسين درهماً وفرض على "أمل" ألف ألف درهم حيث حصلها بالتعذيب والعقوبات ثم توجه من "جالوس" إلى طريق "الطالقان" حيث كان "جستان" هناك ووصل إليه في غرة صفر وقام بتخريب ولايته وإحراق غلاته وقطع أشجاره وتحطيم رحايا طواحينه ولبت مدة في "طالقان" ، وكان هناك جيلي يدعون "كيا" من عظماء "الديلم" كان له قلعة أخذها منه قهراً واستمر ظلم وعدوان نوابه في "طبرستان" حتى آخر ربيع الآخر إلى أن انتهى الأمر بينه وبين "جستان" و"هسودان" إلى التفاوض عن طريق الرسل وتقرر تسليم ودائع ورهائن "محمد بن زيد" وألا يمد "محمد بن زيد" بمدد ولا يسلمه ، ومضى "رافع" من هناك إلى "قزوين" وجاء "محمد بن زيد" إلى "جالوس" وأراد الاستيلاء على الحصن وكان هناك "الإصفهيد رستم بن قارن" و"محمد بن هارون" فلم يقدر أن يستولى عليه حيث

جاءهما المدد من "أمل" فتحرك يائساً مع "جيش جيلان" وانتقل "محمد بن هارون" من "جالوس" إلى "ناتل" وكان أهل الولاية قد ضاقوا بهما وجاء "رافع" من "قزوين" إلى "الري" وأنداك كان "المعتضد بالله" هو الخليفة فبعث إليه برسول بأن احضر إلينا فأمسك "رافع" بالرسول وأمر بحبسه ثم أطلق سراحه بعد ذلك وسيره فعين الخليفة "أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي" على ولاية العراق وأرسله لحرب "رافع" ، فطلب "رافع" المدد من "طبرستان" فأمده "الإصفهيد رستم بن قارن" وأمراء آخرين وتحارب مع جيش الخليفة على شاطئ نهر "كلهوار" يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة وهزم "رافع" وسقط الكثير من القتلى إلى أن نادى "أحمد بن عبد العزيز" وأمر بوقف القتل وجمعوا كافة الغنائم ونزل "رافع" إلى "طبرستان" عن طريق "ويمه" .

(اتفاق رافع مع محمد بن زيد)

حينما وصل "رافع" إلى "مهران" علم أن الخليفة "المعتضد" قد أسند حكم "نيسابور" لـ "عمرو بن الليث" فبعث برسول إلى "محمد بن زيد" في "جيلان" وبإيعه ورغب في طاعته بشرط أن تكون "جرجان" له ، وجاء "محمد بن زيد" إلى "أمل" يوم الثلاثاء الخامس من ربيع الآخر وتوجه "رافع" إلى "جرجان" وعلم في ذلك الوقت أن "أحمد العجلي" قد توفي في "الري" وجلس ابنه خلفاً له فجهز "رافع" الجيش وتوجه به إلى "الري" وحارب "ابن أحمد" وهزمه ، وفي السابع من جمادى الأولى أرسل الجيش إلى "الجسور" وبعد شهر أرسل "المعتضد" بابنه إلى الري وسلم "رافع" الولاية وكان "ابن أصبغ" هو خليفة "لابن المعتضد" فنشر العدل في الولاية وأزال الظلم والبدع وأبطل عادات الظلم والجور وكان "محمد بن زيد" امناً في "طبرستان" فجاء إليه "بأمل" في هذا العام "بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي" واستقبله "السيد محمد بن زيد" بنفسه وترجل من على جواده وأرسل إليه في ذلك اليوم ألف ألف درهم في مائة صرة مع كثير من الثياب والمتاع ولوازم الفراش والشراب الذهبية والفضية ومختلف الهدايا الأخرى ولبت فترة في أمل معزناً ومكرماً ومتنعماً ومترفاً إلى أن فوض إليه "جالوس" "ورويان" ثم سيره فلما وصل إلي "ناتل" أمر بدس السم له في قدح من الجعة فمات ودفن هناك في "بول" ليشام أيضاً فلما جاء "رافع" مهزوماً إلى "جرجان" وأراد أن يتحارب مع "عمرو بن الليث" وكان قد هرب قائد من أتباع "عمرو"

وانضم إلى "رافع" فشجعه على ذلك فطلب "رافع" المدد من "محمد بن زيد" فما طله فلما يأس قائد الجيش وتقدم وأخذ "عمرو" يحصن نفسه داخل مدينة "نيسابور" ولم يخرج ، وكان جند "رافع" يهجمون يومياً على "نيسابور" وهم "محمد بن هارون" وأبو نصر الطبري" و"مهدى مخيس" و"فضل بن جعفر" فاختر "عمرو بن الليث" خمسة آلاف رجل وخرج لهم فجأة فهزمهم وحطمهم فوصل الخبر إلى "رافع" فأزال معسكره ورحل وأثناء عودته إلى "جرجان" أرسل إلى "محمد بن زيد" بأن يمدّه بالمدد والمال والجند وتمنى "عمرو بن الليث" من السيد أيضاً أن لا يلبي حاجته ولا يفي له ولا يمدّه بمدد ، وفعل مثلاً أراد "عمرو بن الليث" فلم يلتفت إليه وأحكم الحصار على "سارى" فجاء "رافع" إلى "سارى" وأقام خيمة "بروردبار" فأمد "رستم بن قارن" "رافع" بالمدد إلى أن حلت عليهم صاعقة وأمطار فجرف السيل الخيام وهلك الدواب وأصيب الكثير من الناس بالظمأ ورحل "رافع" يائساً إلى "إستراباد" وقام بينه وبين "محمد بن زيد" العهد والميثاق مرة أخرى .

"إمسالك رافع بالإصفهيد ملك الجبال رستم بن قارن"

أرسل "رافع" - "آنذاك" - إلى "الإصفهيد رستم" قائلاً : إني أمضيت هذا الاتفاق مع "محمد بن زيد" ليس من باب الإخلاص له فمازلت على خلافى معه وأثناء ما كانا مشغولين بالصلح والمهادنة أرسل "الإصفهيد" إلى "عمرو بن الليث" وشرح له بأن "رافع" و"محمد" قد عقد اتفاقاً معاً وسوف يجلبان الريب لى ، وربط نفسه "بعمرو" إلى أن يرى ماذا يكتب فلما أن جاءه رسول "رافع" برسالة أخرى وعرف حقيقة ما قد تم ، جاء إلى إستراباد لدى "رافع" فأمر بإعداد المائدة له وبألف في إكرامه ولما فرغاً جلسا للتشاور منفردين فجاء بغيره وكبلت أقدام "الإصفهيد" وقبض عليه وحمله إلى "قوهستان" التابعة له واستولى على دوابه وودائعهم ومتعلقاته بالقهر والتعذيب وأسندوا ولايته إلى "أبى نصر الطبري" فضاعف له العقوبة والعذاب إلى أن مات فى محبسه فى رمضان عام اثنين وثمانين ومائتين وقدم "محمد بن زيد" لجيش "رافع" فى هذا العام نفقة بحيث اتخذ "رافع" لنفسه الشعار والعلم الأبيض وأخذ له البيعة من جميع "جرجان" و"الدهستان" و"جاجرم" وجعل "لمحمد بن زيد" نصيب من مال "الإصفهيد" "رستم" وجاء "محمد بن زيد" من "سارى" إلى "آمل" وكان معه كل من "محمد" و"هسودان" و"على بن سرخاب" ووقعت بينهما خصومة فقتل "محمد"

"هسودان" بضعة رجال من أتباع "على بن سرخاب" ، ومضى إلى "كيلور جان" وشاع أنه خلع الطاعة فأرسل "على بن سرخاب" إلى "محمد بن زيد" أنى ملتزم بالبيعة والطاعة أما "محمد" و"هسودان" فهو خصمى ولا أرغب أن اجتمع معه فى مكان ، وليس مستساغاً لى ماء سارى فى الصيف كما أرسل "رافع" أيضاً - "آنذاك" - بأن سأمضى لقتال "عمرو بن الليث" وأنا مكتف بالفرسان لأنهم كثيرون لدى فأرسل لى بمدد من المشاة فسلك "محمد بن زيد" طريق "جرجان" وأعلن بأنى قادم بالمدد وكان يتحرك فى بطة إلى أن رحل "رافع" ومضى وتحارب فى "نيسابور" وهزمه "عمرو" وتخلّى عنه رجاله وانضموا إلى "عمرو" ، فاتجه إلى "خوارزم" وكان أهل "خوارزم" يحقدون عليه بسبب ما اقتطفه من مظالم فى حقهم فى عهد "السامانيين" فأمسكوا به فى "غوغائية" وأطاحوا برأسه وأرسلوها إلى "عمرو" بن الليث" فأرسلها بدوره إلى الخليفة "المعتضد" وبعد هذه الأحداث خضعت كل "طبرستان" من "جرجان" إلى آخر "جیلان" لـ "محمد بن زيد" وفى عام سبع وثمانين (بعد المائتين) وصل خبر أن "إسماعيل بن أحمد السامانى" أمسك "بعمرو بن الليث" وقتله وكان "محمد بن زيد" بعيداً عن كل هذه الأحداث تماماً وذاع صيت همته ومروءته وعلمه وسخاوته وأمانته ووفائه فى العالم ورغب الملوك والأمراء من العرب و"العجم" و"الرومان" و"الهنود" فى التحالف والتأسى منه وأصبح عقله وثباته وفضله وبركاته قصة حتى بلغ أعلى درجات الكمال كذاك كسوف البدر عقد تمامه.

"سبب استشهاد محمد بن زيد فى حربه مع محمد بن هارون"

بعث "إسماعيل بن أحمد السامانى" "بمحمد بن هارون"^(١) ومعه جيش مجهز إلى طبرستان وكان السيد قد وصل إلى أعلى درجات الغرور ويات حاداً ومتهوراً فتقدم لملاقاة ذلك الجيش ، وكلما كان محمد بن هارون يتباطأ كان هو على عجل وكانت ثقته فى حوله وقوته بالغة فقد كان معه عشرون ألف رجل ورغم هذا فقد

(١) انقلب محمد بن هارون هذا على إسماعيل بن أحمد السامانى بعد أن فتح له بلاد طبرستان من يد أميرها محمد بن زيد الذى كان ينازع السامانيين السلطة فى خراسان واتخذ البياض شعاراً له مفاوئاً بذلك العباسيين الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم (المترجم) .

حسن إبراهيم حسن - دكتور - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى - ج ٣ الطبعة السابعة ٥٦٩١ ص ٣٧ (المترجم) .

أطاحوا برأسه وهزموا العشرين ألف رجل وأسروا ابن أبي الحسين زيد بن محمد وأرسلوه مع رأس أبيه إلى بخارى فى يوم الجمعة الخامس من شوال عام سبع وثمانين ومائتين وجسده مدفون فى جرجان بلا رأس معروف بقبر الداعى وكانت مدة ملكه ستة عشر عاماً وكان ابنه زيد بن محمد بن زيد سيداً فاضلاً وعظيماً وعالمًا لبث مدة قيد الحبس فى بخارى لدى إسماعيل بن أحمد السامانى وهذه الأبيات له وهو فى تلك الحالة .:

إن يكن نالك الزمان ببلوى	عظمت شدة عليك وجلت
وأنت بعدها نوازل أخرى	خضعت عندها النفوس وذلت
وتلتها قوارع ناكبات	سئمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها	فالرزايا إذا توالى تولت

كما كان يكتب من محنته فى بخارى إلى أصدقائه فى طبرستان

أسجن وقيد واشتياق وغربة	ونأى حبيب إن ذا الشقى
أيا شجرات الجوز فى شط هرهرز	لشوقى إلى أفىائكن طويل
الأهل إلى شم البنفسج فى الضحى	بخشكروا من قبل الممات سبيل ^(١)

وقد عرضوا هذه الأبيات على إسماعيل بن أحمد السامانى فعفا عنه وأمر بفك قيوده واستدعاه عنده وأجلسه ، وقال له لك الاختيار فيما لو تريد أن تذهب إلى طبرستان أو تفضل البقاء هنا فقال له لقد تغيرت الأوضاع فى طبرستان ، حتى

(١) هذه الجزئية من الأشعار إقتباس وتقليد من القطعة المشهورة ليحيى بن طالب الحنفى من المعاصرين لهارون الرشيد خاصة فى المصراع الثانى من البيت الثانى والمصراع الثانى من البيت الثالث فقد قاله الشاعر بعينه مع تغيير مختصر فى اللفظ (الرجوع إلى كتاب الأغانى ج ٢٠ ص ١٤٩ ومعجم البلدان مادة قرقرى - محقق).

أستطيع أن أذهب إلى هناك والبقاء هنا أولى أيضاً وطلب ابنة حمويه بن علي ولبث في بخارى حتى آخر عمره وقبره هناك وبقي عنه ثلاثة أبناء مذكورين ومسطورين في شجرة أنساب الطالبين وهم أبو علي إسماعيل بن زيد بن محمد بن زيد وأولاده في نجارى وأبو عبدالله محمد الرضا وأولاده في بغداد وارتقين^(١) وأبو محمد الحسن بن زيد بن محمد بن زيد وقد قال السادة الطالبين في حق محمد بن زيد وحادثه مراثي كثيرة والقليل منها هو الذي بقي مكتوباً يقول أبو الحسن علي بن الحسن الناصر الكبير في حقه الأشعار التالية :

مضى ابن زيد فلم يرجع بذمته	وكل ذي ذمة بالسعد قد رجعا
يا صاج عرج على الأجداث مختشعاً	وصل واركع فكم صلى وكم ركعا
واقراً السلام على قبر بيلعمة	بأرض جرجان يقرى الطارئ الجزعا
لقد تضمن شلوأ لو تضمنه	لضاق عنه بلاء الأرض ما اتسعا

وله أيضاً :-

ومصيبة داع الحق قصصت كاهلي	وأكثرت أحزاني وأقرحت مد معي
فيا نكبة أضحى لها آل أحمد	عباديد شتى بعد ألف بمجمع
غدت أمل قفراً خراباً قصورها	وكانت حمىً للساخط المتمنع
وأضحت بخارى دار عز ومنعة	وأمسى بها ظني رهيناً ومطمعي
وظل لها شيخى بجيلان ثاوياً	مقيماً بها من غير أنس ومقنع

(١) يذكر المحقق أن كلمه ارتقين لا وجود لها في مختلف النسخ فما لا يوجد نكر لهذا الاسم في الكتب الجغرافية المعروفة. (تاريخ طبرستان ج ١ ص ٢٥٨٠) .

ويقول أبو عبد الله الحسن الأبيض العلوي رضى الله عنه:-

أيا راكباً نحو الحجاز شملة	تجوب الفلا ظمأى وما سيرها الوحد
إذا جئت خيفاً والمخصب من منى	وقبر رسول الله حيث انتهى القصد
فقال بصوت فى البرية معلناً	لابان داع الحق والسيد الفرد
هوى قطب الدنيا واودى عميدها	وولى ربيع الناس والمنهل السعد

أحوال محمد بن هارون وساطنة إسماعيل بن أحمد الساماني :

حينما فرغ محمد بن هارون من جرجان اتجه إلى سارى وأمل يوم الجمعة الثالث عشر من شهر مهر ووصل إلى أمل فى عام سبع وثمانين ومائتين وحكم مدة عام وستة أشهر إلى أن خضعت كل خراسان لإسماعيل بن أحمد فجاء إلى طبرستان فخرج عليه محمد بن هارون فمضى إلى الديلمة وأقام معسكره بأمل فى صحراء ليكانى فى موضع يعرف بـ أشيلا دشت وبلغ العدل والإنصاف درجة أن أهل طبرستان لم يروا قط فى أى عهد ولا حتى سمعوا به من أسلافهم وأعاد جميع الأملاك القديمة لأصحابها الحقيقيين من أعيان ووجهاء طبرستان والتي كان قد سلبها منهم السادة وغيرهم خلال مدة خمسين عاماً ففى نواحى أمل كان الأمر على هذا النحو :-

أعاد لأولاد إبراهيم الخليل ألف ألف درهم وإبراهيم بن إسحاق الفقيه ستمائة ألف درهم ومحمد بن المعين العربى مائتى ألف درهم ولهارون بن على أبى صادق خمسمائة ألف درهم .

وفى نواحى رويان أعاد مائتى ألف درهم لمحمد بن السرى وللمقاتل بن عمه ثلاثمائة ألف درهم وإصفيهد خمسمائة ألف درهم وفى نواحى سارية أعاد ثلاثمائة ألف درهم للقطقطى وسبعمائة ألف درهم لقارن وإبرويز وخشك خيان، ومليون ومائتى ألف درهم لآل الصفر ومائة ألف درهم إلى السرخاب بن جستى، وفى نواحى تريجه أعاد لإبراهيم ومحمد أبناء المضاء الفقيهين وإبراهيم بن مهران وأخوه خليفة ومنصور وجلوانان سبعمائة ألف درهم وبخلاف هذه الجماعة التى كانت من الرؤساء والمشاهير

والأمراء والوجهاء فقد رد أيضاً الأملاك والغلال والتي كانت تخص الرعايا والمستضعفين واكتفى بخراج واحد فى العام ، وكان منشأ كل ذلك هو عام ٢٨٠ وأقر أهل طبرستان قلباً وروحاً لمحبة ومودة إسماعيل والولاء له إلى أن خرج عليه فى جيلان والديلم السيد ناصر الكبير أبو محمد حسن بن على وقال سوف أطالبه بثأر دا ع الحق محمد بن زيد وتجمعت من حوله خلائق غفيرة فتوجه إلى أمل فأرسل إسماعيل بابنه أحمد مع ابن عمه عبدالله بن محمد بن نوح أبو العباس لقتاله فتوجه إليه جميع أهل أمل والتقوا معاً فى موضع يعرف بغلاس فهزموا الديلمة وقتلوا منهم ألفين وكان من بينهم والد ما كان بن كاكي^(١) ووالد حسن فيروزان واللذان كانا ملكين على الجيل والديلم ويقول سعيد بن محمد قصيدة طويلة منها ما يلى :-

ما قد من طاغ يداً فى كيدها	الا ثناها وهو أجذم أعسم
أبنى الخبائث للشقا أنعدتم	والحين يلفظكم إليه الديلم
وإذا جرى لكم بذلك طائر	وزجر تموه فهو أ نكد أشام
فمشى إليكم لا يهاب من الردى	أسد يزجر فى الوغى ويهمهم
فكان هامكم لدى أقدامكم	تحت الساباك حنظلى يتهمهم
وكأنما أيجادكم بدمائها	جار عليها بقم أو عندم
فجيوب أيتام تشق لمنلكم	وخدود أقوام تصك وتلطم
وغدت بقاعكم وما من بقعة	إلا وشيطان عليها يرجمها

ولما ظفر بهذا الفتح والنصر ولقى الديلمة هزيمة ساحقة فوض جميع ولاية طبرستان لابن عمه أبى العباس عبدالله بن محمد بن نوح بن أسد و كان رجلاً

(١) ورد هذا الاسم فى بعض المصادر التاريخية ما كان من كالى (ابن الأثير - الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٣٥٩).

صاحب عقل وكياسة ودراية وسيرة وسيرة حسنة واستراح الناس معه ولقوا منه
استقراراً لم يشهدوه قط:-

وشامخ كالرمح لماع ترى
إلى الأمير الأريحي ذى الندى
شهم له سجلان سجل من ندى
قد منيت منه الحروب بامرى
لم يلف فيها الطلاب مغنم
لا راغب فى سلب يوم الوغى
تبت يداً عدوه إذا ابتدا
وتب مـسا أغنى إذا زج القنا
قرم يعد فى القروم وحده
إن عضك الدمع فلذ بسيفه
أنعامه رغبته ولينه
أحواض من الندى مترعة
ضجيع سيف لا ضجيع كاعب
علامة فى العلم ذو بصائر
أعطى على الأسباب كل ماله
ونفمة العافين أحلى عنده
وكانت الآداب بارت عندنا
أحيا الندى بجوده لما اغتذى
عاذ برب الناس من شر العدى
لله عند الناس من حلال

قطاعة فيه قرورى عصب
المنى أبى العباس فراج الكرب
فعم العناجين وسجل من عطب
شيب منها رأسها ولم يشب
ولم يعرج راجعاً على طنب
انى وهل يرغب ليث فى سلب
يومًا كما تبت يدا أبى لهب
فراه عنه ماله وما اكتسب
إلى العدو جحفل من الرعب
يرى طلب سيفه من الكلب
وبلده وبحره إذا رغب
لكل من سار إليها وذهب
يأس بالخيل ويسلو بالكتب
يجنيك منها رطباً بعد رطب
وربما أعطاك من غير سبب
إذا اجتدوا من كل لهو وطرب
فقد أقام اليوم سوقاً من أدب
أردى العدى بسيفه إذا ضرب
وشر كل غاسق إذا وقب
أعنى ابن نوح ذا الفخار والحسب

المولم الذوبان فى يوم الوغى والمطعم القوى فى يوم السغب
يوماه يوم نعمة على العدى منه ويوم نعمة لمن أحب
جود كجود الغيث إلا إنه عند اصطباب الغيث غير محتجب
أجداده آبائه أعمامه سامانه ونوحه إذا انتسب
وإن نمته الأعجمون أنه معتصم بالأعجمين بالعرب
أقول فيك الآن قول صادق أنت جواد العالمين فى الكشب

وحيثما فوض إليه إسماعيل الولاية ذهب إلى العراق فى طلب محمد بن هارون ، وعلم فى سمران أن الخليفة المعتضد قد توفى فقاد الجيش إلى الرى وانضم محمد بن هارون إلى جستان بن وهسودان فى أرض الديلم وباع السيد أبا محمد حسن بن على الناصر الكبير ، وقد ورد شرح نسبه من قبل ، وكان جستان بن وهسودان من أبناء دعوته ، وأصر فى عام مائتين وتسعين على استخلاص طبرستان ، فاستدعى عبد الله بن نوح الإصفهيد شهريار بادوسيان وملك الجبال الإصفهيد شروين بن رستم وابن أخيه إبرويز صاحب لارجان مع جيوشهم ، وكتب لإسماعيل فى بخارى بأن يرسل إليه بالمدد ، ووصل محمد بن هارون مع الناصر وجستان بن وهسودان إلى تمنجاده فى اليوم الأول من شهر بهمن عام تسعين ، ونزل فى الصحراء التى تعرف بكاذر واستمرت الحرب مدة أربعين يوماً فخاف أهل أمل وأرسلوا بأولادهم ومتاعهم إلى الرساتيق ، وفى يوم الأربعاء وقعت الهزيمة على أنصار ابن نوح فجاء إلى مامطير مهزوماً ، فحمل بن نوح مع الإصفهيد شهريار وكوكيان الديلمى وجارى بكل ما معهم على قلب محمد بن هارون ، فانتزع بن هارون قدمه من الركاب ووضعها على رقبة الجواد ؛ يعنى لقد انتصرت فى المعركة ، فوضع ابن نوح يده على رأسه وشعره ؛ بمعنى أنه طالما أن رأسى على جسدى فلن أمكنك من طبرستان ، وبهذه الحملة هُزم جيش محمد بن هارون وأخذوا يتعقبونهم ويقتلونهم حتى أنوشدادان ، وكان إسماعيل بن نوح قد بعث بابنه أحمد بالمدد لعبد الله بن نوح لكنه تهاون فى الطريق ، وكان مراده أن ينهزم ابن نوح ، فلما وصل إلى إستراباد وسمع خبر النصر جاء على عجل ، وشكاه ابن نوح لأبيه إسماعيل وكتب إليه بشأن

ذلك الأمر ، وذات يوم كان مشغولاً فى أمل بالشراب واللّهُو والصيد إذ وصل إليه الأُمريّان يعود ويأتى إلى بخارى ، فلما وصل إلى بلاط والده أغلظ له ووبخه وقال له : أتعلم ماذا يحدث لبخارى من خلل لو فقدنا طبرستان ، ألا تعلم لوحدث مثل هذا فلن نستطيع أن نكون فى مَأْمَن فى بخارى ، وذهب أبو العباس بعد هذه المعركة إلى الرى وكتب إلى حاجبه المدعو بارس والذى كان والياً على جرجان ، وأرسل إليه برسالة ينصحه فيها بأن يحتاط ، وظل يتعقب محمد بن هارون حتى يوم وفاته ، فأرسل بارس إلى بخارى ، وكتب لإسماعيل بأن يرسل بالشارة والعلم والعلامة الخاصة به وخاتمه ، وأخذ محمد بن هارون الجيش مرة أخرى ، وحضر إلى أمل وصاح بارس بأن إسماعيل قد حضر ووصل مع علمه وإشارته من جرجان إلى أمل حيث قام بارس بإحضار رجل وألبسه ملابس إسماعيل فى يوم المعركة وجعله فى القلب مع غلمانة ، وقد ربط سيفاً فى خصره بدون درع وسلاح ، وجاء غلام آخر إلى محمد بن هارون وقال له : أنت مجنون أيها الرجل ، أتأتى وترفع السيف فى وجه مخدمك ، إن هذا لم يقع من شخص فى العالم ، وقد أرسلنى بخاتمه إليك ، ويقول لك أنه أقسم بالآيمان أن أعفو عنك وأسند الولاية لك وأقطعك على خراسان ، ورأى محمد بن هارون الخاتم والعلامة والشارة فتوجس خيفة ، وقال لجنده عليكم بالبقاء فى أماكنكم ولا تتحركوا منها قط ، وقال لبارس تقدم حتى تقترب من مخدمنا ، فأحضره بارس إلى أن وصل إلى قلب جيشه ، وفى الحال أنزله من على جواده ، وقيده بقيد ثقيل ، وسبره على الفور ، وارتحل فى أثره ، فانضم بعض من جيش محمد بن هارون إلى بارس ، والبعض الآخر وصل إلى بغداد ، ومن بقى اتخذ من طبرستان مقاماً له ، أما محمد بن هارون فأخذوا يسرعون به ليل نهار إلى أن وصلوا به بخارى لدى إسماعيل ، فأمرهم بأن يطوفوا به المدينة ، وأن يحاصروا أتباعه ، وسدوا المنافذ عليه إلى أن مات جوعاً وعطشاً ، كما وصل فى تلك المدة أيضاً أبو العباس بن نوح إلى طبرستان ، وظلت المنطقة من جرجان إلى جيلان تحت حكمه ، ولسعيد بن محمد الكاتب قصيدة ، وقد ذكر بعض من تلك القصيدة :

إذا ما أبو العباس قاد جياده	لأرض العدى عمت برعب وزلزال
كرجل الدبا من كل أليس لاينى	عن القرن خواض المنايا وجوال
فلله عيب الله يوم يشلهم	بصولة ليث فوق أجرد ذيال

وطعن دراك عند مشـتـجر القنا
بكل ردينى ترى كـعـوبه
مشيحا إلى الهيـجاء لابس نقعها
فهـاذاك وادى تمنجادة ملؤه
تراوحه عرج الضـبـاع يهـسنه
أطاعوا المنى إذا غرهم سامريهم
فكانت حمر يسلا مراما تمنعت
كما كعبة الله الحرام سمت لها
وذاق وبال البغى صاحب قلبهما
عشـية وفر هاربا وكأنه
ولم ينجـه من حد بأسك عاديا
سواحل جيلان ولا هردلامز
وأنزله بالسيف من حيث لم يكن
إلى أن أتى جيـحون طوع يد الردى
وأضحت غانى أدروهم بعد هلكهم

وضرب طلخن فى كريهة قسطال
وكل رقيق الحد أبيض قصال
ويعلم أن النقع أفضل سربال
فغادره شلوا مقطـع أوصال
طوالب أرزاق لهن وآجال
فكانوا على الطاغين أشأم مغتال
بعزة إحرام ومنعة إحلال
أحابيش تبغيها غوائل مغتال
وماساق (١)
ثعالة قفر بين شوك وأدغال
حذار الردى عدو الظلم بإجفال
ولا متن إيلام ولا هضب سرجال
ليبلغه فى مرتقى عصم أو عال
وذاق حمام الموت فى شر آجال
خسوالى إلا من رنين وأعوال

وظل أبو العباس عبد الله بن نوح حاكماً على طبرستان طوال فترة حياة
إسماعيل بن أحمد فى بخارى ، فلما توفى إسماعيل وجلس ابنه أحمد مكانه على
العرش عام خمس وتسعين ومائتين عزل أبا العباس بعد عامين وعدة أشهر بسبب
الكراهية التى كان يحملها له وعين على ولاية طبرستان التركى المدعو سلام فى عام
سبع وتسعين ، فضاق جميع أمراء والده منه ، وعندما أراد أبو صالح منصور

(١) جاء فى المتن هذا المكان فارغاً.

وبارس أن يبایعا أبا العباس أرسل إليه برسالة بأن أبا العباس أراد أن ينتقل من طبرستان إلى جرجان لدى فارس فقطع عليه الطريق هرمزكامه صاحب (تميشه) ورستم بن قارن والإصفهبد شهریار ، وحالوا بينه وبين ذلك ، فجاء إلى (أمل) ، وقصد طريق كجو ورویان ليمضى إلى الرى ، فوصل إليه (الإصفهبد شهریار) بقرية "أنجير" ونصحه بأن العصيان غير مبارك ولا يتأتى منه سوى التشرد وستأخذ الملك به الشفقة ويندم على ذلك ، وأثناء ما كانوا فى هذا الحديث إذ وصل "محمد بن حجر" برسالة من عند "أحمد بن إسماعيل" يدعو ويلتمس تشريفه ويستميله ، فتوجه إلى بخارى بقلب قوى يحدوه الأمل ، وقال عظماء الدولة السامانية وأكابرها يجب عدم التعرض له قط وأن ترفع منزلته ، فأعطاه ثلاثين ألف فارس وأرسله إلى العراق ، ووصل غلام التركى إلى أمل فى جمادى الأولى عام ٢٩٧ فى يوم إشتاد (السادس والعشرين) من شهر أذار القديم، ويقول "سعيد بن محمد الكاتب" حسرة على عهد أبو العباس :

ما بال أمل أظلمت جنباتها	لما أبو العباس ودع أملا
تذرى الدموع بكورها ورواحها	درراً وتهتانا وسحاً هاطلا
وبدورها وشموسها محجوبة	فتخالهن وما أفلن أو آفلا
وترى أعزهم بها مستذلاً	وأجلهم متخاشعاً متضائلاً
يتذكرون فيذكرون يدا له	قد أمنت مأهولها والآهلا
فتظاهرت بركاته إذ عمهم	عدلاً وزاد لهم ندى وفواضلا
فرأوا هشيم زروعهم ذا نضرة	وضروعهم غزراً تدر حوافلا
وغدوا وأمسوا لا يراع سوامهم	يتعاشون تعاطياً وتواصلا
ودفاعه بصياله ونواله	تلك الخطوب المفصلات نوازلا
متجردا فى الله دون حريمهم	ولنفسه فيما حماهم باذلا

وقد حكم سلام فى الولاية تسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً إلى أن تظلم عنده ذات يوم "أبو أحمد زنراش" من "محلة ناصر آباد" من الخراج ، فأمر بصفعه

عدة صفعات على قفاه ، فخرج من قصره وهو ثائر يصرخ ، فثار عوام "أمل" ، وقام أعوان "سلام" بإشهار السلاح وإثارة الرعب والقتل ثلاثة أيام بلياليها ، وفى النهاية أخرجوه من المدينة قهراً ، وكان قد أشعل النار فى السوق ، ولما وصل هذا الخبر إلى "أحمد بن إسماعيل" أرسل أبو العباس "عبد الله بن نوح" إلى "طبرستان" ، وكان معه ابنه "ذو الرياستين" ، وفى هذا العام أبحرت ست عشرة سفينة روسية إلى أبسكون ، إذ إن الروس قد وصلوا إلى أبسكون فى عهد الحسن بن زيد العلوى ، وتحاربوا معه ، فأرسل الحسن بن زيد بجيشه فقتلوهم جميعاً ، وفى هذا الوقت - وأنداك - كانوا قد دمروا أبسكون وسواحل البحر فى تلك الناحية وسلبوها ونهبوها وأغاروا على المسلمين وقتلوا الكثير منهم ، وكان أبو الضرغام أحمد بن القسم والياً على سارى فكتب بهذا الأمر إلى أبى العباس ، فأرسل له المدد ، وكان الروس قد نزلوا بإنجليين التى تعرف فى عصرنا بكاله ، فأغار عليهم ليلاً ، وقتل وأسر الكثير منهم ، وبعث بالأسرى إلى نواحي طبرستان إلى أن عاود الروس المجيء فى العام التالى ، وكانوا بأعداد غفيرة ، فأحرقوا سارى وأطراف بنجاء هزار ، وأسروا الأهالى ، ثم توجهوا سريعاً إلى البحر ، ووصلوا إلى حدود جشم رود فى الديلم ، فخرج بعضهم ، وبقي البعض الآخر فى البحر ، فجاء أهالى جيلان ليلاً إلى شاهى البحر وأحرقوا السفن وقتلوا تلك الجماعة التى كانت خارج البحر ، وهرب الآخرون الذين كانوا فى البحر ، وعندما كان الملك شروا نشاه قد علم بهذا الأمر أقام الكمين فى البحر ، ولم يترك واحداً منهم على قيد الحياة ، وانقطع تردد الروس على هذه الناحية ، وفى نهاية شهر صفر عام ٢٩٨ رحل أبو العباس بن نوح عن الدنيا ، ووصل خبر وفاته إلى بخارى ، وكان محمد بن صعلوك والياً على الري ، فأمره أحمد بن إسماعيل بأن يمضى إلى طبرستان ، وسير وزيره محمد بن عبيد الله البلعمى من بخارى ليقوم بضبط أمور طبرستان ، ونزل محمد بن إبراهيم الصعلوك مع جيش جرار على مسافة نصف فرسخ من أمل فى موضع يعرف بباشير إلى أن وصل إليه البلعمى ، وكان معهم محمد بن اليسع ، واستقر صعلوك على الحكم ، وعادت الجماعة ، وكان السيد أبو محمد الحسن بن على الناصر الكبير مشغولاً فى هذه الأعوام بالاجتهاد فى جيلان ، ونظم أشعاراً كثيرة فى رثاء داعى الحق محمد بن زيد منها الأشعار التالية :

لهفان رهن وساوس الفكر
يدعو العباد لرشدهم وكأن
كيف الإجابة للرشاد وهم
لو أيقنوا بالله لا تدعوا

وله أيضاً

لئن علق النفس أعلاقها
وقد ناهزت بك ستين حولاً
فحسبتم بآمنك الظالمون
فإن يجفك اليوم أدى العشيرة
ففى عون ربك عنها غنى
فدعها فإن نبهتها الخطوب
فليس يفوت النفوس التى
على أمة أسفت ربها
تولى الحكومة بين العباد
تداعى لقتل بنى المصطفى
رويداً فقد هيئت جنة
فإن ييقنى الله أبعث لها
تكون بوارقها مرهفات
وتضحى النجوم لها فى النهار
يسعها فتية فى الإله احتمال
كباش تناطح آل أحمد

بين الغياض فساحل البحر
قد ضربوا الأذان بالوقر
أعداؤه فى السر والجهر
خوف الوعيد وبالعجز

من الموت لم يغن إشفاقها
شروق الليالى وإغساقها
ويعتاق نفسك معتاقها
تربى ويخذلك عقاقها
إذا ما جفا الرحم حذاقها
للرشد يلحقك لحاقها
تفرض للقتل أرزاقها
ودخل فى الغى أعراقها
وعقد الإمامة فساقها
ذو الحشو منها ومراقها
شعوبا فرى السم أشداقها
حروباً يرى الرشد إبراقها
يضىء المحجبة تالاقها
طوالع يغشيك إشراقها
الفسوادج أخلاقها
زرق المزاريق أدراقها

فقد منع العين طيب المنام
دمماً لآل النبي يهـيج
تبكى لها الطاهرات الحصا
فكيف اصطبارى على لوعة
وكيف القرار ولما أرى
وأخرى مصفدة فى البنود
ورأساً طريحاً وبطناً جريحاً
ففى القتل والصلب للظالمين
فإن شدة أعضلت فاصطبر

وطال بكأها وتأراقبها
لك الحزن [والهم] مهراقبها
ن حتى تقرح آماقها
يُرح بالروح إحراقها
رجالاً تضرب أعناقها
والقد أحكم إيثاقها
وفخذاً مفارقها ساقها
شفاء النفوس وإفراقها
فبالله تفتح أغلاقها

"خروج السيد ناصر الكبير"

لما عاد البلعمى وبقي محمد بن الصعلوك فى أمل تجمع أهل نجم ومزور وكل
أهل الجيل والديلم لدى الناصر الكبير ، فأرسل ابنه أبا الحسين أحمد إلى رويان ،
وكان العامل عليها من قبل السامانيين يدعى فيهم فقاموا بطرده ، وذهب الناصر
الكبير إلى كلار فبايعه محمد بن الحسن إصفهيد كلار فمضى من هناك إلى
كورشيد ، وفى اليوم التالى ذهب إلى جالوس وأرسل بابن عمه الحسن بن القسم
بطليعة الجيش ليستخلص جالوس ، وكان محمد الصعلوك قد نزل فى موضع يُعرف
ببور آباد ومعه خمسة عشر ألف رجل ، فلما وصل الناصر تحاربوا ، وقد رتب
الحسن بن القسم الجيش للقتال فى ذلك اليوم فهزم الصعلوك وقتل أعداداً كبيرة من
أصحابه ، وذلك فى يوم الأحد من شهر جمادى الآخرة عام ٣٠١ هـ ، ثم مضى فى
اليوم التالى إلى جالوس ، وقبض على أبى الوفا الذى كان نائب ابن نوح فى تلك
القلعة ، وقتل جميع الخراسانيين ، وجعل تلك القلعة مساوية بالتراب بحيث لم يبق لها
أثر واضح ، ووصل محمد الصعلوك فى منتصف تلك الليلة إلى أمل ، ونزل فى مالكة
دشت إلى أن تنفس الصبح فركب ومضى إلى سارى ، ومن سارى إلى جرجان ،

ومن هناك نزل إلى الرى ومشى السيد الناصر الكبير حسن بن على إلى أمل بعد يومين ، ونزل بقصر الحسن بن زيد، ومثلما كان يتميز بالفضل والعلم والورع فقد سلك أيضاً العدل والرحمة مع الأهالى ، وتجاوز عن الأخطاء ، وأخذ البيعة من أمل ونواحيها، ويقول الأخطل الشاعر فى مدح الحسن بن القاسم فى هذه المعركة :

وأُتيت معجزة ببوروذ التى	أجريت فيها للدماء سيولا
قاتلت صعلوك اللعين بفتية	بزوا الديالم نجدةً وعُقولا
قدّمت منهم كُلَّ سام طرفه	يلقى إذا لقي العدوَّ جهولا
وإذا خلا من درعه فكأنه	لقمان حكماً لا يقول فضولا ^(١)
فعبرتهم نهراً يعبّ عبابه	ليطالبوا للمؤمنين نزولا
وأمرتهم أن يستروا مسراهم	ويغافلوا حزب الضلال غفولا
حتى إذا فرّوا بحيث ينالهم	كيد العداة وولولوا تهويلا
صبروا لهم والحرب تذكى نارها	وشعارهم أن هللوا تهليلاً
فأعأنهم بالنصر لما أخلفوا	ذو العرش مبتعثاً به جبريلا
وتزلزلت أقدام أهل الكفر إذ	صدقوا اللقاء وقتلوا تقتيلا
خلّوا معسكرهم وما ذخروا به	وخوادماً وشواحناً وخيولا
فاجتاحها خيل الإله وأحرقت	تلك الخيام فعطّلت تعطيلاً
وندبت للحصن المنيع ضراغماً	فأتوه لا ضجراً ولا تعليلاً
نصبوا عليه المنجنيق فراغ من	فيه وأصبح جمعه مفلولا

(١) فى الأصل لا يقال وصولاً - متن تصحيح قياسى - وروى فى التفسير أن إنساناً وقف على لقمان وهو فى مجلسه ، فقال : ألسنت الذى كنت ترعى معى فى مكان كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث وأداء الأمانة والصمت عما يغنينى - محقق .

تاريخ طبرستان ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

"ذكر خلاف الإصفهيد شهریار مع الناصر وزحف الجيش من بخارى لمحاربة الناصر"

عندما استقر أمر الناصر على أمل رفع عبد الله بن الحسين العقيقى الأعلام البيضاء على سارى ، ودعا الناس للدخول فى الدعوة ، فالتحق إلى خدمة الناصر مع جيش كثير ، وبوصوله قوى أمر الناصر ، فأسند إليه فوج من الجيل والديلم ، وبعث به لحرب الإصفهيد شهریار، فلما وصل إلى إرم مضى شهریار إلى كولا وكمن بها، وكان العقيقى يسير فى عقبه إلى أن سقط فى الكمين ، فكان العقيقى هو أول قتيل ، وفر الآخرون ، فلما وصل خبر ظهور أمر الناصر إلى بخارى أرسل أحمد بن إسماعيل لسامانى محمد بن عبد الله بن عزيز إلى طبرستان ، فأقام بها أربعين يوماً، فهجم عليه الناصر واستولى على جميع طبرستان بما فيها من فلات وجبل ، وأراد أن يأخذ الخراج من الجميع بنصاب العشر ، فتظلم الناس فتركهم على الوضع القديم الذى كانوا عليه ، وبعث أحمد بن إسماعيل إلى بلاد الترك وطلب مدداً بعشرة آلاف فارس إلى جانب الثلاثين ألف رجل الذين كانوا معه ، فتحرك بجيش قوامه أربعين ألف رجل ، وعزم على أن يضم أراضى طبرستان إلى بخارى ، فلما قطع مسافة منزلين من بخارى أطاح الغلمان برأسه من داخل مضجعه فى منتصف الليل ، وكانت هذه الحادثة على النحو التالى (١) :

كان له وزير يُدعى أبو الحسن الدهقان كانت أموال المراجعين تحول إليه ، وكان يأخذ الرشاوى ، كما كان يستبيح الخيانة ، فاستدعاه ذات يوم وقال له : عليك بالإقلاع عن أخذ الرشوة ، والامتناع عن الخيانة ، فتعهد أن لا يفعل مثل هذا بعد ذلك ، فقال له أحمد بن إسماعيل : إذا كانت نيتك الوفاء ضع يدك على رأسى

(١) ذكر ابن الأثير رواية أخرى لمقتله ، فذكر أنه كان مولعاً بالصيد ، فخرج متصيداً ، وأنه أتاه كتاب نائبه بطبرستان يخبره بظهور الحسن بن على العلوى وتغلبه عليها ، وكان له أسد يربطه على بابيه فلا يجسر أحد أن يقربه ، فأغفلوا إحضار الأسد تلك الليلة ، فدخل إليه جماعة من غلمانه فذبحوه على سريره وهربوا ، وكان ذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة ٣٠١ ، فحمل إلى بخارى فدفن بها ولقب بالشهيد .

(ابن الأثير - الكامل فى التاريخ - ج ٦ - الطبعة الرابعة - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٤٤) ، المترجم .

وأقسم ، فوضع الوزير يده على رأسه وأقسم ، إلى أن نما لعلم الملك أنه لم يف بعهده ، وأنه يأخذ الرشوة ، فاستدعاه وقال له : كيف تجيز أن تحل مثل هذا القسم وتبطل المروءة ، فلم يجبه ، وخرج خجلاً ومنكسراً ، وأعتقد أن الملك سوف يقتله فى أى لحظة ، فعقد النية على تدبير حيلة ، فإذا تهاونت فسوف أهلك ، فأحضر أربعة غلمان وأعطاهم ثمانية آلاف دينار ذهبية ؛ لكل واحد منهم ألفين ، وأمرهم بقتل الملك غدراً ، فوجدوا الفرصة فى تلك الليلة ، وكان قد نام مع الملك الخادم الخصى والغلام التركي فقتلوا الثلاثة^(١) وخرجوا وركبوا الخيل وهربوا ، وفى الصباح وجدوا الملك مقتولاً ، فجرى التحقيق فى هذا الأمر ، وعلموا أن أربعة غلمان قد هربوا ، فأرسلوا فى طلبهم فى كل اتجاه ، فوجدوهم على أربعة فراسخ ، فأمسكوا بهم وأحضروهم ، فقام محمد بن عبد الله بامرر وحمويه وبقية الأعيان بسؤال الغلمان ، من حرضكم على هذا ، فقالوا : لقد أمرنا الوزير الدهقان ، فألقوا بأولئك الغلمان الأربعة للسباع لتنهشهم ، أما الوزير الدهقان فقد أخذوا يقطعون كل يوم قطعة لحم من جسده تعادل مائة درهم من الحجر ويقدمونها إليه ليأكلها حتى صعدت روحه بهذه العقوبة ، وكتبوا بهذا الخبر إلى الخليفة المقتدر بالله ، فأمر بأن تعطى الولاية لابنه نصر بن أحمد بن إسماعيل ، وأرسل هرمزد كامه وشروين بن رستم أتباعهما إلى بخارى ، كما أرسل نصر بن أحمد بإلياس بن اليسع السفدى مع عشرة آلاف رجل إلى طبرستان ، فحضروا إلى تمشيشة ، وكان أبو القاسم جعفر بن الحسن بن على الناصر فى سارى ولديه ألف رجل ، فأمر بحفر خندق سارى ، وكتب إلى والده يأمر الجيش لسامانى ، فمضى أبو الحسين أحمد بن الناصر إلى جيلان والديلم ومعه أموالاً طائلة يعطى للجنود الذهب والنفقات ، وكان يُسيّرهم وكان الإصفهيد أبو عبد الله شهریار فى " بونيا باد " فيما وراء سارى فأقام المعسكر ، وكان لا يزال معه العلم والشارة السوداء ، ولكنه بعث بأتباعه إلى السيد بلقاسم ولما وصل إلياس بن اليسع إلى سارى تحارب معه السيد أبو القاسم الناصر ، وأبدى شجاعة بالغة فى ذلك اليوم لم يشهدها أحدٌ فى عهده ، وظلت تلك الحرب قائمة بينهما ولم يستطيعوا

(١) جاء فى تاريخ الطبرى أن الذى قام بالقتل هو " غلام له تركى أخص غلمائه به ذبحاً وغلامان معه دخلوا عليه فى قبته ، ثم هربوا ، فلم يدركوا " ، وهذا يتعارض مع ما جاء به ابن اسفنديار . المترجم .

(الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - أحداث سنة ٣٠٢ ، ج ١٠ ، ص ٤٠٨ ، دار القلم - بيروت) .

إخراجه من سارى ، وفى النهاية عادوا بقرار الصلح واستقرت طبرستان لناصر الكبير ، وعاش الأهالى فى راحة واستقرار بصلاحه وحسن سيرته ، وتصلح الإصفهبد شروين ملك الجبال مع الناصر ، ومضى هرمزد كامه إلى إستراباد وقد أسند لابن عمه أبو محمد الحسن بن القاسم جميع شؤون الملك وأحكام السلطنة فى الأمر والنهى ، وترك له الأمر وقد فضله على أبنائه الذين كانوا من صلبه ، فحملوا الحسد ، وكان الجيش والعوام يميلون إليه ، ويقول السيد أبو الحسين أحمد الناصر المعروف بصاحب الجيش فى حق والده :

فيا عجبى من قرب أسباب مبعدى	وكثرة أعدائى وقلة مسعدى
ويا دولة قامت على بجورها	ويا والدألم يرع لى طيب مولدى
فما بال أترابى رفعت رؤوسهم	وطأطأت منى جاهداً بتعمد
هل العدل ألا قسمة بسوية	وإنصاف مظلوم وإعطاء مجتدى
فإن رزقوا منك الذى قد حرمته	فما رزقوا علمى وفضلى ومحتدى
وإن كان رأى منك فيهم رأيتـه	فرأى لعمر الله غير مسدد
وإن أكلت دنيأك دونى عصاة	صبرت لها يومى وأمسى إلى غدى
فما الله عن ظلم العباد بغافل	ومـا أنا بالوانى ولا بالمبلد
أتقصى قريب الرّحم من أجل رحمة	وترنوا بإحسان لآخر مبعـد
وأنى لاستحى الكلام أريحه	عليك وأشدو بالقصيد المقصد
وأبقى على الأرحام خوف شماعة	تحل بنا فى كل ناد ومشهد
ولكن الظلم الأقرب من مضاضة	يضيق لها ذرع الفتى المتجلد
ولا بد للمصـدور أن ينفث الأذى	وذى الجلد المقهور دفع التمرد
أترضى بأن أرضى بخطة عاجز	إذا خاننى سيفى وثلت به يدى
وقبل ابن مرداس أبى فضل أقرع	بما كان من فعل النبى محمد
فوالله ما حاموا النبى بفعله	ولا سوّغوه منحة المتفرد

فكيف بمن لا ينزل الوحي عنده	وليس بمعصوم ولا بمؤيد
وأعطى ابن مرداس وأرضاه باللهي	وقال له قول الكريم المسود
وما أنت إلا شحنة من محمد	فهلا بهذا منه تهدي وتقتدي
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا	ويأتيك بالأخبار ما لم تزود ^(١)

ويقول من باب التعصب مع أبيه الذي كان إمامي المذهب :

يا أيها الزيدية المهمل	إمامكم ذا آية منزلة
كفّ له بالأخذ مبسوسة	وفى العطايا جعده مقفلة
أشلى على الأمّة أولاده	وأظهر الرشوة والقندلة
يارخمات الجو تبأ لكم	غصنتم فأخرجتم لنا جندلة
توبوا إلى الرحمن واستغفروا	من قبل أن تأتيكم زلزلة

خصومة الحسن بن القاسم مع الناصر

منذ أن حدث أن أرسل الناصر الكبير الحسن بن القاسم إلى جيلان ، وأمره أن يحضر ملوك الجيل الذين يملكون الجبل والفلاة إلى أمل لتقديم الطاعة والولاء على نحو ما أشير إليه من قبل فأحضر كل من وسندان بن تيداو وخسرو فيروزان بن جستان وانشام بن وردراد مع جملة قبائلهم ، وكتب إلى الناصر بأن الجميع أتوا إلى مددك وخدمتك ، وكانت تلك الجماعة قد تأذت من الناصر الكبير لأنه لم يف لهم بجميع المال الذي كان قد قرره في المرة الأولى ، فبايعوا جميعاً القاسم بن الحسن على أن يمسكوا بالناصر ويأخذون أجر هذه البيعة من الحسن بن القاسم ، فلما

(١) هذا البيت مشهور جداً وهو من معلقة طرفة بن العبد البكري وقائله أتى بغرض التضمين " تاريخ طبرستان ج ١ ص ٢٧٣

وصلوا إلى أمل نزل الحسن بن القاسم في المصلى ، ولم يذهب لدى الناصر، وركب يوماً ما مع خواصه وجنده وجاء إلى البلاط طلباً لنفقات الجند ، فخشى الناصر وركب على بغل وخرج من منزله على غير هدى ، وأراد أن يمضى إلى بأى رثت ، فمضى الحسن بن القاسم في عقبه ، فأمسكوا به وأحضروه إلى أمل ، وأرسلوه من المدينة إلى قلعة لارجان ، ونزل أصحاب الحسن بن القاسم على قصر الناصر ، وأغاروا على كل أمواله وحريمه ، وانتهى الأمر بأن ركب الحسن بن القاسم ، وضرب عدة أشخاص بالرمح في ذلك اليوم ، ولم يستطع أن يقبض على زوجة الناصر وابنه ، وأنزلوا الحسن بن علي جواده بالسيف ، ونشبت حرب، وفي اليوم التالي لام أهل أمل جند الناصر بأن قالوا لهم : كيف تسمحون بفعل هذا مع إمامكم ؟ ألسنتم مسلمين ؟ ولا يوجد قوم أسوأ منكم في العالم ، فاعتنى عامة أهل المدينة بأهل الناصر ، وقاموا بما يجب من رعايتهم إلى أن ثار العامة ، وكان ليلي بن النعمان قد جاء من سارى فتعاون مع هذه الجماعة ، ومضوا إلى قصر الحسن بن القاسم ، ووجهوا إليه الشتائم ، وأخذوا منه الخاتم عنوة ، وأرسلوا إلى القلعة ، وأحضروا الناصر ، وتقدموا إليه طالبين العفو والاستغفار والتوبة ، فعفا عن الجميع ، وركب الحسن بن القاسم بمفرده حيث تولى عنه جميع الناس ، وانضموا إلى الناصر فذهب إلى ميله ، فعلم الناس ، فتعقبوه ، وأمسكوا به ، وحملوه إلى الناصر ، فلم يشح بوجهه عنه قط ، ولم يوجه إليه كلمة فظة أيضاً ، وقال : لقد عفوت عنك ، ومضى ، وبعد عدة أيام أمر بأن يذهب إلى جيلان ، وأن يقيم بها ، فلما انقضت مدة تشفع له أبو الحسين أحمد بن الناصر ، واستدعاه وزوجه من ابنة أبي الحسين التي كانت والدته أبا الفضل الداعى ، وأسند إليه ولاية جرجان .

(١) تصحيح قياسى وفي الأصل " وقتل إشارة إلى القصة المشهورة في تقسيم الغنائم بعد غزوة حنين فقد أعطى حضرة الرسول مائة جمل إلى الأقرع بن حابس وأعطى أربعة جمال إلى عباس بن مرداس فغضب عباس بن مرداس من عدم تساوى الحقوق كثيراً وقد نظمت أشعار بخصوصها كثيرة جداً وسجلت في جميع كتب التواريخ والسير والتفاسير خلاصة معنى البيت أن ابن مرداس أبى تفضيل الأقرع بن حابس على نفسه تاريخ طبرستان ج ١ ص ٢٧٣ .

تحرُّك الحسن بن القاسم إلى جرجان ومحاربتة للأتراك وحصاره ونهاية أمر الناصر الكبير

عندما قصد الحسن بن القاسم جرجان أمر السيد الناصر ابنه أبا القاسم جعفر أن يذهب إلى مدده في جرجان وتميشه ، وكان أبو القاسم جافاً معه كما كان خصماً له ، ولكن لا حيلة من الامتثال لأمر والده ، فحضر إليه ، وكل موضع كان يتركه الحسن كان هو ينزل به ، وكان يكتب إلى والده من كل موضع بأن هذا الرجل يضمرك العداوة في قلبه ، فلما وصل إلى حدود جرجان تقدم الأتراك لقتاله فتخلى عنه أبو القاسم ورجع ، فلم يقدر الحسن بن القاسم على الوقوف أمام الأتراك ، فمضى إلى قلعة كجين على حدود إسترباد ، وكانت هذه القلعة عامرة منذ عهد شابور ذي الأكتاف إلى عهد الملك أردشير بن الحسن رحمه الله ، وفي عهد سيد العالم السلطان الشهيد تكش بن آيل أرسلان أمر الملك أردشير بهدمها حتى لا تقع في أيدي أتباعه ، وقد لبث الحسن بن القاسم بها طوال الشتاء ففقد الكثير من رجاله أطرافهم نتيجة شدة البرودة ، وكان الأتراك قد جلسوا لحصاره أسفل القلعة حتى أصبح الأمر عسيراً عليه ، ونفذت طاقته ، فخرج من القلعة مع عدة أشخاص ، هجم على معسكر الأتراك ومزق عدة أشخاص بسيفه إرباً ، فما إن شاهدوا ضربات سيفه حتى أخلوا له الطريق ، فنزل سالماً إلى أمل ، وذهب من هناك إلى جيلان ، أما الناصر الكبير فقد هجر الملك وعاش مع الخلائق بشريعة الحياة ، فكانوا يأتون إليه من أطراف العالم للاستفادة منه ، وكانوا يقتبسون منه فنون العلوم من فقه وأحاديث وفكر وشعر وأدب ، فكان سيداً عزيز النفع ، وقد انتقل إلى جوار رحمة الحق في الخامس والعشرين من شهر شعبان عام ٣٠٤

ولاية الحسن بن القاسم وخصومة أبناء الناصر معه

أرسل الناصر الكبير بابنه أبي الحسين أحمد إلى جيلان ليحضر الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن المعروف بشجري بن القاسم بن الحسن

ابن أمير زيد بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان لقبه الداعي إلى الحق ومذكور في كتاب الإسلام بالداعي الصغير وفي الثاني عشر من رمضان عام ٢٠٤ وصل إلى أمل وأسند إليه السيد أبو الحسين أحمد بن الناصر الملك فبعث إليه أخوه أبو القاسم جعفر بن الناصر بأن الملك حق أبينا فكيف تسلمه إلى الحسن بن القاسم فلا تفعل فإنك لا تفعل الصواب ألم تر ما فعله مع والدنا فلم يصنع لكلام أخيه ولم يعبأ به فتركه وتخلّى عنه وذهب لدى محمد الصعلوك الذي كان والياً على مدينة الري وقرر أن يتخذ لنفسه الشعار والعلم الأسود وأن يجعل السكينة والخطبة لصاحب خراسان وأن يعطى له المدد ليسترد منهم طبرستان ، وكان الداعي الحسن بن القاسم سيداً طيباً حسن السيرة وعادلاً وعالمًا ولم يشاهد أهل طبرستان في أي عهد مثل هذا الأمن والرفاهية والعدل الذي كان في أيامه ، وكانت كفاءته وسياسته أكثر من جميع السادة ولما وصل أبو القاسم جعفر إلى أمل مضى الحسن بن القاسم الداعي إلى جيلان في عام ٣٠٦ ويقول أبو القاسم جعفر بن الناصر الكبير آنذاك شعراً :

لا يكشف الغمّاء إلا ابن حرة	يهون عليها عبؤها واحتمالها
من الناصريين الكرام إذا غدوا	تطأطأ (١)
أبي ناصر الحق الذي أيد الهدى	وكانت له يمينى الهدى وشمالها
عليه سلام الله ما ذر شارق	وما غارت الحور الهود نعالها {كذا؟}
نفسيت إذا منه وبدلت قسوة (٢)
لئن لم أصبح أملاً بكتائب	تضيق بها صحراؤها وجبالها
فاترك أهل الثلب والغدر همدا	كما صنعت يوماً بعاد شمالها

(١) جاء بالمتن فارغاً .

(٢) جاء بالمتن فارغاً .

ولبت أبو القاسم في أمل مدة سبعة أشهر حتى جمادى الآخرة ٣٠٧ وأخذ الخراج بالظلم والقهر وطلب اقتسام الأرزاق مع الناس فتعب الناس في عهده إلى أن جاء الداعي الحسن بن القاسم مرة أخرى فعدل وأنصف كما كانت عادته ورفع الأهالي أكف الضراعة طالبين من الله أن يثبت ملكه وأن تستقيم دولته ، وأقام قصوراً رفيعة في مصلى أمل وأمر جميع خواص وحشمه بأن يقيموا لأنفسهم منازل وقصور بجواره ولا ينزلوا إلى المدينة قط لتبقى قصور المسلمين مصونة وقد تحالف الإصفهيد شروين ملك الجبال وشهريار وند اوميدكوه وقالوا ندفع المال على نفس النسق الذي كان في عهد الحسن بن زيد فتحرك لحربهم السيد أبو الحسين مع ثلاثة آلاف رجل فأغار على شهريار في كوخ ناشان وهزمه وتصلح الإصفهيد شروين وذهب إلى أبي الحسين وكان أبو العباس بن ذي الريا ستين رسولا بين شهريار والداعي أبي الحسين ويقول عمر بن أحمد في التهئة بفتح جرجان قصيدة مطولة :

وذب عن حوزة الإسلام مجتهداً	أخوك في فتية زهر منا جيد
لما دعا باسمك المنصور وسطهم	ولوا شلالاً إلى قلّ عبّاديد
لم يلق مثل الذي لاقى شريكهم	بياب جرجان من قتل وتشريد
فليس يكنى بنصر بعدها أبداً	لا يرعوني لوعيد ثانی الجيد
فأرسل السيد الميمون طائره	بذاته البيض في غربائه السود
فأوسعتهم قرى مرّاً مذاقه	طعناً دراكاً وضرباً في العبايد
بديير مشتمل بالحزم محتنك	مؤيد العزم ضد يد الصناديد
محسّد وأقل الناس قد علموا	من عاش في الناس يوماً غير محسود
بدولة الحسن بن القاسم اتضحت	سبل الرشاد بإحكام وتوكيد
فالله يقيه فينا سيداً ملكاً	ينى المعالي بتأسيس وتشيد

ولما عجز السامانيون عن ضبط شؤون نيسابور أرسل الداعي بليلي بن النعمان إليها فاستولى عليها ويقول عبد الله بن أحمد الوليدى شعراً :

يا أيها السيد الداعي الذى سلمت	بيمنه أفق الدنيا من الخلل
أبهج بفتح نيسابور التى انغلقت	على الملوك الألى فى الأعصر الأول
كانت حمى لم يبح فافتض عذرتها	مؤيد الدين ليلى بالقنا الذبل
ولى دولتك النهاض باسمك	والداعي إليك دعاء المخلص الجذل
وسوف يبلغ أقصى الشرق مفتتحاً	بلمة لا محايد ولا نُكل
فهذه الأرض قد ألفت مقالدها	إليك يا ابن الكرام السادة البزل
وتلك أسرة سامان التى خزيت	تبكى خراسانها بالأدمع الهمل

ولما استولى ليلى على نيسابور ذهب إلى طوس وتقاتل مع جيش السامانيين فقتلوه فى المعركة ، وعاد جيشه مهزوماً إلى جرجان ، وتعاهد جماعة من كبار الديالة فيما بينهم ، وتعاهدوا على أن يذهبوا إلى الداعي ويقتلوه غدرًا على هذا الأمر ، فلما علم لم يقش هذا السر لمخلوق قط ، ومضى على عجلة إلى جرجان ، وأمسك بتلك الجماعة وأمر بضرب رقابهم ، وكان من بينهم والد سياه جيل المسمى هروسندان الذى كان رئيس جيلان، وبعد ذلك خشى الناس من الداعي ، ووقعت هيئته فى قلوبهم بحيث لم يجرؤ شخص على أن يفكر فى أمر محال ، وقد نظم أبو طالب الشاعر قصيدة :

حتى إذا الغدر انتقل بعصبة	من جنده عن كسيد هُرسندان
قاد الجياد على كناسجها القنا	بألف أسد الغاب من خراسان
تخفوا على فوديه ألوية الهدى	والنصر يقدمه إلى جرجان
حتى إذا وردت هواديها ضحى	جرجان والمخذول فى خذلانه
عاداهم فشفى الصدور من الغليل	عليهم بحسامه وسنامه

وجاء من جرجان إلى أمل بعد هذه الواقعة فاستقبله الناس وأنشد الشعراء
الأشعار :

إمام الهدى قد كان نأيك راعنا	فلم ير إلا طائر القلب واجمة
وما كان إلا واله ذو صبابة	إليك مشوق عازب اللب هائمة
عزيز علينا أن يُزعزعك النوى	ويغشاك من لهج الهجير سمائمه
فكان مُناتاً أن نراك بغسبطة	ولو حُلماً يلقاك فى النوم حاملة
فلا زال عنا ظل ملكك ما دعا	وغرد فى فرع الأراك حمائمه

(وقالوا أيضاً)

يا أيها الداعى الذى سماحه	يحيا السماح ويهلك الإخفاق
كانت لنأيك أمل وكأنها	حوراء ألبسها الحداد طلاق
..... ^(١) ، بدائع حلة	من وجهك زانها الإبراق
عادت عذاباً منذ أبت مياها	فينا وكانت قبل وهى زعاق
بدر الهلال بك المنير ولم يزل	مذ غبت عنا يعتريه محاق
ردت على شمس الضحى أضواءها	ولقد تكور مالها إشراق
رقأت بمقدمك الدموع وطالما	سقت الخدود وماؤها مهراق
ولقد فتقت من الحوادث رتقها	عفواً فأنت الراقق الفتاق

وسيطروا فترة على طبرستان حيث كان الداعى بآمل وأبو الحسن الناصر فى جرجان فأمد بعضهما البعض بالمدد إلى أن قام أبو القاسم جعفر بن الناصر الكبير بالدعوة فى جيلان ، والتف من حوله خلق غفير ، كما خرج على الداعى فى جرجان السيد أبو الحسن بن الناصر ، وكان قائد جيشه أبو موسى هارون إسفادوست فجاء بجيشه إلى أمل ، وتحارب مع الداعى فى منطقة المصلى ، فهزم الداعى

(١) جاء فى المتن فارغاً.

أبا الحسين ، وقتلوا إسفادوست فى المعركة فى هذا اليوم ، ويقول عبد الله بن محمد
الكاتب فى هذه الواقعة :-

كم لهام بكل نجد كـمى	وهمام بكل أمر عـجاب (١)
قصده مزقفاً بفرى فريا	يتلظى عليهم كالشهاب
سل بجيلان أو بجرجان عنها	ويُوروا غداة يوم الضراب
مُزج البحر بالدماء وألقى	جُزراً بالعراء حشو الثيا
نصفه المرجحُ فى حنك الحوت	ونصف له بوكـر العقاب
وبهارون فاعتبر إذا قام ،..... ،..... ،..... (١)
راكباً غير ذى قوائم لا يسنيه	إلا تنوق الخـشـباب

واستقر القرار على عشرة آلاف درهم وعلى رسوم ، وأن يلغوا رسوم الفسق
التي كانت مقررة ، وبعث بعلی بن جعفر الرازى إلى قوهستان التابعة للإصفهيد
شهریار وحسن بن دينار إلى قوهستان التابعة للإصفهيد شروين ليقوما بالدعوة
بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر احتساباً ، وجاء شهریار إلى الخدمة أيضاً ، وذهب
الداعى الحسن بن القاسم وأبو الحسين بن الناصر معاً إلى إستراباد ، وعندما
استقرت الأمور داخل تميمشه ، وكان كل من الإصفهيد شروين وشهریار فى
خدمتهم ، وقد جلس الداعى الحسن بن القاسم ذات يوم فى إستراباد وفى خلوة
مع أبى الحسين وتحدثا فى شتى الأحاديث ، وفى هذه الأثناء قال الداعى : إني
أرى المصلحة بأن نقبض على شروين وشهریار كلاهما ، فدائماً ما كانت ولا تزال
الفتن فى طبرستان تصدر عنهما ، وقد نالتهم أيدينا الآن بغير عناء ، ولا ينبغي أن
نضيع الفرصة ، فقال أبو الحسين الناصر : يجب أن يعرض هذا الكلام على أبى

(١) بقية هذه الأشعار موجودة فقط فى النسخة ألف ، ولكن ليست فى موضعها ؛ بمعنى أن بعد هذا
البيت مقدار ورقة ونصف فى موضع غير مناسب ، وقد انتقلنا إلى هنا لارتباطها مع البيت الأول ،
وموضوعها يقود إلى مقتل هارون اسفا هدوست الذى كان قائد جيش أبى الحسين بن الناصر - محقق.

موسى إسفاهدوست (١) ، وكان غرضه من ذلك أن يكونوا ثلاثة أشخاص ، فإذا ما أفشى هذا السر فلا يستطيع الداعى أن يقطع بأنه من عند أبى الحسين ، فلما خرجا أرسل أبو الحسين إلى الإصفهيد شروين وشهريار بأن يهربا وحذرهما من أن الداعى سوف يقبض عليهما فهرب الاثنان ، وعاد الداعى من إستراباد محبطاً ، وذهب إلى ولايتهما ، وأوقع بهما المزيد من الخراب ، كما واصل الاثنان الحرب أيضاً ، وفى نهاية الأمر أخذ أبناءهما كرهينة وعاد .

"سبب حبس الداعى على يد محمد بن شهريار"

حينما عاد الداعى كى يأتى إلى جرجان أرسل إليه إلياس بن اليسع بأن يترك جرجان يرحل حيث هو فلم يصنع إليه قط ، وتحاربوا ، وقتل إلياس ، ومنى جيشه بالهزيمة ، وقتل جميع هذا الجيش باستثناء عدد قليل من أفرادهم جاؤا لطلب الأمان ، وأقام السادة فى جرجان وصادروا الأموال وأعطوا النفقات للجيش ، حتى وصل هذا الخبر إلى بخارى فأرسلوا بالمدعو قرا تكين التركى مع ثلاثين ألف فارس إلى جرجان ، وعلم الداعى وأبو الحسين بأن لا قبل لهما بمقاومة ذلك الجيش فعادا ودخلا تمشية ، وتخلّى أبو الحسين عن الداعى ومضى إلى جيلان وانضم إلى أخيه أبى القاسم جعفر فلجأ الداعى إلى الإصفهيد محمد بن شهريار ، فأمسك به وقيده بالقيود ، وأرسل به إلى على بن وهسودان الذى كان نائباً على الرى من قبل الخليفة المقتدر بالله ، وكان طاهر بن محمد الكاتب عند على بن وهسودان فلم يتركه يرسله إلى بغداد ، وقال بأن المصلحة أن ترسله إلى قلعة آبائه فى الموت ، فحملوه إلى هناك وحبسوه فى الوقت الذى فتك فيه محمد بن مسافر بعلى وهسودان فى قزوین ، فأطلق خسرو فيروز سراح الداعى وسيره إلى جيلان .

"أحوال أبناء الناصر"

لما انضم السيد أبو الحسين إلى أخيه أبو القاسم جعفر أخذ المدد من الجيل والدليم ، وحضر إلى طبرستان ، وكان جيش قراتكين قد تفرق ، وقامت الفتن فى خراسان ، فاستدعوه ، فجاء كلا الأخوين إلى جرجان ، وأقام بها فى تمكن إلى

(١) هذه الحادثة كان يجب أن تذكر أولاً لأن أبى موسى بن هارون قد قتل فى حرب ، وهذا يتناقض مع سير الأحداث ، ويبدو أن أبا موسى هذا شخص آخر وهو هارون بن بهرام الذى سيأتى ذكره - محقق.

أن أرسلوا مره أخرى بالمدعو أحمد الطويل من بخارى فجاء إلى جرجان ، فتحارب معه الناصرين وهزماءه فنزل وحيداً إلى بسطام ، وتفرق معظم جنده في جاجرم وإسفراین.

"أحوال الداعي بعد خلاصه وأحداثه مع أبناء الناصر"

عندما وجد الداعي الصغير الحسن بن القاسم (الخلاص والنجاة من الحبس) وصل إلى جيلان وأرسل بثقاته إلى طبرستان ، ونقل إلى جيلان الأموال المدفونة والودائع التي كانت موضوعة في حوزة الأهالي على سبيل الأمانة ، وكان كلا الأخوين الناصرين في جرجان ، وأعطى الداعي الأموال للجبل والديلم ، وبذل لهم الآمال والوعود الكثيرة ، فتجمع من حوله قوم كثيرون ، وفجأة ، ودون سابق إنذار في طبرستان أخذ الجيش وجاء إلى أمل ، ومن أمل إلى ساری ، وكان الناصران قد أرسلوا من جرجان بأبي بكر الزقري إلى أمل ليستقصى خبر الداعي في جيلان ، فلما وصل إلى إستراباد شاهد رجلاً يعبر الطريق ، فقال له : من أين تأتي ؟ فأجابه : من لراسك ، فسأله : وما الأخبار بها ؟ فقال : إن الداعي قد وصل إليها حينما خرجت منها ، فعاد أبو بكر الزقري في نفس اللحظة أيضاً ، فلما وصل إلى جرجان كان أبو القاسم الناصر قد جلس للتشاور مع هروسندان ، فقال له : لماذا أتيت بهذه السرعة ؟ فقال : هناك أمر ما ، فأدرك أبو القاسم أنه شر ، فأخلى المكان ، وسأله عن الأمر ، فأخبره أبو بكر بقدم الداعي ، وقال إنه سوف يكون هنا في الغد في أية لحظة ، فمضى أبو القاسم الناصر إلى أخيه أبو الحسين ، وانشغلا بالتشاور معاً ، واتفقا على أن يمضي أبو الحسين إلى إستراباد لقتاله ، وركب معه كل الجيش ، وأقام أبو القاسم وهروسندان في جرجان إلى غداة صباح اليوم التالي ، فخرج هروسندان وأبو القاسم من المدينة ، ووقفوا هناك عند قبر الداعي محمد بن زيد إلى أن ينهض خبر من إستراباد ، فخرج غلام مسرع من جرجان من أتباع علي القمي الدرزي ، وتحدث مع واحد من أصحاب أبو القاسم ، فسأل عما يحدث خيراً ، فقال : إن هذا الغلام يقول إن أصحاب ليلى قد أغاروا على منازلنا وما زالوا يغيرون وينهبون الخزائن والبلاط ، فقال أبو القاسم لهروسندان: كيف هذا الحال يا أبا حرب ؟

فقال : ليس لدى خبر عن هذا الأمر ، لنمض إلى المدينة ولنقف على الأمر ، فلما وصلا إلى المدينة كان الديالة قد سبقوا وأغاروا على المنازل ، فلم ينطق بكلمة ، ودخل إلى قصره فوجد حتى الحصير قد سلبوه ، فدخل في حجرة وخلع القلنسوة من على رأسه وضرب برأسه على الأرض وانخرط في البكاء ، فأمسك على الدرزي القمي بالقلنسوة وأحضر له عمامة ، وقال له : ضع هذه على رأسك حتى لا تكون عارى الرأس ، فصاح : كم شخص بقي من أتباعنا هنا ؟ فقالوا له : لا يتجاوزون العشرة أشخاص ، فقال : اذهبوا وأبلغوا ليلى لماذا اقترفت هذا الأمر ؟ وماذا كان مرادك ؟ فذهبوا وأخبروه ، فأجاب بأن أخبروا السيد إن ما حدث لم يكن بأمرى ، ولكنك لن تقوى على البقاء في هذه المدينة ، ولم يرجع من هؤلاء العشر إلا عاتور ، وقال للسيد : لقد خرج الأمر من اليد فاخرج ، فقال : لا أستطيع الخروج بمفردى ، أبلغ ليلى أن يعطيني ثلاثين رجلاً ليخرجوني من المدينة ، فذهب وأبلغه ، فأرسل إلى المعسكر معه ثلاثين رجلاً ، وخرج أبو القاسم مع على الدرزي وخمسة غلمان من المدينة ، وأغلق الديالة البوابة ، وتوقف على طريق "نوكلاته" ليشتري خبزاً ، ولم يكن معه سوى ثلاثة دينارات ذهبية ، فأخذ غلام ديناراً ليشتري به خبزاً ، فوضعه على كاهل رجل ، فما إن وصل إلى ذلك المكان حتى كان السيد أبو القاسم قد تركه وذهب ، فأخذ الغلام الخبز لنفسه وأعطى للرجل الآخر خبزاً ، وذهب الغلام أيضاً إلى جرجان . وعندما تقدم أبو القاسم رأى ثلاثة من المشاة آتين ، فقال لهم : من أين تأتون ؟ فأجابوه : من إستراباد ، فسأل عن أحوال الداعي مع أخيه ، فقالوا : لقد هزمه الداعي ورأيناه من ذلك الجانب من إستراباد يسير وهو يجر أذيال الهزيمة ، وكان السيد أبو القاسم قد ظل وحيداً هو والدرزي القمي ، فترجل من على الجواد متحيراً ، وأعطاه للقمي ، ومضى إلى قرية ، واشترى حماراً ، وذهب إلى دامغان عن طريق بسطام ، ونزل منها على الرى ، ومن الرى إلى جيلان ، وعندما هزم الداعي أبا الحسين أرسل إليه قائلاً : إلى أين تذهب ؟ أنا خادمك المطيع ، وأنت الأعظم والمتصدي والحاكم والولاية ملكاً لوالدك ، وأخوك أبو القاسم يناصبني العدا ، وأنا مشغول بمواجهته أيضاً ، فلما وصل رسول ورسالة الداعي إلى أبى الحسين الناصر عاد وانضمماً معاً بالعهد والصلح ، ومضيا إلى جرجان ، وظلا بها لفترة .

سبب محاربة سيمجور (١) مع السيد أبي الحسين

عندما ظهرت فتن وثورات آل سيمجور في خراسان ، عاد سيمجور إلى جرجان ، وأرسل إلى السيدين رسولاً بأنكما أعظم وأعلم أسرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد بعثت لحربكما ، ولا يليق بعلمكما ولا بزهديكما أن تراق دماء الخلائق وأن تترك جرجان وترحلا ، فلم يعبأ الداعي وأبو الحسين بكلامه ، وتحاربوا في قرية جلايين ، وحمل سرخاب بن وهسودان على سيمجور فانتزعه من مكانه ، وحمل أبو الحسين الناصر على الميمنة ، فتقهقر مشاة (سيمجور) ليلاً إلى الصحراء ، وتعقبهم الناصر والداعي على وجه السرعة ، فلما وصلوا إلى قلب الفلاة عاود الأتراك التجمع من جديد ، وترجلوا عن خيولهم ، وأطلقوا السهام وهم جاثمين على ركبهم فهزموا أبا الحسين والداعي لدرجة أنهما خرجا من المعركة بغلام واحد وعلى بن بويه ، وما كان ابن كاكي وحكا وإسيمسار ، وركب الأتراك الخيل وتعقبوهم حتى أبسكون ، وعندما وصلوا تمشيه مكث أبو الحسين الناصر فيها وجمع الأهالي ، وقام بعمارة القلعة، وأسند بها إلى ما كان .

ومضى الداعي إلى أمل ، وقام بجمع المدد من الأطراف وأرسل به إلى أبي الحسين ، فأغار مرة أخرى على جرجان ، وأخرج الأتراك منها ، واتخذها داراً ملكه ، وكان هذا الفتح في آخر ذي الحجة ٣١٠ ، وحكموا مدة في طبرستان حيث كان أبو الحسين يحكم في جرجان والداعي في أمل ، وكان مشغولاً بالعدل والعلم والترفيه بين الخلائق ، وأقام عدة مدارس وخوانقاهات ، وقسم أيام الأسبوع بين مصالح الدين والدنيا ، فكان يجلس يوماً لمناظرة العلم والفقه ، ويوماً للأحكام والمظالم ، ويوماً لتدبير الملك والإقطاعات ، ويوم الجمعة لعرض المساجين وقضاء أهل الجرائم ، ولم يكن يسند أى أمر من الأمور الهامة والمهمات الشرعية والديوانية لأحد ، فكان

(١) يقول عباس إقبال : في جميع نسخ تاريخ طبرستان جاء تحت اسم على بن سيمجور ، وهذا خطأ ، حيث إن أبا عمران سيمجور الذي كان كاتباً لإسماعيل بن أحمد الساماني والقائد المشهور لابنه أحمد وحفيده الأمير نصر ليس مذكوراً في التواريخ أن له ابناً يدعى على ، وحادثة مجيئه إلى جرجان على رأس ٤٠٠٠ جندي وقتاله مع السيد أبي الحسين وقائد جيشه سرخاب بن وهسودان يعود إلى سيمجور نفسه ، وهو نفس سيمجور الذي حكم مدينة الري في عام ٣١٤ بعد أن استولى عليها الأمير نصر بن أحمد ثم عاد من هناك .

يراجعها بنفسه ، ووفق رأيه ، وكان يبالي في احترام وتوقير أهل العلم والفضل ، ولم يكن يأخذ الخراج من أى فاضل أو صاحب علم حتى ولو كان من ذوى الأملاك ، وكان البلغاء والشعراء والمتكلمين وأهل الذكر والفقهاء والعرب والعجم يجتمعون في حضرته ، وكان يبذل في حقهم جميعاً الإحسان والمروءة ، ولم يكن يسمح أحد قط بأن يتسلط على ضعيف في قليل أو كثير ، وعاش الأهالي في عهده في أمل في راحة ، ويقول أحمد بن محمد المعروف بأبى عبد الله^(١) .

يعود مرضاهم طويلاً ويشهدهم	عند المصائب فعل السادة البذل
فسهم بطانته والصائلون به	على العدى بنفوس قبل لم تصل
وفي الخميس وفي الاثنين يجمعهم	إليه من بين ذى سن ومقتبل
فليس يخلو ولا ينفك مجلسه الـ	معمور بالأهل والأنصار والخول
من عالم فطن أو شاعر لقن	أو ناطق لسن أو ناظر جـدل
يرجى ويخشى وما تخشى غوائله	ومن رجاء نيل حيف منه لم ينل
تواضع الصييد إجلالاً له وله	تواضع الثنوى الخاشع الوجـل
أبوابه لبغاة الخير متـجع	لا يحجب الراغب الملهوف بالعلـل
ما إن يحيف ولا يصفى إلى جنف	ولا يرخص في حيف ولا ميل آثار آبائه
سبيله في الجميع العدل مقتفياً	عن ذلك لسم يـزل
انظر فهل طامع في ظلم مضطهد	من طالبى وشيـعى ومتـقل
أو ديلمى فهل يسمعه سيرته	وعـدله أو يرى في زى معتـدل
أحيا العلوم وأحيا الحاملين لها	وخصهم منه بالتبجيل والجمل {كذا؟}

(١) تصحيح قياسي ، وفي الأصل العدل ، المحقق .

اتفاق أبي الحسين وأبي القاسم على محاربة الداعي

خرج أبو القاسم بن الناصر الكبير مرة أخرى في جيلان والتف من حوله خلق غفير ، كما انقلب السيد أبو الحسين على الداعي في جرجان أيضاً ، وجمع الجيش وجاء إلى أمل ، وحارب الداعي فهزمه الداعي ، فلما انهزم انضم إلى أخيه أبي القاسم ، ولما انضموا معاً عقدا اتفاقاً مع ما كان بن كاكي وعلى بن خورشيد وأسفار ابن شيروين ورشاموج بأن يقبضوا على الداعي ، فلما علم الداعي بهذا الأمر تحرك من أمل ، وجاء إلى ساري ، وكان معه رستم بن شيروين ، فجاء أبو الحسين وأبو القاسم إلى طريق الساحل ، ووصل إلى مشكوار ليتحاربوا في ساري في الصباح ، فهرب الداعي في تلك الليلة ، ولم يعلم أحد إلى أي اتجاه مضى ، فأرسل أبو الحسين بالنواب إلى جميع أرجاء الولاية ، وحضر إلى أمل في يوم الخميس الثامن والعشرين من جمادى الأولى ، وحضر أبو القاسم في يوم الجمعة ، واقتربا مظالم كثيرة وإجحافاً في حق الناس ، فكان الناس يترحمون على عصر الداعي إلى أن انتقل أبو الحسين إلى رحمة الحق جلّ جلاله في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رجب عام ٣١١ هـ .

ولاية أبي القاسم جعفر بن الناصر

لما توفي أبو الحسين سلّمت الولاية لأبي القاسم الناصر ، وحينما هرب الداعي من ساري مضى إلى قوهستان فانضم إليه كثير من أتباعه ، وكان أهل طبرستان مريدين له ، فلما علم أن أبا الحسين قد توفي جاء مع أتباعه إلى حدود أمل في موضع يُعرف بـ " القلعة " وأراد أن يتحارب مع أبي القاسم في شهر رمضان عام ٣١١ ، فانضم جميع رجاله إلى أبي القاسم ، فهرب من هناك ، ومضى مرة أخرى إلى قوهستان ، وفي هذا التاريخ كان قد أمر خليل بن كاكي بأن يقتل عبد الله مبارك أبا القاسم الكاتب ويعلق رأسه على خشبة ويلبسها أثواب ويدور بها في أسواق أمل ، وقد وضع دوات أمامه استهزاءً به ، وظل أبو القاسم ملكاً على طبرستان حتى يوم الثلاثاء الثاني من ذي القعدة عام ٢١٣ ، وانتقل إلى جوار الحق في هذا اليوم .

ولاية أبي على الناصر محمد بن أحمد بن الحسين

بعد أبي القاسم خلفه ابن أخيه أبو على الناصر محمد بن أحمد بن الحسن فبايعه جميع الجيل والديلم ، وكان الناس يعشقون خدمته وطاعته بسبب سيرته الطيبة وعقله وعلمه وشهامته وشجاعته واتفقوا على أنه لم يكن له ثان في عهده من بين السادة الطالبية في الجلالة والقوة وكان قد ولي عمه أبا القاسم ما كان بن كاكي على جرجان وكان لأبي القاسم ابن من بنت ويكوى بنت أصفهان يعرف بإسماعيل كودك (أبي الصغير) مع ما كان وحسن فيروزان وأبي على أصفهان وكل جرجان على أن يجعلوا ذلك الابن الصغير ملكا ، ولم يعلم مخلوق قط بهذا الخبر، وكتبوا إلى أبي على الناصر بأننا نباعك على السمع والطاعة فكتب أبو على إليهم بأن يحضروا إلى ساري ليروني وعلى نحو ما كانوا يدبرون مصالح الملك لأبي ولعمري فليفعلوا معي ذلك أيضاً ويستقيم الأمر بحضوركم ، فكتبوا له الجواب بأننا نطيع الأمر فتحركوا من جرجان ووصلوا إلى ساري وكان السيد أبو على قد وصل ومضى إلى "مامطير" مع بضعة أشخاص وقد أرسل ما كان لجنده وأمرهم بأن يقبضوا عليه وأن ينزلوه من على جواده وأن يخلعوا القلنسوة من على رأسه وأن يكبلوه بالأغلال إلى أن أصل وأمر بما يجب اتخاذه فامتثلت تلك الجماعة التي تقدمت لما أمرهم به وما إن وصل ما كان وشاهده وأرسله في الحال جرجان لدى الأمير كايين ورداسف وجاء هو إلى أمل ووضع التاج على رأس إسماعيل الابن الأصغر ، وكتب بالرسائل إلى الداعي في جيلان وأرسل من أمل أخاه أبا الحسين بن كاثر إلى جاجرم وخراسان بالعلم والشارة والجيش وكان الوالي على تلك النواحي على بن بويه الذي كان عم عضد الدولة فنا خسرو وكان والياً من قبل الناصرين ومعه أربع مائة رجل فتحارب مع أبي الحسين فانضم جنده إلى الحسين وأمسك به أبو الحسين وأحضره حيث سلمت نواحي حمران در لأخي ما كان ، وكل من كان يجده من خراسان كان يقتله وبعد بضعة أشهر أرسل إليه ما كان بأن يعود ويأتي إلى جرجان وكتب إلى الأمير كابان يعود ويأتي إلى أمل ويترك جرجان لأخيه وأرسل لأخيه برسول يرعى بأعلى بأن يقتل أبا على الناصر في قصر الرضى في وسط السوق وذات يوم كان يحتسيان الشراب معاً وشرع أبو الحسين بن كاكي في التناول على السيد فأدرك أبو على ما هو غرضه فخرج بحجة التبول وأخذ سكيناً صغيراً من خدمه وأخفاها في سرواله وعاد

ليجلس معه فلما فرغ المجلس تطاول أبو الحسين أكثر ووثب وأمسك بحلق الناصر
أبى على لكن كان السيد أشجع منه وأقوى بنية فانتزعه من مكانه وألقى به على
الأرض مغشياً عليه ، واستل السكينة التي كانت معه ومزق أحشاءه من السرة إلى
الصدر ونفض من مكانه وأراد الخروج فلم يقو على الخروج من زحمة الناس الذين
كانوا على الباب ، وكان أهل القصر قد علموا بالأمر فصعد على سطح القصر وألقى
بنفسه على الأرض من فوق ارتفاع ثلاثين ذراعاً فوصل إلى باب الخندق وأخذ أهل
جرجان فى البكاء والعويل وفى الحال أرسل بخاتمه إلى على بن خورشيد وأسفاربن
شيرويه فى نواحي جرجان ، وكانا قد خرجا على ما كان وقطعا الطريق ومضيا على
الفور فى خدمته وبايعاه فى تلك الليلة وتجمع الجند والحشم لدى السيد وفى الصباح
ركبوا فى طاعته ومؤازرته ، واستقر ملك جرجان له حتى وصل خبر مقتل أبى
الحسين إلى أخيه ما كان فى أمل فزحف بجيش طبرستان ورويان والجيل والديلم
وحضر إلى جرجان وحكى أبو الطيب طاهر بن أحمد الكاتب الذى كان منشئ السيد
قائلاً سألته يامخدومى وسيدى إن جيشاً جراراً قد وصل وأنا لا أثق فى جندك فأين
أجداك لو حدث شئ فقال له لا تطمع فى هزيمتى فسوف تجدنى منذ الآن وحتى
المحشر والتوكيل على الله ، وقد أرسل بالشارة خفية إلى رشاموج بن شير مردان
وبذل له الوعود فى أن يعطيه ثلاثين ألف درهم كمؤنة له إذا هو ترك ما كان وانضم
إليه وعندما وصلوا معاً يوم القتال حضر رشاموج لدى السيد أبى على فخاف ما كان
وظن أنهم سوف يقبضون عليه ويحملونه إلى السيد فولى ظهره منهزماً ولم يتوقف
حتى وصل إلى لمراسك وترك الأمير كابن ورواسف مع مجموعة من الجند ومضى هو
إلى سارى وولى السيد أبا على على بن خورشيد على جرجان وجاء للهجوم على
لمراسك ولما بلغها كانت طليعة جيشه قد هزموا الأمير كايين فلم يتوقف وقاومهم إلى
سارى وخرج ما كان من المدينة والتحما معاً فى حرب وفى النهاية هزموه ، وتقدم أبو
جعفر لورنايج إلى ما كان ليقبض عليه فضربه أبو جعفر بالسيف وقتله وهرب إلى
داخل المدينة فقام المشاة بمطاردته من حى لآخر وكل مكان كانوا يصلون إليه فيه
كانوا يصيبونه بجرح حتى أمسك أحد المشاة بلجام جواده فضربه ما كان بالركاب
فى فمه فحطم أسنانه فكف الرجل يده عنه فترجل ما كان عن جواده على حافة جدول
وألقى بدرعه وقفز فى الماء ومضى إلى حديقة فى الجانب الآخر ومر من الحديقة وجرى

نحو منزل أحد الدراويش وطلب الأمان فأخفاه ذلك الدراويش تحت أغصان التوت ، فوصل المشاة إلى هناك في طلبه وهددوا الدراويش فلم يدلهم عليه فلما خرجوا أخرجه وأنزله بمكان (آخر) وضمد جراحه وعالجه بالمراهم إلى أن استرد قوته فذهب إلى قوهستان سارى ولبث بها مكان هذا الرجل الدراويش الذى يدعى كيان بوج فلما وصل إلى الحكم إلى ما كان بذل فى حقه نعم كثيرة وجعل قبيلته عظيمة وجاء أبو على الناصر إلى أمل واستقر له ملك طبرستان وكان ملكاً سياسياً ومطاعاً وذا عظمة ووقار وكان له فى قلوب الخاص والعوام هيبة واحترام ولم يستمر وقت طويل حتى تعثر جواده فى ميدان اللعب بالصولجان فأخرجوه ميتاً من تحت الجواد .

ولاية السيد أبى جعفر

لما علموا بمصيبته بايعوا أخاه أبا جعفر ، فعين لوزارته أبا الحسن بن أبى يوسف فلم يكن يثق فى أهل أمل ولم يعتن بالجيش ، وكان يحيف على الرعية ويظلمهم إلى أن ثار ذات يوم عوام المدينة فقتل الكثير من كلا الطرفين إلى أن توسط العظماء وقتل قائد تلك الفتنة والتزم أبو الحسن بن أبى يوسف بالصبر مدة ، ولم يبد شيئاً قط إلى أن انقضت عدة أيام ويوم الجمعة حيث تجمع الناس فى الجامع فأنزل بالجند على جميع البوابات وهم مدججين بالسلاح فكانوا يقتلون كل من يخرج من الجامع وبلغ الأمر حداً أنهم قتلوا عدداً من أهل الصلاح والورع فى ساحة الجامع فقام أهل كل حى بإغلاق البوابات والأبواب ولم يترك الجند أهل الجبل والديلم فى الأحياء ، وبلغ الأمر حداً أن لا يقوى مخلوق قط على السير بمفرده وإذا ظفروا بواحد منهم بمفرده كانوا يقتلونه وبعد صلاة العصر لم يتمكنوا من الإقامة فى المدينة وكانوا قد أقاموا المعسكر خارجها وظلوا مستيقظين طوال الليل .

عودة الداعى وأحوال اتفاق ما كان منه

وكان ما كان بن كاكى فى قوهستان وكان يرسل برسائل متعاقبين إلى الداعى بأن تخرج وتأتى لأربط حزام طاعتك فى وسطى وأخلص فى موالاتك ومؤازرتك ، فلم يرد الداعى على رسائله ولم يلتفت إليه ولم يجبه إلى أن تجمع مع ما كان خمسمائة رجل فنزل فى أعلى ناتل فى موضع مازال يعرف حتى الآن بمعسكر ما كان فلما

وصل الخبر إلى السيد أبي جعفر مضى من أمل إلى ناتل وأقام معسكره في مواجهة ما كان فكتب أهل أمل مثل السيد أبو جعفر مانكديم وأبو عبد الله محمد بن الحسن ورئيس أمل أبو جعفر محمد بن علي بن أبي الحسين بن علي الفقيه وعباس بن قابوسان إلى ما كان بالأحداث وأننا قادمون لمددك ، فأجابهم ما كان لا تخرجوا من المدينة ولا تتركوها خاوية ولا تغتروا بمساعدة العوام إذ أن المهام العسكرية لا تتحقق بالعوام وينزل بكم الأذى ، فلم يسمعوا لكلام ما كان قط ولم يبالوا برسائلته وجاءوا من أمل إلى بايدشت بعدد كبير من العوام ونزل كل قوم وفوج بطرف من الأطراف بدون تجهيز ومؤن ، فلما علم السيد أبو جعفر بهذا الأمر اختار ألف ومائتي رجل وأرسلهم ليغيروا على سكان مدينة أمل فلما شاهدتهم عامة الجيش توجهوا دون دراية ورؤية فقام فرسان أبي جعفر بسحبهم رويداً إلى صحراء بايدشت وقاموا بالإغارة عليهم جميعاً مرة واحدة فأسقطوا كل من كان فارساً منهم من على ظهر جواده ، وهرب المشاة فكانوا يتعقبونهم ويقتلونهم حتى أمل وفي اليوم التالي جاء أبو جعفر الناصر إلى أمل وجمع أبو الحسن الوزير أموالاً طائلة من أهل أمل فاقت الحد ، فأرسل ما كان مرة أخرى برسول ورسالة إلى الداعي يحرضه على الخروج فلم يجبه الداعي أيضاً ، وحدث أن اقتترف أسفار بن شرويه ومطرف الذي كان وزيره مظالم كثيرة لا تليق مع أهل الولاية وصادر الأموال وفعل ما لا يطاق ، ولما لم يعد لشخص شيء مضى إلى جرجان وأعلن خلع طاعته لأبي جعفر ، فأرسل إلى ساري عوضاً عنه علي بن خورشيد وبعد شهر جاء أسفار من جرجان وتحارب معه وكان علي بن خورشيد مريضاً فتغلب عليه أسفار واستولى على المدينة وأسره وقيده بالأغلال وأجلسه برباط حسن بن بهرام وجلس هو على الحكم في ساري وبعث برسول إلى السيد أبي جعفر .

ولاية الداعي

فما إن كثرت أتباع ما كان حتى توجه لحرب السيد أبي جعفر فلما وصل إلى قرب أمل هرب منه السيد ومضى إلى ونداد هرمزد كوه ودخل ما كان أمل وأرسل في

الحال برسول إلى الداعي وأحضره من جيلان إلى أمل فجاء جميع الناس لدى الداعي ، وسعدت قلوبهم بوصوله ومضى كلا الاثنين هو وما كان من أمل إلى سارى ، فهرب منهما أسفار وانعزل الإصفهيد شروين عن قوهستان التابعة له وفى هذا التاريخ جاء نصر بن أحمد لسامانى من بخارى مع ثلاثين ألف من الجند بغرض الاستيلاء على طبرستان والعراق ، ووصل إلى قوهستان طبرستان وكان أبو نصر نائباً لدى الداعي على "شهر ياركوه" فقطع عليه الطريق وحاصره نصر بن أحمد فى قوهستان فلم يقو نصر على الخروج بأى وجه من الوجوه وضيق عليه المؤن فأرسل إلى الداعي رسولاً قائلاً خلصنى من هذا المكان ولك ما شئت فأرسل الداعي إلى نصر بن أحمد بعبد الله بن السلام وأبى العباس ذى الرياستين فجرى بينهما الصلح والمهادنة شريطة أن يرسل نصر بن أحمد بعشرين ألف دينار إلى الداعي ليفتح له الطريق كى يمضى إلى خراسان ، فلما ذهب نصر بن أحمد إلى بخارى دخل ما كان مع الداعي فى أبى العجيبى وعلم الداعي بتخليطه وتلبيسه فتخلى عنه ومضى إلى جيلان ، وذهب الإصفهيد شروين بن رستم إلى الداعي وأخذ ما كان يرسل يرسل إلى الداعي بالعدر والندم والتوبة فلم يصغ إليه قط وأعرض عنه ، إلى أن تجمع الناس حول أسفار مرة أخرى فاستعرض سبعة آلاف رجل من الترك والجيل والديلم وجاء إلى أمل وخرج ما كان من المدينة وتحارباً ثلاثة أيام بلياليها على بوابة أمل فى الميدان الذى كان معروفاً بدرجور ، وكان رشاموج قد وعد ما كان بالنصرة والمعونة ووصل إليه فى اليوم الرابع وأوفى بوعده وكان أهل المدينة قد توقفوا جميعاً فوق المباني لمشاهدة ما يحدث فأمعن ما كان النظر فيهم وقال لماذا لا تسيطرون على هؤلاء الكلاب فتحركت مجموعة من الجند والعوام مرة واحدة إلى ذلك الجيش فهزموا أسفار ، ولم يستطع أن ينزل بمكان وأخذوا يتعقبونه حتى سارى فنزل أسفار إلى جرجان ، وكان قد كبل على بن خورشيد بالأغلال وتركه فى مكان القتال فأمسكوا به وأحضره إلى ما كان الذى أطلق سراحه وبذل له النعم وقاد الجيش حتى إستراباد ، ومضى أسفار لدى بكر بن اليسع^(١) صاحب جيش نصر بن أحمد وعاد ما كان

(١) فى الأصل أبو بكر ولا شبهة فى ذلك وهو نفس أبو بكر بن محمد بن اليسع صاحب جيش نصر بن أحمد الذى كان مقيماً فى نيسابور توفى عام ٣١٥ ، ابن الأثير وقائع عام ٣١٥ وانظر المرعى : تاريخ طبرستان ص ١٢٢

وحضر إلى سارى فى عام ٣١٥ وبعث بحسن فيروزان إلى قوهستان فى طلب أبو جعفر الناصر فأمسك به وأحضره إلى سارى عارى الرأس والقدم وأمر بحبسه فى قصر أبى العباس ذى الرياستين إلى أن أرسل الداعى رسولاً ورسالة من جيلان قائلاً تكتب لى كل وقت بأن أخرج وأكون وفياً فى خدمتك وتعتذر على ما فات بينما قام أصحابك بالقبض على أخى زوجتى الذى هو خال ولدى وأنت راض عن ذلك فكيف يتحقق الوثوق فى وفائك ، فلما قرأ ما كان الرسالة أطلق سراح أبى جعفر الناصر فى الحال وأرسله إلى الداعى وكان جميع الجيل والديلم أبناء دعوة الداعى وكان معه الإصفهيد شروين ملك الجبال فجاءوا جميعاً بالاتفاق إلى سارى ، فأرسل ما كان إلى أبى النصر الذى كان فى قوهستان ليحضر إلى سارى فلما وصل ركبوا الجياد ذات يوم فى الصباح ليذهبوا إلى الصحراء وبعد الحديث والمشاورة ترك أبو نصر ما كان وأعطاه ظهره فضربه ما كان بحربة فى ظهره فاخرقته إلى صدره فوقع ميتاً من على الجواد ، فأمر بحمله ودفنه (وكان) قد أسند له حكم شهریار مشرفاً ، ولما انضم أسفار إلى أبى بكر بن اليسع توفى بكر فى تلك الفترة أيضاً فبايعه الجيش وكان غلام يدعى أمل تغذى من أتباع بكر كان خائفاً من نصر بن أحمد فانضم إلى أسفار وبلغ الخبر نصر بن أحمد فأرسل صالح بن سيار بالشارة والعلم ليستميله فقوى قلب أسفار بطاعته ومتابعته ، وكان ظالماً سىء السيرة فتأذى أهل خراسان منه ، فلما اتحد ما كان والداعى تجمع من حولهما جند كثيرون فقادا الجيش إلى الرى وأغاروا على محمد بن الصعلوك الذى كان والياً عليها واستولوا على ملكها وتمكنا منها ، وصل خبر عدم وجودهم إلى أسفار تحرك بجيش خراسان قاصدا طبرستان وكامن أبو الحجاج مردأويج بن زيار الذى كان الأخ الأكبر لوشمكير كان مع قراكتين لسامانى فطلب منه قراكتين أن يمضى إلى طبرستان وأن ينضم بخيله إلى أسفار ، فجاءوا من جرجان إلى سارى وبلغ الخبر لما كان والداعى فى الرى فقال له ما كان اجلس أنت فى الرى حتى أذهب أنا وأسحقهم ، فلم يسمع إليه الداعى وجاء إلى أمل مع خمسمائة رجل فلم يمهده أهل أمل بتحريض من أبى العباس الفقيه العلقمى فعلم أسفار فى سارى أن ما كان موجود فى الرى والداعى ضعيف الحال فى أمل ولم يمهده أهلها فأغار على أمل فخرج إليه الداعى

من المدينة لقتاله فتخلى عنه رجاله فعاد مع بضعة أشخاص من الخواص كي يأتى إلى المدينة ، وكانت طليعة جيش أسفار ومردأويج بن زيار فى محطة عليآباد وقد وصل الداعى عند رأس الجسر وأمسكوا به وضربوه بحربة فى ظهره فسقط ميتا من على جواده فحملوه وأنزلوه فى منزل ابنته فى نفس محطة عليآباد كما قتلوا فى ذلك اليوم أيضاً أبا جعفر مانكديم وواحداً آخر من أبناء عقيل بن أبى طالب وسلمت طبرستان لأسفار فقيه العمال وكان تركى يدعى واكوشى قد انضم بخيله إلى أسفار فلما ازداد عدد جيشه ذهب إلى الرى وقاتل ما كان وهزمه ونزل ما كان مهزوماً إلى طبرستان ، وجلس أسفار على الرى وأمر بتحصيل الخراج وأجزل للجيش العطاء وأجلس واكوشى على الرى وجاء هو إلى طبرستان فهرب منه ما كان ومضى إلى الديلم فأحضر أسفار أبا جعفر الناصر وبايعه وتشاور بعد ذلك مع أبى موسى (١) فى أن يمسك بأبى جعفر وأخيه فقبل أبو موسى ، وكان أبو جعفر فى منزل زيد بن صالح ومضى أسفار إلى مامطيز وأخذ أبو موسى كلا الأخوين كضيوف إلى منزله وجاء أسفار من ما مطير وعزم على أن يمسك بكليهما فهرب أبو الحسن فقبض على أبى جعفر وأبى الحسين شجرى وزيد بن صالح ثالثهم وقيدهم بالأغلال وأرسلهم إلى بخارى ولبثوا مدة قيد الحبس بها ، إلى أن أخلى سبيلهم عندما قامت ثورة أبى زكريا (٢) فنزلوا إلى طبرستان ونزل أبو الحسين بمفرده إلى جيلان ، وجاء أسفار إلى سارى ، وكان محمد بن طاهر المعروف بأبى عبد الله الكاتب محبوساً لدى مطرف فأراد أن تقتلوا ما كان فجلس حسن الفيروزان على الحكم ووضع التاج على رأس إسماعيل العلوى الذى كان أخاه من أمه وزوجه من فاطمة بنت أحمد والتي كانت أخته من (أهل) الداعى وانقضت عدة أيام على هذا الأمر وحصلت خديجة والمدة أبى جعفر على جارتين من أتباع ديكو ووضعت أربعمائة دينار ذهبية فى يد أبى العباس الشعبى وأرسلته معهما بحيث وضعوا السم لإسماعيل فى مبضع الحمام

(١) هذا الشخص ليس هو أبا موسى هارون إسفاهدوست الذى قتل على يد الداعى ، محقق .

(٢) المقصود من هذه الثورة قيام مجموعة من أهل بخارى فى عام ٣١٨ على نصر بن أحمد فى مقر إقامته فى نيسابورر وتحرير سجناء بخارى وحمل أخيه أيضاً أبى زكريا يحيى إلى الحكم كما تحرر رؤساء الديلم والعلويين أيضاً فى هذه الواقعة من حبس بخارى - محقق .

فقتلوه ، وبعد فترة تخاصمت الجاريتان معاً ففشى هذا السر فشنقهما ديكو في جالوس وجاء حسن الفيروزان إلى أمل وخرج أبو علي بن أصفهان وأبو موسى اللذان كانا من أصحاب ما كان ، وتجمع الناس من حولهما فطردوا حسن الفيروزان من الولاية ونزل إلى الديلم ومضى أسفار من الري إلى قزوین وذلك لأن أهل قزوین قاموا بهذه الخيانة لدرجة أن الناس تركوا منازلهم وتفرقوا في أنحاء العالم وقاموا بإشعال النيران في أسواق وبيوت قزوین ، ولم يترك شيئاً لمخلوق قط في تلك الولاية وقد تغير عليه خلال مدة إقامته هذه في قزوین مردأویج بن زیار وأخذ البيعة من فرودادید هذه في قزوین من حوله الجميع فركب إلى "بازنكان" التي كانت إقطاعاً له وبها أعد لوازم الجيش وأغار فجأة على قزوین ليقتل أسفار فهرب منه أسفار ومضى إلى الري مع خواص ، ولم يستطع البقاء في الري فحضر إلى قوش وكان بها " أبو العباس بن أبی كاليجار" فانضم إليه ونزل إلى طبرستان عن طريق "قوهستان" ، وكان ما كان في خراسان فعلم بالأمر فأغار عليه فهرب من قبضة ما كان في تلك الحدود حتى ألقى بنفسه في قلعة "ألوت" حيث كانت مقراً لصديقه ، وعلم مردأویج بالخبر فکمن جيشه في الجوانب الأربعة من الصحراء فأمسكوا بأسفار في طالقان وأطاحوا برأسه وكان هذا كله في عام ٣١٩ هـ (١) وعندما فرغ مردأویج من أمر أسفار قتل جميع أهل "الورودادية" بحيث لم يبق أحد من جيشه ، وبعد ذلك قتل أيضاً أحمد بن رسول وأبا العباس العصارى وجلس في الري فارغ البال ، وجاء ما كان من خراسان إلى جرجان وأرسل مردأویج إلى جيلان وأحضر أبا جعفر الناصر إلى الري عن طريق قزوین ، وكان في خدمته وأمسك «ما كان» بأبي الفضل شاردأ ، الذي كان قريب مطرف وطلب منه المال بالقهر والتعذيب فحث مطرف مردأویج على أن يمضى إلى طبرستان ، ووقف ما كان على هذا الأمر فجاء إلى أمل فسير مردأویج الناصر إلى طريق دولاه رود وقتل الناصر كثيراً من الخلائق وعاد مردأویج من دنباوند ومضى إلى الري ، وفي هذا التاريخ كان أبناء بويه قد استولوا على ملك فارس وكرمان وسيطروا على تلك الحدود ومضى مردأویج إلى أصفهان ليتدارك تلك الأمور ودخل ذات يوم الحمام فقطعوه إرباً.

(١) أثبت ابن الأثير أن قتل أسفار كان في عام ٣١٦ خلافاً لما أتى به ابن إسفنديار (المترجم).

ذكر وشمكير وأحواله مع « ما كان »

عندما قتل مردأويج كان أخوه وشمكير بن زيار في الري فبايعه جند الري ، ولما استقام له أمر ملك العراق أسل كل من شيرج بن ليلي ولشكري وأبي القاسم تانجين إلى طبرستان ليطردوا منها ما كان فنزل يوم السبت السادس من رمضان عام ٣٢ (١) وكان بها كلاً من أبي بكر بن المظفر وإبراهيم بن فارس فأتيا مع أبي القاسم تانجين إلى جرجان وأخرجوهم جميعاً منها ونزلوا إلى نيسابور ، وأمضى شيرج ولشكري كلاهما بها عاما وجلس أبي القاسم تانجين في جرجان وقضى بها عاماً إلى أن تعثر جواده ذات يوم في ميدان اللعب بالصولجان في رمضان عام ٣٢٤ فوقع ومات ، فوضعوه في تابوت وأحضره إلى ساري ودفنوه بها وبايع جنده الذين كانوا في جرجان إبراهيم بن كوشيار ، وقاد الأمير أبو طاهر وشمكير الجيش وجاء إلى أمل ومنها إلى ساري فلما وصل إليها حضر لخدمته من جرجان إبراهيم بن كوشيار فعزله عن ذلك الجيش وأعاده على نفس المرتبة التي كان عليها فندم إبراهيم على أنه جاء من جرجان ولبت وشمكير مدة كبيرة في ساري حتى قتل أبا على خليفة ولك ذلك الذين كانوا عاملاه على أمل في المحرم عام ٣٢٥ هـ فأرسل إلى نيسابور وتعاهد مع ما كان وأحضره وأسند له جرجان وأعطى جيش طبرستان لأبي داود أسباهي بن أخريار ، وأمره بأن يحارب أبا موسى بن بهرام الذي كان قد خرج عليه في الديلم وأن يقبض عليه وأن يسترد منه منطقة أليش ، وكاد أبو جعفر محمد بن أحمد بن الناصر لحرب أبي موسى واستمرت الحرب عدة أيام بلياليها ، وفي النهاية هزم أبا موسى وطرده من تلك الولاية وسلم الديلم وجالوس وذلك الجانب من أمل للأمير أبي طاهر أحمد بن سلار ، وكان محمد بن الناصر يحكم في أمل وكان يجلس مرة في يومى الاثنين والخميس لقضاء حاجات المسلمين كما كان يجلس يومى الأحد والأربعاء لمناظرة علماء المسلمين ، وكان أبو داود في ساري وكان يحكم في تلك الحدود وفي هذا العام جاء سيل إلى ساري فخرّبها جملة ولم يبق فيها بنيانا قائماً في مكانه ، فمضى أهل ساري جميعاً إلى نهاية قوهستان إلى أن أمسك الله تعالى الماء فاستدعى أبو داود الوزراء والعمال وأمرهم بأن لا يظلموا ولا يقيّدوا وإذا نما إلى

(١) المقصود هو ثلاثمائة وثلاثة وعشرين (مترجم) .

علمه أن هناك ظلم وحيف قد وقع فلن يكون هناك محاباة وسيكون حساب وعقاب ،
 وفي المحرم عام ٣٢٨ أرسل نصر بن أحمد بأبي علي أحمد بن محمد المظفرى إلى
 جرجان فكتب ما كان إلى الأمير وشمكير بهذا الأمر وطلب المدد فأمر وشمكير
 إسفاهى بأن يمضى لمدده وكان يرسل المدد متتالياً من الجيل والديلم واستمرت
 الحرب مدة أشهر على بوابة جرجان فضاق ما كان وأتباعه وأرسل إليهم وشمكير
 بشيرج بن ليلي بالمدد مرة أخرى ولكن تغلب عليهم جيش خراسان ولم يكن فى
 وسعهم عمل شئ قط ، فتركوا ما كان وجاءوا إلى طبرستان واستولى صاحب
 الجيش على جرجان وكتب برسالة الفتح إلى نصر بن أحمد ويقول بعض الشعراء
 بشأنها:

دعا الجليل الخطب نصر بن أحمد	فلبى مجيباً أحمد بن محمد
فلمارآه ملاء عين جماله	رواء وحسناً فى بهاء وسؤدد
ترضاه واستكفاه ما قد أهمه	وقدر فيه النصر نصر بن أحمد

وجاء ما كان وإسباهى إلى أمل وعرضا الأمر على وشمكير ، إلى أن جاء خبر
 من ناحية أصفهان أن الحسن بن بويه قادم من كرمان إلى الرى ويطلب ملك العراق ،
 فقاد وشمكير الجيش على مسافة منزلين من الرى فى موضع يدعونه بمشكو وحاربه
 فهزم الحسن بن بويه جناحى جيش وشمكير بحيث وصل خبر هذه الهزيمة إلى
 جرجان وهجم وشمكير بقلب جيشه على قلب الحسن بن بويه وهزمه بحيث وصل نبأ
 هزيمة جيش بويه إلى أصفهان وقتل فى هذه المعركة الصاحب بن شادى وكان
 الحسن بن بويه قد أمسك بكيلاكور فانتزعه ثانية رجال وشمكير وحملوه إليه مكبلا
 فأطلق سراحه وبعد عدة أيام جاء من الرى إلى دنهاوند واستدعى إليه ما كان
 ابن كاكى فانضم إليه ما كان فى يوم عاشوراء عام ٣٢٩ فبالغ فى إكرامه وملاطفته
 وأعادته إلى سارى .

قتل "ما كان"

عندما عاد «ما كان» من دنباوند إلى الري جاء صاحب الجيش أبو على من جرجان إلى دامغان قاصدا العراق وعاد وشمكير من الري وجاء إلى ويمة دنباوند وأرسل إلى ما كان لينضم إليه فأجلس ما كان ابن عمه حسن بن فيروزان على سارى ومضى هو إلى وشمكير وانضمما معا في إسحاق أباد ونظموا صفوفهم في مواجهة الجيش في يوم الخميس الواحد والعشرين من ربيع الأول عام ٣٢٩ ، فلما حمل جيش خراسان على صفوف وشمكير وشتتوهم ولى وشمكير الأدبار مهزوماً وهجم صاحب الجيش بالقلب على صفوف ما كان الذى أبدى ثبات قدم وجسارة إلى أن قتلوا من جيشه ألف وأربعمائة رجل من جنده من الجيل والديلم وتمكن عشرون تركياً من المبارزين بالحرا ب والسيوف من الوصول إلى ما كان وقتلوه وأسقطوه من فوق جواده وأرسلوا برأسه مع كثيرين من معارف الديلم إلى بخارى وقرأت في كتاب يتيمة الدهر أن والد الأستاذ ابن العميد محمد القمى الحسين بن محمد المعروف بكلة والذى كان من أفاضل العالم وكان وزيراً لما كان وكاتبه آنذاك فأمسكوا به أيضاً وحملوه إلى بخارى ولفضله وشهرته فقد بذل في حقه صاحب بخارى الإجلال والإعزاز ولبث إلى آخر العمر بها .

استيلاء وشمكير على طبرستان وأحوال فيروزان معه

نزل وشمكير من هذه المعركة مهزوماً إلى قلعة لارجان وبعد عشرة أيام حضر إلى مصلى أمل في يوم الأربعاء الثامن والعشرين في شهر ربيع الآخر ، ولما وصل خبر مقتل ما كان إلى حسن الفيروزان في سارى جمع القبيلة واتفق رأيهم على أن وشمكير هو الذى سلم ما كان بيده ولم يحافظ عليه ولم يرجع به ورضى بالهزيمة ولهذا السبب فقد خرجوا عليه فبعث وشمكير بشيرج بن ليلي لحرب حسن الفيروزان فأخرجه من سارى ومضى إلى إستراباد وجاء شيرج إلى أمل فأعطى وشمكير النفقات للجيش ومضى يتعقب حسن الفيروزان في إستراباد فهرب منه ونزل إلى العراق وانضم إلى صاحب الجيش الذى كان قد استولى على العراق وذهب وشمكير إلى جرجان واتخذ منها مقاما إلى أن أخذ الحسن الفيروزان صاحب الجيش وأحضره إلى طبرستان ، وجاء وشمكير من جرجان إلى سارى في موضع يعرف

بواله جوى على حدود سارى وتحاربوا وأبدى وشمكير الثبات والصمود ولم يتقهقر من مكانه وقد قتل فى تلك المعركة مزدور الجيل (أى عميل الجيل) ووصل خبر فى أثناء هذا القتال أن نصر بن أحمد قد توفى وجلس مكانه نوح بن نصر ، فتصالح صاحب الجيش مع وشمكير ومضى معه وكان يسير معه حسن الفيروزان وفى منتصف طريق بخارى اغتتم الفرصة وقتل صاحبه المدعو مشوق غدرًا ونهب كل متاعه وجاء إلى جرجان ووصل صاحب الجيش إلى نوح بن نصر وكان هذا كله فى عام ٣٣١ وكان الأمير وشمكير قد فوض أمر ولاية طبرستان لشخص يدعى أسيا هى ومضى هو إلى الرى .

ذكر الحسن بن بويه مع وشمكير واستيلاء آل بويه

على طبرستان

وصل الحسن بن بويه من أصفهان فى آخر رمضان عام ٣٣١ ، ونزل على طريق قزوین فخرج وشمكير من الرى وتحارب معه ، فهرب من وشمكير كل من شیرمردى وكورى كير بن سررزم وانضما إلى الحسن بن بويه ، فخاف وشمكير وانهزم ولم ينزل بمكان قط إلى أن وصل مصلی أمل ، وأمسك الحسن بن بويه بكل من أبى على الكاتب وأحمد بن محمد العمرى وأبى عمر زریزادى ، وطلب مال وشمكير فقالوا إن أبا الحسن مامطيرى كان أحد المسؤولين من أتباع وشمكير وكان صاحب أسرار خزائنه فعذبوه فأعطاهم جميع أمواله الخاصة ولم يعطهم حبة شعير من أموال مخدميه ولما وصل وشمكير إلى أمل أرسل بنمان بن الحسن كرسول إلى حسن الفيروزان بأن يسلم له الموعودة ميجام زوجة ما كان ، فأمسك حسن الفيروزان بنمان ابن الحسن وأرسله إلى قلعة جهينة وجاء مرة أخرى إلى سارى وجاء وشمكير إلى هناك وانشغل فترة بالحرب ، فهرب كل من محمد بن وهرى وإسماعيل بن مردوجين وانضما إلى حسن الفيروزان فخاف وشمكير من رجاله وهرب إلى قوهستان لدى الإصفهيد شهریار بن شروین وأرسل من هناك وأخذ جميع حريمه وأهله وذهب إلى بخارى فاستقبله نوح بن نصر وبذل فى حقه التكریم اللائق ، ولما علم إسفاهى الذى كان من أصحاب وشمكير ونائبه على أمل أن وشمكير قد هرب انتقل من أمل إلى قلعة كهروود فقام عوام أمل بثورات وقتلوا الحاكم وكثير من أعوانه ، وشنقوا جعفر

ابن البنان وتقاتلوا مع القميين نتيجة العصبية وقتلوا بعضاً منهم ، إلى أن وصل حسن الفيروزان إلى آمل ونزل بشعبو دشت وذهب من هناك إلى لارجان واستولى على القلعة وقتل أسفاهي بن أخريار واستولى على جميع ماله وبعث بالديلم إلى قلعته ، وظل في طبرستان إلى أن قام نوح بن نصر بإمداد قراكتين بثلاثين ألف فارس وأرسله مع وشمكير إلى طبرستان ، فلما وصل إلى جرجان أعلن حسن الفيروزان أنه سوف يقاتله فهرب من إستراباد فجأة ، وجاء إلى آمل وخرب جميع الجسور والمعابر وتعقبه وشمكير عن طريق مامطير وترجى حتى سارى فهرب ليلاً من آمل ومضى إلى الديلم ، وجاء وشمكير إلى جالوس فطلب قراكتين منه مالا فاضطر إلى العودة إلى آمل وفرض الأموال على الأفراد وأجلس العلماء في مساجد الأحياء وكانوا يميزون بين الناس وقد حصلوا الأموال وبعثوا بها إلى قراكتين وجلس «حسن الفيروزان» في قلعته وأنزل الناس في مكان يعرف «بدولادار» ، فقاد «وشمكير» جيشه إلى هناك ونزل حسن الفيروزان على شاطئ البحر من ذلك الجانب من القلعة فألقى «وشمكير» بجواده في البحر من هذا الجانب وهجم عليهم وأمسك بأبي القاسم بن الحسن الشعراي وأمر بضرب رقبتة ، فلجأ «حسن الفيروزان» مهزوماً إلى «بن جستار» وجاء «وشمكير» إلى آمل بها وتوجه «حسن الفيروزان» من ذلك المكان الذي كان فيه إلى رويان ولجأ إلى إستندار فلما علم «وشمكير» بالخبر أغار عليهم فجأة وشردهم فنزل «حسن الفيروزان» إلى «لارجان» وجاء من هناك إلى «إستراباد» عن طريق «دنباوند» وجلس بقلعة كجين مع قبيلته وأقاربه فتوجه وشمكير من آمل إلى جرجان ، فلما وصل إلى هناك جاء الحسن بن بويه من الري إلى آمل ومن آمل إلى إستراباد فنزل حسن الفيروزان من قلعة كجين وانضم إليه وذهب إلى جرجان وحاربا وشمكير وهزمه فنزل إلى نيسابور وجاء الإصفهيد شهريار ملك الجبال إلى الحسن بن بويه واستقر ملك طبرستان لآل بويه ، فترك الحسن بن بويه على بن كامه هناك وذهب هو إلى العراق وجلس في الري وقام إستندار بإحضار أبي الفضل الثائر العلوي وأجلسه في جالوس وتجمع الناس من حوله ووصل الخبر إلى الحسن بن بويه في الري فبعث الأستاذ الرئيس أبا الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد الغنى عن التعريف لعظمة فضله وعراقة نسبه بالجيش إلى آمل لمدد على بن كامه ومحاربة أبي الفضل الثائر في تمنجادية فمضى جيش آل بويه بالهزيمة وهرب على بن كامه ،

وجاء أبو الفضل الثائر إلى أمل ومضى إلى قصر السادة بالمصلى ونزل إستندار فى خرمة فيما وراء أمل إلى أن انقضى وقت ووقعت بينهم الخصومة ، وجاء الثائر العلوى إلى جيلان فأعطى الحسن بن بويه الجيش لحسن الفيروزان وبعث به إلى طبرستان وقد توفيت والدته التى كان قد تركها مريضة فى الرى فوضعها الحسن بن بويه فى تابوت كما كانت مراسم الملوك وأرسلها إلى أمل على أكرم صورة فبعث بأمه إلى جالوس وقاموا بدفنها ، وألت جميع طبرستان إلى حسن الفيروزان فأرسل أبا جعفر بأخى ما كان إلى سارى إلى أن أرسل وشمكير من نيسابور إلى ابن نوح وطلب المدد ، فأرسل إليه عدة آلاف رجل ليغير على جرجان ولينزل فجأة على حسن الفيروزان فى جرجان ، فانضم جميع جيشه إلى وشمكير وهرب هو ليلاً ونزل مرة أخرى إلى قلعة كجين واستولى وشمكير على الولاية وبعث بنوابه إليها ، وفى هذا التاريخ وكما شرح أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى فى كتاب " التاجى فى آثار الدولة الديلمية " كان ملوك آل بويه قد استولوا على العراقيين والحجاز ونواحي الشام وجعلوا دار الملك فى بغداد ، والحسن بن بويه الذى كان والد عضد الدولة فناخسرو وكان يجلس نائباً عن أخيه معز الدولة على الرى ، وكان ملك العراق تحت حكمه وعندما علم بأمر عودة وشمكير توجه إلى طبرستان بجيش العرب والعجم وهو مجهز بالكثير من العتاد والآلات الحربية الملكية والتى لم يشاهدها أهل الولاية من قبل قط ، فهرب منه وشمكير وذهب إلى الديلم ولكن الديلمة رفضوا حمايته فلجأ وشمكير من الديلم إلى أبى طالب الثائر فأواه ، ولولا أنه كان سيداً لكان الديلمة قد سلموه بأيديهم وقد احتفظ به السيد تحت حمايته فى هو سم إلى أن عاد الحسن بن بويه عن جالوس ووصل إلى أمل وأقام بها مدة شهر ، وبلغه خبر وفاة أخيه على بن بويه فغادر طبرستان وذهب إلى العراق فأمسك وشمكير بالثائر العلوى واجتمع من حوله كثير من الجيل والديلم فتحرك إلى أمل وأرسل إليها النواب مرة أخرى فتوجه إليه أهل الولاية فأجلس السيد الثائر على أمل ومضى بالجيش إلى جرجان ، فعاونه كل من شيرج بن ليلى ووردا نشاه وأبى الحسن أخى الناصر وقتل رجال الثائر وساعده محمد بن وهري الذى كان من ثقة الثائر وبقي العلوى فريداً فخرج من أمل ليلاً وجاء

إلى الديلم ، وهذه الجماعة كانت تقوم بالإغارة على المدينة ونهبها وليصون الحق تعالى مدن المسلمين من الفتن ويهيء للخلائق الأمن ورفاهية العيش بمنه وجوده .

فأين هم أصحاب الطريقة وأرباب الحقيقة ليقرروا بعين البصر والبصيرة على السواء ماذا آل إليه وضع طبرستان وأن يجعلوا ذلك هو السمر والخير لكل ذى بصيرة ، على الرغم من أنها روضة ومرتع فى الأرض للعديد من الملوك والأمراء والعلماء وإلى أى حال انتهى إليه جلالها مع كل ذلك الصراع بحيث لم يبق من كل تلك الإمارات أثر ولا من كل تلك العمارات حجر .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

× لا يحل فراقك فى ولاية الوصل فلا راعى ولا رعية ولا داعى ولا مجيب .

× يكون لدى العقلاء مثل الشمس وهو عظيم بلا سكون ذات سرعة .

× الدنيا وكل ما يأتى منها فى خاطر اعلم كأنها قصر فوق أمواج .

× لو كان لديك ميل فلا تسر فى أذن القلب بقولك ما أطيب وقت الشباب .

× لا تغتر بها وانظر بتعمق واقراً لفظة جوابه بمعنى الشباب فستكون جواباً

بمعنى الحلم .

× لو إن شعرك الليل الديجور فإن سيف الشمس موجود فى غمده^(١)،

× أنت كالمجنون والدنيا هى ليلى بالنسبة لك فلا حاجة لقصة دعد ورباب .

× فليفترض أن الدنيا صارت معشوقتك ، أليست الآخرة فى النهاية هى يوم

العقاب ؟ .

× فإلى متى يفنى الكبد الإسلام من قلبك وإلى متى يشوى القلب فى الشريعة

كالشواء من كيائك .

× إلا يعتريك العار من جفائك وجرائك ألا يعتريك الندم والخوف من الله

والكتاب .

× إنه ليسعدك أن يقول عنك إنك صدر وإنك رفيع القدر مأمون الجنب .

(١) إشارة إلى أن المشيب سيأتى عاجلاً ليبدد سواد الشباب (المترجم) .

- × لك قصر معمور أفلا تدري خبراً عن طاق كسرى وأنه رمز الخراب .
 - × أنت تقرأ فى الكتب وتعلم أن الموت معك يوم حساب.
 - × أنت طفل فى مدرسة الدنيا الثانوية أفلا تعلم أن مصادرها لها عدة أبواب .
 - × أنت نبتة مبكرة فى روضة الأيام أفلا تعلم مصير الوردة وشأتها مع ماء الورد .
 - × إلى متى ترى نفسك راكباً صهوة الأبلق ولا ترى نفسك مرعى لحمار فى مزيلة .
 - × أنك تظن الدنيا أيها الصدر المكارم ليست إلا لعباً دقيقة مع الكواعب .
 - × إنك على خطأ فسوف تدرك عاجلاً إنها أيضاً طعان وضراب .
 - × أنت تتبخر فى ثيابك الحريية ولا تدري أن أصله لعاب دودة .
 - × أنت تتفاخر بتناول الحلوى ولا تتصور أنها أفضل مكان لقيئ الذباب .
 - × أنت تعتبر الحرمة للجاء فلا غرو أننى بحديثى هذا معك أعانى العذاب .
 - × هناك دليل على باب إيوان الغلمان على أن السيد ثمل وقد استغرق فى النوم فى غفلة وحجاب .
 - × أنت شيطان ولست سليمان لأن ما بيدك هو رباب بدلاً من ألحان داود .
 - × فبفرض أن العالم قد صار كله ملكاً لك فهو لا يعد عند العقل أن يكون زبداً أو دودة .
 - × أنا لست رهينة لمودتك والتفاتك وإن كان القلب منك فى اضطراب .
 - × أنا أحدثك عن عبس اليومين العالين إذ أنا ما أقدمت عليه ليس هو الصواب .
 - × وأن التقدير ليسخر من التدبير فكم من حسرة تحت التراب .
- تم المجلد الأول من كتاب تواريخ طبرستان حماها الله تعالى من بوارق الزمان وطوارق الحدثان فى أواخر صفر ختم بالخير والظفر عام ثمان وسبعين وتسعمائة هـ على صاحبها الصلاة والتحية.

ترجمة الجزء الثانى من

كتاب " تاريخ طبرستان " فى امتداد دولة

آل وشمكير وآل بويه ومدة استيلائهم على طبرستان

توجه الحسن بن بويه إلى طبرستان للمرة الثانية وأحوال وشمكير معه^(١)

عندما فرغ ركن الدولة الحسن بن بويه من مراسم العزاء فى أخيه اشتبك مع وشمكير وجمع جيشاً جراراً وأتى إلى جرجان ولم يقدر وشمكير على الصمود والمقاومة ؛ فهرب منه وذهب إلى مرو عن طريق "نساو ابيورد" وكان منصور بن قراتكين واليا عليها من قبل نوح وكان محمد بن عبد الرزاق قد استولى على نيسابور وخرج على نوح وأخذ منصور ووشمكير الجيش وتوجه بها إلى نيسابور وأغاراً على محمد بن عبد الرزاق فجاء محمد بن عبد الرزاق إلى جرجان وكان حسن الفيروزان حاكماً عليها من قبل الحسن بن بويه فانضم إليه وفى شوال عام ٣٣٧ جاء كل من منصور ووشمكير إلى جرجان فهرب منهما محمد بن عبد الرزاق وانضم إلى ركن الدولة الحسن بن بويه فى الرى ، وعاد منصور إلى نيسابور حيث وافته المنية وقام الأمير نوح بتسليم قيادة جيش خراسان لأبى على وبعث به لمحاربة ركن الدولة فقدم إلى الرى فى عام ٣٤٢ وحاصر الحسن بن بويه فى قلعة دربندان الرى حتى تصالحا فى النهاية على أن يرسل سنويا من الرى إلى بخارى مائتى ألف دينار وعاد أبو على وكتب وشمكير شكوى إلى الأمير نوح من أبى على حيث ذكر له لو لم يكن قد تم الصلح لكان قد قبض على ركن الدولة فغضب الأمير على أبى على وأوكل أمر الجيش

(١) كان آل بويه فى بداية أمرهم فى خدمة أمراء الدولة العلوية فى طبرستان ثم انضموا إلى السامانيين ثم التحقوا بمكان بن كاكى واشتركوا معه فى الاستيلاء على طبرستان إلى أن ضعف شأنه فانضموا إلى مردأويج بن زيار فوالاهم على بعض المناطق انظر (البناكتى فخر الدين بن على: ١٣٣٨ ص ٢١٩ النويرى - أحمد بن عبد الوهاب - نهاية الأرب فى فنون الأدب - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٩٩ جزء ٢٣، ٢٤ ص ٤١ ، ٦٩ - المترجم .

لأبى سعيد بكر بن مالك ، ولما علم أبو على بالخبر استولى على نيسابور وشرع فى الخروج على الأمير نوح وأسقط اسمه من الخطبة وأنداك توفى الأمير نوح فجأة وجلس خلفاً له ابنه عبد الملك بن نوح وذلك فى عام ٣٤٣ وقوى أمر أبو على فى نيسابور وجرت بينه وبين ركن الدولة العهود والمواثيق على الخروج على وشمكير وخصومته وأتى ركن الدولة إلى طبرستان عن طريق جبل وندادهرمز وأبو على عن طريق جبل شهریاره والتقى معاً فى طبرستان وبالع ركن الدولة فى تكريمه وأنداك توفى أبو على وتفرق جيش خراسان الذى كان معه وتوجه الحسن بن بويه إلى الرى وقوى وشمكير مرة أخرى وخلال تلك الفترة التى كان فيها الحسن بن بويه فى العراق والرى وشمكير فى طبرستان كانت تقع بينهما خصومات وخلافات حتى عهد المنصور بن نوح حيث انضم إليه وشمكير وزاد فى خصوماته مع ركن الدولة الحسن بن بويه وأرسل الأمير منصور محمد بن إبراهيم السيمجورى بجيش جرار لمساعدة وشمكير وعندما علم ركن الدولة بهذا النبأ اضطرب وبعث برسول إلى بغداد وفارس وطلب المدد من أخيه معز الدولة ومن أبناء عضد الدولة والتقى أبو الحسن محمد بن إبراهيم السيمجور بوشمكير على مشارف جرجان عام ٣٥٦

سبب وفاة وشمكير

وفى تلك الأثناء وقدرأ أراد وشمكير ذات يوم أن يركب الجواد فأخبره أحد المنجمين بأن هذا اليوم هو يوم نحس وشؤم ويجب ألا يركب الأمير فيه فلبث وشمكير حتى صلاة العصر ثم عرضوا عليه الخيل وكان من بينها جواد أسود اللون فى غاية الجمال وكان قد أرسل من بخارى فأمر بسرجه وركبه وعندما قطع جزءاً من الطريق تذكر كلام المنجم ففزع فزعا شديداً فرجع بجواده ليعود إلى المعسكر وقدرأ خرج خنزير برى مسرعاً من وسط الأحراش فى مواجهته فمزق بطن جواده وسقط وشمكير من على الجواد وتدفقت الدماء من أنفه وعينييه وأذنيه وحل به أمر الحق فى المحرم عام سبع وخمسين وثلاثمائة .

ذكر أبناء وشمكير وأحوال سلطنة قابوس في طبرستان

كان له ولدان الأكبر يدعى بهستون والأصغر قابوس وكان بهستون آنذاك في طبرستان وكان قابوس مرافقا لوالده فقام كبار رجال البلاط بمبايعة قابوس وسانده أبو الحسن محمد بن إبراهيم السيمجور وعندما علم بهستون بهذا النبأ في طبرستان جاء إلى جرجان والتقى مع أبي الحسن محمد بن إبراهيم السيمجور ورأى أن أبا الحسن يبذل قصارى جهده في تقوية قابوس أدرك أن هذا المسعى لن يحل فطلب الإذن وعاد إلى طبرستان وبعث برسول إلى ركن الدولة وأعلن طاعته له على عكس ما عليه جيش خراسان واتجه إلى الري وتمكن شمس المعالي قابوس بن وشمكير في جرجان بمؤازرة أبي الحسن محمد بن إبراهيم وكان نفوذه يزداد يوماً بعد يوم وكان يبدى الكرم والإحسان والعطف على أهل طبرستان ويضاعف لكل واحد منهم الراتب والإقطاعية وكان خاله هو الإصفهيد رستم بن شروين بن شهریار بن باوند فجاء إلى قابوس برفقة عدد من أكابر ومعارف طبرستان وأظهروا له الولاء والطاعة وسلموا له ملك "طبرستان" وتوفي ركن الدولة في الخامس والعشرين من المحرم عام ٣٦٦ .

أحوال شمس المعالي مع أبناء ركن الدولة

تولى عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو الحكم في فارس بعد ركن الدولة وكان يرافقه مؤيد الدولة حيث كانت أمهما هي ابنة حسن الفيروزان ابن عم ما كان بن كاكي وكان فخر الدولة في همدان حيث وقع بينهما خلاف ونزاع وكان قابوس قد قوى أمره في طبرستان وزادت قوته فجمع عضد الدولة ومؤيد الدولة الجيش وحضرا إلى همدان ولم يستطع فخر الدولة أن يقاوم أو يصمد فهرب ولجأ إلى شمس المعالي عم طريق طبرستان فاعتز شمس المعالي قابوس بمقدمه وبذل في حقه التكريم اللازم وبعث كل من عضد الدولة ومؤيد الدولة إلى قابوس بأن ابعث به إلينا كي نؤوى إليك مال الري عن عام وإلا فاستعد للحرب ، فرد عليهما بغلظة ووطن النفس على الحرب وجهز عضد الدولة لأخيه جيشا جرارا من الأكراد والعرب والديالة والأتراك وسيره إلى جرجان وقاد قابوس جيشه من تلك الجهة إلى إستراباد وتقاتل الجيشان لمدة ثلاثة أيام حتى هرب قابوس في النهاية وحمل خزائنه وظل مع فخر الدولة في

نيسابور وانضم إلى تاش اسفهللال وأبلغ تاش أمره إلى بخارى فكلف الأمير نوح تاش بمساعدته فجمع تاش الجيش من نيسابور وحضر إلى جرجان وبعث بفائق الخاص إلى طريق قومش وقام مؤيد الدولة بمحاصرة مدينة جرجان وأقام قابوس وتاش معسكرا عند باب المدينة واستمرت الحرب لمدة شهرين وعم القحط والمجاعة جرجان لدرجة أن كانوا يشترون منا من النخالة يشتري بدانق من ذهب ، وصبر مؤيد الدولة بمشورة أبي الفضل الهرري المنجم حتى بلغ المريخ درجة النزول وكان هو مربى الأتراك وأنداك بلغهم خبر وفاة عضد الدولة فأرسل مؤيد الدولة أموالا في الخفاء إلى فائق وكبار قادة الجيش الخراساني وطلب منهم أن يهربوا عندما تبدأ الحرب وعلى النحو قام مؤيد الدولة بإخراج جيشه من المدينة في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر رمضان لعام ٣٧١ وبدأت الحرب فهرب فائق والمجموعة التي كانت معه وبقي تاش وفخر الدولة بمفردهما وانهزما في النهاية وسلبت الأموال والأموال وذهبوا إلى نيسابور وكان آنذاك في عهد الديلمة بقيادة فيروزان حسن الفيروزان وكانت ولاية توش من نصيب أخيه نصر بن حسن الفيروزان وكان الإصفهيد شروين بن باوند في طبرستان،

عودة شمس المعالي إلى مقر سلطنته واستقراره

لما كان عضد الدولة قد توفي وساعت الأوضاع في العراق بسبب الخلاف بين أولاده ذهب فخر الدولة إلى العراق وقد وافته المنية على الفور في الري فعاد قابوس ثانية إلى جرجان واستدعى معارف ومشاهير طبرستان وبسط لهم الكرم وقد حدث أن توفي نوح بن منصور وحل محله الأمير الرضى واختلف معه أبو علي بن الحسن السيمجور وفائق واضطرب الأمر في خراسان ولجأ الأمير الرضى إلى سبكتكين في غزنين والذي كان قد قام على الأمر في غزنين بعد البتكين وعلى نحو ما هو مذكور ومسطر في التواريخ فجمع الأمير سبكتكين جند تلك النواحي واتجه إلى نيسابور، لدفع أبي علي وفائق فتقدم أبو علي وفائق والتحما في منطقة بفشور وكان قابوس في ذلك الوقت قد بعث ابنه دارا مضطرا إلى أبي علي وخلال القتال تحول دارا عن أبي

على، وانضم لجيش الأمير الرضى وهزم أبو على، وأظهر الأمير السلطان محمود سبكتكين مهارة كبيرة فى تلك المعركة فقام الأمير الرضى بمنح قيادة جيش خراسان للأمير محمود ولقبه بسيف الدولة ، ومنح سبكتكين بلخ وظل الأمير محمود فى نيسابور وعاد الأمير الرضى إلى بخارى واتجه سبكتكين إلى هرات، وسرعان ما توفى الأمير الرضى واستولى السلطان محمود على خراسان وتحالف مع إيلك خان، وأتى به إلى بخارى بنية تكريمه ثم قام بأسر بعض السامانيين غدرا وقيد إبراهيم المنتصر بن الأمير الرضى وأعمل السيف فى الآخرين وزادت قوة الدولة المحمودية فى خراسان وهرب المنتصر من سجن إيلك خان واتجه إلى خراسان ، وكان يتشتت فى ناحية كل وقت حتى سبب إرباكا لمحمود إلى أن اشتدت قوته فأتى إلى نيسابور، واتجه السلطان من غزنة إلى نيسابور مباشرة، فهرب منه المنتصر، ولجأ إلى شمس المعالى قابوس بن وشمكير فى جرجان ولما كان قابوس غاية فى العظمة والجاه فأكرمه المنتصر وبنعمه البالغة ، وبذل له العطاء والأنعام من الخزائن ومخزن السلاح والتأسيس على نحو ما يجب، وكان مع المنتصر أبو القسم السيمجور وأرسلان بالو فأكرم كلاهما بنعم فاخرة، وقال لهم: إن مصلحتكم فى أن تصرفوا النظر عن خراسان، لأن السلطان وإيلك خان كلاهما خصم قوى ولا طاقة لكما بمقاومتهم، وكان- لا يزال- مجد الدولة بن فخر الدولة طفلاً صغيراً وبلاده تسودها الفوضى وسوف تستسلم لكم بلاد الرى بلا مشقة ولننظر ماذا يكون بعد ذلك فإذا ما توفرت الخزائن وتهيا الجيش عندئذ يكون التوجه إلى الخصم وإلى خراسان أفضل فرضوا بذلك الرأى وبعث قابوس بولديه دارا ومنوچهر معهما ، فلما وصلوا إلى الرى التقوا بأعيانها وكبار رجالها فاعتذروا فى لطف، وأعطوا أموالا طائلة لأبى القاسم سيمجور وأرسلان بالو، وعادوا إلى نيسابور من هناك وانفصل ولدا قابوس عنهما وتوجه المنتصر ثانية إلى نيسابور إلى أن وصل جيش السلطان مرة أخرى فاتجه المنتصر إلى جرجان مرة ثانية ولما كان قابوس قد علم فى المرة الأولى بما عليه سجينهم من خير وشر وأنهما لن ينجزا أمراً ما فقد ضاق بهما، وبعث بألفى رجل ليطردهما من مناطق ولاية جرجان ، وكان قابوس آنذاك بسط العدل ، وعلا شأنه، فلما أدرك

أن أمر آل سامان في زوال يوماً بعد يوم وأن الوهم والانهيار يلحق بهم من كل ركن وطرف ، وأن توقع علو أمرهم من الأيام كالانخداع طمعاً في السراب، وكنقش على صفحات الماء، لذلك فقد انشغل بتدبير أمر نفسه وأرسل الإصفهيد شهريار بن شروين إلى منطقة " كوه شهريار " للاستيلاء على تلك الولاية وكان بها رستم المرزيان خال مجد الدولة أبو طالب رستم بن فخر الدولة فقاتله الإصفهيد وهزمه وفاز بالغنائم وكانت الخطبة في تلك المناطق تقرأ باسم شمس المعالي ، وكان بايى بن سعيد مقيماً بين جمع من جيل إستندار فكان يقودهم في الظاهر إلا أنه في الباطن شديد التعلق بشمس المعالي وجاء نصر بن حسن فيروزان إلى ولايتهم بسبب المجاعة التي كانت قد حلت بولاية الديلمة وطمع في الولاية وبعث بالجيش إليهم وشردهم جميعاً وقبض على الإصفهيد أبا الفضل وسجنه إلى أن توفي في سجنه وتحالف بايى مع نصر واتفقا على الاستيلاء على أمل وكان بها أبو العباس الحاجب فاتجه نحوهما بألفين من الجند ، فلما وصلا إلى أمل عجز أبو العباس عن مقاومتهم ومنى بالهزيمة واستوليا على أمل وكتب بايى رسالة إلى الأمير قابوس وأخبره بهذا الفتح وبعد هذا انفصل عن نصر وذهب إلى إسترآباد وأظهر الدعوة لقابوس فاجتمع عنده كل شخص كان محباً لقابوس من جيش الجيل، وكتب شمس المعالي إلى الإصفهيد شهريار بأن يذهب إلى بايى ويدخل في طاعته، فانضم الإصفهيد إلى بايى ، وعندما علم فيروزان بن الحسن نبأ اجتماعهما واتفقهما توجه من جرجان قاصداً قتالهما ، ودارت حرب حامية بظاهر إسترآباد ، وكادت الهزيمة تحل ببايى إلى أن صاحت مجموعة من الأكراد والعرب من جيش فيروزان باسم شمس المعالي وانتقلت إلى جانب بايى ، وقام جيش بايى بتعقب فيروزان ، وقبضوا عليه مع عشرين شخصاً من خيرة قواده ، أما بقية جنده فقد توجهوا إلى جرجان ، وعندما وصلوا إلى هناك كان القائد خرকাশ والذي كان من أقارب قابوس قد وصل إلى هناك فتصدى لهم وقاومهم وهزمهم ووصلت هذه البشارة إلى قابوس فسعد بهذا الخبر وتوجه إلى جرجان بقلب مطمئن وصدر منشرح ، وفي شعبان عام ٨٨٣ هـ جلس على مسند الملك ، واستقر مكنة .

أحوال قابوس مع مجد الدولة ونصر فيروزان

عندما انهزم هذا الجيش بفضل البارى وحلت بهم الملامسة ، جمع أبو على حمويه الذى كان وزيرا عشرة آلاف رجل من الأتراك والعرب والديلمة ورافقه إلى جرجان كل من منوچهر بن قاموس وإسفاربن كريدويه وأبو العباس بن جايى وعبد الملك ما كان وموسى الحاجب وبيستون بن تيجاسف وكنار بن فيروزان ورشا موج ، وكانت هذه المجموعة هى قاده وأركان الدولة الديلمية وعندما وصلوا إلى ولاية شهر ياركوه وطن شمس المعالى العزم على مقاومتهم بعون البارى تعالى وكان أبو على حمويه لا يثق بجانب نصر بن الحس بن فيروزان فأرسل إليه شخصا لاستمالته فتحايل عليه بأن قال له إن صلة القرابة المتينة بينك وبين مجد الدولة قوية وتقضى أن تواليه والقيام بمصالح ملكه ولا تدخر جهدا فى عونهم ومساعدتهم وإذا عزمت على هذا الأمر وانخرط فى سلك موالاته فسوف تسند إليك ولاية قومش فى الحال حتى انخدع نصر بهذه الحيلة ورحل وعندما بلغ سارية ترك طريق جرجان إلى يساره ومضى إلى الجانب الأيمن وعندما اقترب من قومش أفشى السر الذى يكنه فى صدره وقص على أتباعه فكرة مولاته لمجد الدولة والتي كان يكنها فى قلبه ؛ فاختلفت كلمتهم وتوجهت جماعة منهم إلى ولاية إستندارية واتجهت الأخرى إلى جرجان واتجه نصر مع بقية الجيش إلى قومش وأرسل شخصا إلى أبى على حمويه وطلب منه قلعة ليحتمى بها ويحمل إليها كل أمتعته وأمواله وأملاكه فأعطى له قلعة جمند ، فبعث بأولاده وأملاكه وأمواله إلى ذلك المكان وعندما سد أبو على هذه الثغرة وفرغ باله من عوائد شر نصر وغوائل ضره توجه إلى سارية قاصداً جرجان ، وحينما وصل إليها أرسل منوچهر إلى والده شخصا فى السر وتجنب الوقوع فى العقوق وإهمال الحقوق وشعر أبو على بمعارضة بيستون تيجاسف بسبب قرابته لقابوس واشتراكهم فى النسب لجيل وميله القديم لقابوس فأخذه وأرسل به إلى الرى ومضى إلى جرجان ونزل بظاهر المدينة إلى جوار مشهد الداعى ووطن أصحاب شمس المعالى القلب على مقارعة القوم ومقاومتهم ، واستمروا من الصباح وحتى المساء فى معاناة لباس البأس وتجرع كأس الموت والقتال ، وانقضى شهران على هذا الحال فى تدوام حتى حدثت مجاعة منطقة جرجان وشح الطعام وأقنع أتباع قابوس

فى هذا البؤس أنفسهم الشرىفة بأكل بلغة ، فكانوا يسدون المجاعة بما كان يتيسر لهم وانتقل الجند من جانب مشهد الداعى بسبب ضيق الحال وقلة الزاد واستقروا بجانب محمد أباد حتى يحصلون على المؤن من جناشك ، وبسبب هطول الأمطار بغزارة عجزوا عن توفير احتياجاتهم من المؤن والزاد وهبت عليهم أعاصير وظلوا عاجزين فى المخاضات والأحوال عن أن يحصلوا على القوات والأعلاف ، وتداعت خيامهم من جراء صواعق الرعد والبرق وعواصف الجنوب والشمال ولما رآهم أتباع قابوس فى تلك الحيرة وفى هذا المأزق الصعب خرجوا من القلعة وحصدوا أجساد هذا الحشد الكبير بسنان سيوفهم من مطلع القلق وحتى مقطع الشفق ورووا الأرض من دماء أكبادهم ومزقوا أصلافهم بمناصل حراهم حتى صار ألف وثلاثمائة رجل صرعى فى تلك الصحراء ينهشهم النسور والغربان وأسروا إسفهلار بن إنكروز وجستان بن أشكلى وأخاه حيور بن سالار ومحمد بن وهسودان وفاز جند الجيل بالغنائم من الجيش الديلمى ، وقام الأمير قابوس بأدائه الشكر لله على هذا الفتح وضاعف من طاعته لله تعالى شاكرأ على تيسير هذا الفتح وتوفير المدد له ، فلما عاد أبو على حمويه من هذه الهزيمة إلى قومش كتب رسالة لنصر بن الحسن الفيروزان واستدعاه على عجل ليتدبر الأمر ويزيل عار الهزيمة ويستأنف القتال ويقوم برأب ذلك الصدع الذى حدث ، ولم يقو على البقاء فى توش خوفاً من جند قابوس فرحل وتوجه إلى الرى ويحضر نصر إلى سمنان وعندما وصل إلى أبى على توقف وكتب إلى مجد الدولة وطلب المدد فأرسل إليه ابن بكتكين الحاجب مع ستمائة فارس من الأتراك ووجد نصر المساعدة فأرسل شمس المعالى بارى بن سعد لقتالهم ثم بعث فى أثره مباشرة الإصفهيد شهریار واتجه بابى ناحية نصر ولم يأخذ بأسباب الحيلة واليقظة إذ وصل إليهم فجأة وكان جند أبى على فى يقظة فتوجهوا إليه ، فلبث بابى فترة مناوشا معهم ولكنه خرج فى النهاية مهزوماً وحل الفناء بجنده على يد نصر وأعوأنه ، ولقد دعم هذا الفتح من موقف مجد الدولة تماماً فقام بإرسال خاله رستم ابن مرزبان مع ثلاثة ألف رجل لمساعدة أبى على وقام الإصفهيد بإسناد منطقة شهریار كوه لخاله وجاء نصر لاستقبال فى دماوند وقام بمعونته ومؤازرته وحرر ولايته ، وذهب الإصفهيد شهریار إلى سارى ولجأ إلى منو جهر بن شمس المعالى وحدث غلاء

فاحش بين أهالي فريم بسبب تردد الجيوش وتخلف نصر لهذا السبب عن رستم وانفصل عنه فلما وجد الإصفهبد شهریار رستم قد بقى محروماً من مدد ومعاونة نصر قام بالهجوم عليه وأخرجه من الولاية ، فوصل إلى الري يجر أذيال الهزيمة والحسرة ولم يستقر الأمر للإصفهبد شهریار فى ولايته .

تحالف مجد الدولة وقابوس وإخراج نصر من قومش

وبعد ذلك تصالح مجد الدولة مع شمس المعالى واتفقوا على أن يتخلصوا من نصر وكان نصر بن الحسن يتصف بالظلم على الرغم من نسبه الكريم وعراقة أسرته وكثرت عثاره ، وكانت ولايته على طريق الكعبة المشرفة والحرم فكان يثقل كل عام كاهل رفاقه وقوافل الحجيج بمطالبه المجحفة ومعاملاته السيئة حتى ذاعت سمعته السيئة فى ربوع العالم ، ولحقت هذه الوصمة الشنيعة بأهداب شرف نسبه وجماله وكانت دعوات الحجاج ولعنات المظلومين ذات أثر فى اضطراب أموره واجتماع أسباب خذلانه وتنكيس راية دولته ، إلى أن فكر شمس المعالى ومجد الدولة فى الإيقاع به والإمساك به وليهدأ بالهما من جهته فعلم نصر بهذا الأمر وارتاب فى أمرهما ، وأنداك جاء خبر بأن أرسلان هندوبجه وإلى قوهستان والذى كان أحد أمراء وقادة السلطان قد أغار على أبى القاسم السيمجور وطرده إلى ولاية جنابد فمضى إليه نصر وطلب مؤازرته وحرضه على أن يتجه إلى الري وأغراه على مخاصمة ومحاربة مجد الدولة، وانخدع أبو القاسم بهذا المكر والخداع وترك نفسه لعبة فى يد نصر يحركها كيفما يشاء وجاء إلى خوار وقابله من الري جيش جرار وحال بينه وبين تحقيق هدفه سد منيع من أبطال الخدم وأشبال الجند الذين تصدوا له فلما رأى قوة هؤلاء الأسود وسطوة هؤلاء البواسل عض على أنامله من الندم وعاد خائباً مهزوماً وخجلاً ونادماً كما بعث قابوس أيضاً بمدد من عفاريت الأكراد وشياطين الأنجاد فطردوه من تلك الحدود ، فلما أحاط به اليأس من كل جانب وضافت عليه الأرض بما رحبت وطن العزم على الدخول فى طاعة السلطان يمين الدولة محمود وقرر الاعتصام بحبله المتين ، واتجه إلى بلاطه ووصل حال أبى القاسم فى خدمة السلطان درجة أن هرب من بلاط وفق ما هو مشروح فى كتاب اليمينى ، وظل نصر فترات طويلة

ملازمًا للخدمة فأعطاه السلطان بياروجومند فاتجه إلى إقطاعيته فوجد رقعة تلك الولاية ومساحتها أضيق من أن تناسب عظم شرفه وعلو همته فلم يقنع بها واضطربت نفسه في هذا الإحباط والقنوط إلى أن قاموا بخداعه في الري واستدرجوه إليهم بشراك المكر وقيدوه في حبال الأسر ، وأرسلوه إلى قلعة إستوناوند وقام شمس المعالي بالاستيلاء على قلاع تلك المناطق وأخضعها جميعاً لسلطانه وسلمها إلى أعوانه وأسلك بنواحي تلك المناطق في قبضة ، وأنداك قام الإصفهبد شهريار بإثارة التمرد والعصيان ، واغتر بكثرة جنده ووفرة ماله وجمع جيشاً جراراً ، فأرسلوا من الري رستم مرزبان على رأس صناديد الديلم لقتاله ، وكان ضمن هذا الجيش بيستون بن تيجاسف والذي كان قد اعتقل قبل ذلك بتهمة موالاته لقابوس فهزموا الإصفهبد وأسروه ، ونادى رستم بن مرزبان باسم قابوس ، والخوف المستقر في قلبه من أهل الري قرر خطبة هذه المنطقة باسم شمس المعالي ، وسجل أحواله في الطاعة وصدق التناصح مع قابوس ، وانشرح صدر بيستون بهذا الوضع وقرت عيناه وسعد بعودته إلى الوطن وإلى أهله ومسكنه ووصله إلى خدمة ولي نعمته ، وتم دمج مملكة جيلان بأسرها مع ولاية جرجان وطبرستان فأُسند شمس المعالي ولاية جيلان إلى ابنه منوهر ، وبعد ذلك استخلص منطقة رويان وشالوس ونواحي إستندارية كلية ، وتحلى شمس المعالي بالعدل والإحسان والأمن والأمان وبالكفاءة وحسن الولاية ، وانشغل مع السلطان بتأسيس بنيان المودة وتأكيد أسباب المحبة ، وبعث الرسل لتمهيد علاقات الولاء ، ودعم وضعه بالاهتمام بالدولة وحماية عزة السلطان ، وبعث الكثير من التحف والهدايا حتى استحكمت عقدة الألفة والعصمة ، وتراپطت عوامل الاتفاق والصداقة على الدوام ، ودخلت في طاعته جرجان وطبرستان وبلاد الديلم حتى ساحل البحر ، فخضعت لأمره وحله وعقده ، وكان شمس المعالي قابوس في عصره يتميز بصفة خاصة من بين ملوك الأطراف وأكابر أقطار العالم، وذلك بشرف نسبه ومكارم أخلاقه ووفور عقله ومحاسن شيمه وكمال فضله وجلال قدره، وكان مستقيماً على منهاج الحكمة ورأى الدين المستقيم ، كما كان مبرئاً من الالتفات إلى أنواع المعازف والملاهي ،

ذكر نهاية حال شمس المعالى (١)

كان شمس المعالى مع خصوصية مناقبه ونفاذ بصيرته فى عواقب الأمور صاحب طبع جاف وخشونة فلم يأمن أحد قط من عنفه وسطوته ومرارة كأس بأسه ، ولهذا السبب فقد هلك الكثير على يديه ، ونزعت القلوب منه ، وامتلات حسداً له وحقداً عليه ، وكان من بين خدمه وجنده حاجبه نعيم الذى كان رجلاً نقى الصدر مُخلصاً ، وكان مصوناً ومعروفاً وموصوفاً بلين الجانب ، وكان شمس المعالى قد فوض إليه إستراباد وضبط أموال وشؤون هذه المنطقة ، فلما اتهم بالاختلاس أمر بقتله ، وكان يصبح معلناً براءة ساحته ونقاء جيبه (وراحته) ، وكان يطلب مهلة من الوقت ليكشف عن حقيقة هذا الأمر ، إلا أنه بعد أن اتضحت براءة ساحته أنفذ فيه عقوبة القتل ، فوق تدمير شديد لمقتله بين صفوف الجيش ، فوطن الجميع على خلع طاعته ، وقرروا المجاهرة بكلمة العصيان وتخليص أنفسهم من عار جبروته ، وأنداك كان هو قد خرج من جرجان ومضى إلى معسكر جناشك بسبب اشتداد حرارة الجو ، وكان لا يعلم بما تكن هذه الجماعة له من مكائد وفكر سىء حتى أحاطوا بقصره ذات ليلة وأغاروا على ما به من متاع وسلاح ودواب ، ونهض خواص حضرته لدفعهم وأنقذوه من مضرة عدوانهم.

ولما لم يتيسر الهدف لتلك الجماعة لما كانت ترمى إليه ذهبوا إلى جرجان واستولوا على المدينة قهراً وعنوة ، واستدعوا الأمير منوجهر من طبرستان ، وقد بادر بمحاولة تدارك الأمر بسبب امتعاضه وغيظه من جراء ما وقع لوالده وتحقيق مكيدة هؤلاء القوم ، وعندما وصل إلى جرجان رأى الجيش فى حالة اضطراب ، وقد خرج الأمر من يده وبعثت فرق الجيش إليه برسالة مفادها بأنك إذا اتفقت معنا على خلع وعزل والدك فسوف ننخرط جميعاً فى طاعتك برغبة صادقة ، وإلا سوف نباع شخصاً آخر ، أو نذهب إلى مكان آخر ، ولم يجد الأمير منوجهر بداً من الملاينة والمساهلة ، وفكر منوجهر بأنه (لو لم يتفق معهم) فسوف يمزق حجاب الحشمة والعظمة ، وتزداد

(٥) جاء ذكر هذا فى ترجمة تاريخ اليمينى ص ٣٦٩ ، وما بعدها ، المحقق.

أسباب الفتنة والفساد ، وسيضيع البيت القديم، ولما علم شمس المعالى أن اجتماع أمرهم على العناد واتفاق كلمتهم على دواعى الفساد والشر فقد غادر إلى بسطام برحله ومتاعه وخواص ممالিকে وبقايا متاعه ، وظل ينتظر خاتمة الأمر، وما يؤول إليه الحال ، وعندما علم الجند بأخباره طالبوا منوجهر بمحاربته وتشريده من تلك المناطق ، فذهب معهم مضطراً ليدفع الشر بالشر ، وعندما اقتربوا من قابوس قام باستدعاء ابنه إليه ، ولما وصل منوجهر لخدمة والده قبل الأرض ووقف أمامه فى تواضع تام وسالت الدموع من عينيه ، وبدأ كل منهما يبث الشكوى للآخر عن تلك الواقعة المشؤومة ، وينفث عن صدره ، واتفقا على رعاية حق الأبوة والبنوة وصدق الضمير فى الالتزام بجانب الصواب ، وقال الأمير منوجهر لوالده : لو تسمح لى بذل رأسى وصد هؤلاء القوم ، فهدأ شمس المعالى من روعه ، وطيب خاطره وقبل جبينه وقال له : إن نهاية أمرى ومآل حالى هو هذا وميراث ملكى وقصرى هو وقف عليك ، وهذا الأمر مرهون بك فى حال الحياة وبعد الممات ، وسلم له خاتم الملك ومفاتيح الخزائن ، وتقرر بعد ذلك أن يعيش شمس المعالى فى جناشك وينشغل بالعبادات والأوراد ، وأن يدع شؤون الحكم وأمور الحل والربط فى يد ابنه منوجهر ، وانتقل شمس المعالى إلى جناشك ، وعاد منوجهر إلى جرجان ، وانشغل بضبط الأمور ، ولم تكن تلك الجماعة تشعر بالطمأنينة لسابق زلتهم ، ولم يكن غضب الجميع بسبب عواد أضرار وغوائل قابوس تتناقض فاحتالوا بكل أنواع الحيل والمكر ورغب الجميع فى وفاته والتخلص من روحه ، ولم يرضوا حتى وقفوا عند مضجعه وكشفوا رداء الردى عن غرته الغراء ورأوه بأعينهم ميتاً ، وبلغوا مرادهم ، واستراحوا من صواعق سيوفه وأسنة رماحه، ودفنوه فى القبة التى كان قد شيدها فى ضواحي جرجان على طريق خراسان.

ذكر منوجهر بن قابوس

أقام الأمير منوجهر العزاء ثلاثة أيام وفق عادة الديلم ، وبعد ثلاثة أيام جلس على عرش السلطنة ، وأخذ البيعة لنفسه، ونسى قابوس :

كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا أنيس ولم يسممر بمكة سامر^(١)

وكتب مرسوم من ديوان الخلافة إلى الأمير منوجهر اشتمل على العزاء، وتولييه الملك، ومنحه أمير المؤمنين القادر بالله لقب ملك المعالي وحالف التوفيق والسعد ، فاعتز بطاعة ومؤازرة السلطان ومشايعته ، وسد ثغرة حادثه والده بقوة الأشبال ، وبالإشفاق في ظل تأييد السلطان له حيث بعث إلى بلاط الخلافة من أعوان حضرته ، وتقرب إليه بالعطايا الموفورة والنفائس المذخورة وكل المشتبهيات التي لا تحصى ، وأعلن صدق النية في طاعة حضرة السلطان ، وتلقى السلطان هذه الوسائل والأسباب والذرائع بين القبول والاستحسان ، ووضع معيار ولائه موضع الاختبار ، وبعث له بأن يطرز الخطبة والعملية في ولايته باللقاب حضرته الملكية ، وبعث إليه أبو محمد بن مهران ومعه الخلعة والتكريم اللازم، واستقبل الأمير منوجهر ذلك المرسوم بالسمع والطاعة ، ونادى بشعار دعوة السلطان على منابر ممالك جرجان وطبرستان وقوش ، وتعهد بدفع خمسين ألف دينار على سبيل الخراج، وكان يبعث بها إلى الخزانة سنوياً ، وعندما نهض السلطان للقتال في غزوة نادرين طلب منه السلطان جنداً ، فأرسل إليه ألف رجل من خواص الديالة ومن خيرة الجند والذين كانوا في الهضاب والنجاد كالوعول، وفي الوهاد كالسيل ، وكرّس جميع الجهود في عونهم ومساعدتهم في إعداد مؤن السفر وتجهيز مستلزمات سفرهم وراحتهم ، وكلف أحد أعوانه لقضاء حاجاتهم والقيام بأمر مطالبهم ، ولما كانت آثار مساعيه موضع رضا وقبول واستحسان حضرة السلطان ، وتأكد صدق خدمته له قام منوجهر بإيفاد أبو سعد الشوكلي رئيس جرجان والذي كان أعظم رجالات عصره في الحسب والنسب إلى حضرة السلطان حتى يدعم علاقات المصادقة بصلة النسب ، ويقوم بخطبة إحدى كريمات حضرة السلطان له ، فكان السلطان سمحاً في رد سؤاله ، وحقق مأموله ، ولبي طلب ملك المعالي ، وعندما عاد ذلك الرئيس قصّ كل ما وجدته من إكرام وإنعام السلطان في تلبية طلبه ، فأوقده ملك المعالي مرة أخرى ، وبعث معه قاضي جرجان

(١) ورد ذكر هذا البيت في الجزء الأول من الكتاب ص ٢٠١، من المتن، المحقق ،

والذى كان شيخاً للعلم وراوياً للحديث وعلامة عصره ليقوم بإتمام المهمة وتحقيق عقد النكاح (١) والتوقيع على عقد الواصلة ، ووصل الاثنان إلى حضرة السلطان وقاموا بتأدية مراسم الخدمة ، وطالبوا بإنجاز الوعد، والتأكيد على عقد النكاح ، فربط السلطان شيطان الغيرة بعقال حكم الشريعة ، وأعطى الكريمة التى كانت فلذة كبده ، والفريضة التى كانت زهرة فى سماء السلطنة ، وزوجها من ملك المعالى تلك الزهرة التى لا تعيش إلا فى قمة الفلك ، حيث لا يتناسب مخدع العروس إلا فى حجرة الملائكة ، وتم فى مجلس ذلك العقد من لطائف المنثورات ، وبشائر الخيرات ونفائس التحف والهدايا ما أصبح تاريخاً للأيام ونمطاً لمساعى الكرام، وعاد الرسولان بحصول المقصود ووصول المطلوب ، وسير ملك المعالى حملاً كصلة ومهر ، وجعل ذكر علو همته وغزارة كرمه شائعاً ذائعاً فى الدنيا بحيث لم يبق شخص من أركان الحكومة وأبناء السلطنة دون أن يناله نصيب من ألطاف بره وصلات كرمه ، وقابل السلطان خدماته بأنواع اللطائف وأبواب الكرم، وقام برعاية رجالات جنده بالتشريفات الثمينة والخلع النفيسة والهدايا الثمينة على نحو ما أصبح دستوراً للملوك العالم وقدوة لسلطينها ، وبعث بصحبة ذلك دُر الصدف الملكى وياقوت شرف السلطانى الذى لم يكن جموع أقلام الكتاب ووعى إفهام الحساب تدركه فى أى عهد قط ، ولما استقام أمر ملك المعالى بمؤازرة تلك المصاهرة ، وعن طريق تلك الصلة انشغل بتدبير شؤون الجيش والانتقام من تلك الجماعة التى كانت قد سعت لقتل شمس المعالى والده حيث قام بتمزيق شملهم وتقطيع أوصالهم بأساليب الخداع وأنواع المكر ، وقتلهم جميعاً ، وهرب ابن خركاس الذى كان أساس التمرد والشقاق

(١) ورد فى الأمثال للميدانى آتية من قصد ثقيف ،، فقد كان بالطائف فى أول الإسلام أخوان تزوج أحدهما بامرأة ، وأحبها الآخر ، وذهبت بقلبه وأخذت قوته ، وعرف أخوه ما به ، فقال : يا أخي! هى طالق ثلاثاً فتزوجها ، فقال : هى طالق يوم أتزوجها ، ثم تاب إليه نائب من العقل والقوة ففارق الطائف ، وهام فى البر ، فما روى بعد ذلك ، فمكث أخوه أياماً ثم مات كمدأ عليه ، فضرب بهما المثل ، وسميا مقيدا ثقيف . الميدانى ، مجمع الأمثال ، ج١ ، ص ١٤٨ (المترجم) .

واختفى وتشرد في العالم ، وأصبح ثانی فقید قبيلة ثقیف وثالث القارظین^(١)، فلم يقف على أثر له ، وكان أبو القسم الجعدی من جملة مقترفی هذا الشر ، وجالبي هذا الضر ، وكان قائداً لجيش شمس المعالی ، فأقام عند أطراف الولاية ، وأصبح متردداً بين الخوف والرجاء ، ومنتظراً لطوارق البلاء وصواعق الفناء ، وصرف فلك المعالی النظر عن أمره حتى يُعطيه الأمان ، وسلك طريق الإهمال والإمهال ، وأطلق عنان غروره بخدعة التقاتل والتهاون ، وأوقعه في المصيدة بأساليب الإغراء والترغيب ، واعتقله في محبسه أخذاً بالقصاص منه ، وسد عليه طريق الخلاص ، ولكن أبا القاسم هرب من حبس ملك المعالی بإحدى الحيل ، وأخذ يتنقل في أقطار العالم من مكان إلى آخر حتى حضر إلى بلاط السلطان في نيسابور ، والتجأ إلى ذمته ، وظن أنه سوف ينجو بنفسه من كبائر ذنوبه وقبائح أفعاله في ذلك البلاط ، وذلك بتوقيع العقود وتأكيد العهود وترايط ذات البين واتحاد مصالح الجانبين ، ولم يضع في اعتباره أن القاتل يُقتل وأن جزاء العمل السيئ أنه سوف يمسك بتلابيبه مثل الخناق ، وأن الجاني مهما طال به الزمان وطالت فترة النسيان فسوف يقع في النهاية في شراك البلاء وشباك العناء ، فلا غرو أن قيده السلطان وبعث به إلى الأمير منوچهر.

(١) ورد في الأمثال للميداني ، إذا ما القارظ العنزى أبا قال الكلبى هما قارظان ، كلاهما من عنزة ، فالأكبر منهما هو يذكر بن عنزة ، والأصغر هو رهم بن عامر خرجا ينتحيان القرظ ، فماتا ولم يرجعا ، وصار مثلاً في امتداد الغيبة ، ومنه : لا يأتيك ويؤدب القارظ (المترجم) .

الميداني ، مجمع الأمثال ، ج١ ، ص ١٤٨ ، وانظر :

محيط المحيط ، بطرس البستاني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٧ ، ص ٧٢٨ .

"ذكر دارا ابن شمس المعالى"

بعد أن تحول "دارا" من كنف "أبى على" إلى جانب الملك "الرضى" وكان ملازماً لخدمته ومنتفعاً بنعمته إلى أن تربع "شمس المعالى" على ملكه ، واستغنى "دارا" بخدمة والده عن خدمة الآخرين، وكان عند والده محظوظاً ومشمولاً بعين العطف والرعاية وما يكون بين الأب وابنه إلى أن أوفده إلى "طبرستان" وأقام بها فترة من الزمن، لأداء المهام التى من بينها الطاعة ورعاية المطاعة والقيام بالتصدي للمتمردين على حكم والده، ولكن تم استدعاؤه لوشاية ألحقت به فوصل إلى "إسترا باد" فى بلاط أبيه، وبرهن على براءة ساحته، ورحب والده بقبول أعذاره ، وأكرم وفادته ، واستدعاه بعد عدة أيام للمثول أمامه ، فانشغل فكر "دارا" وركب ليمضى إلى أبيه ، وفى الطريق أسف على ذلك ، ولوى عنانه واتجه إلى "خرا سان" مستتراً فى أدغال "طبرستان" إلى أن علم "شمس المعالى" بحاله وبعث فى أثره الفرسان وكان قد قطع مسافة كبيرة فلما بلغ حدود "خراسان" أمن من عواصف بأس أبيه ، وقواصف غيظه، ودخل إلى حضرة السلطان ، ووجد فى بلاطه المكان المعمور والموضع المرموق ، وتشرف بأنواع العطايا والإنعام والإكرام وأفسد قربه للسلطان ومكانته فى مجلسه بغرور الشباب وقلة الوقار ، وخاف من تغير السلطان عليه وتغير رأيه فيه فهرب متخفياً تحت جناح الليل ، فكلف السلطان أشخاصاً بالسعى لطلبه فلم يلحقوا بغبار موكبته ، ووصل إلى ولاية "غرش" لدى الملك "شار" ولجأ إلى حماه لما كان بينهما من مودة قديمة فأرسل السلطان أمراً مكتوباً لطلبه واسترداده ، وهدده بالوعد والوعيد، فأرسل الملك "شار" "دارا" إلى السلطان من باب الخوف والاضطراب، فقضى فترة فى الحبس والقيد ، ونجا من القيد مرة واحدة بطريقة لا تصدق ، ولكن حارس أيام العذاب وبكاء عصر الأحران ، أمسك به ، حيث قبض عليه أعوان السلطان واعتقلوه بمزيد من العنف والتقييد ، وشد الوثاق وحملوه إلى مكان أكثر حصناً حتى زال ما فى نفس السلطان منه وصفح عنه ومنحه حياة جديدة وعيشة سعيدة ، وأمر بإطلاق سراحه، وبسط له عوائد الإحسان وموائد الامتنان وفق المعهود وفوض إليه ولاية "جرجان" و"طبرستان" وعين "أرسلان جاذب" لمؤازرته ومعاونته ، ولولا أن كفاءة "ملك المعالى" فى إظهار الطاعة وبذل الطاقة لما كان قد تدارك أمر نفسه ، ولكان قد فقد ملكه وداره لكن لما

أفصح أمره استدعاه السلطان، وأصبح ملازماً لخدمته في زمرة أركان الدولة ورفقاء العشرة ولم يغيب عن عين السلطان ولو للحظة واحدة في مجالس الأنس ورحلات صيده وأوقات خلوته ومجلس شرابه وأنسه ، إلى أن وصل الأمير "أبو الفوارس بن عضد الدولة" ذات وقت من كرمان إلى بلاط السلطان لخصومته مع أخيه ، على أمل أن يفوز بمدده وعونه لمضايقة أخيه وذات ليلة اجتمع كل من "دارا" وأبى الفوارس في خدمة السلطان وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث حول شرف القصر وعراقة الأسرة والنسب ، وذكر دارا بعض الكلمات التي لا تليق بحرمة حضرة السلطان وعظمة بلاط السلطنة ، فلما استنكر منه ذلك أصر عليه وكرر نفس الكلام وزاد في العناد والوقاحة ، ووصل به الأمر أن طرده من مجلس الشراب هذا ، وفي اليوم التالي ألقيه في الحبس في بعض القلاع واستولوا على أمواله وأمتعته لصالح الديوان الخاص إلى أن تشفع له الوزير وأعادوا أمواله وأملاكه لمندوبيه في المحرم عام أربعمائة وتسع حيث كان ينفق منها في شؤونته ومصالحه والسلام.

"ذكر باكاليجار"

توفي الأمير "منوجهر" في عام ٤٢٤ وخلفه في الحكم ابنه "باكاليجار بن منوجهر بن قابوس" وكان معاصراً لحكومة السلطان "مسعود بن محمود" وفي عام ٤٢٥ قصد السلطان "مسعود جرجان" على الرغم من أن قادة وأمراء وأركان الحكومة يرون صلاحاً في ذلك وكانوا يحذرونه ويمنعونه ولما كان ذلك المقصد هو غاية آمال الحكومة والأسرة المحمودية فلم تجد معه النصيحة ونفذ التوجه وأوفد الرسل إلى باكاليجار وطلب الإذن منه ، فبعث الأمير "باكاليجار" بهذا القول : الملك يحل إلى بيته وأنا عبده ورهين حكمه وأمره ، فلما طلب السلطان تدخلات وتحكمات بدون وجه حق أرسل إليه "باكاليجار" قائلاً : لو كان السلطان تحقق له طاعة العبيد فما كان له أن يصدر تحكماته على هذا النحو ، فالعبد قد قنع ورضى بعدة قلاع ورثها عن آبائه والولاية والرعية من حق السلطان ، ومضى للقلعة وترك مدن طبرستان ولم يتحقق للسلطان أيضاً مال كثير فلم يفرز إلا بهذه المواجهة التي قام بها ولما اشتدت حرارة الجو اضطر إلى العودة ومضى إلى جرجان ، وفي ذلك اليوم الذي ترك فيه جرجان وصل خبر قدوم الأتراك السلاجقة مع ألفى رجل إلى مرو وانضم إليهم ولدا سلجوق يغمر و بوقا وكان هذا أول

خروج للسلاجقة واستئصال آل محمود ، حتى ذهب جفرى بك داود إلى خوارزم وسلم ملك خوارزم وحضر من هناك إلى طبرستان ومنها ذهب إلى الري ، ولم يدم استقرار لآل وشمكير واستولى أمراء السلاجقة على معظم الولايات التي كانت في الصحراء والوديان أما هم فقد لجأوا إلى القلاع وإلى المناطق الجبلية والتحق باكاليجار في عام ٤٤١ بدار البقاء.

"كيكاوس بن إسكندر"

عندما توفي " باكاليجار " كان كيكاوس بن إسكندر بن قابوس مؤلف كتاب «قابوسنامه» حاكماً ووالياً على قوهستان وكان الإصفهيد "رستم بن شهریار" قد توفي عام ٤٦٢ فاعتلى ابنه "جیلانشاه" عرش ولايته وكانت قد بقيت مواضع قليلة تحت سيطرتهم والتي كان الأمراء السلاجقة قد استردوها ، وبعد أن قدم السلطان طغرل إلى طبرستان عن طريق جرجان واستولى على المال والخراج وعين على كل ناحية وكيلاً ونائباً على حدة ومضى من "طبرستان" إلى الري وخلع المنتصر وأسند الخلافة إلى "القائم بأمر الله" ولقبه بالسلطان وتوفي في ذلك الوقت "جیلانشاه" وجلس "أنوشروان بن منوچهر بن قابوس" وتوفي طغرل آنذاك عام ٤٠١ وفرض "ألب أرسلان غازي" سيطرته على العرش الملكي وزحف بالجيش إلى بلاد الترك وخضع له ملوك الترك والإفراسياب.

"حكاية" (١)

روى أن ألب أرسلان عندما نزل إلى ولاية كاشغر وبلا ساغون قاصداً بلاد الترك جاء نبأ من دار الخلافة بأن جيش النصاري حارب أمير المؤمنين القائم بالله وهزم جيش الإسلام وأسروا أمير المؤمنين وقيدوه وحبسوه في القلعة التي تقع في أعالي جبال بلاد إيسار والجزيرة على حدود الروم ، توجه السلطان ألب أرسلان على رأس مائة ألف فارس جرار متمرسين في القتال وتعجل في قطع المنازل لنجدة أمير المؤمنين بحيث قطع المسافة من بلاد ساغون إلى تلك القطعة في ستة عشر يوماً ، وكانت على

(١) بالقطع إن هذه الحكاية ملفقة لاحتوائها على عدة أخطاء تاريخية فلم يسحب ألب أرسلان بكاشغر ولا بلاساغون الجيش ولم يقبضوا على عامل الخليفة ولم يحارب ألب أرسلان الروم لإنقاذه (المترجم).

جبل شامخ فوق شط الفرات وبالأسلوب الذى قام به دعى صاحب تلك القلعة إلى الإسلام، وشرفه بأن أسلم وخلص أمير المؤمنين من الأسر، وأوصله إلى حدود دار الخلافة وهو فى خدمته بعظمة وجلال وملتزم ركابه، وطلب السماح بالعودة ، وعندما أخذ الإذن ترجل وشرف شفاه سلطنته بتقبيل مراكب أمير المؤمنين ومع مثل هذه الخدمة وجد فى هذا الوقت نفس القدر من الرعاية والعطف من دار الخلافة بحيث نطق أمير المؤمنين القائم بأمر الله بهذا القول: قتلت العباد وخربت البلاد فى تخليصى فانظروا أيها المراقبون بنظرة التأمل والتدقيق إلى أى مدى لكل فرد مدارج فى خدمة أمير المؤمنين واستشهد ألب أرسلان فى شهور عام ٤٦٥ .

"ملوك باوند" (١)

كانت أسرته الميمونة مقصداً للوفود وموضعاً للسجود ومجالساً للكرم والجود ، كما كانت عوناً للمحتاجين، ومسكناً للمساكين^(٢) وكان كل واحد منهم يشتهر ويلقب "بالإصفهيد" ملك الجبال فكان باو فى خدمة خسرو بروبز ومضى معه إلى الروم ، وكانت له إنجازات هامة فى حرب "بهرام شوبينه" وكان نائباً لخسرو فى إصطخر وأذربيجان والعراق وطبرستان ، وبعد انتصار جيوش العرب وغلبة جند الترك نزل إلى طبرستان فلجأ إليه أهالى طبرستان على نحو ما ذكر فى المقدمة ، وأصبح مسؤولاً عن أموال ودماء الطبرستانيين فتولى ملك طبرستان نزولاً على حكم أهلها ، وبقي ملكاً مدة خمسة عشر عاماً حتى ضربه رجل يدعى ولاش بحربة فى "شارمام" على ظهره غدرًا وقتله وكان "سهراب" بن باو مختبئاً مع أمه العجوز فى قرية من ولاية سارى وكان جميع أهالى طبرستان قد بايعوا ولاش فيما عدا أهل كولا حيث التقطه "خورزا وخسرو" وحمله إلى كولا وعاونوه أهل جبل قارن وقاموا بغارة ليلية فجأة بخمسين ألف وقتلوا ولاش وحملوا سهراب إلى مريم وأجلسوه على العرش ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى مقتل الملك الشهيد فخر الدولة لم يقو أى ملك على استئصال شأنهم على الرغم من الخصومات الكثيرة التى كانت معهم ، وعلى الرغم من تغلب السادة العلويين عليهم

(١) وهذا الحكاية ملفقة أيضاً ويمكن للقارئ أن يلتقطها من مواضع سابقة فى القسم الأول، حيث ذكر أن الملك الشهيد فخر الدولة والمقصود به الشاه غازى فخر الدولة الحسن آخر ملوك مازندران (المترجم) .
(٢) جاء ذكره فى القسم الأول ص ١٠٦ من المتن.

وأولاد كاو باره و"آل قارن" و"آل بويه" و"آل وشمكير" وانتزاع الولاية منهم ، وكانوا على كل حال أصحاب عزة ومكنة وكان " مروان بن سهراب" أيضاً فى ذلك العصر قد وصل على الملك والسلطنة لفترة قصيرة ورحل عن الدنيا سريعاً كما توفى "سرخاب بن مهر مروان" قبل والده أما "شروين بن سرخاب" والذي كان فى عهد "ونداد هرمزد" ولقب بملك الجبال وعقد معه هذه وأخرجوا من طبرستان جميع الأمراء العرب كما ذكر آنفاً ، وكان شهریار بن شروين فى عصر قارن بن ونداد هرمزد وكان معاصراً لهارون الرشيد حيث أرسل "بشروين" كرهينة لدى "هارون" وبعده كان "الإصفهيد قارن بن شهریار" ملكاً للجبال وكان فى عصر الخليفة المعتصم وفى عام ٢٢٧ قام بتمزيق الزنار عن وسطه ودخل فى الإسلام فى عهد الداعى الكبير حيث أرسل إليه الداعى بإستنداد بادوسيان لمهاجمته وحرق ولايته ، إلى أن تصالح الإصفهيد قارن مع الداعى عن طريق بادوسيان وأرسل ولديه مازيار و"سرخاب" كرهينة لدى الداعى ، وكانت هذه عام ٢٥٢ وكان سرخاب بن قارون فى عهد الداعى الكبير أيضاً فلما قام الداعى بقطع أيدي وأرجل ألف رجل من الديالة بسبب سوء مسلكهم وسيرتهم هرب الآخرون ولجأوا إلى الإصفهيد رستم الذى اختلف مع الداعى وبعث به من "هزاره" جرى إلى شاهد واستولى "الإصفهيد" على "قومش" ، ولما كانت علاقة الداعى محمد بن زيد سيئة مع الإصفهيد فقد انضم إلى الإصفهيد مع أمير "خراسان" رافع بن هرثمة وحضر إلى "مازندران" وخرب كل مدن "الديلم" و"رويان" ، وكان الداعى قد هرب إلى الديالة إلى أن عاد رافع إلى خراسان مرة ثانية وتخاصم مع عمرو بن الليث وهرب منه وحضر إلى جرجان واتفق مع الداعى وبعد ذلك أرسل إلى الإصفهيد رستم بأننى لم أعقد أى صلح مع الداعى وعليك أن تأتى حتى نتحد فيما بيننا ، فذهب "الإصفهيد رستم" إلى "إستراباد" فأمسك بالإصفهيد وهم على المائدة وقيده إلى أن توفى الإصفهيد وهو فى قيوده فى رمضان عام ٢٨٢ وأصبح الإصفهيد شروين بن رستم ملكاً للجبال وتحالف مع السيد ناصر الكبير وكان ذلك فى عهد « ما كان بن كاكي" أيضاً كما ذكر من قبل فى المقدمة وكان الإصفهيد شهریار بن شروين ملكاً للجبال فى عهد الحسن بن بويه وله آثار عديدة وكان متحالفاً ومتعاهداً فى بعض الأوقات مع و"شمكير بن زيار" وكان ابن "شروين بن شهریار" معاصراً و"شمكير" أيضاً وكان قائماً مقام أبيه فى "قوهستان" وملك "آل باوند" إلا أنه رحل عن الدنيا قبل "شهریار" وظل شهریار مدة طويلة حتى إنه عاصر "شمس المعالى قابوس بن وشمكير" وكذلك السلطان "يمين الدولة محمود".

« حكاية »

روى الإمام العالم "أحمد بن عمر بن علي" النظامي العروضي السمرقندي " رحمه الله أن الأستاذ "أبا القاسم الفردوسي" كان من دهاقين "طوس" وكان من قرية تسمى باج في ناحية "طبران" وهي قرية كبيرة يخرج منها ألف رجل وكان للفردوسي شوكة تامة في تلك القرية بحيث مع دخل تلك الضياع لم يكن بحاجة من أمثاله ولم يخلف إلا بنتاً ، وأخذ ينظم في " الشاهنامه" وكان جل أمله أن يقوم بتجهيز ابنته بصلة ذلك الكتاب وانشغل بهذا الكتاب مدة خمسة وعشرين عاماً ، حتى أتمه ، والحق أنه لم يترك شيئاً وارتقى حديثه إلى سماء عليين وأوصله في عذوبة الماء المعين وأى طبع تكون له تلك القدرة التي يصل فيها بالكلام إلى الدرجة التي أوصلها الفردوسي على نحو ما ورد في الرسالة التي كتبها زال إلى سام نريمان في مازندران في ذلك الوقت والتي طلب فيها الارتباط برودايه ابنة ملك كابل

- أرسل برسالة إلى سام ، كلها محبة وبشرى وآمال.
- أثنى في البداية على خالق العالم، والذي أمر بالعدل وبذله.
- رب الوجود ورب العدم، كلنا عباده هو الله الواحد.
- ومنبع السعادة ومنبع القوة، والله هو الكوكب والقمر والشمس والسماء السابعة.

- ولتكن منه رياح التحية على سام نيرام، رب السيف والحربة والخوذة.
- هو الذي يتهادى بالجواد وقت التنزه ويجعل النسر يرى الجثث وقت الحراب.
- هو من يثير الرياح أثناء القتال، وهو من ينثر الدماء من السحب السوداء.
- هو الذي أقام فضلاً فوق فضل بالرجولة، وارتفعت هامته من صيرورة الفضل.
- ولست أرى في العجم كلاً ما بهذه الفصاحة ولا في كثير من كلام العرب^(١) ، أيضاً فلما انتهى " الفردوسي " من الشاهنامه وأتمها كان كاتبه هو "علي الديلمي" والراوى "أبو دلف" و"واشكر".

(١) يقر الكاتب هنا بالفصاحة للعرب وتفوقهم على العجم (المترجم) .

"حى قتيبة"^(١)، والذي كان والياً على "طوس" وله فى حق الفردوسى أيداد ويذكر أسماء هؤلاء الثلاثة فيقول ما ترجمته :

- من مشاهير المدينة فى هذا الكتاب "على الديلم" وأبو دلف الصادق".
- حيث لم يأتنى من فائدة سوى قولهم أحسنت ، فقد انفجرت مرارتى من قولهم أحسنت.

- فحى قتيبة فهو من الأحرار ، لأنه لا يطلب منى شعراً دون مقابل.

- لست عالماً بأصل وفرع الخراج ، فأنى أتحرج وسط الفراش .

كان حى قتيبة والياً على طوس وكان يحفظ له حقه بقدر كبير وكان يعفيه من الخراج ، ولا شك أن اسمه سوف يظل خالداً إلى قيام الساعة وأن يقرأه الملوك فكتب على الديلمى الشاهنامه فى سبعة مجلدات وأخذ الفردوسى "أبا دلف" واتجه إلى قصر السلطان فى "غزنين" وعرضها بمساعدة الوزير الكبير أحمد بن حسن الكاتب فلقبت القبول وكان للوزير منن على السلطان محمود ، ولكن كان للوزير منافسون وأعداء فكانوا يعكرون قدح جاهه دوماً بتراب النميمة والوشاية ، فتشاور محمود فى الأمر مع تلك الجماعة وقال لهم ماذا نعطى للفردوسى قالوا : خمسين ألف درهم بل إن هذا لكثير عليه حيث إنه رجل رافضى ومعتزلى المذهب وهذا البيت يدل على اعتزاله.

- أيها الناظرون لن تروا الخالق بالعينين فلا ترهقوا العينين.

وهذه الأبيات دليل على مذهب الرافضى حيث قال :

- أيها العاقل الدنيا حالها كحال البحر ، يتحرك الموج منه كالريح العاصف.

- وكأن فيه سبعين سفينة كلها قد نشرت أشرعتها.

- وفى وسطها سفينة مزينة كالعروس ومزينة كعين الديك .

- والرسول فى داخلها ومعه على ، وكل أهل بيت النبى والوصى .

(١) المقصود بقتيبة هو اسم الشخص وهناك خطأ فى فهم الكاتب المقصود به حى قتيبة، وأرجح أن تكون كلمة أشكر وهى قتيبة موضع علامة الاستفهام.(المترجم) .

- لو أردت الخلد في الدار الآخرة فخذ مكانك مع النبي و الوصي .

- فإن سرك ذلك فاعلم أن الذنب ذنبي وهذا الطريق هو طريقي .

إنني ولدت على هذا وعليه أموت فكن على يقين من أنني تراب قدم حيدر^(١).

وكان السلطان محمود رجلاً متعصباً فصدق فيه هذا اللغو وسمع هذا الكذب والخلاصة فقد وصل إلى الفردوسى عشرون ألف درهم فتألم بشدة وذهب إلى الحمام وخرج منه وشرب ماء شعير وقسم هذا المال بين خادم الحمام وبائع ماء الشعير ، وأدرك بغضب محمود له فغادر غزني ليلاً ونزل إلى هري في دكان إسماعيل الوراق والد الأزرقى وظل مختبئاً في منزله ستة أشهر إلى أن وصل رجال محمود إلى طوس وعادوا ، وعندما اطمئن الفردوسى غادر هري متجهاً إلى طوس وأخذ الشاهنامه وانتقل إلى طبرستان عند الإصفهيد شهريار والذي كان ملكاً من أسرة آل باوند على طبرستان ، وتلك أسرة كبيرة يصل نسبها إلى يزدجرد بن شهريار ، ثم هجا محمود في ديباجة من مائة بيت وقرأها على شهريار وقال أنا أريد أن أجعل هذا الكتاب باسمك بدلاً من اسم محمود لأنه عبارة عن جميع أخبار وتاريخ أجدادك فأكرمه شهريار ، وقال له أيها الأستاذ لقد حرصوا محموداً عليك ولم يعرضوا كتابك كما يجب ، ودرسوا في حقك ، وكادوا لك ثم إنك رجل شيعى ، وكل من ينحاز إلى أسرة الرسول لا يأتيه من الدنيا شيء قط ، فهم أنفسهم لم ينالوا منها شيئاً ، ومحمود هو سيدى ومولاي فاجعل الشاهنامه باسمه وأعطني هجاءه لأمحوه وأمتحك شيئاً يسيراً ، ومحمود بنفسه سوف يدعوك ويطلب رضاك ولن يضيع مجهود هذا الكتاب هباءً ، وفى اليوم التالى أرسل إليه مائة ألف درهم وقال لقد اشتريت كل بيت بألف درهم فأعطني هذه المائة بيت وتودد محمود فأرسل الفردوسى بتلك الأبيات فأمر بمحوها ، كما محى الفردوسى المسودة أيضاً وضاع ذلك الهجاء وبقيت من جملتها هذه الأبيات الستة التالية :

- قالوا فى حقى غمراً إن هذا الثرثار قد شاب على حب النبى وعلى.

- فإن كنت أتحدث عن حبهى ، فإننى أحمى مائة شخص مثل " محمود".

(١) لقب للإمام على بن أبى طالب - أمر منك عميد ، ص ١١٢٧

- فابن الجارية لا يتأتى منه أمر ما ولو كان والده "شهريار".
- أسوق هذا فى الشعر كثيراً ، فأنا كالبحر لا أعرف شاطئاً .
- ليس للمليك حاشية صالحة وإلا لكان قد أجلسنى فى مكانة عالية .
- ولما لم يكن فى أصله علو ورفعة فلم يطق أن يسمع أسماء العظماء .

والحقيقة فقد قدم شهريار خدمة طيبة لمحمود وله على محمود بذلك منن ، ولقد سمعت من الأمير معزى عام ٥١٤ بنيسابور أنه قال سمعت من الأمير عبد الرازق فى طوس أنه قال عندما كان محمود فى الهند وفى أثناء عودته من هناك اتجه إلى غزنين وكان فى طريقه متمرداً لديه الحصن منيع ، وفى اليوم التالى نزل محمود على بوابة حصن ، وبعث إليه رسولاً يأمره بأن يحضر فى الغد بين يديه فى بلاطه وأن يرتدى ملابس التشرىفة ويعود ، وفى اليوم التالى ركب محمود جواده والوزير الكبير عن يمينه حين وصل الرسول وحضر أمام السلطان فقال السلطان للوزير : ماذا كان جوابه؟ فتلا الوزير بيت الفردوسى هذا .

- إن لم يكن الجواب وفق رغبتى ، فأنا والدبوس والميدان وإفراسياب .

فقال محمود : لمن هذا البيت الذى تتفجر منه الرجولة ؟ فقال للمسكين أبى القاسم الفردوسى الذى عانى خمسة وعشرين عاماً حتى أتم هذا الكتاب ولم يحصل على أى مقابل ، فقال محمود : حسناً ما فعلت أن ذكرتنى به فلقد ندمت على ذلك فى أن يبقى ذلك الرجل الحر محروماً من عطاياى فذكرنى فى غزنين حتى أبعث إليه شيئاً ، ولما وصل الوزير إلى غزنين قام بتذكير محمود فأمر السلطان بأن يحملوا لأبى القاسم الفردوسى ستين ألف دينار نوالاً منى، وأن يحملوا له عطاياى على نوق سلطانية إلى طوس وأن يلتمسوا منه العذر ، وانشغل الوزير سنوات بترتيب هذا الأمر وفى النهاية حينما جهز ذلك الذهب وسير الإبل ووصلت تلك العطية بسلام إلى مدينة طبران كانت الإبل تدخل من بوابة رودبار بينما كانت جنازة الفردوسى تحمل إلى خارج المدينة من بوابة رزان وكان هناك واعظ آنذاك أظهر تعصباً فى طبران ، قال : لن أسمح بحمل نعشه إلى مقابر المسلمين لأنه كان رافضياً ، ومهما قال الناس إلا أنهم لم ينجحوا مع ذلك العالم ، وكان يوجد بستان داخل البوابة ملكاً للفردوسى

فدفتوه فيه ، ولا تزال موجودة حتى الآن وأنا قمت بزيارته عام ٥١٠ هـ ويقال إنه بقي للفردوسى بنت ، بالغة العظمة أرادوا أن يعطوها جائزة السلطان فلم تقبلها وقالت : لست فى حاجة بها ، فكتب صاحب البريد إلى الحضرة بذلك وعرض الأمر على السلطان فأمر بطرد ذلك العالم من "طبران" بسبب الفضول الذى أبداه وأن يجرد من أمواله وأن يعطى ذلك المال للسيد "أبى بكر إسحاق الكرامى" ليقوم بتشيد رباط على حدود "طوس" ، والذى يقع فى قارعة طريق "نيسابور" "ومرو" فلما وصل المرسوم إلى "طوس" تم تنفيذ الأمر وشيدوا عمارة رباط جاهه بهذا المال وكان رستم بن شهریار نائباً لوالده فى عهد قابوس على قوهستان بريم وشهرياركوه وكان دار ابن رستم ملكاً للجبال وما لبث أن توفى وجاء بعده ابنه الإصفهيد شهريار بن دارا ليصبح ملكاً للجبال ، وكان مرافقاً لقابوس خلال الثمانية عشر عاماً التى قضها قابوس فى خراسان حيث قام شمس المعالى قابوس فى آخر الأمر بإرسال شهريار إلى مناطق شهرياركوه ليقا تل رستم بن المرزبان والذى كان والياً هناك ، فهزمه وانتزع الولاية منه وبعد ذلك حاربوا فيروزان بن الحسن بأمر قابوس وبالاتفاق مع جايى بن سعيد وهزماء فى عام ٣٨٧ وبعد ذلك قام بعدة حروب مع نصر بن الحسن بن فيروزان كما ذكر فى أحوال الملك قابوس ، وفى آخر عصر قابوس اختلف معه الإصفهيد شهريار إلى أن أرسل شمس المعالى برستم بن المرزبان إلى ولايته فقاتله وأسر شهريار فى تلك الحرب ولبت فى القيد إلى آخر عمره ، واستولى قابوس على ولايته ودب الضعف والانهيال فى أركان أسرة آل باوند ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك بسبب قوة بطش وقهر قابوس إلى الوقت الذى استولى فيه "آل سلجوق" على "خراسان" ولم يبق أحد من أولاد وشمكير ، وتولى الإصفهيد حسام الدولة شهريار بن قارن الملك والزعامة على نحو ما سوف يذكر ، وكان سرخاب بن شهريار فى عصر منوهر بن قابوس ولكنه قد فقد العرش والإقبال ، قنع بضيا ع قليلة، وكان قارن بن سرخاب معاهداً ومعاصراً لباكاليجار بن منوهر وكيكاوس بن إسكندر بن قابوس وجيالاتشاه وأنوشروان أبناء منوهر وتوفى فى شهور عام ٤٦٦ وأنذاك كان السلطان طغرل قد استولى على خراسان وقام بتجميع جيش خراسان وحضر إلى طبرستان عن طريق جرجان وأخذ خراج الولاية وعين فى كل منطقة نائباً خاصاً ، ولكنه لم يتعرض لـ"قارون" فى هامون وهرجه بريم وشهرياركوه وقوهستان، وبعد ذلك اتجه طغرل من طبرستان إلى الرى وأسرع منها

إلى دار الخلافة، وخلع المنتصر من الخلافة وأجلس القائم بأمر الله ومنحه لقب السلطان ورحل عن الدنيا فى عام ٤٧١ واستولى ابن أخيه ألب أرسلان غازى على خراسان والعراق وكرمان وفارس والأهواز وسيستان وطبرستان وخوارزم وعمان وخوزستان وأذربيجان وديار العرب والشام وجعل عاصمته فى الرى وتولى نظام الملك منصب الوزارة ، والخلاصة فقد حدث فى هذا الوقت أنواع من الضعف و التصدع والخلل فى طبرستان ولم يبق أى أثر للعمران فى هامون بسبب تردد جيوش التركمان الغز ، وطلب الإصفهيد قارن فى منطقة قوهستان العون والمساعدة من بعض الأهالى والأعيان ، واستولى على قلاع وحصون تلك الأماكن، وأخذ ينقض على المعارضين والخارجين فى كل مكان وكان يقوم بتقسيم الغنائم التى يستولى عليها بين دولته متى أصبح الجميع خاضعين له ومنقادين لأمره ، وكان قد حل آنذاك الضعف والانهيال الكبير بين أولاد وشمكير فى حين ظهرت قدرة وقوة أسرة آل باوند على أكمل وجه ، وتوفى قارن من سرخان فى عام ٤٨٦^(١) .

(١) ذكر فى الصفحة السابقة أن "قارن" توفى سنة ٤٦٦ وهذا يتعارض مع ما ذكره هنا (المترجم) .

تربع آل باوند على الحكم للمرة الثانية^(١)

"حسام الدولة الإصفهيد شهريار بن قارن"

كان حسام الدولة نائباً لوالده وكان معروفاً برزانة العقل وشهامة الرأي فضبط وتنظم كل قلاع وحصون قوهستان وتم استئصال شأفة آل وشمكير تماماً من طبرستان ولم يبق لهم أى أثر ، فى حين قويت شوكة حسام الدولة وأنداك كان حكم العالم قد آل إلى السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان غازى ، وبعد أن تربع "ملكشاه" على العرش فى خراسان والعراق وأذربيجان وكرحان وفارس اتجه إلى ولاية الشام واستولى عليها وظل مشغولاً هناك لمدة عام بالغزوات والحروب حتى أسس^(٢) "الحسن الصباح" فى منطقة الرى ملة الإلحاد والتي تعرف بالباطنية وذلك من كثرة الفضول وأضاليل الأصول وأباطيل الفصول التي كانت موجودة فى مذهبه وعقيدته، وأقر أنواع الخرافات التي كانت ظاهرها حبائل الخلط والتلبيس وباطنها غوائل إبليس ، وكان هدفها منع النظر والعلم ونفى تصور العقل، حيث جعل أهالى تلك المناطق تتبعه "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"^(٣) واتجه من هناك إلى ' دامغان' ، منها إلى فريم ، ثم ذهب إلى شهريار كوه وجهاز بدعوته الضالة وتحرك من الرى إلى "قزوین" عن طريق "دماوند" و "خوار" وخدع الأهالى هناك وكانت هناك فى تلك الفترة قلعة "ألموت" والتي أصلها إله أموت أى وكر العقاب وكان شخص علوى يدعى مهدى أرسل داعين إلى «ألموت» ، وجعل العلوى وقومه يبايعونه بالخدع والتزييف

(١) هذا العنوان ليس فى النسخة (أ) وأتينا به من كتاب تاريخ طبرستان لظهر الدين المرعشى للتوضيح (المحقق).

(٢) من هنا وحتى السطر ٢ ص ٩٢ من المتن منقول بنفس عبارته من مواضع متفرقة من كتاب "تاريخ جهانكشاي" للجويني، ويمكن الرجوع لصفحات ٤٩١ ، ٥٩١ ، ٨٩٢ ، ٦٩١ ، ٢٠٢ ، ٣٠٢ ، ٤٠٢ من ذلك الكتاب.
(٣) نص الآية "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم" الآية ٧ - البقرة.

وقبل أولئك الشياطين تديير ومزامير ذلك المدبر، وتحرك من هناك إلى بلاد الديلم وأشكور وقام بنشر الدعوة في تلك المناطق ، والخلاصة فقد اجتهد في استخلاص « ألموت » والأماكن التي كانت قريبة منها ، حيث تسلل مع مجموعة من الباطنية إلى ألموت في ليلة الأربعاء السادس من رجب عام ٤٨٣ ، ومن نوادر المصادفات أن حروف " إله ألموت " بحساب الجمل هي نفسها سنة صعوده إليها ، وعندما علم العلوى بذلك لم يكن في مقدوره عمل شيء وطرده منها ، وكتب صكاً بثمن القلعة بثلاثة آلاف دينار إلى الرئيس مظفر حاكم كردكوه ودامغان والذي كان قد قبل دعوته في الخفاء ، وكان الحسن الصباح يكتب رقاعات جيدة وموجزة عن بالغ زهده المزيف وعلى هذا النحو فقد كتب تلك الرقعة هكذا الرئيس مظفر حفظه الله عليه أن يوصل مبلغ ثلاثة آلاف دينار ثمن ألموت إلى العلوى صلى على النبي المصطفى وآله حسبنا الله ونعم الوكيل والخلاصة فقد أخذ العلوى الصك معتقداً أن الرئيس مظفر رجل عظيم فسلمها لنائب الأمير حبشى بن التوتناق لينظر كيف سيعطيه وكيف سيهتم بها ، وبعد فترة ، وبحتمية مرور الوقت قدم الصك على سبيل الامتحان إلى الرئيس مظفر ، فقبله في الحال وسلم الذهب ، وعندما استقر الحسن الصباح في « ألموت » وثبت أقدامه فيها أرسل بدعائه إلى أطراف وأكناف العالم وكرس جهوده في الجهر بالدعوة وإضلال السانجين ، وكابليس والانهيأ على أي مكان تيسر فيه الدعوة بالخداع ، وحيثما كان يجد حجراً صالحاً للبناء كان يقيم قلعة ، إلى أن بعث السلطان جلال الدين ملكشاه بالجيش مرة أو مرتين إلى تلك المناطق ، وحاصروا القلعة ، وكانوا يحملون كل عام الغلام وقيمين البناء أكثر فلما نظر الوزير الكبير نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي والذي كان وزير ملكشاه بثاقب نظره في أحوال الحسن الصباح شاهد قلاع الفتن في الإسلام ، فاجتهد في إخمادها الفتنة وسعر في إعداد وتجهيز الجند لقمعهم وقهرهم ، ونصب الحسن الصباح مصائد المكر وأوقع صيداً ثميناً كنظام الملك للوهلة الأولى في فخ الهلاك ، وذاع صيته من ذلك العمل ، وقام بإعداد مركز للفدائيين بسحر الغرور ومهاترات القوة والتجهيزات المزينة والأحاجي المزيفة ، وكان أحد هؤلاء الفدائيين شخص اسمه أبو طاهر الأرائي ونسبه حسر الدنيا والآخرة والذي كان يطلب سعادة الآخرة بهذه الضلالة ذهب ليلة الجمعة الثاني عشر من رمضان عام ٥٨٤ إلى حدود نهاوند في موضع يدعى سحنه وذلك في زى صوفى أمام محفة نظام الملك وبعد الإفطار

فى المحنة خرج من البىلاط إلى المخيم ، وطعن نظام الملك بالسكین وقتله فكان أول شخص قتله الفدائيون ، وفكر السلطان جلال الدين ملكشاه فى هذا الوضع وأخذ يفكر ويدبر لاستئصال شأن تلك الطائفة الطاغية ولما لم يأذن القدر، فلم ينفع تدبيره وكان قد وصل إلى آخر فترة حكمه ، وانتقل آنذاك أيضاً من دار الفناء إلى دار البقاء وبوفاته تأخر التدبير والإعداد لقمع تلك الأباطيل .

"حسام الدولة شهریار بن قارون"

كان الوزير نظام الملك قد كتب ذات يوم من الديوان ومن الحضرة السلطانية أنهم روى له أنه يوجد الآن صوفى صاحب فرقة مجتهد متعهد ، له عدة أيام بلياليها لم ينطق بكلمة ، ولا أبدى رغبة فى شراب أو طعام ، فقال الوزير نظام الملك أحضروه أمامى على الفور كى أراه ، ولما حملوا الحسن الصباح أمامه لم يلق السلام فوقف نظام الملك على قدميه ألقى عليه السلام وأراد أن يضمه إلى صدره فضرب بيده على الوزير، وقال له ابتعد عنى فلا ينبغى أن تحترق بنار معرفتى ، فتطير الوزير من هذا الأمر، وصفعه عدة صفعات وأبعده فتحرك من هناك إلى «الموت» وجهر بدعوته وبعث بالملحين إلى أصفهان وقتلوا الوزير العظيم صاحب الهمة العالية والمروءة والشهامة كما توفى آنذاك أيضاً ملكشاه ووقع خلاف بين السلطان محمد بن ملكشاه وأخيه بركيارق واستولى الملاحدة على قمم الجبال وتأججت نيران فتنهم ، وشيدوا القلاع ، وبلغ شر كفرهم إلى كاهه الأنحاء والمناطق واقتتل محمد وبركيارق ووقعت الحروب المتواصلة بينهما ، إلى أن شاء الله أن ينتزع بركيارق من أمام محمد واستقام لمحمد الحكم وكان سنجر أخاً شقيقاً له ، فأرسله إلى خراسان وتولى جهاد الملاحدة واستولى فى البداية على إتشى كوه فى ظاهر مدينة أصفهان، وقتل عدة آلاف من الملاحدة ، وأخضع كل قلعة كان بها ملحد وكل مكان كان به زعامة وسلطة كان يستخلصه ويعين عليه نوابه ، وبعث للإصفهبد حسام الدولة شهریار بن قارن بأن يجب أن تمثل لخدمتنا ولو تقاعست أو تخلفت عن المثول فسوف أنتزع الولاية منك ، وحين سمع الإصفهبد برسالة السلطان قال إنه لا يليق مثولى بين يديه بهذه الرسالة ولو كان السلطان يرغب فى حضورى إليه لكان الواجب عليه أن يطلب ذلك بالهدف الملكى والخلق السامى لكن الولاية مقرها ها هنا فيطلب ما يشاء لأرسله إليه فليس لى رغبة فى خدمته .

" أحداث قتال الإصفهيد شهریار مع سنقر "

أرسل السلطان فى عام خمسمائة من هجرة الرسول عليه الصلاة أميراً يدعى سنقر البخارى مع خمسة آلاف فارس إلى مازندران وكتب مرسوماً إلى ولاته فى لارجان ورديان أمل حتى يلحقوا به ، ووصل سنقر البخارى إلى أمل عن طريق لارجان وحضر إليه جميع أبطال وفتيان أمل ونواحيها حفاة عراة الرأس ، وقال له : لقد حضرنا إلى سارى لنقتل الرافضة كما انضم إليه جميع جند لارجان ورديان وقررنا فيما بينهم أن يأتوا إلى سارى عن طريق ساحل البحر، وعلم الإصفهيد بهذا الأمر وكان الأمير مهدى لفور الذى كان من طائفة آل قارن اجتمع مع جميع أمراء واعيان شهریاركوه فى إرم تحت طاعة الإصفهيد وقالوا جميعاً يجب أن تكون لنا معركة فى سارى ، فتحركوا إليها ورجموا القلعة ونزل سنقر البخارى بجيشه فى أترابن ووضع الإصفهيد قلنسوة سوداء على رأسه تعرف بالشال الروسى ، وقد لف من حولها العمامة ويات على بوابة سارى وقال أهذا الولد حقاً هو الذى سوف يهزم هذا الجيش اليوم ، وترجل نجم الدولة قارون على الفور من على الجواد وأمسك بغصن من السفرجل الجبلى وأمر بفتح البوابة ، ومن بعده خرج فخر الملوك رستم والذى كان ابنه (٣٤) وكان محام الدولة أربعمائة شخص من الجيلين خرجوا جميعاً بالتروس والأعلام البيضاء واصطفوا أمام جيش سنقر البخارى وخرج بعد ذلك فرامرز بن شیرزاد بفرسانه ، وكان الإصفهيد شرف الدين حسام الدولة قد اتفق مع أمير يدعى بكجرى على أن يتخلى عن سنقر البخارى وينضم إلى الإصفهيد يوم المعركة وأصدر أوامره لأمير يدعى جعفرى وهو من أتباع الإصفهيد بأن ينضم بغلمانه كمدد للإصفهيد نجم الدولة وفرامرز بن شیرزاد وعندما صار قجفر فى الصف الأول وركض مع غلمانه فقد حمل عليه من ذلك الجانب بكجرى فلما التقى الجمعان اتجها معاً إلى الإصفهيد وعانق الإصفهيد بكجرى وبذل له الوعود الطيبة وأرسله فى الحال مع ثقاته إلى قصره وبلاطه ، وأمر بأن يكون فى ضيافته وقاد بعد ذلك نجم الدولة قارن صفوفه أمام سنقر البخارى وسقط كثير من القتلى والجرحى من الجانبين وبصياحهم وصراخهم الذى بلغ منطقة البحيرات فزعت طيور الدرى وكحمرور وكلنكان والتي كانت مستقرة عند تلك المياه ، وحلقت جملة واحدة ، وكان لتحليقها دوى فى الجو مع ما كانت تصدره من

أصوات وصيحات ، وبلغ صوت تحليقها وصياحها معسكر سنقر البخارى فظنوا أن
الخصم يهجم عليهم من ذلك الجانب أيضاً فلاذ جيشه بالفرار منهزماً وتعقبهم
الإصفهيد نجم الدولة فقتل بعضهم وأسّر البعض ، وكلما وجدوا ماشياً من جند وجيش
أمل كانوا يقبضون عليه ، وأحضروهم إلى سارى أمام الإصفهيد شهریار وفازوا
بغنائم طائلة من ذلك المعسكر، والتي لم يكن لها مثيل فى حجمها آنذاك وقسمها
الإصفهيد على الجيش ، ولم يسمح بقتل أحد من الأسرى ، وأطلق سراحهم جميعاً ،
ونكل أهل سارى بأهل أمل وطافوا بهم فى المدينة وقد سودوا وجوههم ووضعوا على
جباههم جميعاً كياً باسم "محمد وعلى" ثم أطلقوا سراحهم ، وقام الإصفهيد بتوجيه
الدعوة لتشريف جميع رؤساء الثغور وحكام الأطراف الذين كانوا قد أمدوه بالمدد ثم
سمح لهم بأن يمضوا إلى مسكنهم ، ومضى سنقر البخارى إلى جرجان ومنها حيث
مثل لدى السلطان فى أصفهان وأقر له بأن لم نحصل على أى شئ من هجومنا
المباغت على تلك الولاية إلا باللطف والامتناع فبعث السلطان بالرسالة مرة أخرى وقال
نحن لم نأمر سنقر البخارى بقتالك ولا نحمل من كره فى قلوبنا لما حدث فينبغى عليك
أن ترسل بابنك إلينا ليكون مع أبنائنا وعندما وصل الرسل إلى حسام الدولة وسلموا
رسالة السلطان فقال الإصفهيد : إني أرسل أبنائى ولكن بشرط أن يقسم السلطان
برعايتهم، فعاد الرسل إلى حضرة السلطان واتفقوا على هذه الشروط وعادوا مرة
أخرى إلى الإصفهيد وأحضر الإصفهيد أولاده وقرأ عليهم رسالة السلطان وقال لهم
لقد كانت لنا خصومات كثيرة مع السلطان ، وقتلنا أمراءه وألحقنا به الهزائم ، ولكنه
قد قبل الآن بقربنا والاتصال بكم ، فمن منكم يرغب فى الإقامة عنده ، فلم يجبه أحد
من أبنائه ولم يستطع نجم الدولة قارن نفسه أن يحضر لدى السلطان لأنه كان قد أنزل
الهزيمة بجيشه فنهض الإصفهيد علاء الدولة على بن شهریار وقبل الأرض بين يديه
وقال أنا عبدك قد عقد على وسطه حزام الخدمة امتثالاً لأمر مولاه فامتدحه الإصفهيد
وزوده بالجهاز والعتاد وصرف الرواتب لألف فارس وألفين من المشاة وبعث معه
لمشورته ورعايته شيخاً مصلحاً ذا علم من أبناء أمير المؤمنين على عليه السلام يدعى
«منتهى» ومضى هو بنفسه من سارى حتى فريم وسيره عن طريق أسران وسمنان
وآنذاك كانت قلعة إستونا وند فى أيدي الملاحدة الإسماعيلية وكذلك قلعة منصوره كوه
فى دامغان مكان جند الملاحدة قد جاء وا فجأة من منصوره كوه فهجم عليهم قجغر

ووقعت الحرب ، وقتل كثير من الملاحدة ، وانضم من هناك إلى علاء الدولة "على" وحصل على مساعدته ، حيث كانت عليه آلاء نعمة "حسام الدولة" وكان قد لجأ إليه عدة مرات وسار في ركابه إلى "أصفهان" وعندما علم السلطان بالأمر كلف الأمراء والمعارف والملوك بأن يكونوا في استقباله، وأنزله في قصر بالقرب منه وفي الغداة حضر إليه وعائق "الإصفهيد" وقبلة وأجلسه ، على يمينه وسأله عن أحوال والده واستماله وفي اليوم التالي ، أخذه إلى ساحة لعب الصولجان ، ثم إلى مجلس الشراب واستحسن كل أفعاله وأقواله وفي اليوم التالي اصطحبه معه في الصيد وأمره بأن يرمى بحربة فرمى الإصفهيد حربة ، قال السلطان: ما أمنيته ؟ فقال : إنني لم أحضر لتحقيق رغبة ، وإنما حضرت لخدمة السلطان ورضاء لوالدي وحثه معارف البلاط بأن يطلب القرابة مع السلطان ، ولم تكن لديه الشجاعة في أن يبدى هذه الرغبة خوفاً من أخيه، "نجم الدولة قارن" وقال للسلطان : أن يكون هذا التشريف لأخي الأكبر فهو ملكي ومخدومي ، فأعجب السلطان بذلك وأمر بعقد قران أخته على "نجم الدولة قارن" بحضور "الإصفهيد علاء الدولة" وأعادته مشرفاً إلى نفس المكان الذي كان به وعندما وصل إلى مشارف أمل قادماً عن طريق لارجان كان في استقباله الأمير حسن بن محمد حسنان إلى أمل والذي كان يلقب « ببهاء الدولة » ومعه جميع قضاة وسادات وأعيان المدينة ونثروا الذهب والخلع ، وركن "علاء الدولة" للراحة عشرة أيام في أمل إلى أن بلغ الخبر إلى شهریار كوه فمضى معارف "شهریار كوه" إلى أمل وهنوه بمقدمه وساروا في ركابه إلى "ساری" وعاد "الإصفهيد" لخدمة والده فلما شاهده والده تقدم بالشكر والمنة لله وسأله عن أحواله وعندما انتهوا كلفه بأن يذهب إلى أخيه قارن ، ويقوم بخدمته، فنهض لتنفيذ أمر أبيه ومضى إلى بوابة قصر أخيه ولكن أخاه قارن لم يستقبله فأقام فترة في بلاط أخيه ثم عاد لأبيه وبعث برسالة إلى أخيه لقد جئت إليك بأمر والدي ومرضاة له وطالما أنك لا تقابلني فلن أحضر إليك بعد الآن ، وعندما علم والدهما بهذا الأمر تطير وأرسل إلى "قارن" يستدعيه ولأمه ، فخرج قارن من بلاط أبيه وأظهر العداء لأخيه وقام بتجهيز وإعداد نفسه ، وطلب السماح من والده وخرج إلى طريق "ويمه" وكان السلطان في "بغداد" فاتجه إليه وكان هو ذاته رجلاً لا يوجد فارس في عهده مثله في الرجولة فلما وصل إلى بغداد استقبله السلطان وحضر العرب والعجم للقائد ومشاهدته وحين كان يأخذ الكرة بصولجان في الميدان لم يكن أحد من

الخلق يستطيع أن يخطفها منه وذاعت صفاته هذه طوال فترة حكمه ، وبعد فترة حضر السلطان إلى أصفهان وزوجه من أخته وتم الزفاف بأصفهان ثم توجه إلى "طبرستان" بنعمة وجهاز كبير فخاف منه "علاء الدولة" وحضر لدى والده وقال إن أخى رجل سفاك للدماء وظالم وغير ودود ، ولا أستطيع التحدث معه فلتأذن لى بأن أمضى إلى أحد الأركان لأقيم به، فقال أبوه أنت موضع رضائي ولن يفعل أخوك أى شىء معك ، ولما وصل قارن إلى "سمنان" حضر "حسام الدولة" إلى "فريم" لاستقباله فما إن التحق به أبيه ترجل من على جواده وأخذه فى أحضانه ومنحه قلعة "كوزا" وعندما علم "علاء الدولة" بهذا الخبر فى درويشان عاد ثانية إلى "إرم" وجلس لدى أبيه وقال له كنت قد أعطيتنى قلعة "كوزا" فلتكن مباركة على قارن إن أعطيتها له وأرسل أبوه الأمير « مهدي لنور» لينصحه فلم يجدر ذلك معه وخرج إلى طريق "لند" وجاء إلى "جليا يكاف" إلى قرية "ميرونة آباد" التى كانت ملكاً لأمه وأقام بها وجاء نجم الدولة قارن إلى سارى .

أحوال تعنت نجم الدولة مع والده

حينما سمع نجم الدولة قارن أن أخاه قد حل شرع فى السطوة والسيطرة مع أبيه وأذى قلبه معتقداً أن أباه هو الذى أرسل أخاه فقال : لأبيه لقد فعلت ذلك حتى لا يطمئن بالى قط ، وكان يمارس كل ألوان الخسة وسوء الفعال الممكنة مع رجال أبيه ، وقال له اصبر أمراً بأن تكون الخطبة وسك العملة باسمى فلم يقبل والده بذلك وأنداك كان عمر "الإصفهبد حسام الدولة شهریار" قد وصل إلى الخامسة والسبعين وأخذه الضعف والشيخوخة ومع مرور كل يوم كان يزداد تطاول قارن على أبيه وتحول جميع رجال حسام الدولة إلى "قارن" إلى أن وصل الأمر الذى ترك فيه والده الحكم بسببه وتوجه إلى بلاد "الديلم" واستقر بأمل وحين أفاق قارن أدرك أن جميع أهل العالم سوف يلومونه على ذلك فحضر إلى والده فى أمل وترجل من على جواده وقبل الأرض وسقط أمام قدميه باكياً وقال له أنا عبدك وسوف أفعل بعد ذلك كل ما يرضى مولاي وسيدى ، وحضر إلى سارى لكنه لم يف بما قد قاله لأبيه إلى أن وجد ذريعة مرة أخرى فقال سوف أمضى إلى "هوسم" بحيث أعمار ذلك المكان وأقيم به خانقاه وأعكف فيه تائباً .

وسمعت قصة من والدى بأنه حين وصل إلى أمل كان يمر على باب مسجد كان فيه مكتب للأطفال فقال لهم يا أطفال عندما تكبرون قولوا بأن شهريار قد ترك الحكم وتوجه إلى بلاد "الديلم" بسبب ابنه قارن ، وحين وصل الإصفهيد إلى بلاد "الديلم" مثل عنده كبار الجيل والديلم وقالوا أنت مولانا وتقربوا إليه وقام حسام الدولة بتعمير "هوسم" وأمر بتشديد السوق والحوانيت وأقام هناك وأصبح حاكمها والتف من حوله كل "الجيل والديلم" لكن لم يرغب فى الحكم وأنشغل بالعبادات والطاعة واشترى أملاكاً وفيرة فى جيلان والديلم وحل به المرض بعد فترة وشعر الإصفهيد قارن بالندم وبعث إلى بهاء الدولة الأستاذ العميد مناخر وقاضى أمل وناصر الكبير ليذهبوا إلى والده ويأتوا به إلى أمل بحجة أن مناخها أكثر ملائمة لصحته ومضت تلك الجماعة بأمر الإصفهيد إلى "هوسم" وأحضروا حسام الدولة إلى "أمل" وحين علم قارون بأن والده قد وصل إلى أمل مضى مجرداً إلى خدمة أبيه وسقط على قدميه وحمله إلى سارى وأقام على تلك الأملاك التى فى بلاد "الديلم وجيلان وهوسم" الأمير الشهير حسام الدولة حسن الذى كان من رجاله القدامى وفوضه عليها .

"ذكر بعض أحداث هذه الأيام"

فى هذا التاريخ كان للسلطان محمد بن ملكشاه ابن صغير يدعى أحمد وفوض أمره لأمير يدعى سنقر الصغيرة ، وبعثه إلى الرى وفوض إليه ولاية الرى وأوه وساه وأران وخوار وسمنان ورويان ولارجان وطبرستان وجرجان وجعل شرطة أمل لسنقر الصغير وكل نائب كان يرسله إلى أمل كان الإصفهيد يقوم بطرده ولا يترك له فرصته للتصرف وطال العداء بينهما ، ولم يتمكن ملكشاه من عمل شىء مع الإصفهيد فأرسل سنقر الصغير شخصياً إلى علاء الدولة على برسالة مفادها لو إنك أتيت إلى ابن السلطان هذا سوف تستقيم أمورك وأسند لك حكم أمل وطبرستان فمضى علاء الدولة على إلى الرى لدى ابن السلطان فبذل له الرعاية البالغة ومنحه الرى وجيش العراق ولارجان ورويان مع جاوىلى الذى كان أخا سنقر الصغير وأرسلهما إلى أمل ، فحضر مستقبلهما عظماء أمل وتآهب الأمير حسن بن محمد حسنان بهاء الدولة والى أمل لخدمة الإصفهيد علاء الدولة ونزلوا فى مكان معروف بجاوىلى كوشك وهو قصر صغير

عالٍ كان قد شيده الملك سعيد في أمل ، فأقاموا معسكراً وأنا رأيت قصر كوشك جاولي وقد هدمه الملك أردشير وعندما وصل الخبر إلى حسام الدولة قاد جيش شهریار كوه وحضر إلى لك ابندان وأطلقوا عليه حسن الجبلى وبعث نائباً من البلاط إلى ابنه بأن لو أقدمت على خصومة أخيك فأنا مازلت حتى ولو تريد القتال أتقدم إليك وأرى ماذا تفعل ، فأجاب علاء الدولة بأننى عبدك ولو أمرتنى أرجع فأمره والده بأن يعودوا حين لا أكون بينكما فأنتما تعرفان كيف تتصرفان معاً فزحف علاء الدولة بجيشه ثم عاد ، وفى ذلك اليوم توفى ابن السلطان وظل الإصفهيد متحيراً وعرض أخوه نجم الدولة قارن شكواه على السلطان بأنه لا يقوى على نزع الولاية من يده ، وكان للسلطان آلاء فى حق نجم الدولة كما كان يعزه ويقدره فاختر خمسين فارساً من خواصه ليمضوا إلى الرى ويحضرون الإصفهيد قائلاً حتى أتوسط بين الأخوين وعندما وصل الفرسان إلى الرى وقالوا لعلاء الدولة إن السلطان يأمر بكذا وكذا فخاف الإصفهيد وكان قجفر فى مدينة الرى فتسلل أحد الفرسان وحضر إلى الإصفهيد وقال له إن أخاك رجل سىء وحاقد ومغرور والسلطان لن يتخلى عنه من أجلك وأنت رجل شاب وأمير ولن تبقى فى منصب قط ولا أستطيع أن أقول شيئاً أكثر من هذا فأنت تعرفه أفضل منى ، فأرسل علاء الدولة إلى خواص السلطان يقول لهم بأن سوف أخرج اليوم وعندما أقطع فرسخاً على طريق أصفهان أنزل به وسأكون فى انتظاركم ، وسير فى الحال المشاة إلى طريق خراسان وفى أول الليل كانت لديه جميع المؤن والعتاد فركب مع الفرسان وفى الصباح الباكر كان قد وصل إلى خوار وعندما وصل خواص السلطان فى الصباح لم يجدوه فأسرعوا على الطريق لمسافة منزل ثم رجعوا وحين وصل الإصفهيد إلى سمنان أرسل بالمشاة إلى شهریار كوه وخرج هو متجهاً إلى طريق هرسه روى إلى الأستانة وأعطى بالنفقات إلى الفرسان وما بقى من المشاة وبعث بهم إلى كلبا وكان واتجه هو إلى خراسان وكان يطلق على السلطان سنجر آنذاك ملك خراسان حيث كان عندئذ فى نيسابور وانضم لخدمته ، وعندما علم سنجر بالأمر أمر بأن ينزلوا خارج المدينة وأن يدخل هو المدينة فى اليوم المسعود وكانت مجموعة من مشاة شهریار كوه يخدمون الأمير أنر ولما سمعوا خبر وصوله حضروا إليه جميعاً وبعث سنجر بعشرة من كبار الأمراء لاستقباله فى اليوم التالى مجهزين بالمتاع والخيول وطلب للحضور إليه وقال له القصر قصرک وسوف أقوم بكل

الممكن فى الأحكام بمصالحك وفق ما تشتهييه ، وكان إسماعيل الحبشى قد قتل فى جرجان آنذاك واختار جيشاً وبعث به مع علاء الدولة إلى جرجان وجاء الرسل المسرعون وقالوا لقد وصل محمد خان وهزم كوسان كون الذى كان ملك خراسان وضرب خيامه على شاطئ جيحون وهو أت إلى مرو عن طريق أمو فألقى سنجر سفر الجيش إلى جرجان وأخذ يعمل حساب لمحمد خان وقال علاء الدولة لمشاته ألا تستطيعون القدوم معنا فقالوا أرواحنا فداك ومضى سنجر إلى مرو واستعرض الجيش بها ووصل من مرو إلى أموى واستعرض الجيش واصطف بالجيش أمام محمد خان على حافة جيحون ولما وقفت المياه حائلاً بينهما فلم يصل أحدهما إلى الآخر وسعى الأعيان بينهما وتقرر أن يرسل زوجته كوسان وابنه إلى سنجر والذين كانوا فى قبضة محمد خان وأن يقيموا عرشاً على شاطئ ليجلس عليه سنجر وأن يقوم محمد خان بتقبيله من عند الشاطئ الآخر فلم تم الأمر على هذا النحو تفرق جند سنجر كل إلى بيته وجاء سنجر إلى مرو، وكان الإصفهيد فى صحبته فى غاية العظمة والجاه وكان نجم الدولة قارن يحكم مازندران ولم يكن لوالده أى نفوذ فى الحكم حيث كان غاضباً منه ، وقد وقع اضطراب فى جرجان من جراء مقتل إسماعيل وأى قائد جيش كان يرسله السلطان محمد إلى هناك كان يهزم لأن سنقر الصغير وجقماق وآخرين كانوا قد هزموا يرغش الأرغوانى فى هذه الفترة فلجأ إلى الإصفهيد قارن ووصل إلى تمشة ومنها إلى ماميلنك وحضر جيش جرجان إلى بسك وبيجا كلاته والتى هى مزار الآن^(١) وقاد قارن الجيش و عبر به من المياه وحضر إليه وتحاربوا من الصباح وحتى صلاة العصر وكان يرغش الأرغوانى بجيشه إلى جانب الإصفهيد قارن وخرج قارن وغرق معظم جند جيش جرجان فى المياه وتعقبه حسام الدولة شهریار إلى تمشة وبعث خواصه وعلمانه إلى ابنه قارن حيث كان لا يزال الملك باسم الملك شهریار وعندما وقع هذا الفتح توجه قارن ومعه الجيش إلى جرجان وأخذ برفقته يرغش الأرغوانى إلى جرجان وفوضه عليها وعلى نواحيها ومرض الملك شهریار فى تمشة ولم يكن أولاده معه وقدم الوصية التى كان يجب أن يوصى بها وجاءه نداء الحق فانتقل إلى رحمة الله تعالى فلما علم ابنه قارون بالخبر جلس لعزاء أبيه كما أقام العلويون والقضاة والمشايخ

(١) المقصود بالآن وقت تأليف ابن إسفنديار لكتابه (المترجم).

مأتما لشهريار فى كل قرية ومدينة وبقعة من حدود جيلان لأن شهريار كان عادلا وكان ملكا كاملا كان المحتاجون فى سعادة وبحبوحة منه فقد كان له خلق طيب ويد مبسوبة كما جرى على لسان الجميع شكره ومدحه وثنائه وبقي هذا المدح .

"ذكر حكم نجم الدولة قارن بن شهريار"

عندما توفى حسام الدولة شهريار آل لقب الملك إلى نجم الدولة قارن ، وبالرغم من أن نجم الدولة قارن كان يتمتع بخصال لائقة فى الكرم والجود والشجاعة والصرامة إلا أنه مع هذا كله كان فظاً مع الجميع ينهج منهج الانتقام والعقاب ، لذلك فقد مد يده بالعدوان فى وقت قصير إلى خاصة وأعوان أبيه وكان من بين المقربين إلى الملك "شهریار رستم بن سراهنك" من قرية "بثر كرم كيسمانان" وكان آنذاك شيخاً هرمأً وكان جميع خدم الملك شهريار قد انصرفوا عن خدمته فى ذلك الوقت والتحقوا بخدمة ابنه قارن^(١) فيما عدا رستم بن سراهنك وكان الأب قد أوصاه عليه بأن يقبله ولا يلحق به أذى ولما توفى شهريار أمر قارن بالقبض عليه وقيده فى "جرجان" واعتقله وكان يصحبه معه مقيدا ومرض قارون أيضاً فأحضره من جرجان وعندما وصل إلى مشارف بالمن بعث بشخص إلى "فرامراز" "بن صرد أويج بن وردا نشاه" "لنجرود" ولم يستطع فرامراز الحضور عنده ولما كان الأمر هكذا كان له قائد اسمه باجعفرين على من قرية موينه ولم يكن له أصل ولا نسب ولكنه قد وصل إلى مرتبة عالية فى خدمته ، فتركه مع الجيش فى حصون فرامراز ومضى هو إلى سارى واشتد عليه المرض أكثر ، وبعد أن حضر قارن إلى تمشة جلس باجعفرين فى حصن من قلعة بالمن وشرع فى التخريب وترك فرامراز الجند وتخلّى جند فرامراز عنه وأتوا إلى باجعفرين فكان يرسل بهم واحداً واحداً إلى الإصفهيد قارن ليطلبوا منه الأمان ، فلما رأى فرامراز حاله وحال الجيش هكذا أرسل إلى الإصفهيد وطلب منه الأمان قائلاً : بأن سوف أحضر إليكم وأكون ملازماً لكم وتعاهد على ذلك فأمر قارن باجعفرين بإخراج الجيش من هناك والحضور إلى سارى واشتد المرض على الإصفهيد قارن فاستدعى ابنه رستم ، وقال له لو لم يكن أخى على^(٢) فى خراسان لما كان أى شخص فى هذه الولاية يتناول عليك وأنا على علم وثقة من أننى حين أموت فسوف يتناولون عليك حباً لأخى ، فيجب

(١) تكرار ورد فى ص ٣٧ ، المترجم .

(٢) المقصود به هو الإصفهيد علاء الدولة على بن شهريار بن قارن وهو شقيق قارن بن شهريار

علينا قبل أن يصل هو إلى شهرياركوه ويقف على أحوالنا أن تكون أنت قد قسمت أمر هؤلاء الناس واستدعى جميع معارف شهرياركوه وأخذ منهم العهد لابنه ورحل عن هذا العالم وقاموا بدفنه خفية حتى لا يعلن الأمر ويظهر منازع في استقرار الأمور لرستم.

"ذكر حكم رستم بن قارن"

عندما شاع خبر موت قارن هاج الجيش وماج ، فقاد «شير سوار بن شيرسفار» الجيش من قلعة دارا إلى "رودبار" هج فأرسل رستم بن قارن باجعفرين بالجيش لقتال "شيرسوار" ووقعت بينهما حرب ضروس وفي آخر الأمر خضع شير سوار لرستم .

"أحوال علاء الدولة على مع رستم بن قارن"

كان الإصفهيد علاء الدولة على آنذاك في معية السلطان سنجر حين وصل إليه خبر موت أبيه شهريار ، فأقام العزاء لوالده وعلم السلطان سنجر فحضر إليه وعزاه واستماله وقدم له الشراب على عادة الأتراك وارتدى ملابس التشريف ، وبلغه في هذا الوقت أيضاً خبر وفاة أخيه قارن ، وكان قد حضر لدى علاء الدولة قارن بن شاه والذي كان يدعونه بهجرو الباوندى وقال له لقد توفي أخوك وجلس ابن أخيك رستم على العرش ولكن أهالي شهرياركوه لم يبايعوه وهم يخترونك فبعث الإصفهيد علاء الدولة للسلطان ليأذن له فلم يأذن له حيث كان السلطان مريضاً وقام رستم دابو الذي كان قارن بن شهريار قد أصابه بالعمى إلا أنه كان لا يزال مبصراً وكان يخفى ذلك وكان حليفاً لعلاء الدولة بقيادة جيش جرار من أمل إلى دابوى وجلس في قصر دونكا وسيطر على الولاية وعلم قائد الجيش فيروزبن الليث الندتى بالأمر وكان يحكم اللند فخرج على رستم كما قام أهل ركونه بخداع الإصفهيد يذكر شقيق علاء الدولة إلى أن قربهم إليهم والتفوا من حوله ، وقام بهرام بن شهريار الذي كان أخاً لعلاء الدولة بجمع الجيش فاستدعى رستم بن قارن الأمير باكاليجار ركولا وأسند له الجيش وبعث سياوش بن كيكوس إلى بهرام ، وعندما وقف بهرام على هذا الأمر أراد أن يهرب فقبض عليه باكاليجار وأحضره إلى مدينة سارى وأسره وبعد ذلك وأخذ الجيش لمحاربة دابو ووقعت بينهما حرب ضروس وفي آخر الأمر هرب دابو وانتصر رستم بن

قارن ، وجمع الجيش مرة أخرى وأرسل إلى عمه علاء الدولة على بأن الحكم والولاية كانا لأبى واليوم أنا ولى عهد أبى وجمع - آنذاك - تحف وهدايا طبرستانية وبعث بها مع الرسل إلى السلطان محمد فى أصفهان ، وكتب بالرسائل وذكر فيها أنا لا أقوى أن أجنب الولاية من يدعمنى وسوف تقوم بيننا الحروب ويهلك ما بيننا الأرباب والأهالى ، فلما عرضوا هذا الأمر على السلطان بعث بأبى نصر الشرابى بخاتم إلى علاء الدولة ليحضر إلى البلاط وقال له إن ابن أخيك يكتب ويشتكى منك دائماً ويطالب بتقسيم الولاية بينكما فاستبقى الإصفهبد أبا نصر الشرابى عنده عاماً كاملاً إلى أن هياً لوازم السفر ، وبعد ذلك توجه لخدمة السلطان وكان السلطان فى مدينة أصفهان فاستقبله جميع الأعيان وأنزلوه فى قصر " كوى جوبارة " ، وفى اليوم التالى ذهب إلى مجلس السلطان فتلفظ السلطان معه وأكرم وفادته وسأله عن أحواله وبعث بأحد الأعيان إلى رستم بأن يجب عليك الحضور إلينا حتى أحكم بينكما فأجاب رستم بأننى ليس لدى الاستعداد للرحيل الآن ولا أقوى على الحضور ، فتطير السلطان وبعث منكوبرز ويرغش الأرغوانى ، إلى ويمه ليخرجانه من شهریار كوه بالقوة فجمع رستم جميع الجند ومضى إلى مضيق كليس فأقام هناك وظل يدافع حتى رجعا للسلطان فاستدعى علاء الدولة وطيب خاطره ومنحة الخلع والتشريفات وقال له عليك أن تذهب وتخرج ابن أخيك ، فخرج الإصفهبد من أصفهان وعندما وصل إلى آب كرم لحق به خادم من قبل السلطان يدعى فيروز ومعه عشرة آلاف دينار ذهب ومرسوم ملكى يقول فيه السلطان على لسانه لقد منحتك مقر أخيك والخلة والصلة لتقوى بها فلا تتحالف مع أى مخلوق ضدنا ، ففرح علاء الدولة وأكرم الخادم وأعادته ومضى هو من هناك إلى ويمه ونزل بها فحضر إليه قادة السلطان وحكوا له عن جميع الأحوال وعاد رسل رستم الذين كانوا أمامهم وذهبوا إلى رستم وعرضوا عليه أحوال علاء الدولة فقال رستم لقد تجاوز الأمر تدبيرنا وبعث أحوال علاء الدولة فقال رستم لقد تجاوز الأمر تدبيرنا وبعث فى الحال بخيمته وسراجه إلى ظاهر ، ويمه وأقام الخيام فى وسط جند السلطان وفى اليوم التالى توسط الجند وقال لقادة السلطان لن أمثل للخدمة بدون علاء الدولة إذ لو أذهب بدونهم فسوف يجلسه أهالى شهریار كوه على عرش الحكم ويسقط الملك عنى فقال علاء الدولة سوف أتى أنا أيضاً ولن أخالف السلطان قط فاستاء رجاله وطلب كل شخص الإذن وتوجهوا إلى بيوتهم فيما عدا تجمع بن غازى مع مائة رجل من أقاربه وانضم

كج أرسلان إلى خدمة علاء الدولة ، وطلب حسن بن كيكافس الذى كان ابن عم الإصفهيد الإذن ومضى إلى لارجان ووصل الإصفهيد إلى السلطان قبل رستم وحضر رستم بعده إلى المدينة فاعتنى به السلطان وبذل كثيراً من المودة فى حقه وبعد عدة أيام مرض رستم بشدة وسبب ذلك أن خاتون أخت السلطان التى كانت زوجة أبيه كان يجب أن تكون مازندران لها ، وأدركت أنه لن يسمح بإعطائها لها فتحالفت مع علاء الدولة فأمرت بدس السم لرستم وتوفى رستم فى أصفهان ودخل جميع جند شهریار كوه فى طاعة علاء الدولة وبعث السلطان فأخذ الخزائن والدواب وكل ما يخصه وقال لقد كان عليه حقوق كصداقه لأختنا ولم يهتم علاء الدولة بتركها .

ذكر علاء الدولة على بن شهریار وفترة حكمه

عندما حان الأجل بفخر الملوك رستم بعث السلطان الأعيان إلى علاء الدولة لتقديم العزاء ، استدعى الموكل للإصفهيد ووقف الإصفهيد على هذا الحال فخشى من أن يكون قد أخضع كثيراً من المنازل -آنذاك - مثل قصر صدقة ملك العرب وقصر سرخاب ملك طبرستان وأتابك فارس وقصر الأمير داد الحبشى ، ولم يكن السلطان وفيماً لعهد فركب الإصفهيد ذات يوم للاختبار بحجة الصيد ليخرج من المدينة وفى الحال أبلغوا السلطان وتدبر السلطان الأمر وفى الحال أصيب بمرض القولون فأمر بإطلاق سراحه وبعثه مع غلام (أمين) وكان عدة أشخاص من شهریار كوه ممن كانوا قد أساءوا فى حق علاء الدولة ولم يكونوا يأمنون جانبه مثل عين الدولة التركى ورنج بن سیاوش وناما وركشيب وبازهير أولاً ثمه والتى كانت والدته رستم هى ابنة أخته وكان قد فوض قلعة كوزا وكيسليان وروهين إلى صهره الملك أبى جعفر فمضت هذه الجماعة لدى السلطان وقالوا له إن جميع قلاع مازندران تحت أيدينا لو أعطيتنا الجيش سوف نستخلصها لك فلا رغبة لنا فى طاعة علاء الدولة فلقى كلامهم القبول لدى السلطان وأرسل معهم أميرين يطلق عليها يرتقش زكى ومنكوبرز ، ولم يكذبازهير قد وصل بعد إلى خوار حتى لقى أجله وكان السلطان قد أرسل معهم القاضى ركن الدين البزافى وذلك للحفاظ على أموال القلاع والتقى الجميع ببعضهم فى سمنان معاً ، وعندما وصل خبر وفاة رستم إلى شهریار كوه كان الإصفهيد فى بندار كلاده فخرج منها وقدم إلى سارى وجلس على العرش فيها ، والتف الجيش من حوله وتمرد عليه فرامراز بن رستم

ابن أخى علاء الدولة واستولى على قوهستان ووقعت بينهما خصومات وحروب ، حتى قال الإصفهبد بهرام أنا قائد الجيش وعلاء الدولة هو أخى وكل ما أفعله إنما أفعله لأجله فانضم إليه أعوان فرامراز وهزم فرامراز وعلم علاء الدولة بهذا الأمر فتطير وقال أنا لم أر فرامراز ولا أعلم ما أمره ، أما بهرام فهو منافق واعتقد أنه يرتب لسوء واستدعى أعوانه وأرسلهم إلى شهربار كوه كل على حدة فقد كان له أقارب كثيرون فى القلعة مثل محمد بن حسنان وحسين الصباح وإسفنديار بارى ومحمد الأمير وأرسل روايج إلى ابن أخيه فرامراز ونصحه بأن يحافظ على الأسرة ، وأن لا يقابل جيش السلطان حتى لا يغدروا به ويستولوا على أسرتنا ، وبعث محمد بن إسفها لاركولايج إلى بهرام وقال له فى البداية حتى تعلم حال بهرام معنا وذاك الذى نسمعه من أنه يحافظ على الولاية من أجل أخيه فإن كان صادقا فلا تتعرض له قط ولا تتحدث معه فى أى أمر على الإطلاق وأرسل كل واحد إلى طريق مغاير ، وقال ليمضوا على هذا النحو وليرجعوا بحيث لا يستطيع شخص أن يقف على هذا الأمر ووصل الجميع إلى مازندران ، وعندما وصل محمد الأمير الذى كان قد أوفده إلى ابن أخيه وجد أنه قد وضعه فى القيد وكان بهرام غير متمرس بالغ الحماقة ولا يفكر فى عواقب الأمور ولعدم الدراية والتجربة كان يذيع كل رسالة يرسل بها أخيه إليه إذ كان بهرام يقول إن أخى يقول لا تحمل همى ولا تهتم بى مهما يحل بى من مصائب ، وطالما أن الأسرة فى يدك فاحذر وحافظ على القلاع ولا تتعرض للأتراك ووجه رعايتك لأهل الولاية حتى لا يتخلى الأتراك عنك وخذ حيطتك ، فلما سمع الإصفهبد رسالة أخيه نهض ودخل القصر وكان له أخت لم يكن ينجز أمراً ما دون إبداء مشورتها فروى لها كل ما سمعه فأجابته بأن كل هذا مستحيل فقد قال لك أخوك حارب الأتراك ، وهو يقول ذلك حتى يبعثوا لك مثلما بعثوا لك فى عهد فخر الدولة رستم وهو يرى فى ذلك صلاح نفسه منك فتمسك الإصفهبد برسالة الأخ جملة وأرسل إلى قطب البزازی فى سمنان هكذا يأمرنى أخى فختم القاضى البزازی على هذه الرسالة وبعثها ، فلما قرأ السلطان تلك الرسالة فقال يرغش الأرغوانى كل ما جاء فيها سليم ولن يحيد عنه ، فإن يأمر أتحرك واستولى على قلاع الولاية وسلك الطريق مع القاضى البزازی ويرنقش ومنكوبرز إلى هزار كرى عن طريق كنيم وحضر منكوبرز من هناك إلى سارى ، ومضى بهرام إلى الملك فيما وراء درويشان وأقام معسكر الجيش بها ولبث رستم بن شهر يوشن فى منزله فى كيا.

خواران ، وجمع الجيش وقدم الأمير مهدي لفور وأبو الفضل بن أبي القاسم إيزاباد لدى منكوبرز وأنضم أكراد مياندرود والأتراك جميعهم إلى منكوبرز وحضر الأمير باكاليجار كولا فأعطوا له الجيش وأرسلوه إلى كيلة خواران ومضى رستم بن شهر يوشن إلى بيته وانتقل إليه الأمير كولا مع جماعة من الأتراك ، والتقى به وعاهده على الحضور لدى علاء الدولة حين يحضر إلى مازندران ، فلا تؤذى الأتراك الآن ولا تهاجم ساري ، وانزل في قصره أمناً مطمئناً فوافق رستم على هذا وأتى إلى منكوبرز وكتبوا رسالة الفتح إلى السلطان ، حيث قالوا لقد استولينا على قلعة " كيلة خواران" فقال يرغش الأرغوانى للسلطان إذا كان من الضروري أن تكون ولاية طبرستان لك فلا بد من القبض على علاء الدولة أولاً وحبسه حتى أتحرك واستولى على تلك الولاية فاعتقل السلطان الإصفهيد علاء الدولة على وكان معه أخوه الأصغر المعروف بيزدجرد ، وقال علاء الدولة إنى لا أحمل هم نفسى ولكنى حزين على أخى يزدجرد لأنه قد ابتلى بسببى وقام يرغش الأرغوانى بالتوديع وخرج من عند السلطان كى يذهب إلى مازندران وفى نفس اليوم أصابه مرض الخناق وتوفى كما مرض السلطان -آنذاك- أيضاً وتوفى بعد عشرة أيام هو الآخر ، وبلغ الخبر منكوبرز فأخذ الجيش وتوجه إلى العراق ، وعندما وصل إلى مضيق كولا علم الأهالى بهذا فأبلغوا شهر آشوب بن سوته كلاته وكان محارباً شديداً البأس فحضر مع أتباعه واستولى على مضيق كولا وأقام الكمائن وعندما وصلت الخزائن والجمال فتح الأكمنة واستولى على كل ما كان قد جمعه الأتراك ، وبقي منكوبرز متحيراً ولم يتركه (سواته كلاته) يغادر المكان فاستدعى الأمير أبا إسحاق وأبا الفضل و أبلغهما بأن يبلغوا هؤلاء القوم أنهم قد أخذوا كل ما كان معنا ليتركونا نرحل فتقدم الأمير أبو إسحاق وأبو الفضل وقالوا له أن يفسح الطريق له ليمضى ولن يعود إلى هنا مرة أخرى وحين وصل منكوبرز إلى مدينة أصفهان كانوا قد أجلسوا محمود بن محمد على الحكم ، وكان سنجر يقوم بدوره فى الحكم فى خراسان بعد وفاة أخيه ، وعندما كان محمد فى النزاع الأخير كتب رسالة لأخيه حيث قال له فيها إن الدنيا غدارة وفانية ولا تخلص لأحد وأنا سوف أرحل عنها يا أخى فافعل مع أبنائى ما فعلته معك ولقد تركت لك جيش العرب والعجم وإيران وتوران وأعطيت لكل شخص مؤن عام أو عامين وكلفتهم بأن يقوموا بحصار قلاع الملاحدة وأماكنهم وحصونهم ، فيجب ألا يزال شئ قط مما قررته وإذا ما استولوا على أى مكان من

مجموع ملكى هذا فابعث بتراب ذلك المكان وأنتشره على قبرى لأكون راضياً عنك ، هذا ولم أذكر الوصايا الأخرى التى وردت فى تلك الرسالة لأنها معروفة جداً وربما تكون قد بلغت كل شخص ، وعندما جلس محمود على العرش أرسل واستدعى الإصفهيد علاء الدولة وقربه وقبله وقال له إن والدى لم يعاملك المعاملة الطيبة وترك عمته عنده وسمح له بأن يذهب إلى قصره وتوجه الإصفهيد من أصفهان إلى طبرستان وقام بإطلاق سراح فرامراز بن واردانشاه اللنجرود الذى كان السلطان قد قبض عليه ووضعته فى الأغلال ، وأحضره معه وعندما وصل إلى خوار حضر إليه ألفا رجل من الجيل والديلم وكوهى ، وكان فرامراز بن أخى علاء الدولة قد هرب من بهرام وحضر إلى سمنان ، وعندما شاهده الإصفهيد قدم له الرعاية وأنزله فى نزلة الأبناء وجاء من هناك إلى ويمه وكرم فرامراز اللنجرود وأرسله ثانية إلى لنجرود وعندما علم بهرام بأن أخاه قد حضر جمع الجيش وحضر إلى قرية «ورن» فى شورمادشت وبعث الإصفهيد بالرسول إلى قلعة «كوزا» وقال «لبا منصور» عليك بتسليم القلعة لنا ، وأرسل «لبا منصور» محمد جناز هى وحسن الطباخ وبازهير اتيح والخواجة الندائى المجوسى إلى الإصفهيد وأبلغوه بمطالبهم لتسليم القلعة فقضى لهم الإصفهيد حاجاتهم وسير معهم عشرين رجلاً من أعوانه لاستلام القلعة وعندما وصل الرسول إلى القلعة كان بهرام قد أرسل بادشاه باجعفر واستمال قلب منصور إليه ، فلم يسمح بامنصور لأعوان الإصفهيد بالدخول إلى القلعة وحملهم جوابه ، وعند ما صار معلوماً لأبى إسحاق لفور بأن الإصفهيد قد وصل وأرسل رسولاً وقال إنه قد جمع ألفى رجل وسوف أجعل مالى وروحي فداء لك وأنا معسكر فى سيجة رود فليأت الإصفهيد إليه ، وعندما وصل إلى كلابى سواته كوه حضر لدى الإصفهيد أسفار نكيچ بن كاليجارو هو رجل فاضل كثير المال والحشم وأخذه إلى بيته واستضافه وقدم له الهدايا وانضم إلى خدمته مع أولاده وأقاربه وسلم الجميع أمرهم إلى الملك علاء الدولة ، واصطحبه إلى يافوس وحضر الأمير أبو إسحاق إلى الخدمة وقام بتقبيل الأرض بين يديه ، وكان هذا اليوم هو أول شهر فروردين لعام ٥١٢ من هجرة صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، فقام أبو إسحاق بتقديم المؤن بين كافة الجيش ويعثوا بالمرزبان أبى الحسام إلى لارجان ، فقام شيرزاد بإيفاد ابنه مع كافة الجند إلى الإصفهيد كما حضر إلى الخدمة أيضاً الأمير "باحرب بن كرماب" رود بصحبة خمسمائة رجل وقام كل من الإصفهيد كيخسرو والذى كان مقيماً

فى أمل والأمير شاهنشاه والذى كان صاحب قلعة دارا بإرسال جيوشهم إلى الإصفهيد وأنضم إلى الإصفهيد أيضاً سنان الدولة الذى كان رئيس شرطة أمل مع أعوانه كما حضر إليه أيضاً الإصفهيد شهردار والذى كان ابن عم الملك ومعه جمع كبير وكان ابن الإصفهيد زياالبور الشهير بعلى لديه ميول بهرام فبعث الإصفهيد إليه بعلى الجوستانى الذى كان أحد ثقاته واستماله ، وجاء به إلى الخدمة وقبل أياديه بمسجد ترجى فأهداه الإصفهيد بيت أبيه هدية وكان قلبه مشغولاً من جهة باكاليجار كولا فاستدعى محمد كولايچ عنده وقال له أنت لم تقل أن باكاليجار صديقك فهل كنت تكذب وبينما كان فى هذا الحديث وصل رسول من جهة باكاليجار يقول لقد حضر كل من باهاشم العلوى الذى كان نقيباً ودهخدا أبو الحسن الذى كان وزيراً لاستقباله ، وحضر باكاليجار مع شهرا شوب إيزباد والغلمان الذين كانوا تابعين لحسام الدولة ومعهم جميع عتاد وتجهيزات الملك كما حضر للخدمة أيضاً أبناء أبو القسم ما مطيروهم خورشيد وسهراب وشيرزاد وقارن وأقام الإصفهيد معسكرا فى موسى كلاته وقاد بهرام الجيش من ورن وأتى به إلى إرم من طريق كيسليان وعزم على القتال ولما علم علاء الدولة بذلك رحل وحضر إلى جمنو وانضم إليه أبو الفضل بن أبى القسم إيزباد ووشمكير بن إسفار نكيچ إيزاباد كما قام دابو من أتباع رستم بإيفاد قائد مع جميع رجاله وكان باهاشم العلوى يعرف علم النجوم ، فقال للإصفهيد يجب أن تحارب اليوم فالיום يوم السعد ، فأعد الإصفهيد صفوف جيشه وقام بتجهيزه وساروا أمام جيش بهرام وعندما التقيا معاً انضم معظم الجيش إلى صفوف علاء الدولة ، وانهزم بهرام وفر إلى قلعة كيسليان ونهبوا كل ما كان له وجلس الإصفهيد^(١) على العرش فى إرم واستدعى جميع السادة ، وقال إننى لا أحمل أى حق لأى مخلوق فمن كانت لديه رغبة فى أمر ما فليعرضه فكل الرغبات مقبولة لدينا فحضر كافة الأعيان فى خدمته ، وقالوا سوف ننفذ كل ما تأمر به ، فأكرم الجميع وأقطعهم وقام رستم بن شهر يوشن الذى كان ابن عم الملك بتقييد بهرام فى كيلة خواران وأطلق سراح جميع الأسرى فهرب بهرام وطيب الإصفهيد خاطرهم ومنحهم الخلع ومضى إلى قصره فى كيلة خواران ، وبعد ذلك استمال جميع أمراء طبرستان وخلق على الأمير شاهنشاه والأمير باحرب

(١) أى علاء الدولة على بن شهریار ، المترجم.

كرمابة رود الخلع وأعادهم إلى ديارهم ، كما أعطى ابن لارجان مرزبان شيرزاد خلعة وأعادته إلى مقره كما أكرم قائد دابو كذلك وأمر بكتابة رسالة تكريم لدابوا ومنح الخلع والتشريفات للإصفهبد كيخسرو أيضاً وأعادته إلى موطنه ، ثم تحرك الإصفهبد بعد ذلك إلى ليشكوه وأمر بالقلع والحرق فقتلوا ما بين مائتين إلى ثلاثمائة رجل من أتباع محمد بن الحسن المعروف بالإصفهبد محمد حسنان ، فلما شعر بالعجز بعث ابنه كرهينة إلى الإصفهبد وقال أنا مذنب ومخطئ وإذا أمر الملك بالعفو عني فسوف أحسن العمل وأنال رضا الملك بخدمته وقد بعثت بابني الآن لأنى لا أستطيع أن أحضر للخدمة خجلاً من عدم تأدبى معه بحيث أقوم بخدمة تحظى بالقبول لدى الملك ، ثم أحضر من بعد ذلك لأقبل الأيادى فقبل الإصفهبد ابنه كرهينة والذي كان يدعى بنام أور وعاد و حضر إلى رودبار مدينة أمل واختار لقيادة الجيش لشهرزاد الباوندى الشهير وفوض إليه سدن رستاق وأمره بأن يرسله إلى الخدمة بادشاه مرزبان وإذا لم يذهب إلى الخدمة برغبته أرسله قهراً ، فلما حضر إلى تمشة قرأ رسالة الإصفهبد أمام حسن بادشاه مرزبان فأعد نفسه وتوجه للخدمة وحضر لدى الإصفهبد أبو طاهر الذى كان المشرف على بيت بهرام واستمال بادشاه مرزبان ، وقال له لابد أن تعدل وتنصف مع الرعية بخلاف ما كان سائداً فى عهد آبائنا لأن لنا عهداً ونذراً مع الله بأن نأمر بالعدل وأعطاه خلعة وأصدر مرسوماً بما كان عليه من ملك وأعطاه مستحقاته وأعادته إلى مقره وبعث رستم خورشيد وداراي سرسب مع خارق التركى الذى كان حاجب الإصفهبد وأمرهم بأن يمشوا إلى قلعة كوزا وأن ينزلوا منها حاكمها فذهبوا إليها تنفيذاً وأنزلوا الحاكم من القلعة وسلم لهم القلعة فعينوا رستم خورشيد عليها وأحضروا بامنصور أمام الملك حتى وصل أيضاً أحد الرسل أمام رودبار أمل والذي أعلن أن فرامراز بن أخى الإصفهبد قد اتفق مع عمه بهرام وعندما استقام أمر أمل وكجوورويان تحرك إلى نهاية قلعة كبسليان ونصب المناجيق ، وأقام هناك لمدة شهرين فاستجار به أخوه بهرام وطلب الأمان ، وبعث الإصفهبد شخصاً يدعى «شير بمكوت» لتولى القلعة من قرية سنور على مسافة ألف ذراع وعلى هذا الاتفاق انسحب من أسفل القلعة ، وبعد شهر أمر بهرام بقتل شيربمكوت فى القلعة ووصل إلى الإصفهبد فغضب لمقتله ، لأنه كان يصحبه فى كل أسفاره وأمر بأن يقتله قصاصاً لشيربمكوت، وكان ابنه الإصفهبد شاه غازى رستم بن على لا يزال طفلاً فجعل باكاليجار بن باجعفر

كولايچ راعياً له حيث إنه كان رجلاً خبيراً وحسن التصرف والتدبير وصائب الفكر، وكان له آلاء على دولته وكان الإصفهيد يثق فيه تماماً ، وأمر بأن يمضوا إلى نهاية قلعة كيسليان وأن يبقيا بها حتى يستخلصوها وكان باكاليجار هناك فى خدمة الإصفهيد رستم فضرب حصاراً حولها بحيث لم يكن لمخلوق قط الذهاب إليها أو الإتيان منها ، وبلغ الأمر حداً أن بات عسيرا على بهرام الذى كان له شقيقة فأرسلها إلى الإصفهيد حتى تسقط على قدميه وتطلب العفو له ، فحضرت أخته وسقطت على وجهها أمام الإصفهيد وقبلت قدميه وأخذت تبكى فأمر بسحب الجيش من هناك ، وخرج بهرام ليمضى إلى أخيه وأخذ شهريوشن كل من ولاش وحسن بندرانيج كمرشدين له ، وترك القلعة لأعوانه ورجاله وذهب هو إلى نهر كارمزد وخرج إلى دماوند ، وكان السلطان محمود فى مدينة الرى فانضم إليه وأنداك كان السلطان سنجر قد أرسل الأمير أفر مع الجيش إلى جرجان فعلم محمود بهذا الخبر فبعث الأمير على بار مع ستين ألف فارس ليطردوا أفر من جرجان ، وكتبوا رسالة إلى الإصفهيد حتى ينضم إلى على بار وقال أهالى طبرستان للإصفهيد يجب أن لا نذهب فلم يستمع إلى مشورتهم وأرسل ابن أخيه الذى كان اسمه فرامراز ومعه خمسمائة جيلى وبقية جند طبرستان وعندما وصلوا إلى على باركان وجدوا أفر نفسه قد هرب ، وكان الإصفهيد قد جلس فى قرية درويشان مع أقاربه ولما لم يصل الإصفهيد إلى على تغير من ناحيته وحمل له فى قلبه كرهاً وسعى ضده لدى السلطان بحيث كتب إليه أنه خرج عن الطاعة ولم يأتى لدى ولم يبالى بالأمر وخدع على بار فرامراز الذى كان ابن أخو الإصفهيد وقال له أرنى المداخل إلى شهرياركوه وقودونى إليها لأعطيها ولاية لك وأجعلك ملكاً فقبل فرامراز وسوسته لما كان يخامر رأسه من غرور ، وتطلع وأعلن عن خروجه للإصفهيد فتخلى عنه مردأويج الذى كان على رأس فرقة قوامها خمسمائة جيلى من الخيالة كما انصرف عنه جند شهريار كوه وانتقل الإصفهيد من درويشان إلى فريم وكتب على بار إلى السلطان قائلاً له ادعم بهرام الذى فى طاعتك بالرجال وابعثه إلى طريق دماوند حتى أحضر أنا من هذا الجانب ومعى خمسين ألفاً فبعث السلطان إليه بهرام ودخلوا فى طريق ويمه وكليس وكانت قلعة كيسليان لا تزال تابعة للإصفهيد بهرام ودخل على بار تميشة وانضم كلا الجيشين إلى بعضهما البعض وسلموا الولاية لبهرام وفرامراز ودخل الإصفهيد وجنده إلى ساحة المسجد ووصل على بار وبهرام وفرامراز إلى كوشكه

بن ، وحضر من بين أفراد الجيش إلى الإصفهيد كل من محمد بغرا وإسفنديار بغرا والذين كانا قد قدما له خدمات كثيرة في أصفهان وكانا من مريديه وأنصاره فقالا له ما هذا الذي أنت صانعه لقد خربت الولاية وشردت نفسك بلا فائدة وعلى الرغم من الحقوق الكثيرة التي للسلطان عليك فقد عصيته ، فقال الإصفهيد (علاء الدولة على) أنا لا أبغض ولا أحمل في قلبي مكروهاً ، وليس بيني وبين السلطان سوى العهد والاتفاق وعمته في منزلي ^(١) وأنا لا أميل أن أنقض العهد مطلقاً ولا يعد الأمر أن « على بار » قد استدعاني فلم أستطع الذهاب إليه لعدم وجود المؤن والمتاع حيث لم يمض سوى عام على وجودي في منزلي وقد أرسلت إليه ابن أخي بالجيش فارتكبت في حق كل هذه الأعاجيب وسأضئ إلى السلطان بنفسى لأفند كلامه وليصبح أن كل الذي ارتكبه هو لم يكن من باب الشفقة أو المصلحة ، وأرسلها ليمضيا إلى معسكره ويستدعيا أمامه جميع الباونديين والأعيان الذين كانوا معه ، فاستدعى قارن بن شاه خسرو والذي كان نقيب قواده مع الإصفهيد رستم الذي كان ولي عهده وقال لهما اذهبا إلى فريم واجلسا هناك ، وكان شهردار بن رستم وايزدنداد بن كوشيار ولدا عمه وأمر حسن بن كيكافس أخوته حسين وأبا إسحاق وأبا جعفر وأنو شروان بأن يكونوا جميعاً تحت أمر حسن وجعله قائداً على شهرياركوه ، وبعث رستم بن قارن إلى كيسمانان وقال له : اجلس هناك واترك في المعسكر كل من مرزيان بن زرین كمر الذي كان زعيم الباونديين وابنه دارا ورستم ولشكري وعلى بن الليث ، وكان عدد الرجال في ذلك الموقع -آنذاك - ألف وأربعمائة رجل من آل باوند وكان رستم بن هنك سرا الذي كان أول وياكاليجار باجعفر الذي كان رئيس آل لورجان ورستم بن أبي جعفر حسن بن نامكوش « ورستم بن الحسين » « وإسفنديار بن شوزيل » وكانت هذه الجماعة من آل لورجان رجالاً مشهورين معروفين جميعاً وأمرهم بأن يطيعوا باكاليجار باجعفر كما أمر من قبيلة آل قارن أبو إسحق مهدي لفور وناماور بن زيار وفادوسبان بن كينخوزا وكرشاسف وكينخوزان ووشمكير بن أسفار نكيج وأبو الفضل بن أبي القسم ورستم بن فادوسبان وشهرا شوب بن فادوسبان وبختيار وبهمن ، والذين كانوا جميعاً من المعارف والأعيان وأمرهم بأن يتفقوا مع بعضهم وأن يكونوا على اتفاق حتى أقضى أنا

(١) هي خاتون زوجة قارن بن شهریار بن قارن (المترجم) .

إلى سارى ، وأمرهم بما يجب ، وأخذ كيچ بن غازى من جند كيچ أرسلان واتجه إلى سارى ومضى إلى منزله الذى كانت تقيم فيه عمه السلطان ولبث هناك ولما علم على بار بذلك عاد وحضر إلى سارى وحضر جميع الأمراء إلى البلاط وأرسلوا إلى السيدة قائلين نحن جميعاً خدامك فما هو الأمر ؟ فأرسلت خاتون بأنه سوف يمضى إلى السلطان وأنتم الذين كثيرون نفوره منه وقام الأمراء باستدعاء كل من فرامرز وبهرام وكتبوا أوامره وبعثوا بها إلى الداخل ، ومزق الإصفهيد جميع الأوامر وألقاها فى المياه وقال الأمراء لفرامراز وبهرام يجب عليكما أن تذهبا إلى الإصفهيد ليعطينا المؤن أننا لم نفعل معه ما نستطيع به أن نذهب إليه حتى يسلمنا السلطان إليه ، فكان جيش على بار حين وصل الإصفهيد بينهم غفلة أخذوا يتساقطون فى كل مكان وكان أهالى شهریار كوه وإيزاباد يحضرون كل ليلة إلى المعسكر وقد أخذوا مائة أو مائتين من الخيول وحضر الأتراك لدى الإصفهيد وقالوا إذا كان الأمر سوف يكون على هذا النحو فسوف نذهب جميعاً إلى السلطان ليرفعوا أيديهم عنا وبمجرد أن نمر فلن يلحق بشخص منا أذى ، فنادى منادى الإصفهيد بأن يمتنع الناس عن هذا النوع من الإغارات ، وكان هناك أخوان عياران فى شهریار كوه وهما على بن إبراهيم وحسن بن إبراهيم ولم يكن معلوماً لهما بما قاله منادى الإصفهيد فلما وصل الجيش إلى رودبار إرم وكان الليل قد حل كان لمحمد بغرا وإسفنديار بغرا جوادان يتميزان باللون الأصفر ومن أصل عربى ، وكانا قد اشتريا كل جواد بخمس مائة دينار فسرقتوا خيل الأخوين فى تلك الليلة من الطوالى ولم يعلم أى أحد بهذا إلى أن حضروا إلى الإصفهيد فى الصباح الباكر وقالوا له إن اثنين من خيولنا حملهما جبريل إلى السماء فى الليلة الماضية إذ لا يستطيع شخص قط فى العالم أن يفعل مثل هذا العمل ، ونحن نتعلق بأذيالك لأنك لو تعطينا عوضاً عنهما حملاً من الذهب والجوهر فلن نقبل ، فاستدعى الإصفهيد وشمكير بن إسفار نكيچ أحد أمراء إيزاباد وسأله من الذى فعل هذا الفعل فقال له: إن أهالى إيزاباد كانوا جميعاً معى الليلة الماضية فيما عدا اثنين وهما على إبراهيمان « وحسن إبراهيمان » فأمره بأن يحضروهما أمامه ، فقال وشمكير إنها لدى « شهر اشوب » فأرسل الإصفهيد فارساً من عنده إلى « شهر اشوب » وقال له أريد أن ترسل لى فى هذه الساعة الجوادين فلم ينهض الرسول من هناك حتى أحضر الجوادين وحضر بغرا وأخوه إلى حضرة الإصفهيد وأقرا بأن يسلما لرجل من أصل

طبرستان ورحل الإصفهيد عن إرم ومضى إلى مضيق كولا وأرسل إلى بهرام وفرامرز رجلاً مدبراً جلو اللسان يدعى دعويدار بن سهراب ، وقال لهما بأن لا يكثرنا من الصخب وأن يرفعا أيديهما عن الأعمال العجيبة وأن يقيما هكذا في دارهما فلا أحد في بلاط السلطان يرعى لكم حرمة وقد جربتما فاتركاني واذهبا لأدبر الأمر كما ينبغي وأجهز لكما المؤمن فلم يسمعا لكلام ذلك الشيخ ومضيا إلى مدينة الري لدى السلطان محمود ولما وصل الإصفهيد إلى السلطان قربه إليه واعتذر له وقال له لم يكن حتماً أن تحضر فأنت لنا في مقام الوالد وأمر بهرام وفرامراز بأن يعقدا حزام الطاعة في خدمة الإصفهيد، وعزل الموكل ووكل بهرام وسلم قلعة كيسليان إلى الإصفهيد وبعد عشرة أيام سير الإصفهيد مع التشريفة الملكية ، وفي اليوم الثالث عشر وصل الإصفهيد إلى ساري وحضر بهرام وفرامراز عن طريق لارجان حيث كان جاولي قائداً للشرطة في مدينة أمل وبعث فرامراز رسولاً وطلب صكاً من الإصفهيد بالعفو فعفا عنه الإصفهيد وأرسل إليه صكاً بالعفو فحضر للمثول في الخدمة ، ومضى بهرام مرة ثانية من أمل إلى الري واتفق مع الإسماعيلية الملاحدة وقال لهم سوف أعطيكم الولاية والمال إذا قتلتم علاء الدولة فأجابوه بالرفض ولم يقبلوا ، فتظلم مرة أخرى لدى السلطان فقال له إن كان يلزمك المال فيجب عليك أن تقوم بخدمة أخيك فمضى إليه ، وعندما يأس من الاثنين اتجه إلى خراسان عند السلطان سنجر وكان قد وقع خلاف بين محمود والسلطان على نحو ما كتب نظماً في "سنجرنامه" واتجه سنجر إلى العراق ومعه جميع الجند من الفور ومن "بهرامشاه غزني" و"اتسرخوارزمشاه" و"خاقان سمرقند" ، وأرسل الإصفهيد يقول له يجب أن تتضم إلينا أنت أيضاً مع جند طبرستان فتقاعس الإصفهيد لأنه كان على عهد مع محمود ولم يذهب ولقى سنجر ومحمود على مسافة بضع فراسخ من مولان بهمدان وتحاربا وهزم سنجر محمود وعاد كي يمضى إلى دار ملكه في مرو ، وبعث إلى الإصفهيد خادماً يدعى أبو بكر حيث قال له إنك لم تكن معنا في حرب العراق فينبغي أن ترافقنا إلى خراسان ، فقال الإصفهيد إنى مريض وأشكو من النقرس في قدمي وسوف أبعث إلى الخدمة بابني رستم والذي هو ولى عهدي ، وكان رستم لا يزال صبياً فأمره والده بإعداد وتجهيز لوازم سفره وبعثه من بریم وودعه حتى فلات بأسى ثم عاد وجاء إلى مدينة ساري ، وكان شتاء ذلك العام في خراسان غاية في الصعوبة والذي لم يحدث منذ سنوات ، ووصل الإصفهيد رستم إلى السلطان

وكان فى خدمة رستم كل من باكاليجار وفرامراز وسهراب أبو القاسم وخورشيد بن كهستون مع مائة رجل باوندى وأبناء عمه ولهراسف الجبلى الأملى وكافرشاه الجبلى وظلت هذه الجماعة فى نيسابور أربعة أشهر دون أن يرضى قلب سنجر وكان بهرام يقوم بالوشاية والشكوى لدى السلطان حتى أرسل سنجر بالإصفهبد رستم مكرها إلى والده من نيسابور وبعث معه شخصاً يلقب بشمس الدين والذي كان حاكماً وأمر بأن يحضر الإصفهبد للخدمة مهما كان الحال فقال الإصفهبد إن كان يلزم أن أذهب لخدمة السلطان فيجب عليه أن يرسل بهرام إلى أولاً وعاد شمس الدين بهذا الجواب فلم يلق ذلك رضى السلطان وزاد غضبه وأصدر مرسوماً بالولاية لبهرام وبعث معه محمد الحبشى والأمير زنكى وقيترمش ومحمد المزيدي وأمر كل من كبود جامه وكرشاسف بن جهشيا كلبايكاني الذي كان يطلق عليه فخر الدولة وفرا مران بن مرداويج النجرودى يكونوا مع هذا الجيش ، فتجمع فى جرجان عشرون ألف رجل ومنها وصلوا إلى إستراباد وأقاموا المعسكر فى نارو وجمع الإصفهبد جنده واتجه إلى تمشيشة وشرع الأهالى فى العصيان والاحتجاج ، وقالوا إن بهرام هو الأخ وهو الأحق وكان الشتاء قارساً وكان بين جيش بهرام رجل يدعى عمراننج والذي كان يملك منزلاً فى تمشيشة وكان هو المرشد وكان لقارن بن مشاه خسرو قائد جيش علاء الدين أخ إسماعيلى كما كان محمد الحبشى إسماعيلياً وملحداً أيضاً وقد أقام قارن أخاه على رأس طريق تشى خندق وكان أخو قارن المسمى أبو جعفر متعصباً مذهبياً والذي بعث إلى محمد الحبشى قائلاً أنا على مذهبك أيضاً وأمضى على هذا الطريق وكان ابن أخيه على حميد الملحد قد بعث بمحمد الحبشى كرسول إلى الإصفهبد وبقي هو فى غفلى وقام محمد الحبشى ، استدعاء عمراننج وقال له هل تستطيع أن تأخذنى ليلاً إلى هذا الطريق فقال نعم أستطيع فأعدوا ثلاثة آلاف رجل مدجج وتقدمهم بهرام وكان عمر هو الدليل والمرشد ، وكان الجيش قد وصل نهراً إلى نجاه هزار وتوجه بقية الجند إلى تمشيشة وتحاربوا فظل الإصفهبد غافلاً متحيراً وقال إن الولاية مزدانة وليس من الخير أن يتشرد المسلمون واستدعى إبراهيم يوسفان ومنحه جوادين منتقين ثم قال له يجب أن تبلغ سارى فى هذه الساعة وأبلغهم بالوضع حتى يهب الناس ، وعندما وصل إبراهيم يوسفان كان الجيش المغير قد وصل قبله وقام بالإغارة وبأفعال شنيعة وعاد وقت صلاة العشاء وحضر إلى قرية جارمان ولم يعلم الإصفهبد بما حدث وترك تمشيشة

للإصفهيد مرزبان وأبنائه واصطحب معه حسن بادشاه مرزبان ، وكان يسرع في طوال تلك الليلة حتى وصل إلى مهرون وأمر بالاغارة على الجوانب فأُسروا منوجهر ودحملان وسهراب كردان ممن كانوا في معية بهرام وأحضروهم وقرروا أن يهجموا على جيش بهرام في جازمان ولكن أتباع الإصفهيد رفضوا هذا الأمر وتخلوا عنه ومضوا إلى ديارهم ولم يصحبه جند أنزان خوزستان الحالية ونجاه هزار ومرزبانى وسرا نشاور وسعيدوية وانضم إلى بهرام جند سدن رستاق مع أبناء الإصفهيد كيخسرو وكينخواز ورستم وأخواته ، وبالرغم من أن جند باول كانوا في أطراف وانواحي أمل فقد ظلوا مع الإصفهيد فاتجه إلى سارى وأقام بها وقاد محمد الحبشى جيشه إلى تمشية وخرج الإصفهيد مرزبان من تمشية ونزل في لنجروود وظل الأمير لشكرزاد الباوندى في تمشية وبعث بشخص إلى رستم بن دارا في نجاه هزار حيث قال له إننى بقيت متجراً وقد اتجه إلى الجيش من كل الجوانب فأدركنى لأن تمشية سوف تخرج من يدى فمضى رستم بن دارا ابن أخى الإصفهيد مع أخيه بهمن وأتباعهما إلى تمشية وكان الجيش يحيط بها من كل جانب فهجموا عليها واخترقوا صفوفها فاستغاث أهالى تمشية ، وعند ما علم الأتراك تركوا أميراً هناك وانضم محمد الحبشى إلى بهرام في مهروان وأقاموا معسكراً في شش كنبد "القباب الستة" وتحاربوا في الصباح وتوجهوا إلى سارى ومضوا إلى المعسكر إبان صلاة العشاء وهرب في تلك الليلة جيش الدابوى ولارجان وأمل ورويان جملة من عند الإصفهيد ولم يكن قد بقى مع الإصفهيد أحد قط من أهل باوند سوى كرشاسف كهستون وأخيه خورشيد وأبناء كرشاسف وقال رستم بن سراهنك سوف أقوم بغارة الليلة وسلكوا طريق لكوز بنية هذه الغارة وعجزوا عنها لغزارة الأمطار والثلوج لدرجة أنهم لم ير بعضهم البعض ، وعندما حل الصباح لم يكن قد بقى مع الإصفهيد أى مخلوق سوى عدة أشخاص ، فولى عنانه ومضى إلى إرم وأقام في خوازخان وحضر بهرام ومحمد الحبشى وكبود جامدة وباقي الأمراء إلى سارى وانقضت عدة أيام على هذا الحال فحضر الأمير أبو إسحاق ليور مع كافة جنده إلى الإصفهيد وحضر إلى الخدمة أمراء إيزاباد وآل قارن وهم أبو الفضل ووشمكير وشهر اشوب ورستم وبهمن واختيار وياكاليجارن باجعفر مع كافة أفراد آل لورجان ، وأقام الإصفهيد المعسكر في برنج

بأثران واختار منهم مائة رجل وجعل أبو الفوارس كور على رأسهم وبعث به إلى دابو ليضمهم في سفينة ووصلوا جميعهم إلى تميشة لمساعدة رستم دارا ابن أخي الإصفهيد حيث أرسل بكبورجامة من ساري إلى تميشة مع كافة الباونديين الذين كانوا مع بهرام واستمرت المعركة في تميشة شهر وثمانية أيام فلم يفوزوا بشيء قط مع رستم بن دارا ابن أخي الإصفهيد وفي آخر الأمر هبت ريح ساخنة أضرمت النيران في الأكواخ لدرجة أن تميشة قد احترقت عن آخرها بحيث لم يبق بها عود من خلال واستمر اندلاع النيران طوال الليل ، ومهما قال الناس لرستم ارفع يدك عن تميشة إلا أنه رفض وقال إن القلعة صامدة في مكانها وإن يكن منزلاً ولن أذهب إلى عمي مهزوماً مادمت حياً وكان معه أحد الخدم القدامى للإصفهيد قال له سوف نعتذر عن ذلك لعمك فلا تهزأ بنا وينفسك ومضى إليه إبراهيم بن يوسفان وأبو العباس سورتيج وعلى بابي ولورجان ، وقالوا نحن جميعاً عبيد عمك وثقاته وسوف نعرض له هذا الوضع فقال لهم إذن يتولى كل منكم أمر نفسه وخرج رستم متجهاً إلى رستاق وذهب معه أخوه بهمن وكانا يشاهدان الجميع على ضوء تلك النيران ولم يجرؤ شخص على أن يسدد إليه سهماً وأنطلق باطايي من رستاق سدن فتعقبه وأمسك بأذيال دروعه فضربه رستم ثلاث ضربات بالسيف فسقط في الحال فلم يتعقبه شخص آخر قط ، وأوصل تلك الجماعة التي كانت بصحبته بسلام وذهب إلى قوهستان وأغار على منازل الباونديين وأهلها الذين كانوا مع بهرام واستولى على كل قوهستان من سدن ستاق وحتى نجاه هزار وجمع الجيش وقبض في تلك الليلة على عدد من جنود باجيلي الذين كانوا في تميشة وقطع رستم عليهم الطريق بحيث لم يكن لصبي المجيء من إستراباد إلى ساري ، وخرج من ساري متجهاً إلى تميشة حيث كان جند ساري يأتون محملين بالأمثلة والدواب ليخرجوا بها وعلم رستم بالأمر فحضر إلى كوكيرد على حدود تميشة ونظم الصفوف ، فلما وصل الأتراك تحاربوا حتى حلت صلاة العشاء فتركوا كل شيء وتركوه له وفروا فأخذ كل شيء ورده فكان يطلب أرباب المواشي ويرد إليهم مواشيهم وبعث أخاه بهمن إلى كوهسار وكان قد قدم إلى بهرام باونديا من قرية ستا وكان بهرام قد أسند له قيادة جيش كوهسار وأنزان وينجاه هزار وعندما عرف بهمن بن دارا أنه لم

يكن معه خيل^(١) أتى وأدركه وقامت بينهما معركة وعندما سمع الأهالي اسم بهمن هربوا ، وقد تصارع محمد الذي كان قائد جيش بهرام بالسيف مع بهمن وأخذ يتبادلان الضربات بالسيف وفي النهاية ضربه بهمن بالسيف على كتفه فطرحه ثم فصل رأسه ومعنى إلى قرية باسند وأقام هناك وطرده نصير الدولة منها^(٢) ، ولا يزال إلى الآن يطالب بحقه فيها واستولى رستم على كل منطقة فوهستان من ليلوار وسعيدة دية وسرانشاور، وكان على بن الليث قد تحالف مع أتراك دامغان وزحف بالجيش وأغار على زارم واستقر بها وعلم رستم بهذا ، فقام بالهجوم عليه وتحارب معه وهزمه فذهب إلى دامغان وعاد رستم إلى ليلوار وأقام بها لأن رستم بن كيخسرو، وكان يغير بجيش الأتراك في كل وقت على ليلوار وقد أعطاه بهرام رئاسة شرطة درويشان وعندما علم الإصفهبد علاء الدولة بهذه الأوضاع بعث يزداد وكوشيار وبهمن بن كيخسرو بن كيسليان ليهجمان على شهر اكيم سنكور والذي كان في خدمة الإصفهبد وقد تخلى عنه والتحق بخدمة بهرام ، فقبضا عليه مع كل من يادشاه شهراكيم ويادشاه دارا وإسكندر بن سيادش والذين كانوا جميعاً من آل باوند كما قبضا على أبناء "بيله كلاوه دوين كيخوار" وناما كوش وعامل بهرام إبراهيم القصاب وأصدر أمراً بقطع عرق^(٣) بادشاه دارا وقتل إبراهيم القصاب وتاب شهراكيم على يد الملك علاء الدولة وبعد ذلك استدعى الإصفهبد كجمج ابن غازي وكان يتولى قيادة دامغان من قبل السلطان شخص يدعى طغرل فيحمله رسالة إليه يقول فيها إن أتباعك لا مناص لهم من ولايتي وكان معه بهرام وإن أتركهم ليقيموا هناك فحينما أصل إلى إستراباد التحق بنا فأجاب طغرل قائلاً سوف أنفذ الأمر وعلى هذا الأساس أعطى فرامراز النجرود رسالة يقول فيها أنا مطيع للإصفهبد أما مرشا سف بالمن فقد قال إن محمد الحبشي قريب

(١) تصحيف في العبارة كه أو أسبان توست والناشر لم يدرك معنى الكلمة إشارة إلى عدم فهمه للسياق لأنه قد رد المواشي لأصحابها ولم يكن لديه خيل فتكون العبارة على هذا النحو "كه او اسبان نداشت" بدلاً من "كه او اسبان تواست" (مترجم) .

(٢) أرجح أن تكون العبارة على النحو التالي " ونعير الدولة از آن راند" بدلاً من ونعير الدولة از أوند رغم أن الناشر وضع علامة الاستفهام لأنه لم يستطع أن يؤول العبارة (مترجم).

(٣) نوع من العقاب كان موجوداً آنذاك وهو قطع عرق القصب المتصلة به سائر العروق البيضاء المنتشرة بالجسم (المترجم) .

بالنسبة لى والإصفهبد بعيد فلن أكون معه وسوف أقف على الحياذ ولن أنضم إلى الاثنين فلما عرض الأمر استدعى الإصفهبد جيش طبرستان ورويان ولارجان وأمل وقدم إلى تمشة وأقام بها وعلم كل من محمد الحبشى وبهرام بما يدبره الإصفهبد فقالا يجب أن نتدبر أمرنا فقال ابن تنش لمحمد الحبشى لو أن الأمير يعطينى الجيش أذهب إليه فى تمشة وأهزمه فأعطاه محمد الجيش كل الجند وقدم إلى بسك وبيجا كلاتة وأقام المعسكر وكان يأمر بالهجوم يومياً على رستاق سدن فأعطى الإصفهبد الجند لابن شاه غازى رستم وقال له امض إلى نار ولى وحاربته إذا ما خرج ، ولما ذهب الإصفهبد رستم إلى هناك كان الجند قد عبروا من نهر الغم واشتعل القتال ودخلت صفوف الجند من كل ناحية وأخبروا الإصفهبد أن الابن يقاتل فركب فى الحال وأخذ يتعقب ابن "تنش" رويداً رويداً ولما وصل الإصفهبد إلى هناك كان رستم قد أنزل الهزيمة بالأتراك وغرق بعضهم فى نهر نم وقبضوا على ياغى "متمرد" والذى كان أميراً فى ذلك الجيش "ابن تنش" وأحضروه إلى الإصفهبد فأمر بقطع رقبتة وكان فى رستاق سدن رجل يدعى على شوزيل والذى كان يملك قلعة روهين ، وكان الإصفهبد قارن قد انتزعها منه وبعده استولى عليها فخر الملوك رستم فلما توفى قام رئيسها بحرقها واستولى على كل ما كان بها وذهب إلى شهریار كوه فكتب على شوزيل بتلك القصة ، وأرسلها إلى السلطان حيث قال له إن هذه القلعة تخصنى وقد انتزعوها منى عنوة وخربوها فلو تسمح لى بأن أعمر بيتى ، فأمر السلطان بأن يسلموها له فقام بتعميرها وأقام بها ووضع فيها المؤن فلما فرغ من معركة نار والى أمر ، ابنه رستم بأن يمضى وأن ينتزع القلعة منه فذهب شاه غازى إلى هناك وحارب مدة شهر وفى آخر الأمر استجار على شوزيل وخرج من القلعة وسلمها له فأتاب الإصفهبد رستم عليها إبراهيم بن يوسفان وجاء إلى تمشة لدى والده وبعد ذلك رحل الإصفهبد واتجه إلى إستراباد ونزل إلى ميدان فيروزى وفى نفس ذلك اليوم جاء كل من فرامراز وطغرل لدى الإصفهبد وأرسل إلى محمد الحبشى رسولاً ، حيث قال له سلمنى بهرام ولو فعلت خلاف ذلك فسوف أقاتلك ولما سمع محمد الحبشى بالرسالة قال أنا عبدك المطيع لأمرك وأخذ الجيش فى الحال وحضر إلى يوكرد وقاد الإصفهبد إلى بوابة جرجان ومضى محمد الحبشى إلى رباط وياره ، وحضر الملك علاء الدولة بالجيش إليه وطردهم من ذلك الجانب من النهر فقاد محمد الحبشى القلب دفعة واحدة فانهزم فرسان الإصفهبد فتقدم المشاة إلى الأمام لمواجهةهم وقاتلوا بالسيوف والحراب وعاد الفرسان ثانية

وهزموا محمد الحبشى وترك الطبول والأعلام وطردوه حتى دهستان وكان عدد القتلى بلا حساب ، ومضى الإصفهبد إلى جرجان ونزل فى القصر وأرسل كجمج بن غازى إلى محمد الحبشى فى دهستان حيث قال له ابعت بهرام إلى وأن لا يقيما فى دهستان لأنى سوف أتى وأخرجك منها وعندما سلم كجمج الرسالة قال لن أسلم بهرام ولكن سوف أمضى من دهستان إلى خراسان ، وأقام خيمته وسط المعسكر وكان على زرين كم أخو بهرام فى الرضاعة رجلاً شجاعاً ومقاتلاً مشهوراً ومر على خيمته فأمر كجمج واحداً من حاشيته أن يستدعى ذلك الرجل إلى خيمته ولا تخبره من أنا ، فحضر لديه زرين كم إلى خدمته ليعلم من يكون ذلك وعندما دخل الخيمة لم يتعرف على كجمج وعاد ليخرج وقبض عليه كجمج بمساعدة خمسة أو ستة أشخاص وقيد يديه وكمم فاه ووضع فى جوال وأمر بإغلاق الجوال وبعث إلى محمد الحبشى بأننى سوف أرحل فحصل على الإذن ووضع مريبوطاً على الجواد بحيث إن الجند لم يقفوا على الأمر ووصل إلى الإصفهبد فى تمشة وأرسله إليه كهديّة وكان الإصفهبد قد عانى منه فأمر بأن يحملوه إلى قرية شادمان وأن يقطع عصب قدمه هناك ومات فى نفس الوقت ثم نزل الإصفهبد إلى جرجان وأرسل منادياً ينادى بأنه امتنع عن الغارة والكر والسلب والنهب وفوض المدينة إلى إيل طغان والذى كان رئيس شرطة جرجان وعاد هو وعندما قدم إلى حدود كلبا كان هرب من أمامه كرشاسف والذى لم يكن إلى جواره فى تلك الحرب لأنه قد عصى فرامراز، واعتقد أن الإصفهبد سوف يقضى عليه ليستميل فرامراز فقال الإصفهبد لن أرحل من هنا حتى تأتى أنت وكان قريب الإصفهبد من ناحية الأم ولما علم أن الإصفهبد يريد القتال عاد إلى باب الإصفهبد فاستبقاه عنده عدة أيام مع فرامراز ثم سمح للثنتين بالرحيل وذهب بهرام إلى إنرو ظل عنده لمدة عام وعندما قتل الإسماعيلية إنر مضى بهرام من هناك لدى السلطان مسعود وطلب أن يعطيه الجيش حتى يستولى على الولاية من أجله .

"مؤامرة قتل بهرام"

عندما وصل هذا الخبر إلى الإصفهبد استدعى كبار الأعيان وقال لقد اقتترف بهرام فى حقى كل ما لا يليق فتارة يتحالف مع الإسماعيلية لقتلى وتارة أخرى يوشى على لدى السلطان ، ومهما أقول له الزم قصرى حتى أعطيك ولاية فلا يصغى إلى ولأنه قد جمع جيشاً مرة أخرى وهو قادم إلينا ، وكان والدى حسام الدولة قد قال لى إن بهرام هذا عنيد وسوف يكون موته على يدك وأنا سوف التزم بذلك فإن أمسكت به يدى

أمر بقتله ، فقال الناس ما رآه الإصفهيد هو صواب « لرستم بن شهر يوشن » وما رأيك فى ذلك فقال رستم الأمر للملك وفى مثل هذه الظروف لا يمكن لشخص أن يقول سوى أن نفعل بالضبط كل ما يكون فى صلاح الملك ونحن لن نسلمك لمخلوق قط ، قال لعلى بن زيار وماذا تقول أنت فإن هذا الأمر يجب عليك أن تقوم به حيث إن لك أقارب فى جرجان و تلك الحدود ، فقال عندما يأذن لى الملك أقوم بتنفيذ الأمر ولكن يجب على الملك أن يمد يده إلى عبده ويقسم بأن رضاه فى هذا الأمر، وكان الأمير على بن زيار هذا رجلاً شجاعاً وجرىء من آل باوند وعاقلاً وكان أهل الولاية يحبونه كما كان ذا رأى حسن التدبير والمشورة وقال إن هذا الأمر سوف يتيسر بالأناة والصبر والهدوء وسوف أبعث بشخص فى البداية لأقف على أحوال ذلك المكان ولأحسن تدبير هذه المهمة ، وكان أحد أتباعه يخدم فى رستاق كش فاستدعى ذلك الرجل ثم قال له يجب أن تذهب إلى بكر آباد فى جرجان فى تلك المحلة حيث يوجد بهرام وأن تتفحص ما فى ذلك البيت وتلك الحارة وتعلم ما بها ، وأن تقف على كل من يقيم فى بكر آباد من الأتراك ومن يكونون ، فذهب ذلك إلى هناك وفق ما أمر به وفحص الأوضاع وتيقن منها وعاد قائلاً إن فى جواره رجلاً يدعى ياغى وهو ابن إسماعيل الحبشى والجند بوجودون بكل بيت فى بكر آباد وقد اجتمع هناك كثير من الناس فأمره بأن يمضى إلى هناك وأن يتردد على ذلك المكان مرتين أو ثلاث كل يوم حتى يصبح مألوفاً بينهم ؟ ونفذ ذلك الرجل كل ما أمر به وحضر على زيار أمام الإصفهيد وطلب منه أن يبعث عدد من خاصة معه ، فاصطحب الإصفهيد حسن بن إبراهيم شيركا هى من آل قارن وأبو الفوارس اللبورجى وباكاليجار الكوسارجى وعلى كورسلار كيسمانج وأخيه إلى على زيار حتى وصل إلى جناز وأقام بها ، ورقب من هناك كل شئ ثم توجه على زيار إلى بكر آباد إلى تلك الحارة حيث يوجد بهرام وكان جاسوسه فى المنزل وحصلوا على سلم ووضعوه على الجدار وقال على زيار من هو الشخص الذى سوف يصعد هنا ويقتل بهرام فسوف أقف أنا عند الباب ولن أدع أى مخلوق قط يخرج من ذلك المكان فصعد كل من حسن شيركا هج وأبو الفوارس اللبورجى وباكاليجار الكوهارجى فوق الجدار وكان الجاسوس قد فتح أبواب المنزل فاقتحموا المنزل بكل جسارة وإقدام وكان بهرام نائماً وبجواره اثنين كانا نائمين أيضاً ، فأشار الجاسوس لهم على « بهرام » من بين هؤلاء الثلاثة وطعنوه بالسهم والسيف فحاول أن ينهض ولكنهم لم يواتوه وخرجوا

سالمين وكان لفان يحتسى الخمر بجواره ولم يعلم بالأمر ، وكان الملك مسعود قد نزل إلى جرجان في قصر شمس المعالي قابوس ووصل على بن زيار مع هذه الجماعة الذين قتلوا بهرام إلى يكتاجنار عن طريق بول سرخاب وكان الوقت نهائياً حين وصلوا إلى كلبايكان ووصلوا إلى الإصفهبد بسلام فعلم أهالي "طبرستان" بمقتل "بهرام" فوطن الجميع قلوبهم من عام وخاص وشريف ووضع على ملك علاء الدولة وزادت هيئته ، وانصرف حكام الأطراف عن إثارة الفتن والاستبداد وأجلس هو سلقام خاتون في ساري وجعل السيد يعقوب المجوسي وزيراً لها وخصص لنفقتها " إرم " و " جمنو " و " تار " و " أهلم " والمواضع الأخرى وبعد فترة اسلم الوزير يعقوب وأسند الإصفهبد إليه وزارته ولا يزال قصره وحمامه مزدهراً بالعمران به أمل وكان هناك والياً في مدينة أمل من قبل السلطان و الذي كان يدعى الأستاذ العميد وكان اسمه بناخسرو ، وقد كان من أبناء خسرو يرويز وكان صاحب علم وفضل ومعروف وكانت له جارية تدعى "دلارم" فبعث إليه الإصفهبد وقال له: بعني جاريك فقال الأستاذ العميد هي ليست للبيع فركب الإصفهبد من " ساري " وفي خلال يوم كان في مصلى " أمل " وبعث خمسين فارساً إلى منزله وأمرهم بإحضار الجارية وحملها إلى " ساري " وكان الإصفهبد يميل إلى تلك الجارية وقد توفيت قبله في الحى الموجود أمام قصر " شهرستان " والحمام المنسوب إليه ، فأمر بإنشاء خانقاه وقبة وخصص أوقافاً كثيرة لذلك وقد دفنها في هذا الموضع وقد ظلت عمارة الخانقاه قائمة في مكانها حتى بعد أن أحرق المؤيد ساري وما تزال القبة عامرة في مكانها إلى هذه الساعة ودلارم مدفونة بها من المودة في حقه وبعد عدة أيام مرض رستم بشدة وسبب ذلك أن خاتون أخت السلطان التي كانت زوجة أبيه كان يجب أن تكون مازندران لها وأدركت أنه لن يسمح بإعطائها لها فتحالفت مع علاء الدولة فأمرت بدس السم لرستم وتوفى في أصفهان ودخل جميع جند شهر ياركوه في طاعة علاء الدولة ، وبعث السلطان فأخذ الخزائن والدواب وكل ما يخصه ، وقال : لقد كان عليه حقوق كصداق لأختنا ولم يهتم علاء الدولة بتركها .

أساس خلاف فرامرز مع الإصفهيد

عندما تربع الإصفهيد (علاء الدولة على بن شهرار بن قارن) على عرش "طبرستان" بلا منازع توجس خيفة منه فرامرز بن مرد اويج، لأنه قد أقترف مساوئ كثيرة في حق "الإصفهيد" فكان يتظاهر بالولاء له وكان يكتب في السر إلى السلاطين في ذمة ووشايته وكان الإصفهيد يعلم بكل هذا وكان الإسماعيلية قد استولوا في هذا العام على "الديلم" وكانوا يقيمون قلعة "كلاجة كوه" فذهب الإصفهيد إلى درويشان ونادى بأنه سوف يهجم على قلعة "كلاجة كوه" وجمع الجند وكان "فرامرز" قد أقام في "استراباد" وكان أبو القسم البقراني وسيف الاسترابادي قد أتوا برسالة إلى الإصفهيد فركب الإصفهيد ومضى إلى تميشة وعلم فرامرز عن طريق جاسوسة أن الإصفهيد وصل إلى تميشة فهرب ومضى إلى قلعة بالمن منزل الإصفهيد بظاهر القلعة وضربوا الخيام في تله دشت وهجم على كافة أطراف بالمن وحرقها وبنهبها وكان لدى فرامرز في القلعة كثير من الناس والدواب فنزلوا بعد شهرين طالبين الأمان، وقال فرامرز: أنا مذنب وأنت الملك وليس من العجبان أُرهب جانبك ثم بعث الأمير "ورداشاه" الذي كان ولي عهده، كرهينة لدى الإصفهيد ومعه هدايا ومجوهرات فوافق الإصفهيد ونظراً لأن أبناء السلطان محمد أعلنوا الخروج على سنجر وكان السلطان سنجر قد وصل إلى بسطام وأرسل إليه قائلاً بأن تتضمن إلينا بنفسك فجز الإصفهيد نفسه وجمع الجيش وكان السلطان قد مر من سمنان ومضى الإصفهيد إلى ويمية بنية الذهاب إليه فجاء ثقاته وأخبروه بأن أبناء أخي السلطان حضروا جميعاً عنده في الري فأوقف القتال وعاد الإصفهيد في الحال وجاء إلى ساري وأجلس شاه غازي رستم في ارم وأنداك أخذت خاتون السلجوقية الأذن من الإصفهيد لزيارة قبر أبيها وأخيها وكانت قد تقدمت في العمر وكانت سيدة مصلحة وزاهدة في الحياة وعندما نظم سنجر شئون العراق أخبروا الإصفهيد بأن السلطان سوف يرسل مسعود بالجيش إلى ولايتك فبعث الإصفهيد (ابنه) شاه غازي رستم بالجيش وأمره بأن يأخذ حيطه في ارم وبعث على زرین كمر برسول إلى شاه غازي في مضيق كليس بأن السلطان مسعود قد وصل ولن أسمح له بالدخول فأرسل إلى بالمد فركب شاه غازي ومضى إلى دربند كولا وأقام المعسكر بها وأمر بأن يفسح له

الطريق فأنا كفيل به ولما وصل مسعود إلى كردآباد أرسل له الإصفهيد ابق حيث أنت حتى تقول لنا بأية نية قد أتيت فأن كنت قد أتيت بنية الخصومة فلن أدعك تتقدم أكثر من هذا وأن كنت قد أتيت بنية أخرى فأعلن لنا عن قصدك فبعث مسعود بالتحف والهدايا وبرسالة مفادها أنى حضرت لأترك أبنائى عندكم وأحل ضيفاً عليكم ولهذا سلكت طريق استرآباد وأقسم بالأيمان والعهود على ذلك فأنزله الإصفهيد فى منزله واستضافه ثلاثة أيام وقدم إليه الهدايا واصطحبه بعد ذلك ومضى به إلى سارى وقد صحبة الأصفهيد حتى يلجم وأنزله فى قصره فى حر المدينة وكان موسم الشتاء قد حل وكان مع مسعود كثير من الجند وطلبوا من الإصفهيد بعد شهر السماح فأعد لهم خمسين رأساً من الخيل وخمسين بغلاً للأحمال ومائة زى رومى وبغدادى ومائة مجموعة من الطرف المازندرانية ومائة درع وعدة حرب للخيول لمائة من الخيل وعدة حرب من الفرسان ومائة جعبة للسهام مع سهامها وأقواسها ومائة من آلات السلاح وقدم له أيضاً الهدايا وسمح له بالرحيل ومضى معه الإصفهيد شاه غازى حتى ركوند وأصدر أمراً لاسترآباد بأن يزودوه بالأعلاف، ولما وصل مسعود إلى جرجان تقرب فرامر بن مرد أويج منه بالرغم من أن ابنه وردا نشاه كان لدى الإصفهيد وأخذ يدس على الإصفهيد بالغمز واللمز وقال له لو تعطينى المدد والعون فسوف استخلص تلك الولاية لك فلم يلتفت مسعود لكلامه لسوابق الإحسان التى قدمها إليه الإصفهيد وأمر باعتقاله وأغر على كل جيشه وصادر كل أملاكه عقاباً له وأرادوا أن ينزلوه من القلعة ليسلمها فتوفى آنذاك.

تغير موقف السلطان سنجر من الإصفهيد وإرسال أرغش

كان السلطان سنجر لا يشعر بمودة للإصفهيد لعدم حضوره لمدته من قبل فبعث بأرغش الأرغوانى لينتزع طبرستان منه فبعث أرغش الأرغوانى إلى مسعود فى جرجان بأنى سوف أحضر لمساعدتك حتى تنتزع شهربار كوه من الإصفهيد فقال مسعود طالما أنى سأقوم بهذا العمل فما حاجتى إلى مددك ؟ ورحل أرغش وتحرك آنذاك الى العراق وذهب إلى سنجر وكان مرد أويج بن كرشاسف فى قلعة جهينة فأخذ القلعة منه وهرب مرد أويج من قيده وحضر إلى خدمة الإصفهيد وكان مرد أويج هذا غاية فى التهور والحماسة وكان يقوم بأعمال غاية فى العجب وعندما استولى

أرغش على جهينة مضى إلى ظاهر قلعة بالمن وكان فيها الأمير على أخووردا نشاه بن فرامرز، فحاصرهما وضيق الحصار إلى أن نفذت المؤن فسلموا القلعة لأرغش مضطرين، وحضر كلا الأخوين وردا نشاه وعلى إلى بلاط الإصفهبد عارين مجردين من الملك، فعين لكل واحد منهما خراجاً، وأمر بالعناية بهما، وزحف أرغش بالجيش إلى استراباد، وأقام المعسكر على حدود لا ميلنك فبعث الإصفهبد الجند إلى تميشة وظل أرغش على هذا النحو مدة ستة أشهر كي يأتى إلى تميشة ولكنه لم يقوى على المجيء إليها فاستدعى شخصاً يدعى على شوزيل وقال له دلنى كيف أستطيع أن أدخل إلى شهریار كوه؟ فقال له: لا تطلق العنان لأوهامك، فلن تقو على عمل شئ مع الإصفهبد فقال: لقد استوليت فى خلال فترة وجيزة على قلعتين مثل جهينة وبالمن فلماذا لا أستطيع أن اقتحم لك المكان؟ فقال على شوزيل أن أصحاب القلعتين قد ماتا، وأنت وجدت بهما أطفالاً فعد بكرامتك فأمر الإصفهبد وشهريار كوه شئ آخر، فأدرك أرغش أنه يقول الصدق وعاد من هناك إلى السلطان.

أحداث قتال الإصفهبد مع جاولى

كان "الإصفهبد" فارغ البال، إلى أن قام أعوان جاولى بالاستيلاء على قلعة سنواته كوه من أعوان الإصفهبد خلصة وكان جاولى رئيساً لشرطة الرى وأمل من قبل السلطان سنجر فبعث الإصفهبد إليه كي يترك القلعة له فماطل جاولى فبعث الإصفهبد بالجند إلى أمل وطرده نائبه منها، وحصل بضعة آلاف من الدنانير كضرائب من أمل فهرب رئيس الشرطة جاولى إلى قلعة دار فبعث الإصفهبد إلى شاهنشاه برسالة بأن تسلمنى رئيس الشرطة فرفض وقال إننى لن أفعل هذا وبعث جاولى برسالة إلى السلطان بأن الإصفهبد استولى على الولاية منى فأمره بأن يذهب إليه ويستردها منه ، فأخذ جاولى الجيش وقدم إلى "بسطام" واتحد فرامرز النجرود مع جاولى ، وكان يحرضه على الفساد أكثر، فبعث إليه الإصفهبد "بعلى كولايچ" بأنك تكتب لى فى كل وقت بأنك لا تنسى (*) حقوق خلعتى وسلطانى عليك ، وكنت منافقاً دائماً وقد اقترفت من السوء ما جعلك تتفق مع "جاولى" فندم "فرامرز" وقال أن الحق مع "الإصفهبد"

(*) كله حقوق خلعت من فراموش ميكنى "خطأ فى النص لأن العبارة بالإثبات ويجب أن تكون بالنفى لتناسب مع السياق - (المترجم) .

وإننى أتقدم بعد هذا بمنتهى الإخلاص والعبودية ، وسأجتهد فى إنفاذ كل ما يأمر به الإصفهبد وكان الإصفهبد يعلم بأحوال "جاولى" يومياً ، وعندما علم شاهنشاه بن شيرسوار أن الإصفهبد مشغول بجاولى أرسل رئيس شرطة ويدعى "منكبة" إلى "أمل" وأقام معسكراً فى "أنجيلكن" وبعث له بالمدد ، وكان رعايا "أمل" متواطئين مع رئيس الشرطة وكان جند "لارجان" و"رويان" و"واميدوار كوه" و"شلاب" معه ، فزحف "الإصفهبد" من "دورويشان" على "أمل" ، وهزم ذلك الجيش ، وقتله وقبض "تريمان شرنيل" و"بجتيار كرد" على "ناصر الكبير" وأحضراه أمام الإصفهبد ، ورحل الإصفهبد من هناك ، وقدم إلى "شهریار كوه" وأخبروه بأن "جاولى" يأتى من طريق "كنيم" ، فذهب الإصفهبد بجيشه إلى "خروت" وأقام معسكره ، وعلم "جاولى" بأنه لا يمكن المضى فى هذا الطريق فاتجه ، إلى "سمنان" فذهب "الإصفهبد" إلى بریم ، ووصل رئيس شرطة أمل مع جند رويان ولارجان وجلاب إلى جاولى وأعطاه ألفى رجل ، وأتوا إلى أمل عن طريق جلاب وقالوا سوف نحارب الإصفهبد فلما بلغه الخبر استدعى فرامرزين رستم الذى كان ابن أخيه ، وأمره بالهجوم على أمل من فریم وكان أتراك جاولى قد نزلوا فى قراكلاته للتحصن ، فنزل عليهم الجيش بغتة فكل من تقدم كانوا يقتلونه ومن لم يتقدم هرب ومضى إلى جاولى واستولى جيش الإصفهبد على دوابهم ومتاعهم وعادوا جميعاً إلى الإصفهبد الذى منحهم جميعاً الخلع والألقاب وأمر لهم بمزيد من الإقطاعيات وعندما رأى جاولى أهله وأعوانه على هذا الصورة ذهب مضطراً إلى يرغش ياداشت وأتخذ مساعداً له وحضر إلى ويمة وبعث إلى أهل كج أرسلان وخدعهم فحضر كثير منهم إلى يرغش ياداشت وجاولى فأدخلوهما إلى دربند كليس ومضى الإصفهبد بریم إلى نارم وميان رودان وتسلط أهل كج أرسلان على يرغش ياداشت هو وفرقته من دون جاولى ومضوا يغيرون ويحرقون حتى إسراف رستاق فأرسل الإصفهبد كجمج بن غازى حتى يتعرف على الأوضاع فبعث إليه بأنهم جيش جرار فلتأمر بإرسال الجيش من المشاة حيث أن الفرسان معى عساي أخرجهم من إسراف فبعث الإصفهبد إليه جيشاً من المشاة ولما وصلوا الى كرك ساوه قال كجمج بن غازى أن جيشهم جرار ونحن لا نقوى على الوقوف أمامه فلنعود من هنا لنتحصن وحينما كانوا على هذا الأمر وصل الخصم فجأة وبدعوا الحرب وانتصروا على جيش الإصفهبد وطردوهم من كرك ساوه حتى قلعة كوزا وتقدم

الخواص مرة أخرى فتقهقر الخصم وعاد وعندما وصل الخبر إلى الإصفهيد سلم لكجمج بن غازي كل من محمد سبكتكين وجارق وكجمش بن غازي مع أقربائه ومن غلمان والده غزاغلي والتونتاش أمير الصيد والتونتاش روس وسنقر الدهستاني وخمسين شخصياً آخرين من غلمان والده ومن أعوان الإصفهيد يرغش وبشه وسنقرجة ومنته ومائتين وخمسين غلاماً تركياً وسيرة فوصل إلى هناك وأقام الكمين ثم توجه إلى الخصم مع عدد محدود فأقبل الخصم عليه وجاعوا نحوه فسقطوا جميعاً في الكمين وقتلوا ووقع في الأسر كل من محمد كجكنة وقوشة ومومن كور ومحمد يلمه وسليمان ومائة شخص آخرين من أهل كج أرسلان وجاعوا لدى الإصفهيد في قرية أنارم فوقت جميع الأسرى المعسكر من ورائهم وكانوا يسبونهم ويصفونهم على هم ووصل على شهردار وأمسك بالحية محمد كجكنة وكانت له لحية طويلة ووجه له سيلاً كثيراً من الصفات على قفاه ثم أطحبه إلى بيته بحكمائه كان صديقاً قديماً له حتى لا يقتله الملك ومضت عدة أيام على هذا فاستدعاهم الإصفهيد عنده ولا مهم ووبخهم وأمر بفك قيودهم والعفو عنهم وسقط الجميع على وجوههم ومرغوا أفواههم في التراب وأحضر جند جاوولي إليه جاسم رجه وكركة ساوه وحك أسيرين عراه مهزومين واتجه جميع جنده إلى أمل وأقام معسكراً على رودبار أمل وكان الإصفهيد في أنارم فأخذ رستم دابو والإصفهيد كيخسر ونيران على أطراف أمل وكان أبو جعفر بن القسم خذيكام قائداً لجيش شاه غازي رستم وكان قد استقر في قرية قطري كلات وكان يشن هجوماً على أمل يومياً ويقوم بالسلب والنهب كل ليلة بحيث لم يكن جند جاوولي يستطيعون ترك خيولهم بعيداً عنهم ولا مغادرة المعسكر قط وسقطت الثلوج والأمطار والصواعق فأرسل إلى الإصفهيد قائلاً لقد أصابنا العجز واليأس وليس لدينا مؤن ولا أعلاف للجيش فأجابه إنني لا أقوى أن امنع الحكم السماوي ولكن أستطيع أن أمرهم بعدم التعرض لك حتى يذهب جندك في أمان للحصول على المؤن ولم يثق جاوولي في هذا الكلام وأصيب جندة بالملل والضيق فكان يصيبه في كل يوم نوع من الخل وتنقل الرسل بينهما وحضر رعايا أمل لدى الإصفهيد وتشفعوا لديه أن ظلم الأتراك قد فاق الحد ونحن أصبحنا عجزة ومساكين وكان الإصفهيد عادلاً لدرجة أنه رهن العزبة التي كان يملكها بأربعة عشرة ألف دينار أملى وكان يعطي ثلاثمائة وأربعمئة دينار لكل من يمد له يد الحاجة والسؤال ونشر الإصفهيد حمايته وعدله وعنايته حتى إن

أثرياء أمل كانوا يهربون من طاعة السلطان ويلجأون إلى حمايته وقد رد الإصفهيد كل ما كان قد أخذه من ضرائب أمل إلى جاولى وكان لجاولى آلا على الإصفهيد فى الفترة السابقة فأصدر الإصفهيد أمراً لرستم بأن يحضر جاولى إلى ارم ويستضيفه فبعث شاه غازى أعيانه إلى أمل وأحضره إلى ارم واستضافوه سبعة أيام ولم يدع أحد من جنده إلا وقام بتشريفه وأمرهم بمزيد من الهدايا لدرجة أن جاولى أصابه الحرج والخجل وطلب الأذن بالانتقال إلى العراق وقام الإصفهيد بتوديعه حتى ويمه.

واقعة طعن الإصفهيد رستم بحربة ملحد إسماعيلية

عندما انقضت فترة بعث السلطان سنجر برسول (إلى الإصفهيد علاء الدولة على) بأنك قريباً ومنذ فترة وأنت لم تحضر إلينا فحاول أنت بقدر الإمكان لترانا فرد الإصفهيد لقد بلغ بى العمر وأمسيت شيخاً وعندى أبناء جديرون بالحضور إليك ، وسأرسل إليك ممن تختاره منهم، فلم يقبل السلطان العذر وأنداك كان مسعود قد حضر مرة أخرى لدى عمه فأسند إليه قيادة الجيش وأمره بأن يذهب إلى جرجان وأن ينتزع شهریار كوه من إيعطيها له فحضر مسعود إلى جرجان وكان الأصفهيد شاه غازى قد أغار على الملاحدة وكان على رأسهم رجل باوندى يدعى أبو جعفر فطارده حتى قتله ولم يكن يعطى الأمان لكل من يعلم أنه من الإسماعيلية ، وقتل كل أهل كيسليان وزنكيان وركونه لأنهم قالوا إنهم سوف يفسحون الطريق أمام الإسماعيلية وإذا أردنا كتابة شرح ذلك فسوف يطول بنا الأمر (*) ، إلى أن كان الإصفهيد "شاه غازى" يمر ذات يوم فى سارى فى حى مسجد زنكو فوثب ملحد من ركن حانوت وتعلق بالإصفهيد وطعنه بالسكين فتجمع رجال الإصفهيد فى الحال وضربوا ذلك الملحد بالسيف والرمح ولم يكن خنجره فى حد ذاته ذات أثر وبلغ الخبر علاء الدولة وكان يجلس فى البلاط فقال أن رستم إبنى لا يخشى خنجراً ولا سيفاً ودخل ابنه فى الحال فقال له كيف ضربت بالخنجر وكيف كانت الضربة أأست خائفاً فقال رستم بيمن مولاي مر الأمر يسيراً وكيف أخشى الخنجر والرمح فأرسل الإصفهيد وتصدق على المحتاجين بعدة آلاف من الدنانير ، ومضى شاه غازى من سارى

(*) إشارة إلى أن المؤلف يؤرخ للأحداث الهامة دون التعرض للأشياء الجانبية - (المترجم) .

إلى أمل وكان يصطاد ذات يوم فى صحراء وليكان وكان هناك اثنين من الملحين لبثا فترة فى خدمته كمهرجين وانتهازا الفرصة حينما كان الإصفهيد يشرب الماء فقام من كان يحمل رمحاً منهما بطعن شاه غازى فى كتفه فخرج من الجانب الآخر فقام حارس الإصفهيد ويدعى حسين شيرزى بضرب ذلك الملحد بالحربة فظهر ملحد آخر واستل خنجراً وأنقض على اتباع الإصفهيد وضرب عدداً منهم بالخنجر حتى قتلهم وذاع خبر أنهم قتلوا الإصفهيد وكان جانب الإصفهيد قد تمزق أما أمعاؤه فلم يصبها أذى وقام الإصفهيد ممسكاً بجانبه وقال إننى لا أخشى الموت وأنا سليم فاطمئن أتباعه وعلم الإصفهيد (علاء الدولة) بهذا الأمر فى درويشان فتطير بشدة وكان الخصم فى جرجان وأمر الإصفهيد بإعداد المائدة وتناول الطعام وركب وجاء إلى أمل ورأى ابنه فازداد تأله لأن الجرح كان غائراً وكان يبكى ليل نهار وكان يرسل الصدقات للمحتاجين والفقراء والسادة المصلحين وكان يفعل الخيرات .

"إرسال السلطان سنجر بابن أخيه السلطان مسعود لمحاربة الإصفهيد"

وصل هذا الخبر لمسعود فزحف بالجيش ليأتى إلى شهربار كوه ووقف مرد أويج بن كرشاسف الذى كان يعرف بفخر الملوك فى وجه مسعود وكان يقوم بدور المرشد ووصل من لنجروود إلى بيشره دشت ليدخل راه كنيم وترك الإصفهيد "علاء الدولة ابن شاه غازى رستم" مصاباً فى وليكان ومضى إلى شارمام وبلغ الخبر إلى مسعود فمضى إلى رسة دشت وأقام معسكره وكان الإصفهيد قادم إلى زارم فلما وصل إليها جاء جاسوس وأخبره بأن مسعود أرسل سابق القزوينى الذى كان محارب جيشه مع مرد أويج بن كرشاسف إلى تمشية ليدخلها غفلة وكان بادشاه مزرهان قد علم بهذا الخبر فاحتاط ورحل الإصفهيد من زارم عند صلاة العشاء وظل يسير طوال الليل حتى نزل بسراكاكاه أو بلمراسك وشت وكان مشاة مسعود قد وصلوا إلى تمشية وأخذ الفرسان يهجمون من كل جانب فجاء الإصفهيد من خلفهم وقتل أغلبهم وأسر بعضهم واستولى على كل ما وجدته وعلم كل من كان قد وصل إلى تمشية بوصول الإصفهيد فهرب متعقبهم فرسان الإصفهيد حتى وصلوا إلى قاضى كلاته وأمسكوا بعدد كبير منهم وقتلهم وأحضروا بحارى كنيخوار إلى تمشية وهم مكبلى الأيدي مع مائتين آخرين فأمر الإصفهيد بحبسهم ولم يقو مكاي قسط على الصمود حتى لنجروود ولبث

الإصفهيد ثلاثة أيام بتميشة وأقبل كيا الكبير الداعي إلى الحق الهادي مع خمسة آلاف ديلمى لمساعدة الإصفهيد واسترد شاه غازي رستم صحته ووصل بجيشه وخاف مسعود من الإصفهيد ونقل معسكره إلى ليورزن وقال أهالي طبرستان فلنذهب إليه ونمسك به فقال الإصفهيد أن مع مكعشاه بناته ونسائه فلا يليق أن تنتهك حرمة ، وكان لشعر فيروز بن مرأويج قائد جيش أنزان قد أقام في خلوب رودبار كلاته مع مائتي رجل وقالنا أذهب إليه لأنى أعلم بما هم مشغولون به فسمح له الإصفهيد بذلك وأرسل معه فارساً فمضى لشكر فيروز إلى جوار المعسكر فتعقبه جيش مسعود مع الأمير جاولى الذى كان بمارز جيشه حتى خلوب رودبار كلالده وقالوا أن رجالة قليلون فنأتى غداً ونقبض على تلك الجماعة وأرسل لشكر فيروز إلى الإصفهيد بأن سيأتى الجيش غداً إلى طريق شمشير برين ف لترسل بجميع الجند حتى أتولى أمر المهاجمين فأرسل الإصفهيد فى الحال شهراً سان بن اسان الذى كان قائد جيشه بكل الجند إلى لشكر فيروز فوضع الكمائن وفى الغد حيث وصل جيش مسعود فبدى لهم مع عدد قليل من جنده فأقبلوا خلفه فرأوا جيشاً مجهزاً فى الكمين فأنقض غلام من أتباع الإصفهيد يدعى بكمش فى الحال على صفوف الخصم وقتل رجلاً ثم عاد إلى صفوفه وجاء بكل آخر من جانب ثان يدعى منوجهر وقتل رجلاً كما أسقط البطل بامنصور آخر أيضاً وحمل أرغش غلام الإصفهيد عليهم بخيله وشتت شملهم وهجم مشاه الإصفهيد على وسط الجيش فتصدى لهم جاولى فرموه برمح فتصدى له بدرعة فلم يؤثر فيه وكان هناك غلام للإصفهيد يدعى كنبه ضرب سهماً فى صلب ظهره وسحبه من شعره المجهد وألقى به من على ظهر جواده وأحضره ماشياً إلى صفوفهم وانهزم جيش مسعود وأخذ كجمج وشهراسان يتعقبونهم حتى امسكوا بنصف جيش مسعود وقتلوه ووصل لشكر فيروز مع كل الجند إلى خدمة الإصفهيد ومنذ ذلك اليوم أرتفع شأن لشكر فيروز وزاع صيته وعاد مسعود إلى جرجان مهزوماً وقد وقع كل هذا فى عام إحدى وعشرين وخمسائة هجرية .

أيضاد السلطان سنجر بيرغش لقتال الإصفهيد للمرة الثانية

عندما بلغ هذا الخبر السلطان سنجر حنق وأخذ يفكر ويتدبر فيمن يرسله إليه من الأمراء فطلب يرغش من السلطان أنا أكفيك أمره فقال له لقد ذهبت مرة ولم تصنع

شيئاً فقالان غرض العبد هو أن أقدم المَعذرة على ذلك وكان يرغش وإلى الدامغان وكان الإصفهيد في قلعة كوزا فوصل رسل أرغش وكان أحدهم اخاً لسفوذن الديلمي والذي كان حارس السلطان ويدعى شهردار فحمل معه من أرغش رسائل فيها غلظة فضحك الإصفهيد وقالان هذا التركي أحرق ولا يتحقق أن أرد عليه وأنا هو أنا على وهو أرغش فماذا يفعل وأفطر الإصفهيد حيث كان رمضان وتعيد وعيدو من هناك قدم إلى تمشيشة ووصل أرغش إلى استراباد وأمر بحصار قلعة روهين وترك الإصفهيد ابن مرد أويج الذي كان يدعى بتاج الملوك في تمشيشة مع الجيش وحضره إلى ساري وقد أقام مرداويج في تمشيشة مع الجيش ثمان شهور وكان أرغش خلالها في استراباد ولم يقو على الاستيلاء على قلعة روهين وكان قارن بن كرشاسف هو قائد القلعة حتى جاء الخبر بأن قراجه الساقى مضى مع جيش العراق إلى بغداد مكان يتخذ سلجو قشاه أتا بكاله وقد انضم إليهم من جرجان مسعود أيضاً واستدعى السلطان الجيش فمضى أرغش إليه .

استدعاء السلطان للشاه غازي رستم وصورة شجاعته في القتال الذي كان بين السلطان وقراجه

فما أن بلغ السلطان الدامغان حتى كتب إلى الإصفهيد قائلاً لتأتى إلى مددنا فقال الإصفهيد أن لى ولدين شابيين ومتمرسين وسوف أرسل (إليك) بأحدهما وكان الإصفهيد "علاء الدولة على" يريد أن يرسل إليه مرد أويج لأنه كان يخاف على رستم من الملاحدة فأرسل السلطان قائلاً إذا كنت ترسل لى أحد أبنائك فليكن رستم فبلغ الإصفهيد الرسالة لرستم فأجاب بأننى سأمضى فى جميع الأحوال حتى وأن قتلونى فى طاعتك وخدمتك فمرادى هو ذلك فاختر الإصفهيد خمسة آلاف فارس وأرسلهم برفقة ابنه إلى السلطان فلما أدرك الرى كان أرغش بها وكان السلطان "سنجر" قد غضب عليه حيث إنه طلب إلى الإصفهيد مرتين بمزاعم عنجوهية وعاد خائباً فهرب أرغش ومحمد مزيدى وقيترمش وأتوا إلى جرجان فظن الإصفهيد أنهم سوف يغدرون بهم وأنهم قد أرسلوا لقتال أبيه وقال أتباعه لنرجعأننا نمضى لعبث فلم يلق إليهم سمعاً ومضى إلى ساوه ووصل إلى همدان فى معية السلطان وطلب استعراض الجيش على مشارف همدان وركب السلطان إلى ساحة استعراض الإصفهيد رستم الذى قام

بصف الجيش وتنظيمه من الفرسان والمشاه على النحو الذي حاز إعجاب السلطان فقال لقماج إننى لم أشاهد مثل هذا الإصفهيد وقدم قماج كثيراً من الاهتمام والرعاية واستدعى السلطان الإصفهيد واستماله فلما قدم قراجه إلى نهاوند وتحارب مع السلطان وكان الإصفهيد رستم هو أول فارس يخرج من بين صفوف الخيل بفرقته وحيثما كان يهجم مكرراً كانت تلك الجماعة تلوز بالهزيمة وفجأه جاء فارس من خلف الإصفهيد وصوب عليه رمحاً من على ظهر جواده فاستل ذلك التركي السيف فسقط الأمير أبو شجاع إيزاباد على رأس الإصفهيد وكان هناك ثلاثة أو أربعة من الأتراك قطعوا يدا الأمير أبو شجاع إيزاباد لكن لم ينهض من فوقه وكانت طعنة الحرب قد أثرت في الإصفهيد فأقبل أتباع الإصفهيد وأبعدوا الأتراك وقال الإصفهيد لأبى شجاع امازلت حيا فقال أنا حى ولكن فقدت ذراعى فقال له لا تحزن فلو جاعتنى ولو لقمة واحدة فسوف أعطيك نصفها وعاهد الإصفهيد الجريح الفارق فى الدم الكر مرة أخرى وأدرك ذلك التركي الذى طعنه وناله بالرمح وفصل رأسه واتجه نحو قلب قراجه وحمل حسين كرد وهو من العرب والذى كان غلام الإصفهيد على قرامجة وطعنه بالرمح وطرحه وقد شاهد ذلك كل الجند وقام بسحب جواده وأتى به فجأه أمراء سنجر وأخذوه من حسين كرد ومضوا به إلى السلطان وادعى كل منهم أنه أسره وسأل السلطان قراجه أى شخص أسرك فقال لهأن الشخص الذى أسرنى هو من معه جوادى وأتى شاه مازندران باسمه لخدمة السلطان ونقلوا خبر جرح الإصفهيد إلى السلطان وكان حسين كرد قد أحضر الجواد إلى شاه وغازى وحضر السلطان إلى الإصفهيد وقبله وقال له أحسنت أيها الشبل وقال لقماجأنى لم أر رجلاً مثله فى الدنيا وسلم الإصفهيد جواد قرامجة للسلطان ومنح حسين كرد ألف دينار وأقطعه ألف دينار على منطقة أرم وبعث السلطان محفته الخاصة إلى الإصفهيد حتى يحملوه إلى همدان وأرسلوا إليه الجراح والطبيب الخاص ولبث السلطان هناك فترة وأمر بقتل قراجه طبقاً لما ورد فى كتاب "سنجرنامه" وبعث بمسعود صوب رويان وأرسل طفرل الذى كان أخا مسعود إلى العراق ثم رجع كرىمضى إلى خراسان وكان جرح الإصفهيد رستم والذى مضى ذكره فى المجلد الأول قد تحسن ووصل إلى حدود الرى لدى السلطان فلما شاهدة قال الحمد لله على حضورك بالسلامة وجاء الإصفهيد برفقة السلطان إلى خوار حيث امر بأراحه وأنعامه وكتب لوالده رسائل الشكر وجاء

فى إحدى هذه الرسائل هذه العبارة لقد ظهر ابنك رستم رستمًا ولبى للأصفهيد كل ما
 كان يحتاجه من حاجات وعندما وصل الإصفهيد إلى ويمه علم والده بهذا الخبر
 فمضى إلى فريم ووصل الشاه غازى إلى منصورة كوه ومنها إلى فريم وركب الأب
 وجاء فى المقدمة فتقدم رستم إليه وترجل عن جواده وقبل الأرض فاحتضن والده
 وسأله عن حاله فشرح لوالده جميع أحواله ولبث هناك لمدة ثلاثة أيام وبعد ذلك أمر
 بأن يمضى إلى إرم حيث كان بها قصره ومنزله ولما هرب أرغش من عند السلطان
 وجاء إلى جرجان وكان بيديه قلعتا جهينة وبالمى وكان أبناؤه يقيمون فى جهينة وأرسل
 السلطان الأمير محمود الكاشانى الذى كان الحاجب الكبير إلى الإصفهيد وكتب إليه
 بأن لقد أرسلناه إليك لتعلمانه ليس لدينا أمر أهم من هذا وسوف نرى ما تفعله من
 خير أو شر وسوف نمضى إلى مرو فلما وصل محمود قاشانى إلى نيوه دشت بعث
 الإصفهيد إليه شهراسان الذى كان قائد جنده حيث أنه كان مشغولاً بأمر أرغش ،
 ومضى الإصفهيد إلى طريق شمشير برين وقدم إلى تمشة والتقى محمود الكاشانى
 بالإصفهيد فى طريق سمكور بروثناباد ووصلا سوياً من هناك إلى إستراباد
 وعندما علم أرغش بقدم الإصفهيد تحرك من قلعة بالمى إلى قلعة جهينة ، فعلم
 الإصفهيد بذلك فأرسل فى أسره من يتعقبه ويهجم عليه فانتزعوا منه كل ما كان معه
 حتى الطبول والأعلام ومضى الإصفهيد إلى هارون وورارون وحضر محمود
 القاشانى لدى الإصفهيد وقال لهم أنا رجل مريض وأنت تعلم أننى ذهبت إلى أرغش
 ثم قدم الولاء إلى الإصفهيد ثم ذهب وقام الإصفهيد بانتقاء الجيش وأسنده إلى شهرا
 سان بن آسان فكان يدق القلعة ويقاتل كل يوم بشراسة بالغة فأرسل أرغش بأحد
 أعوانه إلى الإصفهيد بأن اسمح بأن أرسل بشخص إلى السلطان عساه يعفو عني
 فسمح له الإصفهيد بذلك فبعث أرغش برسول إلى السلطان وكان هو نفسه قد مرض
 ولما وصل الرسول إلى السلطان قال أتركه ليحضر عندي ، فطلب أرغش الأمان من
 الإصفهيد وفكر كيف أنزل من القلعة وخاف من الإصفهيد أن يقبض عليه ، ولكن
 الإصفهيد طمأنه وأمنه وحضر شهرا سان مع أرغش إلى كلبا وكان ومكث بها وبعد
 مرور عشرة أيام توفى أرغش ثم رحل الإصفهيد من هناك ورجع إلى إرم .

وفاة خاتون السلجوقية ومطالبة السلطان بمهرها وتركتهما

آنذاك كانت خاتون قد ذهبت إلى أصفهان وهناك أصابها المرض فأوصت وصيتها قائلة لقد أبرأت ذمة الإصفهيد من المهر وأن يشتري لأجلي قصراً بذلك الذى فى مازندران وبذلك الذى بقى عنى وينشأ به قبرى ويتخذون من ذلك المكان خانقاه وفعلوا مثلاً أوصت وأوقفت أملاك أصفهان على ذلك الخانقاه واصرفت العظماء وطلبت من الجميع أن يبرئ ذمتها وكتبت رسالة أيضاً وسلام عليك إلى الأبد وأعطت ما تبقى معها من أموال إلى الفقراء وتوفيت وعندما وصلت رسالتها إلى الإصفهيد حزن وبكى كثيراً وقال لقد عانت منا كثيراً ولم تر خيراً قط لقد كانت سيدة عفيفة وزاهدة حتى إنهم لقبوها بلقب زاهدة خاتون ، وقد فعلت الخيرات الكثيرة فى "شهریار كوه" وأمرت بإنشاء تكية فى مدينة سارى فى محلة قراکوی والتي كانت ملكاً لها وعندما فرغ الإصفهيد من العزاء فى خاتون بعث إليه السلطان وطالبه بمبلغ مائة وستين ألف دينار مهراً والتركة عما يكون قد بقى فرد عليه الإصفهيد قائلاً بأنه لم يبق من تركتها شيء فأرسل السلطان الغلمان إلى قصر ملك لخاتون فمنعهم الإصفهيد وردهم فما إن علم السلطان بهذا الخبر حتى اختار محمد القاشانى والذى كان قائداً للجيش وبعثه إلى ناحية شهریار كوه حتى ينفذ مطالب السلطان ولما وصل محمود الكاشانى إلى إستراباد ونزل الجيش على بظاهر لا ميلنك وكان الإصفهيد فى مدينة تريجة يصلح من سوء الأوضاع التى كانت سائدة فى مدينة أمل وكان قد أرسل الجيش إلى لارجان أيضاً وانشغل هو بتلك المهام وأنداك كان قد توفى شهنشاه قلعة دارا فأقبل شخص من القلعة إلى الإصفهيد قائلاً لقد توفى الأمير شهنشاه والقلعة فى اضطراب وسيدخل شهریار بن أخيه القلعة فغادر الملك علاء الدولة تريجة ونزل على رودبارهج ووصل جيش لارجان فى نفس الوقت وتوجه أيضاً جيش شاهنشاه إلى الإصفهيد كما انضم الإصفهيد مشاه جلاب مثل محمد بن إسفنديار وحسن زرین كول دبهرام الشلابى وبعث الإصفهيد برسول إلى شهریار وقال له اترك القلعة فقال لن أتركها فهى ملكى فأمر الإصفهيد بتخريب "اميدواره كوه" و "شلاب" وعاد من هناك ومضى إلى سارى ثم أرسل بعد ذلك بابنه "مرد أويج" والذى كان يلقب "بتاج الملوك" إلى "تميشة" ومعه جيش جرار فأقام مرد أويج فى "تميشية" وبعث محمود

الكاشاني برسول إلى الإصفهيد قائلاً له إن السلطان يقاضيك ويجب الالتزام بالشرع مع السلطان والذي يطلبه السلطان من حقه أن يعطى له وجئت بالجيش من أجل ذلك حتى إذا تجاوزت الشرع قولاً وفعلًا فلن أسمح لك ، وانقضت مدة أربعه أشهر على هذا القيل والقال والجدل إلى أن توسطت عليه القوم وأواسطهم وقسموا الأملاك التي كانت خاصة بالصدّاق فظهره بزيادة عشرة آلاف دينار وقال الإصفهيد يجب أن تبّيع الأملاك لي حيث واصل يدي عليها والخلصة فقد اشترى الصدّاق والأملاك من السلطان بمائة ألف دينار وبمقتضى هذا مضى محمود القاشافي إلى خراسان وسلم الإصفهيد المال المقرر للصدّاق والأملاك لنواب السلطان وقد حدث في ذلك العام زلزال جديد في طبرستان كما حدث زلزال عظيم في مناطق "شهریار كوه" أيضاً وانهارت مدينة "قريم" و"خرب" "رستاق كنيم" و "زارم" وكل ما كان في وراء الطاحونة من مبان وكان هناك قرية تسمى "دوليت" تحركت من موضعها وانجرفت إلى الجانب الآخر من النهر وقد حل الخراب والدمار الشامل "بشهریار كوه" .

إرسال السلطان "سنجر" عباس لحصار قلعة دارا

ثم عاد عميد أمل إلى طاعة السلطان حيث كان شاهنشاه قد توفي وقد تجمع لهذا العميد مال وافر بفضل شاهنشاه وقد اتفق مع العميد في حال العودة هذه عميد مرزبان لارجان وعندما وقف السلطان على هذا الحال اختار عباس الذي كان والياً على مدينة الري وكان رجلاً عظيماً بجيش جرار واصطحب جيش خوار وسمنان ودنباوند وطرمتاي والذي كان يملك ساوه وقدم مع جيش الري وقصران ورويان ولارجان وكلار وشلاب ولارجان مرزبان حيث إنه لم يستطع أن يتقدم أكثر من هذا إلى قلعه "خرمه" ولما قدم عباس إلى أمل كان الإصفهيد قد غادر ساري إلى "ما يطير" ومعه جنده وأرسل إلى عباس قائلاً لماذا أتيت فأجابه بأن الأوامر أن تسلم لي خراسان ودابوي وتريجه والتي كانت مخصصات ديوانية ولا تتعرض لأوميدواره كوه وشلاب والأملاك الموجودة في أمل والخدم الموجودين بها سوف أنتزعها منك ، فقال الإصفهيد لقد حضر أمراء مثلك وأعظم منك فعليك أن تمثل بين يدي بالسيف لنرى ماذا ستفعل وأمر رجاله بأن يحرقوا كل ليلة حتى من أحياء أمل ويقوموا بالقتل والسرقة وقطع الطريق فضاق أهل الولاية وحضروا إلى عباس بالشكوى فبعث إلى لارجان مرزبان قائلاً

أنت الذى فعلت هذا عند السلطان إما أن تأتى إلينا وإما أن تتقاتل وتنجز الأمر فقال مرزبان إننى أرسلت بجميع أعوانى ولا أقوى على الحضور إلى هناك وقد وقع بينهما خصومة وجدال ، وبعث إستندار بجيشه إلى أمل وأمره الإصفهيد بأن يسحب الجيش فعباس لا يكون موجوداً دائماً بآمل فاستدعى إستندار جميع الجند وفر شهریار وأنوشروان من أمام عباس وحضر لدى الإصفهيد وكان جند الإصفهيد منتشرين من دینار جاری وحی جیلان ولم يقوا عباس أن يحارب بسبب ذلك الأمر وظل عاجزاً ومتحيزاً لهذا السبب وأرسل إلى الإصفهيد لماذا بقيت أنا هنا وأرسل إلى الإصفهيد والد سيد عز الدين مرتضى بأن لى حاجة عندك وهى ألا تتعرض لقلعة دارا وتعطينى العهد بأن تذهب إلى أمل سوف أستولى عليها أيضاً ولتأمر بسحب العميد ورئيس الشرطة وعندما رأى عباس عداوة وخصومة الإصفهيد له رأى مصلحته فى الصلح والاتفاق وعلم أنه كان قد أمر بإحراق نصف أمل ليلاً وقال الإصفهيد لعباس يجب أن تحل علينا ضيفاً وحضر عباس فى ضيافة الإصفهيد بعد أخذ العهد والأمان وأمر بتقديم الرعاية الكاملة له ، وكذلك استضافه شاه غازى فى إرم وقدم له الهدايا ومضى من هناك إلى الرى ووقعت بينه وبين اصفهيدان (أى الزياريين) مودة وتحالف .

"استيلاء الإصفهيد على قلعة دارا"

أصدر الإصفهيد أمراً لابن عمه شهردار بحصار قلعة دارا وبعد ذلك قدم هو إلى شلاب ، وعندما علم أهالى شلاب أن الإصفهيد وصل إلى هناك أتوا إليه وركعوا على الأرض طالبين الأمان جميعاً من رجال ونساء وصغير وكبير وقالوا نحن عبيدك وأولاد عبيدك فاعف عنا فأمنهم جميعاً وشرفهم ثم أمرهم بأن يبقوا فى منازلهم فنحن متوجهون إلى القلعة ، وأمر بإقامة الأكمنة حول القلعة بإحكام وكانوا يعلقون كل من يخرج منها فبات الأمر صعباً وعسيراً على شهریار وقال لندرك الأمر ، وبعث برسول إلى الإصفهيد طالباً منه الأمان وكان الإصفهيد قد استاء منه حيث كانت له عليه حقوق وقال أولاً يتأدب يوماً ، ولكن عندما تشفع له أشراف طبرستان نهض مكرهاً وأمر له بتشريف وإقطاع وتعهد بأن لا ينفذ فى حقه باقى القول وإن كنت قد أصدرت فى حقه أمراً فإنى أبطله فاختر الإصفهيد لهذه المهمة سيد با على الشجرى وزين الدين

وبعث بهما إليه فأرسل الأمير شهریار إلى أمل وبعث بقاضى القضاء تاج الإسلام أبو معمر وناصر الكبير و المعارف والسادات إلى الإصفهيد وقالوا بأن الثقة فى هذه الحالة هو أن يقوم الرسل بخطبة ابنة الإصفهيد لشهریار ، فمضى الإصفهيد إلى جمنو حتى يحقق الوعد وأرسل ابن عمه سهراب بن رستم إلى رئيس القلعة مع خواصه ، فأدخلهم الأمير شهریار القلعة ونزل هو منها وزوجة الإصفهيد من أخته "شرف" والتي كانت امرأه قد اشتهر فى العالم عفافها وطهارتها ووديانتها ولا تزال آثارها الخيرة باقية ، واشترى أملاكها فى الكان بالذهب وخلافاً لهذا كان لها ثمانين ضيعة فى رستاق أمل وأربعين أخرى فى أماكن أخرى إلى جانب الأملاك الحلال التى كانت عندها فى عهد كل من شاه غازى رستم وحسن وأردشير وما يزال فى مدينة أمل إلى عهدنا من آثارها سبعة كواحين وحوانيت وحمامات وكان يقوم على أملاكها بصفة خاصة عامل ومشرف ومستوفى ورئيس شرطة وجميع الأموال والرباط و المباني التى أقامها شاه غازى و الملوك الآخرين من نتاج الأملاك الحلال لهذه المرأة وقد بقى لها من شهریار هذا بنت وولد وقتل الإصفهيد علاء الدولة ابنها حسن وزوج الشاه أروشير إحدى هاتين البنيتين للإصفهيد أبو جعفر أشرب والأخرى لابن الملك هزبر الدين خرشيد كرشاسب ، ولم يكن أحد أعز لدى الشاه غازى بعد أبيه منها وحينما كان فى أمل كان يأتى إليها يومياً ويجلس معها ويشاورها وكانت هى أكبر من شاه غازى بعام ولا يزال قبرها باق بقرا كلاته والمكان معروف بخانقاه أم الإصفهيد إسفنديار وحينما آلت قلعة دارا إلى الإصفهيد كان قد انقضى واحد وعشرين عاماً منذ أن تولى الحكم فى مازندران وكان عمره يتجاوز الستين وأصيب بمرض النقرس .

زحف الإصفهيد شاه غازى بالجيش إلى لارجان لقتال منوجهر مرزبان

وقع خلاف وعداء بين الإصفهيد شاه غازى ومنوجهر لارجان مرزبان فقاد الجيش من ارم إلى طريق أنوجدان و"أنندان" ودخل إلى لارجان عن طريق "بردامه" وعلم منوجهر بالخبر فتقدم إليه وقاتله وأنزل به هزيمة قاسية وضرب رقاب الكثير من رجاله ، وعندما حضر (شاه غازى رستم) إلى ارم كان بها حرمة والتي كانت ابنة عمه فمضى إلى منزلها ، فأمسكت بعود خشبى يقال له فى مازندران الوفرة وتقدمت إليه وقالت له أنت يا عديم الحمية يامن تهرب من بائع الطباشير والزاج وتأتى إلى جارى

كيف أنت باوندى ؟ ، فقال لها الحق معك وعاد إلى تيار وقام بجمع الجند وأغار ومضى حتى باب كهروود وأمر بتحطيم حقول الأعناب التي لقيها وأمسك بأربعمائة رجل لارجاني وضرب رقابهم جميعاً وما يزال ذلك الخراب والدمار باقياً في لارجان ولا يزالون يتحدثون عنه (هذا وقد جعل شاه غازي رستم) منوجهر يترك داره كما جعله لا يستطيع النوم ليلاً في كهروود فاتخذ طريقه من البيت إلى القلعة عساه يستطيع أن يصل إليها على أقدامه خوفاً منه ولا يزال بعض مباني هذا الطريق باقياً ، وكان الإصفهيد يغير على لارجان مرة كل شهرين فأخضع جميع الناس تحت طاعته ، وأصبح منوجهر عاجزاً وعندما مضى الشاه غازي إلى العراق قال منوجهر للسلطان ثأر لى من الإصفهيد وكان سبب ذلك أنهم رويوا عنه أنه قال ذات يوم أين شال مازندران أين ثعلب مازندران وقد فعل به الشاه غازي ما عجز أبوه السلطان أن يمنعه عنه ، فلما تشفعوا لديه بهذه الشفاعة في العراق قال يجب أن يقوم لقد أكلت فضلات الكلب فقال الأشراف لقد أكل فضلات الكلب فقال لن أرفع يدي عنه ما لم يقل في بلاط السلطان ذلك فلا مناص من أن يقول ذلك فقال شاه غازي الآن يأخذ خراج من ذرة وبن وتقرر أن يأخذ عشر القلعة خراجاً وكانت بدعة سيئة ، وأخبر منوجهر جميع الناس أن الحق بيد الإصفهيد فتم الاتفاق بينهم على هذا القرار وطالما كانت دوله باوند قائمة ولم يكن يؤخذ خراج من ذلك الموضع ولا من غيره من الأماكن الأخرى .

"سبب الخصومة بين الشاه غازي وأبيه"

عندما تقدم السن بالإصفهيد علاء الدولة تسلط عليه الشاه غازي كما دخل جميع العمال والخدم في طاعته وسطوته ، واشتهرت قوته أكثر من أبيه وبعث إلى والده قائلاً امنحني قلعة دارا فرفض ، ومضى إلى إرم فقال لقد تبت عن السفاهة ولزم البيت وأخذ يقرأ في علم الفقه ويتعلم الفضيلة ، إلى أن كان ذات يوم وقف فيه الإصفهيد جمال الملك شهرداراننكر لدى علاء الدولة فقال له يا شهردار ماذا يجب عمله مع العبد الذي لا يعرف حق شفقة مولاه ويتدل عليه فقال جمال الملك شهردار يجب إعطاء ذلك العبد ما يريد حتى يدخل في الطاعة قال علاء الدولة أما والأمر كذلك فيجب ترك قلعة دارا لابنى رستم وترك القلعة لابنه فرضى شاه غازي رستم وبعث حارس إبراهيم كيا وأجلسه عليها .

اعتقال خوارزمشاه لرستم كبود جامه وادراك شاه غازى رستم له

قام خوارزمشاه آنذاك بالهجوم على جرجان وقبض على رستم كبود جامه وقيده بالأغلال منظم هذه الرباعية وبعث بها إلى شاه غازى .

– بدون أدنى خيانة وبدون جريرة قيدنى خوارزمشاه قيد الأسر

– فأدركنى فإذا لم تفعل فسيقولون فجأة على رستم وأسفاه إنا لله .

فمضى شاه غازى من إرم ذات يوم إلى إستراباد دون إذن من والده وفى الغد أرسل برسول من عنده إلى حدود جرجان لدى كبود جامه حتى يكون بالقرب منه وبعد ذلك نزل فجأة إلى خيمة وسراق خوارزمشاه فأبدى خوارزمشاه الترحيب به وقدم له الشراب فقال لن أشرب ألبتة حتى تترك لى كبود جامه فقال له إنى قتلته فقال له إن رسولى عنده فأرسل خوارزمشاه وأحضر كبود جامه فطلب شاه غازى أن يوضع فوق حصان وقال لا تنزلوه من فوق الحصان قبل أن تحملوه إلى داخل تميشة وبعد أن أكل وشرب انضم إليه جيش ملك مازندران فركب وأتى إلى تميشة فلامه والده قائلاً إنك لم تخبرنى وذهبت دون حشد كاف ولقد أسأت الصنع فقال أتنسم بتراب قدم مولاي بأنى قد نويت أن أذهب بمفردى إلى خوارزم وأسترد رستم .

أساس كراهية تاج الملوك لشاه غازى

أدرك إخوة تاج الملوك مرد أويج أنه لن يتقدم فى العمل فى مازندران فى وجود شاه غازى فمضى دون إذن منه إلى السلطان سنجر ووجد فى بلاطه مكانة محمودة كما لم يستاء سنجر منه لحظة واحدة حيث لم يكن هناك نديم أو مقاتل مثله فى الدنيا وقد ذكرنا شرح طباعه فى الشعر والنثر والبلاغة ونظم هذين البيتين وأرسل بهما إلى أخيه :

أخى دائماً يحكم بالنار ، وأبى باستمرار خارج الدولة فاضرب رأس كلا الاثنين أثناء الصباح ، فلن يكون غير ذلك ودعم حتى يحكم القضاء .

فازداد حنق شاه غازى عليه بعد هذين البيتين واستبد به عدم الشفقة والرحمة عليه .

سلطنة نصيرالدولة شاهنشاه غازى رستم بن على وكانت أربعة وعشرين عاما

عندما يأس الإصفهيد علاء الدولة على من نفسه (استدعى ابنه شاهنشاه غازى رستم) وقال له إنى لا أرى حاجة لأوصيك فإنك متعظ بلا وعظ ومتيقظ بلا وصية وإنى أمنت لك ملك طبرستان بالسيف من كل معارض ومعاند وقد وضعته بين يديك كمائدة مزدانه ومعان ترك ملك العالم وعمارته غبن عظيم ومسرة كبيرة لكن أن يكون للشخص ابن مثلك فسوف تظل ذكره باقية فإنك ماء الورد أن ذهب الورد .

- أى غم يلحق من كنت أنت مزيل همه وأى حسرة من العدم تصيب من كنت أنت روحه .

وإنى أعلم أنك متأكد من "مرد أويج" ولا تستطيع أن تفتح قلبك له ، وإن أوصيتك فلا فائدة ولكن أعهد بقارن فهو الأخ الأصغر ووديعتى عندك وعلك برعاية الوزير أبى الفضل فقد كان مباركاً على وسوف يكون مباركاً عليك إن شاء الله أيضاً ، وأسلم الروح فى نفس ذلك المكان فى مدينة سارى فى القصر الذى قد أقامه كل من حسام الدولة شهریار بن قارن ونجم الدولة (قارن بن شهریار) عند باب الحديقة فألقى الإصفهيد بالقلنسوة من فوق رأسه إلى الأرض ومزق ثوبه وعصب رأسه بعصاة العزاء على عادة أهل طبرستان ووضع أقدامه على الأرض وأخذ يصرخ واويلاه واحسرتاه وفى اليوم التالى أمر بأخذ الجثمان وصار هو خلف التابوت حتى موضع مازال حتى هذه الساعة يعرف " ماويوسنى " أى جلد البقر وهى مدرستهم وقبرهم وكان بها حديقة مدفن أباه فيها وقد بقى هناك سبعة أيام وهو هائم فى شرود ، فلما أتم مراسم العزاء شرع فى اليوم الثامن فى مهام الملك ولم تكن تواتى أحد الجرأة قط فى كافة طبرستان أن يخرج أو يتمرد على طاعته ، وكان قد تمكن فى ضمائر الجميع رعبه وهيبته وعقابه بحيث استقرت جميع الأطراف واستراح الناس أما ملوك الطوائف فقد خافوا من علو همته وشهامته وكفأته وأدركوا أن كل ما كان يجوز ويقبل عند أبيه لن يجوز ولن يقبل عنده وسوف يسترد ولاياتهم وأملاكهم فبعثوا سراً إلى تاج الملوك فى مرو وأطلعوه على خبر وفاة أبيه فأرسل تاج الملوك (مرد أويج) برسالة إلى السلطان

قائلاً أنى التحقت بخدمتك على أمل أن توصلنى إلى ملكى وحقى فى ولايتى فى مثل هذا اليوم فأمر السلطان أمير الأمراء بأن ينجز له أمره وأن يتوسط فى تقسيم الملك بين الإخوة ، فاختار أمير الأمراء رجلاً يدعى قشتمر وأعطاه عشرة آلاف رجل وبعث إلى كبود جامه وأمراء لنجرود وخواسته رود وكلبا وكان يأمرهم بأن يكونوا فى خدمته ، واختاروا رسولاً كى يأتى إلى شاه غازى فيعزيه ثم يعرض رسالة الوساطة بعد ذلك ، وعندما خرج مرد أويج إلى تميّشه استقبله جميع أهلها وتأهبوا لخدمته وطاعته وأعدوا أنفسهم لقبوله والولاء له ، وكان السلطان قد منحه قلعة جهينة فسيطر عليها واستدعى مادرفخر الدولة كرشاسف وبعث قشتمر وأمراء السلطان من هناك برسول إلى شاه غازى ليعرض عليه الأمر ، فقال شاه غازى لو كان مرد أويج أخى لقبل منى أن أرحاه ولدخل فى خدمتى ولكنه طالما يخدم السلطان فعليه أن يأخذ عيشه من هناك ، فعاد الرسول وقال إن هذا ليس بالرجل الذى يمكن صيده بالخدا ع كخامرى أم عامر(*) ويجوز الإيقاع به مع الزمن و التدبير ، فلما يأس تاج الملوك وقشتمر زحفا بالجيش إلى تميّشه وبعثا بالرسول إلى إستندار ولارجان مرزبان وحكام طبرستان ، وبدخلهم تميّشه دعوا الجميع لقبول تولى مرد أويج الملك باللفظ و اللياقة لأنه أكثر لياقة ، فدخل جميع أهل طبرستان فى خدمة مرد أويج ومضى الإصفهيد شاه غازى إلى إرم ولم يستطع أن يجلس بها فمضى إلى كر آباد فى أعلى وضيق كولا ، فمضى أهل طبرستان وأدله الطريق التابعين لمرد أويج وجيش قشتمر ليلاً حيث وصلوا إلى الإصفهيد صباحاً فى وقت قصير ، وكان الإصفهيد فى الحمام فنزل هذا الجيش فى صحراء كرد آباد فأخبروا الإصفهيد وهو فى الحمام فخرج وركب مع بعض الأشخاص وقال لقد قطعوا كل الطرق وتدبيرنا أن نتجه إلى سارى حيث إنهم لم يفكروا فى هذا الجانب واتجه من هناك إلى سارى ونزل على لشكر آباد وعندما وصل إلى شكاره كاه كان يوجد فى المكان قطيع من الوعول الجبلية وكان الليل مظلماً فظن أن الخصم قد قطع عليه طريقه فأصابهم الخوف فقال لرجاله ابقوا أنتم هنا حتى

(*) أم عامر كنية الضبع وخامرى أم عامر يعنى اختفى أيها الضبع ويشبه بها الأحمق وهو ليست سوى عبارة كانوا يرددونها بزعم القدماء عند حافة حجر الضبع لاصطياده وكان الضبع يخرج من جحره بخدعة هذه الكلمات فيصطادونه وقد أصبحت أم عامر مثلاً فى شأن الساذج أو السذج الذى يمكن خداعه بالفاظ وإيقاعه فى الفخ - (المترجم) الميدانى - مجمع الأمثال ج ١ ، ص ٢٣٨

أتقدم وأستطلع الأمر فلما تقدم وعلم حقيقة الأمر نادى على تلك الجماعة وجاءوا من هناك إلى برنمهر ولما وصل إلى دونكا قال لأبى الفضل دابو الذى كان معه لقد تركت لك ولاية دابوى فارغ العهد واعرف حق هذا اليوم فقبل دابو يده ومضى شاه غازى إلى مرزبان آبادر منها إلى لنكيماى ثم نزل إلى قلعة درا بنفسه وكان الأمير شهریار قد قال بأن قلعة دارا أولى لك من أى مكان آخر تلجأ إليه وكان معه الأمير على سابق الدولة والأمير شهریار وناصر الملك وسيد حسام الدين باهاشم العلوى ومجد الدين دارا وجماعة أخرى من المعارف ، ناقاموا معسكراً فى مكان يدعى "أهك جاه" وحضر تاج الملوك وقشتمر إلى هج رودباد وأرسلوا إلى منوجهر لارجان مرزبان وإستندار فحضر هذان الاثنان لدى تاج الملوك وبعثوا من هناك بالقادة والعمال إلى جميع الولايات وكانت أمل خاصة بقشتمر ونشروا العسس فى كل الأحياء ، وباستثناء العدد القليل الذى كان قد بقى مع الإصفهيد "شاه غازى رستم" من المعارف فإن جميع أهل طبرستان الآخرين من باوند وآل لورجان ذهبوا إلى تاج الملوك ما سلمه الأهالى بهاء الدين أبو الفضل الذى كان وزير "أبيه وأخيه" وكان الإصفهيد رستم قد أسند إليه قيادة أمل وكان قريباً للشاه غازى رستم وكان موضع ثقة الجميع ، وكان قد أعطاه "الإصفهيد رستم" أربعمائة بغل ليذهب ويرسل إليه الملوك والذخائر إلا أنه جاء مع بغاله وانضم إلى تاج الملوك وعند ، وصل الخبر إلى شاه غازى قال ليس من الضرورى البقاء بعد الآن فى ذلك الموضع وذهب إلى القلعة ، وحضر تاج الملوك وقشتمر على مشارف القلعة وحاصروها فاستولى الإصفهيد رستم على الأهالى من تاج الملوك ومضى إلى قلعة سواته كوه فحررها و أرسل الإصفهيد ابنه علاء الدولة حسن مع ابنته إلى قلعة إيلال فمضى جيش قشتمر إلى هناك فترك علاء الدولة حسن أخته فى القلعة ومضى مع غلمان والده إلى الرى واستولى جيش قشتمر على إيلال وأحضروا ابنه الإصفهيد إلى المعسكر واستلمها تاج الملوك واستبقاها معه وكان لدى الإصفهيد "رستم" ابن لتاج الدين فورا نشاه بن ردىستان جناشك كرهينة فصاحوا خارج القلعة بأنهم سيأخذون الأنثى ويعطونها لذكر ، فلما بلغ هذا الصوت القلعة كان هناك رجل يدعى روستا مهتر وهو والد عز الدين حسن كيا وزير الشاه أردشير فجاء إلى شاه غازى وقال له بفرض أن الله سبحانه أخذ منك إقبالك فهل سلبك رجولتك أيضا فقال حقاً ما تقول ، وأمر بأخذ ابن تورا نشاه وضرب رقبتة والقى بها عند معسكر

الأتراك وبعد أن خربوا مازندران مدة ثمانية أشهر وعجز مرد أويج أن يدر أى ظلم لهم ضاق الناس من الأتراك ويأسوا من تاج الملوك مرد أويج فبعثوا سرّاً إلى الإصفهيد "شاه غازى رستم" وطلبوا العفو والسماح فأقسم بالله ألا آخذ مخلوقاً قط بهذا الذنب ولا أنتقم منه وبعث منوجهر لارجان إلى الإصفهيد قائلاً لو أنك تصاهرنى وتزوجنى من أختك أمضى مع جندى وأعوانى إلى لارجان وطلب إستندار نفس الأمر وتلك الصلة أيضاً فعاهد الاثنى على إنقاذ ذلك وانفصلا عن هذا الجيش ومضيا إلى ولايتهما ، وكان السيد نجيب الزمان أحمد بن محمد القصرانى المنجم قد زعم أن جنازة سوف تخرج من هذه القلعة تخص سيد القلعة ولم تسقط قطرة مطر واحدة من السماء على الأرض خلال ثمانية أشهر ونفذت مياه الأحواض وقلت المئذنة ، فقال الأمير تاج الدولة شهریار للأصفهيد لا تخف من أمر قط وتشجع ولا تنتقل من هذه القلعة إلى مكان آخر لأن هذه القلعة كانت دائماً مباركة على ملوكها فحين تحل الشمس فى برج الجوزاء وقبل أن يبدأ حصاد القمح فسوف تسقط أمطار هائلة على هذه المناطق بما يكفى هذه القلعة من مياه لمدة عام فاطمأن الإصفهيد لقوله وأنداك أيضاً قد مرض الأمير تاج الدولة شهریار وتوفى خلال اثنى عشر يوماً وشيعوا جنازته وخرجت من القلعة وحملوه إلى أمل حيث دفنوه فى تكيّة ، وكما وعده فقد سقطت الأمطار فى موسم القمح ولمدة خمسة عشر يوماً متوالين فامتلات الأحواض وخاف الأتراك من ذلك الطوفان وتقطعت الخيام وهلكت الحيوانات فرحلوا من هناك وقد جاؤا إلى "هيج رودبار" وقام الناس من كل جانب لمساندة شاه غازى وتوجهوا لخدمته وتخلوا عن تاج الملوك وعندما مر قشتمر من مدينة ترجى نزل من قلعة دار أو أقام معسكراً فى دوركاه وبعث بالرسول إلى جميع أطراف الولاية ليستميلهم ويعددهم بالنذر الذى كان قد قطعه على نفسه ، وأمر بحمل خراج وضرائب ثلاث سنوات من ممالكه وإيفادها إلى الولاية ليعمروا الولاية ويسعدوا الناس واتفق مع هذه الجماعة التى كانت قد تمردت ثم عادت لخدمته على ألا يطلبوا منه الخلع والرواتب لمدة ثلاث سنوات ، وهم من الأمراء والمعارف والكتاب والنواب والأتباع وقد أمر بتشديد بعض المباني فى طبرستان خلال هذه السنوات الثلاث حيث يقول الشاعر الملقب مظفرى : بلاد مازندران كأنها جنة عدن وهى فى حماية إصفهيد الإصفهابة وكانوا قد أطلقوا على الإصفهيد رستم الذى سرق البغال "رستم كلمين" وعندما حضر إلى خدمته أمره بأن يذهب إلى قلعة سواته كوه وأن

يستردها مثلما كان قد استولى عليها لصالح قشتمر فمضى إلى هناك واسترد القلعة ولم يدع تلك الجماعة التي كانت قد شقت عصا الطاعة أن تهدأ يوماً فكان يرسل بهم إلى كل جانب يوجد به متمرّد ليستردوا الولاية منه لصالحه ، فإن بدا منهم تقصير أثناء ذلك كان يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فكان الناس يبذلون أقصى جهودهم لرضائه وخوفاً على أرواحهم ، وقتما كان لا يجد عملاً قط كان يقود الجيش ويغير على ولاية الملاحدة وخلال يوم واحدة أطاح برقبة ثمانية عشر ألف ملحد في "رود بارسلكوه" وضع من رؤوسهم منارة ولا تزال عظام القتلى باقية في ذلك المكان ومن هناك بعث الفرسان فيما وراء تمشيه وكان يوجد بها ديوانه رستم من آل باوند وكان قد انضم إلى الملاحدة وكان يوجد أخدود في أعلى "شمشيربرين" يعرف "بديون رستمى كوه" كان بالغ المنعة وكان قد أقام هناك وأخذ في قطع الطريق وقتل المسلمين وكان قد خرب قومش و أربع قرى في كركيلى ، فمضى إليه "الإصفهيد رستم" من سلسكاوه على حين غرة وأمسك به وأحضره إلى تمشيه وعلقه في القلعة ومدفنه يوجد في قبة في رتكان ، وكان دابو وابنه رستم قد ارتبطوا بالمصاهرة مع الأمير على سابق الدولة وطلب الأمير على ابنة دابو ، فلما أسند الإصفهيد إليه دابوى حضر إلى القلعة وأعلن عصيانه في نفس اليوم وجلس بقصره في دورنكا للحكم واستولى على خيول الإصفهيد التي كانت في الحظائر وركب الجوار ولم يحضر إلى الإصفهيد ولجأ إلى "إستندار شهر يوشن" ولم يستقر هناك خوفاً من الإصفهيد أيضاً وبعث إلى الأمير على سابق الدولة في "كيلة خواران" بأن خذلنا عهداً من الإصفهيد بالأمان حتى نحضر وبما إنه يعفو عن الجميع فليعف عن ذنبنا أيضاً ، فأطلع الأمير على سابق الدولة الإصفهيد على هذا الأمر وحيث كان للإصفهيد رعاية بالغة في حق الأمير على وكان قد زوجه من وستى جليل ابنة حسام الدولة والتي كانت عمتة وكان بينهما نسب ، فلما سمع الإصفهيد حديث الأمير على قال أقسم وأعطى العهد فأخرج الأمير على المصحف وأعطاه للأصفهيد كي يقسم على بأن لا يقتل دابو ولا يأسره فقال الإصفهيد سوف أمسك به وبلده وأقتلها وقال لسابق الدولة لقد سمعت هذا الآن وقل لدابو إن الإصفهيد أقسم فجاء الاثنان عنده فأرسل الإصفهيد بالأب والابن إلى أمل وأمر بقتل الابن بالرمح ، وعلق الأب وقد ظل فترة معلقاً وأرسل الإصفهيد رستم لإيرمان كاه الذى كان أحد أقاربه وقد أعلن نفسه ملكاً في عهد قشتمر وتاج الملوك "مرد أويج" بأننا سوف نحل

عليك ضيوفاً في جمنو فذبح "إيرمان كاه" للأصفهيد رستم عدة آلاف من الأغنام والأبقار وأمر بمد الموائد ، فلما حضر إلى المائدة أمر بقتل الإصفهيد رستم بالرمح ، وعندما حضر شرف الملوك علاء الدولة حسن من الرى إلى مازندران قال له الإصفهيد يجب ألا يحضر عندي مطلقاً وأرسله مقيداً بالقيود يجب ألا يحضر عندي مطلقاً وأرسله مقيداً بالقيود إلى قلعة كيسليان وظل فترة عام وثمانية في القلعة وبعث به إلى ركوند ، وقال لا يحضر عندي وأجلس الأخ الأصغر لحسام الدولة والذي كان يدعى شهریار في سكارو وكان يطلق على ذلك الموضع الذي استقر فيه آنذاك بخانقاه حسام الدولة وهو موضع للصيد ولم يكن يحضر قط عند أرض وكان يربط عصا به حول رأسه حيث لم يضع على رأسه قلنسوة قط كلما كان الإصفهيد يذهب إلى سكارو وكان هو يأتي إليها أيضا لمدة يوم وكان يؤدي لأخيه حسام الدولة الخدمات من بعيد وبصورة دائمة لكنه كان مشغولاً دائماً بالصيد والشراب وكان له ثلاثة أبناء أحدهما كان ولياً لعهدده وكان يحبه ويدعونه بكرد - بازو والثاني علاء الدولة حسن بن رستم والآخر يدعونه بالإصفهيد على وكان طفلاً .

سبب قتل كرده بازو على يد الملحدین

عندما توفي الإصفهيد استولى أخوه مرد أويج بن على الملقب بتاج الملوك على خارج تمشيه وتحالفت معه قلعة جهينة وأمراء تلك الحدود وزوجه السلطان سنجر من أخته ، وعلى نحو ما ذكر لم يكن السلطان ينشغل بأى أمر قط ما لم يره أولاً كل يوم صباحاً حيث كان يتفاعل برؤيته وكان هو سلطاناً ، ومنذ بداية أمر الباونديين وحتى انتهائهم كان من العسير أن يوجد شاب مثله فى الشهامة والرجولة ورباعياته التى بقيت عنه أكثر شهرة بما يجعلنى أذكر ذلك فأشعاره من المقطعات والرباعى تزيد على مجلد ضخمة وللأنوارى فى مدحه قصيدتان أو ثلاث وهذا بيت منها .

- يا من أنت فى القتال الحيدر الكرار لهذا الزمان فانت تاج الملوك مزين الصفوف وقائد الزمان

وقد أرسل السلطان سنجر إلى الإصفهيد بأن ابعث إلينا بأحد الأبناء إلى مرو إذ أن أخى يبقى الملك دائماً ، فأعد كرده بازو الذى كان ولى عهدده لوازم السفر وكان

شاباً مثل أوراق الورد المتفتحة حديثاً وعين الإصفهيد خورشيد بن أبي القسم بساو مامطير أتابكاً له وبعث به إلى مرو مع ألف رجل واتجه كل من كان في مرو إلى بلاطة لمشاهدة طلعه البهية وفروسيته وعظمته حتى إن معظم نساء مرو قد افتنن به ومالت إليه السيدات وصارت شهامته وهمته تاريخية ، ومضى ذات يوم إلى الحمام وتوقف فترة حتى تهدأ درجة الحرارة أكثر فانتبهز ملحدان الفرصة ودخلوا عليه وقتلوه ، فوضعه الخدم في صندوق وحملوه من هناك إلى مشهد على بن موسى الرضا عليهما السلام ودفنوه في تلك القبة ، وعندما وصل هذا الخبر إلى شاه غازي فقد توازنه ولم يتمالك أعصابه وطار صوابه وألم به الجزع وكان يدعو سنجر بالملحد طول حياته ولم يرسل إلى حضرته قط لا رسول ولا رسالة ، وكان يكتب إلى ملوك العالم وحكامه الذين كانوا أصدقاءه في شأن السلطان سنجر إن سنجر الملحد قد أمر بقتل ابني ، حتى بعث إليه ذات يوم خوارزمشاه سعيد عادل أئسز ابن محمد بصاين الطبري حيث قال له بالرغم من كمال رجولتك وعلمك إلا أنني أتعجب إليك من أمرين أولاهما أن الملوك عندما يبعثون برسول ينتقون من هو أفضل الناس عليمًا وطهارة وشكلاً وطلاقة لسان يؤدي الرسالة ولكنك ترسل إلى فراشاً كل عام والذي كلما أراد أن يؤدي الرسالة فإنه يتلثم في الكلام ويسيل من فمه سيلا من الماء حتى يتمكن الكلام وهذا لأنك لا تحسب حساب الناس أو أنه لا يوجد في ولايتك أناس مناسبون ، وكان هذا الفراش هو "إسفنديار" فراش تميّشه والد بانصر وكان رجلاً دميم الخلقه أبكم وثاني الأمر العجيب (أنك تقول) إن السلطان سنجر قتل ابني في قلعة هزار أسب بينما أنا ألقبه بملك العالم وأعتبر نفسي عبداً له ، أمن أجل ملحد كان في خدمته قد قتل ابنك تعتبر جميع آل سنجر ملحدين ولم يقو صاين قط أن يقول هذه الرسالة بنفسه للإصفهيد ، والخلاصة أنه حينما تغير الإصفهيد من السلطان قال سنجان الحق معه فمثل هذا الولد يكون عزيزاً على الجميع ، وكان مقتل ابن الإصفهيد فاجعة في خراسان حيث إن بعض النساء المفنيات قد قطعن أصابعهم حسرة عليه والبعض قطعن شعورهم وأعلن التوبة وقام الإصفهيد بعد مقتل ابنه بعدة حملات هجومية قاسية على قلعة "الموت" لدرجة أنه لم يملك أي ملحد الشجاعة في أن يطل برأسه من قلعه "الموت" وكتب كافي بك القسم كاتب شاه غازي رسالة إلى كياكور محمد لإطالة حياة الكافر السيئ المعدن الأعور المخذول في الأرض أكبر محمد أهلكه الله وقرينه مالك وليس خافياً أن الله عز وجل

جعل قتل الكفار والملاحدة سبباً في نجاة المؤمنين والمسلمين وأكبر نعم الله تبارك وتعالى وأعظم منته علينا أن يتم خراب دياركم بسيوفنا وأنتم قد حصرتم أنفسكم بين أربعة جدران مثل المخنثين بزعم بلا معنى ولون بلا ثقافة وتخفون رؤوسكم مثل الثعالب في الجحور ، وأخيراً ماذا ستفعل خناجركم معي وأنا قد جلست في جميع المواضع بلا حاجة أو ستار وبأل نواب ولا مساعدة وليس لديكم على ظهر الأرض خصم ألد عدا مني فأتوا إلي وأروني رجولتكم فكتب الملاحدة الملاعين الرد لقد قرأنا رسالتك وكانت كلها سباً وشتماً ولعنة واللعة على أهل اللعة " ألا لعنة الله على الظالمين " وقد قطع رود بست كليا الكبير ملك الديالة ويقال إن رجلاً يدعى راحة مازندران كان من أرباب الملوك في أمل وكانت أملاكه منتشرة في أمل ، وكانت لشرك وهند وكلاده وهزارك وطاحونة وحمام ودكاكين بآمل وكان وزير كيا الكبير قد أمر بأن يستمر الهجوم على باب "آلموت" ولم يتح لهم الفرصة بأن ييذروا بذورهم في الأرض وفيما عدا "آلموت" لم يبق تحت تصرفهم في كل بلاد "الد يلم" شبر عن أرض .

في ضبط وتنسيق ولاية طبرستان

حضر الإصفهيد إلى أمل وأمر بإنشاء قلعة حزم وأسترد من منوجهر لارجان مرزبان المنطقة حتى يرسب وتوسط الأهالي بينهما فوافق على أن يزوج أخته لمرزبان لارجان ، أما ابنه فكان يتحرك بجملة جند سكار ، في كل وقت يصدر إليه أمر وعلى أن يؤدي خراجاً مائة دينار ذهب خسرواني وكل دينار كان يعادل مائة دينار عادي ولكنه كان يعادل خمسة وتسعين ديناراً بعيار الذهب الأملي ، وقد أخذ العديد من تلك الدنانير من قلعة كوزا وأمر الخواجة أمين الدهستاني في أمل بأن يذيب عدد منها وتصاهر مع إستندرا شهر يوشين وأخذ كل أملاكه في ناتل وبای دشت كصداق وسيطر عمال الإصفهيد وقادة شرطته على المناطق حتى سياة رود وتقرر أن يكون لشهر يوشين غلام مع أربعمائة رجل في تمشيه في خدمته وقت الحاجة حاكماً في أمل باسم مرزبان والذي كان يخدم الأمير وردانشاة الكردي ، وأعطى مدينة ترجی للأمير أبو إسحاق من آل قارن لفور بخمسة وعشرين ألف دينار ذهبية كضمان وقبض على جميع أمراء إيزاباد والذين كانوا عديمي الأدب ، وأهلك كل واحد منهم بعلقة وسبب وضم جميع أملاكهم إلى الديوان وقد فعل كل هذا من جيلان وحتى تمشيه كما نزل بها

والتي كانت فى يد المشعب كالخرزة ، وهرب كيكافوس من أخيه إلى شهر يوشين
إستندرا والذي كان ابن أخت كيا الكبير وانضم إلى خدمة الإصفهيد وخدم فى ركابه
لفترة ثم اتخذه فارساً بعد ذلك وأمر بتسليم أملاك جميع ملوك طبرستان إليهم وأمر
بإسناد لنور إلى الأمير أبو إسحاق بأربعمائة دينار ذهبية وكان له فى شوزيل اثنى
عشر ألفاً من المشاة وكتب إلى قول أهلك لإعطائهم الرواتب وبعث لهراسف الجيلى
فى جيلان كما أمر بإحضار كل رجل شجاع فى الديلم وجيلان ومنحهم جميعاً رواتب
تتراوح من ثلاثين ديناراً وحتى ألف دينار بما يناسب شجاعة كل منهم ، وأعد
خمسمائة رجل جيلى بالتروس والأعلام والسيوف والحراب وخصص قصرًا فى سارى
لأربعمائة غلام تركى من المشتريين ولم يسمح لأى منهم بالتزوج فى أى مكان آخر
إلا فى هذا بخلاف أربعة غلمان قد كانوا قد بقوا فى إرم ، وقد عين جزاراً وخبازاً
وكان نصيب كل غلام يومياً من حملة الرماح عشرة من الخبز ومن اللحم
ولحملة أجمة السهام خمسة أطنان من الخبز ومن اللحم وكان يأمرهم بهذا شهرياً
وكان راتب حامل الرمح أربعمائة دينار أما راتب المقاتل فكان يتراوح من خمسمائة
دينار إلى ألف دينار بما يتناسب مع قدرة كل رجل مع شجاعته وقدرته على المبارزة ،
وقام بوضع القوانين للجميع وظل هذا الوضع قائماً على هذا النحو حتى زوال دولة
آل باوند كرسوم وعادات الشتاء والصيف وعادات العيد ورمضان وعادات الزواج
ورسوم النقطة والأرز وعادات الحمام ، ولم يكن يعطى لأى تركى قرية أو موضع على
سبيل الإقطاع وكما مر فإنه لو مضى إلى سارى بعد منتصف الليل كان يطلب
الأربعمائة غلام وكانوا يركبون جميعهم بالسلاح وأوجد من أبناء الباونديين الذين كانوا
أقاربه ومن الأمراء والمعارف الذين كان لهم حق خدمة حكومته ، وخدمة والده أربعمائة
رجل للحراسة والذين كان يطلق عليهم فى الولايات الأخرى مصطلح سرصند بحيث
كان حراسة القصر وخدمته مائة رجل بصورة دائمة كل أربعة أشهر ، وأن يقوموا على
حراسة المكان الذى ينام فيه من جهاته الأربعة بأن يقفوا فوق منظره بارزة حيثما
يمكن لإنسان أن يجد طريقه من خلال تلك النوافذ فكان يقيم بكل منها اثنان من
الحراس ليل نهار لا يجلسان قط وقد ارتدوا الدروع وأمسكا بالحراب وعلقا السيوف
فى رقابهم وينام فيه من جهاته الأربعة بأن يقفوا فوق منظره بارزة حيثما يمكن
لإنسان أن يجد طريقه من خلال تلك النوافذ فكان يقيم بكل منها اثنان من الحراس ليل

أو نهار لا يجلسان قط وقد ارتديا الروع وأمسكا بالحرا ب وعلقا السيوف فى رقابهم وينا م البا قون فى الليل فى البلا ط ومعهم سلاحهم ، وقد عين العسس على رأس جنده والذين كانوا يخبرونه عن تحرك جيوشه ولايته للقتال وبأنهم يقودون الجيش إلى المكان الفلانى بناء على الأمر كذا ، وحين كان يصل والقادة كان لهم الحق فى المغادرة وفق إرادتهم ولم يكن لأحد من القادة أن ينتقل أو أن يستبدل فرقة بفرقة ومتى وفق اختياره وكان يقول مازندران برمتها ملكاً لى الملك والقصر وأمر بإبحار أربع مائة سفينة كبيرة على سطح البحر كى تبحر إلى سقصين وباكويه ودريند وتمين وكلاء للتجارة بكل مدينة من المدن الكبرى مثل خواجه كيا فى بغداد و "فنان ترجيح فى أصفهان وجلاب وأبو الحسن تجرفى دريند وصاين الطبرى التعويذى فى خوارزم وعز الدين محمد مختار فى الرى وأحمد عصار فى سقصين والزعفرانى فى مكة ومحمد وجارى فى سيواس فكان هؤلاء ممثلين له فى التجارة بحيث كانت حوالاتهم تتراوح من مائة إلى مائتى ألف دينار فكانوا يتعاملون بها إلى البيع والشراء لصالح ديوانه وكان يقوم بحمل غلاله إلى إسترا باد ودامغان على الدوام خمسمائة بغل يقودهم عشرة من الحمارين وذلك لبيعها وكان يأمر الوكلاء بأن يذرعوا قصب السكر حيث كانت أمل تنتج كل عام خمسة وعشرين ألف من كبير من السكر القوالب والنباتى والسكر الأبيض أما دابوى فكانت تنتج خمسة عشره ألف من وكان يقوم بإدارة مصانع السكر شخصان من خوزستان يدعيان بمحمد الخوزى وعلى الخوزى وكان فى عهده يتم مقايضة ثلاثة أمان صغير من السكر الأبيض بحبة ونصف من الذهب الأحمر .

"مجيء سليمان شاه إلى صافى الإصفهيد"

عندما هزم جيش الغز السلطان سنجر وأسروه كما هو معلوم للخاص والعام ، لا يزالون وقد التجأ أغلب أمراء سنجر إلى خدمة الإصفهيد وحضر سليمان نشاه الذى كان ابن أخيه إلى إسترا باد وبرفقته خمسة وكان الإصفهيد تاج الملوك مردأويج بن على هناك منزل إلى منزلة فى قصر عماد الدولة ولا يزال مبنى ذلك القصر باقياً فى إسترا باد وقد بذل فى حق السلطان سليمان نشاه الكثير من الرعاية بما يفوق الحد حتى ذهبوا ذات يوم إلى ميدان اللعب بالكرة ولم يتمكن أحد من جيش السلطان قط أن يتغلب على تاج الملوك فى اللعب بالصولجان وكان لديه جواد عربى كان قد اشتراه

بألف ومائتى دينار فقال السلطان سليمان شاه سوف أهزمك فى لعب الصولجان برهان منك على هذا الجوار و لك منى كل ما تطلبه وكان لسليمان شاه غلام وجهة كالبدر يقف خلفه وكان لا يصبر على مفارقتة لحظة واحدة ، فقال تاج الملوك متى هذا الجواد ومنك ذلك الغلام فوافق سليمان شاه فوضع الإصفهيد قائمين فى الركاب ووضع قدميه فوقهما وجلس على ذلك الجواد العربى وضرب عشر كرات وأخذ الغلام من سليمان شاه ، حيث لم تسقط القوائم من الكاب وحافظ عليها تحت كلتا قدمين حيثما كان يلعب بالصولجان بالبرهان على هذا النحو ولم يكن يقدر على هذا الأمر شخص آخر خلافة فى العالم ، وعندما مضى سليمان شاه إلى المنزل بعث بالغلام إلى الإصفهيد تاج الملوك فجهز الإصفهيد جواده بما يزيد على ألف دينار وأركب الغلام فوقه وبعث به إلى سليمان شاه ، وقد جرى ذكر هذا من قبل فى المجلد الأول وما فعله شاه غازى فى حق السلطان سليمان عندما التحق به وكيف أخذه إلى همدان وأجلسه على السلطنة وجاء محمود كندم كوب سلطان إلى مازندران ، وقد ذكرنا كل ذلك من قبل وكان السلطان سليمان قد أعطى الرى وحدودها إلى الإصفهيد وبسط الإصفهيد سلطانه على "الرى" وبعث السيد حسن نجم الدين لعمادة ورئاسة ولاية الرى وجعل نجم الدين محمد الذى كان والد سعد الدين على مشرفاً على الرى وبقيت الرى وملحقاتها حتى مشكو وتحت تصرف ديوان الإصفهيد وذلك لمدة عام وثمانية شهور وكان جميع معارف وقضاه وسادات الرى فى "مازندان" فى خدمة "شاه غازى" وكذلك "خوار" و "سمنان" وجلس والد السيد "عز الدين يحيى" والذى يدعونه "المرتضى" والذى لم يكن فى العالم سيداً "أعظم أو أكثر منه احتراماً ، وكان يجلس على السرير إلى جوار الشاه غازى وكان قد أشرف على الخزانة ومخازن الثياب وعلى سائر ولايته بحيث إن ما كان يخطه ذلك السيد بخطة من أمراً" بأن أعطونى كذا كان الجميع ينقنون ذلك وكانوا يعتبرون خطة أمراً واجب النفاذ وظل السيد فى مازندان يتمتع بهذه السطوة وأعطى السيد أمر من قزوین كان يدعى بكمال الدين مرتضى ولأخيه السيد قوام الدين منتهى مائة وعشرين ألف دينار ذهبية حيث أقاموا مدرسة بالرى بحى فى زمهران واشتروا قرية مكونة من سبعة ضيعات والتي تعد من أمهات القرى فى الرى وجعلوها وقفاً لهذا المدرسة وأوجد رسماً لكل شىء فى مازندران من القصعة والقصيعة والحصير حتى الأرز والسكر والنبات والزيت وكان يرسل كل عام التشريف فى كل

عام للقائم على المدرسة وفقهائها ولو أن شخصاً ما اطلع على كتاب الوقف فى الرى لأدرك همة ذلك الملك فى مدى ما وصل إليه من شروط خاصة بذلك الوقف ، ولا تزال تلك المدرسة باقية بحمد الله تعالى ولتكن باقية حتى يوم القيامة ، وقد استفاد أبناء أولئك الأشراف ومائتى فرد آخرين من العلويين القزوينيين من خيراته الاستفادة التامة ، وبعد وفاته أمر الإصفهيد علاء الدولة الحسن بن رستم بإحضار اثنى عشر ألف دينار ذهبية من الرى والتى كانت وديعة فى يد السيد كمال الدين وذلك لتوزيعها على المستحقين من الطالبين فى مازندران ، وما تزال تلك المدرسة قائمة عند باب زمهران إلى اليوم حيث تنص بالبحث فى العلوم وكان أحد أساتذتها الأستاذ العظيم السيد ضياء الدين سلمه الله والذي لا مثيل له فى الصلاح والزهد واستيعاب أنواع العلوم ، والتلميذ النجيب لمحمود الحمصى المتكلم الأمامى والمتولى السيد صالح قوام الدين على بن منتهى ، بالإضافة إلى الفقهاء وانشغل الجميع بالتعليم والتعلم وفى عدد من الولايات التى وصل إليها هذا الضعيف لم يتكرر فى بقعة قط من بقاع أهل الإسلام ذلك التجمع وحرص الفقهاء وصلاحهم وعلمهم وليبقى ذلك فى المدرسة هكذا إن شاء الله ، وعندما أخذ الأتابك إيلدكز السلطان أرسلان بن طغرل الكبير من قلعة درمار وأجلسه على العرش فى أذربيجان جاء إلى العراق وحارب سليما نشاه وقبض عليه أيضاً وحبسه فى القلعة يقول فى هذا البيت ما ترجمته :-

- يا الله يا من ليس كمثله شئ إنك لا تقبل بهذا كل الشياطين أحرار وسليمان فى الأمر .

وكان السلطان أرسلان رجلاً قد خبر الزمن وكانت رقبتة فيها انحناء من كثرة ما كان يخرج رأسه وهو فى قلعة دزمار من أعلاها لينظر إلى الماء فى أسفلها وكان أمر العراق وأذربايجان وآران وأخلاق قد أسند لإيلدكز وبعث بابنه محمد إلى الرى وقد مد الإصفهيد سنقر إينانج بالمدد من جرجان وبعث به إلى الرى وطرد الأتابك محمد وقامت مصاهرة بين إيلدكز وإينانج فطلب "قتيبة خاتون" التى كانت ابنة للأتابك محمد ولم يكن فى كل جيش السلطان سنجر مقاتل واحد مثل سنقر إينانج وكان يحمل أربعة سيوف اثنان فى سرج الجواد اثنان فى جانبيه وعندما حل الاضطراب فى الولاية استرد الإصفهيد قلعة "إستوناوند" والتى كان قد استولى عليها عباس من الملاحدة وتركها

للترك فاشتروا ثانية من ذلك التركي وحاصر منطقة " بيروزكوة " وعندما علموا أنهم لن يقدروا على حوزتها باعوها للإصفهيد وأعاد أمراء العراق جميع دماوند إليه .

خاتمة أحوال الإصفهيد ومرد آويج

لم يكن لدى الإصفهيد أى أمر أهم من أمر أخيه فبعث الجيش إلى إستراباد وتخلّى الأهل عن أخيه واتجهوا لخدمته حيث كانت أمواله طائلة ولا حد لها ، أما تاج الملوك فقد كان فقيراً معدماً لدرجة أن حوالة الرواتب لم تصل ذات يوم لمائة رجل من أفراد الحراسة ، وكان أستاذ القصر رجل يدعى القاضى فتقدم إليه وقال له لا توجد أموال اليوم لأجور الحراس الجيلىن وهم يطلبونها فقال الإصفهيد أجنّت أيها الرجل تقول أن الجيلىن يطلبون أجورهم وقد ألقيت بشال العمامة على جبهتك ، فخرج القاضى من عنده وألقى شال العمامة على قفاه ودخل إليه ثانية وقال لقد ألقيت شال العمامة على قفاى وما زال الجيلىون يطلبون أجورهم قطأطاً الإصفهيد وتبسم ولم يحر جواباً وكان الأتراك السلطانيون مستوليىن على قلعة بالمن فاشتروها الشاه غازى منهم ومضى أهالى بالمن وخواسته رود والسيد جمال الدين أبو القسم العلوى الإسترابادى إلى الإصفهيد وكان السيد جمال الدين أبو القسم العلوى هذا خباز سوق إستراباد وكان هو ووالده قد أخذوا إستراباد بضممان وعماد الدولة مردأ ويچ وفرامرز اللذان كانا ممدوحى الشاعر العمادى كانا ملكين وكانت قلعة بالمن ملكاً لهما ولا يزال البرج العمادى إلى الآن فى تلك القلعة عامراً ولم يتمكن أحد من أصابته بخلل فلما توفى مردأويچ وفرامرز ومعه القلعة فى يد أرغش ومضى وردانشاه وأخويه لخدمة علاء الدولة فانتقل السيد جمال الدين هذا إلى الخدمة ورداشاه وعندما استولى شاه شرطته على إستراباد أسند إليه قيادة الجيش فى إستراباد ثم أسند إليه بعد ذلك قيادة الجيش وجاء لدى الإصفهيد "على لرزة جهينة رويبار" والذى ما زال أبنائوه حكاماً عليها إلى الآن وأنداك لم يكن فى تلك المناطق محارباً أشجع منه وكان قائد شرطته يحبه بسبب سلطانه ورجولته وكانوا يضربون به المثل فى الشجاعة وأطلقوا عليه اسم "رستم مازندان" فأمره بأن يحاصر قلعة جيينه ، وكان يوجد رجل يدعى بإسحاق من "رستاف وجمنة رود" فعينه فى تلك الحدود على رأس جيش كبير ولم يتبق هو بجهينة قط ، وكان الإصفهيد تاج الملوك الذى تزوج

من أخت السلطان قد أصبح محترف العيادة وعندما علم أن أهالي رودبار وقد مضوا برمتهم إلى أخيه ترك القلعة وصار إلى ولاية كبود جامه مع "فخر الدولة كرشا سف" الذي كان ابن زوجته ، فتوجه إلى ولاية "كبود جامه" من هنالك إلى خرسان وبعث الإصفهيد برسالة إلى "كبود جامه" قائلاً له تركت مردأويج يرحل إلى خرسان فسوف أقتلك بدلاً منه فرد عليه كبود جامه بأن ليس لدى الشجاعة قط لسفك دم أخيك ولكن سأمسك به وأقيده وتبعث بشخص يقوم بقتله ، فأرسل الإصفهيد أعوانه وبعث بشخص يدعى سنقر الأحمر وهو غلام كان ما زال حياً حتى عهدنا فأطاحوا برأس أخيه تاج الملوك "مرد أويج" وأحضروا في مقره في رودبة وكان ذلك الغلام يلقب طيلة حياته بقلب أن كش "أي صائد الديوس" ذلك أن قائد شرطته كان يسميه هكذا ، وبعد ذلك استولى هو على القلعة وعمّر قلعة وجار أحضر زوجته التي كانت أخت السلطان وبنى بها عدة أيام ثم توفيت بعد ذلك وكانت تركت ولد يدعى "ويتاق" من بين الأفراد الجيلىن التابعين للأمير "آجل" قد التحق بخدمة الإصفهيد ، وكان الإصفهيد قد استولى على جرجان بعد "سنجر" و"محمود خان" واستولى أيضا على "جاجرم" وبعث الأمير "إبراهيم ترجى" الذى كان وزيره وملقب "بمجاهد الدين" لرئاسة ولاية "جرجان" كما جعل شولك الملقب "بنجم الدين" على ولاية "جاجرم" وجعل "يوسف عليان" قائد شاه معوية رئيسا للقلعة هنالك مع الأبناء.

"ذكر ذهاب الإصفهيد إلى خرسان"

عندما فرغ كل هذه الأمور كان "الغز" قد استولى على كل خرسان ، وكان طوطى بيك وقرقود وسنجر هم كبار وقادة ملوك "الغز" فبعثوا إليه بالرسول ووصلوا إلى خدمته فى مكان "روز آباد" بقرية "نوخندق" وكان كل رسول يحمل رسالته من أحد الأمراء منادياً بأن سنجر كان عدوك وقد تمكنا منه واتفقنا على أن نستخلص لك كل ما كان ممكنا من العراق ونسندك إليك علموا أنهم يعطى لكل منا دينارا" من حطبين وأن تعطى لنا من خرسان أربع حبات ويكون لك حبتان ، ولأن خوارز مشاه الكبير إتسن كان صديقاً للإصفهيد وكان قد كتب له يتحالف معه وأن يرسل له ليذهب وليحرر السلطان من قبضتهم ولا تزال نسخة ذلك الخطاب مكتوبة فى كتاب أبكار الأفكار لرشيد الدين الطواط ، ولذا فلم يعبأ الإصفهيد بكلام الغز ورسلهم وجمع الجند فى

بضع وثلاثين ألفاً من الفرسان والمشاة من "شوزيل دشت" و"كولا" ، ولو أردنا أن نكتب كل واحد لطال بنا المقام إلى ام رحل الفز عن نيسابور ليلتوا إلى الدهشان وكان الإصفهيد قد أعطى جرجان ليتاق وأنداك بلغ خبر الموت خوارزمشاه الكبير إرتز في موضع "بهراز آسف" وهى على مسافة ثلاثين فرسخاً من ناحية خوارزم ، وتوجه الإصفهيد مع كل جند من الجيل والديلم ورويان ولارجان وكبود جامه ويتاق وجند دماوند وقصران ورجال قزوين إلى الدهشتان على أمل أن يلتقى بالغز وانضم على الطريق إلى الجيش الكثيرون من أمل وسارى وإرم وحدود بنجاه هزار وإستراباد فلما التقى الجمعان أرسل الغز إلى الإصفهيد قائلين دعنا نعود ونترك لك نيسابور وتلك الحدود فرفض الإصفهيد وقال لأنى جئت للغزو والجهاد ولن أجزى الصلح ، متحارباً معاً وكان ويتاق وكبود جامه مع جندهم على الميمنة ولارجان مزربان دماوند وقصران على الميسر وكان الإصفهيد مع الغلمان وباوندى طبرستان فى القلب وعندما ركب الإصفهيد آنذاك كى يدخل المعركة تعثر جواده فقال لحسام الدولة باهاشم العلوى إذا لم تكن مقدمة الجيش قد إذن فارجع لأدنى لن أحارب اليوم ، فقال باهاشم والآخرين لقد تحركت المقدمة قبل الصباح ولا بدأن تكون قد وصلت إلى موضع المعركة ، فقال اليوم إما يأسرونى أو يهزمونى ، فقالوا لماذا يدلى الإصفهيد بهذا الحديث ، فقال ذاك اليوم الذى أسقطنى فيه قراجة الساقى عن الجواد فى المعركة وأصابونى فيه بجرح كان جوادى قد تعثر فيه أيضاً ، أما والآن وقد تحركت المقدمة فتوكلوا على الله وذهبوا ، فلما وصلوا إلى الخصم على الوضع الذى تم شرحه دفع الغز بقلب جيشهم فى مواجهه الإصفهيد واندفع الإصفهيد إلى الأمام فى ثلاث هجمات ، فتقهقر قلب الغز أمامه وتحركت ميمنة الغز أمام ميسرة الشاة وثبتوا جميعاً وتقدموا فقال يتاق وكبود جامه لبعضها لو انتصر الإصفهيد فى هذه المعركة عندئذ سوف يقبض علينا نحن الاثنين فى نفس المكان ولن نذهب من يد إلى ولاياتنا أحياء لأنه لم يترك أى صاحب جهة قط كى يستعيدوا ولايته ، ودون أن يصل إليهم أى هجوم تراجع الاثنان بجيشهما منهزمين فشاهد الإصفهيد من بعيد غبار جيشهما فقال ما ذاك الغبار فقالوا لقد ولى يتاق وكبود جامه على الفور ودخل جيش الغز من ذلك الجانب وهزموا جيش الإصفهيد فقالوا للإصفهيد أن الغز قد جاءوا فى أثرنا فقال لهم أقيموا عرشى ها هنا فقال إخوة ناصر الملك وعظماء طبرستان هذا

أليس مكان العرش فسوف يقتلون جميع ضحك ولن يبق أحد من مشاتك فقال آه اللعنة على عدم وفاء الترك وأخرجوه من هناك مع أربعة أشخاص ومضى ويتاق وكبود وجامعة إلى ولايتهما ولم يبق من جند الإصفهيد الثلاثين ألفا سوى ألف رجل وقتل الباقون جميعاً ولا تزال آثار القتلى باقية حتى الآن وحضر الإصفهيد إلى طبرستان واختار مرة ثانية جيشاً جديداً قوامه اثنا عشر ألف رجل ، ومضى إلى حدود قلعة مهريين ومنصوره كوه وحاصرها ثمانية استولى على بسطام ودا مفان ومضى الغز إلى ما وراء النهر واستطاع "المؤيد آييه" أن يسرق السلطان سنجر من وسط جيش الغز وأن يحضره إلى "مرو" وأن يجلسه على العرش كما استرد "تركان خاتون" وكان عمر السلطان قد بلغ حوالى الثمانين عاماً وما لبث أن توفى فظهر أمير بكل طرف من أطراف خراسان وهذه قصة طويلة وليس لها ارتباط بهذا التاريخ ، فلما ترك الإصفهيد ملاحقة الملاحدة "لكيا برزك" وترك كيا برزك الملك للديالة ورحل عن الدنيا بعد فترة أسند الإصفهيد ملك الديالة إلى "كيكاوس إستندار" الذى كان ابن اخته مقابل خراج قدره ألف دينار قادري وقال له أقم هناك على أن تكون مهتماً بالقضاء على الملاحدة والغزو والجهاد ، فامتثل كيكافوس لهذه الخدمة على نحو ما أمر به إلى عامين حتى نزل الأمير "شهر يوشن" وكان يوجد أمير من أقاربه يدعى ناماور والذى كان والد ابن بيستون وكان يوجد اثنان من أبناء شهر يوش هما هزار آسف و خليل ، وكانا مازالا صبيين وقال أهالى رويان لناماور بأنك الأفضل بأن نرفعك على العرش فمضى كيكافوس من ديلمان كجو وقبض على ناماور وكبله بالقيود وبعثه إلى قلعة نور حيث ظل هناك حتى آخر عمره وجلس هو على العرش ودخل فى خدمة الإصفهيد وتكفل بدفع أربعة وعشرين ألف دينار عن اليش وحتى سياه رود وكان نائبه يحضر يوم السبت من كل أسبوع إلى ديوان أمل ويدفع قسط الشهور نقداً ، وكان يسلمه إلى مرزيان الذى كان الحاكم هناك .

ذكر مخافة إستندار كيكافوس وفخر الدولة كرشاسف مع الاصفهيد

خلال معركة دهستان تعاهد إستندار كيكافوس مع فخر الدولة كرشاسف بحيث الأول يعلن العصيان فى أرض رويان ويعلن الثانى العصيان فى "كلبايكان" ، قائلين لقد ضيقنا ذرعاً من حروبه ومعاركه ونفدت طاقتنا ولايتاح لنا يوم أن نستمتع بالملك

وباللهو والمتعة وما عندنا من تبع وما لنا من ولاية ، وفى النهاية أما أن ينتهى أمرنا بالقتل أو بالأسر نتيجة وجودنا داخل جيشه وتعاهدا فيما بينهما على هذا النحو بأن تأخذ أنت إستراباد بحيث أخذنا أمل ، وعندما وصل كل منهما ، إلى مكان جاء إستندار كيكاس إلى أمل وأشعل النيران فى قصر الإصفهبد فى "قراكلادة" فأخرجته جيش أمل وحضر فخر الدولة إلى إستراباد وأغار عليها ومضى إلى كلبايكان وبعث الإصفهبد بالجيش خارج تميّشه وأحرق كلبايكان وأمر بضرب رقاب بعض الرجال فهرب فخر الدولة كرشاسف ومضى إلى قلعة جهينة فأغاروا على كل زوجاته وأولاده وقبيلته وأحضرهم إلى سارى وفى ذلك العام قالوا لعز الدين محمود وحاكم إستراباد أنه اتفق فى السر مع فخر الدولة ومع "موفق" أخيه الذى كان كاتباً عند فخر الدولة فأمسكوا به هو الآخر وقد ظل قيد الأسر لمدة عام وثمانية أشهر فى قلعة شكن والتى يطلق عليها "ورن" وفى هذا العام كان يوجد وزير يدعى "مجير بانصران" وكان قد عمل فى خدمة "كروة بازو" وقد قتل الملحد فى "سر خس" وكانت "خزانة كروه بازو" تحت يدة فقام بنقلها خفية عن بقية الجيش وسلمها إلى الإصفهبد ، فاعتنى به الإصفهبد وفوض البن وزارته فارتقت فى عهده أمور وزارة مازندران بحيث لم يكن لباونداى وزير أنفذ بصيرة وأدرك رؤية منه لا من السلف ولا الخلف ، وقيل بأن الإصفهبد قد أودع أربعمئة ألف دينار من الذهب أمانة عنده وعندما حان وقت وفاته قيل للإصفهبد أن الوزير سوف يموت فبعث إليه يسأله أين وضع تلك الأمانة فجلس وهو فى النزاع الأخير وقال أبلغوا الإصفهبد بأنى لازلت حياً ولن أموت وعندما أنهض سوف أبلغه بنفسى ، وما كاد الرسل يخطون خطوة خارج المنزل حتى صعدت روحه ولم يجد ذلك المال وبعده بقى أخوه وابن أخيه المسمى "باعلى" وفى عهدنا طالبوهم بهذا المال كثيراً وقد أودعهم فى السجن لفترات كل من علاء الدولة حسن وشاه أروشير وعندما ما توفى مجير نظم فيه شعراء سارى هذا البيت .

مجير توجنا برنة اون مجيرى كة كتن بتى سزد ازدرها بميرى

وعندما استرد الإصفهبد كلبايكان من فخر الدولة هرب فخر الدولة إلى قلعة جهية وبعث الإصفهبد بابن علاء الدولة حسن بجميع جيش إستندار وأمره بأن لا يعود

قطعاً ما لم يقبض على كيكافوس أو يقطعوا رأسه ، وعندما صار الإصفهيد مع جيش طبرستان إلى كيكافوس فقدم إليهم في "سركاوى رجة" وأقام الكمائن وهزم الإصفهيد علاء الدولة حسن وجميع جيشه وشردهم وكان هناك جيلى يدعى جيلا نشاه والذى كان "شاه غازى" قد أعطاه راتباً يبلغ سبعمائة دينار ولم يرجع إلى ذلك الجيش ولم يستطيعوا أن يحركوه من مكانه إلى أن مزقوه إرباً إرباً ويقال إن أرجيلى أجلس الإصفهيد علاء الدولة فى السفينة وأخذ إلى جيلان ونزل بقصر سلطان شاه جيلى وقد أصاب وجه وإحدى عيني الملك مبارز الدين أرجا سف بالسيف وهو الذى كان يدعى أشتر وأمسكوا بالإصفهيد خورشيد مامطير ويقول البعض بأنه كان قد أخبر بنفسه كيكافوس بهذا الزحف غدرًا أو كان الإصفهيد قد خفض من منزلته بسبب "كروه بازو" والذى قتلوه فى "سرخس" لأنه كان راعيه وقد حرضوا أخاه "بادشاه قارن تابريان" ضده ورفعوا من مرتبته ومنحه قيادة الجند والحكم فى المنطقة من سارى وحتى "رشتاق أمل" ، ولما طلب الإصفهيد "علاء الدولة حسن" والأمير "على سابق الدولة" ومظفر الدين العلوى والإصفهيد مجد الدين دارا" وحسام الدين باهاشم العلوى" أن يلتحق كل واحد منهم بخدمته بعد فترة أمر بأن يمضى الإصفهيد "شرف الملوك علاء الدولة حسن" إلى "كركم" وألا يعطى صهر حصان قط وانتزع منه جميع إقطاعه وبعث "حسام الدين العلوى" إلى "واكتان" فى "دابوى" وبعث يظفر الدين فى جيكا بلى إلى "رشتاق أذرات وقال لو علمت أنكم فى أى عام أنكم خطوتم خطوة خارج هذا المكان أو جلستم على الخيول فسوف أصدر أوامرى بشنق أبنائكم وكل من لكم هناك ، فقال الأمير على سابق الدولة أليس من الممكن أن تتركنى حتى ألتقى بك فى المعسكر وأقدم لك ألف شاة ، فقال نعم فأهداه ألف رأس من الأغنام فى موضع "شيلت" حتى تركه وقال له لقد أسميتنى "بلى الحمار" ألا تعلم أن الحمار لا يأتى منه سوى الحماقة فرق الإصفهيد لحديثه لكنه استرد إقطاعه وملكه بعد عام أيضاً وبعد ذلك أصيب الإصفهيد بالنقرس وكانوا يحملونه على المحفة على كواهلهم فى الأغلب إلى أن جمع الجيش ومضى إلى بسطام واشترط قلعة بديش وأغار من هناك على كجو ومعظم الجند الذين قاموا بالهجوم كانوا هم أمراء سنجر الذين دخلوا فى خدمته وعندما علم

إستندار كيكوس بالخبر وأنهم قد حاصروا قصرة خرج حافياً ضالاً الطريق واتخذ من الجبل مقاماً لنفسه وأغاروا على "كجو" ثم عادوا .

"قتل باحرب لوالده منو جهر مزربان لارجان"

وفى هذا العام قتل منو جهر لارجان مزربان على يد أبنه باحرب ، وتفصيل هذا الأمر هو أنه قدم منو جهر الاخلاص والوفاء فى خدمة الإصفهيد وكان يبذل قصارى جهده فى طاعته وخدمته وأصبح يعرف بالقرب الأكبر للإصفهيد وكان أهل لارجان يعتبرونه أكثر من والدهم وقد كان هو ملكاً صاحب عقل رزيناً ذا الكفاءة وكانت "كهود" أكثر ازدهاراً وعمراً فى عهده فقد جلب الحرفيين من الهند والروم ومصر والشام وأقامهم بها وأنشأ المباني العجيبة بحيث إذا لم يشاهدها شخص لا يصدق ما يفعل ، وقد جمع من العمارة والتجارة أموالاً كثيرة من الممكن جمعها آنذاك من مئات الفرسخ من الملك وكان له ثمانية عشر ابناً وعدد من البنات وكان ابنه الأكبر يدعى "باجرب" وكان متهوراً فاسقاً لا يعرف لله حقوقاً ، ولم يكن أبوه راض عنه قط ودائماً ما كان ينفر منه على الدوام وذات مرة هرب من والده فى "كهود" وجاء إلى القلعة شنيوه لينضم إلى خدمة الإصفهيد وبلغ الخبر إلى والده فبعث بالجند فى عقبة ليمسكوا به ويحضروه فلم بلغ الرباط لم يتمكن تك الجماعة المرابطة أن تمسك به ، فخرج وفجأة وصل إليه جند والده فقفز بالجواد فى نهر "هرهز" كما لو كان جبل قد انقلب عن بعض وسقط وتركه رجال أبيه للموت وعادوا أدراجهم ، وأنفصل هو عن الجواد فى وسط المياه وبلغ الشاطئ ، وبقدرة الله عز وجل وكمال غيبته خرج الجواد قبله سالماً من ذلك الماء أيضاً فركبه ووصل فى ذلك اليوم ليلاً إلى أمل وعندما علم القائمون على الشرطة والنواب بوصوله تقدموا إليه فى الحال وهيئوا له كل ما يلزم من ملابس ودواب وملابس نوم وقصر وكل ما كان ممكناً ، وعرضوا هذا الأمر على الإصفهيد فأمر بتقديم الرعاية الكاملة له وأن يرسلوا إلى البلاط بكل مودة فامتثلوا للأمر وبعثوا به فلما وصل إلى البلاط قدم له الشفقة الملكية والطف الكسوى وجعله ملازماً لخدمته على الدوام ، إلى أن كتب منو جهر إلى الإصفهيد بالخدمات والطاعات وعرض عليه حال ابنه وبعد فترة أعطى الإصفهيد إقطاعين لباجرب وبعث به

مكرماً معززاً إلى والده وكان والده قد أسند إلى أخية والذي كان أصغر منه ولاية العهد فلم يكن لباحرب قدرة على حمل هذا الأمر وبدأت الغيرة والحسد وما كان فيه من حماقة طبيعية وإهمال والده له ، ولم يكن يدرك هذا التعيس أن شؤون العالم تتعلق بالمقادير السماوية وأن الملك لله تبارك وتعالى وأنه لا ينبغي الإقدام على سفك الدماء من أجل أيام معدودة لاسيما والده ولى نعمته بحق ومربيه المطلق وهو خرج من صلبة من مجرى البول فجمع شقاء الدنيا والاخرة ، وعاونته على ذلك دناءة الصحة وقله إحياء والمروءة وفساد العقيدة فجاءة إلى والده فى ليلة من ليالى رمضان وقال له إني سأستضيف أخى ولى العهد وأخذ اثنين من إخوته الآخرين الأطفال إلى منزله فى تلك الليلة ، واحتفظ بإخوته عنده إلى وقت متأخر من الليل وكان يقدم كل ساعة وليمة جديدة بحيث إن الأب والأخوة عندما يفرغون من الضيافة سيذهب كل منهم إلى قصره فأمر ابن الحرام هذا وغير المسلم بقطع رقاب كل أخوته ، وفى الصباح حضر مبكراً إلى القصر والده وكان الأب قد ذهب من القصر إلى الحمام ثم خرج منه وتمدد فوق سند وكان قد جلس القرفصاء أمامة كل من همام ودابوا فدخل باحرب متسللاً حتى وقف خلف والده وأخرج دبوساً من كفه وضرب به على رأس والده بكلتا يديه فأسلم الروح فى الحال فهم أحد الغلمان ليقتله بالسيف فعاجلة غلمان باحرب وقتلوه على الفور ، فقال همام ودابوا مثل هذه الأمور تحدث كثيراً فى الدنيا فأمر بنقل أبيك من هنا وامضى أنت إلى أعلى المنزل فمضى هو إلى سقف المنزل وأرسل بإخوته المذبوحين إلى الميدان وألقى بهم هنالك ، وقال على الفور إني فعلت هذا بأمر من ملك مازندران حتى لا يجرؤ الناس على مناقشته فى الأمر خوفاً من ملك مازندران وأمر بإغلاق بوابات كهروود وبعث برسول إلى الشاه غازى وكان الإصفهيد بكجمور وعندما وصل رسوله قادوه فى الحال إلى الإصفهيد فقال لماذا أتيت فقال لتبقي دولة الإصفهيد لقد حضرت من عند باحرب الذى قتل والده فقال له حيث قتل والده فهل سيدخل فى طاعتى أم لا ؟ فقال : هو عبدك المحقر ويقول سوف يأتى للخدمة فقال : الإصفهيد اذهب وأخبره بأننا سوف نكون فى إستندارى ويجب عليك أن تأتى على وجه السرعة ما أمكنك ، ومضى الرسول إلى باحرب وعرض عليه المودة واستعمال الإصفهيد له

وعندما حضر الإصفهيد من كجمور إلى أمل حضر باحرب للطاعة مع ثلاثمائة من الفرسان والمشاه وقد بدت عليه مظاهر الزينة والتي لم تكن لوالده إطلاقاً وأخذ الإصفهيد الجيش ومضى إلى الديلم ومن الديلم إلى كلام ومن كلام إلى "كور شيرد" إلى "كجمور" وقد أشعل النيران في الولاية وقد جرى ذكر هذا المجلد الأول من الكتاب ، وحضر من هناك إلى "سردارى رجه" وقام "إستندار" على نحو ما فعل علاء الدولة حسن بالتحرك مع جملة الفرسان والمشاه فانهزم باحرب لارجان مزربان ومعظم أعيان مازندران فقال الإصفهيد ماذا حدث هنا فاخبره بأنهم قد دمروا الجيش فقال أحضروا العرش فأحضروه ووضعوه على الأرض فقال أذهبوا أنتم الآن وليأتى مثل هذا الأبن ليأخذنى فأتى جميع المهزومين وقفوا أمام العرش ، وكان الشهيد "كيانو كلاوه" قائداً كبيراً ومعروفاً وقديماً في الخدمة ومن أهل أهلهم فقال للإصفهيد حيثما تريد الجلوس أمر بأن يحمل ذلك العرش إلى المكان هناك وفتح هو قباؤه فعاد باحرب مع الأمراء الآخرين وفي لحظة واحدة قتل تسعمائة رجل بالسيف وأسر أربعمائة رجل من كلار إصفهيد ومن آل مانى وشرزيل وخردا والجيل والديلم وجرجى وأحضرهم أمام شاه مازندران ونجا إستندار كيكافوس مع شخصين ، ورحل الإصفهيد من هناك وجاء إستندار إلى سر بشته وكان معه سيد فقال له اترى ذلك وهو بهذه العلامة كأنه شاه غازى اذهب إلى هناك لأجلى وأخبره بأن العبد كيكافوس يقوم بتقبيل الأرض مطيعاً نادماً ويقول أننى قادم بالجرم الذى اقترفته ولقد فعل ما شاء وعاد فهل من مجال للعفو وحين تفرغ من قول ذلك عد إلى هنا فسوف أبقى هنا أنتظارك ، ومضى العلوى وقال هذا الكلام للإصفهيد فقال الإصفهيد طالما أنك قد أخذت مكافأتك فالأمر مرهون بمولاتك وعاد الإصفهيد من هناك إلى أمل وكان الوقت شهر رمضان وربط أولئك الأربعمائة رجل فى جسور ذلك القصر الذى أشعل النيران فيه وألقى بالحصير فيه فساعد على اشتعال النيران أكثر بحث لم يستطيعوا أن يعبروا من كند فى ذلك المكان إلى المدينة أمل بذلك الحى وكان رجلا من عظماء قد قدم مبلغ العشرة آلاف وعشرين ألف قادري فلم يأخذها ، وقال أى ملك فى الدنيا تواتيه الجراه بأن يحرق منزلاً مثلى وعندما حل الخريف أخذ الجيش ليمضى إلى الديلم وعندما بلغ "بنفشه كون" علم إستندار كيكافوس بذلك فخرج فجاءه ومعه السيف والكفن من باب الدهليز ، وحضر لدى الإصفهيد فى روى وقال ماذا أخذه عليك "كيكافوس" من العصيان فقال أنى

عصيت بسبب مزربان أمل لأنى كنت قد ضمننت الولاية ولم يف تفدا المزربان وكيكاوس يطالبنى بالمال فقال له سوف أصدر أمرا ليتفخض عنك فامضى الآن وكن وسط قومك حتى لا ينتشر أعوانك ولا يظنون أننا أمرنا بعقابك ، ويجب عند وصولى إلى أمل أن تكون فى معيتى مع جميع الجند حيث أذهب لأنزل كرشاسف من جهينه فقال يا مولاي أنى امتثل للطاعة وسألتحق بأمل للخدمة فالجند جميعهم قد التحقوا بخدمة مولاي وأنا وحيد ، فقال له لا تحزن لهذا وحينما أبلغ أمل سوف أبعث إليك بالمدد ومضى كيكاوس وسط جيشه ولما بلغ الإصفهبد أمل أنضم هو إلى الخدمة فأصدر أمراً لحاكمها بإعطائه ألف دينار من الذهب الأملى وعدم مطالبته بقدر من الذهب وهو المبلغ الذى تكفل به ولم يف به ، ورحل عن أمل إلى حدود جهينه واستدعى كيكاوس وقال له افعلت هذا الاتفاق وبيعة العصيان هذه أنت وكرشاسف معاً فقال نعم كان الأمر على هذا النحو فأمره بأن يذهب إلى القلعة ويخبره بأننى أكثر منك وأسبق بكثير فأن لم أعش مع الإصفهبد فلن تعيش أنت أيضاً ويخرج إلى حضرتى حتى أعفو عنه وإلا أمرت بهذا الجبل وهذا البحر بأن وأمرت باشعال النيران فى كلبا يكان فمضى كيكاوس إلى القلعة وأبلغ فخر الدولة بما كان قد دار بينهما فأنزله وعفا الإصفهبد عنه وعينه حارسه الخاص عليها وجاء إلى مازندران وظل يجمع الجند لمدة ستة أشهر من مياه جيلان وحتى دينار جارى وجاجرم وشبينقان وجرمغان وأمر باقتلاع الأشجار من لندويرد سائر القرى ويعد ستة أشهر مضى إلى حدود "كرد كوه" ومعه مائتى ألف حمل من أخشاب الأشجار وأقام العمران حول القلعة صبور ثم أمر بضرب منطقة فى مازندران تدعى "كله دار" (صاحب القطيع) وتعالى صياح ملاحدة كرد كوه أنكم أتيتم متأخرين وكان يجب الحضور أسرع وفى الوقت المناسب أن الإصفهبد قد أدرك أمرنا أننا أكلنا حظائر الأغنام فقال : أحبهم بأننا اذا كان قد حضرنا هذا العام فى وقت متأخر فسوف نأتى العام المقبل فى وقت مبكر وظل أهالى مازندران مشغولين لمدة شهرين بحصار القلعة وأنقضت مدة ثمانية أشهر على هذا الأمر وبعث الملاحدة بعدد من الأحمال الذهبية إلى بغرا تكين فى خرسانة حيث أخذ ابن الحرام الفاسق المرتد الملعون جميع جيش خرسان وهجم على الإصفهبد فجأة وجيشه كان غائباً حيث أرسله للإغارة على قلعة الموت ولم يكن أحد من المسلمين قد تعرض لمثل هذا الجهاد قط

ووصل بفراكتين فجأة إلى جوار المعسكر فدق الملاحدة الطبول من القلعة وهددوا الإصفهيد شاه غازي فأبلغوا الإصفهيد بأن الترك قد وصلوا فقال أحضروا العرش فأحضروا له فجلس عليه وأغار جيش "بفراكتين" على اطراف معسكرة وعاد في الحال ولكن أعوانه قد تفرقوا جميعاً حتى بلغوا "زرام" و "أجورود" فانهارت إحصامات الحصار وبعثوا بعدة الاف الدنانير مع قطعة ملابس كهديه وصلة فقال الإصفهيد أننى احمل هم استئصال الملاحدة من أجل حرمة الاسلام وبما إن للمسلمين مثل هذه الهمة فسوف أفعل ما استطيعه ، وأمر باشغال النيران في جميع الحطب فبعث الملاحدة بأن تبيع لنا هذا الحطب مثمناً كانت رغبتك ، فقال الإصفهيد من الجائز ألا يتركنى المسلمون معدوموا الحمية أن استولى على القلعة فلا يجوز أن أمدهم بببيع الحطب وأمر بحرقه جميعاً ، كما أمر بخروج الجيش من تمشيه حتى يستولون على مناطق جناشك برقتها وكان "تاج الدين تورأنشاه" قد مضى إلى خراسان خوفاً من الإصفهيد لما أرك سطوته تشفع بحضرته لعجزه وقله حيلته وقد باع قلعة جناشك للإصفهيد بأثنى عشر الف دينار ودخل في الطاعة ولم يدعه الإصفهيد يغادر طالما كان حياً وأصبحت مناطق جناشك ملكاً للإصفهيد والتي كانوا قد اشتروها منه ، كما بعث بالرسول في تلك الفترة ايضاً إلى قزوين وكان سابق القزوين رجلاً شجاعاً ومقاتلاً والذي كان قائد جيش السلطان مسعود وقد أشاد الإصفهيد برجولته في العالم فاستماله وبعث إليه بالأموال الطائلة وأحضرة إلى مازندران مع زوجته وابنة وقبيلته وعشيرته ، وأعطى له "بسطام" و "دامغان" و "جاجرم" و "باركند" وكان سابق غازياً ومقاتلاً للملاحدة ، قد جعل الملاحدة لا يقودة على أن يضعوا أقدامهم خارج جبل "كرد كوه" وكان تحت إمرته مائة رجل من المشتريين وأربعمئة رجل من الديلم وقزوين من أقاربة وسيطر على المنطقة من سمنان وحتى نيسابور بحيث لم يكن طائر يخلق في الجو من خوفاً الا بحساب ، ولم تتوافر لأحد قط من أصل مازندران تلك المودة والثقة التي وضعها الإصفهيد فيه وقد ذكر في المجلد الأول من الكتاب أنه ذات مرة بعث إليه بعضاً من الذهب كصله له وأنداك كان "مؤيد أبنة" قد استولى على ملك نيسابور ويهق وطوس ، وكان يكتب إلى الإصفهيد أنا خادمك وأسعى لخدمتك وسأضرب بسيفي في خدمتك وسأجعل الولاية والخطبة باسمك فأدرك الإصفهيد أنه لا يمكن على قول الاتراك

وأنهم لا يفون بالعهد فأمر بأعطاء الجيش مهله لمدة عام ليستريحوا ويعيدوا تنظيم أمرهم من جديد حيث إننا سوف نقعد العزم على استخلاص ملك خراسان وبعث بالرسول إلى سنقر إينانج في الري واتفق على أن يزوجه الإصفهيد "ويسلم" فتاه من السلاجقة علياً أن يكون قائداً لجند الإصفهيد ويسلم العراق وخراسان للإصفهيد وزوج فتاه أخرى تدعى "إستي شاهان" من "باحرب بن منوجهر" ، فأخذها إلى "لارجان" وجاء منها ولداً سمى "كينخواز" وأصل الحديث فأقول إلى أين أنتهى الأمر أنه بعد بضع وخمسين عاماً اشتدى مرض النقرس واحتباس البول فى جسد شاه غازى فكانوا يحملونه على الاكتاف فوق المحفة التى اعدّها له وينتقلون به من ولاية لأخرى فى أغلب الأوقات ، وأمر بمزيد من الصلات لكل فرد بمنطقة سكنه بست كما أمر بوقف الأموال التى فى "مازندران" من "تميشه" وحتى "جیلان" وكان قد أقام عاملاً ومشرفاً وشرطياً خاصاً لعمارة سنك بست واقامة جسرو ولم يصنع لأحد يحاول التودد إليه بأنهم قد نهبوا العديد من الدنانير وكان يقول إننى أخرج المال من الخزانة لوجه الله تعالى وهم يعرفون الله وكان قد خصص لوجه المبالغ الطائلة من الذهب وجمع المعدات لتوظيف من أجل جسر "جمنويه" و "باول" بحيث لم يترك ذلك الماء الذى يمر إلى "طبرستان" جميعها من جبل والفلاة ومدن وساتيق يتجه إلى مكان آخر ولم ينشئ الجسر من الطوب او الجص ومازال أكثر باقياً فى مكانه إلى اليوم ، وكان يوجد بأمل منطقة تدعى "بكوزه كازر" كانت قد أقيمت فى عهد السلاطين السابقين أما الذهب والتركة فقد أخذها واستولى عليها فى عهدة علاء الدولة شرف الملوك حسن وحسام الدولة أروشير رحمه الله وأمر بكتابه تلك البدعة على اللوح وعلقوة على باب المقصورة فى نفس المكان الذى كان معلقا فيه لوح.

" ذكر وفاة الإصفهيد شاه غازى رحمه الله "

عندما بلغ الإصفهيد شاه غازى سن الستين استدعى جميع افراد الجيش إلى سارى واستعرض الجيش فى ميدان أترابن وكان سابق قزوينى قد وقف إلى جانبه ووقف إلى الجانب الآخر باجرب لارجان فأمرهم بأحضار الصولجان وقال لا أعلم يا سن الستين أستاذى بالمرض أم بالموت وقذف الكرة وكان هذا فى أول شهر فرودين

والذى كن يوافق نوروز الفرس وامر الجند بالسعى لكسب أرزاقهم وقد مرض فى هذا الشهر ومضى إلى قرية "زينوان" على مسافى فرسخ واحد من سارى ولم يوصى بوصيه قط وأنتقل إلى جوار الحق فى السابع عشر فروروين عام ثمان وخمسين وترك مازندران تزخر بالأموال والخيرات الوفيرة ، ولم تحظ طبرستان منذ اول عمارتها وحتى اليوم على الإطلاق بمثل هذا العمران والازدهار الذى كان فى عهده ، وقد خلف له ولدان الأول هو شرف الملوك حسن بن رستم والآخر هو علاء الدولة على وفتاه سلجوقية كان من الشاة أردشير قد زوجها للإصفهيد نصير الدولة "بهمن" وأمر الشاه أردشير بقتل علاء الدولة ناحية "ترجى" وقد نظموا فى رثاء والدهم ما يلى :

– أيها الشيطان أطل برأسك البيضاء من جبل دماوند فلم يعد فى هذا الزمان رستم فى مازندران .

– يا رافع الستار أسدله فليس هناك إذن بالدخول إلى البلاط لأن رستم بن على ليس جالسا على العرش .

سلطنة الملك علاء الدولة شرف الملوك حسن بن رستم بن على

حكم بعد الشاه غازى لمدة ثمانية أعوام ونصف وعندما قام أعيان طبرستان وهم مجد الدين دارا والذى كان يلقب بملك الديالة والأمير على سابق وسيد هاشم العلوى والأمير سرخاب بحمل تابوت شاه غازى إلى المدرسة التى كان بها قبر علاء الدولة ودفنوه بها ، واجتمعوا جميعاً فى منزل مجد الدين دارا بسارى والذى كان من أتباع أسان بن أسان وفى جمادى الآخر عام ثمان وخمسين وخمسائة كتبوا إلى الإصفهيد شرف الملوك حسن ركوند بوفاة أبيه ، وكان هو أيضاً مريضاً وطريح الفراش فركب فى الحال ليأتى إلى سارى وبعث من ركوند أيضاً بكىكاوس ناصر الملوك الذى كان رفيقة فى لعب الصولجان والشراب فى عهد الشاه اردشير مع خمسين شخصاً من خواص إلى أب سر ليأتوا برأس أخيه ناصر الملك والذى لم يكن مخلوق قط أكثر قرباً ولا أعلى قدراً منه قط لدى الشاه غازى فلما وصلوا إلى هناك قام رجاله بإحضار الإصفهيد ناصر الملك أخيه وخصمه فقال لهم هل توفى الشاه غازى فقالوا أنهم هو كذلك فقال ناصر الملك إذن لن أبقي شيئاً بعده فافعلوا ما شئتم فعلقوه وقطعوا رقبتة وأحضرها

إلى الإصفهيد كما بعث في الحال أيضاً إلى سكارو في طلب رأس عمه الإصفهيد حسام الدولة شهریار بن علی فلم علم بذلك فر هارباً إلى ساری فرحب به الأعيان ونزل بدار مجد الدين وقضى فيها أسبوعاً فبعث شرف الملوك من يتعقبه في دماوند وكان شمس الدين على كيا حاكماً في بيروزكوه في دماوند ، وكان شرف الملوك قد سيرجيرئيل برسق وكرشاسف رفيقه القديم لطلب عمه حسام الدولة على رأس خمسمائة فارس إلا أن شمس الدين على كيا قد آواه في القلعة على أمل أن يكون له مدداً وحماية فلما وصلت تلك الجماعة وعلم منها أن جميع المعارف قد بايعوا شرف الملوك ، قال لرسول لقد أويته حتى لا يمضى إلى مكان آخر وحتى سلمة للإصفهيد فقالوا هانحن رسل الإصفهيد وثقاته فسلمهم الإصفهيد "حسام الدولة" فأنزلوه من القلعة وفصلوا رأسه في قصبة ويمه ودفنوا جسده بها وأمر الإصفهيد شرف الملوك حسن بأن تعلق رأس عمه لمدة شهر على طريق ليجم وحصل من القلعة على مائة ألف دينار نقداً وأمتعة ومنحها جميعاً للأهالي وقد أتى من البدع في مازندران ما لم يحلم به شخص في المنام وكان هناك سيد يدعى جوهر ملكا لوالده وكان رئيساً للغلمان في القصر ، وكان شاه غازي يحبه حباً جماً وكان قد أقام عند قبر الأب فأرسل عدداً من الغلمان لإحضاره وبعث به إلى السجن واستولى على كل ما كان يملكه وأعطاه لحاشيته ، وكان لدى شرف الملوك عدد من محترفي الباطل وكان قد جعلهم خاصته من أمثال على كيا وإبراهيم جامدار و" اسداً نوشروان" وكثير من هذا الصنف فبذل لهم الكثير من الأنعام والصلوات بحيث أصبح كل واحد منهم ملكاً بما لديه من مال وكان الإصفهيد "إسفنديار بن شهریار" والذي كان ابن عمته قد سلمهم ابن الأمير شهریار الذي كان يملك قلعة "دارا" على وقد تحدثنا في هذا الكتاب قبل ذلك من أن الشاه غازي كان يبالي في رعاية حق أخته تلك فأخبروه بأنه كان قد جلس على عرش الحكم يوماً ما في أمل فبعث إليه وأمسك به وحمله إلى قلعه دارا أردشير وأمر بقتله هناك وعاشت عمته فترة إلى أن توفيت في بداية عهد إردشير رحمه الله عليها وقدرت ذكر صلاحها وخيراتها في هذا الكتاب ، وحضر سابق القزويني الذي كان شاه غازي قد أعطاه بسطام ودامغان وجاجرم لتهنئة الملك وعندما وجد الأمر خلافاً لما كان عليه والده ركب من ساری في وقت صلاة العشاء وليمضى إلى دامغان فأخبروا

الإصفهيد فبعث بكل الجند فى أثره كما ركب هو أيضاً وأخذ يقتفى أثره عندما بلغ قرية "زرام" وكان معه مرشد وكان قد وصل إلى جارة فيما وراء "زرام" فى وقت الصيف ولم يعلم أن لا إنسان ولا حيوان يستطيع المرور من هناك فى الشتاء فقال لسابق إن هذا الطريق هو أقصر بعده فراسخ فاتجهوا إليه ووصل الإصفهيد علاء الدولة شرف الملوك رحمة الله وعلم أنه لا يستطيع المرور من هناك فتوقف فى "زرام" وأمرهم بأن يذهبوا ويمسكوا به وكان يوجد راع يدعى محمد اهنكر حتى توقف على منحدر وبقي سابق وأتباعه فى الجليد وسار خلف الجواد فلما وصل إلى "محمد اهنكر" ألقى فوقه بحجر يزن خمسين مثناً فسقط على ساعده وسقط سيفه من يده وأنشطر نصفين وأصيب بارتعاش بعد شهر فأمسك بيده بنصف السيف واستند بظهره إلى الجبل وتقدم إليه "على كيا شمس الدين" الذى كان أحد الخواص فضربه سابق بنصف ذلك السيف الذى كان فى يده فقطع نصف رقبتة وطالما ظل حياته كان يتألم حيث كانت رقبتة تتأرجح على الدوام فى عهد "شاه أردشير" من أثر ذلك الجرح ، وقام جميع الغلمان بالإمساك بسابق وكان هناك جيلى قد حضر لدى سابق فى أسفاره وكان سابق قد ألم العجز نتيجة كثرة الجروح فأمسك به وقيده وكان السابق شارب ولحية يتسमान بغزارة الشعر فربط بحبل من لحبته وسحبه إلى "زرام" فشاهد الإصفهيد من بعيد ومن شدة الحنق التى كانت له عليه مضى إليه وضرب بالمقرعة وأمر بنزع الشريطة التى على لحبته، وأمر بضرب كل غلمانه وفرقته ومضى من هناك إلى سارى وأعد لسابق ملابس النوم والخادم وأمر بإحضار الجراح لعلاجيه، ولكن لم يأت بفائدة، وتوفى متأثراً بنفس هذا الجرح كما توفى أيضاً فى نفس هذا الشهر ذلك الجيلى الذى كان قد ربطه من لحبته بحبل وكان سابق قد قتل بسيفه عدة آلاف ملحد ولم يضارعه أحد فى العراق وخراسان فى الشجاعة ومضى "الإصفهيد علاء الدولة شرف الملوك" من "سارى" إلى أمل وحضر لخدمته كيكافوس استندار ونظراً لأن والده كان يكره الملك علاء الدولة شرف الملوك وقد أصابه انكسار بالغ منه فقد تعهد كيكافوس بطاعته وخدمته سراً وأعد نفسه لاتباعه ومؤازرته، وتوجه من إيش حتى يكتشف والتى تعرف "بسياء رود" .

وأخذ الضمان من "شاه غازي" ثم رده إليه وقدم له كثير ، من الصلات على مشارف "رود بست" والتي هي معقل كيا الكبير ، ودخل باحرب "لارجان مرزبان" في الخدمة وعندما عاد إستندار أحضره إلى "ساري" وذات ليلة أحضر با حرب كل عظماء "مازندران" إلى "كجمور" للضيافة ومنحهم صلات تصل إلى عدة آلاف من الدنانير حيث بذل الملك "علاء الدولة" الكثير من النعم لبا حرب ولم يكن قد حلم أحد قط بمثله من أهل "لارجان" ، وأعاده من هناك وتوجه هو إلى "تميشه" وظلت أخت "باحرب" والتي كانت من أمه "الإصفهيد كرده بازو" والذي كان يدعى "يزدجرد" وكان ولياً للعهد وترك "أمل" ونواحيها لابنه واسترد قصر الأمير "شهریار" الذي كان والد أخته منه لابنه ، وأحضر أخت باحرب إلى هناك وأنجب "كرده بازو" من تلك الزوجة ابنتين والقصة طويلة حول آخر ما آل إليه أمرهم وطلب "الشاه أردشير" ابنة "كبودجامه" لابنه الأوسط "حسام الدولة" وأتى بها قصر "دونكا" في "دابوبی" ومنحها المناطق حتى إرم ، فأقاموا بها قصراً وأخذها إلى هناك ومضى إلى "إستراباد" وكان هناك جماعة من أمراء باطن "وجهينة ولنجرد" و"خواسته رود" والذين شقوا عصا الطاعة عليه وانضموا إلى "كبودجامه" فاستدعاهم جميعاً وأمر بإطاحة رؤوسهم في ميدان "إستراباد" ولم يترك أى من معارف والده على قيد الحياة وأحضر الملك "أرجاسف" لقيادة الجند وأسند إليه كشواره علاوة على "شوزيل" كما أسند كولا لتاج الدولة الأمير "حسن" وهرب "سنقر إيتانج" من الري ولجأ إليه حيث كان "الأتابك ايلدكز وأرسلان" قد قتلوا السلطان "سليمان شاه" في القلعة واستولوا على "العراق وأذربيجان" وهجموا عليه فأنزله "الإصفهيد" في "تنير وبهرام كلاده" وتلك الحدود مع ألفين أو ثلاثة آلاف رجل الذين كانوا في معيته وأعطى الجميع المؤن اللازمة ، وبلغت همته في السخاء والمروءة درجة بالغة المدى بحيث لو كان قد وهب ملك العالم بأكمله حتى أدنى درجة فيه كان يعتبر نفسه مقصراً فيه ومن المحال أن يكون له شبيه في الكرم والجود في عهد أى سلطنة لا في سابقه ولا لاحق ، وكذلك في السياسة والحكم أيضاً وحال ما كان يقف على أدنى جرم من قبل عبيده وتابعيه فلم يكن يدعم أحياء نتيجة ذلك وكانت عقوبته الضرب بالعصا فقد جرى مثلاً في "طبرستان" حيث يقال يجب أن يضرب فلان بالعصا الحسينية نسبة إلى "الإصفهيد حسن" ، ولم يكن في فترة حكمه مخلوق يركن للراحة ليل نهار سواء أكان معروفاً أو مجهولاً من الجيش أو من الرعية لدرجة أن

مرارة قد انفجرت في جهنم خوفاً منه ، وكان يقيم في كل موضع يستقر فيه لمدة شهر مقبرة من كثرة قتلاه الذين كان يدفنهم في ذلك الموضع وكانت أخلاقه واحدة مع الجميع في أمور السياسة ولكنه كان يحتاط لإثبات الحقيقة ولم يكن يأتي لعمل قط بناءً على قول أى شخص دون حجة أو بينة وقد حافظ على هذا الوضع بحيث بات في عهده من المحال أن يسر الأب مع ابنه والزوجة مع زوجها بحديث غير لائق أو فكرة غير مقبولة ، وكان شغله الشاغل الصيد والشراب وإقامة الموائد ومنح الصلات وطوال مدة حكمه لم ينم عشر ليال دون استغفار ، وباستثناء تلك الليالي التي كان مشغولاً فيها بالسياسة والحكم أو الصلات والهبات كان يعطى لما كان أبوه يعطيه راتباً عشر دينارات كان هو يعطيه خمسمائة وكل من كان يأخذ مائة دينار كان هو يعطيه ألفين وكل من كان يأخذ ألفاً كان يعطيه عشرين أو خمسين أو ستين ألف ولم تكن لديه أى رغبة قط في التوجه " لامتلاك جيل " ، وجمع اثني عشر ألف فارس شهيد و أعطى الأمراء "الترك" و"التاجيك" الراية ودورية الحراسة ولما حضر "إينانج" إلى منزله استدعى "عائشة خاتون" ابنته والتي كانت آنذاك زوجة "عز الدين صيماز" وأعطاه شاه أردشير" المهر والصداق في أول يوم جلس فيه على العرش وكان قد أرسلها إلى "العراق" عند إخوتها وكان "الإصفهيد" في غاية السعادة مع "عائشة خاتون" وقدم لها مزيداً من الرعاية ، وما تملكه حتى هذه الساعة من نعم ومتاع في العراق هو من عطاء الملك الشهيد ولا تزال تدعو لروحه وتثنى عليه وكانت تعيش بالزهد والعفاف والصلاح كعادة نساء "مازندران" وعندما ارتبط "إينانج" بالنسب مع الشاه قال إننى سوف أذهب إلى "جرجان" كي آخذ المدد من السيد "تاش" "مؤيد آييه" فسمح له الملك علاء الدولة بذلك فمضى إلى هناك وأرسل له المؤيد آييه المدد وترك له الملك الشهيد أربعة آلاف من الفرسان والمشاة ومضى إلى الري ، فنظم الصفوف على حدود "مزدغان" في موضع يدعى "جاله كاوانان" وهزم "إيلدكز" ووصل إلى "محمد أتابك" فأرادوا أن يقبضوا عليه ولكنه بحكم أنه كان قد أعطى له ابنته قتيبة قال لهم ؟ أطلقوا سراحه فهو طفل ولا طاقة له بالقتال والحرب ، وعاد من هناك إلى "الري" وأمر بإنشاء قلعة "طبرك" وأرسل إلى الملك الشهيد قائلاً أنا تركي لا أقوى على امتلاك القلعة "والعراق" ملك لك مثل "مازندران" فابعث بخواصك ورئيساً للقلعة ، وفي هذا العام كان البرد شديد فبعث الملك الشهيد إلى القلعة ثلاثمائة رجل من خواصه وقائد معروف

للقلعة مع العدة والعتاد واستولى عليها وأمر كل من "لارجان مرزبان" باحرب وإستندار بعرض أحوال القلعة والأمير "إينانج" يومياً.

"ذكر سوء أفعال باحرب وهلاكه"

ضاق أهالي "لارجان" بكفر وفسوق "باحرب" حيث إنه كان يأخذ النساء المسلمات إلى مجالس الشراب ، وكان يقطع آذانهم وأرجلهم وأنوفهم يتهور وجنون وكان يأمر بنوم النساء تحت الغلمان وهو فوق الغلمان ، وإذا نطق أحدهم بكلمة كان يضع الشموع المحترقة في مقاعد النساء والغلمان ، فكيف يمكن وصف كفره وجحوده بحيث لو تم شرح ذلك لما صدقه أحد حتى حدث أن تحرك إلى "لارو آهنگ" فوجده الغلمان بمفرده فأسقطوه من فوق ظهر جواده بالسيف وقاموا بقطع يده وقدمه ، كما فصلوا عضو رجولته عنه ووضعوه أسفله وهربوا إلى "العراق" ، وأنفذ أمر الحق جل جلاله أهل تلك الولاية من هذا الظالم الكافر ابن الحرام ، وكان هناك شخصاً من قرية "كوا" يدعى الأمير "على اللارجاني" والذي كان قائد جنده ونائبه كما كان نائباً لوالده ، فأجلس على عرش الحكم "لينخواز" الذي كان ابنه الصغير وابن أخت الملك الشهيد ، وكان طفلاً عمره عام وقال سوف أقوم بالوصاية عليه وعندما وقف الملك الشهيد على مقتل باحرب زحف بالجيش واتجه إلى "آمل" ومن "آمل" إلى "يرسب" وبعث إلى على اللارجاني رسولاً ، وقال له : ما شألك في كل هذه الأمور إن باحرب هو خادمي وابنه هو ابن أختي وكان يجب أن تكون الولاية لي فإذا ما كبر ابنه أسلمها إليه ، والتحق أهالي "لارجان" جميعاً بخدمة الملك الشهيد ، فمنح هؤلاء الأهالي الذين مثلوا عنده صلات وهبات متمثلة في مائة عام من إيرادات "لارجان" وقد منحهم مائة دينار في مقابل كل دينار كان حكام "لارجان" قد قدموه لهم ، فبعث "على اللارجاني" بجميع الخزائن التي كان قد وضعها في قلاعهم وأرسلها إلى "الري" وتوجه مع ولديه وزوجته إلى "الري" والتحق بخدمة "الأتابك إيلدكز" ، واستولى الملك الشهيد على كل قلاع "لارجان" وكان هناك أربعون ابناً "لنوجهر" من الأولاد البنات والذي قال أخوهم باحرب أعينهم فقام الملك الشهيد بإحضارهم جميعاً إلى "آمل" على نحو ما يفعل الملوك من الكرم ، ولأنه كان جديراً بالعظمة فقد أوجد عدة وظائف ورواتب وإقطاعيات وأملاك وممتلكات والتي لم تكن موجودة في عهد والدهم ولم يكن يملكها والدهم في

ممالكه ، وترك كل هذا الأخت التي كانت فى منزل ابنه "كرده بازو" ، وكان هناك أحد الأبناء ويدعى "ضياء الدين بهرام بن منوچهر" وكان يمتاز بين جميع الأبناء برجاحة العقل وكمال الفضل والكفاءة وكان يكتب خطاً فى غاية الحسن على نحو ما كان يكتب الخطاطون ، وكان قد هرب فى عهد "باحرب" ومضى إلى "نيسابور" والتحق بخدمة المؤيد ملك "خراسان" فكتب الملك الشهيد أمراً لإحضاره وعين له إقطاعاً بألف دينار ، ولا يزال هناك مائتين من أبناء "منوچهر" باقين فى مناطق "آمل" وقد أكرمهم الملك الشهيد وأحضر أخته وابنها "لينخواز" إلى "آمل" وأقام لها قصرًا وعين لها الخدم اللازم ، وقد بقى "لينخواز" على قيد الحياة حتى عهد الملك "السعيد أردشير" وسقط من أعلى السطح وهلك ، ولا تزال أخته باقية وعندما استولى على "لارجان" دخل أهالى قصران جميعاً داخلها وخارجها فى خدمة الملك الشهيد وحصلوا جميعاً على الرواتب والإقطاعيات ، وعين لقيادة الجند وشئون البلاد "الملك قارن بن بوالقسم" باو والذى كان يعيش فى "تابريان" وأقام العدل مع أهل تلك الولاية وبعد أن توفى "قارن بن بوالقسم" أعطى التفويض "لبهاء الدين" حاكم لفور وبعثه إلى هناك ، وفى تلك الفترة قتل "سنقر إينانج" على يد غلمانه فى الرى وكان "الأتابك إيلدكز" و"محمد" والسلطان أرسلان" على بوابة الرى فدفنوه بسطح جبل "طبرك" ولا تزال قبته عامرة وقال الأمير "على اللارجانى" لقد كانت ولاية "لارجان" دائماً مع "العراق" ولكن الملك الشهيد استولى عليها ظلماً ويجب طلب المدد من "إيلدكز" والسلطان "أرسلان" لتخليص إينانج وقلعة "طبرك" ولتأديب الملك الشهيد ، وكان يوجد وكيل خاص للسلطان يدعى "عز الدين يحيى" فبعثوا به إلى الملك الشهيد فى "فريم" يقول له : أنت تعلم ماذا فعلت معنا لقد استوليت على "إينانج" ومن بعدها "لارجان" والتي تتبع ملك "العراق" ، ولو رفعت يدك عن الولاية فنعم القرار والمخالصة وإلا فسوف أحضر عدواً من الأتراك ليقلعوا شجر "مازندران" ويضعوه فى قبل أمك و"الأتابك" يضعه فى دبر أبنائك ، فاستل السيف وأراد أن يقتل الرسول فهرب منه فأمر بأن يمسكوه من شعر لحيته وأن يعلقوه من فوق القصر فلما أمسك الحجاب بلحيته توجه "الإصفهيد مجد الدين دارا" و"خورشيد" والأمراء وعظماء "باوند" وتشفعوا للرسول فعفا عنه ، وبعد يومين أو ثلاثة أمر بمزيد من الصلات والأنعام مرة أخرى فى حق الرسول والذى رأيت فى "العراق" بعد خمسة وعشرين عاماً وقال طالما فعل معى الملك الشهيد ذلك الأمر فحقاً أن أبعث بالرحمات

على روحه فى كل وقت ، حيث لازالت آثار نعمته باقية لدى من الأملاك والأمتعة التى اشتريتها والمكانة التى وصلت إليها هى من مدد همته ولم أجدها من أى ملك أو مخدوم آخر ، وعندما وصل الرسول وأطلع الأتابك "إيلدكز" بما قاله "الإصفهيد" : أخذ الجيش ومضى إلى حدود قلعة "فيروزكوه" فى "دماوند" وأتى السلطان "أرسلان" من جانب فأقام الأتابك الخيمة فى "خندا" وبعث بالجند فى جميع النواحي حتى "دامغان" و"بسطام" وتحاربوا لمدة أربعين يوماً على باب سور قلعة "فيروزكوه" دون أن يستطيعوا أن يطلقوا سهماً إلى مقربة القلعة ، ولما بلغ بهم اليأس ولم يحققوا أى شىء مع "الإصفهيد" عادوا بعد قرار ومعاودة ، وعين الأتابك "محمد" فى الرى وأعطى "الإصفهيد" الضيعات القديمة خارج قصران وعندما عاد الأتابك من على حدود قلعة "فيروزكوه" أحضر على كيا من هناك وبعث به إلى "لارجان" وعينه رئيساً لقلعة "لارجان" ، وبعد عدة شهور أمسك به بحكم أنه بايع "حسام الدولة شهریار" وعذبه كثيراً وصادر اثنى عشر ألف دينار من الذهب الخالص من أمواله وكان قد بقى فى تلك المصادر حتى آخر عمر الملك الشهيد ، وأنداك قيل بأن الوزير وأصحاب الديوان بعد وفاة الملك استولوا على خزانة "سارى" وكان منصبه شريكاً لهم وكان "شاه غازى" لمنصبه كل إعزاز وتقدير وكان دائماً يرسله برسائله إلى "العراق" ، وكان "الإصفهيد" قد طلب من أبيه فى حياته غلاماً فأرسل إليه غلاماً حتى جاء فى العام التالى منكبه من العراق وأحضر غلاماً حسن الوجه فرغب "الإصفهيد علاء الدولة" فيه أيضاً فقال منكبه هذين البيتين ولو أن القافية مكررة :-

- فى العام الماضى مارس المليك الجنس مع أيتغدى وهذا العام رغب فى سنقرک

- ألا تقل لنا يا من صاهرته بمؤخرتك كيف أصابتنا آفة عضو رجولتك هذه .

وكانوا قد نقلوا هذين البيتين "الإصفهيد" فتغير خاطره عليه فلما تحول إلى هذه الحال أمسك به ، وكان المدعوان "حسن نجم الدين" وزير والده "وكيا شهاب الدين" "لشكرى بن رشا" كانا مشرفين فأمر بضرب الثلاثة لمدة يوم بالعصا حتى الموت ورفعوهم من أمامه وقتل كل مخلوق كان موجوداً بينهم ، وأسند وزارته لرجل يدعى "مرزبان كيا" والذى كان حاكم "آمل" فى عهد "شاه غازى" ، وبعد خمسة أو ستة شهور أمسك به وصادر أملاكه ، وأمر بوضعه مع كلب مسعور فى جوال ونزلت به العقوبات ،

حتى إننى سمعت ذات يوم بأمل على باب أحد المساجد المشهورة، وكان يجلس هناك شيخ زاهد ورع متصوف مستجاب الدعوات، وكان "مرزبان" مريداً لذلك الشيخ ، فمضى آنذاك إلى المسجد فى أيام نكبته وسلم على الشيخ فحياه الشيخ وقال له : أنت ترى أحوالى فلا تبخل على بالنصيحة ، فقال الشيخ : ماذا فعلت لهذا الملك ليعاقبك بمثل هذه العقوبة ، فقال أيها الشيخ : إنى فعلت لأجله ما لم يفعله أحد فى كل الدنيا من أفضل خدمة فقال له يا "مرزبان": أبحكم عليك بكل هذه العقوبة وأنت فعلت من أجله كل هذا الخير اهدأ بالأ إلى أن تقف بين يدي الملك الذى فعلت هذا الشر معه ولم تحرم نعمته ، فبكى "مرزبان" كثيراً وخرج وهلك فى نفس الواقعة والعقوبة وقد خلف من بعده أبناء أقوى منه ألف مرة وقتلوا الجميع بالقوة ، وفى عصر سلطنته انتقل "خوارزمشاه العادل إيل أرسلان إتسز" إلى جوار رحمة الحق جلت قدرته ، وكانوا قد أجلسوا على عرش الدولة "الخوارزمية" سلطان شاه "محمود" وحضر ملك العالم السلطان صاحب القران بجيش الخطا إلى "خوارزم" وانتزعها منه ، وكان "المؤيد آييه" قد بعث إلى الملك الشهيد برسول قائلاً له: إن "ميفان" و"خرقان" من أعمال "خراسان" فاستدع نوابك من هناك وإلا سأبعث بالجيش واسترد "بسطام" و"الدامغان" وكان "الإصفهيد" فى تغير عند ما بلغ الرسول هذه الرسالة فأمر بأن يخلعوا حذائه من قدميه وأن يملأوه بالحصى ويلقوا به على عنق الرسول وأن يطردوه من المعسكر مترجلاً ولما بلغ الرسول "المؤيد آييه" وعرض عليه الأمر فقال المؤيد: إنه ملك ويتمتع بقسط كبير من الشباب والحيوية فيجب تركه للزمن حتى يلقي جزاءه ، وعندما وصل السلطان شاه "محمود" مع والدته إلى "الدهستان" وكان معه ثلاثة أو أربعة آلاف "خوارزمى" وقد أرسلوا إلى الملك الشهيد يقولان له : بين أبنائنا وبينكم صداقة واتفاق معلوم لأهل الدنيا فألى أى مدى انتهى أمر هذه الصداقة فلو تأمر لنا من بالغ الرحمة والمدد والعون بأن نحضر لديك ، فلما علم "الإصفهيد" بهذا الأمر زحف بالجيش إلى "تميشه" وأخذ جميع الخلائق من مشارف "الرى" و"سياه رود" و"جیلان" من الجيش والحواشى وكل حلوانى وطباخ وخباز وقصاب والذين كانوا فى القرى والمدن وأحضرهم إلى هناك ، وأمر بإعداد الطوى والأرز بالسكر وأنواع الخبز لمدة شهر ، وأمر بأن يفرشوا الأرض من "كنجینه" وحتى "سبيد دارستان" على مسافة فرسخ وأحضر جميع القطعان من أجل الصلات ، وأمر بنصب خيمة وقصر صغير مرصع ومزين وخلال هذا الشهر لم يستطع

أى مخلوق فى معسكر "الإصفهيد" أن يخلد للراحة والاسترخاء من جراء الإعداد لهذا الأمر ، وأرسل بالأعيان إلى "الدهستان" حيث صاحبوا "سلطان شاه محمود" وبعث "بحسام الدولة أردشير" لاستقباله بحيث نزل معاً من على ظهر الجواد وفى أحضانه ونزل "كنجينة" كى يأتى إلى "الإصفهيد" فى يوم طيب وجاء "شاه أردشير" إلى "تميشه" وعندما وقف "المؤيد آييه" على أموال "سلطان شاه" أسرع من "نيسابور" إلى "الدهستان" بصحبته مائة فارس ، وبعث إلى السلطان قائلاً: لقد طمنطقت بنطاق العبودية والطاعة لكن لا أمان فى "مازندران" لأن ملك "طبرستان" لا يساعدك ولا ثقة للتاجيك فى الترك ، ولن تقوى على الخروج قط من "مازندار" ولن يبقى أحد من أهلك هناك حياً فلو تتوقف يوماً واحداً فى "كنجينة" ، أحضر وأقبل ركابك وأنفذ لك شروط العبودية والنصيحة، وركب فى الحال ولم يكد الجواب قد عاد من عنده حتى وصل "المؤيد" إلى خدمته وقبل يده وحمله معه ومضى به إلى "الدهستان" وأرسل فى طلب جيش "خراسان" ، وأنذاك كان قد تأذى من ابنه الأكبر "كرده بازو" والذى يعرف بـ "يذكرد" ، وذلك من خلال الرسائل التى بعثوا بها إليه وكان معظم أهالى "طبرستان" قد لجأوا إلى خدمة "كرده بازو" من جراء عناد "الإصفهيد" وسياسته وقهره وجبروته فتضاعف عدد جيشه وجنده عما لدى أبيه، وقام معارف "مازندران" وأمرائها وملوك "باوند" وكافة الجند والكتاب والعمال والحواشى ، وكل من كان لديه ولد من هؤلاء بإرسال أبنائهم إلى خدمته ، وكان هو الأمير الذى تغار الزهور من نصرته نو العارض البنفسجى والقوام الياسمينى ويتميز برجاجة العقل والثبات والحكمة والشجاعة والمقدرة وتذوق الشعر، وهو عالم بعلم الأغانى، ولم يكن بعهدنا رامٍ للسهم مثله كأنما كان يطلق من قوس الفلك ، ولا يزال قوسه الذى كان يطلق به السهام على الوعول فوق قبره ومن الجائز أن يكون فى موضعه حتى الآن ، والمسافة بين إصبعه وسبابته كانت عريضة وكان المهرة فى الرمى بالقوس يأتون من "العراق" و"خراسان" وأطراف العالم فلم يستطع مخلوق منهم قط أن يرمى سهماً بقوسه فيقبلون القبر ويعودون أدراجهم، اعترافاً بعجزهم وكانت طبيعته تميل إلى العدل وكان يقول لو إن الله يريد الخير لأهل "طبرستان" والراحة لى فليجعلنى ملكاً ذات يوم وإلا فالحكم له ، وكان علمه وفضله يفوق الحد عن ذلك الذى كان ينبغى أن يكون للأمراء ، وكان أهل "طبرستان" و"لارجان" و"جیلان" مولعين بخدمته ومؤازرته لدرجة أن والده قد غضب

عليه حسبما أشاع الناس عنه وكان يوجد رجل يدعى بالأمير "أبو شجاع" وهو أمير في "ايزآباد" والذي كان قد سقط على رأس "شاه غازي" في معركة "قراجه الساقى" فأمسك بأبنائه والذين كانوا جميعاً شباباً طاهرين ورجال حرب أشداء ، وأمر بحبسهم وفي آخر الأمر قتلهم جميعاً وقتل جميع الحواشي والجند والكتاب الذين كانوا في خدمة ابنه وقتلهم بالعصا وحلق رؤوسهم ولحاهم ، واسترد غلمانه والغلمان المرد وتآلم ابنه من جفاء والده واشتد حزنه وظهر عليه مرض السل وأصيب بمرض القولون ، وكان الملك الشهيد يأخذه معه في جميع المواضع التي كان يرحل إليها وكان المرض يشتد عليه يوماً بعد يوم وكان يصف حاله باللهجة الطبرية ويقول :

جل وا من كرد اين نكرده وا يكي بو بويست وينج سال مى تن بى بلا بو
وراورد بناز هو برد بخاكه واشو كاشكى بيكى باز ونياوردا دو

وعندما جمع المؤيد جيش "خراسان" من "الدهستان" و"جرجان" إلى جانب جيش "خوارزم" وجاء "سلطان شاه" إلى "تميشه" ، وبقيت والدته في داهستان وكانت قلعة "بالمن" خاضعة لسيطرة الأمير "فرامراز ليمسكى" والد الأمير "دارا" ، وكان رجلاً قد ابيض كل شعره وهو في العشرين من عمره ، بحيث لم تبق شعرة واحدة سوداء فاسترد منه "بالمن" أسند قيادة القلعة "لبشير" كما أسند له قلعة "روهن" في "سدن رستاق" ، وعندما بلغ "تميشة" كان كل رجالات "مازندران" هناك من أمثال "بهاء الدين شهردار" و"مجد الدين دارا" و"مبارز جبريل" والأمير "على لهراسف" و"حسن كيا لهراسف" ، و"الإصفهبد على" "جوم" ابن عمه و"الإصفهبد على بورنام" و"الإصفهبد نصير الدولة" دارا ابن بهمن و"حسن كيا" وأمه وأخته وابنه فحاصر "سلطان شاه" والمؤيد "تميشة" مدة أربعين يوماً ، واختار الملك "مبارز الدين أرجاسف" الذي كان قائد جنده على رأس أربعمائة رجل ليمضى لمدد جند تميشه؛ ويساعدهم فجاءوا إلى طريق "لاكش" ولما بلغوا جند ظاهر "تميشه" في موضع يدعى إينامه ، كان المؤيد قد استولى عليها وقتل أربعة آلاف رجل وقبض على كل الأعيان واستباح أبشع أنواع القتل وغادرها وحضر إلى أشرب وكان "أرجاسف" قد اعتلى ذلك المعسكر فبعث المؤيد بالجيش إلى هناك، فنهض "أرجاسف" من هناك، وغادر المعسكر ونزل إلى منطقة أدنى منه وكمن بها إلى أن وصلوا وأغار عليهم أثناء عودتهم؛ بحيث لم ينج منهم أحد من

ذلك الهجوم وقتلوا جميعاً فى نفس المكان، وحضر المؤيد إلى "سارى" فخرّبها وأشعل فيها النيران ولم يترك أى مبنى سليماً من المساجد والمقابر ولم تكن فى كل "سارى" أى قدر من المباني التى تبسط الظل والحماية وكان الملك الشهيد فى "كوشكه بن وآسياوو" فرحل ليمضى إلى "فريم" وعندما بلغ حدود "شارمام" أرسل المؤيد رسولاً مع أخيه "قوشتم" وأتراك "خوارزم"، وكان "كردى" يقف بأغنامه على قارعة الطريق، فشاهد الجيش فأدرك أنهم إذا وصلوا إلى "الإصفهيد" فجأة فسوف يشردوه فترك أغنامه وأسرع لا ينطق بأكثر من كلمة الجيش ثم قطع النفس فى الحال ومات؛ فقال "الإصفهيد": لجيشه إن مسافة هروبه هى التى فعلت به هذا ثم أمر رجلاً بأن يستعد الجند بالنفخ فى البوق، فلما وصل الخصم حتى كان جيش "الإصفهيد" كالليث الذى يستعد لالتهام الفريسة فأسقطوا الجميع على الأرض خلال ساعة، ونزل "قوشتم" إلى "سارى" مع ثلاثة أو أربعة فرسان لكنهم قتلوا الآخرين جميعاً وأدرك المؤيد أن "الإصفهيد" سوف ينقض عليه بعد ذلك، فمضى فى الحال إلى "سلطانشاه" فأجلسه ولم ينزل بمكان قط حتى نزل تمشيه ومضى من هناك إلى "جرجان"، وكان الملك الشهيد قد بعث بابنه "كرده بازو" إلى حدود قلعة "دارا" وجعل على رأسه شرف الزمان اليهودى الذى كان طبيبه ليعالجه فأخذوه إلى الحمام فى موضع يقال له "بجادية" فظهر عليه الصرع ومات به وإنا لله وإنا إليه راجعون، وأحضروا من هناك إلى جوار "شاه غازى رستم" ودفنوه فى التراب، وخلال تلك الفترة قام الملك الشهيد بقطع أيدى وأرجل أربعمئة شخص ثم شنتهم خطأ بسيط قد ارتكبه كى لا يجرؤ شخص ما مرة أخرى، وقال لأعيانه الذين كان قد أخذهم إلى "تميشة" بأن أحدهم لو تحرك من مقره أو منزله فسوف أمر بشنقه، رحل من "سارى" ومضى إلى "تميشة" وأمر بإحضار القطعان ومنح الرواتب للجيش وقال يجب على كافة الجند أن يكونوا فرساناً لهم خيول وكل من لم يكن له جواد من فرقة أمر بأن يعطى جواداً من قطعانه وقال للملك: "أرجاسف" و"الإصفهيد شهریار" و"قطب الدين برستى" و"منكو" وتفر تمر عليكم الآن أن تحرقوا من أول "خراسان" وحتى "طوس"؛ بحيث لا يبقى فى تلك الولاية عود من خلال، وأن يقتلوا حتى الأطفال الرضع فى المهد ولوعلمت أن هناك مسجداً أو مزاراً أو أى موضع آخر بقى دون أن تحرقوه فسوف أحرقكم مكانه، وعندما أرسل الجيش حضر من هناك إلى "درويشان" حيث كان المناخ أكثر حرارة فعاد إلى "إرم" وكان مشغولاً ليل نهار

باحتراس الشراب ، وكل من قالوا له من أطراف الولاية أنه كان يعترض على تلك الفتنة ، أو مجرد أنه ينطق بكلمة على لسانه فكان يأمر بإحضاره وقتله ، وكان لديه فى القصر على الدوام بين ثلاثمائة وأربعمائة غلام أمرد، ولو قيل بأن شخص ما قد نظر إلى أحدهم أو داعبه كان يأمر بتعليق الاثنين ولم يكن لمخلوق قط جراءة أن يقيم ألفة مع أحد منهم أو يستطيعوا هم أيضاً أن يتحدثوا مع أى شخص.

" ذكر قتل الإصفهيد حسن على يد غلمانه "

استاء الأتراك وتعاهدوا معاً، وذات ليلة كان هو مشغولاً فيها بالشراب حتى الصباح فى قصر "زارم"، وعندما كان يتناول الشراب لم يكن أى مخلوق من الذين كانوا يخدمونه من الصغير والكبير و"الترك" و"التاجيك" والجند والحواشى وأهل القلم يتركه ويمضى إلى حجرته، إذ إنه لو طلب أحداً ولم يجده ماثلاً أمامه كان يأمر (١١٨) بتعليقه على الفور ، ولما نام فى الصباح تفرق الناس من القصر، ومضوا للاستراحة والاسترخاء فى منازلهم، وحمل ثلاثمائة غلام السلاح ومضى بعضهم إلى البلاط واقفين ومراقبين وأقبل البعض إلى القصر، وكان هو نائماً على سريره وقد وقف لحراسته غلامان فقطعه إرباً إرباً بالسيف والحربة والرمح ؛لدرجة أنه لم يبق به عضو من الأعضاء سليماً ثم خرجوا ومضوا إلى بوابة القصر، وقالوا إن "الإصفهيد" يقول لا تتركوا أحداً بالداخل وذهبوا من هناك إلى البلاط، وركبوا الخيول، واتجهوا إلى طريق "لند" وعلم "شاه أردشير" بهذا الأمر فركب جواده ليتعقبهم ومعه خمسين فارساً ؛ فقال الناس إنهم ثلاثمائة رجل قاتل وأنت ملك ولا يجوز لك أن تتعقبهم، فعاد وبعد مدة أمسكوا بهم وردوهم إليه جميعاً من الرى و"أبخاز" و"خوارزم" و"خراسان" فكان يأمر برميهم بالسهم فى مدينة "سارى" على كل من يحضروه سواء أكان فرداً أو اثنين أو عشرة ، وخلال عام واحد، لم يبق أى أحد منهم جميعاً على قيد الحياة، وكان له خمسة أولاد أربعة بنين وبنت واحدة وقد توفى يزدجرد قبله وبقي له ولدان "حسام الدولة أردشير" وفخر الملوك "رستم" وبنت أخرى صالحة لم يشهد العالم أميرة مثلها فى صيانة النفس والعبادة والتقوى والورع والزهد والتدين، ولما كان فى عصرهم عجائب ووقائع شاهدها من مصائب الزمان فسوف يرد شرحهم - إن شاء الله - عندما توفى "الإصفهيد الشهيد علاء الدولة" يقول "ناصر الدين روزبهان" فى مدحه :-

- يا من قدومك ورحيلك مثل السيل ، يا من توهجت كالنار وأحرقت العالم فى عجلة

- ومررت كريح عاتية لم تهدأ ولم تنم ، وقد دفنت فى التراب الآن كالزئبق

سلطنة "حسام الدولة أردشير بن الحسن" نور الله مرقده وكانت أربعة وثلاثين عاماً وثمانية شهور .

بدأت فى المجلد الأول فى ذكر ألقابه دون إسهاب والإعادة والتكرار ليست عادة ، لم يكن ملك على ظهر الأرض أعظم منه ولا قمر فى الفلك أبهى منه منظراً ذو القامة الصنوبرية طلعت كالشمس صولته كابهرام وسعادتته كالمشتري مكانته فى سمو زحل فهو سهم التدبير يختار الحسن من وسامته ، ومحيط العقل من كماله محاسنه الشكلىة كمحاسنه الأخلاقىة بلا تشبیه وىبلغ شعر رأسه ككفیه وعلى كل كتف من ككفیه ألف زلفة كأعواد "خيزران" من مسك قندلىة وسلاسل دروع داود المجدولة وعلى ساعديه وصدره كدبيب النمل على الورود، ذو وجه نضر واسع الصدر عريض الجبين لطيف القوام متناسق الأعضاء ضخم اللذراع شديد المنكب بديع المنظر مهيب الجثة قوى الصوت، عندما كان يعطس كان يدوى بصوت كسهم مطلق ، وكانت عذوبة ألفاظه وفصاحة لسانه وشمائل نظراته مفرجة للأحزان ومفرحة للقلوب على العموم وكل من يقع نظره عليه من بين الخلائق المشرقين كان يدرك لأول وهلة أنه ملك ذو هبة وعظمة ، إذا ما ضرب قبضة يده فى الصخر يفتته إلى أجزاء ولو أطلق السهم بإيهامه فانه يخرق الحديد ، ولو أمسك بحزام عقد حول جبل لانتزعه من مكانه، ولو مسح خاتم من ذهب بإيهامه لأزال ما عليه من نقش، ولم يمثل ملك قط أو أمير أو أمراء أو أولياء أو علماء على باب عرشه إلا وغلبت عليهم الدهشة والرعشة من هيبتة واحترامه ، وإذا أردت أن أكتب عن صناديد الأمراء وأكابر العلماء من الراحلين والباقيين والذين جاعوا إليه برسائل وأفقدتهم هيبتة وعظمتهم وقوته وكماله القدرة على النطق فسوف يستغرق ذلك أوراقاً ، وحين كان يرى هو ما يحل بأولئك المسلمين من الذهول والانبهار إلى حد الغرق فى بحر أبهتة وعظمتة (*) حال وقوفهم للتحدث إليه كان يشير إلى أكابر حضرته، والذين كانت أسرار الملك تتعلق بهم، بأن يصحبوا الواقف بين يديه إلى مكان

(*) كان الكاتب يؤرخ للأحداث الهامة دون النظر للأحداث الجانبية "المترجم" .

آخر من البلاط، ويستنطقوه ليدلى بما عنده من كلام ، ثم يعرضون تلك الرسالة عليه ، وكان يضع المائدة مرتين كل يوم فى البلاط فى أول النهار مائدة صغيرة، وفى آخره مائدة كبيرة وكان عدد الطباخين ثلاثمائة رجل وكانوا ينقلون الموائد من بداية زوال الشمس وحتى صلاة العصر وكانوا يقدمون على السفرة يومياً ثلاثمائة خروف وخمسين رأساً من البقر ورأسين من الخيول ومائة وثمانين حملاً من السكر الأبيض وعشرة أحمال من السكر ومائتى من اللوز ومائة من كبر من زبد الأبقار، وشتى الاحتياجات الموجودة فى العالم، والتي كانت لازمة لمطبخه كل يوم، وكانوا يضعون على هذه المائدة أربعة آلاف من الخبز، وأنواع من الطيور الداجنة، والديوك البرية، وطيور السمان، والقطا وطائر الدراج والحبارى، والطيور المائية والتي لا حصر لها، وعند ما كانوا ينتهون من إعداد هذه المائدة كان قائد جند "الإصفهيد" يكتب قائمة بأسماء الملوك والأعيان، ويعرضها عليه وكل من كان يأتى دوره ليجلس إلى المائدة فى ذلك اليوم كان يشير بالقلم إليه فيرسلون لإحضاره إلى البلاط وكان يعين ويحدد أماكن الجلوس ومكان كل واحد، وذلك على حسب مكانته وحرمته وعظمته، وعندما كانوا يعرضون عليه بأن الملوك والأمراء قد وصلوا إلى البلاط، كان يقول أعدوا آلاف الموائد الخاصة فكانت تعد ثلاثمائة طبق من الأطباق الكبيرة ويضعها الطباخون فوق رؤوسهم، ويأتون بها بحيث يرفعون واحداً بعد واحد من فوق رؤوسهم ويضعونه أمام عرشه ، فإن شاء تناول منه لقمة أو لم يتناول ثم يأمر الواقفين فى خدمته صفّاً على أقدامهم من الأمراء وخاصة الغلمان وأبناء الأمراء بأن ينتقلوا إلى مكان آخر ليتناولوا الطعام ، وفى البداية حين كان يأمر بإعداد مائدة العرش كان يغسل يديه بالماء ، وماء الورد ، فإن كان يوجد رسل، أو أجانب كان يرتدى الدرع والجرموق والسروال، وإلا كان يرتدى قميصاً زاهياً ويخرج من مخدعه كالسيف المجرد من غمده ، وكان الحجاب يطلقون الصيحات والصرخات حتى يعلم الجميع فى مختلف الأركان أن الملك قد حضر إلى المائدة، وعندما كان يجلس على العرش كان يضع السيف أمامه، وعندما كان ينتهى من الطعام كان الحاجب يعطيه خلال متى يتجه الحاضرون على المائدة إلى البلاط ، وكان هو يظل جالساً على عرشه مدة ويأمر برفع الحجاب حتى يحضر أمامه الوضيع والشريف والجيش والرعية، ليقول كل منهم ما يكون لديه من أمر، فإن كانت هناك مظلمة كان يستمع إليها وكان يرد بالجواب اللائق والمناسب وحين لا يبقى أحد من هذا

الحشد كان ينهض ويدخل إلى المخدع وكان يغسل يديه بالماء وماء الورد ، حيث كان قائد الجند يعود ثانية إلى حضرته، وكان يقول إن الأشراف والأعيان حاضرون في البلاط فإذا لم تكن لديه الرغبة في الذهاب إلى مجلس الشراب وإذا كانت لديه رغبة كان يأمر المسؤول عن الشراب بإعداد مجلس الشراب، فكانوا يمدون الفرش المرصعة، وكانوا يضعون عليها قرابة عشرين حملاً من المرصعات الذهبية والفضية، وكان عنده أعظم مطربي العالم؛ حيث كان الجميع يتمتع بالراتب والإقطاعية والجواد ومظاهر الترف، وكانوا ينثرون أحمالاً ، من الرياحين من الورد والبنفسج والزهور، كما كانوا ينثرون أيضاً أدراجاً من النباتات وزهور العليق والنسرين والنجس والياسمين والبرتقال واللالرنج والليمون وبراعم الأشجار والزهور، كما كانوا يضعون أمام كل واحد على الأطباق النباتات والسكر القوالب وأصناف الفواكه المجففة والطازجة، وكان الحجاب في كل خطوة خلف الندماء يحرقون أعواد العنبر والزعفران على الأسياخ الذهبية الساخنة، ولو هم أحد الندماء لقضاء الحاجة كان ينهض على خدمته وقضاء ما يحتاجه أحد الخدم، ولم يكن أى شخص يستطيع معاودة الانتقال من مجلس الشراب دون إذن الملك، وعندما كان ينصرف كانوا يحملون له كل ما كان أمامه من نقل ونبيد وخلافه، وإن قال أحدهم إن لديه في منزله ضيفا كان مسؤول الشراب يقوم دون إذن بكتابة تصريح ليأخذ منه ما يناسب الضيف من نقل ونبيد وشواء، وكان ينفذون ذلك ويرافقونه حتى يكونوا في خدمته، ولم تمض ليلة قط إلا وكان يأمر بمنح ألف وألفين من الضيعات والممتلكات كصلات ومكافآت، وحين كان ينهض للنوم والراحة يكون هناك اثنان من قراء "الشاهنامه" خلف السرايق حيث كانوا يقرأون الشاهنامه بصوت جميل حتى مطلع النهار ، ويظللان مشغولين بالقراءة حسب أوامره سواء أكان نائماً أو مستيقظاً ولم يوجد قط نائماً في الصباح سواء أكان ثملاً أو واعياً فكان ينهض قبل الصبح ويعنبر نفسه وثوبه، وكان يؤدي الصلاة المفروضة في حجرة نومه، ويقرأ جزء من القرآن وكانوا يسرجون الخيول ويحضرونها إلى الميدان ، وكان يأمر بإحضار الجواد الذي يختاره فيحضرونه إلى باب حجرة نومه؛ حيث كان القصر مؤسساً على هذا الشكل فيركبه وإذا ما مضى للرياضة كان يطلق عدداً من السهام في أطراف الميدان، وكان لديه على الدوام ثلاثون جواداً من الجياد الخاصة المسرجة ، وعشرة من البغال تحمل الدروع وقافلة من ثلاثين بغلاً تحمل أحمالاً من الأدوية

والأشربة والمياه والثياب، وغير ذلك إلى جانب عرشه وما يحتاجه من تجهيزات حيث كان يصحب كل ذلك فضلاً عن خمسين غلاماً من غلمان القصر يركبون بأسلحتهم ، فإذا ما أمر بالخروج للصيد كانت تسرج مائة جواد من الجياد العربية والمهجنة ليركبها رفاقه فى الصيد ، وإذا ما أراد اللعب بالكرة كانت تسرج مائة وخمسين من الجياد المدربة على اللعب بالعصا فى الميدان، كانوا يأتون بها مع فداودها بحيث كان يركب كل شخص يستطيع أن يمسك الكرة بالصولجان فوق جواده، وكان ساقى الشراب يقف على كل ركن من أركان الميدان الأربعة يقترح الشراب فإذا ما غلب على أحد العطش كان يذهب إليه ويتناول الشراب ، وكانت ملابس لعب الإصفهبد تختلف عن الملابس الأخرى وكان يرتدى ثوباً ضيقاً، وكان يربط القبعة فوق رأسه والخدام مرصع بالأحجار الكريمة ومكتوب عليه ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ويس وعندما كان يفرغ من اللعب كان يمضى إلى الحمام ، وكان يهب ذلك الثوب وتلك القبعة بعد ذلك وكلما كان يضع قدمه على الركاب لينزل كان يمنح تلك القبعة والثوب والحذاء ذى الرقبة والسروال الذى يغطى الفخذين لغلام من الترك والتاجيك ، وقد استمرت هذه العادة طوال فترة حكمه وإذا سقط أحد فى خدمة ركابه من على الجواد وتبالت ملابسه كانوا يعطونه من موكبه فى الحال الثوب والقبعة بما يليق ، لكن شريط القلنسوة تكون بما يناسب الرجل ، ولو حدث أن ذهب إلى الحمام فى اليوم الواحد مرتين كان يرتدى ملابس أخرى، وطوال فترة عمره لم يمر عليه يوم لم يغتسل فيه سواء فى السفر أم فى الحضر، وكانوا يحملون له دائماً أربعة أسرة واحد ليجلس عليه فى البلاط، والآخر فى النوم، وواحد فى الحمام، وواحد أثناء سير الركب وكانت له قصور وحدائق وميادين فى تلك المواضع التى بينها، وكان قد أقيم فى كل واحد منها عرش وزود بكل ما يحتاجه من أسباب الخدمة والموائد من ذهبية وفضية وبسط شتوية وصيفية وثياب للنوم وكان يعمل فى كل منها اثنين من الفراشين حتى إذا ما وصل "الإصفهبد" فجأة إلى ذلك الموضع من سفر بعيد وجد كل شىء مجهزاً ومنظماً، وأسماء المواضع التى قد شيد بها القصور هى : -

كلبايكان - تميشه - بانصران - بارتورز - ركوند - كوسان - وهان - بهرام
كلاده - رامش آباد - سروكنده - تنيرأتراپ - بولا شير- دارمهر كنده - جلوسك -

سارى- دولت آباد التى تعرف بآتراين - كجموس سارى - عمر آباد سارى - جويبار - برنمهرودبست دونكا - سورستان ايزاباد- أردشير آباد - آس كلاته - ألومه - سرتريجه .. لنكيماي هج - ديه مي هج - لشرك آمل - رودبار آمل - شهر آمل قرا كلاته - قصبه ناتل - قصبه كجو .. كلار- كهروود - قلول - بردامه - أردل - خشمه نشين لفور - فيروزكوه - جارماب - رنت - فريم - دوالم - بورو - ورن - زارم - ليای - لسكرت - درويشان - مهروان - دامغان- بسطام - والقصر الذى كان داخل مدينة سارى من الصعب وصفه ولا يتسع المكان لشرح وصفه، أما قصره الذى كان فى دولة آباد التى تعرف بآتراين" فقد كانت مساحته مائة فدان ، وكانت صورة ذلك القصر المعلقة على الجدران منقوشة بحوالى عشرة أطنان من الذهب ويبلغ ارتفاعه عشرة أمتار، وكان قد شيد به حوضاً كانوا يدعونه " بادخانه " وكان يناطح العيوق ارتفاعاً ذو أربع صفات وحمام بخار وبلاط ومرحاض فضلاً على أن طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه ثمانية أذرع وكل لبناته فيروزية اللون، وبه حوض منخفض مساحته ثمانية أذرع فى ثمانية أذرع، وتخرج المياه من فم أسد ذهبى فى منتصف الحوض ، وفى الصيف كانوا يضعون سجاد هذه الأبنية والمهاجع والحمامات من الحصير البغدادي الفيروزي ، وفى صف منها كان مربوط مروحة كتان مطرزة بماء الورد، ويقوم الفراشون بعنايتها ورعايتها وكانوا قد رتبوا الأمر بحيث لم يكن أحد يستطيع أن ينام فى أيام الحر الشديد دون لحاف، وكان على أحد الجوانب الأخرى للقصر حديقة والتى كانت موضع حسد "سمرقند" و"غوطة دمشق" ورياحينها وأشجارها وثمارها نموذج لجنة "إرم" وقد شيد فى منتصف تلك الحديقة بين الصفات الأربع وحمام البخار ثلاثة قصور صغيرة لا نظير لها مثل قصر "الخورنق" وقصر "سدير" ، وقد نقشت عليها من أولها إلى آخرها قصة انتقام البطل إفراسياب وفى وسطها حوض المياه وجميع الطيور مثل الطاووس والديك البري والحمام والببليل والقمرى واليمامة والبيغاء والسمان، وكل ما يخطر على البال موجود فى تلك الحديقة، وقد أعد بها مخزن للغلال والعلف يقوم عليه رجل وقد أنشئ أمام القصر من الجانب الآخر ميدان به حديقة على مساحة أربعمئة ذراع ، وقد زرع فيها أنواعاً من أشجار الفواكه وقصب السكر والفل والبنفسج وزهرة قلب الأرض والورد والنسرين، وجعل جانبا آخر لتربية الحيوانات مثل البقر الوحشى والغزال والأرنب والحصار الوحشى

والزرافة والنعامة والدجاج، وكان يعد لهم طعامهم وقد أقام فى وسط هذه الحديقة بحيرة، وجعل عليها من كل الجوانب ساحة لرمى السهام، وأقام فى وسطها نافورة بارتفاع عشرة رماح والماء يحيط بها، وتعيش فيها أنواع من الأسماك والطيور المائية، وقد أقام عليها جسرا حيث كان يذهب إلى هذه الحديقة ويقضى بها فترة فى أوقات الخلوة، وكانوا يمدون الجسر بالسلاسل الحديدية، وكانوا يضعون الجسر حسب أوامره ثم يسحبونه مرة أخرى ويعطون تلك العمارة والرواق والحمام وأسفله دار الخدم ودار الشراب، وفى منطقة "فريم" أقام كذلك قصراً وبحيرة وحديقة وفى جلوسك "ودرويشان" أيضاً وفى موضع دولت "آباد" أقام خدمه وحواشيه عدة قصور وعمارات والتى كانت متصلة مع بعضها البعض من جسر "محمد سبندى" حتى خندق "فارسى" فيما وراء "عليا باد" وكان عدد الحمامات التى أقامها الأشخاص لأنفسهم اثنى عشر حماماً ، ولا يزال الناس يعانون فى إنشاء هذه الأشياء ، وكان عنده دائماً خمسمائة جواد عربى مربوطة فى حظيرة "سبنج"، كما كانت ترسل له كل عام من "برقة" و"الموصل" و"بغداد" ألف ونيّف رزمة، هذا بخلاف الجياد الأصيلة والدواب المهجنة غير الذى كان يولد فى حظائره ، وكان قد أقام حظائر فى كل منطقة على امتداد المسافة من حدود "إستراباد" وحتى حدود "قلاة الديلم"؛ كما كان لديه اثنا عشر ألف جواد للعمل خلافاً لنسلها ومائتان وثمانون ألفاً من الأغنام مما لها إلية والمجرد منها ويقوم على رعايتها الرعاة حيث كان طعامهم والخاصة من نتاج تلك الأغنام، وكان فى دار جنده ألف غلام أمرد من الترك والمهجنين وفى القصر والمنزل، وكان يختار رجلاً متديناً زاهداً وكان يرسل به إليهم كل أربعة شهور فكان يجلس إليه مائتين من الغلمان يستمعون إليه ليصلح أحوالهم ويجيب على أسئلتهم ، وكان لديه أربعة حجاب دائمين فى دار جنده، والذين كانوا يتلقون أوامرهم الرسمية من أستاذ القصر، وكان هناك سبعمائة وخمسون رأساً من البغال والذين كانوا يسحبونهم يوم نقل متاعه وخمسة وعشرون من الطبول الكبيرة والصغيرة، واثنا عشر علماً وزوج من النياشين ذات العلامة الصفراء وألف رأس من الجمال، وكانوا ينقلونها فى الشتاء إلى "بوروز آباد" فى قرية "نامنه" وفى الصيف فى "خروت"، وكان يوجد بعض الرجال الدامغين الجمالين ، وكان له قلاع معمورة فى بعض المواضع التى جرى ذكرها وكان بها الخاصة وحاكم القلعة والمشرف والحصون والدواب التى كانوا يحملونها إلى خزائن

القلعة، وكان سبعة آلاف رجل من الخاصة مكتوبة أسمائهم فى الجريدة على الباب الخاص ومفصلة على هذا النحو: -

ألفاظ خارج تميشه :

جناشك - تلو من - قله أو - تيره أو - تيره سنك - جهينه ، بالمن - كجين - ملك - بندر شاه كوه - روهن، سدن رستاق، وجا - خرمه دز شلارود، نديش، بسطام - دا سجان، مهريين.

ألفاظ داخل تميشه والجبل والقلعة :

انبامه - شاه دز جورود ، إيلال جورود ، كوزا - قلعة منازل شله رود بریم ، سواقه كوه ، فيروز كوه ، إستوناوند ، بحت ، جكودره ، كوتركار - إسفالای لارجان ، لزجر إسفيددز - كنده كوه بهار فرسنكى سارى فلول، لوندر شنكله ديه، كهروود لا رجان، خرمه دز، دارا - إكندم كوه، سمنان، ورن شوزيل داشت - آب دره كوسان، رزان بهبله رود دورمو، ويمك سرجاهان بدماوند كيسليان .

ألفاظ فى رويان :

نور ، ناجور ، ولج ، كاولول ، هارسى ، رستم آباد كجو ، كردور بهرجان ، دشمن كور ، جيرنه كوه ، جمان ستان كرجيان ، سيلاسراى ، جلندر ، إفران كوكالچ ، كشغل أزبلو ، تنكا - استوناوندك ، لؤلؤ سراى، إبليت إيخوار سبنج وكان له نديم ظريف وفاضل فى كل فن يدعى أبا المفاخر مهذب الخفرى لم يعهد مثله قط فى هذا الشأن فى أى عهد وكان على قدر من علوم الأدب والفقه والبلاغة وكان قد حج مرتين فى آخر عمره وتاب وأتاب وسلك المسلك "المارونى" فى خدمته وكان ملازماً لركابه دوماً وكان هذا الرجل فى كل ليلة جمعة يقف ويدعو بساحة الميدان ، فكانت قولة أمين والتي ينطق بها كل من فى المعسكر تتردد فى الجنبات ومن تلك الأدعية التي كان يطلقها : -

- ليبارك عليك الأرض من له التاج والخاتم إرث من الملوك

- مائة آلاف البركات من الله الخالق على التاج والسرير والحظ والمليك .

بعدد الحصى فى الصحراء والنجوم فى السماء ، وبعدد شعر الحيوانات ، فلتنزل
الآلاف الرحمات بعدد رمال الفلاوات ونجوم السماوات وشعر الحيوانات من الخالق
المنشئ الغفور ، أتهادى على جسد وروح سيد ملوك "إيران" و"توران" مانح عرش
العراق وخراسان سلطان التاجيك "الإصفهيد" الأعظم "شاهنشاه" المعظم مالك رقاب
الأمم سيد ملوك العرب والعجم الملك ابن الملك ابن الملك المؤيد ، والعالى
المسدد حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، معين خليفة الله مظهر الحق ، مغيث الخلق
حسام الدنيا والدين علاء الإسلام ، والمسلمين شمس الملوك ، والسلطين فلك المعالى
ذو القرنين، طهمورث الزمان ، كسرى الأكاسرة "شاه إيران" و"توران" ، ناصر
الشريعة محى الحقيقة، باسط العدل ، كاشف الظلم ، أعدل ملوك الخافقين ، مكرم
أولياء الله ، ومذل أعداء الله مولى ملوك العالم ؛ "فرشوان جرشاه أبو الحسن أردشير
ابن الحسن بن رستم" أعز الله أنصاره ، وضاعف ملكه وجلاله ، "ابن على بن
شهريار بن قارن سرخاب بن شهريار بن دار ابن رستم بن شيروين رستم بن
سرخاب بن قارن بن شهريار بن قارن بن شروين بن سرخاب بن مهرمردان بن
سرخاب بن باو بن شابور بن كيوس بن قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن بهرام
ابن بهرام بن هرمزد ابن شابور بن هرمزد الجنود بن أردشير با بكان بن ساسان بن
بابك بن ساسان بن وهافريد بن مهرماه بن ساسان بن بهمن بن إسفنديار بن
كشتاسف بن لهراسف بن كياوجان بن كياندش بن كيانيود بن كيقيا بن زانا بن إنوذر
ابن يوزنا بن نامور بن نوذر بن منوچهر وهو فارس بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن
إبراهيم بن تارخ بن ماخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ
ابن سام بن نوح بن الملك بن متوشلخ بن أخنوخ بن ليارد بن مهابيل بن قينان بن
أنوش بن شيث بن آدم "أبو البشر - عليه السلام - .

وليكن متمتعاً بالعمر والعيش والتاج والعرش والذى حيثما ظهر له عدو فى شرق
العالم وغربه، قضى عليه من على وجه الأرض ؛ فلتنزل الرحمات على ذلك المؤمن
والمسلم الذى يقول صادقاً من قلبه: أمين ويارب نور له فى هذه الساعة وفى سائر
الساعات مائة ألف من قناديل الرضوان والمغفرة والغفران والرحمة ؛ لروح الملك
السعيد الشهيد "علاء الدولة الحسن بن رستم" واجعل قبره روضة من رياض الجنة ،

ولينور بصيرة الأمراء شرف الملوك "حسن بن أردشير" وشمس الملوك "رستم بن أردشير" وركن الدولة "قارن بن أردشير" وليحفظهم له ببقا ، ملك الملوك ، ثم كان يتلو تلك الأبيات وعشرة أبيات أو اثني عشر بيتاً غيرهم .

– أيها الملك ليكن الزمان أقل عبد من عبيدك ، وليكن الإحسان حزمك والأنعام أياديك .

– ولتكن الدنيا يارب وفق ما يتمنى الملك أردشير، ولتكن الأيام التي تمضي سريعة هادئة على الملك أردشير .

وعندما بعث الملك الشهيد علاء الدولة نور الله قبره ولعن الله قتلته بالأعيان من مقره في زارم إلى البلاط في ساري ، وكان الإصفهيد قد ارتدى ثياب الوقار وقبعة الثياب برغم صغر سنه، ونشوة الشباب ونصرته، وحيويته، فغادر "زارم" إلى قصر "درويشان" وجلس للعزاء أربعين يوماً دون تاج الملك مرتدياً ثياب العزاء حيث كان يجلس على الأرض فوق فرش بسيطة وجعل تاج الدين "توران شاه بن زردستان" الذي كان أمير جناشك ، وكان شيخاً ذا رأى وتدبير صاحب مكانة مرموقة، وموضع ثقة يقف حاجباً بين يديه ثم بدأ بعد ذلك في تولى مصالح الملك بعد الاستخارة، ويمن المشورة لقضاء كل ما غمض من الأمور، حيث تولى إدارة الملك دون استبداد، وعناد وفجور وفساد وأرسل الأوامر إلى أطراف الممالك بأن منجل الفضل وسلاسل العدل قد علقت في حضرتنا، فكل من تجرع غصص الظلم، وعانى إجحاف الدهر فله في بلاطنا مأمن وملجأ في الحال ، كما وكل القائمين على تقصى الأخبار بأن يبلغوا مسامعه الشريفة كل ما يقع في ممالكه مما صغر أو عظم وعين أربعة أمراء للعدل وهم "نجم الدين القاضي" و"جمال الدين حاجي أشتان" و"ناصر العلوي سنكه بشته"، وأخاه ليتلقوا شكاوى ودعاوى المسلمين، ويعرضوا عليه الضروري والهام منها على الفور، وكان يقرأ هذه الشكاوى كل ليلة جمعة، ويحكم فيها وبعث برسالة إلى مبارز الدين أرجاسف" في "خراسان" لقد وقعت هذه الحادثة برغم أننا كنا في الحداد على أبينا، وقد ارتدينا ثياباً صبغت بالزاج والمازو، إلا أن العالم برغم قدمه قد اتخذ زينة العروس؛ فصار وردى اللون متجماً بعد لنا وقد جعلت الدنيا نفسها عروسة، كما سطعت شمس الملك متجردة من كسوف الحتوف، بالغة غاية الشرف، فإذا ما وصلك ما في الأمر مما

أدرج فيه من الثناء والمدح فعليك أن ترجع على الفور دون أن تفشى السر أو تعلن هذا الأمر للحشم، والمحيطين بك، حتى تصل داخل "تميشة" فإذا ما صرت داخل الرباط أعلنه، والبس ثوب العزاء وادخل إلى بلاطنا والسلام، فما أن وصلت الرسالة إلى القائد "أرجاسف" على حدود "طوس"، حتى عاد وامتثل لأمر الملك وتوجيهاته، ومثل بين يديه مع جملة الأمراء والجند، حيث قبلوا الأرض، وبعد أربعين يوماً التي كان "الإصفهبد" يرتدى فيها ملابس العزاء، أتوا بالتاج والعرش إلى البلاط، ويات "الإصفهبد" سعيد الطالع مبارك النجم، متولى الملك في "طبرستان"، وأصبحت أحكامه نافذة، واصطف جبابرة الأطراف في ميدانه عبيداً طائعين بين يديه، في أذانهم حلقة العبودية، وفي رقابهم طوقها، وحول وسطهم حزامها، وأمر بإحضار المال والمتاع من الخزائن والقلاع، وأمر بتغيير ملابس التشريف للأمير والمأمور، والرئيس والمرؤوس، والسائس والمسوس، والسيد والمسود، حيث لم تبق أي طائفة من الخدم والحواشي والجند دون ملابس من ملابسه، ومنح الأمراء والأكابر مزيداً من الإقطاعات، وحضر من "درويشان" إلى ما وراء "مهروان" ومن هناك إلى تنير وفي اليوم التالي نصبوا الخيمة، والسرادق في "رودبار أترابن" وفي الغد ذهب إلى روضة والده وقام بتقبيل تربته، وأعطى الخيرات والصدقات للمستحقين، وأقام في هذا المكان لمدة شهر، وكانت الولاية قد أصابها الخراب من هجمات التركي المغير المؤيد، فقام بتعيين العمال والأكفاء في الضواحي، ليقوموا بالعمارة والزراعة، وبعث "بأرجاسف" قائد الجند إلى "كشواره" و"عين یرنقش" أمير "آخور" في "بسطام" و"منكو" في "دامغان" و"ثغرتمر" في "ویمه" و"دماوند" حتى حدود "شامرزا" و"سمنان" ووضع "جمال الدين" سيد أبو القاسم في "إستراباد" و"شمس الدين على كيابی فیروزكوه" في "مهره بن" و"آخاه" كت كيا" قائداً لقلعة "جهينة" و"الإصفهبد" "أبو جعفر" أشرب في "لارجان" و"تاج الدين شهریار" و"خورشيد" ما مطير" في "آمل" وبعث أخاه "رستم" نيابة عنه، ومنذ أن علم "المؤيد آييه" في "نيسابور" بوفاة الملك الشهيد "الإصفهبد" شرف الملوك علاء الدولة حسن اتجه مرة أخرى مع جيش "خراسان" إلى "مازندران" واستدعى "سلطان شاه" مع جند "خوارزم" وأمرائها، وعندما وصل إلى "ساری" غادر "الإصفهبد" "إرم" إلى أردل، وكان "إستندار" كيكاس" قد حضر إلى خدمته في موضع "إرم" وبعث "المؤيد" برسول للتهنئة والتعزية حيث قال له: إن كان الوالد قد توفي، فسأبعث بابني لخدمتك، وأجرد سيفي إلى

جوارك، لتعطيني قلعة "بديش" وظاهر "تميشة"، فأمر بأن يحضر "إستندار كيكاس" ولم يرد على الرسول بأى جواب قط، حتى وصل "إستندار" فشاوره بماذا يجيب الرسول فى هذا الأمر؛ فقال "إستندار" قل: للأمير المؤيد أنك تعلم أننا لم نر الترك ولهذا الملك نفس الأتباع الذين حملتهم أنت فى عهد والدى إلى "تميشة" كأسرى فلو أمر "كيكاس" فسوف يحضر إلى "تميشة" بخمسين ألف جيلى وديلمى لنرى ماذا سيحدث بعد ذلك وليكن ذلك؛ فى فرصة أخرى، وذعك من حالة أبى، وسمحوا للرسول بأن يعود، ولما وصل إلى "المؤيد" قال: يجب أن تعود إلى الطاعة أو أنك لن تحقق أى شىء بالعنف مع هذا الأمير، وكان أهالى تلك الولاية ينفرون ويتذمرون من عنف وخشونة طبع والده، ويستتكرون أحكامه وتهوره آنذاك فاستعدوا جميعاً لمؤازرته ومساندته واتباعه، واحتشد الأهالى والجماهير فى بلاطه بحيث لم يكن هناك أى طريق للوصول إلى البلاط، ورحل "المؤيد" فى اليوم الثامن من وصول الرسول إليه ولم ينزل بمكان قط حتى بلغ "تميشة" وحضر "الإصفهيد" إلى "سارى" وأمر "كيكاس" أن يخلع ملابس العزاء ويبحث به إلى "رويان"، ولما وصل "المؤيد" إلى "إستراباد" عمر قلعة "ولين" التى كانت على مدخل مدينة "نوينى"، وأقام الأسوار، وأمر بحفر ثلاثة أبار، وأجلس هناك مائتى رجل خراسانى، وعين قائداً على قلعة بالمن يدعى "بشير" وأسند تلك الولاية لأخيه "اختيار الدين قوشتم"، واتجه إلى "نيسابور" فى خدمة "سلطان شاه" ووالدته، فهجم "قوشتم" على "كشواره" لقتال الملك "مبارز الدين أرجاسف" وتركه يدخل الحصن، ثم نصب له الكمين حيال عودته، ثم وثب عليه وخرج "قوشتم" ومعه ثلاثون فارساً، وقتلوا الجميع، ولم يستطع أن يقيم خارج "تميشة" وذهب ليحصل على المدد، ثم يرجع، وعندما وصل "المؤيد" إلى "نيسابور" بعث "سلطان شاه" إليه قائلاً لقد حضرت لتساعدنى لأستعيد ملك أبى، فأنا مشغول كل يوم فى مددك، وقد قتل عدة آلاف من رجالى فى "مارندران" وأنا سأمضى إلى ناحية "الخطا"، فقام "المؤيد" بتقبيل يده وقدمه، وأخذ الجيش وتوجه إلى "خوارزم" وكان "شاه أردشير" قد كتب إلى السلطان صاحب قران، ووقعت بينهما معاهدات واتفاقيات، وبلغ حدود "سوبرنى" للهجوم على جند السلطان "سعيد" واستند "المؤيد" على جواده فكبا به وطرحه؛ فأمسك به فارس وأحضره أمام السلطان مقيداً، وقال فى بداية حديثه أنا مجرد جمال، فلما عرف اسمه قال بل هو "آبيه" فسقط على وجهه راكعاً أمام السلطان، وقال امنحنى الأمان

لأسلم لك خزائن السلطان "سنجر" فقال له الوقت ليس تجارة وترجل من على جواده، وأمر بأن يطرح "المؤيد" رأساً على عقب، وضربه بيده فى كمره ، ويقول الشاعر نقاشى فى مدح "شاه أردشير" :-

- كانت همته كالصقر على باب خوارزم ، حيث ترك عمر المؤيد الذى كالقطاط لديك الليل .

وعندما وصل خبر مقتله إلى "شاه أردشير"، غادر موضع "ليان" ووصل فجر تلك الليلة إلى "إستراباد" ولم يكن معه سوى مائتى فارس، وفى اليومين التاليين وصل الجند ونصبوا على مشارف "سبيد كور" "الدهليز" و"البلاط" وأتذاك كان "السيد علاء الدين" وركن الدين ولدى السيد "شمسك بيشك جر" من أولاد "على بن إسماعيل بن جعفر الصادق" قالوا: إن أباهم قد حمل "حيدر الكردي" والذى كان أفضل الأكراد ليداوى ولده حيث كان يشكو مرضاً فى حلقومه، لكن الابن مات فقتل الأكراد "شمسك" فقام "شاه أردشير" بقتل جميع الأكراد، واستولى على أموالهم، وأعطى قريبتهم للسيدان قصاصاً لهما وساندهما حتى اشتد، وبعد استيلائهما على القرية كان يطلق عليهما "أده زاده شمسك" وبعد استقرار السيدان كان يطلق عليهما "كرده كلان" ولا يزال إلى الآن أولاد "سيد شمسك" هم أصحاب تلك القرية وأتذاك بلغ خبر بأن "قوشتم" قد هلك فى نيسابور وأرسل "الإصفهيد" إلى قلعة "ولفن" وكان "نجيب الخيامى" يخدم "قوشتم" فنزل وطلب الأمان لأصحاب القلعة واستلموها، فهدمها "الإصفهيد" وخربها ومضى من هناك إلى "بالمن" وأحضر الجيش للحصار وذهب إلى ولاية "كبود جامه" ودخل فى الخدمة كل من "نصرة الدين محمد كبود جامه" وعمه "ركن الدين" وغضب "الإصفهيد" على عمه إذ أنه رأى "المؤيد" ولازمه وأمر بتقسيم ولايتهم ، وجعل الحراسة والحكم "لنصرة الدين" وقرر "لركن الدين" ما يكفى لحياته ولوى عنانه عائداً ، من هناك وحضر إلى "شورأو" وبعث بالجيش إلى "دامغان" و"بسطام" واستولى عليهما، وكان "قطب الدين برسق" قد أبدى شجاعة كبيرة على حدود قلعة "بديش" فأقامه على "بسطام" واستولى على قلعة "بديش" وعين العمال على تلك المناطق، وحضر "الإصفهيد" إلى "سارى" ومنها بعث بتاج الدين إيزه داد" لحكم "جرجان" ودخلت تلك الولاية تحت سيطرة الديوان ووصلت المحبة والصداقة بين "شاه أردشير" والسلطان

"سعيد تكش" إلى حد أنهما لم يختلفا بشأن الملك والتباع، ولم ينقطع تواتر تردد الرسل بينهما، وفي معظم الأحيان كان السفير هو "السيد جمال الدين أبو القاسم" وكان السلطان "سعيد" في كل مرة يرسل العديد من التحف والهدايا من ملابس الخطا والغلمان الطاهرة والخيول المسرعة والتي يطول شرحها، وكل رسول كان يصل من "مازندران" إلى ذلك البلاط كان السلطان "سعيد" يجعل مكانه أعلى من رسل الخطا، ولفور وسائر الملوك وكان يطلق لسانه بألفاظ التجليل في حق هذا الرسول، قائلاً: إنه رسول سلطان "مازندران" وكان يباهي الجميع بصداقته ومحبته مع السلطان، وكان يسأل عن أحوال سعة ملكه وقوة شوكته، وكثرة جنده، واستقرار قواعد إدارته للملك، كما كان يطلق لسانه بالتحدث بمحاسن أخلاق السلطان، وقواعد حكمه، وهو يهتز طرباً، فلما كان رسل "شاه أردشير" يعودون إلى الحضرة، ويعرضون عليه حفاوة السلطان "سعيد" بهم والتي كان يبديها دائماً، فكان حباله للطاعة وإخلاصه يتضاعف آلاف المرات، وقام "صلاح الدين يوسف" ملك مصر والشام بالاستيلاء على معظم بلاد الإفرنج حدود المغرب ولم يكن في عهدنا ملك أعظم منه ولا أعدل منه ويقول: الشاعر "شمس" أقطع في حقه:

يا أرض مصر سقاك الله من بلد : مازالت منزل أحابي ومألفها

كم قد بكت بدموع النيل أعينها : حتى إلا له إليها رد يوسفها

وكانت له مع "الإصفهيد" صداقة وألفة لم تنقطع الرسل بينهما، وحدث آنذاك أن جلس الإمام الواجب الطاعة "الناصر لدين الله" أمير المؤمنين "أبو العباس أحمد" على عرش الخلافة، والإمارة وبعث بقاضي قضاة بغداد إلى "شاه أردشير" لطلب البيعة، وتم التشريف العظيم بالأعلام وأربعون من الخيول العربية، ذات الحدوى الذهبية، في موضع بأمل يدعى "كوشك جاوى" وكان "شاه أردشير" قد شيد قصرًا عاليًا رفيعًا، وجعل الماء يصعد إليه فرأى الرسول وقد ارتدى جبة التشريف والقلنسوة والقباء والقبعة، فبعث بأخيه والذي كان يدعى "فخر الملوك رستم" ليقبل حوافر الخيل ويمرور الأيام، توثقت العلاقة بينه وبين الخليفة، بحيث لو أن أحداً ما كان قد حبس من الخطا بأمر من أمير المؤمنين أو شعر بظلم أو إجحاف من دار الخلافة، فعندما كان يلجأ إلى الإصفهيد ويطلب شفاعته لجرائره وجرائمه كان "الإصفهيد" يعرض الأمر على السدة

المقدسة الإمامية وكانت حاجاته تقضى على الفور وتقبل شفاعته وكان بين هؤلاء أمير الأمراء " طاشتكين " والذي كان أمير الحج وملك "خوزستان" حيث تم إطلاق سراحه من الحبس بشفاعته ، والأمير العميد ملك الأمراء في العراق "عز الدين خواجه فرج " والذي كان والي " أصفهان " وذكر هؤلاء جميعاً يطول شرحه وقد حدث لحرر هذا التاريخ أن انتقل في عصره إلى بغداد ،عندما أكرمه الله تعالى بحج الإسلام ، ولما عاد نقلوا أن من ألفاظه الثمينة أنه يقول للملك إنه من عاداتنا ومراسمنا ألا نجد الرعاية والعطف والعناية لكل الملوك والأمراء الآخرين إلا منك وهذا الاعتقاد كان بحكم أن "الإصفهيد " إمامي المذهب ومن مواقفه المقدسة أنه قدم المزيد من الخيرات والصدقات والاهتمامات لتلك الطائفة وسمعت أنه عندما توفي صلاح الدين يوسف الشامي فوض خلافة مصر لابنه المسمى بعلي والذي كان يحكم آنذاك حلب وحران فقام الملك العادل أبو بكر والذي هو سلطان الشام حالياً بالتوجه إلى مصر وكان لصلاح الدين يوسف ابن آخر يدعى عثمان وكان قد انتزعه منه بالقهر فكان يتولى مهمة الكتابة عنده وكان يدعو لتبعية الولاية المقدسة النبوية والحضرة الإمامية وانتزع ملك مصر من علي لصالح عثمان هذا ونظمت هذه الأبيات في هذا الأمر .

مولاي إن أبا بكر وصاحبه	عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي	من الأواخر آخر ما لاقى من الأول
مولاي إن أبا بكر تهضمني	وهل يرجى أبو بكر الإنصاف؟
اسم تكدر قدماً أيا كدر	ومن رأى كدراً أجدى على الصافي (١)

والسلطان "أرسلان" و"طغرل" و"الأتابك محمد" و"قزل أرسلان" و"أمراء الحرميين" و"عبد المؤمن المغربي" و"سادات عمان" والذين كانوا ملوكاً وصاحبوا أخلاط و"أمراء شروان" و"در بند سيدة" كانت تدعى طامارملكة "تفليس" وأبخاز والتي كانت تقوم بهجمات على كنجيه وحدود "أران" حيث نظم نظام الكنجوى للأمير "أبي بكر" قصيدة والذي كان ملك "أران" و"أذربيجان" ومطلعها .

هم اتخذوا من الحربة مغزلاً ونحن اتخذنا من الحربة مغزلاً فكيف لحربة أن تصنع فتحاً في أبخاز مثل فتحك.

١ - يعرض الكاتب بالإمام علي بن أبي طالب وأحققيته في خلافة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا نابع من عقيدته الإمامية ، المترجم .

والخلاصة أن جميع هؤلاء السلاطين والملوك من حدود المغرب كانوا يبعثون كل عام بالرسول بشكل متعاقب ومتواتر، إلى حضرة "شاه أردشير" كما كان سيد العالم "السلطان سعيد" يقر بجلال أسرته المباركة، وكان "الإصفهيد" يرد ذكر هذا الملك بالتعظيم، حتى رغب في خدمته، والاستظهار به، وأكدوا له ضرورة قبول دعوة السلطنة، فلما رأى أعوان "الإصفهيد" علو ثقته، ونفاذ بصيرته في صداقة السلطان "سعيد" حثوه وشجعوه ألا يقطع مثل تلك الصداقة، وألا يتركها دون الاستفادة منها واستثمارها، وأكدوا له ضرورة اتصال هذين الأصليين ببعضهما، وأن تكون بينهما صلة قرابة ونسب فلما عرض هذا الأمر على الرأي السلطاني الأعلى لم تكن له سوى ابنة عمرها سنتان وقال في هذا التاريخ، إن هذه الرغبة قد تمكنت من قلبي، وهذا المراد قد سيطر على طبعي، لكن بحكم أن البنت في أول فطامها فإنني أوقف تلك الفكرة الآن، حتى يشتد عودها وتستقيم فتاة تليق بأن أبعث بها إلى خدمته ويكون عرض هذا الأمر لمن جانبنا أولاً فإن رأى الشاه أن مهلة الأيام للمصلحة فيها، وإلا فالحكم له، فلما قام السيد "جمال الدين" بإبلاغ "شاه أردشير" بهذا الأمر من "خوارزم" قام بإرسال "سعد الدين الحسيني" الذي كان معروفاً بديوانه إلى حضرة "خوارزم" ومعه مهرها، ونفقة رضاعها، وذهب وثياب وأمتعة، واتفق على عدم عقد الزواج وعند عودة حسينى ديوانه تمرد ومضى إلى "إيران" و"أذربيجان" ويمرور الأيام وتغيرها ظهرت له في تلك المناطق هيبة ليس أهلاً لها وحظ وإقبال لا يستحقه عن أصالة، أو فضل، وتحقيق له في تلك الحدود مال وفير، وقلاع وأملاك وعتاد، لكن الزمان لم يف له في النهاية، فأتى من هناك إلى الموصل فقتله حاكم الموصل، طمعاً فيما معه من مال ومتاع حيث سقاه السم غدراً، ونهب ماله، وقصته طويلة والخلاصة أن طيلة جلوس السلطان "سعيد" على العرش كانت رسائل السلطان لها نفس الشأن عند "الإصفهيد"، ولما انتهى أمر "المؤيد آييه" جلس ابنه الملك "طغانشاه" على العرش في "نيسابور" وعقد هدنة مع "السلطان سعيد" على أن تكون الخطبة والسكة باسمه وكان شاباً يتميز بلطف الطبع، وحلاوة الألفاظ، وطراوة الهيئة، وسخاء اليد، وفصاحة البيان، وطلاقة اللسان، بحيث لم يكن في العالم أجمع مثله، ومما جاد به طبعه رباعيات لم يكن لشخص من بعدنا أفضل منها وللشعر "تاج أبى" مرثية في شأنه ومقطعات ورباعيات يقول في إحدى تلك الرباعيات

- إن ذلك الذى تتجسد به روح الوجود ، ويعد منجم الوجود كله ذرة من كرمه .

- فإلى يوم الحشر لن يطل برأسه قط من جيب الوجود قمر مثل "طغانشاه" .

وقد أرسل الإصفهيد إبراهيم كيا رئيس قلعة الشراب برسالة إلى طغانشاه وفتح أبواب الصداقة والمودة معه ، كما راعى حقوق جواره فأرسل "طغا نشاه" بقوام على الذى كان نائبه مع "إبراهيم كيا" قائلاً له لو تجاوز "الإصفهيد" العداء والخصومة التى كانت عند والده وترك الثأر والانتقام ونفذ القول الشهير عند الشدائد تذهب الأحقاد فسوف أقضى عمري فى اتباعه وطاعته، وسوف أأتمر بأمره وأنفذ إشارته وتم بينهما العهد والاتفاق على ذلك، وخلال فترة عام أو عامين تضاعف ولاء "حسن طغا نشاه" بحيث أصبح "الإصفهيد" كلية أسير لطف طبعه وموطن كل مودته، وكما هى عادة الزمان، فإن قلوب الفتیان تميل إلى بعضها البعض أكثر وتأكدت بينهما أواصر المودة، وقويت حبال التوحد والألفة، فكانا يقفان على أحوال بعضهما البعض يوماً بيوم، فكانت كل الطرائق "المازندرانية" والخيول العربية، والتى كانت تصل إلى "شاه أردشير" كان يقسمها بين أخيه وابنه وكان هو يرسل إلى "الإصفهيد" من طرائف الشرق ومن الخيول البارزية ومطربى "نيسابور" ما يفضل ذلك ويفوقه إلى أن قال "تاج الدين تورانشاه" إلى شاه أردشير إن له أخوات إحداهن فى حسن زليخا ، وحلاوة شيرين ، ووفاء ليلى ودين آسيا وزهد رابعة وعفة هاجر، فلو إن الشاه يأمرنى فإنى أحضرها إلى حرم مولاي وبحكم أن "تورانشاه" كان يميل كل الميل إلى أهالى "خراسان" فكان يحدث كل لحظة على هذا الأمر حتى سمح له ذات يوم بهذه المهمة ، فمضى هو و"إبراهيم كيا" و"مجد الدين دارا" و"برسق" و"مشرف الدين بسطام" وعم محرر هذه الأوراق إلى "نيسابور" فخطبوها وسلموا المهر والصداق وعقدوا النكاح، ومرضت العروس، وكان المرض يزداد يوماً بعد يوم، وظل الموفدون مدة أربعة أشهر هناك، أملاً فى شفائها وقدم "طغا نشاه" مزيداً من الكرم واللطف فى حقهم حتى طلب الرسل فى النهاية الإذن بالعودة فرحلا وانتهى مرض العروس بالسل، فقالت الأخت لأخيها أن ملك "طبرستان" ملك شاب وعظيم، وقد رغب فى أن أكون عنده مودة لك، وبذل الكثير من المودة الملكية فابعث بى إن امتد العمر فهو عين الإقبال بالنسبة لى وإن كان لا بد من الفناء والموت فإن الموت يستوى فى أى مكان، وليسامحك البارئ فبعث أخته مع عدة

آلاف من أحمال دنانير، وأرسل بالمتاع والجهاز إلى مازندران بقدر ما كانت عليه همته ومروءته وقام بتوديع أخته والعظماء لعدة فراسخ وعندما بلغ الخبر إلى "شاه أردشير" أمر الملوك والأمراء بأن يذهبوا إلى "جرجان" لاستقبالها وعقدت الزينات، وأقيمت الاستراحات في جميع الولايات وعاش أهل "طبرستان" شهر بأكمله في سعادة وفرحة، لا يهتمون بأي أمر سوى الاستمتاع بهذه البهجة ومشاهدة مقدم العروس، وكانوا ينثرون الذهب والسكر من حدود "جرجان" وحتى "سارى" خطوة بعد خطوة فلما وصل المهد إلى "سارى" كان "شاه أردشير" قد أمر بإعداد إيوان وقصر يشبهان الجنة، وكانت دنانير الذهب من كل الأنواع الركنى والآلى والجامى والشرفى والعلائى والبسطامى والدامغانى والإسترابادى تعب من الخزائن بالجاروف الذى كان يسمى فى تلك الولاية بالخيخه وكانوا يلقون بهذه الأشياء الذهبية والفضية فى وسط الممرات من أول الدهليز ومن العتبة حتى أول موضع منزل العروس، حيث كانوا ينثرون الذهب على مهدها وحين يوم الاختيار حيث يدخل الملك ولما اجتمع الملك والقمر وكان القمر فى المحاق من المرض وكان يفارق الشباب والعمر وأقام لها الملك قبراً من الطين فوق جسر وعاد بقلب محترق وعين مليئة بدموع الحسرة بحيث كانت عبرات حسراته تنساب على وجناته كما كانت العروس، ترسل الدمع من عين روحها مثل قطرات المسك فتأجل وعد الزفاف إلى اليوم الموعد وشاهد ومشهود وقال :

- يوم القيامة موعد للقائنا :. واحسرتاه ليت القيامة قامت .

- فاخطففتها صيحة الموت من أحضان المليك ، وسقطت فى آخر الأمر فيما كان يخشاه .

- فأى لذة من عمر الموت فى إثره ، إن متعة احتساء النبيذ لا تساوى ما يعقبها من آلام الخمار ومتاعبه .

- ولما كان صياح الغم والبكاء لا جدوى منهما ، فلا تنغص العيش اللذيذ فى حزن لا معنى له .

وصلت تلك الأميرة فى ذلك الأسبوع إلى حور الجنة ومضت إلى جوار فضل ورحمة ذى الجلال والإكرام، وتشرّد واضطرب حال المليك لفراق القمر، وازدادت عرى

المودة بين "طغانشاه" و"شاهنشاه أردشير" مع مرور الأيام وتعاقب الشهور والأعوام وكان مرور الزمن يتخذ بهجة وسروراً أكثر كما كانت بينهما المجاملة في البداية كانت المودة والصفاء في ازدياد بينهما في النهاية وكانت الملاحظات بينهما دائمة ، فلما استولى ملك الكواكب السيارة على أبراج قلعة الفلك الاثنى عشر بعد هذه المدة ، وبسطت عناصر الفصول الأربعة ملكها على جهات العالم الست قام أكابر طبرستان بالمبايعة وركعوا أمام عرش الإصفهبد قائلين نحن أبناء عبيد أسرتك واليوم تزداد سعة الملك ورغبة الشعب فيك أكثر من الأسلاف ومع اجتماع عظمة الملك والجلال الذي لا حدود له ، وخصال الرأي والبصيرة في عواقب الأمور والدراية بعواقب أمور الزمان فأنت تعلم أن الدهر ملىء بالمرتفعات والانخفاضات وواضح جلى أمام رأيك المتين وفكرك المبين ، وقائع وتواريخ العالم فسادة العالم من أنبياء وأولياء ومتوجين ممن دانت الأقاليم السبعة لحكمهم ، واستقرت تحت سطوة سيفهم وسنانهم قد غادروا العالم وخلفوه لنا وقد سعى كل واحد منهم بقدر طاقته وبما جرى به قضاء الزمان وإرادة حكم الله مجتهداً مجاهداً كي يجعل ذكره في العالم أكثر رواجاً وانتشاراً ، وصاحب الهمة الوضيعة المجرد من المروءة هو من ابتلى أخلافه وأعقابيه من بعده بالغم والهم ، ولم يرع وشيجة للملك أو الابن أو نفسه ، وانشغل بسلامة ذاته ومنع لذاته وقنع بذلك فهو كالكلب الذي تشبث بعظمة أو كالفار الذي يهرب من القط ، ونحن نريد من وراء هذه المودة التي بينك وبين السلطان أن نجعلها كنزاً وذخراً ليوم الفاقة، وحين انقلاب الحظ من أجل أبنائك ، وأهلك فقد كان الوداد قرناً بعد قرن بين دولة آبائكما حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم صداقة الآباء قرابة البناء ولسنا نعلم وسيلة لتشديد أركان هذا البناء وتأسيس وتوطيد بنيان هذه الأمنية ، سوى أن تتزوج من ابنته التي دفعت مهرها وتكاليف رضاعتها ، حيث انقضت سنواتها على ذلك ، وقد نمت وأن تقطن زهرتها من بستان طبرستان وتأتى بها إلى مخدعك ، فلما وصل هذا الكلام نهايته نظر "الإصفهبد" إلى رجل منهم فكانوا جميعاً متفقين على هذا الفكرة فيما عدا على كيا فيرزكوه حيث قال : ليكن عمر ودولة مليك الإسلام دائمين ما بقى العالم ، إن العقل يجد مساحة هذه الفكرة ضيقة على حركته الصلاح بعيدة مائة فرسخ هرباً منها .

- فأى انتساب يصلح لك مع الآخرين والمثل يقول بأن لا شأن قط "للمرغزى" مع "الرازى" .

لقد رحل ألوف الآلاف من أسلافك دون أن يضرب أحدهم قط بفأس مثل هذه الفكرة فى جذور نفسه فيقطعها ، فأى صلة أو قرابة للأتراك مع ملوك "العراق" إن هذا الأمر بالضبط أشبه بفطيرة وضعت فى كنور حار فهى غير مستساغة عند تناولها وقت العشاء وما بين الترك والتاجيك مسالك ظلمة ، ومهاالك ضيقة فانتظرهم، فالعاقل لا يكدر ماء نهر الصفاء ولا يجدر حسن وجه الوفاء فدائماً ما تنتهى المحبة والألفة والقرابة إلى العداوة والنفور ، خاصة مع الأشخاص الذين تكون لهم قدرة ، وقوة ومكنة وشوكة أكثر منك فتكون يد تطاولهم وقدم تعديهم ممتدين نحوك مادمت حياً بحجة القرب والقرابة فإذا ما وصلت حافة القبر نهشوا بأسنانهم الحادة تركتك ، واقتسموها مع أبنائك، حيث تكون إرثاً حلالاً لهم ، فلما وصل كلام هذا الشيخ المسن إلى هذا المدى أخذ كل واحد من الباقيين يسوق حكاية من الماضى يخطئ بها رأيه ، فكانوا كما هى عادة من لا شأن لهم بإدارة الأمور بعيدين عن قانون العقل وتدير مآل الحال وقد قيل فى هذا :

-خذ النصيحة ممن يملكها لأنك لو أخذتها ممن لا يملكها فسوف تتجرع دوماً دم كبدك .

لقد اجتمع اليوم مائة ألف فارس فى ميدان سلطان العالم "تكش بن إيل أرسلان" وكانت على الدوام توجد قرابة لأسلافنا مع السلاجقة ، وأعقاب محمود الفرنوى ولم يقع قط خلل نتيجة هذا كما لم يحدث ضرر من هذه الصلة والقرابة ، ولا يليق بأرباب العقل وأصحاب التميز أن يعتنوا بمثل هذا الحديث الزائف فأقدم على إنفاذ هذه العزيمة وتحقيق هذه النية التى تتضمن مصالح كثيرة ، وفوائد لا تحصى فهى مزدانة باليمن والنجاح والخير والصلاح ، فأمر الملك بأن يمضى لتحقيق هذه الأمنية "السيد جمال الدين أبو القاسم إستراباد" و"الإصفهيد الكبير مجد الدين دارا" و"إبراهيم شرابى" ، وعمه المدعو "سعد الدين زاهد" وأرسل معهم مائة ألف دينار نيسابورى ، وأحماً من الثياب الرومية ، والبغدادية والتفليسية وصناديق من الجواهر ، وخيمة مرصعة باللآلى، وخيمة مرصعة أيضاً فضلاً عن جياذ عربية ومهجنة وذلك لعقد النكاح فلما وصلوا إلى

حضرة السلطان سعيد استقبلهم بنفسه وذاته المباركة وبألف في إكرامهم وضيافتهم بما لم يتيسر مثله من الاحترام في حق مخلوق ، قط وبذل لهم من حسن الرعاية والعناية بما يليق بكرامة سلطنته واشتهر أهل مازندران في خوارزم بأنه لو أقل تلميذ قد وضع فوق رأسه عمامة أفضل شخص لن يلتفتوا إليه أو أن يجيزوا زجره أو منعه ، واحتفظ السلطان بضيقه معززين عنده ثمانية أشهر ، وأمر بترتيب الجهاز وإعداده وبشر الأمراء الكبار ووالدة الفتاة بأنه سوف يرسل بهما معاً ، إلى أن حدث أن نزل بتلك الحدود في جرجان الملك "دينارغزازكرمان" بصحبة سبعة آلاف فارس ، وانضم إليه جميع التركمان فأرسل إلى "شاه أردشير" يقول له لقد جئت إلى هذه المنطقة ؛ لأكون في خدمتك وطاعتك فإن أذنت حضرت إليك وقبلت أقدام عرشك فأرسل شاه أردشير أمراً إلى برنمهر رستاق وإستراباد ليقدما المؤن والأعلاف له ولجنده ، وأن يعتنوا بهم وسمح له بأن يأتي ليحل عنده في خدمته ، ونصحوا "ملك دينارغزاز" أن لا يفعل ذلك فليس في صالحه قائلين لن يسمح لك بالعودة مرة أخرى ، فخلع ملك دينار طاعة شاه أردشير والإصفهيد على السواء وقام بنهب الولاية والإغارة عليها ، وقام الناس خارج "تميشه" باللجوء إلى المعقل والملاجئ، ووصل جيش "الإصفهيد" إلى "تميشه" وكان "عز الدين كرشاسف" هو القائد في "كشواره" آنذاك فلم يترك أتباع ملك دينار ولم يكف يده عنهم وقام بمطاردتهم حتى حدود "كنجينه" فلما وصل هذا الخبر إلى السلطان كان لديه رسول يدعى "باي ركلبدار" كان من أتباع "شاه أردشير" وكان يسير عليطريق "خوارزم" فأعطاه رسالة مكتوبة يقول له فيها :

لاترسل بجندك في أعقابهم حتى أصل أنا من خلفه إلى "جرجان" في يوم كذا وتأتي أنت من أمامه بحيث لا يستطيع مخلوق منهم أن يهرب منا لأنك لو قمت بالهجوم عليه فسوف يفر من أمام جيشك وسوف يبقى عار ذلك في أرجاء العالم ، فوقع هذا الرسول في قبضة ملك دينار على أبسكون فأمسكوا به وانتزعوا الرسالة منه ، وضربوا رقبتة وعرفوا في أي يوم سوف يصل إليهم السلطان فارتحلوا من تلك الولاية ووصلوا إلى مرد وسرخس بحيث إن السلطان حينما وصل من "خوارزم" إلى "جرجان" خلال سبعة أيام لم يجدهم وعلم "الإصفهيد" بخبر وصوله فبعث "الإصفهيد" شهریارین خورشید مامطير" إلى خدمته بالتحف والهدايا كما جعله يحمل معه كل ما يلزم من

متاع وثياب وما يلزم للسفر بحيث بقى جيش "خوارزم" فى تعجب من كل ذلك ولم يكن فى ولايتهم آنذاك مثل هذا التقليد وبعث "شاه أردشير" يأمر بأن تصرف الأعلاف والغلال من مخازن تميمشه إستراباد كما أرسل إليه بثمانية آلاف رأس من الأغنام والفين من الأبقار وما يلزم من الحوائج من الولاية إكراماً للسلطان ، ورعاية له كما بعث لكل أمير بما يليق بمنصبه ، من منح وهدايا فلما وصل "الإصفهيد شهريار" إلى خدمة سلطان العالم ، اختبره فى لعب الكرة والصيد ورمى الحربة وإطلاق السهم ، فلم يكن فى طبرستان فى عهده مثله فى الحقيقة ، فتعجب جميع الأتراك من جلال ذلك الرجل وشجاعته وقال له السلطان اكتب إلى "شاه أردشير" بأن يعيد لنا "جرجان" وأن يرسل إلينا بالمدد حتى نحكم المحافظة عليها فإن الأتراك الغزاة يهجمون على تلك المنطقة فى كل لحظة طلباً للمراعى ويلحق ضررهم بأطراف ممالككم لكنها إذا ما صارت تحت سيطرتنا فسوف تكون أكثر منعة وستقل جراءة الأتراك عليها فقام "تاج الدين" بعرض هذا الأمر فقال "شاه أردشير" لا تنازع مع السلطان حول ملك العالم فأى خطر ذلك الذى تتعرض له "جرجان" وأمر بأن تتم تعبئة الجند من "إستراباد برق رستاق" وولاية "كبود جامه" ، وأن تقام الأسوار حول المدن ، وبعث "السلطان" إلى "شاه أردشير" "بهاء الدين على" الذى كان والد الخواجه "شمس الدين" نظام الملك وبعث معه "الإصفهيد شهريار بن خورشيد" وأقام على "دهستان" ابنه الذى كان يدعى "شاه" كما أسند إليه "جرجان" وتلك المناطق ومعنى هو إلى "خوارزم" مكان "سلطان شاه" خلال تلك الفترة قد جلس على الملك فى "مرو" و"سرخس" وكان قد اشتبك فى حروب مع ملك الغور ثم استقرت الأمور بعد ذلك فلما وصل "بهاء الدين على" عند "الإصفهيد" قدم له من الاحترام ما كان يليق بمثل مكانته من عظمة واستعرض معه ما كان بين سلطان العالم والإصفهيد من أسرار ومن تلك الأمور التى استعرضها معه قوله إن السلطان يقول لقد رأيت الإصفهيد شهريار الذى أرسلته إلى وعلمت ما حملته من رسالة لكن لا يجب أن يكون هناك قلق من قبل المخدم فالملك الذى يبدى فى حق خادمه كل هذه الشفقة والنعمة يجب على مخدمه أن يقر له بذلك فإذا ما ظهرت حاجة عارضة فيما بين الخادم ومخدمه ليست عن ضرورة فإن الخادم لا ينبغى بأية حال من الأحوال أن يبدى لدولة مخدمه ذلك القلق كما يجب على المخدم أن يجعل خادمه فى المكانة التى تليق بقدره ، وكان لهذا الحديث أثره على "الإصفهيد" فقبل تلك النصيحة

برضى ومودة ، واحتفظ بها سرّاً بحيث كلما كان "بهاء الدين" يجلس فى مجلس الشراب مع "الإصفهيد" كان يقول يجب على "الإصفهيد" أن يسمح للشاه بأن يحضر عنه من "دهستان" وعليكما أن تجلسا فترة معه حتى يطيب قلبه ويهنأ برويتك عندما تجيز له بأن يمضى إلى "دهستان" ، إلا أن "الإصفهيد" لم يجب قط فى أى مرة على هذا الرأى وكان بتغافله إلى أن كان وقت عودة "بهاء الدين" وعند ارتدائه تشريفة الوداع وسماعه ، رسالة التى حملها قال للإصفهيد لبثت فترة طويلة فى خدمتكم ، وكنت أكرر عليكم فى كل وقت هذا الرأى بأن يأتى شاه أردشير إليكم لكنك كنت تتغافل بهذا الرأى ولست أعلم ما هى الفكرة التى ينطوى عليها ضميرك ؟ ، أكون أمراً سيئاً أن يحضر ابن ملك خوارزم إلى خدمتك فقال "الإصفهيد" : إن أمامنا أمور مهمة فى "العراق" و"رويان" و"الديلم" فإذا ما فرغت من ضبط تلك الولايات بهمة السلطان فسوف أكتب بنفسى إليك ما فيه صلاح الأمر ولما وصل "السلطان سعيد" إلى "خوارزم" قام الصهابة وأكابر "طبرستان" باستقباله ، وتحدث هو معهم حول الأحوال الطيبة لتميشه حيث لم يكن فى أرجاء العالم المعمورة مكان يدانيها ، من ذلك قوله أين يمكن أن توجد مثل تلك القلاع الحصينة والأموال الدفينة بها أو تلك المياه والأنهار التى تجرى فوق سطح أرضها وتلك الينابيع والقنوات بحيث لا حاجة لها فى الصيف لتلوج أو جليد ، وقد صنعت هذه الجداول والأنهار سهولاً خصبة ، والحقيقة أن ذلك المكان والذى أطلقوا عليه شمامة الدنيا إنما كان ذلك عن بصيرة كما أن رماة السهام من رجالها والذى يطلق على الواحد منهم بايى لا يوجد فى جميع بلاد التركستان رماة سهام مثلهم ، ثم أمر بعد ذلك بترتيب تلك العماير والنهاد وبعث الابنة برفقة أمها كما بعث معها أمراء ومعارف مازندران بكل أعوان التشريف والتكريم ، وبذل فى جهاز الابنة من النعم والبذخ ما بهر أعين العالمين ، من بين ذلك ثلاث مائة وخمس عباآت ، وقلانس وأحذية مطرزة كلها بالذهب وأحزمة للوسط مرصعة وفى كل عباة من العباآت كرة من الزمرد ، وفى كل قلنسوة من القلانس كرات من الياقوت تثبت عليها بحيث كان الإصفهيد يرتدى إحداها كل يوم طيلة عام بأكمله ، وقد علقت الزينات فى جميع أرجاء خوارزم وحتى حدود سوبرنى فلما وصل الخبر إلى شاه أردشير بعث بأهله من الباونديين ومن الصهابة والأمراء لاستقبال المهد عند "دهستان" كما أرسل بالتشريفات لمرافقة الابنة وأمها ولسائر أمراء خوارزم الكبار الذين كانوا برفقة المهد

ولابن بهاء الدين على الذى كان يعرف بالصاحب ، والذى قد كان أتى مع البنت كوزير لها ولسائر السادة الآخرين كذلك ، فلما وصل الركب من "دهستان" إلى "جرجان" كان مبارز الدين أرجاسف صاحب كشواره موجود هناك فاستقبل الركب وقدم لهم بسخاء كل ما كان يلزم من نزل وعلف وهدايا وموائد ونثار من ذهب وسكر ما كان عبءة لأهل خوارزم ، وقام "شاه أردشير" بإرسال كبار رجالات الكرجيين والديالمة حتى حدود جرجان من أمراء ومعارف وقضاة وأئمة وكتاب ورعايا محملين بالتحف والهدايا الخاصة بالعرس ، وذلك حتى حدود تمشيه وقد علقت الزينات بكل قرية ومدينة وطريق كما أحضر المطربين وأصحاب الأعيب من الحواة وغيرهم ممن كانوا يعرفون فى "طبرستان" بـ "چلچلو" ، وكانوا يعرضون الأعيبهم ، وقد احتشد أصل كل محلة وعطفة وقرية وعلى رأس كل منهم أميرهم وظلوا ينثرون الذهب والثياب والسكر بكل طبرستان طوال أربعة أشهر بحيث إن شخصاً ما لم ير مثل هذا فى أى عهد طوال عمر الدنيا ، فلما وصل المهد إلى مهروان استقبله الإصفهبد فخر الملوك رستم بن الحسن فلما وصل إلى سارى نزل الموكب فى القصر الذى كان أعد للشاه فى "درباغ" ، ولم تكن الفتاة آنذاك قد تجاوزت السابعة أو الثامنة وقد مدت الموائد من باب الدهليز الأول حتى باب سراى الحريم ، وكانت الموائد عامرة بكل أنواع الحيوانات التى يحل أكلها وقد شويت قائمة على أرجلها من بين ذلك ألف من الوعول ، وألف من الطباء ومثلها من الأبقار ومثلها من الأغنام ومن الجياد ومن الجمال ومن حمر الوحش بلا حساب ، بحيث ظل الخلق مشغولين ثلاثة أيام بتلك المائدة ، وكان شاه أردشير يجلس مدة شهر بمجلس الشراب احتفاءً بهذا العرس يتناول الصبوح إثر الصبوح وحظى الخلق من صلاته بالعطايا والمنح المتصلة ، كما كان يمنح فى كل يوم لمعارف طبرستان وجيلان والديلم وأمرائهم وإصفها بذتهم وهو فى حالة نشوة من العباءات والقلائس ممن بعث بها سلطان خوارزمشاه سعيد وقد منح "لصاحب بن بهاء الدين على كيا" وزير قصر الحريم ولاية بمائة ألف دينار وأكثر خمسون ألفاً منها صداق وما بقى إقطاعاً له ، وبعد أربعة أشهر كان الفصل قد انقضى فأعاد أم العروس وأمراء خوارزم ووجهائها بكل ما يليق بهم من التكريم والعناية واستقر العالم بما كان من اتفاق بين "الإصفهبد" والسلطان وحبس أعدائهم أنفاسهم كمداً إلى أن نشأه السلطان رغبة فى أن يسترد أرض الديلم و"رويان" من "إستندار كيكاس" ونظراً لما كان بين

الملك "أرجاسف" وأهل رويان من عصبية قديمة فقد استدعاه من "كشواره" وجعله قائداً على "أمل" وبعث ابن عمه "خورشيد بن كيوس" إلى "كشواره" فلما وصل "أرجاسف" إلى "أمل" دخل في مضايقات ومناوشات مع "إستندار كيكاس" فشكا "أرجاسف" لدى "شاه أردشير" لكنه لم يحظ بجواب شاف من الحضرة فاستدعى "إستندار كيكاس" من كبار الرويان والديلم والجيل مثل الأمير "شروانشاه خرداوند" و"زرميوند مانيوند" و"لخته زن بتينجان" وصعلوك جيلان وقال لهم إن ملك "مازندران" ملك شاب وقد تسلط على السلطان وقد بعث إلى بلادنا بأرجاسف مائدة بعد أن فرغ من تلك المناطق طمعاً في ملكنا ، وقد شكوته فلم يعبأ بشكوى فما هو رأيكم في هذا الأمر وكان له ابن يدعى جستان لم يظهر في قبيلتهم من هو أعظم منه رأياً ولا أشجع ولا أعلم كان يقف بين يديه ، فقال الأمر نحن جميعاً عبيدك نأتمر بأمرك واليوم انقضت أربعة أعوام تقريباً وأنت مخدمونا وصاحب نعمتنا وقد حظى أبائنا منك بالجاه والمنزلة ولقد ائتمر أهل رويان بإشارة منك ، فافعلوا ما رأيته مع "شاه غازي رستم" الذي جعل الشيطان يفر من نار فتنته وأنت اليوم بحمد الله تملك جاهاً وجنداً ورأياً وروية وعمراً وهمة أعلى وأكبر من ذي قبل ، فكل ما تراه من رأى أو تولى وجهك شطره فإننا نبذل أرواحنا وأهلنا فداءً لإشارتك وإنفاذاً لأمرك ، فأثنى عليهم الأمير إستندار وصرفهم جميعاً ولما خلى بنفسه استدعى ابنه "جستان" وأجلسه أمامه وقال له سمعت حديث رجال رويان وعساك أن تكون قد اغتررت إلى أنهم عبيد مخلصون لنا ، إن كل ما قالوه هو لمصلحتهم ولترويج سوقهم كي أعلن الخصومة مع ملك "مازندران" فيتخذون من رقبتى مركباً مريحاً لهم ويفرضون من إرادتهم وسطوتهم وشروطهم مالا وجه له ولا نهاية له ولسوف أعقد هذه اللحية الطويلة وسوف أحمل مازندران فوق كتفى وأسلمها له في يده ليفعل كل ما يريد ، فكل تحكم وتسلط من قبله أولى من تسلط وتحكم تلك الجماعة من عبيدى وأتباعي فلما انقضت ستة أشهر على هذا الأمر انتقل إلى جوار الحق ابن كيكاس وبقي له طفل صغير كان عمره عام ، وكانت قد ولدت ابنة "لشاه أردشير" فجزع "إستندار كيكاس" من هذه المصيبة بشدة حتى مزق ثيابه وبات على حافة الحياة وكانت السنوات قد مرت به وحظى بإقبال كبير وسعة فكتب "شاه أردشير" بخطه رسالة عزاء وبعث بها "معز الدين كرشاسف" والذي كان من معارف "أبيه" إلى "كيكاس" نيابة عنه وغمره بشفقته ورأفته وأوصاه بالوصايا اللازمة فطاب

خاطر "كيكاوس" لذلك وانشرح صدره بهذه الرسالة وعند عودة كرشاسف ، قال له "كيكاوس" قل لمولاي ملك الملوك لقد أقمت أنا وأبائي هذه الأسرة بين دولتكم ورعايتها وهي تحسب في طاعتكم وعبوديتها لكم ولم يعد لي ابن سوى هذا الطفل والذي هو سليل عبدكم وإنى أودعه لكم فإن بقي حياً أعطوه ابنة من عندكم تكون باسمه على نحو ما فعل أجدادك والنظام ولتسند إليه تلك الولاية لتكون روحى راضية عنك ، فلما عرضوا هذا الحديث على "شاه أردشير" قبله ورغب في أن يفي بهذه الأمنية مع مرور الوقت وانقضاء المدة ، وطاب خاطر "كيكاوس" من جهة "الشاه أردشير" وانتقل إلى دار الفناء في نفس ذلك العام وباع أهل "رويان هزاراسف بن شهر يوشن" الذي هو ابن أخ "كيكاوس" ونصبوه ملكاً عليهم إذ كان "بن جيستان" طفلاً صغيراً فبعث إلى الحضرة بأخيه المسمى أمير "جليل" وقدم ما يليق بإظهار الطاعة من خراج وولاء وأمر "الشاه أردشير" بأن تبقى الأمور جميعها على نحو ما كانت عليه أسلافه في عهد شاه غازي رستم بحيث يبقى لهزاراسف كل ما كان لأسلافه من قبل وطول مدة عمر كيكاوس ، ومنذ أن اسند إليه شاه غازي حكم تلك الولاية وحتى يوم وفاته كان على خصومة مع الملاحدة مشغولاً بالجهاد والغزو ليل نهار فقام هزاراسف بالصلح معهم دون أمر من شاه أردشير وطلب المدد والنصرة منهم وقال لنفسه متوهماً لقد أصبحت خالي البال من جهة الجيران .

ذكر حال استئثار هزاراسف مع الشاه أردشير

لما استولى استئثار هزاراسف على الولاية أمر بقتل زرميوند ما نيوند ، كما أمر كذلك بقتل أخ لشروانشاه فانصرف عنه الاثنان والتحقا بخدمة شاه أردشير وقالوا له نحن جميعاً عبيدك وأبناء عبيد دولتك وقد أفقدنا لكل قبيلة ولكل ملك بناءً على أمرك ، لكن هذا الجاهل يتولى حكمنا اليوم بنهج لم يخطر قط على فكر أسلافه ، فإن أعانه الإصفهيد على هذا أو أقره فسوف تضيع الولاية من يده وسوف تلحق بالملاحدة وغيرهم فبعث الإصفهيد إليه ينصحه وقال له لقد عرضوا جميعاً أمورك علينا فوجدناها على خلاف المصلحة فاحذر وتخلي عن كل تهور وحماسة فقد قالوا :

– إن الشاب يكون أحمقاً أنانياً ، والأحمق يسقط في الشرك بأيسر ما يمكن .

لكن النتيجة لم تجد في ذلك المسكين المنحوس فالأبله حين يبلغ نقطة الغرور التي لا يرى فيها غير نفسه والإعجاب بذاته فلا تخمد نيران تأجج دماغه إلا بالسيف ، والخلاصة أنه تمادى بحيث تخلى عنه عين الدولة سياه وأرسلان وطارق وسنجر وجميع أمراء الترك والتحقوا بخدمة ركاب الشاه أردشير ، كما انضم إلى تلك الجماعة أيضاً بادشاه أرجاسف نتيجة عزله له وحصل من شاه أردشير على إذن وقام بالإغارة على المناطق حتى حدود الديلم ، وأحضر إلى أمل جميع رعايا وجند تلك الحدود وأقامهم بها وتحرك هزارأسف إلى جرجيلي بولاية أمل وجمع "شاه أردشير" الجند في منطقة مقام تنير واتجه إلى رويان على رأس أربعة عشر ألف رجل من الترك والتاجيك والبايى (رماة السهام) فلما وصل إلى موضع يدعى ناقل قالوا له إن هزارأسف قد نزل للمعركة في منطقة خواجك فأمرهم بأن يحملوا شارته وعلامته إلى ذلك المكان وبمجرد أن وصلتشارة الشاه وعلامته إلى هناك فروا جميعاً وقد أمسك بعدد كبير منهم وقتلهم و"نزل هزارأسف" إلى "كجو" ونزل "شاه أردشير" بمنطقة "سياه رود كنار" وخيم بها وأقام يومين حتى يحضر إليه أهل رويان ، ثم تحرك منها إلى كجو فخرب الولاية كلها وعاد من "كجو" إلى "كورشيرد" وأقام بها عدة أيام ثم جاء إلى "كلار" فيما مضى "هزارأسف" إلى كلاته والتجأ إلى الملاحدة وكان الشتاء على الأبواب فعاد "شاه أردشير" إلى "أمل" وفي هذا العام أعلن العصيان على السلطان طغرل "الأتابك محمد والأتابك دكله بارس" وأرسلا برسالة إلى شاه أردشير مع موفق المفوض على مداخل العراق قالوا له فيها منذ سنوات والصدائة قائمة فيما بيننا وبينك وقد تركنا لك قصران وحدودها من أعمال الرى ولم نطلب منك شىء قط واليوم نحن فى حاجة إلى مدد منك وقد جاء لمددنا أمير المؤمنين الخليفة وأمراء إيوة وجند أران وأذربيجان وأخلاط ومراغة فإن يرسل إلينا شاه أردشير بمدده فسوف يشهد أهل العالم عياناً ما علموه عن مودتنا خيراً وليعين "الإصفهيد بهاء الدين" حاكماً على الفور على لارجان ، فأبلغ الإصفهيد بهاء الدين بذلك وأتى على الفور وجمع الكثير من الهدايا ، والعتاد ما يعجز التحرير والتقارير عن وصفه وكان من بين تلك الهدايا والعتاد عدة حراب ورماح ذهبية ومرصعة ، وأعد الحمائل التى توضع الركاب فيها على نحو ما هو معهود من الجياد ، والدواب القادرية ، وانتقى من الرجال الأكفاء ذوى العتاد والعدة ومضى إلى العراق ، فلما استعرض جنده كل من السلطان والأتابك محمد أطلقوا عليه الأمير الذهبى ، ونزل

السلطان والأتابك فى أصفهان وأرسلوا بهذا الجيش إلى الأتابك وكله بارس فهزموه وشردوه ثم أتى بعد ذلك إلى خدمتهما فغفوا عنه وأعادوه إلى حكم ولايته وأرسلوا بهاء الدين شهریار بالتشريف والتكريم الذى كان يليق به ، يحمل الشعر والمئة للإصفهيد إلى أن أتى فى هذه السنة إلى خدمة شاه أرد شیر علوى ذى حسب ونسب فاضل شجاع ، فأعطاه التوبة والعلم وولاه على الديلمة الذين كانوا أتباع ليا بزرا والذى كان يطلق عليه الداعى إلى الحق الرضا بن أتهادى وأرسله إلى هناك ، فسلك فى تلك المنطقة فسلك مسلك العدل والإنصاف وأجاز لأتباع "هزار آسف" بالحضور إليه فأغار عليه هزار آسف وأمسك بالعلوى وقتله فلما وصل هذا الخبر إلى الإصفهيد اشتد به الغضب وأقسم قاتلاً لن أستريح ما لم أقتله قصاصاً للعلوى وجاء من "سارى" إلى "آمل" وقد جهز خمسين منجانيقاً حملها أهل آمل على أكتافهم حتى كجو ، ومضى إلى أسفل قلعة نور وأقام المنجنيقات، وكان حاكم القلعة هو أبو الفارس كور فاعتقد أنهم يقيمون جسراً ليدخلوا إلى القلعة فأرسل إلى "شاه أردشير" يقول له إن ما أعطانيه دون مقابل فى هذه القلعة أسلمه ونزل منها أبو الفارس كور وأرسل الشاه بحاكم من عنده وبخاصة ثم تحرك من هناك إلى أطراف "ناجو" واستولى عليها خلال أسبوع أيضاً ، ثم مضى إلى نهاية "وليچ" فلما دخلوا فى الحرب قتلوا فى الحال ما بين مائتين وثلاثمائة من أتباع الإصفهيد فأمرهم بأن يمتنعوا فوراً عن القتال ومضى إلى كلار ومضى هزاراسف وأخوه إلى الرى وعين الشاه الأمير رستم سوته كلاته قائداً ورجل هو إلى الديلم وجاء إلى آمل عن طريق الساحل وأقام بها شهراً أو شهرين حتى استراح الناس ، ثم استدعى الجيش مرة أخرى وقاد الجيش إلى شاطئ البحر واستولى حرباً على قلعة "آزبلو" وتنكا فجاء أهل تلك الولاية جميعهم قهراً إلى الإصفهيد فعين أميراً على تلك الولاية من "إيزاباد" يدعى شاه خسرو حاجى وعين أرجاسف نائباً على جميع ممالك رويان ، ثم عاد مرة أخرى إلى كلار واستطلع أحوال تلك الولاية ، ثم عاد على الفور حيث وصل إلى "سردارى رجه" ووصل "أولاغ" الذى كان من أبناء "كبود جامه" و"الإصفهيد" شرف الملوك حسن وأقام خيامه فى ذلك الموضع واحتفلوا بذلك ثلاثة أيام وأمر بتوزيع الصلوات والهبات ، وفى ذلك اليوم نصب أمير يدعى "كسينقرغاره" كهدف تصوب إليه السهام فأطلق سهماً على "غرارة" ، وجرى القضاء بأن نفذ السهم منها وأصاب قلب رجل ، فاخرقه فتألم الإصفهيد لذلك ،

ورحل وظل في سفره حتى وصل "آمل" ، وفي ذلك الصيف "ذهب إلى زارم" وكان يشعر بالضيق من أبناء الإصفهبد خورشيد ما مطير منذ عهد الأب ولم يكن يثق فيهم ، وكانوا في ذلك العام قد عقدوا قرابة مع "بهاء الدين شهردار" لغور وتوثقت مودتهم وعرض هذا الأمر على "الإصفهبد" وقال له : "أردشير بن أردشير" سأخضع "قلعة كوزا" ، لك فلما وصل عن طريق هي وسرجه إلى أطراف فصيل كوزا فسانده أهل كوزا لكن الملوك لم يعترفوا به ، وظل ينتقل في خدمة أقاربه حتى وقف على أسرارهم وأقوالهم وأفعالهم ، وظل يحرض الشاه أردشير ونظراً لما كان عند الشاه أردشير من عدم صفاء قديم معه ، وكانت مصيبة العالم ماثلة أمامه ، فأمر بكتابة رسالة إلى "بهاء الدين شهردار" ليأتي من لارجان إلى البلاط على الفور ، فلما وصل "شهردار" إلى "تبركار" كتب إلى أقاربه لماذا تم استدعائي ؟ وكانت تلك الجماعة لا علم لها عن استدعائه فأرسلت إليه تقول لا علم لنا عن هذا الأمر ، ولقد أخطأت بمجيئك ، لكن بما إنك جئت فماذا يمكن عمله ؟ وجاء "شهردار" إلى الخدمة ، ومر على هذا عدة أيام وأمر الشاه بأن يحضر "بادشاه أرجاسف" والأمير "تاج الدين تورانشاه" إلى البلاط كل من "بهاء الدين شهر دار" والإصفهبد "تاج الدين شهريار" وأخيه "الإصفهبد رستم" وطرح عليهم في مواجهتهم ما نقلوه إليه عن أبناء خورشيد ، وأمر بتقييد كل من "بهاء الدين شهردار" و "رستم وشهريار" وأرسل "الإصفهبد" كيخسروأشرب" ليكبل "مامطير بوره كله" والذي كان أخوهم وليأتي به فرحل ، فلما وصل "كيخسروأشرب" أرسل بكل واحد إلى قلعة ، فبعث "شهريارتاج الدين" إلى "إيلال ورستم" إلى "كيسليان و"بوره كله" إلى "ورن" وأمر بضرب رقبة "الإصفهبد شهريار رستم" وبعد عدة سنوات أطلق سراح "بوره" كله وأبقى "شهردار" محبوساً في قلعة "كوزا" مدة ستة عشر سنة ولما توفي السلطان سعيد أحضر "شهردار" من القلعة وأعطاه ولاية لغور بصورة كاملة وبذل له كثيراً من النعم ، وقد مات بعد عام من توليه هذا الملك ، ولا يزال إلى هذه الساعة ابنه وحفيده موجودين في هذه الولاية ، كما رحل عن الدنيا في هذا العام أيضاً تورانشاه بن زردستان وقد أذن لأرجاسف بأن يمضي إلى "باسكندره" وأن يهيئ عتاده ليقود الجيش إلى "جیلان" ، لكنه توفي هو الآخر في موضع إسكندره وأسند الشاه أردشير قيادة الجيش لابن عمه هزير الدين خورشيد وأسند إليه ولاية آمل ونيابة أرض رويان ، وحدث في هذا العام خلاف بين طغا نشاه بن مؤيد والملاحدة وكان سبب

ذلك أنهم أرادوا الاستيلاء على خراسان ووجدوه غافلاً مشغولاً باللهو والمحرمات والشراب والمتع ، ولما كونوا فرق الاغتيال ليقتلوا طغانشاه وشرف الملك سرخى وقوام كهين وقوام مهين وعمر ديوانه ، جاءت فرقة الاغتيال تلك إلى نيسابور وظلت فترة تدبر لهذا الأمر إلى أن تمكن واحد منهم ذات يوم بطعن قوام مهين بخنجر عندما وجده في السوق فقبض الحراس على الملحد وكان قوام على قد طعن هو الآخر لكنه بقي حياً ، فعلموا من هذا الملحد عدد زملائه وقد أنزلوا العقاب ببعضهم ولم يعثروا على البعض الآخر ، فقام طغانشاه بقيادة جيشه إلى ترشيزوتون وقاين وأنزل الدمار بأهل تلك الديار حتى شيد المنائر من جماجم الملاحدة وأرسل إلى "شاه أردشير" هدية عبارة عن صنم من النحاس الدمشقى المطعم بالفضة ، يزيد وزنه عن مائة من وطل ذلك الصنم لسنوات موضوعاً فى عتبة مدرسة الشاه غازى فى محله كاوبوستى ، وخلال الفتنة الأولى حينما أتى "سوتاش" إلى سارى أحرقت تلك المدرسة ، ونهب ذلك التمثال ، فلما تولى الملك "هزبر الدين" بلاد رويان اتجه "هزارآسف" وأخوه إلى همدان لدى السلطان طغرل و"الأتابك محمد" ، وتمنيا منهما أن يتشفعا لهما لدى شاه أردشير عساه يعيد إليهما ولايتهما ، فأرسل الأتابك عز الدين أحد خاصته إلى شاه أردشير فى مقر إقامته بآمل، فأجاب "الشاه أردشير" لقد كانا من أتباعنا وعبيدنا ، وكنا قد أسندنا إليهما ولايتنا إلا أن الجند والمعارف شكوا منهما لنا فأردناه أن ينزجر بالنصيحة ، وأن ينصلح أمره باللوم فزاد فى استبداده وعناده وأخذته العزة ، فاستعدنا الولاية منه ، وأعطيناها عبداً آخر من عبيدنا فابعث به إلينا لنخصص له منطقة أخرى للعيش بها فلما وصل الرسول إلى الأتابك أبلغوا هزارآسف بالجواب ، وقالوا له يجب عليك أن تلازم بلاطه ، وأن تستجلب رضاه فعاد من عند الأتابك وجاء إلى الرى ، وكان الوالى عليهما يدعى "سراج الدين قليار" ، فطلب ابنته إلى أن أرسل قايماز أبوبكر دراز كوش أميراً إلى كجو ، وكانت هذه الولاية تابعة للسلطان ودخل هو فى حماية السلطان فازدادت كراهية "الشاه" لهزارآسف وأرسل بالمدد إلى بادشاه هزبر الدين خورشيد ، فظل يطارد "أبا بكر درازكوش" حتى بوابة الرى ، ويقول الشاعر: فى هذا الفتح ما ترجمته

– كيف يمكن إسناد ملك مازندران إلى أبى بكر وبعض الأتراك العاجزين ،

- ولكل منهم عجز لا يستطيع مائة مطرز أن يخيظ لها غطاءً يكسوها ولو بمائة من من النسيج .

ويقول آخر فى حق هزار آسف :

- لما لم يعد تحت فخذ هزار اسب حصان واحد ، لجأ إلى درازكوش (أى الحمار) وطلب منه الحماية (*) .

- ويقول شاعر آخر :

- الملوك يرغبون فى جواد عربى بينما يسعون للحصول على حمار للمزاح والعبث
- فجائز أن هزار آسف بعد العمر الطويل أصبح يطلب المدد و القوة من الحمار الرازى .

ويقول آخر فى هذا الأمر

- أيرتعد رستم قط من لاعب بالحربة ، أو يرتعد من صوت طبل الغازى

- وهل لمليك الذى كان هزارآسف عبداً قديماً له يهتم قط للحمار الرازى .

وكانت والدة هزار آسف قد حضرت إلى الشاه أردشير فى منطقة ليات ولما تحركت على الطريق بعثوا بها إلى بيت كما محمد الذى كان وزيراً فى أمل واستبقوها هناك وفى آخر هذا العام جاء الخبر بأن الملك طغا نشاه بن مؤيد قد انتقل إلى جوار الحق فى نيسابور فحزن لموت ذلك الملك الشاب كل ذى مروءة وخلق كريم يقول أحد رفاقه فى شأنه :-

- منذ أن أصابت الدودة فرع الملك لم يعد غصن الوفاء يعطى فاكهة ولا ثمراً .

- وأصبح الرجال ذوو الفضل فى كل مجال وفن ملازمين عقر دارهم كالنساء الأرامل .

(*) تلاعب الشاعر بالألفاظ حيث بدل اسم هزارسف بهزار اسب واسب بمعنى الحصان ودرازكوش "أى الحمار" إشارة إلى أبى بكر درازكوش ، مترجم .

ويقول فى شأنه تاج أبى :

– لا أشتري حديقة ولا بستاناً بدونك ، ولا أجالس أحباباً ولا أعاقِر شراباً بدونك

– ولتصب سنان الشوكة عيني إن قطفت زهرة قط دونك من هذا العالم .

وقد بقى له ابن صغير" من تركان خاتون" كان اسمه "سنجر شاه" ، وكانوا يدعونه "منكلى تكز" وقد تولى أحد عبيد "طغانشاه" رعاية هذا الابن والإشراف على تربيته (وحكم باسمه) لكنه سلك طريقاً غير محمود بالظلم والجوار مع الرعايا والأكابر والأعيان ، وكان السلطان سعيد ملكاً غاية فى العدل ، فرغب أهل "خراسان" فى الدخول فى خدمته ومضوا إلى خوارزم ، وجاعوا به إلى "نيسابور" حيث حاصرها وطلب المدد من "الشاه أردشير" فبعث إلى خدمته من معارف "مازندران قطب الدين برسق" والأمير "آخور روس" و"الإصفهيد كيخسرو أشرب" و"الإصفهيد عز الدين أردشير بن أردشير" مع البائيين ؛ حيث حضروا إلى خدمته خارج "تميشه" وذات يوم تحركوا إلى أطراف القلعة ، وكان يوجد من بين أمراء سدن رستاق أمير يدعى "شيرسوار ليمسكى" وكان يجيد رمى السهام باليمين والشمال على السواء ، ويذهبوا مع كل سهم يطلق من قوسه حيث كان يصيب به رجلاً فى القلعة فيسقطه من فوقها ، وكان السلطان يراقب الأمر فأمر الأتراك بأن يذهبوا إلى هذا الرامى ، وقبلوا يد "شيرسوار ليمسكى" لكن القلعة لم يتم تحريرها فى تلك السنة ، وكان القاضى كوفى من بين علماء العالم العظام وكان قاضياً ورئيساً وقُدوة بين الأصحاب ، وكان هذا القاضى قد هرب من "منجلى تكز" ، والتجأ إلى الإصفهيد فى منطقته دولت آباد فركب الشاه احتراماً لعلم وزهد ذلك القاضى ، وقد ارتدى عباءة سوداء وقبعة على رسم الخرسانيين ، وقد طرز على ثيابه بجلد كلب البحر الأسود ، وقد ركب فوق جواد عربى أسود فاحم اللون عالى القامة وسار حتى وصل منطقة جاله "رودبار" ، ولم يسمح لهم أن ينزلوا القاضى عن الجواد فلما رأى القاضى جبحة الشاه وهيئته ، سيطرت عليه الرعدة من الهلع ، وكلما بالغ الإصفهيد فى عبارات الترحيب به والتودد إليه فلم يكن القاضى يستطيع إلا أن يضع رأسه فى انحناء فوق مقدمة سرجه ، ولما صار بجواده مسافة برفقة الشاه ، أمر الشاه أن يصحبوه إلى مدينة "سارى" ، وأن ينزلوه بها ، وكان يحدد له عمله يوم بيوم ، وبذل فى حقه كثيراً من الألفاف ، والكرامات ، والهبات

والتكریم ، إلى أن أرسل "منكلى تكز" رسلاً لمصالحته وطيبوا خاطر القاضى "كوفى" فوثق القاضى فى ذلك وأقسم لمنكلى تكز على العودة وأرسل إلى الشاه أردشير يقول له إن عيالى وأهلى فى نيسابور وأنا لا أشعر بطمأنينة القلب عليهم ، فقال له الشاه : إن هذه الفكرة ليست فى صالحك ، وسوف أرسل من أجلك وأحضر تلك الجماعة من أهلك إلى هنا وأعين لك ما يليق من المكانة فإن منكلى تكز تركى قد وقف على أقدامه واليوم حيث حقق قدرة وتمكناً فهو لم يعد يرى الدنيا بعينه ، لأنه إنسان قد نشأ حديثاً ولا يمكن الوثوق فى عهد وقسم الترك فكيف لرجل مثلك أن يثق فيه .. "إذا أعشبت فأنزل" وبما إنك قد التحقت بنا فتمهل فى أمرك لترقبه لك فقال القاضى كوفى لا مرد لقضاء الله ، فليأذن لى الشاه بالرحيل فإن نص حديث رسول الله عليه السلام من قتل دون أهله فهو شهيد ، ولى فى نيسابور أتباع وأعوان فلا يمكن لمنكلى تكز أن يمد يده إلى بسوء ، وسوف أمضى إلى نيسابور فبذل له الشاه وافر النعم وسمح له بالعودة فلما وصل إلى هناك شنقه منكلى تكز على نحو ما فعل المهاجرون والأنصار فى المدينة حين سلموا عثمان ليد الغوغاء ، وعلى نحو ما فعل شيعة الكوفة بالحسين بن على فى كربلاء فقد سلم القاضى ليد منكلى تكز ويقول أحدهم فى هذه الرباعية

- جورك أكثر من جور آل مروان ، وبرهان القتل عليك أكثر من دم عثمان .

- فانصف فإن دموع مظلوميك لو جمعت تصبح أكثر من ماء الطوفان .

وبعد مدة جاء "السلطان سعيد" أنار الله برهانه إلى نيسابور وأخذ العهود والمواثيق وكان الشاه أردشير قد بعث له بألفى رجل كمدد له ، فأصدر حكمه بأن يشنق منكلى تكز قصاصاً للقاضى كوفى وحمل إلى خوارزم سنجر شاه وأمه وقوام على مع سائر المعارف الآخرين ، وأسند حكم "نيسابور" إلى ملك خراسان قطب الدين خان والذى كان أكبر أبنائه ، ومضى زمن على هذا ولما آلت خراسان إلى السلطان رغب فخر الدين كلباً كان فى أن يهرب من خدمة الشاه أردشير وأن يثير الفتنة على نحو ما كان قد فعل فى عهد الملك الشهيد حسن ، فقام الخدم بإبلاغ الشاه بهذا الأمر سراً ، وكان فخر الدين يطلب الإذن لى يذهب إلى كلبا وكان فتأكد لدى الشاه صدق ذلك الكلام ، وذات ليلة كان الشاه يتناول الشراب فى قصر دونكا ، وكان يأمر بتقديم الشراب لفخر الدين كأساً بعد أخرى إلى أن ثمل وغاب عن وعيه وسقط ، فأمر الشاه

بأن يضعوه فوق جواد وأن يقودوه إلى رود بست على جانب نهر باو حيث كان قد أقام
حامية وأقام عليها جماعة عند منتصف الجسر فلما وصل فخر الدين إلى منتصف
الجسر قام رجال الشاه بالإمساك به وألقوا به فى نهر باو وفى الصباح تعلق بشبكة
صياد سمك أدنى من دونكا فى سياه مجد فسحبوه إلى خارج النهر وقيل للشاه إنه
كان سكراناً ليلة البارحة وإنه مال فوق الجواد وسقط فى نهر باو فأمر بإقامة العزاء ،
وكان يوجد فى دونكا فى منطقة سياه مجد مسجد فدفن فيه ، ولا يزال به قبره إلى
الآن وحين بلغ هذا الخبر كيكافوس كلبا وكان وابن تورانشاه بن زردستان والذى كان
أبوه قد قتل أيضاً ، ووصل هذا الخبر إلى مبارز الدين أرجاسف أيضاً والذى كان والد
زوجته ، وقال لقد بقيت الآن وحيداً ولى خصوم فتحالف الاثنان معا وأعلننا العصيان
وجاء إلى خدمة السلطان فى خوارزم ، فعين "كيكافوس" رئيساً لشرطة جرجان وبعث
"سراج الدين زردستان تورانشاه" إلى "الشاه أردشير" فبعث الشاه أردشير برسول
من عنده يقول:-

لو كان سلطان العالم يفتح الطريق لى ويأذن بأن أكون خادمه ، فليرسل ، بهم
إلى فقال له السلطان : ليهناً قلبه أنا لا أستطيع أن أغلق بابى لعبد يكن لى الحب ،
فجاء جوابه ثقيلاً على الشاه وقال ربما إن السلطان قد طمع فى ولايته ، وأنذاك
كان الأمير رستم سابق الدولة قد ظهر فى كشواره فبعث إليه السلطان بخاتم من
عنده (رسالة مختومة من عنده) كى يحضر إلى خدمته ، وقال له سوف أسند
"دهستان" وجرجان لك فقام "الأمير رستم سابق الدولة" بإرسال الرسالة الممهورة إلى
شاه أردشير، فأصبح الشاه أكثر يأساً من مودة السلطان وكان "الإصفيهد نصره
الدين محمد كبود جامه" مازال يعيش فى كنف "الشاه أردشير" وأحد أتباعه فبعث إليه
بأمر مكتوب بأن يقبض على "زردستان" بكل ما يتيسر له من علم وطريقه وأن يرسله
إليه مكبلاً وحذره من أن يقتله إذ قال له إن لأبيه على حقوقاً وقلبى أسير محبته فقام
"الإصفيهد نصره الدين" باستضافته ثم قاده من "جنا شك" إلى منزله وأطاح برأسه
وبعث بها إلى "الشاه أردشير" حيث علقت رأسه فى البلاط فى مقر إقامة الشاه فى
دولة آباد ويقول أحد الشعراء فى هذا :

- إن كل رئيس لا يكون على قمة رضاك ، لتكن رأسه بلا جسد مثل رأس "زردستان" وفر في أعقاب ذلك ابن جمال الدين العلوي حيث ذهب إلى "خوارزم" فغضب "شاه أردشير" على أبيه وحط من منزلته ومرتبته ، حيث زعم الخدم أنه هو الذي أرسل ولده إلى "خوارزم" وأنه يرغب في الانضمام إلى سلطان العالم ، إلى أن مضى "بهاء الدين على وجيه" الذي خصص الشاه أحد بناته باسمه على أن يأتي بابن هذا السيد وأمسك "الشاه أردشير" بالابن وأبيه وحبسهما فترة في القلعة ثم عفا عنهما وأطلق سراحهما ولما بلغ السلطان خبر قتل "سراج الدين" ، جاء إلى ولاية "كبود جامه" وأمر بإحراق الولاية كلها وذهب "كبود جامه" إلى قلعة همايون ، وأقسم السلطان قائلاً لن أغادر المكان ما لم أمسك به وبعد شهر نزل "نصرة الدين محمد كبود جامه" من القلعة يحمل معه سيفه وكفنه ، وسقط على حافر جواد السلطان فأمره بأن ينهض وكرمه ومنحه التشريف وأعادته إلى ولايته وهياً له ما يلزم من متاع وعتاد ومضى إلى خدمة السلطان في خوارزم ، ثم طلب الإذن بعد ذلك بالعودة إلى ولايته وسلك الخصومة وكفران النعمة مع الشاه أردشير ، فكان في كل يوم يلجأ إلى وشاية ومكيدة جديدة ضد الشاه أردشير حيث كان يكتب إلى السلطان بالغمز أن الشاه يرسل برسله إلى لفور وغزنین وأنه قد توا طاً مع سلطاً نشاه ، وكان يأخذ ملاطفات الشاه أردشير على عمل الخصومة ضد السلطان ويرسل إلى الحفرة ، ولما أقام هزار أسف وجيل مدة في الري جاء الأخوان خفية إلى كجو حيث توارى بها جليل وجاء "هزار أسف" إلى "أمل" وفجأة حملوا الخبر إلى "الشاه أردشير" في مقره في كثير حيث قالوا له إن الأمير "إستندار هزار أسف" قد دخل إلى الولاية يطلب الأمان ، فرحب الشاه به وأكرم وفادته ووعدته بأن يرعى حقه وكان قبل ثلاثة أيام من ترحيب الشاه به قد جاءه رسول يخبره إن أخاه الأمير جليل قد انتقل إلى الدار الباقية بمرض الخناق فاضطرب حاله ورمى بقلنسوته من فوق رأسه ، وجلس على الأرض يتقبل العزاء وأخبروا الإصفهبد بذلك (أى الشاه أردشير) فأرسل معارفه للعزاء كما جاء هو بنفسه إلى قصره لكنه لم يترجل عن جواده فقال معارف مازندران يجب أن تأخذ إلى أسفل القلعة ليسلمها لك ، فقال الشاه : هذه خيانة غير مباركة ولا تليق ولكنهم ظلوا يراجعونه كل واحد منهم بأسلوب مختلف ، وعرض الملك خورشيد على فكره أن يسترد أرض رويان منه ويعطيها لنفسه ، إلى أن قال الإصفهبد إن هذه الولاية تخصك وأنت أدري بما هو

أصلح فافعله فأمسكوا به فى الحال وقيدوه وحملوه إلى أسفل قلعة ولج فأمر أهل ولج بأن يسلموا القلعة حتى يطلقوا سراحه ، فقالوا لقد كان ملكاً علينا فى ذلك الوقت الذى لم يكن مكبلاً فى قيودكم ، وتعرض الملك "خورشيد" لملك ولاية "هزار آسف" دون أمر من "الشاه أردشير" وأمر بضرب رقبة "هزار آسف" ، وسلموا قلعة "ولج" فى اليوم التالى ولبت مدة ثمانية عشر عاماً ينعم بالأمن والاستقرار فى المنطقة من "جا جرم" وحتى "سياه جيلان" بحيث كانت النساء العجائز يحملن فوق رؤوسهن الأطباق المذهبة ضرباً فى المثل ولما بلغ خبر قتل "هزار آسف" إلى "سراج الدين" ، مضى إلى الأتابك وقال له لقد قتل ملك "مازندران مهدى" فإذن لى أن أذهب لأقتله ثأراً له فأجابه الأتابك هل جنت إننى لا أقيم خصومة مع الشاه أردشير من أجل قتيل لا جدوى منه فى الدنيا والآخرة فماذا يتأتى منه نتيجة ذلك فإن يكن فى حصن كنا نستطيع أن نضرب إليه بالطف والفتق على السواء ، ولم يكن المسكين قد خسرفى لعب الشطرنج حين رأى الشاه لا ينزل فى مكان الشاه فعزل "قيماز" عن الرى وعين بدلاً منه سونجبه وجاء فى هذا العام إلى الرى ، وجلس ذات يوم مع ابن على وار ودوى صوت الحراس فقال الأتابك من هذا فقالوا قيماز فقال وهل بلغ قيماز أيضاً مقاماً يجعل له حراساً لكن ماذا تقول أيضاً فى حق أتباعى والمراتب التى منحتهم إياها ، فقال لتكن حياة مولاي الأتابك الأعظم خالدة لقد جعلت عبيدك فى ذلك العام الذى جعل كل ابن من أبنائهم لا يطيع أحداً آخر سواك ، كما إن أحدهم لا يلقي السلام على الآخر وطالما ظل واحد من هؤلاء العبيد حياً فلن يهدأ العراق ، فأزرفت عين الأتابك بالدمع وقال له لقد صدقت فما هو التدبير الآن ، وقال له يلزم لهذا الأمر وقتاً ومهلة حتى نرى ماذا يكون حكم الحق جل جلاله ، وخلال تلك الفترة أيضاً كان الأتابك مريضاً فى مدينة "الرى" ، وقد سقط طريح هذا المرض ، وقد أرسل "الإصفهيد" على وجيه يقول له : لقد رحلت أنا وأترك أبنائى أمانة عندك لقد كنت جاراً طيباً لك ، فاسلك معهم على نحو ما سلكته معك بعد وفاة أبيك فأخذه "الإصفهيد" من "الرى" وحمله إلى "همدان" ودفنه فى مدرسة "الأتابك إيلدكز" الذى كان ، والده ووصل خبر موته إلى أخى قزل أرسلان عثمان فى أزان وكان قد ترك وراءه غير هذا الأخ ثلاثة أبناء هم "الأتابك أبو بكر" و"قتلغ إينانج" وأمير أميران فسلم العم "قزل أرسلان" الأتابك "أبا بكر" لزاehده .. "خاتون" فاتخذته ابناً لها ، وكان كل من "قتلغ إينانج" و"أمير أميران" من ابنة "إينانج سنقر" والمعروفة بقتيبة

فذهب "أمير أميران" إلى "شروان" ومن هناك مضى إلى "طامار" ملكة الأبخاز، وقاد جيشاً قاتل به أبا بكر ومات في نفس ذلك المكان وهي قصة طويلة، أما قتلغ إينانج فقد بقي مع أمه وتوجه "الأتابك قزل أرسلان" إلى "العراق" كان السلطان "طغرل" في ساوه فلما وصل هو فر من أمامه "طغرل" ولجأ إلى بيت "الإصفهيد" في منطقة "فلول" وانضم إليه "روس" و"أييه" و"بشير" و"سنجبه" و"قراقوز"، "وميات" وقد كتبنا في المجلد الأول من الكتاب أنه كانت بين "الشاه أردشير" والأتابك مراسلات وكان السلطان "طغرل" ملكاً متهوراً أنانياً مغروراً سفاكاً للدماء، وكان الأتابك قزل همة ومروءة بالغة تغنى بها في قصائدهم ومدائحهم له الشعراء أسير إخسيكتي ونظامي كنجه وظهير الفاريابي ومجيد بيلقاني وأشهرى وجمالى فجندى وعبد الرزاق ونجيب زنكاني ، وقال روس وأييه والأمراء الذين كانوا مع "طغرل" إننا أترك وتلزمنا الإغارة والنهب ولن تكون مثل هذه الإغارة والنهب في مازندران، ويجب أن نمضى من هنا إلى جهة ما وحثوه على أن يخرج إلى دفارغان وبسطام وفجأة رحلوا من فلول وتوقفوا على الطريق حيث حضروا عند الشاه، وقالوا إن السلطان قد وصل إلى دربند وقومك لا يخلون الطريق أمامنا فقال لهم أبلغوهم بأن يقسموا الطريق ليذهب إلى "دامغان" ، وكانت تلك الولاية ما زالت تحت حكم الشاه أردشير فكتب رسالة إلى هذه الولاية لتقدم العلف والمؤن لهم وعقد عهداً مع "قزل أرسلان" وأخذ منه للديوان خراجاً وأخذ في ذلك اليوم "قلعة إنبامه" من أمراء قصران باثني عشر ألف دينار وسلمها لنوابه، وأمر الأتراك بعمارة قلعة طبرك ونظراً لأن "قتيبة" لم تكن قد أكملت عدتها ، فقد مضى إلى "همدان" وتركها في "الري" مع ابن أخيه وأعلن عن توليه السلطنة ومضى إلى "أذربيجان" ومضى "طغرل" من "دامغان" إلى "همدان" عن طريق "قزوين" و"خرقان" ، وبعد فترة أمر بالإطاحة برأس كل من روس وأييه بين يديه في البلاط ، كما سمل عين قراقوز إلى أن قاد الأتابك الجيش من "آران" و"مراغه" و"أربل" و"أخلاط" وجاء إلى "همدان" ففر منه السلطان ، فأرسل الجيش في عقبه وفي النهاية أسره واقتادوه إلى قلعة دزمار وتزوج الأتابك من قتيبة خاتون في الري على غير رغبتها إذ كان قلبها في هوى طغرل ، وكان الأتابك برغم خصال المروءة مدمناً الخمر، معاقراً للشراب مدمناً للميسر ، ولم يمض عليه يوم وليلة دون شراب باستثناء رمضان ، وكان يميل إلى الغلمان راغباً عن مباشرة ومباضعة المخدرات نوات الكواعب ، وقد أدركت قتيبة أن مثل الأتابك محمد لا يمكن

أن يشبع رغبتها ، وكانت هى على عادة ونهج النساء متمكنة فى فنون الكيد ما تجعل الشيطان يفر منها ، ولأن كل ملك يقيم مصالحه على ركائز رأى النساء وسفاهة لسانهم ودناءة همتهن وتلون حالهن وضعف نيتهن وقصور حميتهن ، وينوط أمر الملك بذلك فإن دوام تلك الدولة وبناء ذلك الملك لا يدوم إلا بدوام الرعد ولا يسطع إلا كسطوع البرق وينتهى أمره إلى سوء الذكر وإلى ما يتمناه العدو ، إذ أن نقد وفائهن ينتهى إلى الزيف عند الامتحان ومنذ بدء الخليقة حين جرى قدر التقدير بخلق المخلوقات وإبداعهم كانت النساء مجمع الفتن ، ومكمن المحن ومنجم الآفات ومهبط البليات ، ووتر كل مكر وكسر كل جبر حيث كانت شخصية النساء غير مباركة وغير طاهرة إلا الأخيار منهن ، ولم تقع نار فتنة أو بلية أبداً فى عالم الماء والتراب دون أن تكون قد أجمعت نارها من ريح النساء ، فعقلاء العالم وحكماء سوائف الأيام برغم إحاطة فكرهم بمعرفة الأشياء كما هى وإدراك العلوم الإلهية والرياضية إلا أن فكرهم لم يصل إلى كنه كيدهن وبقوا يعضون على إصبع تعجبهم كما بقيت رؤوسهم عند أعتاب حكايتهن تحاشى أى عاقل أن يتوقع خيراً أو فوائد من مكائد النساء على الإطلاق ، فلا يأتى منهن سوى العته الخالص والحمق والبله ولا يحق لكل من ينكشف نور شمس عقله من صاحبه مقنعة كالقمر فى جب النزوة والألعيب أن يدعى صلف الثقافة أو يفاخر بالسمعة أو بالعار .

- المرأة وإن تكن واحدة من ألف فلا يعول على عهدا كثيراً .
- وإذا ما عقدن عهداً وأكدن وفاء ، عند ذلك يكن قد كسرن القلم فوق اسم النساء .
- تكون المرأة طيبة مخلصه لكن ذلك يكون عندما لم تجد محباً سواك .
- فإذا ما وقعت فى حبال شخص آخر ، فسوف لن ترى لك وجوداً بعد ذلك .
- هذا هو شأن النساء المستقيمات لكن حكاية النساء السيئات تطول .

والخلاصة أن هذه المرأة التى جرى وصفها اصطحبت أربعة رجال إلى مبنى قديم بهمدان داخل مخدع قزل أرسلان وأمرتهم فمزقوه إرباً إرباً بالخناجر ، ثم صاحت تصرخ لقد قتله الملاحدة ، وفى الحال انتزعت زاهدة خاتون خاتم قزل أرسلان من يده وسلمته للأتابك أبى بكر وقالت له بأن يذهب ويستولى على ولاية آران

وأذربيجان ، وهكذا وبإشارة تلك المسطورة زاهدة وصل الأتابك إلى ملك عمه وحكم مدة عشرين عاما بأمان وتلك قصة طويلة تخرج عن نطاق غرضنا .

- وما أكثر ما تكون أقل مقنعة ذات وفاء أفضل من قلنسوة كثير من الرجال ممن لا عهد لهم ولا حفاظ .

وفى هذا العام كان المنجمون قد تنبؤوا بحدوث أعاصير فى الثلث الترابى ، إلا أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى آله وسلم يتأكد صدق إعجازه بعد خمسمائة عام إذ كذب المنجمون برب الكعبة ، وكان "الشاه أردشير" قد أقام فى قرية "دوالم" على حدود "فريم" تقاوم العواصف ولو أن شخصاً ما يرى تلك العمارة الآن لقال إنها ليست من صنع البشر وعسى أن سليمان عليه السلام هو الذى أمر الجن ببنائها ، وفى ذلك اليوم الذى كانت النبوة قد نصت عليه دخل إلى قصر الحريم حيث كانت ابنة السلطان موجودة به فحملها من هناك إلى ذلك المبنى ، كما أقام مجلس بلاطه به وأقام مائدة عامة فلم تشهد تلك الشهود بفضل ذى الجلال يوماً أفضل من ذلك اليوم (هواء) ، فلما فرغ من ذلك الأمر جاء إلى القلعة فلول وكانت قتيبة قد جاءت إلى الرى وكان لديها وزير يقال له شرف مرادى ما تزال إلى الآن مدرسته وخانقاهه وغيره موجودة إلى الآن فى الرى فكان يحرض المرأة على التعرض لولايات "الشاه أردشير وأرسلها إلى خوار فأخرجها الأهالى فأمرت القائد المسمى "أردهن البلخى" بأن يثير الفتنة فى نواحي دماوند ، وأمر الشاه فى تلك السنة بإقامة قلعتى سر جاهان وكنده كوه ولتين لا تزالان تشاهدين على إحياء أمل وكان قائد قزوینی فى قلعة طبرك فأتى إلى تلك القلعة عز الدين مرتضى علم الهدى بن يحيى بن المرتضى وخدعه بأنه سوف يعطى القلعة للإصفهيد. وكان هذا الرجل قريباً - لسابق القزوینی وكان قد نالهم عطاء ثميناً من دولة الشاه ، وفى هذا العهد كان "جمال حسن القزوینی" أحد أقاربه قد حضر لدى الشاه وأخذ ولاية كلبا وكان إقطاعاً له فقال حيثما يأتى قريبي ذلك من عند الشاه فسأسلم القلعة للشاه ترضية له ، فأقسم السيد عز الدين على المصحف على صدق هذا الزعم وحضر لدى الشاه وروى المستوفى تلك الحكاية ، فقال أرسل الشاه كل من هزبر الدين بادشاه خورشيد وكيسنقر والأمير سابق الدولة شهریار وبرسق والإصفهيد أردشير بن أردشير ومعه أمير السلاح وأمير أخور وأمير

الصيّد قراسنقر مع جمال حسن القزويني ، وشيد وبعث بهم إلى منطقة دولاب في الري وجرى القضاء أن عماد الوزان قد علم بهذا الأمر في الري فمضى إلى قائد ملك القلعة وقال له سمعت إنك سوف تسلم القلعة لملك من الروافض ، فهل تريد أن نصبح نحن وأنتم جميعاً دليلاً للرافضة، فماذا تقول يوم القيامة لله ولرسوله والصحابه فقال له ماذا أفعل وهذا أحد السادة قد أقسم لي بالله ورسوله وبالطلاق ، فماذا أستطيع أن أفعله بعد ذلك وكيف أتخلل من هذا الدين وهذا لا يجوز ، فقال عماد الوزان كل هذا أمر محال وحديث عامة وأنا أحرر لك إقراراً بأن هذا القسم برمته في رقبتى يوم القيامة وجزاءه لي وأقسم على ذلك بالطلاق أمام القزويني ، وفي الصباح حين جاء السيدان عز الدين وجمال حسن عند أسفل القلعة صاح قائدها فخر عند شرفتها وقال للسيد لقد رجعت عن تلك الفكرة وندمت عليها فقال له هل نكثت في النهاية يا كافر قسم الطلاق ووعدك الذي بذلته ، فقال إن ذلك كله قد أخذه عماد الوزان على عاتقه ورقبته وقد كتب لي إقراراً بذلك فتوقفا مدة هناك يحاولان مع القائد ، حتى عاد إلى الداخل ويعودته رحلاً يائسين إلى المعسكر وتحركا في نفس اللحظة حيث بلغا فلول ، وكان عماد الوزان قد حشر (جنده) من الأتراك هناك فلما جاء لاشاه إلى أمل توجه عماد الوزان إلى نهاية قلعة الإمامة في قصران واشتبك مع جيش قتيبة واستولى على القلعة ، وأقام على قصران رئيساً يدعى عادل وبعد سبعة أشهر أو ثمانية جاء "الشاه أردشير" مرة أخرى وحاصر القلعة ولم يدعمهم يستريحون ليل نهار إلى أن قام شخص يقال له "بزدال كاني بهلوان" وهو رجل "بسطامي" بأن رمى حبلاً فوق قمة حائط وصعد إلى أعلى ثم سحب بعد ذلك ثلاثين رجلاً فانتزعوا القلعة عنوة وقتلوا "عادل" مع جميع أتباعه وزوجته وولده وسحقوا رأس عادل وعلقوه مدة عام في قصران ، وكان قائد دزمار بدر الدين قد أمسك بالسلطان "طغرل" وأخرجه من القلعة وحمله إلى "فقجاق" وكان قد أرسل بأحد أبنائه إلى الخليفة ليمنه بالمدد لكنه لم يمدّه قط ولم يعبأ به ، حتى قام بينهما خلاف واقتادوا ابنه إلى داخل الحرم فأرسل برسالة إلى الخليفة بأن يأمر بعمارة قصر السلطان "مسعود" لأنه سيأتي شتاءً إلى "بغداد" ، فدمر أمير المؤمنين هذا المبنى بحيث لم يبق أثر منه ظاهر الآن كراهية له وأمسك "بعر الدين فرج" الذي كان خادماً مشهوراً في العالم ووالياً على "أصفهان" مع الابن وقيدهما هناك إلى أن أرسل "الشاه أردشير" بخادم من عنده يدعى خواجه سنبل

وتشفع له فأطلق أمير المؤمنين سراح "عز الدين فرج" وأخلى سبيله ، فلما وصل مع الابن إلى مدينة "آبان" و"جلولا" أمرهم بأن يمسكوا بها ويحضروهما فوضع سنبل (الابن) في صندوق مغلق وأحضره إلى ولاية الحلة بحيث لم يعلم مخلوق قط بهذا وهناك أخرجه من الصندوق وبعث به إلى السلطان ، وكان "طغرل" قد استولى على العراق وترك الرى وسأوه وتلك الحدود لقتيبة وفي ذلك التاريخ أرسل إلى حفرة طغرل غراباً أسوداً كبير الجثة والهيكل ، ويقال إن هذا الغراب كان إحدى معجزات الرسول "محمد صلى - الله عليه وسلم" وفي كل لحظة كانوا يقولون فيها لذلك الغراب قل بلهجة عربية ولسان فصيح كان الغراب يجيب قائلاً أقول "محمد رسول الله" فأرسل السلطان هذا الغراب بإعزاز إلى الشاه أردشير وظل في خزانة بقصره مدة عام وكان أصل العالم يأتون لزيارته والاستماع إليه وقد توفى بعد ذلك العالم ودفن في التراب قصبة رود بست أمام جامع قبة مقبرة السادة عند باب تلك المقبرة والخلائق يذهبون لزيارته في هذه الساعة ويطلبون قضاء حوائجهم وهي تقضى ببركات معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وبعد مدة تزوج "طغرل" من "قتيبة" واصطحبها معه ، وبقيت معه مدة لكن "قتيبة" لم تتحمل طغرل ولم تعتنى به، ولم يكن السلطان يخضع لها ولم يهتم بها كثيراً ، إلى أن جاءت إلى "الرى" وقالت لشرف فراوى إن ابني قد كبر وليس لي ارتياح لصحبة طغرل ويجب أن يكون "العراق" التابع له حقاً لابني فحرضها شرف على الذهاب إلى السلطان الأعظم "الشاهنشاه سعيد تكش بن إيل أرسلان" ، فأخذت تكتب إليه ملاطفة وتبعث إليه يوماً بعد يوم بالهدايا سرراً من طرائق العراق وبالثياب المذهبة ، وتكتب له بالرباعيات والقطعات ما يكون بين العاشق والمعشوق ؛ ونتيجة للطافة طبعها وميلها ورغبتها التي كانت تجرى على لسانها دعاها السلطان "سعيد قدس الله" روحه إلى مجلس شراب خفية ، فوصل هذا الخبر إلى شاه أردشير وكان صديقاً لطغرل كما كان يكره قتيبة ، فأرسل رسولاً إلى السلطان طغرل وأبلغه بالأمر كما هو ، فحملها منه له وفي إحدى الليالي أمر بلف حبل حول رقبتها وشنقها ، فلما وصل هذا الخبر إلى السلطان "سعيد الشهيد" قاد جيشه وجاء إلى الرى واستولى على قلعة "طبرك" وبلغت جيوشه سارة وبعث برئيس شرطة إلى الرى يدعى "طوغاج" كان أحد كبار أمراء "خوارزم" وفوض قلعة "طبرك" لرجال من أهل "خوارزم" ، ثم عاد وذهب إلى خوارزم ، وكان السلطان سعيد قد أغار على المناطق من مرو وحتى حدود

خوارزم ، فجاء السلطان طغرل إلى الري وطلب المدد من الشاه أردشير ليحاصر قلعة طبرك ، فلما جاءه المدد كان هو قد استولى على القلعة وكان "طوغاج" مريضاً فحملوه على نعش في نفس اليوم إلى خارج القلعة ، إلى أن تصادف وقال للشاه : سوف أقوم بإعادة بناء قلعة طبرك وأمر بأن يهدموا تلك القلعة على نحو لا يمكن بناؤها مرة أخرى - لأنها قلعة غير مباركة ، فوافق الإصفهيد وخرب طغرل القلعة ومنذ ذلك التاريخ لم يرغب شخص في عمارتها إلى أن فرقتلغ إيتانج" من السلطان وذهب إلى خوارزم مع عز الدين مياق وقراكوذ بدر الدين لقب وأمراء أبيه الآخرين ، وكان سلطان العالم قد جاء إلى حصن "تميشه" في العام السابق على ذلك ، وأقام معسكره في قرية "سفيد دارستان" وخرب المناطق الموجودة خارج "تميشه" كلها وقال لرئيس "بسطام" و"دامغان" ومعارف تلك الناحية سوف ينضمون إلى لأنى سوف استولى على ملك العراق ، ويجب أن تقدموا لى الأعلاف والمؤن على الطريق ، وكان الشاه في هذه السنة قد ذهب إلى "كشيت" و"سرخاب كلاده" فيما وراء "سارى" وأقام معسكره هناك ، واضطر لإرسال جميع الرؤساء مع المعارف إليه وضم ولاية السلطان إلى ديوانه وأقام عليها رئيس شرطة، وكان يترك في كل يوم للإصفهيد جانباً من ملكه وكان ثمن ذلك باهظاً ، وأرسل إلى السلطان طغرل الإصفهيد أردشير بن أردشير وطلب ابنته لابنه الأكبر شرف الملوك ، وتم الاتفاق على أن يأتى هو إلى خوار و يستولى من هناك على بسطام ودامغان ثم ينتظرا حتى يأتى السلطان محمود إلى خراسان ثم يستردا نيسابور من السلطان ويُعيدا خراسان إلى "سلطان شاه محمود" ، وأقسما على هذا العهد على أن يرسل الإصفهيد فيستولى على "جرجان" لنفسه حتى يمكن الوثوق به والاعتماد عليه ، وقبل أن يصل "سلطان شاه" إلى خراسان أرسل الإصفهيد فأغار على "جرجان" وخرب القلعة وأحرق المدينة ، وكان السلطان الأعظم قد اتجه إلى "سرخس" وبقي بها مدة حتى يحارب أخاه ، وكان هناك رسولان عنده من قبل "الشاه أردشير" يبلغانه أننا قد أحرقنا "جرجان" فأبدى اعتراضاً وأصيب سلطان شاه ليلة عيد رمضان بالقولون ، وأسلم الروح في منتصف الليل ، وأبلغوا السلطان الأعظم بهذا الخبر ، فذهب إلى مرو واستقبله الجميع وتلقى العزاء في أخيه ثم وضعه في صندوق وأرسله إلى "خوارزم" في مراسم من دق الطبول ، وتنكيس الأعلام ، حيث دفن هناك وجاء السلطان من هناك إلى "إستراباد" بجيش جرار وأرسل الرسل إلى شاه أردشير من أمثال خطير بهلوان ،

والخواجة قرنفل ، والأمراء المعروفين ، وتعاهد مع الإصفهيد على أن يرسل أحد أبنائه إلى الخدمة ، وكان الإصفهيد في ذلك الوقت في مقره "بالامه سر ترجى" فأعاد الرسل وأرسل إلى طغرل بأن لقد جاء السلطان سعيد وعقد معي اتفاقاً وتوجه إلى العراق فعليك أن تنتخب طريقه ليذهب من يشاء على العراق ويعود ، وحين ترجع فلن يقف أمامك، فأرسل السلطان طغرل بأن سأحارب في جميع الأحوال ، فلما قرأ السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم صاحب قران العالم من خوار ، كان "قتلغ إينانج" و"مياق" و"بدر الدين قراکوز" مع الأمير "اقجه دار کلی" في مقدمة الجيش وكان طغرل قد وقف على الجبل الذي كان يتصل بقبة شاهنشاه فخر الدولة الديلمي ، وكان طوال تلك الليلة قد ظل يحتسى الشراب حتى النهار، وكان لا يزال ثملاً في غير وعيه ، وكان معه مائتا فارس فلما رأى الجيش دفع بجواده نازلاً من فوق الجبل ليهجم على المقدمة ، وأثناء الهجوم ولى عبيده أدراجهم فأغار على جيش السلطان بعشرة فرسان فأحاط به الجيش وضربه "عز الدين مياق" بحربة وانضم إليه أميران آخران وأنزلوه من فوق الجواد فنزل في الحال "قتلغ إينانج" وقطع رأسه ، وعلى أثر هذا الخبر وصل السلطان فحملوا رأسه إليه ؛ فقال ما كان يجب قتله ، ولما وصل إلى جثته أمر بأن تحمل من هناك وأن تعلق ثلاثة أيام في الري في سوق رويه كما أرسلوا برأسه في الحال إلى بغداد لدى أمير المؤمنين "الناصر لدين الله" ، واتجه السلطان في ذلك العام إلى همدان وتجول في جميع أرجاء العراق واستولى على القلاع وحضر إلى خدمته أمراء العراق ، وأقام فترة في "أصفهان" حتى أعلن أصحاب الأطراف في تلك المناطق طاعتهم وعين ابنه عليشاه على أصفهان ، ثم عاد فلما وصل إلى همدان أرسل الشاه أردشير إلى همدان كل من ركن الدولة قارن الذي كان أصغر أبنائه مع بادشاه خورشيد بن كيوس والخواجة فخر الدين سنبل وأمراء الترك وياوند والديلم ، وبعد عدة أيام أعاد ركن الدولة ورجع هو إلى الري ، وأقام على العراق "قتلغ إينانج" وترك نيابة عنه في الري "مياجق" على رأس الفی فارس ، فلما وصل إلى دامغان أسند بسطام ودامغان إلى ركلي وأمره بأن يخرج على الشاه أردشير وأن يتعرض إلى ولاياته ، ووصل هو إلى "جرجان" واستدعى سوتاش وكبود جامه وكيك وعز الدين جلدك ومعظم جيش "خراسان" و"خوارزم" ، حتى يقودوا الجيش إلى "مازندران" ومضى هو إلى "خوارزم" ، وكان في ذلك التاريخ "الإصفهيد" رستم بوره كله هو صاحب "كشواره

فأنزله من "كشواره" ، فلجأ إلى قلعة تلو مند واتجه الجيش إلى مشارف قلعة "جناشك" ، وكان "كياشيره زاد كراكلاده سدن رستان" هو قائد تلك القلعة ، وكان أخوه "إبراهيم كيا" نتيجة غلبة الرجال الذين التجؤوا إلى هناك ، وحاصروا جيش السلطان الذي قد ترك القلعة بناء على عهد وميثاق للإصفهبد "رستم" و"إبراهيم كيا" إلى تلو من ، وبعد ذلك سلم شير زاد الذي كان صاحب جناشك القلعة أيضاً لأخيه ، وتركوا السلطان وكان قد أرسل الهدايا والتشريفات ثلاث دفعات من أجل الإصفهبد "رستم" فأطلق سراح الجميع ثم هرب وجاء عند الإصفهبد (شاه أردشير) في مقره "برودبار" فلم يستبقه الإصفهبد عنده وأمر بتقييده بعد عشرة أيام ، وحملوه إلى قلعة "دارا" وفي النهاية جاء عنده جيش السلطان وتحارباً مدة أربعة أشهر حتى استولى عليها السلطان في النهاية بالقوة والقهر ، وسنة ثمان وتسعين وخمسمائة جاؤا إلى سارى وأحرقوا جميع القصور ومقر إقامة الشاه أردشير ، وأشعلوا النيران في المدينة وقاموا بالقتل والإغارة ، عليها وكان الإصفهبد عند حدود "لفور بلوند" و"رواند" وبعد ثلاثة وعشرين يوماً عادوا حتى خارج "تميشه" وعينوا لهذه الولاية رئيس شرطة ، وكانت تتبع صوتاش وكان صوتاش في خدمة السلطان في "نيسابور" ، ولما تمكن "مياجق" في العراق ركب ذات يوم مع "قتلغ إينانج" قائلاً : سوف نذهب إلى موضع كذا وفي الطريق نزل عن جواده وأنزل "قتلغ إينانج" وقطع رأسه وأرسلها إلى "خوارزم" ، واستولى على "همدان" وكل الولاية حتى التجأ نقيب النقباء "عز الدين يحيى" إلى دار الخلافة ، وأرسل أمير المؤمنين "الناصر لدين الله" سلطان الوزراء "مؤيد الدين بن القصاب" إلى العراق بجيوش العرب و"برجم" و"خوزستان" و"إربل" فجاءوا حتى الرى وهرب الخوارزميين جميعاً وقتلوا وأسند جيش الخليفة أصفهان إلى سنقر الطويل وتفرد هو بتلك الولاية بعد مقتل الرئيس الخواجندى ، كما قتلوا سراج الدين قيمان عبد الأتابك محمد ووصل مؤيد الدين إلى الرى ، وأرسل الشاه أردشير رسولاً من عنده وأرسل إليه مؤيد الدين الأمير كبير ناصر الدين ممطير والذي كان في خدمته وذلك برفقة "عز الدين يحيى" ومعهم خيول عربية وحلل بغدادية وحملهم مودة أمير المؤمنين البالغة وعطفه ورعايته نحو الشاه أردشير ، فلما انقضت عدة أشهر على هذا قاد السلطان الأعظم مائة ألف فارس إلى العراق ، فنهض له مؤيد الدين وجاء إلى "همدان" وكان قد حل به المرض ونزل السلطان في "مزدغان" وأرسل "مياجق" إلى

همدان" على رأس ثلاثين ألف رجل وتصدى له جيش الخليفة وضربوا فوجاً من جند سلطان وهزموهم وأنداك توفي مؤيد الدين نتيجة مرضه ودفن ، فلما رأى "مياجق" أن قدمته قد هزمت التجأ إلى جبل بعدد كبير من جيشه وأعطى مهلة حتى انشغل جيش خليفة بالنهب والسلب ، وكان الخبر قد وصل في البداية إلى السلطان في "مزدغان" أنهم هزموا جيشاً ؛ فأمر بأن تهيأ العتاد وجاء في أعقاب رسول "مياجق" حيث كان فتح والنصر قد تحقق ، فقاد الجيش والعلم والموكب إلى "همدان" وأرسل إليهم بأن نطعوا رأس مؤيد الدين وأن يحملوها إلى الخطأ وأمر بإحضار "السيد عز الدين حيي" الذي كان قد أثار هذه الفتنة وكان قد توارى في أحد الأماكن فأمسكوا به أحضروه لدى السلطان الأعظم ، فقال له : السلطان كيف ترانى أيها السيد ولم يكن لسلطان ينوى قتله ، فقال بحماقته البالغة وحدة مزاجه التى كانت رائجة فى طبعه : نى أراك مثل الحسين بن على فتطير السلطان من ذلك وأمر بقطع رأسه وأرسل بها لى الرى ، حيث دفن فى مدرسة "عماد الوزان" الذى كان خصماً للسيد ، والآن يوجد بسد ورأس السيد فى قم المشهد المطهر لبنت الإمام كاظم موسى بن جعفر وقد رثاه سبعة العراق كثيراً حيث يقول فيه الإمام أفضل الدين ماهباده :

سلام الله ما طلع الثريا

على المظلوم عز الدين بن يحيى

شهاد كالسجين بغير جرم

قتيل مثل هابيل ويحيى

وأركب السيد "ناصر الدين ما مطير" و"مكين الدين قمى" والذى كان وزير أمير المؤمنين "الناصر لدين الله" آنذاك ، فوق حمارين وأرسلهما إلى "نهاوند" ومن هناك صلا إلى بغداد ، وقد أسند أمير المؤمنين وزارة بغداد بعد "مؤيد الدين" إلى الإمام لسيد الإمام "ناصر الدين" ومنحه لقب نصير الدين وقد بلغ جاهه وتمكنه ومرتبته فى لحكم والوزارة ما لم يكن مثله للبرامكة من قبله فى عهد دولة آل عباس ، مما أتاح أعدائه مجال الوقعة وظهر التعصب وانتهى الأمر إلى أن رأى أمير المؤمنين "صلاح ملك" فى عزل هذا السيد العظيم العالم دون أى جرم ، فرج الله سبحانه وتعالى عنه منحه الخلاص بخير وعافية وأمن وكرامة بمحمد النبى وآله ، وأنداك وصل السلطان حتى جبل "بيستون" واتجه إليه أهل عكا وبرجم جميعاً ، وحضروا إلى خدمته واستقر نى العراق ، وعاد السلطان من هناك إلى "همدان" ؛ حيث أرسل الخواجة الإمام شهاب

الخيوقى برسالة إلى بغداد ؛ وكان نصير الدين آنذاك ما زال نائباً للوزارة فوقعت بينهما خشونة فى الحديث وكان ابن الناقد صاحب خزانة الخليفة يرعى جانب شهاب الخيوقى ، وفى هذا العام أرسل سلطان العالم نجيب قصة دارا إلى مازندران حيث قيل إنهم قد قضوا على ابنه هناك لعدواتهم معه ، وكانوا ينسبون مثل هذه الأراجيف إلى الشاه أردشير لكن نجيب أتى ورأى ابنه وعاد وأعلن أن كل ما قيل فى هذا الشأن محض افتراء ، واتجه السلطان بأمن إلى "خوارزم" ، وفى هذا العام تحارب مع "قدزخان" وأصابته العين الجيش فجاء إلى خوارزم وبعث قطب الدين ملك خان من مرو إلى العراق ، وكان الشاه أردشير فى فريم ، وقد هزم "قدز" الكافر فى المعركة وأتوا به مع زوجته وطفله إلى مازندران ، وأصيب الكافر ذات يوم بالحمى ، فطعن نفسه بخنجر فى بطنه وذهب إلى جهنم ، وفى ذلك العام ذهب قطب الدين خان إلى العراق ، وكانت الفتنة قد خمدت فعاد وأرسل له الشاه أردشير فى دامغان بالهدية وتحف كثيرة وعقد معه عهداً بأن يصلح أمره عند السلطان ، واتجه إلى مرو وأرسل الشاه إليه رسولاً ، وأثناء ما كان الرسول عنده إذ انتقل هو إلى رحمة الله ؛ فعين السلطان ولياً لعهدده سيد العالم إسكندر العهد جمشيد العصر الشاهنشاه غازى سلطان السلاطين المخصوص بعناية رب العالمين ، وكان يعتنى بأحوال الشاه أردشير ويعطف عليه كثيراً ، إلى أن جاء الأتابك أبو بكر إلى العراق ، وتحارب مع "مياجق" وهزمه ، واتجه ثانية إلى "آران" فجمع "مياجق" الجيش مرة أخرى وكان يعطى لجنده جميع الأحوال التى كان يجمعها من العراق ، فاستعرض ستة آلاف رجل من الضاربين بالسيف، ولم يرسل أموالاً إلى الحضرة وكان متمرداً فى الخفاء على السلطان سعيد ، وقد أرسل رسله إلى "الشاه أردشير" لأخذ العهد وعقدا الاتفاق وقد أعاد له قصوره لتكون إقطاعاً له فى "كند كوه" ، وفى هذه السنة عرض "كريم الشرف الخراسانى" على السلطان أن الناس فى "نيسابور" يبائعون "سنجر شاه بن طغا نشاه" وأن "الشاه أردشير" قد أرسل له بالسم حتى يقتلوه ، وقد قتل عدة أشخاص فى خوارزم من جراء هذا الأمر كما ثمل عيني سنجر شاه بالليل وانتهى به الأمر إلى الموت ، وكان معه فى خوارزم كل من "عز الدين حسين كيا بن وستامير" و"حسن نقيب زبرود" فأمسكوا بالاثنيين وقيدوهما ، وقد توفى "عز الدين حسين كيا" فى القيد ، وقاد السلطان الجيش وقدم إلى "فيروز كوه" وكان "الإصفهيد أبو القاسم بريم" هو قائد قلعة "فيروز كوه" كما كان

فى القلعة "الإصفهبد حسن كور بن أبى جعفر" قائد دماوند و"قطب الدين برسق" صاحب إقطاع و"يمه" و"شامرزا"، فلما ضرب سلطان العالم خيامه فى منطقة "خندا" فحالت تلك الجماعة دون أن تنشب حرب؛ حيث أرسلوا إلى السلطان فى طلب المخصصات والإقطاع وتركوا القلعة ورحل السلطان من هناك، وذهب إلى ظاهر إستانوند وقيل إن علكا كان رجلاً راعياً وقد رفع الشاه مكانته من راع إلى درجة رفيعة؛ بحيث تزوج من ابنة علكا وأسند إليه رئاسة رعاة الأغنام الخاصة فى دنبل، كما أن معارف "طبرستان" أيضاً تركوا خيولهم وإبلهم ودوابهم الأخرى وديعة عنده، فاتجه بكل دواب الشاه أردشير ومواشييه، وودائع الناس التى كانت عنده إلى السلطان كما سلمه قطعان الخيول العسكرية فى "هبله رود" ورحل حيث مضى إلى ظاهر فلول ونصب المنجنيقات حول القلعة؛ ليتزعمها قهراً وقد أقام عليها تركيا يدعى "أغوش" وجاء "مياجق" إلى خدمة السلطان ولم يكن مخلوق أبداً فيما عدا "الشاه أردشير" يعرف ما انطوى عليه قلبه من نية العصيان، فأرسل الشاه ابنه ولى عهده إلى خدمة السلطان، وفى هذه السنوات الماضية قد قام "زرميوند مانيوند" مع جميع أهل رويان وكان "بيستون بن نامور" والذى كان يقال إن له قرابة مع "إستندار"، وكان على درجة من خمول الذكر وخسة النفس وانحطاط القدر إلى درجة لم يعرفه معها الشاه أردشير، وكان قادة أمل قد اقتطعوا لطعامه نصف قرية "تاتنكا"؛ ولكنه لخسته وعدم أهليته استولى على القرية وأعلن العصيان وأمر بضرب رقاب كل من حسن حاجى ياج الذى كان أحد عمال "الشاه" وأديب بن جستان" الذى كان قد أتى به من الرى وألحقه بخدمة "الإصفهبد"، كما أغار على الديلم وعلى تلك المناطق، كما قتل بالغدر والفتك بادشاه على الذى كان ابن أخ "أرجاسف" وكان رجلاً شجاعاً مبارزاً، وكان نائباً للشاه على ولاية رويان فقتله بحربة، وخلال يوم واحد وصل جميع أهل "رويان" إلى "كجو" وأجلسوا "بيستون" على الحكم، فلما وصل هذا الخبر إلى "شاه أردشير" فى "جالوس" انشغل بجمع الجيش وجاءه الخبر بأن "كيسنقر" الأمير قد هرب واتجه إلى السلطان طمعاً فى ولاية "دامغان" لكنه توفى فى الطريق إلى "نيسابور"، وجاء "الشاه أردشير" بجيش جرار إلى "رويان" وأمر بضرب رقاب كل مخلوق كان فى تلك الولاية، فاتجه "زرميوند" و"بيستون" إلى "دلاور" ودخل إليها جيش "مازندران" وأغاروا على زوجة "زرميوند" وولده، وفر هو مع شخصين آخرين إلى الغابة؛ حيث مات بها حسرة على

حماقته، واتجه "بيستون" إلى ولاية "الملحد" في "خرقان" فلم يسمح "الملحد" له بأن يمضى إليه طلباً لرضا "الشاه أردشير"، فأمر بأن تكتب رسالة إلى الشاه يطلب منه أن يعطيه "جرجان" ليقطع له رأسه فأجاب الشاه بقوله أى طلب ذاك فى كل العالم الذى اهتم لسفك دم مجهول مثله، أو أن أعطى قالب طوب لملاح (ثمناً له) إن سوء حظه أدى به إلى العصيان، إن تلك الجماعة التى كان هو عبداً عندها والذين كانت لهم أسيرة ما يقرب من ألف عام لا يقدر أن ينتزعوا من يده ولاية، فأى قيمة تكون له سواء أكان حياً أم ميتاً، فلما سمع الملحد الجواب أخفاه لديه فى ولايته حتى حدث خلاف بين "الشاه أردشير" و"سلطان العالم فجاء إلى "كلاته راى" وحدث أنه حين استولى على "فيروز كوه" وضواحيها عين "علكاى كرد" على "هيلة رود"، وكان قائد قلعة "إستوناوند" هو "الإصفهيد شيرزاد كرما به رود" فقام "علكاى" ليلا مع رجال "قوهستان" الذين يطلق عليهم "كمرشو" بالإغارة على ولايتهم وسرق القلعة مع جملة أهل "دماوند ورشته رود فهرا" واجتمع من حوله الأكراد، وقام "الإصفهيد بادوسبان لقور" الذى كان نقيب قادة "الشاه أردشير" وأهل شلاب الذى كان رئيسهم يعرف بـ "شهر دار" و"ميردوجين" و"شير بمكوت أجورود" وأمير شهریار" سابق الدولة "إصفهيد بوره كله" وأغلب المعارف بمبايعة "الإصفهيد" شمس الملوك رستم الابن الأوسط للشاه أردشير والذى كان يلقب بشاه غازى ضد أبيه، وقال كل من شهر دار والأمير دوجين وشير بمكوت ائذن لنا أن نقتل أباك بالحربة فى القصر فقد كانوا يتناوبون حراسته فى بعض الأوقات ولم يكن له حجاب فى بعض الأوقات الأخرى، وقال الإصفهيد بوره كله أن يجعل ثلاثين تركياً يقسمون حتى نخرج الأب من "آمل" ليذهب إلى "الديلم"، وقال الإصفهيد بادوسبان إن المصلحة حتى نستطيع أن نحملك إلى قلعة دارا ونقول إن جيشاً قد أغار على القلعة، فيرسل الأب بالجيش إليها فإذا ما صرنا داخلها تضرب رقبة قائدها "كيا لشكر فيروز" ونستولى على القلعة ويصبح فى قبضتنا الكنز والجيش على السواء، ونظل فى سلام فأقر شمس الملوك هذا الرأى وتلك الفكرة ووعدهم بأن ينجزوا هذا الأمر بعد الغد وجاء الإصفهيد شمس الملوك فى اليوم السابق إلى أبيه [شاه أردشير] وطلب منه الإذن وهو مقيم فى "آمل" فى أن يرحل باكراً إلى "ميله" لآتفقد قطعانى، فأذن له والده ولم تحل صلاة العصر إلا وكان اثنان من رجالات الابن هما "أردشير تاتا" و"الإصفهيد على سنقور" قد حضرا لدى الوالد واختليا به

وأبلغاه بأن ابنك قد طلب الإذن بأن يذهب إلى أمره على هذا النحو، وقصوا عليه ما كتبناه مرة أخرى، وخلال ساعة جاء الإصفهيد رستم المدعو ابن رستم اليزداني وقال له إن أردشيرتاتا والإصفهيد على سنقر كلاهما في خلوة مع أبيك حول أمرك، فركب رستم في الحال والساعة جواداً واصطحب معه غلامه ومربيه الذي كان يدعى "بادشاه عليك"، أما تلك الجماعة التي كانت معه في هذه البيعة فقد فر بعضها، فلما بعث الأب من قصر رودبار في أمل إلى المدينة يطلب ابنه قيل له إنه خرج للصيد فأمسك في الحال بالإصفهيد بهاء الدين بادوسبان لفور وقيده بالأغلال وأرسل جميع جنده وغلمانه للإتيان بابنه فأمسكوا به عند "بادزه ون" عند شاطئ البحر وأحضروه إلى مقر الإقامة في أريان كلاله وسأله الإصفهيد عن كل تفاصيل هذا الأمر ومن كان معه في هذه المؤامرة، فكتب بياناً كاملاً بهم وأرسله إلى أبيه، وفي تلك الليلة قتلوا أم أخيه ضرباً بالعصا، كما أمر الإصفهيد بتعليق "بهاء الدين بادوسبان" وأمر بتقييد ولده وإرساله إلى قلعة دارا وكان الابن الأكبر "شرف الملوك" في "أصفهان" مع الجيش، وكان السلطان قد ترك "صوتاش" في إستراباد لخصومة الإصفهيد، فلما وصل خبر عصيان هذا الابن إلى ركن الدين كبود جامه وكبك ترك جاء صوتاش من جانب إستراباد إلى ساري كما جاء من جانب لارجان إلى أمل أغوش وعلكاي كرد، فاتجه إليهم جميع أهالي أمل من جند ورعية وأهالي، وقالوا إن بادشاه" على باكياباد" الذي كان من سلالة الشاه على رويان والمدعو "ألب سنقر سنبلی" قد أقام في كجو مع ثلاثمائة غلام ومعهم مائتي بغل تخص الشاه أردشير؛ حيث كانوا يحملون عليها في كل عام مؤن القلاع في رويان فجاء هذان التركيان مع بادشاه على بجملته الخيل والبغال إلى أغوش وقابلا أغوش وكان معهم معارف رويان وتحرك أغوش من أمل وجاء إلى قرية "نوكاه"، ليذهب إلى الشاه فأخبروا الشاه بذلك وقت صلاة العصر، فركب في الحال وتقدم وقال لا يمكن لأحد أن ينزل في أمل دون أمر مني، فقال التركي إذن فلتخرجوني منها بالسيف، فتشاور الإصفهيد مع معارف طبرستان فقالوا له إن ابنك ولي العهد في "خوارزم" ويجب عليك أن تصبر فلم يلتفت الإصفهيد إلى هذا الحديث ولم يعبأ بتلك المشورة ومضى إلى أمل، وكان جيش السلطان قد وصل إلى منطقة ليكاني فنزل الإصفهيد في قراكلاده وقال لهم اذهبوا فأحضروهم عندي هنا بالسيف أو أن تشردوهم، واتجه إليهم الجيش فخاف أهل رويان من عقاب الشاه وفروا جميعاً؛

فأمسكوا ببعض جند خوارزم، وقتلوا البعض ونزل قلاجة سيراً على أقدامه إلى "إستندار" ووضعه "بيستون" في سقينة مع بعض أشخاص آخرين من أهل خوارزم ممن كانوا معه وأرسلهم إلى "أبسكون"، وبقي الشاه أردشير فترة في أمل وبعث بالجيش إلى منطقة الجبل والفلاة في "إستندارى"، وأمر بقتل خلق كثيرين وفر "بيستون" واتجه إلى كلاته رأى، ولما وصل الجند إلى أمل بعد ذلك أرسل بادشاه كرشاسف بن خورشيد والأمير رستم سابق الدولة إلى "لارجان"، وكان يوجد أحد العسكريين يدعى كيكوس وكان مقطوع الأنف، وكان قد اجتمع من حوله جماعة من أكراد "لارجان" والعسكر أيضاً؛ فأمسكوه في قرية "نوا" وأطاحوا برأسه، ثم اتجه الجيش إلى "فلول" وكان في قلعة فلول تركي يسمى "طغان" فأخضعوا القلعة وأحضروه مع زوجته "آغوش" وابنه الذي كان نائب السلطان، فأحضروهم إلى أمل وكان الشاه أردشير قد أعطاهم قلعة "أرزاناباد" إقطاعاً لهم، وبعد بضعة أشهر أرسل السلطان "الإصفهيد" شرف الملوك حسن إلى أبيه واستعاد ابنته إلى "خوارزم" ولم يهتم الشاه بطلب استعادة الابنة، فلما انقضت مدة على هذا الأمر ووصل الأتابك أبو بكر محمد إلى العراق وهزم "أركلى" وسقطت قلعة إستوناوند في يد الأتابك وكان في خدمته "شرا تولى كاو بن على لارجانى" فأسند إليه القلعة، وفي هذه السنة وصل خبر وفاة السلطان سعيد إلى أركلى على حدود "شارستانه" في "دماوند" ولم يكن الشاه يعلم بهذا الخبر؛ فذهب أركلى إلى "خوارزم" وكان الشاه أردشير في "كجو" وحضر عنده بعض أهل "رويان" يعلنون طاعتهم والتجأ بيستون إلى الملاحدة وأقطع الشاه جميع الولاية وأراد أن يبقى تلك السنة هناك، فلما تأكد خبر وفاة السلطان سعيد أثار الله برهانه، جاء من كجو إلى أمل خلال يوم واحد واتجه من أمل إلى سارى ومنها إلى تمشه وأرسل "بادشاه كرشاسف" إلى "آنزان" وأمسك جيش الشاه بجميع أهل آنزان الذين كانوا قد تمردوا، ووقع الأمير "إسباوجين" الذي كان عم "لشكر فيروز بن كردا وبيج" في الأسر على يد أمير يدعى "قرماج"، وكان وكيل التركي الخوارزمي المدعو "فيروز" رئيس شرطة خارج تمشه وكان خوارز مشاه قد أرسله مع جميع أهل خراسان وثلاثة آخرين من الأمراء المعروفين مع الجيش إلى تلك المنطقة؛ فاشتبكوا في قتال مع جند الشاه "أردشير" فهزمهم جند الشاه وقبضوا على وكيل التركي وقد أصيب بجرح بالغ، وغنم الجيش غنائم كثيرة، وأحضروا وكيل التركي مع ثلاثمائة رجل آخرين أسرى

إلى الشاه أردشير في "تميشه" فاعتنى به الشاه ورد إليه جواريه مع كل متعلقاته التي كانت قد نهبت وعين جراحاً لعلاجها وأمر بصنع محفة وحمله عليها إلى ساري، وكان الجرح بالغاً وصعباً فتوفي في ساري وأرسل الشاه الأسرى إلى الحبس هم وعلكاي في جماعات من خمسين وعشرين وثلاثين رجلاً، ومضى الإصفهيد إلى إستراباد، وكان نصرة الدين كبودجامة قد ذهب إلى خدمة السلطان إسكندر الثاني، كما كان قد وصل إليه صوتاش عندما بلغه خبر وفاة السلطان سعيد، واستعاد الشاه أردشير قلعتا "بالن" و"جهينة" من حاكميهما من قبل السلطان وعين عليهما خاصته ونوابه، كما عين الإصفهيد شرف الدين نصير الدولة شهريار على سدن رستاق وعين الإصفهيد بوره كله على إستراباد وكتب إلى جميع قلاع الممالك بأن يحضروا إلى حضرته جميع المساجين الذين كانوا في الحبس خلال فترة العشرين سنة أو الثلاثين هذه، فلما حضروا عنده أطلق سراحهم جميعاً، وكان الإصفهيد بهاء الدين شهردار لفورا قد ظل محبوساً في قلعة كوزا ستة عشر عاماً، وكان من معارفه القدامى وأمرائه الكبار فأطلق سراحهم وأعاد له جميع ولاية "لفور" على ما كانت عليه من قبل ومنحه قطعاناً من الأبقار والأغنام والخيول، وأمر بأن يرد إليه كافة خدمه حيثما كانوا ودانت المنطقة من حدود جرجان حتى الري جميعها للشاه، فلما استقرت الأمور في هذه الناحية؛ عاد من هناك إلى رود بست ودونكا وكان قد أصيب بمرض النقرس فعاوده الألم مرة ثانية هناك فجمع الجيش وأرسل معه الأمير شكار قراسنقر وسابق الدولة، والأمير شهريار إلى دماوند ليستولوا على قلعة فيروز كوه ويخضعوها وكان يحكمها من قبل السلطان أمير يدعى "تنق" وكان يلقب بسراج الدين فلم يتركهم في تلك الولاية، وعلم الشاه بذلك فأمر كلا من الأمير سيف الدين سابق الدولة رستم وبادشاه "كرشاسف بن خورشيد" أن يتجها بالجيش إلى هناك وينضما إلى الأمير أخور وأمير شكار، فلما وصل الجيش إلى أسفل القلعة ترك سراج الدين تنق القلعة وذهب إلى خوارزم وقام تنق ومعه مائتي فارس بالخروج بفصيل ليهجم على جند الشاه فأحاط به الجيش وظلوا يطوقونه حتى وقع في الأسر وأحضروه مقيداً إلى الشاه في مقره في دونكا؛ فأمرهم بأن يفكوا قيده وضمه يرغش إقطاع مرزانا باد إلى نفسه وصحبه إلى منزله، وكان العلوي "جمال الدين محمد" قد استولى على قلعة فيروز كوه ولبث جند الشاه يحاصرونه مدة شهرين حتى تم الاستيلاء عليها، وجاء العلوي إلى الخدمة

فأقطعه شاه أردشير منطقة "مهريران" مع بعض الأماكن المتفرقة، لما عاد الأتابك أبو بكر من الري كان يوجد تركي يدعى "كلجه" وكان عبداً لأبيه فقبض على ذلك التركي لكنه فر من القيد واجتمع من حوله جيش العراق (بقادته) من أمثال "أيتغمش" و"منجلى" و"منكبه" و"عز الدين قتيبة" و"صمتاز" وأمير علم "جمال الدين"، واستولوا على ملك العراق وقسموه فيما بينهم وكانوا يرسلون الرسل دائماً إلى الشاه أردشير، يبلغونه بأننا عبيدك ومطيعون لأمرك والعراق ملك لك أيضاً، وكانوا يطلبون عهده ومودته؛ فبذلها ولم يعد هناك ما يشغل ذهن أردشير من جهة العراق، فقاد الجيش إلى خارج تمشيه فلما وصل إلى قرية ليمسك "سدن رستاق" جاء إلى خدمة شاه أردشير الإصفهبد ركن الدين كايودجامه مع والديه محمد وإسفهار، وتناولوا الشراب هناك في ذلك اليوم واحتفلوا، ومضى الإصفهبد إلى مشارف قلعة "وجا"، وأمر بعمارته ثم ذهب من هناك إلى "خرماب رود" وأمر ببناء قلعة "تيره سنك"، ولما رأى نصرة الدين كايود جامه أن عمه قد جاء إلى خدمة شاه أردشير ذهب هو إلى السلطان الأعظم إسكندر الزمان سنجر محمد خلد الله سلطانه، وأغار كل من ركن الدين والأمير رستم سابق الدولة على ولاية كبود جامه وابتعد كل منهما عن الآخر، فوقع الأمير رستم بمفرده دون خيل أو عسكر أو غلمان بين أتباع كبود جامه فأمسكوا به وحملوه إلى ولايتهم فتنطير الشاه أردشير لذلك، ولبث هناك حتى أتم فتح قلعة تيره سنك وعين عليها خاصته وقائداً من عنده، وعاد ومن هناك، فلما وصل إستراباد جاءه رسول من عند سيد العالم سلطان بي آدم ملك الملوك فاتح البلاد إسكندر الزمان عز نصره وزيد قدره وأعطى للشاه أردشير منشوراً يقول له فيه: لقد أمرنا بتسليم فيروز كوه وظاهر تمشيه للشاه أردشير فلما عاد شاه أردشير ذهب إلى الولاية، وكان يوجد بها تركي يدعى "أريرز" والتي كانت "بسطام" و"دامغان" قد وضعت تحت تصرفه، وفي تلك السنة ظهرت فتنة إذ كان غياث الدين غور وشهاب الدين غور قد جاءا إلى خراسان لحرب السلطان؛ فأرسل إليهم صوتاش والأتابك وجميع الأمراء إلى نيسابور، وبعث بوره كله إلى الشاه أردشير بأن يقبله تابعاً له، وتوجه الشاه إلى زارم وأرسل جميع عسكره عنده في دامغان وأرسل هو ابنه إلى خدمة الشاه في زارم كرهينة وظل هو مدة عشرين يوماً بين جند الشاه حتى جاء إليه قاضي دامغان، وقال له: إن مضيت إلى مازندران فلن تأتي إلى هنا مرة أخرى ولن تخرج بعد ذلك فهرب أريرز من وسط

جيش مازندران وجاء إلى دامغان وجاء جند الشاه إلى لند، وأقاموا معسكرهم بها حتى وصلت أخبار أحوال أربرز إلى صوتاش في نيسابور، وكان الشاه قد نزل منها بجيشه فجاء صوتاش من نيسابور للإغارة على دامغان ففر أربرز منه، ومضى إلى سرگاه واره فأغار صوتاش عليها مرة أخرى، وأمسك بأربرز وذهب إلى نيسابور ووضعها في القيد وأرسله إلى خوارزم حيث قطعت رأسه إلى أن جاء سلطانا الفور واستوليا على نيسابور، وأمسكا بعلی شاه مع كافة الأمراء، وحملهما إلى لفور وأجلسهما على نيسابور الملك علاء الدين الذي كان يلقب في ذلك الوقت بضياء الدين، فجاء سلطان العالم فخر بنی آدم إسكندر الزمان وانتزع نيسابور عنوة ومن بالغ كامل عقله وحكمة سياسته، فقد بذل له ما يليق من رحمة وعفو وأطلق سراح جميع أسرى لفور، وأنعم عليهم وقدم لهم المؤن والدواب، وتعلم لفور أصحاب الهمة الوضيعة أسلوب السلطنة والمروءة وخجلا هذان الملكان وندما على ما فعلا وأطلق سراح على شاه وكافة الأمراء وبعثوهم إلى الحضرة العلية السلطانية، واتجه سيد العالم إلى مرو وسرخس وأغار على تلك المناطق حتى هراة واستولى على تلك الولاية بأكملها، وفي هذه السنة وقع خلاف بين أمراء العراق والأتابك "سعيد بارس" فقاد كلجه الجيش إلى أصفهان وتوجه من هناك إلى شيراز وتحارب مع الأتابك، وكان أيتغمش هو قائد الجيش في ذلك اليوم، وكان كلجه قد اتخذهُ أخاً له كما اتخذ منجلى ابناً له، وهزم الأتابك سعد في تلك المعركة واستطاع بصعوبة بالغة أن ينجو من أيديهم، واستولى أترك العراق على جميع ممالكه وقاموا بقتل كثير من الزهاد والمتصوفة في شيراز وشنقوهم واقترفوا الكثير من الفساد والتخريب وما لا يليق من السلوك، وحين عاد كان لعز الدين صتمان غلام يدعى كيك تظلم منه أمام كلجه بأنه تعرض للناس أثناء الطريق وأغار عليهم؛ فأمر بشنقه على الطريق وتشفع له أيتغمش ومنكبه لكنه جادلهم وفي النهاية أمر بإطلاق سراحه، وتعاهد الأمراء جميعاً على أن يقتلوا "كلجه" فلما وصلوا إلى أصفهان انعزلوا عنه فخاف منهم وهرب وجاء إلى الري فتعقبوه إلى الري وكان معه الأمير أوزبك بين الأتابك محمد وتحاربوا وجاء في عقبه منكلی وأمسك به وحضر عنده كل من "أيتغمش" و"صمتان" و"منكبه" وطلب منكلی منه ألا يتركهم يقتلونه فضربه صمتان بسيف في وجهه فشقه فأمر أيتغمش بقطع رأسه وجاءوا إلى الري وقالوا إننا جميعاً عبيدك وقد قتلناه خدمة وولاء لك، وعادوا إلى الأتابك أبي بكر فبذل لهم التشريف

واستمالهم إليه، وأعلن رضاه عما فعلوه إذ كان كلجه قد فر منه، وجلس أيتغمش على ملك العراق وجعلت خطبة السلطنة في كل العراق باسم الأتابك أبي بكر وكان يطلق على أوزبك لقب ملك كما كان أيتغمش يعرف بملك الأمراء، وأرسلوا رسولا إلى الشاه أردشير لعقد اتفاق فقال الشاه : إن قلعة إستوناوند ملك لى فردوها إلى فقالوا له: إن قوتك وحولك الآن أكثر فخذها عن رضا منا، وعقد الإصفهبد معهم عهداً وأرسل جيشه إلى مشارف قلعة إستوناوند وحاصرها وفى النهاية استقر الرأى على أن يعطى لأسفارنكيچ بن على لارجانى قلعة فلول بدلاً من قلعة إستوناوند، وأرسل الإصفهبد إلى قلعة إستوناوند حاكماً من خاصته، وبعد شهرين من جلوس شرف الدولة بن على لارجانى فى فلول منحه الإصفهبد منطقة ميلى إقطاعاً له فأرسل أبناءه إليها، ترك قلعة فلول الأتباع الشاه أردشير وكان ملازماً لخدمة الشاه دائماً، وكان الشاه يغمره بالعطف وفى تلك السنة التى كان قد أخذ فيها إستوناوند جاء الشاه أردشير إلى فریم والتجأ إلى خدمته علاء الدين بن زين الدين رئيس دهستان، فأمنه وبذل له الكثير من العناية وطلب شمس الملوك رستم بن أردشير الإذن من أبيه فى يريم ليمضى إلى قلعة باغك ليتفقد حظائر خيوله وكان فى خدمة أبيه أخوه الأكبر شرف الملوك والأصغر قارن فسمح له شاه أردشير بذلك فجاء من هناك إلى (*) باغك

فلما وصل إلى "سوبرنى" أكرم وفادته سيد العالم سلطان السلاطين الإسكندر غازى العالم كما أكرمت وفادته سيدة العالم عظيمة الأتراك ملكة الإسلام خلد الله ملكها ، وخصصت له الملجأ والجاه والمنزلة ولم تترك شيئاً من وجوه الرعاية إلا بذلته له، وفى هذا التاريخ كان غياث الدين قد دخل بلاد لفور وجاء شهاب الدين غزنين إلى خوارزم، وأرسل الرسل إلى مازندران يقول: لقد ذهبنا إلى خوارزم فبذل الشاه أردشير كل ما كان ممكناً فى الدنيا من عناية ورعاية فى حق رسله كما جعل الخطبة والسكة باسمه أيضاً، إلى أن أتى سيد العالم سلطان السلاطين أعلى الله رتبته ونصر ألويته إلى منطقة فوز وار على مسافة ستة فراسخ من خوارزم، وتحاربوا وكان نهر

(*) ممسوح من النسخة ألف وموجود فى النسخة باء : محقق ص ١٧٠

جيحون بين الجيشين، ولبثا فترة فى مواجهة بعضهما البعض وتأكد لشهاب الدين غزنين أنه اقتترف خطأ وأن تدبيره لم يكن صائباً وأخذ سيد العالم ملك بنى آدم (يغير) فى كل ليلة ونهار وساعة على ذلك.....

فانهزم شهاب الدين غزنين ودخل السلطان قلعة الدخول وأدرك سلطان سلاطين سمرقند المسمى عثمان أن الخطأ لو أمسكوا به فسوف يقضى على الإسلام؛ فذهب إلى أندخود وقال: لقد انهار الأمر ولا فائدة ممن لا خبرة له أن يكون شجاعاً فلو أمسكت بك تلك الجماعة فسوف تصبح ونحن جميع المسلمين أذلاء، والصواب هو أن ترسل إلى طينكو رسولاً أو اثنين ومعهما التحف والهدايا لأهجم عليه أنا بالحيلة من مشارف القلعة حتى تخرج أنت منها بسلام؛ فرضى شهاب الدين بذلك وقال سلطان السلاطين لطينكو لقد تحقق لك ما لم تكن تأمله ، وقد وصل إليك هذا الرجل من خوارزم مهزوماً فإن لم تكن رجله فخذ منه القيلة والأموال وارجل عنه بسلامة فسوف يأتيني المدد والجند من جميع الأطراف ساعة بعد ساعة، فلما سمع طينكو ذلك الكلام توجه إلى ما وراء النهر وأرسل شهاب الدين إلى هرات فمضى إلى هناك عن طريق يتجه رود

وكان للشاه أردشير ثلاثة أبناء الأكبر شرف الملوك، ومن بعده شمس الملوك رستم، والأصغر هو قارن، وتوفى الشاه أردشير فى تاريخ ستمائة واثنين من الهجرة، وتوفى شرف الملوك بعد أبيه أيضاً، وكان شمس الملوك رستم محبوساً فى قلعة دارا .

" حكم شمس الملوك رستم بن الشاه أردشير "

ذهب أكابر وأعيان طبرستان مع ركن الدولة قارن إلى قلعة دارا وبأيعوا "الإصفهيد" شرف الملوك وعادوا فى نفس اليوم إلى رويارهج وجاعوا من هناك إلى منكول وآمل، وقال المنجمون لا يوجد طيب للجلوس على العرش خلال خمسة أيام فلم يسمع كلامهم وجلس على العرش خلافاً لرأى المنجمين، وعلى عادة وطريق ملوك العجم ظل مجلس الشراب ممدوداً سبعة أيام مع الترف والعيش واللهو ونثر الذهب، وأقبل إلى البلاط الصهايدة وآل باوند والأمراء والأعيان ومن مختلف المناطق حيث قدموا التهانى وجلس على عرش السلطنة فى اليوم الثامن وعقد الحزام (على خصره) ووضع

القلنسوة على رأسه وثبت الأعيان والأمراء والعظماء فيما كانوا فيه من مناصب، وأعطى الخلع لجميع الأمراء والصهابدة وخرج من العزاء وأرسل بنوابه إلى جميع الأطراف، وجاء رسول من عند سلطان سلاطين العالم ليعزيه في أبيه ولتهنئته بتولى الحكم .

"كراهية قارن للإصفهيد"

حدث خلاف بين ركن الدولة قارن الذي كان الأخ الأصغر مع الإصفهيد بسبب ميراث شرف الملوك، الذي كان الأخ الأكبر فالتحق ركن الدولة بالسلطان، فأعطى السلطان عدداً من الجند إلى علي شاه الذي كان صاحب دامغان وبسطام وأمره بأن يطلب من الإصفهيد أولاً باللف واللف والنصيحة أن يترك ميراث شرف الملوك لأخيه فإن لم تجد معه النصيحة فليبلغه ذلك باللف وأصدر مرسوماً للأمراء الرى وجرجان بأن يمدوه بالمدد ، فجاء علي شاه إلى لارجان عن طريق فيروز كوه وضرب خيامه في روبراهج (*) وأعطى مازندران إلى بهمن ثم عاد وكانت زوجة أخى علي شاه قد توجهت إلى طريق منكول؛ حيث يوجد (**) فقطع أهل شلاب الطريق عليها وقتلوا مع جميع جندها، وخرج علي شاه من مأتمها مستاء وقال للمعارف الذين كانوا مع الإصفهيد ركن الدولة لقد أصبحنا عاجزين عن أن نستطيع الخروج ويجب إيفاد شخص إلى الأخ وعقد اتفاق مودة وعهد معه ، فقال لهم قولوا ما ترون فيه المصلحة، وجاء علاء الدولة وشهاب دبیر كلاهما برسالة إلى شمس الملوك وعقداً معه عهداً بين ركن الدولة ومن أجله هو نفسه (عقد عهداً بين الأخوين)، وتم الاتفاق على أن ما كان ولاية لشرف الملوك في عهد أبيه إلى جانب ما كان يملكه في القديم يسلم له، وكل جهاز الملك وغلمان القصر الذين بقوا معه يتركوا له وأن يجعله ولياً لعهد فلما تم الاتفاق على هذا قال لهم ابقوا هنا أنتم وأخى في القلعة حتى يخرج علي شاه، ونزل أخوه من القلعة وطلب علي شاه من الإصفهيد أن يعطيه أخته وقبل الإصفهيد منه ذلك نظراً لأن أخته كانت في القلعة مع ركن الدولة لذا فلم يتم عقد الزواج الشرعى وأحضر الكثير

(*) مكان خال من الكتابة (المترجم) .

(**) مكان خال من الكتابة (المترجم) .

من التحف من قلعة كوزا وأرسلها هدية لعليشاه وأعاده وصار فى مشيعين حتى حدود تريجه، ثم جاء إلى هج رودبار وكان ركن الدولة قد نزل من القلعة وكان "بادشاه إراسياب أشرب" قد تولى قيادة القلعة من قبل شمس الملوك فأمر بأن يأتى الأخ ركن الدولة إلى الخدمة، وقام باستقباله عند منكول فلما وصل الأخ احتضن كل منهما الآخر من فوق ظهر الجياد، وجاءوا إلى المنزل وفى الغداة ذهب الإصفهيد إلى قلعة دارا وزار رفاقه وأهله وأقاربه وسعد الجميع لرؤيته ونثروا عليه حملاً من الذهب، وكان يوجد "علوى" يدعى "موسى" كان فى عهد الملك السعيد "أردشير شاه" وقبل أن يجلس السلطان "سعيد تكش بن أرسلان" على الحكم كان قد هرب من "خوارزم" والتجأ إليه وظل فى "طبرستان" مدة عشرين عاماً حيث اتخذها موطناً تزوج بها ، وكان دائماً شريراً فتان سىء السلوك ، وكان الشاه "أردشير" قد أمسك به بسبب ذلك فى ويمه ، وعاقبه وأرسله إلى القلعة ولأنه كان علوياً فلم يجر قتله ، فلما أعلن "شمس الملوك" عصيانه على أبيه وجاء "صوتاش" إلى "آمل" فهرب هو وانضم إلى "صوتاش" ، ومن هناك وصل إلى خدمة سلطان السلاطين وفوضت إليه وزارة "على شاه" ، فلما جاء "على شاه" ، إلى مقام "هج" ، جاء إلى خدمته "العلوى موسى" أيضاً فحثه على أن يقبض على "الإصفهيد" ، ويجلس على الملك فى "مازندران" ، فليس فى العالم أجمع ولاية أكثر من نفائسها ولا أوفر خيرات ، لكن "على شاه" لم يسمع لما قاله ولكن لم يظهر مع "الإصفهيد" ، فلما عاد تخلف "العلوى الموسوى" بضعة أيام طمعاً فى الالتحاق بخدمة "الإصفهيد" ، فلما يأس من أن "على شاه" لن يفعل وفق مشورته حرض "الإصفهيد" ، ضد "على شاه" ، ودخل إليه من باب النصيحة وساق إليه مختلف الأسباب إلى أن كتب "الإصفهيد" ، على رقعة كل ذلك الذى قاله له ، وأرسل بها إلى "على شاه" ، فى "كلارا" ، وأعاد إليه السيد "الموسوى" ، بتكريم ومودة فلما وصل "السيد" ، إلى هناك عرض عليه "على شاه" ، تلك الرقعة ووضع فى وجهه كل أقواله ثم أطاح برأسه وبعث بها إلى "الإصفهيد" ، كما أرسل معها تقريراً عن كل ذلك الذى كان قد عرض عليه قبل أن يعرض على "الإصفهيد" ، من الإمساك بـ "الإصفهيد" ، وقتله فقويت الشقة بين الاثنين وبلغ تحالفهما درجة كبيرة بما لا مزيد عليه ، وعلقت رأس

العلوى الموسوى" ، فى وسط سوق العسكر فى "رودبارهج" ، أما أولاده فقد قبض عليهم وأرسلهم إلى "كهرود" ، وظلوا بها مدة فى الحبس وفى النهاية تشفع لهم "حسين بارضا" ، وأطلق سراحهم (ولم يمض وقت طويل على هذا التاريخ حتى قام الملاحدة بقتل "ركن الدولة" ، غدرًا وقاموا بنشر الفتنة والنهب فى الأطراف وصارت لهم غلبة ظاهرة ولم يعرف لـ "شمس الملوك" ، أبناء وكان قد أعطى أخته لـ "إصفهبد شهريار ابن كينخواز بن رستم بن دارا بن شهريار" ، المعروف بأبى الملوك فأنجبت أخت "شمس الملوك" ، هذه ابناً سمى "كينجواز" ، وأنجب هو الآخر الملك المعظم حسام الدولة "أردشير بن كينخواز" ، وكان "الشاه أردشير بن الحسن" ، و"الإصفهبد كينخواز" ، أبناء عم لبعضهما البعض حيث كان حسام الدولة "شهريار" ، معاصراً للسلطان "ملكشاه" ، وكان السلطان "ملكشاه" ، يكتب إليه دائماً بلقب : يا والدى ويقول الشاعر الرافعى :

– كان يدعى فى العالم بالملك كما كان يدعى بوالد السلطان عصره فإن لم تصدق فانظر الآن رسالة السلطان .

– فانظر ما لشهريار بن قارن سرخاب من جاه ومكانة على العالم وعلى عظماء العالم حتى يوم الحشر .

ويقول أيضاً فى مكان آخر:

– الملك يعلم أن لك من القدر ما يجعلك حكماً للدنيا كما إن ملك العالم من باب الفخر يدعوك بـ أيها الوالد .

وآنذاك ظهرت الغلبة لسلطان السلاطين "علاء الدين محمد خوارزم شاه" ، وذلك للضعف والوهن الذى وجد طريقه إلى ملوك "باوند" ، فاستولى "علاء الدين" ، على العديد من القلاع والولايات خارج "تميشة" ، وعين عليها رجاله ، وفى تلك الأثناء غدر "أبو رضا حسين بن محمد بن أبى الرضا العلوى المامطيرى" غدرًا شنيعاً ؛ إذ كفر بنعمة وحقوق أيادى مخدمه حيث غدر فى الرابع من شوال عام ٦٠٦ بنصر الدولة "شمس الملوك" ، وقتله غدرًا ونتيجة استشهاده أصاب الخلل الولاية بشكل تام ، فتوجه

أمراء "مازندران" ، أعيانها إلى السلطان "محمد خوارزم شاه" ، ودخلوا في طاعته مضطرين ، وكانوا يرسلون إليه خراجاً عاماً بعد عام (*)

– لتشتعل النيران في كل الدنيا ، ولتغرق الدنيا من أقصاها إلى أقصاها مثلما أنا محترق (**).

فلو أهنأ دون الملك أردشير فليتمزق قلبي ولتخاط عيني .

وله أيضاً :

– منذ أن اختطفتك مني رياح الفناء أيها الملك ولا راحة ولا متعة ولا فائدة من العمر.

– وقد أصبح قلبي مفعماً بالنار وعيني مفعمة بالدمع منذ أن احتوى التراب مفركك المتوج

وله أيضاً :-

– يا من سلب وجهك ماء وجه العالم فأودعك التراب وأسلمني للغم .

– كيف يتأكد يقيناً لدينا أن أراك ذات يوم ميتاً وأنا لست حياً ولا ميتاً .

تم من مجموع تواريخ "مازندران" بحمد الله الملك الديان وحسن توفيق الخالق المنان في الثالث من شهر ربيع الأول عام ٩٧٨ من الهجرة النبوية عليه الصلاة والتحية .

(*) يقول عباس إقبال عن هذا الجزء الذي هو بين الأقواس أنه غير موجود في النسخة ألف وأن الأشعار الواردة به لا ترتبط بما نحن فيه بصلة ولا ندرى ما سبب حشرها هنا وأن هذه الأحداث في ذكر وقائع عهد المغول وأحوال ما زندران حتى عام ٧٥٠ والظاهر أنها ملحقة والجزء الأعظم منها منقول نصاً من كتاب تاريخ رويان أولياء الله الأعلى (المحقق) .

(**) هذه الرباعيات الثلاث في رثاء الشاه أردشير وهي موجودة في النسخة ألف ومعلوم أنها ساقطة قبل تلك المطالب (المحقق) .

المحتويات

5 تقديم
7 مقدمة الناشر
9 النسخ المعروفة من كتاب تاريخ طبرستان
19 مقدمة المؤلف
27 الباب الأول : فى ترجمة كلام ابن المقفع
73 الباب الثانى : فى بداية تأسيس طبرستان وبناء وتعمير مدنها
89 الباب الثالث : فى خصائص وعجائب طبرستان
 الباب الرابع : فى ذكر الملوك والأكابر والعلماء والزهاد والمعارف والكتاب
101 والأطباء وأهل النجوم والحكماء والشعراء
 ترجمة الجزء الثانى من كتاب « تاريخ طبرستان » فى امتداد دولة
307 آل وشمكير وآل بويه ومدة استيلائهم على طبرستان

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارييتكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغييرات البيئية	أندروس. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزني وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثنية السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولى / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صعد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كايين	ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصه إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ملجى
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزبوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	الدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ - الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلاوي ويوسف الأتلى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجاتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لغة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى العجوز ت . س . إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
- ٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر ل . ا . سيمينوفا
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢ رينيه ويليك
- ٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف بورييس أوسبىنسكى
- ٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميجيل ميجيل دى أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاي
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صادقى
- ٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالتقرب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتونى جينزن
- ٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوسكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميجل
- ٩٣ - محدثات العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤ - الحب الأول والصحبة صمويل بيكيت
- ٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى أنطونيو بويرو بايخو
- ٩٦ - ثلاث زئبقات ووردة قصص مختارة
- ٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) فرنان برودل
- ٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى نماذج ومقالات
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية ديفيد روبنسون
- ١٠٠ - مساعلة العولة بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليط
- ١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيبى
- ١٠٣ - قبر ابن عربى يليه أياء عبد الوهاب المؤدب
- ١٠٤ - أوبرا ماهوجنى برتولت بريشت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع چيرارچينيت
- ١٠٦ - الأدب الأندلسى د. ماريا خيسوس روبييرامتى
- ١٠٧ - مسرة القذائى فى الشعر الأمريكى المعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
- ت : حسن ناظم وعلى حاكم
- ت : حسن بيومى
- ت : أحمد درويش
- ت : عبد المقصود عبد الكريم
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : أحمد محمود ونورا أمين
- ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
- ت : مكارم الغمرى
- ت : محمد طارق الشرقاوى
- ت : محمود السيد على
- ت : خالد المعالى
- ت : عبد الحميد شيحة
- ت : عبد الرازق بركات
- ت : أحمد فتحى يوسف شتا
- ت : ماجدة العنانى
- ت : إبراهيم الدسوقى شتا
- ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
- ت : محمد إبراهيم مبروك
- ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : فوزية العشماوى
- ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
- ت : إدوار الخراط
- ت : بشير السباعى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : إبراهيم قنديل
- ت : إبراهيم فتحى
- ت : رشيد بنحدو
- ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
- ت : محمد بنيس
- ت : عبد الغفار مكاوى
- ت : عبد العزيز شبيل
- ت : أشرف على دعدور
- ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه چون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون
١١٢ - الاحتجاج الهادي أرلين علوى ماكليود
١١٣ - راية التمرد سادى پلانت
١١٤ - مسرحيات حماد كرنجى وسكان المستنقع وول شوينكا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلى أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر بث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت
١٢٣ - الإمبراطورية العشائرية وعلاقاتها العائلية نيلز الكسندر وفنادولينا
١٢٤ - الفجر الكاذب چون جراى
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديفى
١٢٦ - فعل القراءة فولفانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحى
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيت
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندس فرانك
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء) ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو
١٣٧ - منكرات ضابط في الحملة الفرنسية جوزيف مارى مواريه
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف إيفلينا تارونى
١٣٩ - باريسيفال ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار هربرت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التطير في البحث الاجتماعى ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولدونى
- ت : محمود على مكى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سميرة رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : ليس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندي ، وإيزابييل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بليغ
ت : سمحه الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعى
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقى جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحى
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبورى
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومى
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث كارلوس فوينتس
 ١٤٦ - الورقة الحمراء ميجيل دى ليس
 ١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة تانكريد دورست
 ١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكي أندرسون إمبرت
 ١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول
 ١٥٠ - التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
 ١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) فرنان برودل
 ١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى نخبة من الكتاب
 ١٥٣ - غرام الفراعنة فيولين فاتويك
 ١٥٤ - مدرسة فرانكفورت فيل سليتر
 ١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر نخبة من الشعراء
 ١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
 ١٥٧ - خسرو وشيرين النظامى الكنجى
 ١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) فرنان برودل
 ١٥٩ - الإيديولوجية ديفيد هوكس
 ١٦٠ - آلة الطبيعة بول إيرليش
 ١٦١ - من المسرح الإسباني اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
 ١٦٢ - تاريخ الكنيسة يوحنا الآسيوى
 ١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ جوربون مارشال
 ١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) جان لاکوتير
 ١٦٥ - حكايات الثعلب أ. ن أفانا سيفا
 ١٦٦ - العلاقات بين المتينين والعلمانيين في إسرائيل يشعياهو ليفمان
 ١٦٧ - في عالم طاغور رابندراناث طاغور
 ١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة مجموعة من المؤلفين
 ١٦٩ - إبداعات أدبية مجموعة من المبدعين
 ١٧٠ - الطريق ميغيل دليبيس
 ١٧١ - وضع حد فرانك بيجو
 ١٧٢ - حجر الشمس مختارات
 ١٧٣ - معنى الجمال ولتر ت. ستيس
 ١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء ايليس كاشمور
 ١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية لورينزو فيلشس
 ١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية توم تيتنبرج
 ١٧٧ - أنطون تشيخوف هنرى تروايا
 ١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث نخبة من الشعراء
 ١٧٩ - حكايات آيسوب آيسوب
 ١٨٠ - قصة جاويد إسماعيل فصيح
 ١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي فنسنت . ب . ليتش
- ت : أحمد حسان
 ت : على عبد الرؤوف البمبى
 ت : عبد الغفار مكاوى
 ت : على إبراهيم على منوفى
 ت : أسامة إسبر
 ت : منيرة كروان
 ت : بشير السباعى
 ت : محمد محمد الخطابى
 ت : فاطمة عبد الله محمود
 ت : خليل كلفت
 ت : أحمد مرسى
 ت : مى التلمسانى
 ت : عبد العزيز بقوش
 ت : بشير السباعى
 ت : إبراهيم فتحي
 ت : حسين بيومى
 ت : زيدان عبد الحليم زيدان
 ت : صلاح عبد العزيز محجوب
 ت : بإشراف : محمد الجوهري
 ت : نبيل سعد
 ت : سهير المصادقة
 ت : محمد محمود أبو غدير
 ت : شكرى محمد عياد
 ت : شكرى محمد عياد
 ت : شكرى محمد عياد
 ت : بسام ياسين رشيد
 ت : هدى حسين
 ت : محمد محمد الخطابى
 ت : إمام عبد الفتاح إمام
 ت : أحمد محمود
 ت : وجيه سمعان عبد المسيح
 ت : جلال البنا
 ت : حصه إبراهيم منيف
 ت : محمد حمدى إبراهيم
 ت : إمام عبد الفتاح إمام
 ت : سليم عبدالأمير حمدان
 ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُرُجْ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الفانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام وأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنا إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل النجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مخترعات من النقد الأثجو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	قالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندأوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سبيروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شاناز	ت : أحمد محمود هويدي
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهولوجية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقي	رامون خوتاسنديز	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوربان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ تدمر نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة المنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانزو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيلولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركت	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البريرى
٢٢٧ - المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	موسى مارديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيما	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمينجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مديولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لورا إسكيبييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركت	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والعدالة فى مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مخفارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودى
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج ٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سى ، باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستثمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - س. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الألب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - القديس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	ت : على البمبى
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعولة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج مونا	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج ١	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج ٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وايم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن النحويين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر ثقافا بليوه	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة برومتيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء چاهين
٣٠١ - أسطورة برومتيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندی
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوزا	جين هوب ويورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالا بارت	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي لتاريخ	چان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاتي	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجي هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ - مقال فى المنهج الفلسفى	كوانجود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خاير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ - جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت : كاميليا صبحى
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ - بلا غد	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتز ياسبيفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى بروفتسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظر حيثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مقلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هاتم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كريستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

- ٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد
٣٣١ - عندما جاء السردين ستيفن جراى
٣٣٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى نخبة
٣٣٣ - الإسلام فى بريطانيا نبيل مطر
٣٣٤ - لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك
٣٣٥ - عصر الشك ناتالى ساروت
٣٣٦ - متون الأهرام نصوص قديمة
٣٣٧ - فلسفة الولاء جوزايا رويس
٣٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند نخبة
٣٣٩ - تاريخ الأدب فى إيران ج٢ على أصغر حكمت
٣٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط بيرش بيريريجلو
٣٤١ - قصائد من رلكه راينر ماريا رلكه
٣٤٢ - سلامان وأبسال نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
٣٤٣ - العالم البرجوازي الزائل نادين جورديمر
٣٤٤ - الموت فى الشمس بيتر بلانجوه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن بونه ندائى
٣٤٦ - سحر مصر رشاد رشدى
٣٤٧ - الصبية الطائشون جان كوكتو
٣٤٨ - المتصورة الأولى فى الأدب التركى جا محمد فؤاد كويريلى
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدرون وآخرين
٣٥٠ - بانوراما الحياة السياحية أقلام مختلفة
٣٥١ - مبادئ المنطق جوزايا رويس
٣٥٢ - قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس
٣٥٣ - الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية) باسيليو بابون مالدونالد
٣٥٤ - الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية) باسيليو بابون مالدونالد
٣٥٥ - التيارات السياسية فى إيران حجت مرتضى
٣٥٦ - الميراث المر بول سالم
٣٥٧ - متون هيرميس نصوص قديمة
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامية نخبة
٣٥٩ - محاورات بارمنيدس أفلاطون
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة أندريه جاكوب ونويلا باركان
٣٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة آلان جرينجر
٣٦٢ - تلميذ باينبرج هاينرش شيبورال
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقى ريتشارد جيبسون
٣٦٤ - حداثة شكسبير إسماعيل سراج الدين
٣٦٥ - سأم باريس شارل بودلير
٣٦٦ - نساء يركضن مع الثناى كلاريسا بنكولا
- ت : سامى صلاح
ت : سامية دياب
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : بكر عباس
ت : مصطفى فهمى
ت : فتحى العشرى
ت : حسن صابر
ت : أحمد الأنصارى
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : فخرى لبيب
ت : حسن حلمى
ت : عبد العزيز بقوش
ت : سمير عبد ربه
ت : سمير عبد ربه
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال الجزيرى
ت : بكر الحلو
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : أحمد عمر شاهين
ت : عطية شحاتة
ت : أحمد الأنصارى
ت : نعيم عطية
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : محمود سلامة علاوى
ت : بدر الرفاعى
ت : عمر الفاروق عمر
ت : مصطفى حجازى السيد
ت : حبيب الشارونى
ت : ليلى الشريبينى
ت : عاطف معتمد وآمال شارر
ت : سيد أحمد فتح الله
ت : صبرى محمد حسن
ت : نجلاء أبو عجاج
ت : محمد أحمد حمد
ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ - القلم الجريء	نخبة	ت : البراق عبد الهادي رضا
٣٦٨ - المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ - المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ - الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ - المتصوفة الأولون فى الأدب التركى ج٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ - عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ - كيف تعد رسالة بكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ - اليوم السادس	أندرية شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ - الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ - الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ - تاريخ الأدب فى إيران ج٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ - المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ - ملك فى الحديقة	سنيل بات	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ - حديث عن الخسارة	جوتتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ - أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ - تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٦٣٦ / ٢٠٠٢

«الكاتب الصادق هو مرآة مجتمعه»، وقد بلور محمد بن حسن بن إسفنديار هذه الفكرة، وأكدها في كتابه «تاريخ طبرستان»؛ حيث قدّم صورة حية ومتكاملة لمختلف جوانب الحياة التي كانت سائدة في إقليم «طبرستان» آنذاك؛ فأبرز الجوانب المختلفة لمجتمعه من حضارية وثقافية واجتماعية وتجارية... إلخ.

لقد نهج ابن إسفنديار - في هذا الكتاب - التأريخ وفقاً للموضوعات التي تجعل القارئ يلمُّ بالموضوع كله دون تشتت، وزوّده بمعلومات وافية ودقيقة عن كل موضوع تطرق إليه، وربط فيه الجغرافيا بالتاريخ مقدماً العلل النفسية التي تتحكم في الحوادث. من هنا تنبع أهمية هذا الكتاب باشماله على فترة زمنية طويلة، تمتد منذ العهد الأسطوري لإيران حتى القرن السادس الهجري، وبالرغم من أنه من الكتب التاريخية الخاصة إلا أنه تجاوز «طبرستان» إلى غيرها من الممالك الإسلامية الأخرى.